

# قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ

تأليف المرحوم

عبد النجار

مدرس التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين  
وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا [سابقاً]

الطبعة الثالثة

منقحة وبها زيادات هامة

دار

أحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

# فهرس الكتاب

## صفحة

٤٥	قصة نوح في التوراة . . . . .
٤٦	قصة الطوفان في الثقافة الوثنية الهندية
٤٧	عمر نوح . . . . .
٤٩	هود عليه السلام
٥١	مساكن عاد . عبادتهم . . . . .
٥٦	العبرة من قصة هود مع قوم عاد . . . . .
٥٨	صالح عليه السلام
٥٨	مساكن ثمود . . . . .
٥٩	دين أهل ثمود . . . . .
٦٠	ناقة صالح . . . . .
٦٦	هلاك قوم ثمود بالصاعقة . . . . .
٧٠	ابراهيم عليه السلام
٧٠	اسم أبيه . . . . .
٧٣	نسب ابراهيم الى نوح . . . . .
٧٤	نقض رأى هجرونييه وفنسك في ابراهيم عليه السلام . . . . .
٧٧	بيان السور والآيات التي ذكر فيها ابراهيم عليه السلام . . . . .
٧٨	بيان السور والآيات التي ذكر فيها لوط واسحاق عليهما السلام . . . . .
٧٩	قصة ابراهيم . تبينه الشر للأصنام . . . . .
٨٠	المحاكمة . . . . .
٨١	محاجة ابراهيم للملك . مواقف ابراهيم مع قومه . . . . .
٨٣	اخفاق ابراهيم في هداية قومه . رحلته الى أور الكلدانيين ثم الى حران . رحلته الى فلسطين ومعه لوط ابن أخيه . . . . .
٨٤	رحلته الى مصر . . . . .
٩٢	دخول ابراهيم بهاجر . . . . .
٩٣	ولادة اسماعيل من هاجر . . . . .
٩٤	سنة الختان . ابراهيم والملائكة الذين أرسلوا الى قوم لوط . . . . .
٩٤	دفاع ابراهيم عن لوط ومجادلته عن قوم

## صفحة

ز	مقدمة الطبعة الاولى . . . . .
ى	مقدمة الطبعة الثانية . . . . .
ك	كيف قابل الناس هذا الكتاب حين ظهور الطبعة الاولى منه . . . . .
س	القواعد التي سرت على ضوئها في تأليف هذا الكتاب . . . . .
١	آدم عليه السلام
٢	خلق آدم من طين . اباء ابليس عن السجود لآدم . . . . .
٤	استخلاف الله آدم في الأرض . . . . .
٥	تعليم الله آدم المسميات . . . . .
٦	خروج حواء وآدم من الجنة . . . . .
٨	سائل في قصة آدم والاجابة عنها . . . . .
٩	أين توجد الجنة ؟ . . . . .
١٠	هل آدم نبي ورسول ؟ . . . . .
١١	هل آدم هذا هو أول البشر ؟ . . . . .
١٢	العقل ومشتقاته في القرآن الكريم . . . . .
١٣	نظرية دارون . . . . .
١٦	قصة آدم في سفر التكوين . . . . .
١٧	من هم الملائكة ؟ . . . . .
٢١	العظة في قصة آدم . . . . .
٢٢	قابيل وهابيل
٢٤	ادريس عليه السلام
٢٦	بعض ما سنده لقومه . . . . .
٢٧	ما أمر به من القرابين . ادريس هو هرمس الهرامسة . . . . .
٣٠	نوح عليه السلام
٣٢	قوم نوح . ارسال الله نوحا الى قومه . . . . .
٣٣	اجتهاد نوح في دعوته . . . . .
٣٤	يأس نوح من هداية قومه . سفينة نوح
٣٦	الطوفان . . . . .
٣٧	أين جبل الجودي ؟ . . . . .
٣٨	مسألة نوح في ابنه . وهل كان ابنه حقيقة

صفحة	
١٦٩	من هو صهر موسى ؟ . . . . .
١٧٣	بشته عليه السلام بالوادي المقدس . . . . .
١٧٩	عودته الى مصر ودعوته لفرعون . . . . .
١٨٢	موسى يحاج فرعون في ربوبية الله تعالى . . . . .
١٨٤	فرعون يدعى الألوهية . . . . .
١٨٧	معجزتا العصا واليد . . . . .
١٩٣	تمادى فرعون وقومه في اصرارهم على الكفر . . . . .
١٩٤	الاثتار بموسى لقتله . . . . .
١٩٦	فرعون ينادى بأنه رب الناس الأعلى . . . . .
١٩٧	آيات الله على فرعون وقومه لما كذبوا موسى . . . . .
٢٠٠	انطلاق بنى اسرائيل وغرق فرعون . . . . .
٢٠١	من هو فرعون صاحب موسى . . . . .
٢٠٩	سوء حال فرعون وقومه يوم القيامة . . . . .
٢١٠	لصوق الوثنية بقلوب فريق من بنى اسرائيل . . . . .
٢١٠	طلبهم من موسى أن يجعل لهم الها حينما مروا على قوم يعبدون الأصنام . . . . .
٢١١	تفجير العيون من الصخر لهم . انزال المن والسلوى عليهم . . . . .
٢١٢	تظليل الغمام لهم من حر الشمس . الميقات . . . . .
٢١٨	دار الفاسقين . اتخاذ بنى اسرائيل العجل الها . . . . .
٢٢٠	ما حقيقة هذا العجل؟ من هو السامري؟ . . . . .
٢٢٧	الأرض المقدسة . التيه . . . . .
٢٢٩	ننق الجبل . . . . .
٢٣٥	مسألة البقرة . . . . .
٢٤٨	معاني لفظ ( آية ) في القرآن الكريم . عرض معالم جريمة القتل على المتهم والقرائن الخاصة بذلك . . . . .
٢٥١	جريمة القتل التي هزت فرنسا (قضية فيوليت نوزيير سنة ١٩٣٣) . . . . .
٢٥٤	قصة قارون . ايداء بنى اسرائيل لموسى وتبرئة الله اياه . . . . .
٢٨١	وصف الأدرة . . . . .
٢٨٨	اختيار موسى سبعين رجلا من قومه للتوبة من اتخاذ بنى اسرائيل العجل الها . طلب بعضهم من موسى أن يروا الله جهرة . . . . .
٢٩٢	التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم . . . . .

صفحة	
٩٥	لوط . البشرى باسحاق . . . . .
٩٦	حب الاستطلاع في ابراهيم . . . . .
٩٨	اسحق عليه السلام . . . . .
١٠١	اسماعيل عليه السلام . . . . .
١٠١	اسماعيل عليه السلام هو الذبيح . . . . .
١٠٣	رحلة اسماعيل وهاجر الى مكة . . . . .
١٠٦	بناء البيت . . . . .
١٠٨	علاقة العرب بابراهيم واسماعيل . . . . .
١٠٩	وفاة اسماعيل . . . . .
١١٠	وفاة ابراهيم . زواج اسحق . . . . .
١١١	تغرب اسحق . موت اسحق . . . . .
١١٢	لوط عليه السلام . . . . .
١١٢	أهل سدوم وهم قوم لوط . . . . .
١١٦	مكان العبرة في قصة ابراهيم واسماعيل واسحق ولوط عليهم السلام . . . . .
١١٩	يعقوب عليه السلام . . . . .
١٢٠	يوسف عليه السلام . . . . .
١٢٠	يوسف عند أبيه . . . . .
١٢٢	يوسف عند سيده . . . . .
١٢٣	معنة يوسف . . . . .
١٢٥	يوسف وامرأة العزيز . . . . .
١٢٧	يوسف في السجن يدعو لدينه . . . . .
١٢٨	الفرج ليوسف . . . . .
١٣٠	يوسف بحضرة الملك . . . . .
١٣١	اخوة يوسف في مصر يمتارون . . . . .
١٣٢	اخوة يوسف عند أبيهم . . . . .
١٣٤	يوسف وأخوه بنيامين . . . . .
١٣٦	يوسف يتعرف الى اخوته . . . . .
١٣٨	الأخلاق التي تستفاد من قصة يوسف . . . . .
١٤٥	شعيب عليه السلام . . . . .
١٤٥	قومه ومكانهم . . . . .
١٤٦	تهديد شعيب والمؤمنين باخراجهم من القرية . . . . .
١٤٨	القرية . . . . .
١٤٨	زمن شعيب . . . . .
١٤٩	بنو اسرائيل بمصر . . . . .
١٥٢	وفاة يعقوب . . . . .
١٥٥	موسى عليه السلام . . . . .
١٥٥	ولادته وارضاعه . . . . .
١٥٩	تربيته في بيت فرعون . . . . .
١٦٣	خروجه الى أرض مدين وسببه . . . . .
١٦٨	مصاهرة موسى للشيخ الكبير . . . . .

صفحة	صفحة
نسبه عند النصارى . نسبه فى انجيل متى . . . . . ٣٧٣	العبد الصالح صاحب موسى . . . . . ٢٩٥
مريم بنت عمران . . . . . ٣٧٤	ما اسم هذا العبد الصالح ؟ . . . . . ٢٩٦
تبشير مريم بعيسى . . . . . ٣٧٥	تذكير الله تعالى بنى اسرائيل بنعمه عليهم موت هارون ثم موسى . موقف لبنى اسرائيل حين أمروا بدخول قرية أريحا فى عهد يوشع . . . . . ٢٩٨
معنى كلمة « مسيح » . . . . . ٣٧٦	ثناء الله تعالى على موسى وهارون . . . . . ٢٩٩
حمل مريم بالمسيح وولادته . . . . . ٣٧٨	العظات التى تستفاد من قصة موسى . . . . . ٣٠٠
أخبار جبريل يوسف النجار بحمل العذراء مريم . . . . . ٣٨٢	هجرة بنى اسرائيل من فلسطين الى الحجاز . . . . . ٣٠١
مريم تفكر فى أمرها . . . . . ٣٨٣	<b>داود عليه السلام</b> . . . . . ٣٠٣
ختان المسيح . المجوس ويسوع . . . . . ٣٨٥	ظهور أمره فى المحاربة بين طالوت وجالوت . . . . . ٣٠٦
رحلة يوسف النجار ومريم بالمسيح الى مصر . يسوع يحاج العلماء . . . . . ٣٨٦	اقامة الاسرائيليين داود ملكا عليهم . . . . . ٣٠٩
كيف ابتدأت نبوة المسيح . . . . . ٣٨٧	موقفان لداود . . . . . ٣١١
يسوع يتلقى الانجيل على جبل الزيتون نبوة المسيح على رأس الثلاثين . معنى كلمة انجيل . . . . . ٣٨٨	مكان العبرة من قصة داود . . . . . ٣١٦
المهمة التى جاء لها المسيح . . . . . ٣٩٢	<b>سليمان عليه السلام</b> . . . . . ٣١٧
تبشير المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم الاناجيل الموجودة الآن . . . . . ٣٩٩	علمه منطق الطير . . . . . ٣١٨
انجيل برنابا . . . . . ٤٠٣	تسخير الرياح له . . . . . ٣١٩
الحواريون . . . . . ٤٠٥	مسألة الصافنات الجياد . . . . . ٣٢٢
الاناجيل فى رأى القرافى . . . . . ٤٠٧	فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسىه . . . . . ٣٢٣
معجزات عيسى عليه السلام . . . . . ٤٠٨	اسالة عين القطر لسليمان . . . . . ٣٣١
مسألة المائة . . . . . ٤١٢	تسخير الجن لسليمان . . . . . ٣٣٢
خاتمة أمر المسيح . . . . . ٤٢٢	سليمان وملكة سبأ . . . . . ٣٣٣
القاء شبه المسيح على غيره . . . . . ٤٢٥	سليمان والنملة . النمل الأبيض . . . . . ٣٣٦
الشبه والاشتباه . . . . . ٤٢٦	موت سليمان . . . . . ٣٣٧
اليهود وصلب المسيح . . . . . ٤٣٠	دابة الأرض : الأرض . . . . . ٣٤٤
خاتمة شأن المسيح عند النصارى . . . . . ٤٣١	<b>أيوب عليه السلام</b> . . . . . ٣٤٩
عقيدة الصلب والفداء وثنية . . . . . ٤٣٢	ضر أيوب . مسألة امرأة أيوب . . . . . ٣٥١
اختلاف الاناجيل فى صلب المسيح . . . . . ٤٣٣	<b>يونس عليه السلام</b> . . . . . ٣٥٣
قيام المسيح من القبر . . . . . ٤٤٩	يونس عند أهل الكتاب . . . . . ٣٦٢
المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله . . . . . ٤٥٢	آيات عامة بما نزل على الأمم الخالية . . . . . ٣٦٣
حجة المسيحيين فى الهية المسيح . . . . . ٤٥٨	آيات عامة بأسماء بعض الأنبياء والمرسلين اجمالاً . . . . . ٣٦٦
الثالوث . . . . . ٤٥٩	<b>زكريا عليه السلام</b> . . . . . ٣٦٨
ابن . . . . . ٤٦١	<b>يحيى عليه السلام</b> . . . . . ٣٦٩
روح . . . . . ٤٦٢	<b>عيسى عليه السلام</b> . . . . . ٣٧١
موقف للمسيح لم يذكر فى القرآن . . . . . ٤٦٣	بيان الآيات التى ذكر فيها عيسى عليه السلام . . . . . ٣٧٢
موقف للمسيح فى اليوم الآخر . . . . . ٤٦٧	
الخاتمة . . . . . ٤٦٨	

الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .





## مقدمة الطبعة الأولى

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله . والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذى قصَّ الله عليه أحسن القصص فى كتابه الكريم . وعلى إخوانه من الرُّسُل والأنبياء أهل القدر العظيم .

وبعد ؛ فقد وَجَّهَتْ مشيخةُ قسم التخصص بالأزهر الشريف إلى هذا العبد الضعيف أن يُلقِيَ دروساً على طلبة قسم الوعظ والإرشاد فى قصص الأنبياء الأطهار الذين وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فى القرآن وكان ذلك فى سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ الدراسية .

لم أجد بُدًّا من امتثال الأمر وقد قُتُّ من هذه المهنة الكبيرة بما وصل إليه الإمكان على وَجْهِ أرجو أن يكون مَرْضِيًّا عند الناس ، مقبولا عند الله .

ولا بُدُّ لى من بيان الطريق الذى سلكته ليكون القارىء على بَيِّنَةٍ من الأمور واقفاً على المغزى الذى عنيته :

١ - أخذت نفسى بأن أبدأ باسم النبى الذى أريد الكلام فى شأنه وأبين كم مرة ورد ذكره فى القرآن الكريم ، وأدل على رقم الآيات التى ذكر فيها من السور المختلفة ، وقد استعنت على ذلك بالقاموس أو الفهرس الذى عمله الدكتور « فلوجل » العالم الألمانى غير أنى جعلت الأرقام على مقتضى المصحف الكريم الذى طبعته الحكومة المصرية فى سنة ١٣٤٢ هجرية .

٢ - أَقْسَمُ قصص النبى من الأنبياء إلى عدَّة مواقف أستوفى فى كل موقف شأنه فيه ، ثم أتبع ذلك الآيات الكريمة التى تدل عليه مع ذكر رقم كل آية بعدها غالباً .

٣ - يَغْلِبُ أن أذكر ذلك الموقف إن كان له ذِكْرٌ فى كتب العهد القديم « التوراة » أو العهد الجديد « الإنجيل » وهو أحياناً يوافق القرآن وأحياناً يخالفه . ولا يعزب عن فكر القارىء الكريم

أن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه؛ فما جاء به هو الحق الذي لا مرأى فيه، وكل ما يخالفه لا معقول عليه.

٤ — أن أبين أوجه العظة والعبرة التي في القصة على وجه الاختصار.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنبه القارئ إلى أن كتب العهدين « القديم والجديد » ليس لها سند متصل ولم تخل من تحريف المحرّفين خطأ أو عمداً، ولكنني بذلك أنه الطالب الذي سيكون عرضةً للاتصال بأهل الكتّابين بحكم مهمته وبصدد أن ترد عليه النصوص منهما في الموضوعات المختلفة ليكون على استعداد للإجابة عما يُسأل عنه وتكون عنده فكرة عنهما، وليأخذ منهما ما يساعده على أدلته وبراهينه، وليبطل ببعض نصوصها ما يمكن إبطاله من الدعاوى التي قد يدّعيها أهل الكتّابين.

ولا يعزب عن فطنة القارئ أني في تلخيص القصة وإيراد آي القرآن لا أقصد إلى تحليل الكلمات وبيان إعجاز الآيات والإضافه في بيان ما فيها من إطناب وإيجاز أو قصر أو تأخير أو نحو ذلك مما يعمد إليه المفسرون، وإنما أقصد إلى تلخيصها تلخيصاً يجمع أطرافها ويحيط بمغزاها.

وإذا وقفتُ على رأى مفسر أو مفسرين لا يلتئم مع ما أفهم من القصة أوردته وأتبع ذلك بالردّ عليه مبيناً الوجه الوجه الذي إليه قصدت وإياه عنيت، وأورد ما قد يساعدنى على ما قد ذهبت إليه من أقوال ثقات المفسرين الآخرين.

أما الكتب التي رجعت إليها في هذا الموضوع الشريف فهي :

١ — القرآن الكريم .

٢ — البخارى .

٣ — تفسير البيضاوى .

٤ — « الألوسى .

٥ — « الطبرى .

٦ — « الفخر الرازى .

٧ — « ابن كثير .

٨ — « المنار .

- ٩ — الأجوبة الفاخرة : للقرافي .
  - ١٠ — تاريخ الطبرى .
  - ١١ — تاريخ ابن الأثير .
  - ١٢ — دائرة المعارف : للبستاني .
  - ١٣ — إظهار الحق : لرحمة الله الهندى .
  - ١٤ — الفارق بين المخلوق والخالق .
  - ١٥ — القاموس المحيط : للفيروز أبادى .
  - ١٦ — تاج العروس .
  - ١٧ — لسان العرب : لابن منظور .
  - ١٨ — كتب العهد القديم والعهد الجديد .
  - ١٩ — قاموس الكتاب المقدس .
- وإني في هذا المقام أشكر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهري شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس الأزهر الأعلى ، والأستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ورئيس قسم التخصص — حُسنَ ظنهما بشخصى الضعيف وتقدير أنى أفيد الطلبة فيما أسند إليّ . وأشكر طلبة القسم « قسم التخصص » أن كانوا يناقشوننى فى الموضوعات التى آتيهم بها مناقشة تحمل على الدرس والمراجعة وتحقيق الحق الواجب الاتّباع .
- والذى أرجوه من كل مُطالع على هذه الكلمات أن يتفضل بأن يرسل إليّ ما يعين له من الملاحظات أو يقف عليه من خطأ أو زلل ، لأثبت له رأيه إذا أذن الله بطبع هذه الكلمات كتاباً مرة أخرى .
- والله الهادى إلى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل ؟

المؤلف

## مقدمة الطبعة الثانية

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذى الطَّوْلِ والإِنْعَامِ . والصلاة والسلام على خاتمِ النَّبِيِّينَ والرُّسُلِ الكَرَامِ .  
 ( و بعد ) فهذا كتابٌ فى قَصَصِ الأنبياء الأطهار والمرسلين الأخيار ، الذين أختصهم الله بالمعجزات والآيات الباهرات وأقام بهم الدِّينَ الذى اصطفاه لهم ؛ فهدى بهم من الضلالة ، وأنقذ بهم من الجهالة ، وجعلهم أدِلَّةً على الهدى لمن استهداهم ممن قَصَصَ فى القرآن الكريم .  
 ولقد نظرتُ فى الكتب المؤلَّفة فى سِيَرِ أنبياء الله الأطهار ورُسُلِهِ الأبرار ، فوجدتُ مؤلفيها يجمعون الحق والباطل ، ويقرِّنون إلى الصواب الخطأ ، وينظمون العقود من الدرِّ والخزف ، لا يرجعون فى تلك القصص إلى تحقيق بَيِّن به الرَّائِجُ عن الزائف . وجُلُّ ما يعتمدون عليه إسرائيليات وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ فأردت أن يكون كتابي هذا عامًّا يُتَدَيَّ به إلى الصواب مع التنبيه على ما يكون فى تلك السِّيرِ أو الروايات من الخطأ ، نُصْحًا منى لله ولرسوله ولخاصة المسامحين وعامتهم ، وتطهيراً لذمتي وأستبراء لضميري . فإذا أصبتُ شاكلة الصواب فذلك بتوفيق الله تعالى وتسديده ، وإذا فرط منى خطأ فى فِكْرٍ أو تقرير حادثة فى أجرٍ من اجتهد فأخطأ ولى من حسن القصد شافع لا يرد .  
 وإنى أسأل الله أن ينفع به قارئه وأن يحنِّبني الخطأ والخطل والزيف والزلل ، إنه ولىُّ التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل ؟

المؤلف

## كيف قابل الناس كتاب قصص الأنبياء

حين ظهرت الطبعة الأولى

كان الناس في كتاب قصص الأنبياء فريقين : —

أما الفريق الأول ، فهم خريجو المدارس العالية والمستنبرون والمتقنون وأعلام الهداية الذين حبَّب الله إليهم الإيمان وزَيَّنَه في قلوبهم وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون من أعلام الأزهر الشريف الذين لا يشتهون سوى الحق طَلَبَةً ، ولا يبغون آيات الله عوجاً ومن يلتقطون الحكمة أَنَّى وَجَدوها .

هذا الفريق قد اغتبط بذلك الكتاب أيَّما اغتباط ووجدوه الضالة التي كانت أنفسهم تشتهي أن تجدها . أو هو مثل شعرا بن أبي ربيعة الذي بكى الشعراء من أجله الديار وندبت في نشدانه الأطلال والآثار فأخطأهم الظفر به ووقع عليه المغيرى — وكان فرحهم به فرح المشوق بلقاء الحبيب في غفلة من الرقيب ، أو فرح الأديب بالأديب ، أو العليل بالطبيب .

ولقد قال لى فاضلٌ من نظار المدارس بعد إهداء الكتاب إليه : « إذا كان في الكتاب من عيب ، فهو أنه ألهمى زوجتى عن كل عمل في بيتها وعن كل مصلحة لأولادها ، لجدها في البلوغ إلى نهايته » .

وأما الفريق الثانى : فهم الذين لم يحصلوا من العلم إلا على قشور لا تُسَمَّن ولا تُغْنى من جوع . لهم عقول ولكنها معقولة عن التفكير . ولهم عيون ، ولكنهم لا يبصرون بها ضوء الصبح المسفر ، فهم يَعْشُونَ عن الحق وهو إنصاف ، ويلمحون الباطل وهو مستتر خاف . ولهم قلوب لا تفقه الرشد وهو واضح جلى ، ولا يفوتها النفى ، سو موبق وَبَى . ولهم آذان ، ولكن بها وَقْرٌ عن الهدى لأنحة أعلامه متلبية لكل نبأ من النفى خفى جرسها . ومنهم أُمِّيُّون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون . عندهم التفكير فى الحق جريمة لا تمحوها تَوْبَةٌ . وإجالة الفكر فى المعقولات حُبَّة وأى حوبة ، والويل كل الويل لمن تدبر آيات الله بعقله ، والثبور كل الثبور لمن فهم كلام الله بغير ما فهمه الأولون ، أو عقل كلام الله على غير النمط الذى خطه الآباء الأقدمون . قد حصر الواحد منهم نفسه فى دائرة من الخرافات لا يفهم سواها ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ظهر الكتاب فرأوا نوراً لم يعتادوا رؤيته ، وضياء لا عهد لهم بمثله ، فأذاهم ذلك النور ، وأنكرت أعينهم ذلك الضياء .

قد تُنكر العينُ ضَوْءَ الشمسِ من رَمَدٍ      ويُنكر الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمٍ  
فبدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . وإني مع ذلك أرحمهم ؛ فلم يخلقوا كما يشتهون وليس لهم يد في ضيق تلك العقول ، وإني لأعذرهم أيضاً في إنكار ما أنكروا ؛ فقد جاءهم من الحق ما يجهلون ومن الصدق ما لا يستطيعون ، والناس أعداء ما جهلوا .  
ورحم الله أبا الطيب إذ يقول :

وَأَرْحَمُ أَقْوَامًا مِنَ الْعَمَى وَالْغَبَا      وَأَعْذِرُ فِي بُغْضِي لَأَنَّهُمْ ضِدُّ

ولهؤلاء أوصى وصية ناصح مُشفِّق ألا يقرءوا كتابي ولا يفتحوا له غلافاً ، وعليهم أن يبتعدوا عنه ابتعاد النون من اللبداء ، والضرب من الدأماء ، فلم أضعه لهم ولم أقصدهم به ، وليعلموا أن هذا الكتاب فتنة يُضِلُّ اللهُ به كثيراً ويَهْدِي به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين ، وقديماً قال موسى كليم الله لربه في آية من آياته وهي حق لا ريب فيه : « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ » . والله تعالى يبلو الناس ويفتنهم بالخير كما يبلوهم بالشر « وَنَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » .

ولو أن يبدى مفاتيح الهدى لأَفْضَتْ عليهم من الهداية ما تتسع به عقولهم وتستضيء به بصائرهم وتُشْرِقُ به بواطنهم ، ولَأَقْتَمَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .

رَبِّ إِنْ الْهُدَى هُذَاكَ وَآيَا      تِلْكَ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ

اللهم إني قد أُنذرت وحثرت ، ومن أُنذر فقد أعذر ، ومن حذر فكمن بشر .

ومن هذا الفريق جماعة رأوا الكتاب فتعاووا وتعاووا وحرشوا أنبياءهم وحرّكوا أذنابهم ، وأشلوا بي واحداً منهم يمرّ بالمجتمعات وبعض الحوانيت ويقول : إن الكتاب يخالف روحه الدين ، وأن عبد الوهاب النجار وكتابه أضّر على الإسلام من المبشرين — وقد ترامت إلى أقواله فقلت :

تعالى الله مولاي      وزاد الله إيماني

إن قائل هذا القول لم يكن له وجود في هذه الحياة الدنيا يوم كنت أنافح عن الدين الإسلامي

بلسانى وقلبي في أول العقد العاشر من القرن الماضى الميلادى ، ولقد حَمَلَتِ هذا القول منهم على سرد حوادث ما كنت أؤثر سردها ، وإيراد وقائع ما كنت أريد إيرادها .

كنت في سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وألف والسنة التى بعدها طالباً صغيراً بالجامع الأحمدي ، وكان بطنطا قسيس بروتستانتي اسمه « أبو راشد » وكان يرسل باعتراضات له على الإسلام والقرآن ، فجاء بعد ذلك إلى المرحوم الشيخ محمد الوكيل من علماء الجامع الأحمدي ، وكان رحمه الله صديقاً لوالدي ، فطلبت منه أن أكون الحبيب للقسيس ، فسمح بذلك . وكانت مساجلات شفهية بعد ذلك بيني وأنا والمرحوم الشيخ مجاهد بركات من أعرق الأسر بطنطاً من جهة ، وبين القسيس من جهة أخرى في مسائل الدين . وكنا نجتمع في بعض الأوقات بإحدى المقاهى بشارع البورصة بطنطا ويحضر معنا بعض مواطى القسيس اللبنانيين . فكان صدى تلك المجادلات الدينية ينقل إلى القاهرة ثم إلى لندن ، فتضجّ التيمس والجرائد الإنكليزية وتجأر بالشكوى من التعصب الديني في مصر مُبرقة مُرعدة مهددة منادية بالويل والثبور ، فتنتقل تلك الأقوال في بعض الجرائد المصرية ، وتنبى جرائد أخرى لتكذيب ما تقوله التيمس ، مناديةً بأن الأقباط بمصر لا يُقلق راحتهم أحد ولا تُوجد من أحدهم شكوى .

ولقد زار السير « أفلى بارنغ » المرحوم السيد « محمد توفيق البكري » في إحدى ليالى رمضان بسرأى الخرشف . فسأله السيد عن ضججات التيمس والجرائد الإنكليزية وما تقول به من وجود التعصب الديني في مصر مع أنه لا يوجد شيء من ذلك في القطر المصري ! فقال جناب السير : إن التعصب الديني موجود . وأقدر أن أسمى لك مدينة طنطا . وهو لا يعنى بذلك سوى وصديقي الشيخ مجاهد رحمه الله ، وكنا حينئذ طالبين صغيرين ضعيفين .

وقد مرّ بنا بطنطا المرحوم « محمد أفندى يحيى » وكيل السيد البكري وأخبرنا بما كان ، وأشار علينا بالابتعاد عن القسيس .

وفي ختام ذلك القرن جاءت البعثة التبشيرية الانكليزية مكفولة بحماية اللورد كرومر مَرَعِيَّة برعايته ملحوظة بعين عانيته ، واتخذت مقرها المدرسة الإنكليزية ، وكانت موجودة بباب الخلق بشارع محمد على قبالة دار الكتب المصرية . وكان ذلك في سنة ١٨٩٩ . وكنت وقتئذ مدرساً بمدرسة عابدين الأميرية وكان القسوس من المبشرين يدعون المسلمين إلى دخول الدين المسيحي . فذهبت إليهم ومعى زميلاي وصديقاى المرحوم « أحمد أفندى صقر » والأستاذ الشيخ « أحمد راشد » المدرس بدار العلوم سابقاً



ودخلنا إلى دار التبشير وجادلت المبشرين وناقشتهم في دينهم حتى أفتحهم ، ثم انبريت لهم أَدعُوم إلى الدخول في الإسلام ، وبيّنتُ لهم عقائده ومحاسنه ؛ فأنا أولُ مبشّر بدين الإسلام بِشَرِّ القسوس الذين يدعون إلى النصرانية .

تكرّر مني هذا الأمر حتى برّموا بي وضجّوا بالشكوى إلى جهات الحكومة ، حتى أرسلت المحافظة الجند مشاة وفرساناً لمنعى من الدخول إلى مكانهم الذي يدعون الناس إليه دعوة عامة .

ويذكر الذين شاهدوني في تلك الليلة وقد وقفت في مكان دار الكتب المصرية — وكانت كما تُدعى إلى ذلك اليوم — وأنا أنادى جماهير المسلمين قائلاً : إلى عباد الله . فلما أحاطوا بي صرت أخطبهم وأبيّن محاسن الإسلام وأزهدهم فيما يدعون إليه ، إلى أن جاء البوليس وقرق ذلك الجمع بالقوة .

بلغ صنعى هذا المرحوم الشيخ « محمد زكى الدين سند » فاستدعانى وقال لى : ما حاجتنا إلى الذهاب إلى هؤلاء القوم ؟ وخيرٌ لنا أن ننشئ جمعية نسميها « مكارم الأخلاق » . وأن ندعو الناس إلى الحضور إليها ليسمعوا العظات الدينية والنصائح . وبذلك ينصرفون عن هؤلاء القوم ؛ فاتفق رأينا على ذلك . وكونت الجمعية في سنة ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ . وكان الشيخ « محمد زكى الدين سند » رئيساً لها ، وكنت أنا وكيلها والأستاذ « محمد رشدى » القاضى الآن : سكرتيراً لها .

وأقبل الناس عليها إقبالاً عظيماً . وأنشأت هذه الجمعية « مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية » وأنشأت فروعاً لها ؛ وكان من أعضائها الواضعين لقانونها حضرة صاحب المعالى « محمد حلى عيسى باشا » وزير المعارف سابقاً . وكان طالباً بمدرسة الحقوق .

أين كانت هذه المخلوقات — التى تخطىء إذا جئت في استفهامها بمن — عني بقول قائلها إن كتاب « قصص الأنبياء » ومؤلف هذا الكتاب أضرت على الإسلام من المبشرين ؟! « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » .

كان من عواقب استمرارى على خدمة الإسلام وبذل النصيح للمسلمين أن تهرّم بمكانى من لهم أسماء المسلمين وألقاب الموحّدين في نظارة المعارف ، فعاقبوني بإبعادى إلى أسوان مدرساً بمدرستها — أنبت أن أذهب وقدّمت استقالتي من خدمة نظارة المعارف لأشتغل حرّاً لا أتقيد بشيء سوى دينى وضميرى ووجدانى ، وكان من شأن هذه الاستقالة ما كان ، ومن شاء المزيد فليرجع إلى صفحات اللواء في سنة ١٩٠٠ .

وقد وقفت قلمي ومجھودي على خدمة الإسلام بكل ما أوتيتُ من قوّة مذ عقدت يداي إزارى .  
فلم يحتج الإسلام إلى الدّود عن عقيدته أو بيان محاسنه إلا كنت سبّاقاً إلى تلك الغاية بخطبي في المحافل  
والجامع وبما يحظه يراعى .

وعُمرت في الإسلام فازددت بهجة ونوراً . والحمد لله على منته فهو المنعم المتفضل .

وإني لأقول لمن يبحثون لى عن هفوة أو كبوة :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرْمُ  
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَيْمِي أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمُ

وقد كتب جماعة من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء نقداً لكتابتى ، وقد أتيت على هذا النقد  
بما ينقضه ويأتى على بنيانه من القواعد ؛ وسيقف القارىء على تقدم ونقضه عند كل موضع وجهوا إلى  
النقد فيه ، والله ولى التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ومنه العون وإليه المصير .

وليعلم القارىء الكريم أنى حين شرعت فى كتابى « قصص الأنبياء » كانت ماثلة أمامى قواعد  
سرت على ضوئها . وإن كانت غير منصوصة كلها فى مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، وإنما  
تركتها على ذهن القارىء وكلها يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة .

وهأنذا أنصها لتكون نبراساً يهتدى به المطّلع على ردّى على تقرير حضرات أصحاب الفضيلة  
أعضاء اللجنة وهى :

( ١ ) أن العقل ركن المعتقدات الأول : فما أوجبه كان واجباً . وما أحاله كان مُحالاً . وما أجازّه  
كان جائزاً .

( ٢ ) أن الخبر الوارد عن المعصوم إذا كان قطعى الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه ،  
وذلك يشتمل شيئين : الكتاب الكريم ، والخبر المتواتر .

( ٣ ) إذا عارض الخبر العقل ، وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض .

( ٤ ) الخبر إذا كان رواه أحاداً فلا يصلح أن يكون دليلاً على ثبوت الأمور الاعتقادية ؛ لأن الأمور  
الاعتقادية الغرض منها القطع ، والخبر الظنى الثبوت أو الدلالة لا يفيد القطع .

( ٥ ) ما نقل عن الأنبياء مما يشمر بكذب أو معصية : فما كان منقولاً بطريق الآحاد سواء بلغ  
حد الشهرة أولاً فردود ؛ لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصى إلى الأنبياء .

(٦) ما نقل مما يُشعر بكذب أحد الأنبياء أو معصيته وكان النقل متواتراً ، فما يمكن صرفه عن ظاهره صُرِفَ إن أمكن ، وإلا فيُحتمل على أنه ترك الأولى ، أو قبل البعثة .

(٧) المعجزات لا تثبت بخبر الآحاد ؛ لأنَّ المطلوب فيها اليقين . وخبر الآحاد لا يقين فيه .

(٨) إنكارُ المعجزة الثابتة بنصٍ قطعي الثبوت والدلالة كُفِّرَ .

(٩) الإسرائيليات لا حرج في مخالفتها ولا في إنكارها جملة وتفصيلاً .

(١٠) كتب العهد القديم والجديد : ما كان منها موافقاً للقرآن فهو حق ، وما كان منها مخالفاً للقرآن فهو باطل . وما كان القرآن ساكتاً عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه . ويجوز نقله والاستئناس به .

(١١) أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه ، بل هي أوجه كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها ، يجوز مخالفتها ، وحمل عبارته على غيرها . ولا مؤاخذه على مَنْ خالفها .

(١٢) القرآن الكريم لا تنقض عجائبه ، ولا تنفد غرائبه ؛ فلكل أمرىء أن يتدبره بعقله وبفهمه على الوجه الذى يستقر فى اعتقاده ، بشرط أن يكون ذلك جارياً على مقتضى العربية غير مُخِلِّ بفصاحته ولا مُخِلِّ بشيء من مقاصد الدين .

## ملاحظات

(١) قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازى » وعندى أيضاً أنه متى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ما نقل عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين » — وكل ذلك فيما يتعلق بأمر يحتاج فيه إلى اليقين .

# آدم عليه السلام

عدد مرات ذكره فى القرآن - خلقه من طين - أمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه - أباء إبليس عن السجود له تكبرا - محاجة إبليس لخالقه - طرد إبليس من الجنة وانظاره الى يوم العرض - استخلاف الله آدم فى الأرض - قول الملائكة أتجعل فيها الخ - تعليم الله آدم الاسماء - خلق حواء واسكان الله آدم وزوجه الجنة - اغراء إبليس آدم وزوجته على الاكل من الشجرة المحرمة - عقاب الله لآدم واخراجه من الجنة - مسائل .

ذكر اسم آدم فى القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة فى خمس وعشرين آية ، وهاكم الآيات التى ذكر فيها : -

أرقام الآيات	السورة	٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٥ ١
٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧	البقرة	٢
٣٣ ، ٥٩	آل عمران	٣
٢٧	المائدة	٥
١١ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢	الأعراف	٧
٦١ ، ٧٠	الاسراء	١٧
٥٠	الكهف	١٨
٥٨	مريم	١٩
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١	طه	٢٠
٦٠	يس	٣٦

أول من قص الله تعالى علينا قصصهم فى القرآن الكريم من الأنبياء « آدم » أبو البشر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وقد ذكرت قصته فى سورة البقرة ، وفى سورة الأعراف ، وفى سورة الاسراء ، وفى سورة الكهف ، وفى سورة « طه » باسمه وصفته ، وفى سورة الحجر ، وفى سورة ص بصفته فقط ، وكلها بمعنى واحد ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط . وذلك مما يدل على اعجاز القرآن الكريم ؛ فان أكتب الكاتبين وأبلغ البلغاء اذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بالفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة فى الأسلوب والبلاغة فى التعبير كما فى القرآن الكريم .

## خلق آدم من طين

وأمر الملائكة بالسجود له وامتناع إبليس عن السجود تكبرا

تتلخص قصة آدم في أن الله تعالى أخبر ملائكته أنه سيخلق بشرا من طين ، وأمرهم اذا سواه ونفخ فيه من روحه أن يقعوا له ساجدين ، سجدوا تكريم بالطبع لا سجدوا عبادة ، لأن الله لا يأمر أحدا أن يتوجه بالعبادة الى سواه . وبعبارة أخرى كان ذلك احتفالا بتمام تكوين آدم بشرا سويا .

سوئ الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون — متغير — حتى اذا صار ذلك الطين صلصالا — يصل اذا ضرب — كالفضار ، نفخ فيه من روحه فاذا هو انسان حي من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك بارادته ويدرك ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، وأبى أن يسجد استكبارا ، ونسب الى الله الظلم في أمره بالسجود لآدم وقال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فطرده الله من الجنة . اقرأ قوله تعالى : —

**سورة البقرة :** وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [٣٤] .

**سورة الاعراف :** وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ [١١] .

والمعنى : خلقنا أصلكم الذي نسلكم وكنتم من أبنائه . فخلقنا له خلقا لكم . وتصويرنا له تصويرا لكم .

**سورة الحجر :** وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنَّ حَمِإٍ مَّسْنُونٍ [٢٦] وَأَلْجَأَ خَلْقَنَا مِنْ قَبْلُ مِن نَّارِ السُّمُومِ [٢٧] وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنَّ حَمِإٍ مَّسْنُونٍ [٢٨] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [٢٩] فَسَجَدُوا الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [٣٠] إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ [٣١] .

**سورة الكهف :** وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [٥٠] .

سورة ص : إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ [٧١] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [٧٢] فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [٧٣] إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [٧٤] .

### محااجة إبليس لله في مخالفته عن أمره بالسجود

سأل الله تعالى إبليس — وهو أعلم — عن السبب الذى منعه من السجود اذ أمره ، فاحتج بأنه أفضل من آدم الذى خلقه من طين من صلصال من حمأ مسنون ، وأن من الظلم أن يخلق هو من عنصر النار الذى هو أشرف من الطين ثم يؤمر بالسجود لتلك الكتلة ، ونسب الله تعالى الى الظلم وأبدى غاية التكبر ، فأعلمه الله بأنه من أهل النار لاستكباره ، وبأنه مطرود من الجنة لذلك السبب وهو الكبر ونسبة الظلم الى الله .

### إنظار إبليس الى يوم الدين

طلب من الله تعالى أن ينظره الى يوم الدين ، وتوعد آدم الذى طرد بسببه من الجنة بأن يغوى ذريته ويفسدهم على الله ، وأن يسعى فى أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله ، الا عباد الله المخلصين ، فوعده الله هو وكل من أطاعه من ذرية آدم بالنار .

اقرأ قوله تعالى : —

فى سورة الاعراف : قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [١٢] قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ [١٣] قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [١٤] قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ [١٥] قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [١٦] ثُمَّ لَا تَجِدُنِي إِلَّا يَوْمَئِذٍ مِنَ الَّذِينَ خَلَقْتُهُمْ وَعَنَ إِيمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [١٧] قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا لَمَّا تَبَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ [١٨] .

وفى سورة الحجر : قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ [٣٢] قَالَ لَمْ أَكُنْ لِلْإِسْجَادِ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ [٣٣] وَلَئِنْ كُنْتُ إِلَّا نَفْسًا فَاعْلَمْ أَنَّكَ رَجِيمٌ [٣٤] وَإِنْ عَلَيْكَ

الْفَنَاءَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ [٣٥] قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [٣٦] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ [٣٧] إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ [٣٨] قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [٣٩] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ [٤٠] قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ [٤١] إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ تَبِعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ [٤٢] وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ [٤٣].

وفي سورة الاسراء : وَإِذْ قُلْنَا لِلَّهِ الْمَلَايِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا [٦١] قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْخِزَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَسِبَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا [٦٢] قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا [٦٣] وَأُفْتَضِلَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدُّهُمْ وَمَا يَبْدُوهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [٦٤] إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا [٦٥].

وفي سورة ص : قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ [٧٥] قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [٧٦] قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ [٧٧] وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَذَابَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ [٧٨] قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [٧٩] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ [٨٠] إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ [٨١] قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ [٨٣].

## استخلاف الله آدم في الأرض

أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل آدم خليفة في الأرض فقالوا ( أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ) وتدعنا نسبح بحمدك ونقدس لك ولا نعصى أوامرك ولا نفعل شيئا من نواهيك ، فأخبرهم الله تعالى أنه يعلم في هذا المخلوق من الأسرار ما لا يعلمون ، ويعلم ما يبدون وما يكتُمون ، وأنهم غير عالمين بالسر في استخلافه آدم ، وأنه اختصه بعلم ما لا يعلمون .

ومعنى الخلافة عن الله في الأرض : أنه سيكون له سلطان عليها متصرفا في موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته .

في سورة البقرة : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [٣١] .

قد يظن القارئ لهذا السؤال أن الملائكة قاموا بمظاهرة أمام الله واحتجوا عليه استخلافه آدم في الأرض فيقول : كيف يكون هذا منهم وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ؟

والذي أفهمه أن شيئا من ذلك لم يحصل ولكن خواطر خطرت بأنفسهم وهى تشوئتهم لمعرفة الحكمة في استخلاف ذلك المخلوق الذى من شأنه تلك الأشياء ، ومعرفة السر في تركهم من هذا الأمر وهم المجهولون على تسيبته وتقديسه ، فأراد الله أن يعلمهم بالعمل أنه أودع فيه من السر والقدرة على وضع أسماء الأشياء ما لم يودعه فيهم .

### تعليم الله آدم أسماء المسميات التي تقع تحت حسه

أراد الله أن يحقق للملائكة بالفعل ويكشف لهم بالعمل ما غاب عنهم ، ويبين أن آدم الذى استحققه أولئك الملائكة محل لعناية الله وإشارته بما لم يعطه لهم ؛ فعلم الله آدم الأسماء كلها .

والذى أفهمه أنه علمه جميع الأشياء التى فى جنة عدن وألهمه وأقدره على وضع اسم لكل ما تقع عليه عينه هناك من زروع وأجزائها ، وأشجار وثمار وفروع وورق ولب ونوى وجميع الأوعية والأدوات التى هناك ، وجميع ما فيها من حيوان وأجزائه لاحتياجه إليها .

ومعلوم أن معرفة آدم لهذه الأشياء فى طعامه وشرابه وسائر ما يتلذذ به فى تلك الدار أمر طبيعى ، بخلاف الملائكة فانهم لا يحتاجون الى شئ من ذلك لأنهم لا يحتاجون الى طعام ولا الى شراب ولا يباشرون شيئا من هذه الأشياء ، فكان علمه بها أمرا معقولا صحيحا ، اذ الحاجة تفتق الحيلة . ويشهد لما ذهب اليه : قوله تعالى ( فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ) والاشارة للمرئى الحاضر . وتكلف أنه صور له ما كان وما يكون وأشار اليه : تحمیل للآية ما لا تحتمله . ثم ان الله تعالى عرض على الملائكة المسميات وطالبهم بأسمائهم ، فلم يعلموا ما يجيبون وقالوا : —

( سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ) فقال تعالى : ( يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ) ففعل ، وقال للملائكة : ( أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ) .



أقرأ قوله تعالى :

فى سورة البقرة : وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٣١] قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٣٢] قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [٣٣] .

يبالغ بعض الناس فيزعم أن الله تعالى علم آدم كل شيء كان ويكون ، وعرض صور هذه الأشياء ما كان موجودا وما سيوجد ، وأن آدم سمى كل شيء باسمه . وهذه مبالغة غير مقبولة لا أميل إليها ، بل أميل الى أنه سمى الأشياء التى وقع عليها حسه ومنها الطيور والبهائم وكل أنواع الحيوان الموجودة هناك .

ولا يخفى أن استخلاف آدم فى الأرض يشتمل على معنى سام من الحكمة الالهية التى خفيت عن الملائكة ؛ فان الله تعالى لو استخلف الملائكة فى الأرض لما عرفت أسرار هذا الكون وما أودع فيه من الخواص والعلوم الغزيرة ؛ فان الملائكة ليسوا بحاجة الى شيء مما فى الأرض اذ هم على وصف يخالف وصف الانسان ، فما كانت السفن لتصنع ولا تزرع الأرض بمختلف الزروع والفراش ، وما وجد منها لا يهتم أحد بمعالجته واستخراج خباياه ، فلا تعرف الأطباء ولا خواص الأشياء ولا المركبات الكيومية ولا الفوائد الطبيعية ولا الفلكية ولا المستحدثات الطبية ولا الطبائع النفسية ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التى تفنى السنين ولا يدرك الانسان لعلم منها نهاية ، فسبحانه وتعالى من عزيز حكيم .

## سكنى آدم وزوجته الجنة

وخروجهما منها بسبب اغواء ابليس لهما

أمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن إليها ، وأباح لهما كل شيء فى الجنة الا شجرة عَيْنَهَا لهما ، ولكن ابليس وسوس لهما بالأكل منها وأغراهما بأنواع المغريات وقال لهما : ان ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة الا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونان خالدين ، ولا يقرب الموت والقناء ساختكما ، وقال لآدم : ( هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ) ( وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ) ولم يزل يفتله فى الذروة والغارب ويمنيه معسول الأمانى ويرفؤه بالقول اللين ، حتى نسى آدم أنه عدوه الذى أبى السجود له ، وأن الله حذره منه أشد الحذر بقوله : ( ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ) فأكل آدم وحواء من الشجرة ( فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما

من ورق الجنة) ليسترا عورتيهما ويجعلان ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر ، وعاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة ، فندم آدم وأخذ يعتذر ، فطرده هو وحواء من الجنة ، وطرده ابليس قائلا : ( اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ) وهداه واجتباة وبقي في الأرض هو وبنوه الذين أتى بهم من حواء في الأرض : اقرءوا قوله تعالى :

**سورة البقرة :** وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ [٣٥] فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [٣٦] فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [٣٧] قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [٣٨] .

**وفي سورة الاعراف :** وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ [١٩] فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ [٢٠] وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ [٢١] فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ [٢٢] قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٢٣] قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ [٢٤] قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ [٢٥] .

**وفي سورة طه :** وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَفْسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا [١١٥] وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى [١١٦] فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى [١١٧] إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى [١١٨] وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى [١١٩] فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَا يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْئَلُ [١٢٠] فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى

آدَمُ رَبُّهُ فَوَوَّى [١٢١] ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى [١٢٢] قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى [١٢٣]

### مسائل : نحب أن نعرض لها في هذه القصة ونجيب عنها

الأولى : أن ابليس لم يكن من الملائكة فهو غير مأمور بالسجود لآدم ، فكيف يعاقب على مخالفته أمراً لم يوجه إليه ؟

والجواب : أن ابليس لو لم يكن مأموراً لقال الله : انك لم تأمرني حين قال الله له ( ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك ) ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الأمر ، ففهمنا أنه كان مأموراً ، وأنه وان كان من غير الملائكة ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح في آدم بالسجود وابليس كان حاضراً ، وانما عبر الله تعالى بالملائكة لأنهم كانوا الجمهور الأعظم في الحاضرين . ووجود فرد من غيرهم لا يضر في صدور الأمر على هذه الصورة ، فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وان كان غير ملك ، وليس لأحد أن يكون أقوم بحجة ابليس من ابليس نفسه . وهناك رأى آخر : وهو أن في الملائكة صنفا يقال لهم الجن ؛ فلفظ الملائكة يشملهم .

الثانية : نعلم أن ابليس طرد من الجنة عقب ابائه السجود ، فكيف وصل الى آدم في الجنة حتى أغواه ودلاه وزوجه بفروره ؟ .

والجواب : أن طرده من الجنة لا يجعل دخولها مستحيلاً عليه ، وأنه قد دخلها عاصياً آثماً لاغواء من حسده من أول يوم . على أن ابليس تصل وسوسته الى النفس وان كان بعيداً ، كما يصل تأثير السحر الى الغائب والبعيد ، وكما يصل صوت البعيد بوساطة التليفون اللاسلكي ، فلا مانع من أن يصل تأثير وسوسته الى آدم من خارج الجنة الى داخلها . واني أميل الى أنه دخلها آثماً وعاصياً أمر به ، بدليل قوله تعالى ( اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ) .

الثالثة : من أى شيء خلقت حواء ؟

والجواب : أن الله تعالى قال ( وخلق منها زوجها ) هذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعاً من أضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء ، وقد قال بذلك كثير من العلماء وهى بعينها عبارة التكوين (١) .

ومن الجائز أن يكون الله خلقها كما خلق آدم ، وأن يكون قوله تعالى ( وخلق منها زوجها ) أى من جنسها وعلى صورتها ، وحينئذ تكون المادة التى أخذت منها المرأة غير متعرض لها ، والرأى الأول النفس اليه أميل .

(١) فإوقع الإله الرب سبياتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحماً (٢٢) وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم (٢٣) فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت - من الاصحاح الثانى - تكوين

## اين توجد الجنة ؟

الرابعة : أين توجد الجنة التي كان فيها آدم وطرده منها ؟

والجواب : اختلف العلماء في الجنة التي أسكن الله بها آدم وحواء وأخرجهما الله منها ، أهى جنة المأوى التي وعد الله المتقين أن يدخلوها في الآخرة ؟ أم هى جنة من جنات الأرض ؟ والجمهور على أنها جنة المأوى أخذاً بظواهر الآيات والأحاديث ، كقوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » وحديث مسلم عن أبى هريرة : ( يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أيكم ) قال ابن كثير في البداية والنهاية : وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى . وليست تخلو عن نظر .

وقال فريق من العلماء : ان الجنة التي سكنها آدم وحواء كانت من جنات الدنيا لأنه كلف فيها ألا يأكل من الشجرة ، ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه ابليس فيها ووسوس اليه ولغا آدم وعصى ربه فيها ، وهذا ينافى أنها جنة المأوى .

وقد حكى هذا القول عن أبى بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان ابن عيينة ، واختاره القاضى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة فى تفسيره وأفرد له مؤلفا على حدة ، وحكاه عن أبى حنيفة الامام وأصحابه رضى الله عنهم ، ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى ابن خطيب الرى فى تفسيره عن أبى القاسم البلخى وأبى مسلم الأصبهاني ، ونقله القرطبى فى تفسيره عن المعتزلة والقدرية . وقد حكى الخلاف فى هذه المسألة أبو محمد بن حزم فى الملل والنحل وغيره .

وحاصل الخلاف فيها على أقوال :

- ١ - أنها جنة المأوى . رواه الشيخ
- ٢ - أنها جنة سوى جنة المأوى اخترعها لآدم وحواء .
- ٣ - أنها جنة من جنات الأرض .
- ٤ - التوقف فى أمرها .

ومن أراد فضل بيان فى هذا الموضع فليرجع الى ص ٧٥ وما بعدها ج ١ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير .

ومن رأى تفويض أمر تلك الجنة الى علم الله تعالى فهو الذى يعلم ان كانت فى السماء أو فى الأرض وهذا لا يمنعنى أن أقول انى أميل الى أنها من جنات الأرض :

## نكتة ظريفة

يعترض القائلون بأن الجنة التي وجد فيها آدم كانت من جنات الدنيا فيقولون : لو أن آدم كان في جنة الخلد فكيف يبحث عن شجرة الخلد ليأكل منها ، وما فائدة ذلك ؟  
والآخرون يعارضونهم بالمثل قائلين : إذا كان آدم في جنة من جنات الدنيا كما تقولون ، فكيف يبحث عن شجرة الخلد في دار لا خلود فيها ؟  
وقال بعض المفسرين : ان الجنة التي كان فيها آدم هي جنة اخترعها الله في السماء فليست دار الخلد ولا جنة من جنات الدنيا .

يقول الباحثون في شأن البحار وأعماقها وما فيها من وهاد ونجاد وسلاسل وجبال : ان الجنة التي وجد فيها آدم كانت في قارة غير هذه القارات المعروفة الآن ، بل هي قارة في جوف المحيط الآن ويسمونها قارة « مو » ويقولون انها غرقت بحوادث زلزالية ، واستقرت بسهولها وجبالها وما كان عليها من حيوان وشجر وزرع في أعماق المحيط الهندي ، وقد مات بسبب غرقها نحو ٦٠ مليوناً من الناس . وكل هذه أمور لا تقطع فيها بشيء .

وقد جاء وصف تلك الجنة في الاصحاح الثاني من سفر التكوين بما يفيد أنها عند منابع دجلة والفرات (١) .

### الخامسة : هل آدم نبي ورسول ؟

والجواب : أن نبوة آدم قد أخذت دوراً مهماً من عدة سنوات اذ ظهر بمدينة « دمنهور » رجل أنكر أن يكون آدم نبياً ، وقد رفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الانكار ، ولما استأنف الحكم الى محكمة الاسكندرية كان كلامه أمامها : انه لم ير لفظاً في القرآن يذكر آدم بالنبوة وأنه يعتقد نبوته ، فصدر حكمها بالغاء الحكم الأول وأعيدت اليه زوجته .

أقول أيضاً : ان القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بازاء آدم كما ذكر ذلك بازاء غيره من الأنبياء كاسماعيل وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ، ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب ، فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل اليه رسولا ، وهذا هو كل معاني النبوة ؛ فمن هذه الناحية نقول انه نبي وتطمئن أنفسنا بذلك .

(١) ٨ - وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله (٩) وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر (١٠) وكان هنا نهر يخرج من عدن ليسمى الجنة من هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس (١١) اسم الواحد فيشون وهو المحيط يجمع أرض الحويلة حيث الذهب (١٢) وذهب تلك الأرض جيد وهناك المقل وحجر الجزع (١٣) واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش واسم النهر الثالث حدائق وهو الجاري شرق أشور ( دجلة ) والنهر الرابع الفرات .

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه ، وشأننا أن نفوض علم ذلك الى الله تعالى ؛ على أنى رأيت في حديث أبى هريرة في الشفاعة الوارد في صحيح مسلم أن الناس يذهبون الى نوح ويقولون له : أنت أول رسل الله الى الأرض ؛ فلو كان آدم رسولا لما ساغ هذا القول . والعلماء القائلون برسالة آدم يقولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان ، وهو تأويل متكلف .

السادسة : اذا كان نبيا فكيف عصى والأنبياء معصومون من المعصية ؟

والجواب عن ذلك من وجوه : —

( الأول ) أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان ، وانما سمي ما أناه ناسيا خطيئة ومعصية وغواية لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليس كأحد الناس وكان التنبيه والحذر من مخالفة الله لازما له ، فاذا نسي عد ذلك خطيئة في حقه وان كان غير خطيئة اذا صدر من غيره ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين .

( الثاني ) أنه تأول فيما فعل ، اذ فهم أن الأمر والنهى ليسا جازمين بحيث يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة ، بل فهمه أمر ارشاد فقط ونهى ارشاد ، وما كان من هذا القبيل لا يحرم مخالفته ، كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدين على أنه أمر ارشاد ولا اثم بتركه .

( الثالث ) أن ما حصل من الذنب صغيرة وهذا لا يتأتى الا على رأى من يقول ان الأنبياء غير معصومين من الصغائر .

( الرابع ) أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للمعصية من المعصية ، وهو جواب حسن لولا أنه وقع بعد صدور الأمر والنهى اليه بلا واسطة وهو ما جعلناه من أمارات نبوته .

( الخامس ) أن آدم تأول في أكله من الشجرة ، لأن الله أراه الشجرة التى نهاه عن الأكل منها فتأول أنه نهاه عن عينها ولم ينهه عن جنسها ، فأكل من شجرة أخرى من جنسها .

السابعة : هل آدم هذا هو أول البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه ؟

والجواب : أن العقل لا يجعل من المحال أن يكون الله خلق آدم غير آدم هذا ، ولكن الله تعالى لم يذكر سوى آدم الذى نعرفه أبا البشر ، فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان ، وقد وجد من البشر في الأزمان الغابرة والحاضرة من يدعون أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند — وقد كانوا في الزمان السابق يدعون أن آدم كان عبدا من عبيدهم هرب الى الغرب وجاء بأولاده ، والى هذا يشير المعرى بقوله :

تقول الهند آدم كان قينا لنا فسمى إليه محبوه

والى القول بوجود أوادم سوى آدم يشير بقوله :

جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

وقوله :

وما آدم في مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أودم

ويقول :

قال قوم - ولا أدين بما قالوا - إن ابن آدم كآبن عرس  
جهل الناس من أبوه على الدهر ولكنه مسمي بحرس  
في حديث رواه قوم لقوم رهن طرس مستنسخ أثر طرس

ويقول :

قالوا : وآدم مثل أوبروابنه كبناته جهل امرؤ مأوبر

وهناك فريق من الناس يرجح أنه ليس أول نوعه ويستأنسون لذلك بقول الملائكة :  
« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ويقول : ان الملائكة لم يقولوا ذلك الا لرؤيتهم  
من تقدموا آدم من الخلق الذين على صورته قد فعلوا ذلك ، وأن آدم انما كان خليفة عن  
بشر كانوا من جنسه وبادوا .

وكل هذه الأقوال لا تستند الى نص قطعي الثبوت والدلالة .

ان الذين يقولون ان آدم ليس أول نوعه ، بل وجدت قبله أودم كثيرة سواء ، ويستأنسون  
لذلك بقوله تعالى للملائكة « اني جاعل في الأرض خليفة » يعتقدون أن آدم انما خلف غيره  
وهم الأمة التي كانت تسكن الأرض قبله في عمران هذه الأرض ، يعززون أقوالهم بما يراه  
علماء الجيولوجيا من وجود بقايا عظام لآدميين تخالف عظام الآدميين الموجودين الآن ، ويرجع  
تاريخ وجودها الى أزمان كثيرة تعد بعشرات الآلاف ومئات الآلاف من السنين .

والجيولوجيون يسمون الأمة التي كانت قبل هذا الجنس الآدمي مباشرة بالانسان  
« لتياندرتالي » ويقولون انه كان موجودا من نحو ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف سنة وأن الجنس الآدمي  
الموجود اليوم لا يمت اليه بقراية . وأن ذلك الجنس قد باد عن وجه الأرض - راجع مقالة  
بشأن هذا في البلاغ المخصوص ١٥ من مايو سنة ١٩٣٤ .

وعلى أية حال فالمسألة لا تعيننا ولا يترتب عليها نفع ولا ضرر ، والله لم ينص على شيء منها  
في الكتب السماوية فوجب السكوت عنها .

الثامنة - ظهر رأى في البلاد الأوروبية وقبله كثير من علمائهم : وهو أن الانسان أصله  
قرد ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار هذا الانسان . وذلك يبطل أن يكون أصل الانسان  
آدم ، فما الرأى ؟

والجواب : أن هذه النظرية لم تزل موضع بحث ، للأخذ والرد فيها مجال ، ولها أنصار  
مؤيدون كما أن لها خصوما يبطلونها . وعندنا القرآن الكريم يدل بنصوصه الظاهرة على أن

أصل الانسان آدم ولم يكن قردا تحول ولا شيئا آخر ترقى وهو الثقة ؛ فاذا وصل أصحاب النظرية الى الأدلة القاطعة التي تجعل هذه القضية بديهية تساوى في بدايتها « كل عدد زوجي ينقسم الى قسمين متساويين » و « السماء فوقنا والأرض تحتنا » كان لزاما علينا أن نؤول القرآن ليوافق الواقع كما هي القاعدة القائلة : إن القرآن يؤخذ على ظاهره بدون تأويل الا اذا منع من ذلك مانع فيعتمد الى تأويله .

ذلك أن القرآن انما خاطب العقلاء بما عندهم من العقل ويلجأ الى العقل فيما خالف الناس فيه مقاصد القرآن .

وقد ذكر العقل ومشتقاته في القرآن الكريم نحو « ما عقلوه .. ويعقلون .. وتعقلون .. لو كنا نسمع أو نعقل .. وما يعقلها الا العالمون » تسعا وأربعين مرة ، وهاكم جدولا بأرقامها وسورها : -

السورة	أرقام الآيات	السورة	أرقام الآيات
( يعقلها )		( عقلوه )	
العنكبوت   ٤٣	٢٩	البقرة   ٧٥	٢
( تعقلون )		( يعقلون )	
البقرة ٢٤٢، ٧٦، ٧٣، ٤٤	٢	البقرة ١٧١، ١٧٠، ١٦٤	٢
آل عمران ١١٨، ٦٥	٣	المائدة ١٠٣، ٥٨	٥
الأنعام ١٥١، ٣٢	٦	الأنفال ٢٢	٨
الأعراف ١٦٩	٧	يونس ١٠٠، ٤٢	١٠
يونس ١٦	١٠	الرعد ٤	١٣
هود ٥١	١١	النحل ٦٧، ١٢	١٦
يوسف ١٠٩، ٢	١٢	الحج ٤٦	٢٠
الأنبياء ٦٧، ١٠	٢١	الفرقان ٤٤	٢٥
المؤمنون ٨٠	٢٣	العنكبوت ٦٣، ٣٥	٢٩
النور ٦١	٢٤	الروم ٢٨، ٢٤	٣٠
الشعراء ٢٨	٢٦	يس ٦٨	٣٦
القصص ٦٠	٢٨	الزمر ٤٣	٣٩
يس ٦٢	٣٦	الحاثية ٥	٤٥
الصفات ١٣٨	٦٧	الحجرات ٤	٤٩
غافر ٦٧	٤٠	الحشر ١٤	٥١
الزخرف ٣	٤٣	( نعقل )	
الحديد ١٧	٥٧	المالك ١٠	٦٧



فالدین الذی یعتمد علی العقل فی إقامة براهینه وبسط حججه لا یمکن أن یجانب العقل وینافیہ ، فإذا أثبت العلماء نظریاتهم اثباتا قاطعا وجب علینا أن تؤول ظاهر القرآن تأویلا یتفق مع ما أثبتہ العلم وقطع العقل بأنه الحق الذی لا محیص عنه .

أتذکر أنه قبیل الحرب العظمی کان أحد العلماء الأمريكيان أرسل الی الطیب الذکر « جورجی زیدان بك » کتابا یرجوه فیہ أن یأخذ جواب علماء المسلمین فی مصر من الأزهر وغیره عن أسئلة وجه بها الیهم — منها :

ما هو رأى العلماء المسلمین فی نظریة « دارون » ؟ وهل تجد نجاحا ؟ وما هو مقدار الاقبال علیها ؟ وما رأى علماء الأزهر فیها ؟

وقد کان لى الشرف بأن وجهت الی هذه الأسئلة كما وجهت الی كثيرین غیرى ؛ لكن لم یجب علیها أحد سواى فیما أعلم ، وجاءنى خطاب شكر من السائل وأنه سینشر جوابى « مترجما بالانجليزية طبعا » — وصورتى ، وقد مرت الأعوام ولم ینشر الكتاب الذی کان یرید أن یجعله معرضا عاما لآراء العلماء فی العالم فی نظریة « دارون » وتوفى جورجى بك زیدان ولم أعلم بشئ عن هذا الشأن الی الیوم .

وجوابى یتلخص فی أن علماء الاسلام انما یأخذون عقیدتهم عن العقل : یوجبون ما أوجبه ویحیلون ما أحاله ویجیزون ما أجاز . ومن صریح القرآن فیما لا یعارض العقل ولا یصادمه ؛ فإذا كانت عبارة القرآن تخالف مقطوعا به عقلا وجب تأویل نص القرآن لیطابق العقل ، وقد جاء القرآن بأن الله قد خلق شخصا اسمه « آدم » وزوجه « حواء » وأنهما أصل النوع الانسانى ، وأنه خلق آدم من الطین ونفخ فیہ من روحه وجعله بشرا ؛ فهذا القول عندنا صریح لا یعدل عنه الی تأویله الا اذا قامت الأدلة التی لا ترد علی نظریة « دارون » وأن الانسان لیس أصلا بنفسه بل جنس أو نوع مشتق من غیره . اذا صارت أدلة « دارون » بدیهية فی حکم « السماء فوقنا والأرض تحتنا » وجب أن نسلم بها وأن نلجأ الی تأویل نصوص القرآن بما لا یخالف الواقع .

ولكن نظریة « دارون » لم تبلغ من المتانة هذا الحد الذی یجعلها أمرا قطعيا « لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه » .

والمسلم الحقیقى لا یترك الساق الا ممسكا ساقا أقوى منها وأمتن ؛ فلیس من المعقول أن یترك الاعتقاد المتین الذی تلقاه من القرآن الی نظریة لم تثبت <sup>(١)</sup> .

وقد کان علماء الأزهر فی ذلك الحین بعیدين عن العناية بأمثال هذه المباحث ، فلم یسمع لهم صوت فی هذا الأمر ولم یأبهوا بشئ من هذا .

(١) أنا لا أنکر علی العلماء والباحثین جهودهم ، بل أقبل ما قام البرهان القاطع علی صحته ، أحمد الیهم ما یبدلونہ من جهود قعدنا عنها ، وهم فی أبحاثهم قراء صحیفة الكون .

وهذه أمريكا عاقبت أحد المدرسين في إحدى الجامعات لأنه أظهر لطلبته صحة قول «دارون» وأتباعه وأبطل ما تضمنته التوراة في شأن آدم . وأظن أن من الجرأة أن يكتب انسان صكا على نفسه يقطع فيه بأن نساء الجنس البشرى قد أعقمن أن يلدن أعظم من « دارون » وأقدر على اثبات عكس نظريته .

بقى أن أقول لكم : أن عالما ألمانيا يقول ان القرد انسان متقهقر وليس الانسان قردا مرتقيا ، ونظريته التي يقول بها عكس نظرية « دارون » وأتباعه ، وقد جعل أدلة دارون وبراهينه أدلة وبراهين على صحة نظريته .

وعلى الجملة فما دام الأمر نظرية مطروحة على مشرحة البحث والتنقيب فانها لا تكون حجة ملزمة لأحد أصلا .

هبوا أن الطبيعة قد غضبت على هذه الأرض فهزتها هزا عنيفا بغير شفقة وزلزلتها زلزالا شديدا فدكت كل بناء شامخ ، وانهار كل صرح باذخ ، وألحقت القصور بالأكواخ ، وأزالت معالم الناس ودورهم ومصانعهم وسككهم الحديدية وكل شيء للانسان فيه صناعة ، وعادت الأرض كما كانت قبل أن يسكنها هذا الجيل الذي يسمونه انسانا .

فهل يتصور أن الغورلا والشمبانزى وسائرالفصيلة القردية تهب لعمران الأرض كما عمرها الانسان ويكون بينها المصلحون الدينيون والمخترعون والمبتدعون ويقوم من بينها أمثال أفلاطون وسقراط وإبيكورس وبقرطوجالينوس وأرسطوطاليس وأرشميدس وابن سينا والقارابى وابن رشد ونيوتن ولبلاس وغاليلى وكوبرنيق وبونزن ولوكلائش وواط واستيفن وزبلن وادسن ومركونى ومورس وهنرى مريون وكورى ومدام كورى ، ويرسمون الكرة الأرضية مسطحة ومجسمة ويبينون فى الخرائط خطوط الطول وخطوط العرض وخط الاستواء ومدار السرطان ومدار الجدى وتيارات البحار ويبينون سببها ونتيجتها ، ويخترعون الآلات الهندسية من النظارات والبلانسيطة والبلانومتر والمساطر التى تبين النسب ، ويوجدون اللوغاريتمات والنسب والمتواليات العددية والهندسية وحساب المثلثات وقواعد الجبر ، ويخترعون نظارة العبور والتبؤدوليت والنظارة النجمية والساعات على اختلاف أنواعها ودقة صنعها ، ويعرفون الصعود والمطالع المستقيمة والمزاوول والتلسكوب والسبكتروسكوب والسموجراف والترمومتر والبارومتر والأريومتر والراديو والتليفون والتليفون اللاسلكى والتفيزيون « التليفون المصور » والطائرات والغواصات والمناطيد ويكتشفون القارات والعناصر الأولية للمادة والمركبات الدوائية وسائر ما تكلم عنه الانسان فى المادة الطبية ، ويسمون الكواكب الثابتة والسيارة ، ويحللون ألوان الضوء ويعرفون الطيف ويستخدمون الأشعة المختلفة كأشعة رونتجن وأشعة اكس والأشعة الحمراء والبنفسجية وفوق البنفسجية وفوق الحمراء فى العلاجات ، ويضعون لها الأسماء ويميزون الدائرة الكسوفية ومنطقة فلك البروج وغيرها ،

ويعرفون أن النجم أوفافا في مجموعة قنطار يس أقرب الثوابت الى الأرض وأن ضوءه يصل الى الأرض في سنتين ضوئيتين وأن بتالجبس « باط الجوزاء » في صورة الجبار عملاق النجوم وأن ضوءه يصل الى الأرض في مليوني سنة ضوئية ، وأن الجدى (١) في الدب الأصغر غير الجدى الذى بين القوس والدلو ويسمون قيفاوس والمرأة المسلسلة وبرشاوش ، ويفرقون بين القوس الأكبر والقوس الأصغر ، يضعون اساطير لبروشاوش ورأس الغول والشعريين وسهيل والديران والثريا ، وكيف هم أربد أن ينهش الجبار في رجله فرفعها جزعا ، ويخترعون الصواريخ لمحاولة الخروج من جذب الأرض ، ويعلمون أن الخسوف يحصل من دخول القمر في المخروط الظلى للأرض وكسوف الشمس من توسط جرم القمر بينها وبين الأرض الى غير ذلك. أقول انى كلما فكرت في ذلك جزمت بأن ذلك محال ، وقطعت بأن القرد لا بد أن يبقى قردا مدى الدهر وأن القردة لا تلد الا قردة (٢).

### قصة آدم في سفر التكوين

وقد ذكرت قصة آدم في الاصحاحين الثانى والثالث في سفر التكوين وهى لا تخالف ما جاء في القرآن الا مخالفة بسيطة فانها لم تذكر مسألة السجود لآدم ولا مخالفة ابليس وتكبره وطرده من الجنة ولم تذكر الحوار بين الله تعالى وملائكته ، وجعلت المغرى لآدم وزوجه على الأكل من الشجرة « الحية » وهانذا أنقل لكم ذلك مع ما قد نقلته فيما قبل (٣).

(١) بالتصغير .

(٢) راجعوا مقالة ( اتجاه العلم الحديث نحو روحانية الشرق ) المنشورة بملحق العدد الصادر فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ من جريدة السياسة فانكم واجدون أن فطاحل العلماء مثل هلدان واللورد رزرفورد قد هدموا المذهب الذى بنى عليه دارون نظريته والمقالة بقلم أحمد خيرى سعيد أفندى وهى قيمة فليرجع اليها .

(٣) ( من الاصحاح الثانى تكوين ) ٧ - وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية (٨) وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم الذى جبله (٩) وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر (١٠) وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ومن هناك ينقسم فيصير اربعة رؤوس (١١) اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب (١٢) وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع (١٣) واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش (١٤) واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى شرقى آشور، والنهر الرابع الفرات (١٥) وأخذ الرب الاله آدم ووضع فى جنة عدن ليعملها ويحفظها (١٦) وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة أكلًا تأكل (١٧) وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت (١٨) وقال الرب الاله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فاصنع له معينًا نظيره (١٩) وجعل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذا نفس حية فهو اسمها (٢٠) فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معينًا نظيره (٢١) فأوقع الرب الاله سبباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملا مكانها لحما (٢٢) وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم (٢٣) فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت (٢٤) لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا احدا (٢٥) وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان

بقى مسألتان :-

الأولى : من هم الملائكة ؟

والجواب — أن الملائكة خلق من خلق الله تعالى لا نعم حقيقة لهم ولم نرهم . واعتقاد وجودهم واجب وهو من الأمور السمعية التي لا يوجبها العقل . ولكن المعصوم صلى الله عليه وسلم أخبر بوجودهم — وجاء في الكتاب الكريم وفي الكتب السماوية أسماء بعضهم فوجب اعتقادنا وجودهم لأنهم ذكروا بنص قاطع الثبوت والدلالة .

وأن المعصوم أخبر بوجودهم فأعلمنا بهم ، وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن أنهم « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » وأنهم « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

ويفهم من فحوى الخطاب بينهم وبين الله تعالى أنهم مجبولون على الطاعة منزهون عن المعصية وذلك في قوله تعالى حكاية عنهم « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » .

وقد اختلفت كلمة العلماء في شأنهم . ففرق يقول انهم أفضل من البشر كما يدل عليه قوله تعالى « قال ما نهاكم ربكم عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » فانه مناهما بالأكل من الشجرة أن يرتقيا الى مرتبة أعلى وهي مرتبة الملائكة . وكما يدل عليه قوله تعالى عن صواب يوسف « وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم » .

( الاصحاح الثالث ) وكانت الحية أحيل حيوانات البرية التي عملها الرب الاله فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة (٢) فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة تأكل (٣) وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منها لئلا تموتا (٤) فقالت الحية للمرأة لن تموتا (٥) بل الله عالم يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر (٦) فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهيجة اللون وأن الشجرة شبيهة للنظر فأخذت من ثمرها وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلمتا أنهما عريانان فغطا من أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخبتا آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة (٧) فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت (٨) فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخبتأت (٩) قال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي وصيتك ألا تأكل منها (١٠) فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت (١١) فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذي فعلت ، فقالت المرأة : الحية أغوتني فأكلت (١٢) فقال الرب الاله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين . وترابا تأكلين كل أيام حياتك (١٣) وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه (١٤) وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حياتك بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك (١٥) وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك (١٦) وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل (١٧) بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود (١٨) ودعا اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي (١٩) وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصا من جلد وألبسهما .

وقال آخرون ان النوع الآدمي أفضل من الملائكة لأن اطاعة الملائكة بالجيلة ولم تركب فيهم الشهوة ، فلا فضل لهم في العصمة . وأما الآدمي فانه يجاهد شهواته وميوله .

وقال آخرون : ان عموم الملك أفضل من عموم البشر ، ولكن خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة .

ومن رأى أن الدخول في مسألة التفضيل دخول في مجهول وأن الأسلم الامساك . وأن وضع كل في مرتبته بيد من يعلم سرهم ونجواهم .

وقد ذكر لفظ الملك والملائكة ٨٨ مرة في ست وثمانين آية من القرآن الكريم ، وهاكم جدولاً بالآيات التي ذكر فيها :

رقم الآية	السورة	أرقام الآيات	رقم الآية	السورة	أرقام الآيات
٢	البقرة ...	٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٩٨ ،	٢٣	المؤمنون ..	٢٤
		١٠٢ ، ١٦١ ، ١٧٧ ،	٢٥	الفرقان ..	٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥
		٢١٠ ، ٢٤٨ ، ٢٨٥ ،	٣٢	السجدة ..	١١
٣	آل عمران	١٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ،	٣٣	الأحزاب	٤٣ ، ٥٦
		٨٠ ، ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،	٣٤	سبأ ...	٤٠
٤	النساء ...	٩٧ ، ١٣٦ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ،	٣٥	فاطر ...	١
٦	الأنعام ..	٨ ، ٩ ، ٥٠ ، ٩٣ ، ١١١ ،	٣٧	الصفافات	١٤٩
		١٩٨ ،	٣٨	ص ...	٧١ ، ٧٣
٧	الأعراف	١١ ، ٢٠ ،	٣٩	الزمر ...	٧٥
٨	الأنفال ..	٩ ، ١٢ ، ٥٠ ،	٤١	فصلت ..	١٤
١١	هود ...	١٢ ، ٣١ ،	٤٢	الشورى ..	٥
١٢	يوسف ...	٣١ ،	٤٣	الزخرف ..	١٩ ، ٥٣ ، ٦٠
١٣	الرعد ...	١٣ ، ٢٣ ،	٤٧	القتال ...	٢٧
١٥	الحجر ...	٧ ، ٨ ، ٢٨ ، ٣٠ ،	٥٣	النجم ...	٢٦ ، ٢٧
١٦	النحل ...	٢ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٩ ،	٦٦	التحريم ..	٤ ، ٦٠
١٧	الإسراء ..	٤٠ ، ٦١ ، ٩٢ ، ٩٥ ،	٦٩	الحاقة ...	١٧
١٨	الكهف ..	٥٠ ،	٧٠	المعارج ..	٤
٢٠	طه ...	١١٦ ،	٧٤	المدثر ...	٣١
٢١	الأنبياء ..	١٠٣ ،	٧٨	النبأ ...	٣٨
٢٢	الحج ...	٧٥ ،	٨٩	الفجر ...	٢٢
			٩٧	القدر ...	٤

وقد جاء ذكر الملائكة في الكتب السماوية القديمة كثيرا نورد هنا بعضه (١) .

الثانية : من هم الجن : —

الجواب : أن الجن خلق من خلق الله لا نعلم حقيقتهم ولم نرهم ، قال تعالى « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » والاعتقاد بهم واجب . وهو من الأمور السمعية التي أخبر بها المعصوم صلى الله عليه وسلم بنص قاطع الثبوت والدلالة ، ولولا أن الله ذكرهم في القرآن ما علمنا بوجودهم ولا سلمنا .

وهم يتوالدون ويتناسلون ؛ لقوله تعالى « أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو » . ومنهم البار والفاجر ؛ لقوله تعالى حكاية عنهم « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون » ولم يقل أحد انهم أفضل من البشر .

وقد ذكر لفظ الجن والجان والجنة ٣٢ مرة في إحدى وثلاثين آية من القرآن الكريم ، وهاكم جدولاً بهذه الآيات .

السورة	رقمها	أرقام الآيات	السورة	رقمها	أرقام الآيات
الأنعام ...	٦	١٣٠، ١٢٨، ١١٢، ١٠٠	سبا ...	٢٤	٤١، ١٤، ١٢
الأعراف ..	٧	١٧٩، ٣٨	الصفات	٣٧	١٥٨
هود ...	١١	١١٩	فصلت ..	٤١	٢٩، ٢٥
الحجر ...	١٥	٢٧	الأحقاف	٤٦	٢٩، ١٨
الإسراء ...	١٧	٨٨	الذاريات	٥١	٥٦
الكهف ...	١٨	٥٠	الرحمن ...	٥٥	٧٤، ٥٦، ٣٩، ٣٣، ١٥
النمل ...	٢٧	٣٩، ١٧	الجن ...	٧٢	٦، ٥، ١
السجدة ...	٣٢	١٣	الناس ...	١١٤	٦

(١) ص ١٦ تكوين (٧) فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية (٩) فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك (١٠) وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك ص ١٩ تكوين .  
ص ٢١ تكوين (٩) فجاء الملاك الى سدوم (١٥) ولما طلع الفجر كان الملاك يعجلان لوطا .  
ص ٢١ تكوين (١٧) فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء .  
ولو أردنا أن نتتبع كل ما في الكتب الخمسة وكتب الانبياء لطل بنا المطال فلنعمد الى الانجيل لننقل لكم بعضه .  
ص ١ متى (٢) وفيما هو متفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر في حلم (٢١) فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب .  
ص ٢ : (١٣) وبعدها انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم .  
ص ٤ متى (٦) وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لانه مكتوب أن الله يوصي ملائكته بك (١١) ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه .  
ص ٢٨ متى (٢) واذا زلزلة عظيمة قد حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء (٥) فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا .  
ص ١ مرقس : كما هو مكتوب في الانبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك .

وقد ذكر الجن في كتب الأنبياء . وفي الانجيل بلفظ جن وجان وابليس وشيطان وشياطين .  
وهأنذا أورد لكم بعض ذلك (١) .

ينكر بعض الناس وجود أحياء من الملائكة والجن ، فيؤول الكلمات الدالة على وجود هذين الصنفين من العوالم بأن الملائكة هي قوى النظام والنواميس الخاضع لها العالم ، وأن الجن والشيطان وابليس إنما تدل على الناس ذوى الشر المتمردين وروح الافساد :

هذا الفريق من الناس يرى رأى الماديين الذين لا يشبتون الا ما وقع تحت حسهم ولا يقرون بشيء وراء المادة ، فحذا حذوهم ليقال انه راق مثلهم وعمد الى صريح القرآن يؤوله حتى يجمع بين الايمان بالله والقرآن وجحد الملائكة والجن .

والذى أقوله : ان ذلك التأويل ليس ضروريا بل لا ينبغي ؛ فان الملائكة والجن ليس وجودهم من المستحيل فى شيء حتى يكون ذكرهم مضادا للعقل فنلجأ الى التأويل حتى لا يتعارض المعقول والمنقول ، بل وجودهم فى دائرة الامكان العقلى . وعدم رؤيتنا للفريقين لا يستلزم عدم وجودهما ؛ فقد كانت كل الميكروبات وسائر مالا يرى الا بالآلات المكبرة غائبة عن حس أهل هذا العالم زمنا طويلا فلم يوجب عدم رؤيتها الحكم بعدم وجودها ، بل كانت فى كل هذه الآماد العظيمة موجودة تكبر وتنمو وتتكاثر ولا علم لنا بوجودها ، وأى مانع يمنع من القول بأن الله تعالى لو ركب حواسنا تركيبا آخر لانكشف لنا عالم الملائكة وعالم الجن وعوالم أخرى لم نخبر بها ولا خطر فى فكر أى انسان هاجس عنها ؛ فالالتجاء الى تأويل لفظ الجن ولفظ الملائكة على النحو الذى ذهب اليه لا ضرورة اليه . وما نجعل حقيقته كثير فى جنب ما نعلم .

توجد أمور كثيرة لا نراها ولا نعلم حقيقتها ، وانما نحس آثارها كالكهربا والمغناطيسية والجاذبية والضوء ، ومع ذلك فأننا نقول بها .

والطبيعة موجودة فيها أمور كثيرة وقوى خاصة ربما أظهرها العلم فى المستقبل ، فهل من حقنا أن نكرها لأن أبصارنا وحواسنا لا تقع عليها ؟ كلا ؛ فان الناس مع كثرة الاختراع والابتداع منذ وجد الناس الى اليوم لم يققوا من أسرار الكون على جزء من مليون « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

(١) ص ٩ لاويين (٣١) لا تلتفتوا الى الجان ولا تطلبوا التوايع فتنجنسوا بهم أنا الرب الهكم .  
ص ٤ متى (١) ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليحرب من ابليس (٥) ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة (١٠) حينئذ قال يسوع اذهب يا شيطان (١١) ثم تركه ابليس .  
ص ٨ متى (٣١) فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا نذهب الى قطع الخنازير .  
ص ٦ متى (٣٣) فلما أخرج الشيطان تكلم الآخرس (٣٤) أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين .

ص ١٠ متى (٨) أشفوا مرضى طهروا برصا أقيموا موتى أخرجوا شياطين .  
ص ١٧ متى (٢٨) فانتهزه يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة .  
ص ٢٨ صمويل الأول (٧) فقال شاول فتنشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب اليها وأسألها فقال له عبيده هو ذا امرأة صاحبة جان فى عين دور (٨) فشكر شاول ولبس ثيابا أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا الى المرأة ليلا وقال اعرفى لى بالجان واصعدى لى من أقول لك .

وقد يكون هؤلاء المنكرون للملائكة قد غرهم ما كتبه أستاذنا الامام في تفسيره من تأويل الملائكة على وجه لم ينكره الماديون ومن نزع منزعهم ؛ فان الامام رحمه الله لم ينكر الملائكة كما ينكرون . وانما يعتمد الى التأويل لمن ينكر عالم الغيب ويجحد الملائكة ، وقد أورده على أنه مذهب آخر لبعض المفسرين في فهم معنى الملائكة ، وذلك لتقريب المعنى من أذهان الجاحدين من الماديين وغيرهم .

وعلى الجملة : فاني أرى أن فهمهم على الوجه الذي بينت هو ما يجب على المؤمن اعتقاده ؛ فاذا وجد منكر لهم قربنا له المعنى على الوجه الذي أورده الأستاذ الامام رحمه الله . ( راجع ص ٢٧٤ من الجزء الأول من تفسير المنار ) .

### العظة في قصة آدم

١ - ان الله تعالى قد يحجب سر حكمته عن أقرب خلقه اليه كما حجب حكمة استخلاف آدم في الأرض عن الملائكة حتى تحيروا واشتاقوا الى معرفة الحكمة من هذا الاختيار .

٢ - ان عناية الله تعالى اذا وجهت الى الشيء الحقير خلعت عليه حلل البهاء والجلال وصيرته عظيما . كما توجهت عنايته تعالى الى التراب الذي جبل منه آدم فصيرته بشرا سويا وجعلته مظهرا لأسرار قدرته وحكمته وعلمه الواسع ، فأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن ادراكه .

٣ - ان الانسان مهما أوتي من التجلة والكرامة ففي طبعه الضعف ، فهو عرضة لأن ينسى رياتى مالا يتفق مع اجلال الله له كما في نسيان آدم وصية الله تعالى ، فأطاع ابليس الذي هو أعدى أعدائه . وأصغى اليه وأكل من الشجرة التي نهى عن الأكل منها .

٤ - ان رحمة الله تعالى لا ييأس منها من عصاه وخالف عن أمره ؛ فان آدم قد تاب الله عليه واجتنباه مع ما فرط منه من النسيان ومخالفة وصية الله .

فعلى العبد اذا قارف معصية أن يلجأ الى الله بالندم والاستغفار والاقلاع عن الذنب ، كما قال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .



## قاييل وهايل

### ولدى آدم

ذكرت قصة ابني آدم في القرآن الكريم دون أن يذكر فيها اسم كل منهما ، وانما ذكر اسمهما في التوراة « قايين ، وهايل » .

قال الله تعالى ( وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ [٢٧] لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ [٢٨] إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ [٢٩] فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٣٠] فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سُوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سُوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ [٣١] : سورة المائدة .

ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأثني الآخر ، وأن هايل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هايل وأخت قابيل أحسن ، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه ، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى . فأمرهما أن يقربا قربانا ، فقرب هايل جذعة سمينة وكان صاحب غنم ، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردىء زرع ، فنزلت نار فأكلت قربان هايل وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي . فقال : انما يتقبل الله من المتقين اه — من البداية والنهاية ببعض نقص في العبارة .

وقد اختلف في كيفية قتله . فقال بعضهم : ضربه بحديدة فقتله — ويرد عليه أن الحديد لم يكن معروفا في الأزمان القديمة . وقال آخرون : رمى على رأسه صخرة وهو نائم فشدخته . وقيل : بل كان يخنقه ويعضه الى أن مات .

وقد روى الامام أحمد بسنده الى ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سنَّ القتل ) .

وبجبل قاسيون شمالي دمشق مغارة الدم مشهورة بأنها المكان الذي قتل قابيل أخاه هايل عندها .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير — غير الحافظ — أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وهابيل ، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه فحلف له ، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابه الى ذلك وصدقته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : انه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان كل يوم خميس .

قال الحافظ بن كثير في تاريخه البداية والنهاية : وهذا منام لو صح عن أحمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعى ، والله أعلم .

وقد ذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على هابيل حزنا شديدا وأنه قال شعرا ؛ وقوله الشعر كلام غير مسلم . وأما حزنه على ابنه فأمر طبيعى <sup>(١)</sup> .

---

(١) قد ذكرت قصة قابيل وهابيل فى التوراة وهى لا تخالف ما جاء فى القرآن تقريبا .

## ادريس عليه السلام

هو ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام . واسمه في التوراة العبرية « خنوخ » وفي الترجمة العربية « اخنوخ » .

قال الله تعالى « واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » .

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : وكان أول بنى آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام .

وذكر ابن اسحق أنه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلثمائة سنة وثمان سنين .

وقد قال طائفة من الناس انه المشار اليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل فقال : انه كان نبى يخط فمن وافق خطه فذاك .

ويقول الحافظ بن كثير أيضا : ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أول من تكلم في ذلك ، ويسمونه : هرمس الهرامسة ، ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء .

وقد جاء في الصحيحين في حديث الاسراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ به في السماء الرابعة .

وروى ابن جرير الطبرى عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له : ما قول الله تعالى في ادريس « ورفعناه مكانا عليا » فقال كعب : أما ادريس فإن الله أوحى اليه انى أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بنى آدم ، فأحب أن يزداد عمك ، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له : ان الله أوحى الى كذا وكذا فكلّم ملك الموت حتى ازداد عملا ، فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا ، فكلّم ملك الموت في الذى كلمه فيه ادريس ، فقال : وأين ادريس ؟ فقال : هو على ظهري ، فقال ملك الموت : فاعجب ، بعثت وقيل لى : اقبض روح ادريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول . كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ، فقبض روحه هناك . فذلك قول الله عز وجل « ورفعناه مكانا عليا » ورواه ابن أبى حاتم عند تفسيرها : وعنده فقال لذلك الملك : سل لى ملك الموت كم بقى من عمري ؟ فسأله وهو معه : كم بقى من عمره ؟ فقال : لا أدري حتى أنظر ، فنظر فقال : انك لتسألنى عن رجل ما بقى من عمره الا طرفة عين ، فنظر الملك الى تحت جناحه الى ادريس فاذا هو قد قضى وهو لا يشعر . قال الحافظ بن كثير : وهذا من الاسرائ依ليات ، وفي بعضه نكارة .

أقول : الأسلم تفويض علم ذلك الى الله تعالى .

وقال البخارى : ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن الياس هو ادريس ، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الاسراء : أنه لما مرَّ به عليه السلام قال : مرحبا بالأخ الصالح ولم يقل كما قال آدم و ابراهيم : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال له . وقال الحافظ ابن كثير بعد أن نقل ذلك : وهذا لا يدل ولا بد ، لأنه قد لا يكون الراوى حفظ جيدا ، أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتسب له في مقام الأبوة كما انتسب لآدم أبى البشر و ابراهيم الذى هو خليل الرحمن وأكبر أولى العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

ونقل ابن كثير : زعم بعضهم أن ادريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بنى اسرائيل ، وقضية قوله « زعم بعضهم » أن هذا الزعم لا يعول عليه .

وأما عند أهل الكتاب فلا يوجد شيء سوى قولهم « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » ص ٥ : ٢٤ تكوين .

جاء في كتاب تاريخ الحكماء — وهو مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى ما نصه : —  
ادريس — قد ذكر أهل التواريخ والقصص وأهل التفسير من أخباره ما أنا في غنى عن اعادته ، وأنا ذاكر ما قاله الحكماء خاصة :

اختلف الحكماء في مولده ومنشئه وعن أخذ العلم قبل النبوة . فقالت فرقة : ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ، ومولده بمنف . وقالوا هو باليونانية « أرميس » وعرب بهرمس ، ومعنى « أرميس » عطار . وقال آخرون : اسمه باليونانية « طرميس » وهو عند العبرانيين « خنوخ » وعرب « اخنوخ » . وسماه الله عز وجل في كتابه العربى المبين « ادريس » . وقال هؤلاء ان معلمه اسمه الغوثاذيون ، وقيل اغثاذيون المصرى ولم يذكروا من كان هذا الرجل ، الا أنهم قالوا : كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين ، وسموه أيضا « أورين الثانى » وادريس عندهم « أورين الثالث » . وتفسير « غوثاذيون » السعيد الجد . وقالوا : وخرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ، ثم عاد اليها ورفع الله اليه بها ، وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره .

وقالت فرقة أخرى : ان ادريس ولد ببابل وبها نشأ وأنه أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد جد أبيه لأنه ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث . قال الشهرستاني : ان اغثاذيون هو شيث . ولما كبر ادريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بنى آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث ، فأطاعه أقلهم وخالفه جلهم ، فنوى الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك ، فقتل عليهم الرحيل عن أوطانهم ، فقالوا له : وأين نجد اذا رحلنا مثل بابل . وبابل بالسريانية النهر .

وكأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات . فقال : اذا هاجرنا الله رزقنا غيره ، فخرج وخرجوا ، وساروا الى أن وافوا هذا الاقليم الذى سعى بابليون ، فأروا النيل ورأوه واديا خاليا من ساكن ، فوقف على النيل رسيح الله وقال لجماعته بابليون ، واختلف فى تفسيره ، فقيل : نهر كهر ، وقيل : نهر كهر كم ، وقيل : نهر مبارك . وقيل : ان يون فى السريانية مثل أفعل التى للمبالغة فى كلام العرب ، وكان معناه « نهر أكبر » فسمى الاقليم عند جميع الأمم « بابليون » وسائر فرق الأمم على ذلك الا العرب فانهم يسمونه اقليم مصر نسبة الى مصر بن حام النازل به بعد الطوفان . والله أعلم بكل ذلك .

وأقام ادريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل . وتكلم الناس فى أيامه باثنين وسبعين لسانا ، وعلمه الله عز وجل منطقهم ليعلم كل فرقة منهم بلسانهم ، ورسم لهم تمدن المدن ، وجمع له طالبى العلم بكل مدينة ، فعرفهم السياسة المدنية ، وقرر لهم قواعدها ، فبنت كل فرقة من الأمم مدنا فى أرضها ، فكانت عدة المدن التى أنشئت فى زمانه مائة مدينة وثمانيا وثمانين ، أصغرها الرها ، وعلمهم العلوم . وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم ، فان الله عز وجل أفهمه أسرار الفلك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه ، وأفهمه عدد السنين والحساب ، ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها الى ذلك ، وأقام للأمم سننا فى كل اقليم سنة تليق بأهله ، وقسم الأرض أربعة أرباع ، وجعل على كل ربع ملكا يسوس أمر المعمور من ذلك الربع ، وتقدم الى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة سأذكر بعضها .

وأسماء أربعة الملوك الذين ملكوا : الأول « ايلوس » وتفسيره الرحيم . والثانى « زوس » والثالث « اسقليبوس » والرابع « زوس أمون » وقيل : ايلوس أمون ، وقيل : بسيلوخس ، وهو أمون الملك .

## ذكر بعض ماسنه لقومه المطيعين له

دعا الى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب فى الآخرة بالعمل الصالح فى الدنيا . وحض على الزهد فى الدنيا والعمل بالعدل ، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها . وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر ، وحثهم على الجهاد للأعداء دينهم ، وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها ، وغلظ عليهم فى الطهارة من الجنابة والجمار والكلب<sup>(١)</sup> . وحرم المسكر من كل شئ من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد ، وجعل لهم أعيادا كثيرة فى أوقات معروفة وقربانات : منها لدخول الشمس رؤوس البروج ، ومنها لرؤية الهلال ، وكلما صارت الكواكب فى بيوتها وشرفها وناظرت كواكب آخر .

(١) لعلها : « الخنزير والكلب » .

## ذكر ما أمر به من القرايين

أمر بتقريب ثلاثة أشياء : البخور ، والذبائح ، والخمر ، وتقريب كل باكورة ، فمن الرياحين :  
الورد . ومن الجبوب : الحنطة . ومن الفواكه : العنب .

ووعد أهل ملته بأنبياء يأتون من بعده عدة ، وعرفهم صفة النبي فقال : يكون برئسا من  
المذمات والآفات كلها ، كاملا في الفضائل المدوحات لا يقصر عن مسألة يسأل عنها مما في الأرض  
والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم ، وأن يكون مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه ، وأن  
يكون مذهبه ودعوته المذهب الذى يصلح به العالم .

ولما ملك أوريس الأرض رتب الناس ثلاث طبقات : كهنة وملوكا ورعية ، وجعل مرتبة  
الكاهن فوق مرتبة الملك ؛ لأن الكاهن يسأل الله في نفسه وفي الملك وفي الرعية . وليس للملك  
أن يسأل الله الا في ملكه وفي الرعية ، وماله أن يسأله في الكاهن ، لأن الكاهن أقرب الى الله منه ،  
فقد نقصت منزلة الملك بهذا عن منزلة الكاهن ؛ وليس للرعية أن تسأل الله في شيء الا في أنفسها ؛  
لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذى ملكه على الرعية ؛ فنقصوا بذلك مرتبة عن الملك ، ومرتبين  
عن الكاهن .

فلم يزالوا على هذه القاعدة من الفعل في العبادة وأدب الائتثار بهذه الشريعة الى أن رفع  
الله ادريس اليه وخلفه أصحابه على شريعته .

وكان أقوى الملوك عزما من الأربعة « اسقليوس » فانه اجتهد لحفظ الكلمة وقوانين  
الشريعة الادريسية وحزن لرفع ادريس من بين أظهرهم ، وصور صورته في الهياكل وصورة رفعه .  
وكان « اسقليوس » ملكا في الجهة التى ملكتها يونان بعد الطوفان ؛ فوجدوا صورة  
ادريس ورفعته ، وعلموا علو قدر اسقليوس وتدوينه الحكم لهم في الهياكل التى يفسدها  
الطوفان ، فظنوا أن اسقليوس هو الذى ارتفع الى السماء ، وغلطوا في ذلك غلطا بينا لأنهم  
أخذوه بالحد (١) .

وشريعته أعنى ادريس في المملكة الحقيقية وتعرف في ملة الصابئين بالقيمة ، وطبقت المعمور  
من الأرض ، وكانت قبلته الى حقيقة الجنوب على خط نصف النهار .

## صورة هرمس الهرامسة وهو « إدريس »

قيل انه كان رجلا آدم تام القامة ، أجلح ، حسن الوجه ، كث اللحية ، مليح الشمايل  
والتخاطيط ، تام الباع ، عريض المنكبين ، ضخم العظام ، قليل اللحم ، براق العينين أكحلهما ،  
متأنيا في كلامه ، كثير الصمت ، ساكن الأعضاء ، اذا مشى أكثر نظره الى الأرض ، كثير الفكرة ،  
به عيبة . واذا اغتاظ احتد ، يحرك سبابته اذا تكلم .

(١) لعلها : « بالحدس » .

وكانت مدة مقامه في الأرض اثنتين وثمانين سنة .

وكان على فص خاتمه « الصبر مع الايمان بالله يورث الظفر » وعلى المنطقة التي يلبسها « الأعياد في حفظ الفروض ، والشرعة من تمام الدين . وتمام الدين كمال المروءة » وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت « السعيد من نظر لنفسه ، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة » . وكانت له مواعظ وآداب استخرجتها كل فرقة بلسانها تجري مجرى الأمثال والرموز . فأذكر بعضها ان شاء الله تعالى :

فمن ذلك قوله : ( لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه )

وقال ( من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيء العمل ، كما ترى الصانع الذي يعرف الصنائع كلها اذا أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة التجارة . فحب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان في قلب أبدا ) .

وقال ( خير الدنيا حسرة وشرها ندم ) .

وقال ( اذا دعوتكم الله سبحانه فأخلصوا النية ، وكذا الصيام والصلوات فافعلوا ) .

وقال ( لا تحلفوا كاذبين ، ولا تهجموا على الله سبحانه باليمين ، ولا تحلفوا الكاذبين فتشاركوهم في الاثم )

وقال ( تجنبوا المكاسب الدنيئة ) .

وقال ( أطيعوا للموكلين ، واخضعوا لأكابرهم ، واملاؤا أفواهكم بحمد الله ) .

وقال ( حياة النفس الحكمة ) .

وقال ( لا تحسدوا الناس على مؤاتاة الحظ فان استمتعهم به قليل ) .

وقال ( من تجاوز الكفاف لم يغه شيء ) .

وجاء في صفحة ٣٤٨ في ترجمة هرمس الثالث من كتاب تاريخ الحكماء ما يأتي : —

وزعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ، وهو الذي يسميه العبرانيون : خنوخ النبي ابن يارد ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ، وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم على ما تقدم ذكره في أول الكتاب . وقالوا انه أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية . وأول من بنى الهياكل ومجدد الله فيها . وأول من نظر في علم الطب . وألف لأهل زمانه

قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية . وقالوا : انه أول من أنذر بالطوفان ، ورأى أن آفة سماوية تلتحف الأرض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع ، فبنى الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى ، وصور فيها جميع الصناعات والآلات ، ورسم فيها صفات العلوم حرصا منه على تخليدها لمن بعده خيفة أن يذهب رسمها من العالم ، والله أعلم .

فأنتم ترون أن ما جاء عن ادريس في ذلك الكتاب أخبار لم تؤيد بنقل صحيح ولم يعضدها نص قاطع تشهد به على الله تعالى أنه صنعه لعبده ونبيه ادريس عليه الصلاة والسلام ، وكلها أقوال مما قمشت وضم جبل الحاطب ، فهي أقوال لا بأس بالاطلاع عليها كما يطلع المرء على غيرها من السير التي هي أشبه بالخرافات . والباحثون في العاديات وأهل التاريخ القديم لا يجدون في بحوثهم ما يؤيد هذه الأخبار ، بل هم يجدون ما يناقضها من العلم بأسماء بناء الأهرام والملوك الأولين الذين قاموا بالدولة في مصر من مينا وخوفو ومنقرع وغيرهم الذين شيّدوا المعابد وحفروا البرابي ونقشوا عليها ما هو ماثل اليوم ، وذلك كله بخطوط خاصة يقرءونها ويفسرونها .

أما أهل التوراة فليس عندهم من العلم بشأنه الا أن خنوخ ولد له ولده وهو ابن خمس وستين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلثمائة سنة ، ولم يوجد بعد لأن الله أخذه ؛ فإله تعالى أعلم بشأنه .



## نوح عليه السلام

قوم نوح - ارسال الله نوحا الى قومه - اجتهد نوح في دعوته -  
 يأس نوح من قومه - نوح يصنع الفلك - اتمام نوح السفينة -  
 استشفاع نوح في ابنه - قصة نوح في التوراة . مسائل - قصة  
 الطوفان في الوثنية الهندية - عمر نوح .

هو النبي الثاني ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام . والأول بعد آدم هو جده الأكبر ادريس عليه الصلاة والسلام . وهو أول الرسل كما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة في صحيح مسلم :  
 ( يا نوح أنت أول الرسل الى الأرض ) وبعضهم يؤول هذا الحديث ويقول برسالة آدم وادريس .

وهو نوح بن لامك بن متوشالch بن أخنوخ : وهو ادريس بن يارد بن مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر .

هذا هو الذي ورد في كتب التاريخ وفي التوراة في سفر التكوين وان كنت أشك كثيرا في نسق هذا النسب لأنني أعتقد أن بين نوح وآدم أكثر من ذلك . وسأتيكم بالمدة بين خلق آدم وولادة نوح حسب ما في ترجمة التوراة العبرية .

واعلموا أنه يوجد تفاوت بين ترجمة التوراة العبرية والتوراة السامرية وترجمة التوراة اليونانية ، فليرجع اليها من شاء في كتاب « اظهار الحق » للشيخ رحمة الله أفندي الهندي . وهاكم الجدول الموعود به :

عمر آدم حين ولد له شيث	١٣٠ سنة
المدة التي أقامها شيث قبل أن يولد ابنه أنوش	١٠٥ »
المدة التي أقامها أنوش قبل أن يولد ابنه قينان	٩٠ »
المدة التي أقامها قينان قبل أن يولد ابنه مهليل	٧٠ »
المدة التي أقامها مهليل قبل أن يولد ابنه يارد	٦٥ »
المدة التي أقامها يارد قبل أن يولد ابنه أخنوخ	١٦٢ »
المدة التي أقامها أخنوخ قبل أن يولد ابنه متوشالch	٦٥ »
المدة التي أقامها متوشالch قبل أن يولد ابنه لامك	١٨٧ »
المدة التي أقامها لامك قبل أن يولد ابنه نوح	١٨٢ »
المدة بين خلق آدم وولادة نوح	١٠٥٦ »
عمر آدم الى وفاته على ما في التوراة	٩٣٠ »
ما بين وفاة آدم وولادة نوح	١٢٦ »

وورد ذكر نوح في ثلاثة وأربعين موضعا من القرآن الكريم وهاكم جدولاً بالآيات التي ورد ذكره فيها :

سورة	السورة	أرقام الآيات	سورة	السورة	أرقام الآيات
٣	آل عمران	٢٣	٢٦	الشعراء	١١٦، ١٠٦، ١٠٥
٤	النساء	١٦٣	٢٩	العنكبوت	١٤
٦	الأنعام	٨٤	٣٣	الأحزاب	٧
٧	الأعراف	٦٩، ٥٩	٣٧	الصافات	٧٩، ٧٥
٩	التوبة	٧٠	٣٨	ص	١٢
١٠	يونس	٧١	٤٠	غافر	٣١، ٥
١١	هود	٣٦، ٣٢، ٢٥ ٤٦، ٤٥، ٤٢ ٨٩، ٤٨	٤٢	الشورى	١٣
١٤	إبراهيم	٩	٥٠	ق	١٢
١٧	الإسراء	١٧، ٣	٥١	الذاريات	٤٦
١٩	مريم	٥٨	٥٣	النجم	٥٢
٢١	الأنبياء	٧٦	٥٤	القمر	٩
٢٢	الحج	٤٢	٥٧	الحديد	٢٦
٢٣	المؤمنون	٢٣	٦٦	التحريم	١٠
٢٥	الفرقان	٣٧	٧١	نوح	٢٦، ٢١، ١

ذكرت قصة نوح مفصلة في القرآن الكريم في سورة الأعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة القمر وسورة نوح وهى مختلفة اللفظ بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان .

وهي تتلخص بحسب نصوص القرآن فيما يأتي :

## (١) قوم نوح

كان قوم نوح قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى واتخذوا لهم أصناما يعبدونها من دونه .

## (٢) إرسال الله نوحاً إلى قومه

اختار الله تعالى نوحاً من بين أولئك القوم لينذرهم عذاب الله اذا تمادوا في غيهم وضلالهم ، فعتوا عن أمر ربهم ، واجتمع ملا قومه وكبرائهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه ، واستبعدوا أن يكون واحد منهم — لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء — يأتي لهدايتهم دون أن يكون ملكاً أو يمتاز عليهم بفضل من الغنى والثروة ، وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحاً من الضعفاء . وزعموا أنهم انما اتبعوه من غير روية ولا احكام رأى ، وطلبوا اليه أن يطرد الذين آمنوا به تفرزاً من أن يجتمعوا معهم في دين . فأبى عليهم خوفاً من الله تعالى وبين لهم أنه اذا طردهم لا يجد ناصرًا يدفع عنه عقاب الله تعالى . وبين لهم أنه انما جاءهم بالهداية ولم يكن رجل مال قد مكنه الله من خزائنه وأطلعه على غيبه فهو حفي بعلم الغيب — ولم يدع أنه ملك وانما هو بشر اختاره الله تعالى لدعوتهم وتبليغهم أمر الله تعالى ، وأن أتباعه من المؤمنين الذين تزدريهم أعينهم ويدعون أنهم لا يمكن أن يدركوا خيراً أو يحصلوا على سعادة : أمرهم الى الله الذى هو أعلم بسرائرهم ؛ لأن ادراك السعادة والهداية الى الحق لا يكونان بالبزة والرواء الرائق للعيون ، وانما يكون ذلك باطمئنان النفس وركونها الى الهدى مع استيقانه . والرضا به . وبين أنه لا يطلب بدعوته اياهم أجراً من جاه أو مال ، وانما يطلب أجره من الله تعالى ، وهذا كله معنى قوله تعالى في سورة هود :

( فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ [٢٧] قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَأَتَانِى رَحْمَةٌ مِنْ عِندِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مِمَّا هُمْ كَاذِبُونَ [٢٨] وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ [٢٩] وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [٣٠] وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّى إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ [٣١] ) .

### (٣) اجتهاد نوح في دعوته

بذل نوح منتهى وسعه واجتهد بغاية امكانه أن يتبعه قومه في الايمان بالله تعالى وأن يقلعوا عن عبادة تلك الأصنام . وطال الزمن وهو يغاديههم بالنصح ويرأوهم بالعظة سرا وعلانية وهم لا يزدادون الا اعراضا ونأيا عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الايمان والنعم التي تنتظرهم في عاجل حياتهم من ارسال المطر لسقيهم وسقيا أرضهم ووفرة الأموال وكثرة الذرية . ويضرب لهم الأمثال ويوجه نظرهم الى صنع الله تعالى بخلقهم أطوارا مختلفة وعنايته بهم في أدوار حياتهم الجينية وحياتهم في الدنيا وخلق السموات والأرض وأن من بدأهم قادر على اعادتهم ذلك أن من خلق لهم الأرض ومتعمهم بما خلق فيها قادر على اعادتهم ومجازاتهم .

وكانوا يتبرمون به وينالونه بالأذى ، فعصوه واتبعوا بعض كبرائهم الذين لا يزيدونهم الا خسارا ومكروا فيما بينهم مكرا عظيما الى أن نفذت حيلته ويئس من صلاحهم وبيتوا فيما بينهم ألا يذروا عبادة : ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر . وقالوا في تبرم وأنفة : انك قد أكثر الجدل ، وانا لن نترك ما نحن عليه ، فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا نزوله بنا . فرد عليهم بأن أمر عذابهم بيد الله الذي أرسله لا بيده .

اقرأوا ان شئتم قوله تعالى في سورة نوح :

( إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [١] قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ [٢] أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا [٣] يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [٤] قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا [٥] فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا [٦] وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأُصْفَسُوا بِأَتْنِهِمْ وَأُصْرُوا وَأُتْكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا [٧] ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا [٨] ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا [٩] فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا [١٠] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا [١١] وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَجَنَّاتٍ لَكُمْ أَنْهَارًا [١٢] مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا [١٣] وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا [١٤] أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا [١٥] وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا [١٦] وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا [١٧] ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا [١٨] وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا [١٩] لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا [٢٠] قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا [٢١]

وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا [٢٢] وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [٢٣] وَقَدْ أَصْلَحُوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا [٢٤].

وفي عجبهم أن يكون الرسول بشراً منهم : نزل قوله تعالى في سورة الأعراف :

أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [٦٣]

ومن عجبهم وتبرؤهم بنوح وبعدهم عن استعمال العقل وارتياح ما هو أنفع لهم أنهم :

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٣٢] هود  
فرد عليهم نوح بما قصه الله تعالى في قوله :

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [٣٣] وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ  
أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٣٤] هود

#### (٤) يأس نوح من هداية قومه

ولما بلغ نوح درجة اليأس من إيمان قومه بعد خمسين وتسعمائة سنة — على ما نصه القرآن — أقامها فيهم يدعوهم ولا يألوهم نصحا : كان ما قصه الله بقوله :

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [٣٦] هود  
وتوجه إلى ربه بالدعاء عليهم فقال :

رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا [٣٦] إِنَّكَ إِنْ تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا  
إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا [٣٧] نوح

#### (٥) نوح يصنع السفينة

أمره الله تعالى بعمل الفلك لتكون أداة لنجاته ومن معه من الفرق العتيد أن يأتي على القوم ، فصاروا إذا مروا عليه سخرؤا منه ومن عمله ؛ ولعل أشد ما أثار سخريتهم منه أن علموا انه يعمل تلك السفينة لينجو بها ومن معه من العذاب النازل بهم استبعادا منهم لوقوعه ؛ فكان هو أيضا يسخر منهم ومن غفلتهم عن الحق وبلادتهم عن أخذ الحيطة لأنفسهم باتباعه باحسان وتنجية أنفسهم ، وصار يتهددهم بذلك العذاب .

## (٦) إتمام نوح سفينه

فلما أتم نوح عدته وجاء الموعد ورأى الأمانة التي بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان وهو أن يفور تنور أهله (١) الذي يعملون فيه الخبز بأن ينبثق الماء فيه . أمره الله تعالى أن يحمل في السفينة أهله ويدخل فيها من كل حيوان وطيور ووحش زوجين اثنين وأهله الا زوجته . وأن يأخذ معه من آمن من قومه وكانوا قليلا . قيل كانوا ستة . وقال بعضهم : كانوا أربعين رجلا وامرأة ، فلما استووا على ظهر السفينة حلت عزاليها السماء ، وانفجرت عيون الأرض ، وحملت المياه السفينة ومن فيها ، ومكثت ما شاء الله أن تمكث الى أن غرق كل ما على الأرض من انسان وحيوان ، ثم استقرت السفينة على الجودي من جبال أراط .

ولما أراد نوح دخول السفينة نادى ابنه وكان في معزل عنه وقال (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ) فأبى أن يلبي نداء والده المشفق لأنه لا يثق بصدق والده من أن كل من كان خارجا عن السفينة هالك . ( قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ) فهلك ذلك الولد .

## (٧) استشفاع نوح في ابنه

وأراد نوح أن يستعجز وعد الله بنجاة أهله فقال ( رب ان انى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ) فرد الله عليه بأنه ليس من أهله . وعابته في أن يسأله ما ليس له به علم . اذ كان من حق نوح أن يعلم أن من كان خارج السفينة فليس ممن وعده الله بنجاتهم ، فاعتذر نوح عن ذلك . وطلب المغفرة والرحمة على ما فرط منه الى أن تمت المدة التي لم يكن للسفينة أن تفر فيها على الأرض ، واستوت السفينة على جبل الجودي من « ديار بكر » وخرج من في السفينة وبارك الله فيهم ، فكثروا وملأوا الأرض . ولم ينسل من كان مع نوح من غير أبنائه . قال الله تعالى ( وجعلنا ذريته هم الباقين ) .

اقرأوا قوله تعالى في سورة هود :

وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي الَّذِينَ ظَلَمُوا لَهُمْ مُعْرَقُونَ [٣٧] وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ . وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ [٣٨] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ [٣٩] حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [٤٠] وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نُحْرِجُهَا وَنُرْسَاهَا إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [٤١] وَهِيَ تَجْرِي

(١) كتب الأستاذ العلامة موسى جاد الله يقول : لماذا لا يكون تنور السفينة ؟ وانى أجيئه مع الشكر بأن الماء لا يبلغ تنور السفينة الا اذا أشرفت على الغرق ، وأما تنور أهله فيفور اذا حبلت الأرض بالماء وأوشك أن يتفجر فى الأمكنة الكثيرة .

بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ  
الْكَافِرِينَ [٤٢] قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَفْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ  
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ [٤٣] وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ  
الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٤٤] وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ  
إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ لِحَقٍّ وَأَنْتَ أَحْكُمُ الْخَاكِينَ [٤٥] قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ  
عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ [٤٦] قَالَ رَبِّ إِنِّي  
أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٤٧] قِيلَ يَا نُوحُ  
أُخْرِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [٤٨]

## مسائل

الأولى : هل عمّ طوفان نوح الكرة الأرضية

والجواب : أن بعض العلماء يميل الى عمومته . ويقول بعض علماء الجيولوجيا : اننا كلما  
بحثنا في أعالي الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التي لا تعيش الا في الماء : وهذا يستدعي  
وجود طوفان على هذه الجبال بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف في عمر هذه البقايا ،  
فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عمّ . ويستأنس لذلك بقوله تعالى (وجعلنا  
ذريته هم الباقين) .

ويميل فريق الى أن الطوفان لم يكن عاما بل طغيان الماء كان على الجهة التي كان يسكنها  
نوح وقومه . وأما بقية بقاع الأرض فلم يعمها هذا الطوفان ، ويستأنس لذلك بأن الهند كانوا  
يزعمون أن عمران بلادهم يمتد في الماضي الى تاريخ أبعد من الذي قدرته التوراة لنوح وطوفانه .  
وأن عمرانهم متصل من أعماق أجيال التاريخ الى اليوم . وأنتم تعلمون أنى غير واثق من التاريخ  
الذي تقدره التوراة ؛ فربما كان نوح أبعد من ذلك بعدا يشمل ما يدعيه أهل الهند .

وعلى كل حال فالمسألة ليس فيها نص من القرآن ، بل كل ما فيه من هذه الناحية أن قوم نوح  
كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه في الفلك وجعل ذريته  
الباقيين ؛ فالعموم محتمل والخصوص محتمل .

والذى أميل اليه أن يكون خاصا وأن النوع الانساني لم يكن منتشرا في جميع الكرة بل كانوا  
منحصرين في الناحية التي عمها الطوفان ، وأنهم قد هلكوا وبقي نوح وذريته .

الثانية : ما ذنب الأطفال من قوم نوح حتى هلكوا مع الآثمين من آبائهم وأمهاتهم

والجواب : أن الله سبحانه وتعالى جرت عادته بأن النعمة لا تصيب الذين ظلموا خاصة وفي علم الظالمين بهلاك أولادهم معهم زيادة تعذيب ونكال لهم ؛ على أننا في كل يوم نرى الأطفال يهلكون بمختلف الأمراض وليس ذلك عقاباً للأطفال على ذنوب ارتكبوها أو آثام اقترفوها . ولكن ذلك من باب وجود المسبب عند وجود سببه . وتلك الأسباب هي الأمراض والعلل التي هي جند الله ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) وبهذا لا نحتاج إلى ما تكلفه بعض العلماء والمفسرين : من أن الله تعالى أعقم أرحام نساء قوم نوح قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يولد لهم في تلك المدة مولود ، وبذلك اشترك جميع قومه في الإثم وهم مكلفون فحق عليهم العذاب وحاق بهم الهلاك .

على أننا نرى الزلازل تعمل عملها في الناس بلا تمييز بين البار والفاجر وتخسف الأرض بسكانها كما حصل في سان فرنسيسكو بأمريكا في زلزالها المشهور وقد وقع في زماننا ، وكما حصل في زلزال اليابان سنة ١٩٢٣ وهو قريب العهد منا جدا وكما يحصل في إيطاليا بسبب بركان « فيزوف » فقد تغطي حممه فتغطي البلاد القريبة منه فلا يشعر أهل القرية إلا بالحجم البركانية يسيل سيلها في طرق بلدتهم فتهلكهم وتغطيها . وهذا حاصل كثيرا (١) .

وهذه الطيارات التي تسقط من الجو بأسباب مختلفة لا يهلك من هلك فيها بآثامهم ولا ينجو فيها الناجون ببرهم . ولكن أحاط قسمت وجدود . وما حادثة المنطاد الانجليزي ( ر ١٠١ ) سنة ١٩٣٠ منا ببعيدة ، وكذلك البواخر الجبارة العظيمة الحجم والقوة «كتايتانك» التي غرقت منذ عشرين عاما والباخرة الانجليزية « لويزيتانيا » التي غرقت في أيام الحرب العظمى وكان في كليهما من العلماء والكتّاب والأغنياء والمهندسين والمخترعين عدد عظيم ، فقد هلكوا بآجالهم ( اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) .

الثالثة : أين جبل الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح ؟

والجواب : جبل الجودي في نواحي ديار بكر من بلاد الجزيرة ، وهو يتصل بجبال أرمينية . قال في القاموس المحيط : والجودي جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، ويسمى في التوراة « أراط » (٢) .

الرابعة : ما حجم سفينة نوح ؟

والجواب : أن حجمها وأبعادها لم ينص عليها في القرآن ، وإنما وصفت بأنها ( الفلك المشحون ) وبأنها ( ذات ألواح ودر ) أي مسامير .

(١) من ذلك زلزال الهند في العام الماضي فقد غير وجه الأرض في إقليم واسع . وزلزالها في هذا العام سنة ١٩٣٥ ، فقد غير معالم الأرض أيضاً في إقليم واسع وهلك بسبب ذلك مئات الألوف من الناس والدواب والأنعام ومن الشيوخ والعجائز والأطفال : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها » .

(٢) بما نقلته من القاموس تعلم جهة علمي بذلك الجبل ، وفي ذلك جواب ما كتب به إلى الأستاذ العلامة موسى جاد الله إذ قال لي : من أين علمت ذلك ؟



وانما ذكر حجمها في التوراة (١) .

الخامسة : ما هي مسألة نوح في ابنه وهل كان ابنه حقيقة ؟

والجواب : أما كونه ابنه فظاهر القرآن أنه ابنه حقيقة ، وانما نفى كونه من أهل نوح لأن النجاة انما تكون للمؤمن ، فأخذ نوح بظاهر قوله تعالى ( انا منجوك وأهلك ) وغفل عن شرط النجاة وهو الايمان بنبوّة نوح وما جاء به من الحق ، وأن الأهلية الحقيقية تكون معدومة الثمرة مع الكفر ومجانبة الايمان ومخالفة الداعي اليه ، فهي وسيلة لاغية وسبب منقضب ، وهو الرأي الذي أميل اليه .

وقال آخرون : انه كان ابن امرأته من غيره ولم يكن ابنا حقيقيا له ، بل كان ربيبا نشأ على أن يناديه نوح بلفظ ابنه ، وكان كافرا وظن نوح أن وجوده في حجره يدخله في أهله الذين وعد من الله بنجاتهم .

وقال غيرهم : انه كان من الزنا ونوح لا يعلم بذلك ، ويستأنسون لذلك بقوله تعالى ( انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ) وبقوله تعالى ( ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين « ١٠ » ) التحريم . والذين يخالفونهم يستبعدونه ويعدون كثيرا أن تكون امرأة أحد الأنبياء زانية ، لما في ذلك من الهجنة على النبي . وقد فات هؤلاء أن الكفر أشد ذنبا من الزنا وامرأة نوح قد ضربها الله مثلا في الكفر ، ومن أتى الذنب الأكبر يهون عليه أن يأتي بما هو أصغر منه . وان كنت لا أقول انه من الزنا ، وانما أنا أناقش مبدأ عصمة نساء الأنبياء فقط . وما كان من الأمر فالمناقشة غير مجدية ولا نخلص منها الى رأى قاطع في الموضوع ، وانما هي احتمالات . وقد علمتم ميلى الى الرأى الأول وهو أنه ابنه حقيقة (٢) .

(١) ص ٦ تكوين (١٤) اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل وخارج بالقار .

(١٥) وهكذا تصنعه ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلثين ذراعا ارتفاعه

(١٦) وتصنع كوا للفلك وتكملة الى مد ذراع من فوق وتضع باب الفلك فى جانبه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجمله .

(٢) أريد أن يقف القارىء معى وقفة صغيرة أذكر له فيها أنه قد تألفت لجنة لبحث كتابى قصص الأنبياء وبيان ما فيه ، ثم ألفت لجنة ثانية بأمر الشيخ الجليل شيخ كلية أصول الدين وقدمتا نقدا قاسيا لذلك الكتاب وقد رددت عليه ردا مستفيضا .

ولتمام الفائدة أقدم لقراء هذا الكتاب مقدمة ردى لذلك النقد - وكلما وصلت الى موضع نقد فى كتابى أثبت نقدهم وأتبعته بردى عليه وفى ذكاء القراء وانصافهم مقنع - وهذه هي مقدمة الرد .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين .  
تلقيت بيد الامتنان من يد فضيلتكم التقرير الذى كتبته لجنة ألقتها من بعض العلماء وهم ( أصحاب الفضيلة المشايخ محمد أحمد بدوى . ومحمد العزبى رزق . وغيسى منون ) والاخيران من مدرسى كلية أصول الدين للنظر فى كتابى (قصص الأنبياء) بعد أن بحثوه حسب أمر فضيلتكم =

ولعل الذين يريدون ابعاد ابن نوح الهالك عنه يرون عظيما أن يكون ابن النبي المرسل كافرا ؛ فهم يريدون ابعاده عنه بكل وسيلة . أما أنا فلا أرى بعدا في ذلك ولا غضاضة منه على النبي . وأى فرق بين أن يكون ابنه كافرا وبين أن يكون أبوه كافرا . وقد كان ابراهيم نبيا مرسلا وأبوه كافرا يعبد الأصنام وينحتها ويبيعها من عبادها وهؤلاء اليهود أبناء يعقوب بن اسحاق

= بخطاب مؤرخ في ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٣ وكذلك التقرير الصادر من لجنة أخرى لبحث التقرير الأول قوامها أصحاب الفضيلة الأساتذة ( الشيخ عيسى منون ، والشيخ محمد العزبي رزق ، والشيخ محمود أبي دقيقة ، والشيخ ابراهيم الجبالي رئيس اللجنة ) لم يذكر له تاريخ وهو صادر اليهم من فضيلتكم .

والذي ألاحظه على عمل اللجنتين بدءا ذي بدء ويبدو لعين الناظر الى عملهما بمجرد النظر البسيط ما يأتي :

أولا - أن نقد هؤلاء الأفاضل لكتاب جرى على أسلوب لا يعرفه جهابذة النقد ، ولم يصدر مثله في شأن كتاب من الكتب عن ناقد منصف يوازن بين محاسن الكتاب ومساوئه ويستقصى في ذلك الاستقصاء التام في جميع نواحيه : أسلوبه ، وجمعه ، واستيعابه ، وورقه ، وطبعه . ثم يصدر حكمه بعد موازنة رائده منها الانصاف ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

بل الناظر الى عمل اللجنتين يرى أن هذا الكتاب مجموعة من السيئات وسلسلة من الجرائم والآثام : لا يرجع واضعه الى إثارة من عقل أو دين أو علم ، وإذا نظر الى الكتاب رأى غير ما قالوا . وعرف غير ما قرروا .

واني أحمد الله تعالى على أن هذا التقرير لم يقع بين أيدي الأدباء والكتاب فيتناولوه بأقلام لاذعة وألسنة حداد .

ثانيا - أن التقرير الأول ، يؤازره التقرير الثاني قد تفضل على شخصي الضعيف ببعض حمل تعتبر آيات بينات ، دونها كل تقريب واطراء ، مثل قولهم :

المقدمة : تخريج الآيات القرآنية على أوجه ان لم تكن باطلة فهي بعيدة جدا . وقد خالف في ذلك جميع المفسرين فيما نعلم ، ومثل هذا التأويل لو اتبع في سائر ما ورد في المعجزات أدى ذلك الى انكار جميع المعجزات ، وذلك يؤدي الى انكار رسالة الرسل وانكار جميع الأديان .

في الموضوع الثاني : فلأنه خالف اجماع المفسرين فيما نعلم سوى صاحب المنار في تفسيره لمثل هذا التعسف من التأويل - وتمجده العقول - وان هذه لتعسفات .

في الموضوع الثالث : بل أبدى احتمالا مخترعا في الآيتين - ونحن نرى أن هذا الاحتمال فاسد . ويقال لمؤلف هذا الكتاب : ويجوز انك نقلته استثناسا لرأيك في فهم القرآن .

وحيث ظهر فساد هذا التأويل كان القول بعدمه تكذيبا للقرآن .

في الموضوع الرابع : ونحن والحق يقال في حيرة شديدة من تصرف الاستاذ مؤلف الكتاب - اللهم انا نبرأ اليك من مثل هذه الآراء .

في الموضوع الخامس - نستغفرك اللهم ونتوب اليك سبحانه هذا بهتان عظيم - وهو رأى منقول عن اليهود فكان الواجب عليه التحرز من متابعة اليهود .

في الموضوع السابع : لم يكلف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا .

في الموضوع الثامن : ويدل على خطأ ما رآه وما مال اليه ما لحقنا من الدهشة أنه لم يقف على تلك الأحاديث . وهذا الاحتمال لا يتصور أن يصدر من مثل فضيلة الأستاذ ، بل لا يصح أن يصدر من مسلم .

في الموضوع التاسع : لانفهم السرفى قوله : اقرءوا هذه الآية ، ولا يظن الا أنه كتب هذه الآية في هذا المقام سنهوا .

في الموضوع العاشر : وانما العجب كل العجب من قوله : ويعجبنى قول الالوسى ، فان الناظر في كلامه هذا وتصرفه في النقل يعتقد أن هذا التصرف يعتبر تدليسا غير حميد .

في الموضوع الحادى عشر : أنه في هذه الفتنة أبدى وجهها هو باطل وبعيد ، وأنكر حديثا صحيحا =

ابن ابراهيم قد كفر بعضهم ولعنهم الله وهم بنو الأنبياء ( لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ) .

ذكرت قصة نوح وطوفانه في التوراة بعبارة واسعة ، وهي تخالف ما جاء في القرآن الكريم مخالفة سلبية ، بمعنى أنها سككت عن بعض الأشياء المذكورة في القرآن فلم تتعرض لها ، وهي :

== واستبعد حصول مضمونه - لمثل هذه التكلفات ، بل التعسفات التي ليس لها أساس . فانه يشبه كلام المستشرقين في حق النبي صلى الله عليه وسلم - فكيف استباح لنفسه مثل هذا الكلام . في الموضوع الثاني عشر : باحتمالين ما أنزل الله بهما من سلطان ان لم يكونا فاسدين فهما بعيدان كل البعد - بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين في فن الكتابة .

في الموضوع الثالث عشر : فحكم بذلك بمقتضى عقله . في الموضوع الرابع عشر : جرأة غريبة لا ندرى سبب الاقدام عليها . واذا أراد الاختراع والابداع في الآراء فليبتعد عن مقام الأنبياء . في الموضوع السادس عشر : ولا يوجد نظيره في كلام المبتدئين فضلا عن كلام رب العالمين ( سامحهم الله ) .

تقرير اللجنة الثانية - على مبدأ غير مأمون العاقبة . وجعل الانجيل والتوراة مهمنين على القرآن وهو ايهام شنيع ما كان ينبغي أن يرتكب ، لا يوافق عليه أحد من المسلمين فيما نعلم . نظرت الى حالى والى هذه الروائع الباردة ، فلم أرني أهلا للتحلى بهذه الدرر الغولى التي افاضوها على من آدابهم العالية .

ولقد راودت نفسى على أن أكتب اليهم تحويلا بهذه الجمل التي يفيض الأدب على جنباتها ليقبضوها لأنفسهم وافية غير منقوصة . وتكون بضاعتهم الثمينة قد ردت اليهم ، ولكنى عولت على الاحتفاظ بها تذكارا ثميننا من الفضل والأدب . ولتكون ذخيرة يتنافس فيها المتنافسون من أهل الأجيال الآتية . وليعلم المتأدبون والعلماء الخلقيون شيئا عن آداب أفاضل العلماء في هذا العصر الذى نعيش فيه .

ولست أدري - ولا المنجم يدري - الباعث لحضراتهم على السماح ببذل هذه الفرائد وافاضتها على شخصى الضعيف ؟

كان في حكم الانصاف أن يكون الجواب عن البصل ثوما ، وان أساقبيهم بالكأس التي ساقونى ، واكيل لهم بالكيل الذى كالوا لى به . بل أن آخذ بمذهب أبى العلاء فى الارباء ، وأن أقول لحضراتهم : لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا وأن اتمثل بقول الاول :

وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم  
غير أنى آثرت أن أترك هذا الضرب من القول ، وأكبح جماح القلم وأغص من عنانه ، وأن أقول قادرا غير عاجز :

غفونا عن بنى ذهل      وقلنا القوم أخوان  
عسى الأيام أن يرجع -      من قوما كالذى كانوا

هذا ولانى أنزه قللى عن أن يغمس فى مداد لا أرتضيه . رلا أحب أن يؤثر عنى الا ما يعلى منزلتى ويغلى قيمتى - والرابع فى تجارة السباب خاسر .

وأخرى : أحب أن يعلموا أن فى اللغة العربية أسلوبا سوى أسلوبهم الذى كتبوا به . وأن فى أيدى غيرهم أقلاما يبرونها على غير طريقتهم .

لهذا سيجدنى القارئ الكريم حافظا من كرامتهم ما لم يحسنوا حفظه ، مراعيًا من شعورهم ما لم يقدرُوا على مراعاة مثله من شعورى ( وكل امرئ ميسر لما خلق له ) .

ثالثا - كانت الاشاعات التى أشيعت حول كتابى « قصص الأنبياء » والمثير الذى أثير حول اسمى ، والارجافات التى ملأت سمع الأرض وبصرها عنى ، وشرقت حتى لم تجد من مشرق ، وغربت =

(١) مسألة ابن نوح واسمه « كنعان » كما يقول بعض المفسرين ؛ فان القرآن تعرض لها وذكرها . والتوراة لم تذكر أنه كان له من الأولاد سوى : سام ، وحام ، ويافت .

(٢) مسألة زوج نوح : لم تذكر أن نوحا كانت زوجته كافرة وهلكت مع قومه الهالكين ؛ بل ذكرت أنه أمر أن يدخل زوجته السفينة مع من دخلها من المؤمنين ، فدخلت ونجت ؛ وهذا

= حتى لم تجد من مغرب ، يعزيني عن الألم بها ما كنت أنتظره من تقريرهم البديع، الذي سيحوى من العلم الناضج والحجج الدامغة والآيات الباهرة والحكمة الحسنة : ما لم يره الرائون . ولم يرو مشله الراوون - واتخيل انى سأحوز من كنوز علمهم الجم ما لم يعثر النطف على بعضه ، ولم تطلق خزائن قارون على مثله ، ولم يشتمل صدر لقمان على معشاه ، وانتظر صدور تقرير «التقد» انتظار الظمان للماء والمريض للشفاء . . وبعد لاي ظهر التقرير بعد البحث والدرس والاستقصاء، والاستعانة على الابانة ، وبعد سلخ شهور كثيرة . فلم أجد ما يشفى أو يكفى ، ولم أظفر منه بما يذهب الحيرة ، أو يرشد من ضلالة ، أو ينقذ من جهالة ، وإذا انتظاري للشفاء بهذا التقرير كان منى ( ضلالا ما أردت به ضلالا ) ؟

وأصبحت من ليلى الغداة كقايض على الماء خائنه فروج الأصابع  
أجل ، كنت أنتظر من اللجنة أن تأتي فى كل ما تراه مخالفة تمس الدين بما يجهز على قول أو رأيي من نص قطعى الثبوت والدلالة يدل على نقيض ما نصصته من قول أو رأي ، فلا يكون بعد ذلك الا الاذعان والاقرار منى بالحق الذى ليس له دافع ، لا أن تضرب أقوالا بأقوال : ( ليست بنبع اذا عدت ولا غرب ) .

ان القول من الأقوال التى تورد فى مسألة من المسائل . لا يكسر بدليل ظنى . وأقوال المشايخ المتقدمين التى يوردونها ليست قولا فصلا يحول دون تفكير المفكرين وفهم الفاهمين فى المسائل التى للفهم والتفكير فيها مجال ، لأنها ليست نصا قطعى الثبوت والدلالة .  
وانى لا أريد أن أستوفى كل الكلام فى هذا الموقف . بل أتركه الآن حتى اذا مر موضوع من الموضوعات التى اعتبروها مأخذ على ، أفى كل موضوع بما يناسبه - وانى أوجه نظر القارئ الى الدستور الذى نصصته بآخر مقدمتى لهذا الكتاب .

### نقد اللجنة عن هذا الموضوع

( موضوع ابن نوح )

ذكرت فى صفحة ٤٧ سطر ٣ من الطبعة الاولى وصفحة ٥٤ سطر ١٠ من الطبعة الثانية مانصه :  
وقال غيرهم انه كان من الزنا ونوح لا يعلم بذلك ، الى قولى : لا أقول انه من الزنا الخ .

### رأى اللجنة

يكفى أن نذكر هنا ما قاله أئمة التفسير فى هذا الموضوع ليعلم أن قوله : وقد فات هؤلاء الخ جراءة غريبة لا ندرى سبب الاقدام عليها . قال الامام الرازى فى تفسير قوله تعالى ( وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه ) ما نصه : القول الثالث : أنه ولد على فراشه لغير رشدة ، والقائلون بهذا القول اجتجوا بقوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط ( فخانتاهما ) وهذا قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة لا سيما وهو على خلاف نص القرآن ، أما قوله تعالى ( فخانتاهما ) فليس فيه أن تلك الخيانة انما حصلت بالسبب الذى ذكره . قيل لابن عباس رضى الله عنهما : ما كانت تلك الخيانة ؟ فقال : كانت امرأة نوح تقول : زوجى مجنون ، وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به . ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى ( الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ) وأيضا قوله تعالى ( الزانى لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) اه كلام الامام الرازى بالحرف .

وقال العلامة الالوسى فى تفسير الآية السابقة ما نصه : وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله سبحانه ( فخانتاهما ) فارتكاب عزيمة لا يقادر قدرها، فان الله تعالى قد طهر الانبياء عليهم السلام عما هو دون ذلك من النقص بمراحل ، فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار اليهم بأصبع الطعن، وانما المراد =

ليس دليلا على أن نوحا لم تكن له زوجة كافرة ، لاحتمال أنه كان له زوجتان : احدهما كافرة هلكت ، والأخرى كانت مؤمنة نجت .

( ٣ ) بقيت مسألة ثالثة : وهى أن القرآن لم يتعرض لعموم كل الأرض بالطوفان ، والتوراة

= بالحياة الحيانة فى الدين ، ونسبة هذا القول الى الحسن ومجاهد كما زعم الطبرى كذب صريح اه المقصود منه .

وقال العلامة أبو السعود فى تفسير الآية المذكورة ما نصه بالحرف : وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله ( فخانتاهما ) فارتكاب عظمة لا يقادر قدرها ، فان جناب الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أرفع من أن يشار اليهم بأصبع الطعن ، وانما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين اه . وقال العلامة البيضاوى فى تفسير الآية السابقة ما نصه :

وكان لغير رشدة لقوله تعالى ( فخانتاهما ) وهو خطأ ، اذ الانبياء عصمت من ذلك ، والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين اه .

وأما ما أستند اليه فى عدم استبعاد أن تكون امرأة النبی زانية من القياس على الكفر الذى هو أشد ذنبا من الزنا ، وامرأة نوح كانت كافرة ، وقد ضربها الله مثلا فى الكفر ، ومن أتى الذنب الأكبر يهون عليه الاتيان بالأصغر فواضح البطلان ، لأن كفر المرأة وإن كان أكبر الكبائر لا يعود ضرره الا عليها ولا يلحق الزوج منه عار ولا فضيحة بين الناس ، ولذلك أباح الله للمسلم أن يتزوج من الكتابيات الكافرات ، بخلاف زناها فانه وإن كان أصغر من الكفر لا يقصر ضرره عليها وحدها بل يلحق الزوج أيضا بسببه عار وفضيحة بين الناس فى مطرد العادة بحيث يكون بحالة لا يستطيع معها مجالسة الناس .

ونظن أن ما ذكره واضح لا يختلف فيه اثنان ، فكان الواجب على فضيلة المؤلف أن يوافق الأئمة فيما قرره . وإذا أراد الاختراع والابداع فى الآراء فليبتعد عن مقام الانبياء والرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فان فى الحوادث التاريخية التى حدثت من آحاد الناس غير الانبياء متسعا للجميع ، والله أعلم .

### الجواب عن النقد

انى نصصت فى كتابى ما نقله أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وبينت أن ابن نوح كان ابنا له حقيقة كما سماه الله ابنه ولم يكن لغير رشدة - وناقشت المبدأ الذى يستمسك به القائلون بأن نساء الانبياء لا يمكن أن تكون احدهن زانية قائلا : وقد فات هؤلاء أن الكفر أشد ذنبا من الزنا ، وامرأة نوح قد ضربها الله مثلا فى الكفر ، ومن أتى الذنب الأكبر يهون عليه أن يأتى بما هو أصغر منه وإن كنت لا أقول أنه من الزنا . فالقارىء يرانى قد استمسكت بأن ابن نوح له ولم يكن لغير رشدة ، ولكنى ناقشت المبدأ فقط ، ولم أقذف امرأة نوح بالجريمة ، ولكنى عدت اتيانها من قبيل الممكن ، ومناقشتى هذه لا تعدو أن تكون كقول الأصوليين : يجوز أن يكلف الله تعالى بالمحال ولكنه لم يقع ، وكقول بعض المتكلمين : أن الكفر جائز على الانبياء عقلا ، ولكنه غير واقع فعلا . ولكن أصحاب الفضيلة قد شنوا على غارة شعواء وأجلبوا بخيلهم ورجلهم واستجاشوا على الفخر الرازى والألوسى وأبا السعود والبيضاوى حاسبين أن قولى : وقد فات هؤلاء . الخ : جراءة غريبة .

ان قليلا من التدبير يهدى حضرات الأفاضل الى أن الكلام الذى ساقوه عن الفخر الرازى غير موجه الا الى الدين فطعوا بأن ابن نوح كان لغير رشدة ، وأن امرأة نوح أتت به من الزنا على فراشه وانا لست من هذا الفريق ، وانما أنا مناقش المبدأ فقط .

وانى مع اجلال لموضع الفخر الرازى من العلم وتعويل على كثير من آرائه القيمة اراه لم يصب المحز فى قوله : ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى ( الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ) وأيضا قوله تعالى ( الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) فقد كان نوح ولوط طيبين وقد تزوجا من خبيثتين . وكان فرعون خبيثا متزوجا من طيبة ، وانما محمل ذلك على الأمر اللائق بالطيبين أنهم لا ينكحون ولا يليق بهم الا الطيبات ، واللائق بالطيبات أنهم لا يرغبن الا فى =

تعرضت لذلك ونصت على أن الأرض قد علاها الماء خمس عشرة ذراعاً ، وبأد كل ذى حياة من انسان ووحش وطيور ودبابات على وجه الأرض ؛ والقرآن لم يذكر الا اغراق قوم نوح وامراته .

= نكاح الطيبين الخ . وأما الآية الثانية فقد كان ذلك فى صدر الاسلام حين لم يكن ممنوعاً تزوج المؤمن بالمشركة ولا تزوج المشركة بالمؤمن ، ولا اقتصر فى هذا الموضع الا على قلم الفخر الرازى نفسه ففیه البيان الشافى الكافى حيث قال فى تفسير قوله تعالى ( الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ) .

قال فى تفسير هذه الآية ما نصه :  
قرئ « لا ينكح » بالجزم على النهى . وقرئ « وحرم ذلك على المؤمنين » بفتح الحاء ، ثم ان فى الآية سؤالين :

السؤال الأول - قوله ( الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة ) ظاهره خبر ، ثم ان الامر ليس كما يشعر به هذا الظاهر ، لانا نرى أن الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة . والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف .

السؤال الثانى - انه قال ( وحرم ذلك على المؤمنين ) وليس كذلك ، فان المؤمن يحل له الزواج بالمرأة الزانية - والجواب :

اعلم أن المفسرين لأجل هذين السؤالين ذكروا وجوها وأحسنها ما قاله الفقهاء وهو :  
أن اللفظ وان كان عاماً لكن المراد منه الأعم الأغلب ، وذلك لأن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والفسق لا يرغب فى نكاح الصالح من النساء ، وانما يرغب فى فاسقة خبيثة مثله أو فى مشركة ، والفاسقة الخبيثة لا يرغب فى نكاحها الصالح من الرجال وينفرون عنها ، وانما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين ، فهذا على الأعم الأغلب ، كما يقال « لا يفعل الخير الا الرجل التقى » وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذا ههنا . وأما قوله ( وحرم ذلك على المؤمنين ) فالجواب من وجهين : أحدهما - أن نكاح المؤمن المدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه ، لما فيه من التشبه بالفساق وحضوره موضع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه . والغيبة ومخالطة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام ، فكيف بمزاوجة الزوانى والفجار !

الثانى - وهو أن صرف الرغبة بالكلية الى الزوانى ، وترك الرغبة فى الصالحات : محرم على المؤمنين ، لأن قوله ( الزانى لا ينكح الى زانية ) معناه أن الزانى لا يرغب الا فى الزانية ، فهذا الحصر محرم على المؤمنين . ولا يلزم من حرمة هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية ، فهذا هو المتعمد فى تفسير الآية .

وانى لأقتصر من نقل كلام الامام الرازى على ذلك وأقول : كان بودى أن يسأل حضرات أعضاء اللجنة تلاميذهم من قضاة المحاكم الشرعية عن هذا الحكم ، ليعلموا أن المحاكم الشرعية تلتفى النكاح بين مؤمنة زانية ومشرک ، كما تلتفى بين مشركة عفيفة ومؤمن زان ، وأنها تجيز نكاح المؤمنة العفيفة للمؤمن الزانى وبالعكس .

قال حضرات أعضاء اللجنة والمفسرون ما معناه أن كفر المرأة ضرره عائد عليها وحدها وأما زناها فضرره لاحق بزواجها لأنه يكون عارا عليه وهجنة .

أقول : ان عار زنا المرأة والهجنة على زوجها منه لا يكون الا اذا اشتهر ذلك منها وعلم به زوجها وأبقاها فى عصمته دون أن يفارقها ، فأما حصول ذلك من المرأة فلتة أو فى حال خفية بحيث لا يعلم بذلك أحد ولا يعلم به هو ، فأى هجنة عليه فى ذلك ؟ وأقول كما قال حضراتهم : ان ذلك بديهي لا يختلف فيه اثنان .

ولسمى لقد أثبت حضرات أعضاء اللجنة وكل من يقول بقولهم العصمة عن الزنا لنساء الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون أن يكون بيدهم دليل قطعى على ذلك . وإثبات العصمة لمن لم يثبت الله له العصمة عن شئ : لا يليق ممن يستبرىء لدينه ، وهو كإنكار عصمة من أثبت الله له العصمة .

وبعد هذا فهل كان القائلون بعصمة نساء الانبياء عن الزنا أعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الحكم حتى علموه هم وجهله رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

وأنه جعل ذريته هم الباقين ، ولم يذكر عموم الأرض ولا ارتفاع الماء خمسة عشر ذراعا فوق الجبال ، وهذه الآيات التي ذكرت في التوراة .

= رميت عائشة الصديقية رضى الله عنها بالزنا مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ، وتحدث الناس بهذا الافك ، وتغير رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة ، ولو كان رسول الله يعلم أن نساء الانبياء معصومات من الزنا لبادر باعلام الناس ذلك ولم يبق الناس فى أمر مريج شهرا تقريبا .

قالت عائشة : « وقد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبوى ولا يذكران لى منه شيئا ، الا انى أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه ، فكان اذا دخل على أُمى تمرضنى يقول : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك » .

أقول - لعمري لم تغير رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة ولم يظهر لها البشاشة التي كانت قد تعودتها منه اذا كان يعلم أن نساء الانبياء معصومات من الزنا ؟

قالت « وقد استمر الامر بين الناس حتى تشاوروا وكاد يكون بينهم شر ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا على بن أبى طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأننى خيرا ، وأما على فقال : ان النساء كثير وسل الخادم تصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة يسألها ، فقام اليها على فضربها ضربا شديدا وهو يقول : اصدقنى رسول الله . فقالت والله ما أعلم الا خيرا ، وما كنت أعيب عليها الا أنها كانت تنام عن عجبتها فيأتى الداجن فيأكله ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبوى وامرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا عائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فان كنت قارفت سوءا فتوبى الى الله » .

فهل طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عائشة أن تتوب الى الله ان كانت قد قارفت ذنبا وهو يعلم أن نساء الانبياء معصومات من الزنا ؟ - من ذلك كله استبان أن زوجات الانبياء غير معصومات من الزنا ، وأقول أيضا ليس كل غير معصوم عن معصية يأتيتها .

قالوا : فكان الواجب على فضيلة المؤلف أن يوافق الأئمة فيما قرروه - يريدون المفسرين .  
أقول - باى كتاب أم بأية سنة الغنى عقلى وفهمى وأفنى شخصيتى فى متابعة قوم اجتهدوا فأخطأوا وقد بان لى وجه الصواب فى أن أسلك حسب ما هدانى اليه التفكير الصحيح ، مستهديا بهدى الله تعالى وكتابه وسنة رسوله ؟

قالوا - واذا أراد الاختراع والابداع فى الآراء فليبتعد عن مقام الانبياء والرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أقول - ان حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة يشبهون فى كتابتهم من يدعى أنه يملك انبياء الله تعالى ورسله بوضع اليد ويحتكر محبتهم والدفاع عنهم دون خلق الله تعالى .  
دعواى أناس توجب الشك فيهم فان لزموا دعواهم فالزم الدفاع

ان الانبياء والرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انما أرسلهم الله لهداية البشر وجعلهم أئمة الأمم وقادة الشعوب الى الخير والأدلاء على الله تعالى بأمره ، ومحبتهم فرض على المؤمن .

واعتماد الخير فيهم واجب ، والخروج بهم عن أطوارهم التي لهم بما هم أئمة ورسول واطراؤهم اطراء لم يأذن به الله مضر بالمعتقد كالنزول بهم عن مراتبهم والخط من كرامتهم ، فلا يحسن الكلام فى شأنهم الا من عرف منزلتهم من الله ولم يجاوز بهم أقدارهم ولم ينزل بهم عن مكانتهم منه تعالى .

قالوا - فان فى الحوادث التاريخية التي حدثت من آحاد الناس غير الانبياء متسعا للجميع .

أقول - كلا - ليس فى حوادث التاريخ متسع للجميع كما تقولون ؛ لان التاريخ باب لا يلجحه الا أهل الفطر السليمة والفظن المنزهة عن شوائب الحرافات والآنفس التي سبورت أحوال الأمم وخبرت الاخلاق ، ولا يدرك وطره من هذا العلم الا من بحث ودرس ولم ينتقل من التحديق الا الى التحقيق وأحاط بما تمكن الاحاطة به من سنن العمران البشرى ، وغاص فى أعماق العلوم ، وبرع أمثاله فى الكياسة ، واستدل على ما جهل بما علم ، وقايس بين الاشياء والأمثال ، وأمسك بيده مصباحا من الماضى يضيء به المستقبل حتى صار : \* الألعى الذى يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمع \* .

## قصة نوح في التوراة

لا أريد أن أطيل بنقل الكلام في أهل الأرض وفسادهم وكفرانهم نعمة الله عليهم ، وأمر نوح بعمل الفلك وما يأخذه من الناس والحيوان والطيور ، ولكنى أعمد الى المقصود وهو ما أذكره بهامش هذه القصة (١)

= وحاصل المسألة بينى وبين أعضاء اللجنة المحترمين أنى لا أقول بعصمة نساء الأنبياء عن اقتراف جريمة الزنا ، ولا أقطع بأن زوجة واحد منهم قد اقترفت هذه الجريمة ، وأقرر ما قرره الله تعالى من أن ابن نوح الذى كان من المفرقين هو ابنه كما هو ظاهر القرآن الكريم ولا أقرف زوجة ذلك النبی الكريم بأنها أتت به على فراشه لغير رشدة ، ولا أقرف زوجة غيره .

أما حضرات أصحاب الفضيلة فيقولون بعصمة نساء الأنبياء من الزنا .  
والخلاصة أن نساء الأنبياء غير معصومات . وما قالوه من الهجنة التى تلحق النبى لا تكون الا اذا عرف ذلك عن زوجته أو علمه الناس وعلم هو به وأمسكها ولم يفارقها ؛ فكلام حضراتهم وكلام المفسرين فى فرض غير موجود فى مسألتنا .

وبعد ذلك أقول لحضرات الناقدين : أنتم أعلم أم الله ؟ فان الله تعالى يقول لنساء النبى صلى الله عليه وسلم : يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين - وما وضع الله تعالى تلك العقوبة المضاعفة الا وهو يعلم أن الذنب الذى تترتب عليه هذه العقوبة المغلظة ولا شك فى أن الزنا فاحشة ، كما قال تعالى ( ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ) فهذه آيات الكتاب ناطقة بما ذهبت اليه ؛ فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟ .

قد يقولون : أن الفاحشة فى الآية يراد منها شئ غير الزنا ، لأن الأنبياء معصومون من أن تزنى نساؤهم كما قال المفسرون ذلك .  
أقول : يمنع من ذلك أمور :

( أولا ) أنكم متهافتون فى قولكم الأنبياء معصومون من أن تزنى نساؤهم لأن الشخص انما يعصم عن عمل يعمل ولا يعصم من أن يعمل غيره ، فهذه الصيغة الظاهرة التعسف لا تنحل الا الى عصمة نساء الأنبياء من ذلك .

( ثانيا ) أن الآية ظاهرة فى أن العذاب على تلك الفاحشة يكون مضاعفا ، وعلى ذلك فالعذاب الذى يستحقه غيرهن على تلك الفاحشة محدود معلوم ، والفاحشة التى عذابها معلوم هى الزنا ( الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) فأرونى أية فاحشة يفعلها الانسان وجزاؤها عذاب محدود سوى الزنا ؟

( ثالثا ) : أن الله سمى جزاء الفاحشة عذابا . ولم يسم عقوبة من العقوبات التى تنال الانسان على فعل فاحشة عذابا سوى الزنا ( وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ) - ففى انصاف القارىء ما يبين به العاطل من الحال .

(١) ص ٧ تكوين (١١) فى سنة ستمائة من حياة نوح فى الشهر الثانى فى اليوم السابع عشر من الشهر فى ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفجرت طاقات السماء (١٢) وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة (١٣) فى ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافت بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك (١٤) هم وكل الوحوش كأجناسها ، وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التى تدب على وجه الأرض كأجناسها ، وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كل ذى جناح (١٥) ودخلت مع نوح الى الفلك اثنتين اثنتين من كل جسد فيه روح حياة (١٦) والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذى جسد كما أمره الله وأغلق الرب عليه (١٧) وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض (١٨) وتعاطمت وتكاثرت جدا على الأرض فكان الفلك يسير على وجه المياه (١٩) وتعاطمت المياه كثيرا جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل الماء (٢٠) خمسة عشر ذراعا فى الارتفاع تعاطمت فتغطت الجبال (٢١) فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التى كانت تزحف على الأرض وجميع الناس (٢٢) كل ما فى أنفه نسمة حياة من كل ما فى اليابسة مات =



## ملاحظة

يميل بعض المفسرين الى أن قوله تعالى ( وفار التنور ) يشير الى أن سفينة نوح كانت بخارية مستدلا بقوله ( وفار التنور ) . وأن قوم نوح كانوا قد بلغوا في المدنية شأوا بعيدا فاستخدموا البخار وأجروا به السفن . ولست أميل الى هذا لأنه يقتضى أن التنور يفور من نفسه ، بل الذى أفهمه أن الأرض لما هيا الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء من تحتها اشارة الى قربها ، ففار تنور أهله الذى يخزون فيه .

## تنبيه

والى القراء مسألة لم أر لأحد من المفسرين كلاما فى شأنها : ذلك أن المتأمل فى الكتاب الكريم يرى أن ابن نوح قد هلك بدعوة أبيه نوح عليه السلام ، فانه لما دعا على قومه بقوله : ( رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ) لم يستثن ابنه وقد كان كافرا ، فدخل فى عموم من دعا عليهم نوح بالهلاك : هذا أولا . وثانيا : أن نوحا دعا ربه فقال ( رب اغفر لى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ) لم تشمل هذه الدعوة ابن نوح ، فانه واز كان قد دخل بيته فلم يكن مؤمنا ؛ فكأنه مستثنى من هذه الدعوة . ثالثا : أنه قال بعد ذلك ( ولا تزد الظالمين الا تبارا ) فكان ابنه داخلا فى عداد الظالمين ، لأنه كان كافرا والظلم هو الكفر .

## قصة الطوفان فى أساطير الثقافة الوثنية الهندية

نقلا عن « تاريخ الأدب الهندى » الجزء الأول المختص بالثقافة الوثنية الهندية للسيد أبى النصر أحمد الحسينى البهوبالى الهندى ( مخطوط ) صفحة ٤٢ و ٤٣ .  
قال فى الباب الخامس وعنوانه « برهمانا وأوبانبشاء » :

= (٢٣) فمحا الله كل قائم على وجه الأرض الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الأرض وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط (٢٤) وتعاطمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوما .

ص ٨ تكوين (٣) ورجعت المياه على وجه الأرض رجوعا متواليا وبعد مائة وخمسين يوما فنقصت المياه واستقر الفلك فى الشهر السابع من اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراط (٥) وكانت المياه تنقص نقضا متواليا الى الشهر العاشر وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال ، (١٣) وكان فى السنة الواحدة والستمائة فى الشهر الأول أن المياه قد نشفت على الأرض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فاذا وجه الأرض قد نشف (١٤) وفى الشهر الثانى فى اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض (١٥) وكلم الله نوحا قائلا (١٦) أخرج من الفلك أنت وامراتك وبنوك ونساء بنيك معك (١٧) وكل الحيوانات التى معك من كل ذى جسد . الطيور والبهائم وكل الدبابات التى تدب على الأرض اخرجها معك ولتتوالد فى الأرض وتثمر وتكثر على الأرض .

وهذا معنى قوله تعالى فى القرآن الكريم ( قيل يانوح اصط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ) .  
وعلى ذلك يكون نوح والذين معه فى الفلك قد أقاموا بها مئة تامة وعشرة أيام .

ومما يلفت النظر في « ساتا بانا برهمانا » قصة الطوفان التي بينت في ضمن بيان الضحايا . والقصة وإن اختلفت من وجوه كثيرة عما في القرآن والتوراة ، وإن لم يوجد شواهد قاطعة تربط القصة الهندية مع السامية . توجب الاهتمام ؛ ففي هذه القصة البرهمانية يقوم « مانو » بدور سيدنا نوح في القرآن وفي التوراة ، و « مانو » اسم نال التقديس والاحترام في أدب الثقافة بأسره من الوثنيين ، فهو ابن الله ومصدر جميع الناس وجدهم الأسطوري . وخلاصة القصة أنه بينما كان « مانو » يغسل يديه اذ جاءت في يده سمكة . ومما اندهش به أن السمكة كلمته وطلبت انقاذها من الهلاك ووعدته جزاء عليه أنها ستنقذ « مانو » في المستقبل من خطر عظيم . والخطر العظيم المحدث الذي أنبأت به السمكة كان طوفانا سيجرف جميع المخلوقات ؛ وعلى ذلك حفظ « مانو » السمكة في المرتبان . فلما كبرت أخبرت « مانو » عن السنة التي سيأتى فيها الطوفان ثم أشارت على « مانو » أن يصنع سفينة كبيرة ويدخل فيها عند طغيان الماء قائلة « أنا أنقذك من الطوفان » فمانو صنع السفينة . والسمكة كبرت أكثر من سعة المرتبان لذلك ألقاها في البحر ؛ ثم جاء الطوفان كما أنبأت السمكة وحين دخل « مانو » السفينة عامت السمكة اليه ، فربط السفينة بقرن على رأسها فجرتها الى الجبال الشمالية ، وهنا ربط « مانو » السفينة بشجرة . وعندما تراجع الماء وخف بقى « مانو » بوحدته .

هذه هي قصة الطوفان وأهميتها الحقيقية ليست في الاتصال الموعز في كلمات مانو ، والسفينة والطوفان الى نوح ، والسفينة والطوفان بل في النور الذي ترميه القصة في كشف التاريخ الابتدائي لطقوس القربان ، وهو يرى في الخطوة التي يتخطى بها « مانو » لنيل القوة الخارقة لايجاد الخلق . ففي بادىء الأمر « مانو » المتمنى للخلف انهك في العبادة والمجاهدة . ثم قام بضحيته المسماة « باكا » ومن ثم خلفت المرأة بعد سنة ؛ فالمرأة أخبرت « مانو » أنها بنته لأنها خلقت من ضحيته وقالت له : أنا بركة استعملنى في القربان وأنت تصبح غنيا في الأخلاق والمواشى . فمانو على ذلك استمر في العبادة والمجاهدة مع المرأة . وبواسطتها هو أنتج هذه الذرية ، فهي ذرية مانو ، وأى نعمة طلب مانو بواسطتها أعطيت له .

### عمر نوح

ذكر الكتاب الكريم أن نوحا مكث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وذكرت التوراة أن آدم عمر ثلاثين وتسعمائة سنة وذكرت أيضا أن الطوفان ابتداء في السنة الأولى بعد ستمائة من ولادة نوح عليه السلام وذكرت كثيرا من الأنبياء وغيرهم وأنهم عمروا عمرا طويلا — ونحن لا نجد معمرا يعمر مثل هذا العمر أو نصفه أو ربعه من زمن طويل ، وهؤلاء الفراغة في مصر نجد أجسامهم كأجسام أهل هذه الأيام ، وأعمارهم لا تختلف عن أعمارنا ، وقد مر لهم أربعون قرنا أو أكثر ، فكيف يكون ذلك ؟

والذى أراه أنه لا مانع من أن يعمر آدم ومن قرب منه أعمارا طويلة ، لأن النوع الانسانى كان فى بدء نشأته لم يحمل هموما ولم تعتوره الأمراض المختلفة ولم تنهك قوته الأطعمة التى لا يقدر على هضمها ، فكان من المعقول أن يعيش طويلا . وأما نحن وأمثالنا ممن كانوا قبل أربعين قرنا فقد جئنا بعد أن أنهكت النوع الانسانى الأمراض وطحنته الأدوية ؛ فالواحد منا عصارة لآلاف الأمراض التى انتابت آباءه وأمهاته ، فلم تعد قوانا تتحمل العمر الطويل .

وعند العلماء بالطب والأحوال الاجتماعية أن الانسان قواه محدودة والحياة العريضة تستنفدها بسرعة بخلاف الحياة الضيقة ، فانها تكون طويلة لقله ما يستنفد من قوى الأجسام بتلك الحياة ؛ فنحن الآن لا نعيش عيشة البساطة التى كان يعيشها آدم ومن قرب منه ، بل نتفنن . فى أنواع الطعام ولذا نذ المعيشة بما ينهك قوانا ؛ فلا غرابة أن تكون أعمارنا قصيرة ، وقد اجتمعت عليها الأمراض المتوارثة والتبسط فى العيش . ويقول بعض الأطباء الألمان : ان انسان هذا الزمان يمكن أن يعيش ثلاثمائة سنة اذا اتبع نظاما خاصا .

وهنا رأى آخر : وهو أن الأقوام الأولين كانوا يعدون كل شهر عاما ؛ فاذا قالوا ألفا ومائتى سنة فانما يعنون مائة عام من أعوامنا . وقد أشار الى ذلك المعرى بقوله :

وَرَوَّاهُ لِلْمَعْرَيْنِ أَمْوَرًا \* لست أدري ما هُنَّ فى المشهور  
أَتَرَاهُمْ فِيمَا تَقَعَّى مِنَ الْأَيَّامِ عَدَّوْا سَنِيَهُمْ بِالْمَشْهُورِ  
كَلِمًا لَّاحَ لِلْعَيُورِ هَلَالٌ \* كان عاما لديهم فى الدهور  
هَكَذَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فِإِنَّ الْ \* عَمَلٌ يَثْنِي فِي حَالَةِ الْمَبْهُورِ

ولكنى متمسك برأى وهو الأول وان كان بعض الأطباء يرى الاصابة بالأمراض تورث نسلهم مناعة .

## قيلتا عاد وشمود

لما كانت قبيلة عاد قوم هود من أقدم الأمم وجودا وآثارا فى الأرض كما قال تعالى ( واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ) وليس من البعيد أن يكونوا أقدم من ابراهيم وكان قوم شمود يتلون قوم عاد فى الوجود والظهور بين الأمم ، كما قال تعالى على لسان صالح عليه السلام ( واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ) أحببت أن أذكر قوم عاد ثم أثنى بشمود ، ثم أذكر بعد ذلك ابراهيم ثم الأنبياء من عقبه ليكون ذكرهم فى نسق . مخالفا فى ذلك الترتيب الذى رتبته فى الطبعة الأولى لأننى بهذا الترتيب أوثق واليه أميل .

## ٩ - هُود عليه السلام

### وشأنه مع قبيلة عاد

عدد مرات ذكر هود في القرآن - نسبه - مساكن عاد -  
عبادتهم - هلاك عاد - العبرة من قصة هود مع قومه .

ذكر هود في القرآن الكريم سبع مرات . فذكر في سورة الأعراف في الآية ٦٥ وفي سورة هود في الآيات ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٩ وفي سورة الشعراء في الآية ١٢٤ .

واعلموا - وفقني الله وإياكم - أن عاداً لم تذكر في كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم ؛ وليس بيد أحد من الناس من أخبارهم ما يوثق به ويصح التعويل عليه ، سوى القرآن وحده ، فقد ذكر مساكنهم وأحوالهم وجسامة أجسامهم وقوتهم وما كانوا ناعمين فيه من خصب ورغد عيش ، وما استمسكوا به من الكفر والأوثان وعتوهم وفسادهم في الأرض وتماديهم في الاستمسك بعبادتهم الباطلة وما بذل هود في سبيل هدايتهم وردمهم عن فاسد اعتقادهم ، وما قابلوه به من العناد والسخرية والاستهزاء إلى أن تأذن الله بهلاكهم .

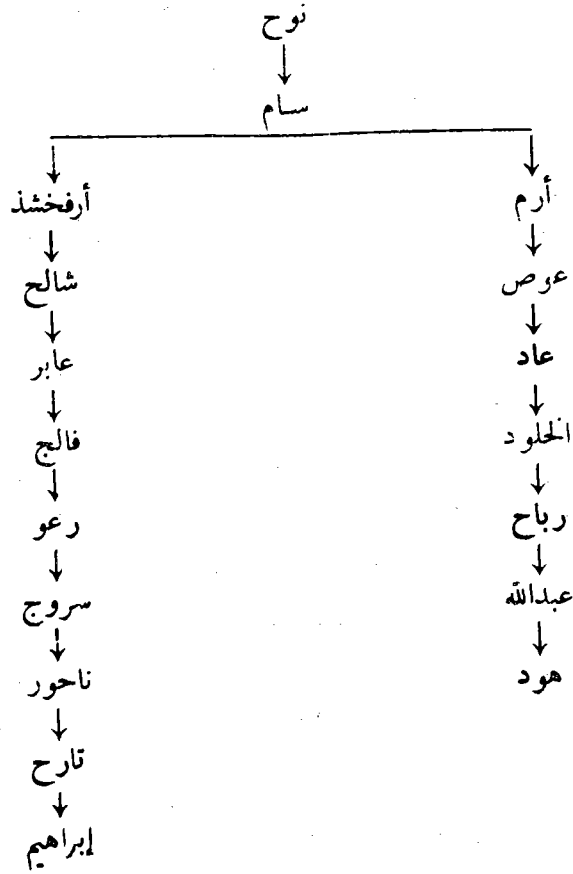
فعلى ضوء ما جاء في القرآن الكريم نقص قصصهم مع هود رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما جاء في أثناء القصة مما لا يدل عليه القرآن الكريم فليس يبلغ الشيء القطعي ولا الشيء المؤرخ المأخوذ عن المصادر ذات القيمة التي سجلها التاريخ ؛ وإنما هي آثار أثرت عن بعض أهل العلم . هي دون التاريخ .

أما « عاد » فهو اسم لأبى القبيلة وقد اشتهر أنه اسم عربي ، ويقول سيبويه : انه أعجمي ، اذ يقال ان أول من نطق بالعربية « يعرب » . وعن ابن عباس أن هوداً أول من نطق بالعربية ؛ ولكننا اذا قدرنا صحة ما يقال من أن العرب انما سموا عرباً لأنهم سكنوا غربي الفرات ، فكانوا بادية الآراميين ، وأن الأمم التي أطلقت عليها اسم «عرب» انما تنطق الغين المعجمة عينا مهملة، وأن قبيلة عاد وغيرهم من العمالة وسواهم هم الذين ينطبق عليهم هذا الاسم حكماً بأنه عربي كما هو المشهور (١) .

ويقال ان هوداً هو ابن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وعلى هذا الرأي محمد بن اسحق وبعض القائلين بهذا يقولون ان هود ابن عم أبي عاد ، وقيل ابن عوض ابن أرم بن سام بن نوح ، وقيل عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوض بن أرم بن سام .

(١) يرى صاحبنا الدكتور اسراييل ولفنسون أن لفظ عبري وعربي شيء واحد من العبور وهو الارتحال حصل فيه قلب مكاني فصار لفظ « عبري » عربي .

وهاكم عمود النسب لكل من هود و ابراهيم عليهما السلام .



واذا قارنا بين نسب هود و ابراهيم عليهما السلام وجدنا هذا النسب أقرب الى القبول من غيره ؛ اذ بين هود وسام ستة أشخاص على عمود النسب ، وبين ابراهيم وسام ثمانية أشخاص على عمود النسب . والمشهور من أقوال من يتعرضون للكلام عن عاد أنهم بادوا بعد وجود ابراهيم وبناء البيت بمكة . ومن المحتمل أن عادا كانوا أطول أعمارا كما كانوا أكبر أجساما . وأما من يقول ان هودا هو ابن عوص بن أرم فقد أبعد في الشطط ؛ اذ في هذه الفترة القصيرة من الزمن يبعد كل البعد أن يتوالد لأرم قبيلة كبيرة ضخمة تعمر الأرض وتعتز بقوتها بالحال التي كانت عليها عاد ؛ فقد كانوا أهل زرع وضرع وعمرؤا البلاد وأذلوا العباد ؛ كما يشهد بذلك قول هود لهم ( أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . واذا بطشتهم بطشتهم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ) .

## مساكن عاد

كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف ، وهي تقع في شمال حضرموت ، وفي شمالها الربع الخالي ، وفي شرقها عمان ، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم ، ولم يتعرض أحد من الأوربيين الباحثين والمنقبين الى الكشف عن بلادهم والتنقيب في أرضهم ؛ ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار وأبان عن مدينة عظيمة مطمورة تحت تلك الكثبان وقد أخبرني السيد عبد الله بن أحمد بن عمر ابن يحيى العلوى من أهل حضرموت أنه قام في جماعة الى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت ونقب فيها وعثر على بعض الآنية من المرمر عليها كتابة بالخط المسماى ؛ ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو له وانتقال كاهله بالمطالب المالية (١) .

## عبادتهم

كان قوم هود أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى : ضاهوا في عبادتها قوم نوح حين عبدوا ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا . وفي أثر مروي عن ابن عباس أنهم اتخذوا صنما يقال له صمود وصنما يقال له الهتار ؛ فبعث الله اليهم هودا . وكان هود من قبيلة يقال لها الخلود ، وكان من أوسطهم نسبا وأصبحهم وجها ، وكان في مثل أجسادهم أبيض بادي العنفة طويل اللحية ، فدعاهم الى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا ذلك وكذبوه وقالوا ( من أشد منا قوة ) ٤٩٧ ج ٨ تفسير المنار .

كان هود عليه الصلاة والسلام ينذر قومه ويحذرهم بأس الله ويضرب لهم المثل بقوم نوح ويذكرهم بنعم الله تعالى عليهم : اذ زادهم في الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح ، وبوأهم أرضا تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع الذي يعيشون منه ، وتنتبت الكلا الذي ترعى فيه ماشيتهم ، وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ليتبينوا أن ما يعبدون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم ، وأن الذي يضر وينفع انما هو الله تعالى الذي أغدق عليهم نعمه ، وهو الذي خلقهم وبيده مماتهم ؛ وأن الواجب عليهم أن يتقوه ويتوبوا اليه ، وأن يستغفروه لما فرط منهم من اشراك غيره معه في العبادة ، وأنهم اذا تابوا اليه واستغفروه لما أسلفوا من آثام فانه يرسل المطر عليهم متتابعاً من غير أن يصحب نزوله ضرر ، ويزيدهم عزا الى عزهم .

وكان هود يبين لهم أنه لا يطلب على نصيحته لهم أجرا يأخذه منهم ، أو رياسة يتزعم بها بينهم ، وأنه لا يطلب الأجر على ذلك الا من الله تعالى . ومن كان كذلك يكون أبعد عن التهمة ، اذ هو لا يجر لنفسه من وراء ذلك نقعا ولا يبغى لها فائدة من أتاوة يفرضها أو زعامة يتولاها .

(١) في ص ٢٢٣ ج ٥ من القسطلاني ما نصه : وكان قوم هود يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن . وهذا يخالف ما هو معروف ؛ فان الأحقاف في شمال حضرموت وهو يجعلها في جنوبها على المحيط الهندي .

كان في ملا عاد ناس قد عتوا ورأوا كبيرا على أنفسهم أن يصدوا عن أى مراد يريدونه ، كما كان منهم مؤمنون ، الا أن شقوة أهل الكفر والعتو قد غلبت عليهم وكانوا الجمهور الأعظم ، فسفهاوا هودا وكذبوه ، وتجاهلوا الحجج الناصعة والبراهين القاطعة التى أقامها على صدقه . وقالوا له ( يا هود ما جئتنا بيينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ) أنك مرسل من الله وأن آلهتنا التى تنهانا عن عبادتها لا تشفع لنا عند الله ، ورموه بالسفاهة والخروج عن السبيل السوى بابتداع ما ابتدع من الدعوة الى ترك الأصنام وافراد الله تعالى بالعبادة ، وذلك غير ما ورثوه عن الآباء من عبادتها والاستشفاع بها .

راجعهم هود بأنه ليس به سفاهة ولكنه رسول من رب العالمين ليبلغهم رسالة ربهم ، وما كان الله ليرسل الى عباده بسفيه يكون الضرر برسالته أكبر وأعظم من النفع بها . وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

ترقى قوم هود في تكذيبه واتهموه في عقله وقالوا : اننا لا نقول الا أنك لما عبت آلهتنا وحاولت صرفنا عن عبادتها ، قد اعتراك بعضها بسوء فألحق بك الخبال والجنون ، فأنت عندنا في حكم أهل العتة والجنون . وقد ظنوا أنهم باتهامهم اياه عليه السلام بالجنون ينصرف الناس عن الاصغاء اليه والاعتداد بكلامه .

سمع هود ذلك فأشهد الله تعالى وأشهدهم أنه برىء من تلك الآلهة التى يزعمون لها القدرة على أن تمسه بسوء ، وتحدهم وآلهتهم أن يكيدوه اذا كان ذلك في قدرتهم وأن يسرعوا الى ذلك مبادرين دون أن ينظروه ؛ فانه واثق من الهه الذى بيده نواصى كل ما على الأرض من دابة أنه سينصره ويمنعه أن يصلوا الى مسه بأذى . وانما خص الناصية لأن الحيوان اذا أمسك بشعر ناصيته اتقاد وصار المسك بناصرته مسيطرا عليه ، وكانت العرب تجز ناصية الأسير ليعلم أن ناصيته ملكت وجزت .

وأعلنهم هود عليه السلام بأنهم اذا تولوا معرضين عن قوله ولم يستمعوا لنصيحته ؛ فانه قد قام بواجبه الذى كلف به من ربه وأن الله تعالى سيبيدهم ويستخلف قوما غيرهم ، وأن هذا لا يضر الله شيئا لأنه حافظ ومستول على كل شىء وكل شىء في قبضة قدرته .

لم يزل هود يحضهم النصح ويعلمهم أنه ناصح لهم خالص النية في العمل بكل ما ينفعهم ، أمين على ما يقوله لهم عن الله تعالى ، فهو لا يدعوهم الا الى ما فيه سعادتهم وحسن حالهم ، وأنه لا ينبغي لهم أن يعجبوا لأنه جاءهم رجل منهم لينذرهم ، لأن ذلك من سنة الله تعالى أن يجعل الرسول الى القوم منهم ليكونوا أشد فهما لما يلقيه اليهم ولأنهم أعلم بحقيقته وأمانته وما هو عليه من خلق حسن .

راجعهم قومه متعجبين مما يطلبه منهم من عبادة الله وحده وترك ما وجدوا آباءهم يعبدونه من الأصنام ؛ اذ في ذلك تحقير للآباء وامتهانهم برميهم بالكفر ؛ وفيه أيضا تحقير أوليائهم وشفعائهم

عند الله بترك التوجه بهم اليه تعالى وهم وسيلتهم اليه وهم المقصودون بالتعظيم لصورهم ونماثيلهم ؛ ثم ترقوا الى تحديه قائلين ( فأتنا بما تعدنا - من العذاب - ان كنت من الصادقين ) في انذارك بقولك ( انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) .

حينئذ أنذرهم هود بأن الله تعالى سيحل بهم عذابا قريبا بقوله ( قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ) أى عذاب وغضب ، ومعنى ذلك أنه قد قرب الانتقام المحتم ، وانما عبر بـ « وقع » لأنه محقق الوقوع ، ثم وبخهم قائلًا ( أتجادلوننى فى أسماء سميتوها أنتم وآبأؤكم ما نزل الله بها من سلطان ) ثم قال لهم : انتظروا حلول العذاب بكم ، انى معكم من المنتظرين .

فلما عتا قوم هود على ربهم وعصوا رسوله وكذبوه وجحدوا بآيات الله التى أقامها هود على صدقه فى أنه مرسل من ربه واتبعوا أمر كل جبار عنيد من ملا قومهم ولم تبق فائدة فى انذارهم . أحل الله تعالى بهم نقمته فى الدنيا بأن أمسك الله عنهم المطر حتى جهدوا ، وكان كلما نزل بهم الجهد ذكرهم هود بدعوته وأنه لا ينجيهم من البلاء سوى الاستماع له والعمل بنصائحه ، فكان ذلك يريدهم عتوا الى أن أرسل الله عليهم الريح العقيم : ساطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، فأهلكهم الله وأبادهم وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل منقعر ، وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة . ونجى الله تعالى هودا والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العذاب الغليظ .

وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الأولى . وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن من قحطان وسبأ وتلك الفروع . وقيل : هم ثمود .

ويقول أهل حضرموت : ان هودا عليه الصلاة والسلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد الى أن مات ودفن فى شرقى بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادى برهوت . وقد أثر عن على كرم الله وجهه أنه مدفون فى كتيب أحمر وعند رأسه سرة فى حضرموت . وأهل فلسطين يدعون أنه دفن عندهم وقد بنوا له قبر ويعملون له فى كل سنة مولدا . وقول أهل حضرموت أقرب الى المعقول لأنها متاخمة لبلاد عاد وهى الأحقاف دون فلسطين .

وفى تفسير الألوسى : قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل ثلاثة آلاف .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الأعراف :** وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ [٦٥] قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٦٦] قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٦٧] أَبَلْغَكُم رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [٦٨] أَرَأَيْتُمْ أَنِ جَاءَكُمْ ذِكْرُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ



جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ [٦٩] قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٧٠] قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ [٧١] فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ [٧٢] .

**سورة هود :** وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ [٥٠] يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فَاذْكُرُونِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٥١] وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ [٥٢] قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ [٥٣] إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ [٥٤] مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ [٥٥] إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [٥٦] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَقْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ [٥٧] وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ [٥٨] وَتِلْكَ عَادٌ جَعَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ [٥٩] وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ [٦٠]

**سورة المؤمنون :** ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ [٣١] فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ [٣٢] وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتِرْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ [٣٣] وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا تُخَاسِرُونَ [٣٤] أَيْدِيَكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظَالًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ [٣٥] هِيَ هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ [٣٦] إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ [٣٧] إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ

بِمُؤْمِنِينَ [٣٨] قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ [٣٩] قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ [٤٠] فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُلَاءً فَبِعْدَالِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٤١] ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرُونًا آخَرِينَ [٤٢]

**سورة الشعراء :** كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ [١٢٣] إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ [١٢٤] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [١٢٥] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [١٢٦] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٢٧] أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ [١٢٨] وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ [١٢٩] وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ [١٣٠] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [١٣١] وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ [١٣٢] أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ [١٣٣] وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [١٣٤] إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [١٣٥] قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ [١٣٦] إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ [١٣٧] وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ [١٣٨] فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [١٣٩] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [١٤٠]

**سورة فصلت :** فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ [١٥] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْرِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ [١٦]

**سورة الاحقاف :** وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [٢١] قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٢٢] قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ [٢٣] فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [٢٤] تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ [٢٥] وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [٢٦]

**سورة الداريات :** وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ [٤١] مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلَتُهُ كَالرَّمِيمِ [٤٢]

**سورة القمر :** كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرَ [١٨] إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ [١٩] تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ [٢٠] فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرَ [٢١]

**سورة الحاقة :** وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [٦] سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنِعَ لَيَالٍ وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [٧] فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [٨]

**سورة الفجر :** أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [٦] إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ [٧] الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ [٨]

### العبرة من قصة هود مع قوم عاد

القارئ لقصة هود عليه السلام مع قومه يخيّل إليه أنه يرى انساناً وقوراً رزيناً يزن الكلام قبل القائه يتجلى الاخلاص وحسن النية على قسّات وجهه ، وهو :

١ — لا يقابل الشر بمثله بل لا يفارقه استعمال اللين في كلامه مع قومه .

انظروا الى قولهم له ( انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ) ثم ماذا كان جوابه ؟ كان جوابه أن قال لهم ( يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ) فمن تأمل في هذا الجواب وجده غاية في دماثة الأخلاق والتلطف في اسداء النصيحة الخالصة من شوائب جر أية منفعة .

٢ — تلتطفه بذكر نعم الله تعالى عليهم وترغيبهم في الايمان وبيان أن ذلك يحفظ عليهم

١ حسن حالهم وتذكيرهم بما أنعم الله عليهم به من أموال وبنين وجنات وعيون وأنه زادهم في الخلق

٢ بسطة وجعلهم خفقاء الأرض من بعد قوم نوح وأن ايمانهم يستتبع رضا الله تعالى فيرسل السماء

٣ عليهم مدرارا لسقى زروعهم وانبات الكلا لماشيتهم وأنه تعالى يزيدهم عزا الى عزهم .

فكان جواب قومه له التعجب من شأنه وشأن رسالته اذ جاءهم ليعبدوا الله وحده وأن يذروا

ما كان يعبد آباؤهم من قبلهم ، واتهموه بأن بعض آلهتهم مسه بالجنون الذي أفقده صوابه

عقابا له على الخوض في حقهم والتقليل من سلطتهم .

أقول : ولقد جاء سقراط الى قومه بدون ما أتى به هود ، اذ أراد التقليل من سلطة الآلهة فحكم عليه . أن يتجرع السم بيده وتقذ الحكم .

٣ — أنه مع مشاكستهم له وافترائهم عليه ورميهم له بالجنون الذى اعتراه به بعض آلهتهم لأكلهم لم يزد فى جوابه على أن يقال لهم ( انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون . من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون . انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ) .

٤ — أن الذى يتولى عظة الناس وارشادهم والنصح لهم ينبغى أن يكون آخذا أخذ هود عليه السلام فى سعة الصدر وعدم مقابلة الشر بمثله ويحتمل صلف المدعوين وسوء ردهم عليه رجاء أن يظفر ببعيته منهم ويفوز بهدايتهم أو هداية بعض منهم ، وأن يكون جوابه عند اليأس بعد بذل الجهد واستنفاد أساليب الترغيب ما قاله هود عليه السلام : ( فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شىء حفيظ ) .

---

# صالح عليه السلام

عدد مرات ذكر صالح في القرآن - نسب صالح وثمرود - مساكن  
ثمرود - دين أهل ثمود - جعل الناقة آية لهم - عقرهم للناقة - هلاكهم  
بالصاعقة ..

ذكر اسم صالح في القرآن تسع مرات ، في سورة الأعراف في الآيات ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ،  
وفي سورة هود في الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٩ وفي سورة الشعراء في الآية ١٤٢ .  
وقوم صالح هم ثمود .

## نسب صالح وثمرود

• اختلف في نسبه فقال الحافظ البغوي أنه صالح بين عبيد بن أسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر  
ابن ثمود . وعن وهب أنه ابن عبيد بن جابر بن ثمود .  
• وأما ثمود فهي القبيلة التي منها صالح ، سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن أرم بن سام .  
وقيل ثمود بن عاد بن عوص بن أرم قال الألوسي : هو المنقول عن الثعلبي .

## مساكن ثمود

كانت مساكنهم بالحجر - بكسر الحاء - وموقعها بين الحجاز والشام الى وادي القرى .  
ومدائن صالح ظاهرة الى اليوم . وقد زارها بعض أصحابي ودخل بيت الملك وهو بيت ذو حجرات  
به ردهة كبيرة وهو منقور في الصخر . والمكان الذي فيه ديارهم يعرف الى اليوم بـ « فج الناقة »  
- ويقول المسعودي : ورممهم باقية وآثارهم بادية في طريق من ورد من الشام . وحجر ثمود  
في الجنوب الشرقي من أرض مدين وهي مصابة لخليج العقبة . وقد كان يقال لعاد : عاد أرم ،  
الى أن هلكوا فقالوا : ثمود أرم .

وقد اختلف الباحثون من المستشرقين في أوروبا في أصل ثمود وزمن وجودهم ، فقال فريق :  
انهم قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية ولم يدخلوا فلسطين ، وهذا القول لا يعدو أن يكون  
ظنا لا أثر فيه للتحقيق ؛ اذ القرآن ناطق بأنهم قد انقضى أمرهم وعرت ديارهم من كل ديار قبل  
خروج موسى من مصر بينى اسرائيل ؛ وهذا مؤمن آل فرعون قام حين كذبوا موسى يخوف قومه  
بأس الله وأنه يخاف عليهم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعادو ثمود والذين من بعدهم .  
وقال آخرون - أى من المستشرقين : انهم بقية من العماليق انتقلوا الى ذلك المكان من غرب  
الفرات . ويظن آخرون أنهم من العماليق الذين طردهم أحمرس ملك مصر في عهد الأسرة  
الثامنة عشرة ، وقد حذقوا صناعة النحت أيام اقامتهم بمصر ؛ ولذلك نحتوا لهم بيوتا بعضها

نقر في الصخر وبعضها كان بناء كسائر الأبنية التي تتخذ من الصخر . وقال بعض المؤرخين : انهم بقية من عاد ، وهذا أقرب الى المعقول ، ويدعى أهل حضرموت أن ديار ثمود كانت من مستعمرات عاد ، وهذا القول لا يخالف ما قبله ، وقد يؤيده قول صالح الآتى لقومه ( واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال ييوتا ) .

أما زمن وجود ثمود فلم يعلم بالضبط ، غير أنى أقول انهم كانوا وبادوا قبل زمن موسى . وأما وجود الكتابة الآرامية على بعض القبور بتلك الأنحاء وكون تلك الكتابة مؤرخة بتاريخ قريب من زمن الميلاد فلا يدل الا على أن ناسا أخذوا الخط الآرامى يخلدون به آثارهم قد نزلوا في تلك الناحية وكتبوا على مقابرهم ونحوها .

قال جورجى زيدان بك في كتابه « العرب قبل الاسلام » :

أما الثابت من قراءة الآثار : أن مدائن صالح « الحجر » دخلت قبل تاريخ الميلاد في حوزة النبطين سكان بطرة الآتى ذكرهم . والأطلال المشار اليها زارها غير واحد من المستشرقين كما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب ، ودرسوا بقاياها ، وهى منقوشة في الصخر أهمها أنقاض تعرف بقصر البنت وقبر الباشا ، والقلعة ، والبرج .

وقرأوا ما عليها من نقوش نبطية ، فاذا أكثرها أو كلها تبركات منقوشة على القبور .

هذا مثال منها وجدوه في الحجر بالحرف النبطى وتاريخه حوالى الميلاد :

« هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكلية ابنتها لأنفسهن وذريتهن في أشهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النبطين محب شعبه فعلى ذو الشرى وعرشه ( ؟ ) واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضوا أو يدفن فيه أحدا غير كمكم وابنتها وذريتها — ومن يخالف ما كتب عليه فيلعنه ذو الشرى وهبل ومنوت خمس لعنات ويغرم الساحر ( ؟ ) غرامة مقدارها ألف درهم حارثى الا من كان بيده تصريح من يد كمكم أو كلية ابنتها بشأن هذا القبر ، والتصريح المذكور يجب أن يكون صحيحا صنع ذلك وهب اللات ابن عبد عبادة » .

ولعل المراد بالساحر : الكاتب .

## دين أهل ثمود

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأصنام يشركونها مع الله في العبادة ، فأرسل الله اليهم صالحا واعظا لهم ومذكرا لهم بنعم الله وآياته الدالة على توحيده وأنه لا شريك له ، وأقام لهم الأدلة القاطعة والبينة الواضحة على ضلالهم في عبادتهم وعلى أن الله هو الذى يجب افراده بالعبادة دون سواه .

وقد جاء في تفسير المنار ( ٥٠٢ ج ٨ ) ما نصه :

« قد علمنا من سنة القرآن وأساليبه في قصص الأنبياء مع أقوامهم أن المراد بها العبرة والموعظة ببيان سنن الله تعالى في البشر وهداية الرسل عليهم الصلاة والسلام وحوادث الأمم وضوابط التاريخ مرتبة بحسب الزمان أو أنواع الأعمال . وقد حكى لنا عن صالح عليه السلام أنه ذكر الآية التي أيد به الله تعالى بها عقب تبليغ الدعوة وفي قصته من سورة هود أنه ذكر لهم الآية بعد ردهم لدعوته وتصريحهم بالشك في صدقه ، وزاد في سورة الشعراء طلبهم الآية منه . وكل ذلك صحيح ومراد وهو المسنون المعتاد » اهـ .

ولكن ما هي هذه الآية التي جاء بها ؟ لم يبين الله له آية سوى الناقة ولا مانع من أن يكون جعلها آية صدقة بأنهم سيقون سالمين على حال حسنة ما دامت الناقة مسلمة لم يعترفوا بسوء ولم يمسوها بأذى ، فإذا خالفوا غير الله ما بهم وأحل بهم نكمتهم <sup>(١)</sup> ويحتمل أنه جاءهم بآية سوى الناقة أو كانت في الناقة آية أخرى أو عدة من الآيات ليست في غيرها .

### نقد اللجنة

(١)

### الموضوع الثالث عشر

#### ( ناقة صالح عليه السلام )

في صفحة ٢٨٠ سطر ١١ ( من الطبعة الأولى )

ولكن ما هي هذه الآية التي جاءهم بها ؟ لم يبين الله لهم آية سوى الناقة ولا مانع من أن يكون جعلها آية صدقه بأنهم سيقون سالمين على حال حسنة ما دامت الناقة مسلمة لم يعترفوا بسوء ولم يمسوها بأذى ، فإذا خالفوا غير الله ما بهم وأحل بهم نكمتهم اهـ هذا نفس كلامه .

#### ( رأى اللجنة )

لم نستطع أن نفهم لهذا الكلام وجها معقولا ، وذلك أن الله تعالى يقول في سورة الاعراف ( والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ) فهي تدل قطعا على أنهم قد جاءتهم بينة من ربهم وتلك البينة والآية هي الناقة .

ويؤخذ من قصة صالح عليه السلام في سورة الشعراء أنها جاءتهم بعد أن طلبوها .

ومن الواضح جدا أنه لا معنى لكون الناقة آية ومعجزة مقارنة لدعوة صالح إياهم إلى الإيمان إلا أنها مشتملة على أمر خارق للعادة يدل على صدقه في دعوى الرسالة لهم كما أنه من الواضح أنه لا بد أن يعلموا ذلك الأمر الخارق للعادة في حال حياتهم واطمئنانهم حتى يجب عليهم الإيمان وحتى يكون تركهم للإيمان بعد علمهم بهذه الآية الدالة على صدقه إنما هو على سبيل العناد والاستكبار وحينئذ يستحقون العذاب الشديد .

فهل يعقل أن يكون وجه أن الناقة آية أنه جعلها آية صدقه بأنهم ان تركوها سلموا وإن مسوها بسوء حل بهم العذاب مع أنهم على هذا لا يظهر لهم صدقه إلا بعد أن يظهر لهم أنه قد حقت عليهم كلمة العذاب حينما مسوها بسوء ؟

وهل مثل هذا يعتبر معجزة لهم يجب عليهم بمقتضاها أن يصدقوه ويؤمنوا به مع أنه لا يظهر أنه أمر خارق للعادة بعد موتهم إلا بعد حلول العذاب .

نحن لا ندرى السر في العدول عما قرره المفسرون فانهم ذكروا في كون الناقة آية أربعة أقوال :

والذى يظهر من قصة صالح انها تلخص فى أن القوم كانوا عاكفين على عبادتهم الباطلة .  
وكانوا أهل خصب ورفافة حال ؛ لما كان لهم من الماشية الكثيرة والجنات الوافرة الجنى  
والعيون التى يستقون منها هم وماشيتهم وزروعهم ، بدليل قوله لقومه ( أتتركون فيما ها هنا  
آمنين . فى جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ) .

= الأول - وعليه الجمهور : أنها كانت آية بسبب خروجها من الصخرة .

الثانى - أنها كانت آية بسبب أنه كان لها شرب يوم واستيفاء ناقة شرب أمة عجيب .

الثالث - أنهم كانوا يحلبون منها القدر الذى يقوم لهم مقام الماء فى يوم شربهم .

الرابع - أن جميع الحيوانات كانت يوم مجيئها للماء تمتنع من الورود على الماء وكانت يوم امتناعها  
تأتى ( أى جميع الحيوانات ) الماء .

قال الامام الرازى : واعلم أن القرآن قد دل على أن فيها آية ، فأما ذكر أنها كانت آية من أى  
الوجوه فهو غير مذكور ، والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه ا ه .  
ونحن نقول : لا بد أن يكون الأمر الخارق للعادة الذى اشتملت عليه الناقة متحققا فيها قبل  
أن يمسوها بسوء ، والله أعلم .

فى صفحة ٢٨٤ بعد أن قال : وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة المعبر عنها تارة بالرجفة وتارة  
بالصيحة وتارة بالطاغية ، قال ما نصه :

والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين بالايجاب  
والسلب الى آخر ما ذكره من بيان الاسباب العادية للنتيجة للصواعق وقال فى آخر ما نصه :  
فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق .

( رأى اللجنة )

من أين جاء له أن الصاعقة التى دمر الله بها قوم صالح هى استفراغ كهربائى يحصل بين  
كهربائيتين متخالفتين . . . الخ هل ورد بذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جاء  
بذلك أثر عن بعض أصحابه ، أو استبعد على قدرة الله ايجاد الصاعقة من غير تلك الاسباب المعتادة  
فحكم بذلك بمقتضى عقله وجزم بأن هلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق ؟  
فالذى نراه أنه لا ينبغى الجزم بكيفية خاصة بدون دليل يشتهى ، مع أن الأقرب فى مثل هذه  
الامور أن تكون بغير أسباب عادية ، والله أعلم بحقيقة الأمر .

**جواب المؤلف على نقد اللجنة**

**فى هذا الموضوع**

**( ناقة صالح عليه السلام )**

نصت فى كتابى ما نقله حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة ، وقد عابوا على أنى اقتصر  
على أن الناقة آية لثمود ولم أثبت غيرها مع أن كون الناقة آية لهم هو نص القرآن الكريم وان  
الله تعالى لم يذكر من أى وجه ، فحملت ذلك على أنها ما بقيت مسلمة منهم لا يمسونها بسوء فهى  
آية بقائهم ، وقلت لا مانع من ذلك . أما حضراتهم فصالوا وجالوا ، ومما استدلوا به على بطلان  
ذلك الوجه قول الامام الرازى « واعلم أن القرآن قد دل على أن فيها آية . فأما ذكر أنها كانت  
من أى الوجوه فهو غير مذكور والعلم حاصل أنها كانت معجزة من وجه » وأنا مقر بما قال ولم أذكر  
ما يناقضه . وأما قولهم « ونحن نقول لا بد أن يكون الأمر الخارق للعادة الذى اشتملت عليه  
الناقة متحققا فيها قبل أن يمسوها بسوء » .

فأقول : أنى أسير مع النص والله لم ينص على قولكم هذا . بل أنا أقول أن الذى قاله  
المفسرون من أن آيتها كانت الخروج من الصخرة أمر ممكن وليس به نص ، وكذلك بقية الأقوال  
كاستيفائها شرب الأمة فى يومها وأنهم كانوا يحلبون ما يقوم مقام الماء امتناع جميع الحيوان =



جاء اليهم صالح ومحضهم نصيخته وذكرهم أنواع التذكير وخوفهم بأس الله ، فآمن له المستضعفون من قومه ، وكفر الملا منهم ولم يؤمنوا له ، وقد أبان لهم أنه لا يسألهم أجرا على الهداية التي يسديها اليهم وانما يطلب أجره من الله ، ومن كان شأنه كذلك يكون أبعد من تهمة جر النفع الى نفسه بريئا من اتخاذ الدعوة طريقا للكسب أو الرياسة ، وألح على جمهورهم أن = من قربان الماء يوم شربها : كل واحد من هذه الأشياء أو جميعها يحتمل أن يكون فى الناقاة ولكن ليس على ذلك نص تجب به الحجة .

والذى تبين لى من أقوال حضراتهم فى تقريرهم من أوله الى هذا الموضع اننى لا ألتقى مع حضراتهم . فانى لا أجزم بالمعجزة ولا بالخارق للعادة من أمور الانبياء الا اذا ورد بذلك نص قطعى الثبوت والدلالة ، ودائرة الاثبات لذلك لدى حضراتهم أوسع منها لدى ، فهم يشبونها بما أثبتنا أنا به ويزيدون أمورا :

(١) الحديث المروى رواية آحاد .

(٢) الأقوال التى يقولها المفسرون والآراء التى يوردونها .

(٣) الاسرائيليات التى ينصها مسلمة أهل الكتاب .

وانى لاعيد الأمة الاسلامية من أن تحقق هذه الأشياء بأقوال ظنية . فان الظن لا يغنى من الحق شيئا ، وأربأ بها أن يتحقق فيها قول المعرى :

مال أرى كل الأنام لجهلهم بالدين أشباه النعام أو النعم  
لو قال سيد غضى بعثت بملة من عند ربى قال بعضهم نعم

( شىء آخر )

أخذ أصحاب الفضيلة على أمرا عدوه ذنبا هائلا تنهار له جوانب الايمان ويخر منه الدين هذا ذلك أنى شرحت الصاعقة بأنها استفراغ كهربائى الخ ثم قلت : فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق . . . فوجهوا الى أسئلة متداركة متتالية أورد كل سؤال منها ثم أجيب عنه : قالوا :

(١) من أين جاء له أن الصاعقة التى دمر الله بها قوم صالح هى استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين الخ ؟

الجواب - ان هذا الذى ذكرته هو التعريف العلمى للصواعق عند علماء الطبيعة - استففر الله من الكفر .

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الله

بل أقول عند العلماء بسنن الله الكونية ، وهذا من أوليات هذا العلم فى الفرع الخاص بالكهرباء ، وكان يكفى حضراتهم أن يسألوا أى طالب فى القسم الثانوى بالأزهر ليشرح لهم ذلك فيعلموا انى على حق فيما أقول .

(٢) هل ورد بذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب - لم يرد بما قلته خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه علم تعلمته ودرسته دراسة صحيحة وكنت متميزا فيه بين اخوانى . وامتحننت فيه وأخذت عليه درجات . ومن شاء الوقوف على ذلك فليسأل وزارة المعارف أو مدرسة دار العلوم . أو فضيلة الشيخ أحمد ابراهيم بك وكيل كلية الحقوق . وليس فى قدرتى أن أحول علمى جهلا ومعرفتى غباوة وحيرة - وشأنى فى هذا العلم شأن حضراتهم فى العلوم من النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع ؛ فان قواعد تلك العلوم وضوابطها لم تنص فى الكتاب الكريم ولم يرد بها حديث صحيح أو غير صحيح ولكنها علوم استحدثت فى الملة بعد رسول الله وأقدمها علم النحو استحدثت بعضه فى أخريات خلافة على كرم الله وجهه ، وقد عاش الصحابة وتوفوا وهم لم يتحدثوا فى استعارة مكنية أو تبعية ولم يتكلموا فى توشيح أو تدبيج .

(٣) قالوا أو استبعد على قدرة الله ايجاد الصاعقة من غير تلك الأسباب المعتادة فحكم =

يطيعوه ولا يتبعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، لأن الإصلاح يفوت عليهم المنافع التي يجرونها لأنفسهم ؛ فقال المستكبرون من قومه ( أو نزل عليه الذكر من بيننا ) استبعادا لأن ينال الخير أحد سواهم واستكبارا عن متابعة رجل منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء ، وقالوا لمن استضعف منهم : « أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا انا بما أرسل به

= بذلك بمقتضى عقله وجزم بأن هلاك ثمود كان بظاهرة من تلك الظواهر المنتجة للصواعق ؟  
الجواب - انى لا أستبعد على قدرة الله خلق أى شئ مما لا أعلمه ولكنه تعالى عبر بأنه أهلكتهم بالصاعقة التي أعلم علمها ولو كان اخترع شيئا لاهلاكهم به يعمل عمل الصاعقة لأخبر بأنه من جنس غير الجنس الذى نعلمه وسماه باسم خاص ، وما الله بمسبوق على أن يخلق مالا نعلم وأن يسميه بالاسم الخاص حتى لا يخلط عباده بين ما يعلمون وما لا يعلمون . وما كان المؤمن على شريعة من العلم أن يدع العلم الذى يثق به وبصحته الى ما لم يعلم فيكون كمن يترك ساقا متمسكا بها من دوحة عالية دون أن يستمسك بساق أقوى منها فيهوى ، ويكون قد ألقى بيده الى التهلكة .

وكان من حق العلم على حضرات الأفاضل : أن يذهبوا أولا الى مشيخة الأزهر ويقترحوا عليها أن تأمر مدرسى السنن الكونية أن يكتبوا تعريف الصاعقة بغير التعريف العلمى الذى يدرس فى جميع أنحاء العالم وأن يصوغوه بالتعريف الذى يروق لحضرات أعضاء اللجنة وأن تأمر مشيخة الأزهر بذلك وتحتم على جميع المدارس الثانوية فى الحكومة المصرية أن تأخذ بنظرية حضرات أعضاء اللجنة وتتبع ذلك فى المدارس الطبية على اختلاف أنواعها وفى الجامعة المصرية ، ثم تعقد مؤتمرا بالقاهرة تجمع اليه أساطين العلوم وجهابذة الفنون فى العالم وتحتم على أعضاء المؤتمر أن يكون التعريف الذى اختاره حضرات الأعضاء للصواعق هو المتبع - وانى من مكاني هذا أصبح بحضرات أعضاء المجلس الأعلى للمعاهد الدينية أن يفعلوا ذلك وأحذرهم عاقبة التوانى وأقول لهم : الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير .

وأما أقوال المفسرين : فقد قالوا : الرعد ملك موكل بالسحاب معه كر من حديد يسوقه من بلد الى بلد كما يسوق الراعى ابله ، فكلما خالف سحاب صاح فزجره ؛ فالذى يسمع صوت الملك . وقد اختلفوا فى حجم الملك وقد قال بعضهم أنه فى حجم الذبابة .

وقال الزمخشري فى تفسيره - الرعد : الذى يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدثها الريح فتصوت عند ذلك .

وأما البرق فقد ذهب المفسرون لقول الله تعالى الى أنه ضرب الملك الذى هو الرعد للسحاب بمخراق من حديد . وروى عن مجاهد أن الله عز وجل وكل بالسحاب ملكا فالرعد قعقة صوته والبرق سوطه .

وقال الزمخشري فى تفسيره : الصاعقة قصفة من رعد تنفض معها شقة من نار .

وقالوا : انها تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه ، وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بسى الا أتت عليه ، الا أنها مع حدثها سريعة الخمود ، على أنها متى سقطت على نخلة عالية أحرقت أعاليها .

وقال صاحب مناهج الفكر ومناهج العبر :

ومن عجيب شأنها أنها تحرق ما فى الكيس ولا تحرق الكيس ، وان احترق فانما يحترق باحتراق ما ذاب فيه وسال : قال : وهى اذا سقطت على جبل أو حجر كلسته ونفذته ، واذا سقطت فى بحر ماصت فيه وأحرقت ما لاقى من جوانبه ، وربما عرض لها عند انطائها فى الأرض برد ويبس . فتكون منها أجرام حجرية أو حديدية أو نحاسية ، وربما طبعت الحديد سميوا لا يقوم لها شئ ١٠ هـ من نهاية الأرب .

وقال القرطبي فى أحكامه : الصواعق جمع صاعقة . وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : اذا اشتد غضب الرعد الذى هو الملك طار النار من فيه وهى الصواعق . وكذا قال الخليل =

مؤمنون» فأجاب الذين استكبروا « انا بالذى آمنتهم به كافرون » وطلبوا آية على صدقه فأتاهم بالناقة كما قدمنا وقال لهم « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » .

وأمرهم ألا يمسوها بسوء وعليهم أن يذروها تأكل في أرض الله ، فان سلامتهم بسلامتها من ايدائهم .

ولم يثبت ثبوتاً قطعياً أنه أتى لهم بالناقة حسب اقتراحهم من الصخرة وأن الصخرة تمخضت عنها فخرجت منها سوداء الحلق حمراء الوبر خلفها فصيلها وأنها كانت اذا شربت أتت على الماء في يومها ثم تنتفج لهم ويأخذون من لبنها ما يشاءون ؛ لأن ذلك زائد عما في الكتاب الكريم .

ظلوا على ذلك مدة غير طويلة لم تحدد في الكتاب الكريم الى أن خاسوا بعهدهم وعقروا الناقة .

ورد في القرآن الكريم نسبة الناقة التي أتى بها صالح الى الله في قول صالح لهم « هذه ناقة الله لكم آية » وهذه الاضافة ذكرت تعظيماً لشأنها . وقيل : لأنه خلقها على خلاف سنته في خلق الابل وصفاتها لم يخلق في الابل سواها ناقة تختص بالشرب يوماً وأهل ذلك الماء يوماً آخر وتعرف يومها الخاص بها ولا تقرب الماء في يوم أهلها ، كما قال تعالى « ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر » وقال تعالى « هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » .

ومجموع آيات القرآن الواردة في شأن الناقة تدل على أن آية الله تعالى في الناقة ألا يتعرض أحد من ثمود بسوء لها في نفسها ولا في أكلها ولا في شربها في الماء الخاص الذي كان قسمة بينهم وبين الناقة ، وأن الوعيد بالعذاب يحل بهم متى اعتدوا عليها في أحد هذه الأشياء . ولا مانع من أن تكون فيها آية أو آيات من وجه آخر .

وانى على قدم الاستعداد للاقرار بالوجه الذى يكون فيها متى جاء بنص قطعى وأضرب برأى عرض الحائط .

بذل صالح الجهد في تذكير القوم بنعم الله تعالى عليهم ونهاهم عن أن يعثوا في الأرض مفسدين بعبادة غير الله تعالى والتكبر في الأرض .

= قال : هي الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون أحيانا قطعة من نار تحرق ما أتت عليه . وقال أبو زيد : الصاعقة نار من السماء فى رعد شديد .

فأنتم نرون أن أقوال المفسرين فى الصاعقة والبرق والرعد ينكرها العلماء بسنن الله الكونية ، ولا يقيمون لها وزناً بعد أن ترقى العلم هذا الرقى الذى نراه اليوم ، وبعد أن عرفت خواص الكهرباء واخترعت مانعات الصواعق على المصانع الكبيرة والمعارات الشامخة اتقاء لضررها .

ويظهر أنى لو اقتصرنا على ما قاله المفسرون مما لا يقيم له العلم وزناً اليوم لكنت حللت من حضراتهم بمنزلة المحب المكرم .

وحيث أن ما جاءوا به من القول لم يصب شاكلة الصواب ولا يعبأ به العلم ولا يعتد به العلماء ، فيكون اعتراضهم لا معول عليه . وانى أقول لحضراتهم : لم تحتاجون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

أما الملا المستكبرون من قومه وكانوا ذوى عناد ولهم الزعامة فى الأمة فقد رأوا كبرا عليهم أن يطيعوا رجلا منهم ويصيروا سوقة مرءوسين ، لأن صالحا سيصير بحكم هدايته إياهم الى الله تعالى رئيسا يفزعون اليه فى كل شأن ، ويكون واسطة بينهم وبين ربهم ودالا لهم على ما يقربهم اليه وناهيا لهم عما يبعدهم عنه ؛ فذهب أولئك السادة الى المستضعفين من قوم صالح وسألوهم متهمين : ( أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ ) فكان جواب المستضعفين بالإيجاب قائلين : ( انا بما أرسل به مؤمنون ) . فقال المستكبرون : ( انا بالذى آمنتم به كافرون ) كما قدمنا .

يقول الألوسى فى روح المعانى : وأراد أشرافهم أن يؤمنوا به فمنهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحجاب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم . ثم قال : ولم يزالوا فى سعة ورغد ، وكانت الناقة تصيف اذا جاء الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره وجده وتشتو فى بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهره فى برد وجذب فأضر ذلك بمواشيهم للأمر الذى يريده الله تعالى بهم والبلاء من الاختبار ، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم ، فأجمعوا على عقرها .

وان امرأتين ذواتى مال وابل يقال لاحدهما صدوق عرضت نفسها على رجل يقال له مصدع ان قتل الناقة ؛ فأجاب . واسم الأخرى عزيزة لها بنات حسان عرضت احدى بناتها على قدار بن سالف فأجاب . واستغويا سبعة رجال فكانوا تسعة ، فأما مصدع فرمى الناقة بالسهم ، وأما قدار فألقى اليها بسيفه فكشط عن عرقوبها ثم نحرها ، وذهب السبعة وراء سقيها ، ففر منهم الى الجبل ورغا ثلاثا . وعن ابن أسحق أنه تبع السقب أربعة من التسعة فرماه أحدهم بسهم فأصاب قلبه ثم جر برجله فأنزله ووضعوا لحمه على لحم أمه واقتسم أهل البلد لحم الناقة وسقيها ، فأنذرهم صالح بأن العذاب يخل بهم بعد ثلاث لما انتهكوا من حرمة الله ، فكانوا يهزءون منه ويستنجزونه ما أوعدهم به من العذاب . وأنذرهم بأنهم يصبحون وجوههم مصفرة ، وفى اليوم الثانى تكون وجوههم محمرة ، وفى اليوم الثالث تكون وجوههم مسودة : آية هلاكهم ، ثم يصبحهم العذاب اهد من الألوسى باختصار .

أما أولئك الذين اقترفوا عقر الناقة وأعانوا عليه فقد تقاسموا بالله لبيتين صالحا ويقتلونه وأهله ثم يقولون لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانهم لصادقون فيما يزعمون .

فلما أوردوا تنفيذ عزمهم جاءوا الى صالح يرصدون الفرصة للإيقاع به وأهله فأهلكهم الله . قيل : ان الملائكة دمغتهم بالحجارة فأهلكتهم وأراد قومهم قتل صالح لأنهم اتهموه بقتلهم فمنعه قومه .

وقال البيضاوى : روى أنه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه — فقالوا — زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فتفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث ، فذهبوا الى الشعب فوقع عليهم م — ه تصغر الأنبياء .

صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم ، وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة ، كما أشار إليه قوله ( فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين ) .

وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة ، وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة وتارة بالطاغية وتارة بالصيحة . وكل صريح لأن الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلال ، وقد تكون في مكان ويطنى تأثيرها حتى يصل الى مكان آخر .

والصاعقة عبارة عن استقراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين بالإيجاب والسلب . فإذا دنا جسم مكهرب كهربائية موجبة من جسم مكهرب كهربائية سالبة اتحدت الكهربائيتان لما بينهما من التعاشق ؛ فيحصل عن ذلك البرق الشديد ثم الرعد بسبب اضطراب الهواء وتدافع أجزائه في كل مكان الاستقراغ وذلك هو الصيحة . وإذا كان الاستقراغ حصل من دنو سحابة مكهربة كهربائية موجبة من الأرض فحين دنوها تحصل الكهربائية بالتأثر وتتصل الكهربائية السالبة التى فى الأرض بالكهربائية الموجبة التى فى السحابة ، ويكون الاستقراغ أو الاتحاد فى جسم مما على الأرض ؛ فيصهر اذا كان معدنيا لا سن فيه ، ويحترق اذا كان شجرا أو انسانا ، ويتفتت ان كان صخرًا أو بناء . ومبلغ ما تدمره منوط بمقدار كمية الاستقراغ ومبلغ قوة الكهربائيتين ، وعن ذلك تكون الرجفة وهولها .

وإذا حصل الاستقراغ بين سحابتين مكهربتين بكهربائيتين متخالفتين بالإيجاب والسلب حصل البرق أولا ثم الرعد ثم المطر .

وسبب اختلاف الكهربائيتين فى السحاب أن الجو مكهرب كهربائية موجبة وهو مشحون بها ، والأرض مكهربة كهربائية سالبة . فإذا تكونت السحابة فى مكان مرتفع فى أعالي الجو كانت كهربائيتها موجبة . وإذا تكونت فى مكان سافل قرب الأرض كانت كهربائيتها سالبة . فإذا دنت كل من السحابتين الى الأخرى فبمقتضى الناموس المودع فى الكهربائية من ميل كل من الكهربائيتين للاتحاد بالأخرى يكون التفاعل الذى هو الاتحاد — وأما السحابتان اللتان كهربائيتاهما موجبة أو سالبة فإن الكهربائية فيهما تميل الى الابتعاد عن الأخرى . فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق (١) .

أما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب الذى أدركهم بعد ثلاثة أيام من جريمتهم . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين .

ويشبه قوله هذا فى خطابه لقومه بعد هلاكهم ما يكون من الواحد منا اذا هلك له افسان متصل به وقد حذره ذلك السبب الذى هلك به بأن يقول له : ألم أحذرك ما وقعت فيه ؟ —

(١) راجع ما كتب عن ذلك فى النقد والرد بهامش صفحة ٦٠ وما بعدها .

وكذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بدر أصحاب القلب اذ قال لهم « يا فلان بن فلان وفلان أيسركم أنكم أطيعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » وقد قالوا ان الله أحياهم حتى أسمعهم . قال العلماء : ومثل هذا لما خص الله به أنبياءه .

وقد قال بعض المفسرين : ان صالحا والذين آمنوا معه ذهبوا بعد هلاك قومهم الى ناحية الرملة من فلسطين . ويقول أهل حضرموت : انهم ذهبوا الى حضرموت وأقاموا بها لأن أصلهم من تلك الناحية . أو هي فصيلة من أهل الأحقاف وهناك قبر يزعمون أنه لصالح . وقال آخرون : انهم أقاموا في ديارهم بعد هلاك قومهم وآخرون ، انهم ذهبوا الى مكة وأقاموا بها الى أن ماتوا وقبورهم غربى الكعبة .

وأقرب الأقوال عندى الى التصديق أنهم ذهبوا الى الرملة ونواحي فلسطين لأنها أقرب بلاد الخصب اليهم . والعربى انما يطلب الكلا لرعى ماشيته والأرض ذات الماء . وفي الألوسى : أن الذين نجوا مع صالح كانوا مائة وعشرين ، أما الهالكون فكانوا أهل خمسة آلاف بيت .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الأعراف :** وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ [٧٣] وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ مُّهُوِلِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [٧٤] قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ [٧٥] قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ [٧٦] فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَبِّئُنَا إِذْ كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ [٧٧] فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [٧٨] فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [٧٩]

**سورة هود :** وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ [٦١] قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا

إِلَيْهِ مُرِيبٍ [٦٢] قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ [٦٣] وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ [٦٤] فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ [٦٥] فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ [٦٦] وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ [٦٧] كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّلثَمُودِ [٦٨]

**سورة الحجر** وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ [٨٠] وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ [٨١] وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ [٨٢] فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْجِينَ [٨٣] فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [٨٤]

**سورة الشعراء** : كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ [١٤١] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ [١٤٢] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [١٤٣] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [١٤٤] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٤٥] أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ [١٤٦] فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [١٤٧] وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ [١٤٨] وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ [١٤٩] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [١٥٠] وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ [١٥١] الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ [١٥٢] قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ [١٥٣] مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [١٥٤] قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ [١٥٥] وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ [١٥٦] فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ [١٥٧] فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [١٥٨] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [١٥٩]

**سورة النمل** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ [٤٥] قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [٤٦] قَالُوا أَطِيعُوا بَكَ وَإِمْنَ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ [٤٧] وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ [٤٨] قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّدَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ أَنَّهُ مَا شَهِدْنَا مَهْلَكَ أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ [٤٩] وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [٥٠] فَانْظُرْ

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَّرْنَاكُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ [٥١] فَتِلْكَ يَبُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [٥٢] وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [٥٣]

سورة فصلت وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [١٧] وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [١٨]

سورة الذاريات وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ [٤٣] فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ [٤٤] فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ [٤٥]

سورة النجم وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى [٥٠] وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى [٥١]

سورة القمر كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ [٢٣] فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَدَّبُهُ إِنْآ إِذْ لَبَّى ضَلَّالٍ وَسُفُورٍ [٢٤] أَلَلْبَقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ [٢٥] سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ السَّكَدَّابِ الْأَشِرِّ [٢٦] إِنْآ مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ [٢٧] وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخْتَضِرٌ [٢٨] فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ [٢٩] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ [٣٠] إِنْآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ [٣١] وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ [٣٢]

سورة الحاقة كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ [٤] فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ [٥]

سورة الشمس كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا [١١] إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا [١٢] فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا [١٣] فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا [١٤] وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا [١٥]

## كلمة أخيرة

الذى أقوله : ان صالحا نصح لقومه وذكرهم بآيات الله وأقام لهم من الأدلة على صدقه في دعوته ما على مثله آمن الناس ؛ ولكن قومه أبدوا غاية الجحود وقالوا له ( فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ) وكما قال الله تعالى ( وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ) ولا يكون قد هداهم الله الا بأن أقام لهم الأعلام البينة على صدق صالح ، فلما جحدوا بآيات ربهم وعصوا الرسول أرسى الله اليهم الناقة آية ؛ ولكنها لم تكن آية صدق صالح في دعواه ولا بد ولكنها آية فتنه وابتلاء كما قال تعالى ( انا مرسلوا الناقة فتنه لهم فارتقبهم واصطبر ) ولما كانت آية فتنه وابتلاء صح أن تكون آية مقارنة ، لأن الله تعالى قد فرغ من أدلة صدق رسوله صالح . على أنسى لا أمنع أن يكون فيها آية أو آيات من وجوه أخرى والله أعلم .



# إبراهيم عليه السلام

عدد مرات ذكره في القرآن - قصته - تبيينه الشر للأصنام - المحاكمة  
محاجته للملك - مواقفه - أخفاقه في هداية قومه - رحلاته - رحلته  
إلى مصر - دخوله بهاجر - ولادة اسماعيل من هاجر - الختان

هو إبراهيم خليل الله بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن  
أرفكشاذ بن سام بن نوح عليه السلام .

هذا هو نسبه الموجود في التوراة والتواريخ ..

وقد جاء في الكتاب الكريم قوله تعالى ( واذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ) .

اختلف المفسرون في اسم أبي إبراهيم - فقال بعضهم ان لفظ « آزر » في الآية بدل من  
لفظ « أب » في « آبيه » ويكون مقول القول ( أتتخذ أصناما آلهة ) الخ وقال آخرون اسمه  
« تارح » وان لفظ « آزر » كلمة ذم في لغته ومعناه « أعرج » قاله السهيلي في التكملة .

وقال آخرون ان معناه الخاطيء والخرف وفي التكملة « يا مخطيء يا خرف » وقيل معناه  
« يا شيخ » أو هي كلمة زجر عن الباطل « راجع ص ١٢ ج ٣ تاج العروس » .

أقول : بعيد في نظري أن يكون إبراهيم عليه السلام قد واجه أباه بكلمات فيها تحقير أو عيب  
أو زجر كأعرج وخرف ومخطيء لأن والد إبراهيم عليه السلام لما هدده بقوله ( أرأغب أنت  
عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك واهجرني مليا ) لم يكن له جواب على هذه الجفوة  
القاسية وهذا التهديد العنيف الا أن قال لأبيه ( سلام عليك سأستغفر لك ربي أنه كان بى حياء ) .

وقال آخرون : ان تارح اسمه العلم ، وان آزر وصف له كما قال البيضاوى .

أقول : اذا صح أن والد إبراهيم كان له اسم علمي واسم وصفي ، يكون معناه القوى  
أو الناصر أو المعين ؛ لأن لفظ آزر من الأزرق أى القوة والنصر والعون ومنه الوزير أى المعين  
« تاج العروس ص ١١ ج ٣ » وهي كذلك في اللغات السامية التى منها لغة إبراهيم ، ومن  
ذلك عازر وعزير وعازر في العبرية . فان هذه المادة تفيد التقوية والنصرة والاعانة في تلك  
اللغة كما هي في اللغة العربية . قال تعالى ( فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ... الخ ) ومعلوم  
أن العين والهمزة يتعاوران على موضع واحد .

وفي أسماء ملوك الآشوريين « اسرحدون » ولفظا « اسر » و « ازر » في غاية القرب . وفيهم أيضا  
« توخلات ابال ازار » وعلى ذلك فلا يبعد عن علماء القيلولوجيا وعلماء اللغات السامية على  
الخصوص أن يشتوا النسب بين هذه الألفاظ في اللغات السامية .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية ما نصه : « آزر » اسم أبى ابراهيم فى القرآن — سورة الأنعام الآية ٧٤ — ويظهر أن فى هذا بعض الخلط لأن اسم آزر لم يرد مطلقا على أنه أبو ابراهيم فى غير هذا الموضع . كما أن تارخ أو تارخ قد ورد فى روايات بعض المؤرخين والمفسرين من المسلمين على أنه أبو ابراهيم أيضا . ولذلك لجئوا الى التحايل للتوفيق بين هاتين الروايتين . ولكن هذا التحايل لا قيمة له .

ويقول مراتشى Prodrani Maracci ، ج ٤ — ص ٩٠ « ان صيغة آزر نشأت عن قراءة خاطئة Agae التى وردت فى تاريخ الكنيسة ليوز بيوس ؛ الا أنه لم يعين لا هو ولا من نقلوا عنه الفقرة التى ورد فيها هذا الاسم . أضف الى ذلك أن هذا المؤرخ قد ذكر فى مواضع متعددة . ومهما يكن من شئ فان ما ذهب اليه مراتشى بعيد الاحتمال .

ولمعرفة حياة آزر وابنه ابراهيم نحيل القارئ الى مقال « ابراهيم » « ج ١ ص ٢٥ » الذى ذكرنا فيه المصادر الخاصة بهذا الموضوع أيضا اه فسنسك . وقد علق على هذه النبذة صديقنا الأستاذ الفاضل الشيخ أمين الخولى « مساعد أستاذ بالجامعة المصرية » فى دائرة المعارف الاسلامية بما يأتى :

(١) اطلاق القول بأن آزر اسم أبى ابراهيم فى هذه الآية غير صحيح ، لأن الآية قرئت قراءات مختلفة اختلفت بها معانى كلمة « آزر » باختلاف اعرابها . وفى بعض هذه القراءات يتعين ألا تكون آزر اسما لأبى ابراهيم ، وفى بعضها يحتمل ذلك . واليك طرفا من بيان هذه القراءات والأعاريب :

كتبت الكلمة فى المصحف هكذا « آزر » أتخذ أصناما .. وقرئت « أأزرا » بالنصب مع التنوين و « آزر » بالنصب بلا تنوين و « آزر » بالضم . وفى القراءة الأولى تفسر الكلمة على أنها عربية بمعنى القوة ، والهمزة الأولى للاستفهام الانكارى ، والمعنى لأجل القوة تتخذ أصناما ؟ ( كقوله تعالى ) أيبتنون عندهم العزة النساء . ١٣٩ وان فسرت « آزر » فى هذه القراءة باسم علم لم يقل انه أبو ابراهيم . وعلى قراءة النصب بلا تنوين ، قد تعرب نعتا فلا تكون « آزر » علما بل صفة ، فليست كذلك اسم أبى ابراهيم . وقد تعرب بدلا أو عطف بيان فيحتمل أن تكون اسما له . وعلى قراءة الضم للداء تحتمل كذلك أنها اسمه فهذه أربعة أوجه نقلت فى تخريج قراءات الآيات — على نظر فى بعضها — يتعين فى اثنين منها ألا يكون « آزر » اسم أبى ابراهيم ويحتمل فى اثنين ؛ فليس من الصنيع العلمى أن يطلق ناقل عن القرآن القول بأن « آزر » اسم أبى ابراهيم .

(٢) مع التسليم بأن أكثر الأوجه التى ذكرها من تصدوا للتوفيق بين آية الأنعام ورواية المؤرخين فى اسم أبى ابراهيم لا تقع عندى موقعا . فانى ألاحظ على كاتب المادة ملاحظتين : ١ — اطلاق القول بأنهم لجئوا الى التحايل للتوفيق . مع أن منهم من جهر برد رواية النسابين وضعف اجماعهم ؛ لأنه اجماع ينتهى الى خبر واحد أو اثنين منهم . فام يتكلف التوفيق لا فى

تحايل ولا في غير تحايل . وقد نقل هذا رأى في كثير من كتب التفسير المتداولة ، فالاطلاق غير صحيح . وكان الحق أن يقول منهم من وفق أو تصدى للتوفيق ومنهم من رد الرواية التاريخية .  
ب - استعمال لفظ الحيلة والتحايل في وصف عمل المفسرين ، فإن هذه الكلمات النازلة والتي يتصدى فيها للحكم الخاطيء على النوايا الخفية ليست من عبارات العلماء الذين ينقدون بل هي من عبارات غيرهم .

٣ - من الانصاف الصادق للعلم أن يعرف القارىء أن مراتشى قسيس ايطالى عاش في القرن السابع عشر . وأن ترجمته للقرآن لم يسمح بنشرها الا بعد الحاق معارضات القرآن بها ، وقد قدم لها يبحث في القرآن والاسلام انتهى فيه الى الحكم للمسيحية على الاسلام ثم نشرت هذه الترجمة بعنوان « عقيدة الرسول الكاذب محمد بن عبد الله .. » جازاهم الله بما يستحقون عن الحق والعلم .

وبعد : فاني ألاحظ - دون مجاوزة حدود النقد العلمى النزيه - أن المادة لم يكتب فيها شيء . النقول الاسلامية غير محررة ، وفرض مراتشى مردود . فالواجب الحق في درس الآية أن نستوفى القول في كلمة « آزر » أو « أزر » هذه واستعمالها العربى وأصلها اللغوى والتاريخى على نحو عملى عميق نرجو أن تتضافر عليه قوى نزيهة تستجيب على الأقل لقول قدمائنا « ان علم التفسير لم ينضج » ونحن أهل الواجب الأول في ذلك اهـ كلام الأستاذ أمين الخولى .  
أقول : ذهب فريق من المفسرين الى أن « آزر » اسم صنم كان يعبد تارح والد ابراهيم وكان سادنا له .

قال السيد المرتضى الزبيدى في « ص ١٢ ج ٣ تاج العروس » : وروى عن مجاهد في قوله تعالى ( آزر آتخذ أصناما ) قال لم يكن بأبيه ولكن آزر اسم صنم فموضعه نصب على اضمار الفعل والتلاوة كأنه قال : « واذا قال ابراهيم آتخذ آزر الها أى آتخذ أصناما آلهة » .  
وقال الصغانى : التقدير آتخذ آزر الها ، ولم ينتصب « آتخذ » الذى بعده لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله ولأنه قد استوفى مفعوليه : ا هـ .

وقد نقل شيخ العروة المرحوم أحمد زكى باشا عبارة تاج العروس السابقة في أول كتابه « تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبي » .

وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى الأقوال عندى بالقبول . وعلى ذلك يكون والد ابراهيم لم يذكر باسمه العلمى في القرآن الكريم . ومما يستأنس له بأن « آزر » اسم اله أننا نجد في الآلهة القديمة عند المصريين الاله « أزوريس » ومعناه الاله القوى المعين . وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضا في أسماء الآلهة .

وهذا جدول مواليد نوح الى ابراهيم على عمود النسب : —

خام	ولد من أبيه	نوح	وهو ابن	٥٠٠ سنة
أرفكشاذ	»	»	»	» ١٠٠ »
شالح	»	»	»	» ١٣٥ »
عابر	»	»	»	» ٣٠ »
فالج	»	»	»	» ٣٤ »
رعو	»	»	»	» ٣٠ »
سروج	»	»	»	» ٣٢ »
ناحور	»	»	»	» ٣٠ »
تارح	»	»	»	» ٢٩ »
ابرام	»	»	»	» ٧٠ »

المجموع ٨٩٠

وقد رأيتم الجدول الذى بين عمر كل واحد من نوح وأبنائه على عمود نسب ابراهيم — حين ولد ولده المذكور بعده كما ذكر فى التوراة — ومن جميعها ترون أن بين ولادة ابراهيم وولادة نوح ٨٩٠ سنة . فاذا قلنا بما قالته التوراة من أن عمر نوح كله قبل الطوفان وبعده ٩٥٠ سنة كان ابراهيم قد عاصر نوحا ستين سنة .

وفى اعتقادى أن اليهود فى العصور الأولى دونوا ما كانوا يسمعون من الحكايات بدون ضبط ولا مراعاة للأزمان .

جاء فى دائرة المعارف الاسلامية « ص ٢٧ من المجلد الأول » ما يأتى نقلا عن فنسنت : —

كان شبرنجر « ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها » أول من لاحظ أن شخصية ابراهيم — كما فى القرآن — مرت بأطوار قبل أن تصبح فى نهاية الأمر مؤسسة للكعبة .

وجاء سنوك هجرونييه « ص ٢٠ وما بعدها » بعد ذلك بزمن فتوسع فى بسط هذه الدعوى فقال : ان ابراهيم فى أقدم ما نزل من الوحى « الذاريات آية ٧٤ وما بعدها . الحجر آية ٥٠ وما بعدها . الصافات آية ٨٢ وما بعدها . الانعام آية ٧٤ وما بعدها . هود آية ٧٢ وما بعدها . مريم آية ٤٢ وما بعدها . الأنبياء آية ٥٢ وما بعدها . العنكبوت آية ١٥ وما بعدها » هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل . ولم تذكر لاسماعيل صلة به والى جانب هذا يشار الى أن الله لم يرسل من قبل الى العرب نذيرا « السجدة آية ٢ . سبأ آية ٤٣ . يس آية ٦ » ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت . ولا أنه أول المسلمين .

أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك فإبراهيم يدعى حنيفا مسلما وهو واضح ملة إبراهيم . ورفع مع اسماعيل قواعد بيتها المحرم — الكعبة — « البقرة آية ١١٨ وما بعدها . آل عمران آية ٦٠ ، ٨٤ . الخ » وسر هذا الاختلاف أن محمدا كان قد اعتمد على اليهود في مكة ، فما لبثوا أن اتخذوا حياه خطة عداء ؛ فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا هناك هداه ذكاء مسدد الى شأن جديد لأبى العرب « إبراهيم » وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام . ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس اه فسنك .

(١) والذي أقوله : ان هجرونييه وفسنك كغيرهما من أكثر المستشرقين الذين نصبوا أنفسهم لحرب الاسلام والصاق النقص به والعيب على القرآن الكريم وستر محاسنه ليظهره بمظهر لا يمتاز عن كتب النصارى المقدسة ؛ فهم كما قال الله تعالى ( ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ) .

فالذى يغزوه كل من هجرونييه وفسنك — ومن على شاكلتهما — أن يقولوا ان الاسلام في مكة غير الاسلام في المدينة بالنسبة لإبراهيم عليه السلام .

فإن إبراهيم في مكة أو في القرآن المكى لم تكن له صلة بالعرب فليس أبا لهم ، ولم يكن باني البيت ، ولا صلة له بإسماعيل ولا بالعرب .

(٢) أن النبي لما جاء الى المدينة كان يحمل أكبر الآمال في أن يؤمن به اليهود ويظاهروه على أمره . فلما أخلفوه ما أمله وكذبوه أراد أن يتصل بهم عن طريق إبراهيم ، وعبر عن ذلك بـ « يهودية إبراهيم » وهم في ذلك كله على ضلال مبين .

( أما عن الأول ) فقد أخطأ خطأ ظاهرا . فاني ألاحظ أن المستشرق فسنك يقول : لم تذكر في السور المكية أية صلة لإسماعيل بإبراهيم . وذلك ترويجا لفكرته التي يريد أن يصل اليها وهي : أن محمدا ظل بعيدا عن صلة العرب بإبراهيم وإسماعيل الى أن هاجر الى المدينة ، فبدت له فكرة هي أن يصل جبل العرب الذين هو منهم باليهود عن طريق إسماعيل وإبراهيم ، مع أنه لا صلة بينهم وبين إبراهيم وإسماعيل . وهذه الفكرة تهدم التوراة قبل أن تهدم القرآن لأنها ذكرت صلة إبراهيم بإسماعيل وأنه جدّ عدة قبائل في بلاد العرب . وحين عد السور المكية عمد الى التي يذكر فيها إبراهيم مجردا عن الصلة بإسماعيل والعرب ؛ لذلك تخطى سورة إبراهيم وهي مكية وقد شهدت بعكس ما يقول ، وآياتها شاهدة بأن إبراهيم وإسماعيل بنيا البيت ، وانهما كانا يدعوان الله تعالى بالهداية وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام . وإبراهيم يذكر أنه أسكن من ذريته بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم ، ويدعو الله أن يرزقهم من الثمرات ، ويحمد الله أن وهب له إسماعيل واسحق . واقرأوا قوله تعالى في سورة اء اءه .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ [٣٥]  
 رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٣٦]  
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ  
 أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [٣٧] رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي  
 وَمَا نُعْلِنُ وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ [٣٨] الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي  
 عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ [٣٩] رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي  
 رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ [٤٠] رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ [٤١]

ولا يمكن أن يمر بخاطري أنه لم يعرف هذه الآيات ولم يلتفت إليها ؛ بل أكبر اعتقادي أنه تخطاها عمدا غاضا النظر عما تقضى به الأمانة في سبيل تأييد نظريته .

( وأما عن الأمر الثاني ) فإن النبي ما أمل أن يعتز باليهود ، ولكن لما كانوا أهل توحيد ويجانبون الأصنام ويعادون أهلها ، والنبي له ذكر عندهم في كتبهم لم تزل آثاره الى اليوم ناطقة تنادي عليهم بأنهم يكتمون ما أنزل الله — كان يتوقع أن يؤمنوا فلما جحدوا كانوا عنده بمثابة غيرهم فقط . ومعلوم أن القرآن يرفض أن يكون ابراهيم يهوديا لأن اليهود هم أبناء اسرائيل . واسرائيل انما هو ولد اسحق بن ابراهيم ، وغريب أن يكون المتقدم معزوا وتابعا لولد ولده الذي لم يره ولم يعاصره ( ما كان ابراهيم يهوديا ) سورة آل عمران .

بقي أمر ثالث يغزوه هؤلاء المستشرقون : وهو أنهم ينكرون أن يكون ابراهيم أو اسماعيل رسولا الى العرب مستندين الى قوله تعالى ( لتذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك ) وأشباهاها اذ لو كان ابراهيم قد دعا العرب الى دينه أو اسماعيل قد دعا العرب الى دين ابراهيم لما صح ذلك القول .

والجواب على هذا : أن المفسرين يقولون ان معنى ذلك أن الموجودين من هؤلاء القوم لم يباشرهم رسول يبلغهم دين الله ويهديهم الى الدين الحق — فلا تناقض — لأن تبليغ اسماعيل أو ابراهيم انما كان لأبائهم .

أما أنا فأجيب بأن العرب كان دين كثير منهم عبادة الأوثان وكان لهم قرايين يقدمونها إليها ، وقد سيبوا السوائب وبحروا البحائر ووصلوا الوصيلة ، وسنوا لهم قواعد ما أنزل الله بها من سلطان . فجاء محمد لينذر هؤلاء القوم الذين يدعون أنهم على دين وأن الله قد أمرهم بما هم عليه مع أن الله ما أرسل اليهم نذيرا شرع لهم هذه الشرائع الباطلة ، لأنهم كانوا

إذا ظلموا أنفسهم بشرائعهم الباطلة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . وقد ناقشهم الله في ذلك وردّ عليهم في غير موضع من القرآن كقوله ( ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ) .

فقى سورة الصافات بعد أن ذكر دعاوى الوثنيين بقوله ( فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون . ألا انهم من افكهم ليقولون : ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين . ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون ) فقى هذه الآيات من الأنباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لأقوايلهم والتضعيف لعقولهم واتهامهم مع استهزاء بهم . وفي قوله ( فأتوا بكتابكم ) أى الناطق بصحة دعواكم والأمر فيه للتعجيز وإضافة الكتاب اليهم للتهكم .

وفي قوله ( أم لكم سلطان مبين ) اضرب انتقالى من توبيخهم بما ذكر بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أى بل ألكم حجة واضحة نزلت من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند عقلى وهو لا يوجد عندهم .

فالمنى في هذه الآيات مثله في قوله تعالى في سورة الأحقاف ( أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب ) تبكى لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند عقلى بعد تبكيته بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى ، فهو من جملة القول أى اتوني بكتاب الهى كان ( من قبل هذا ) الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم ( أو إثارة من علم ) أى بقية من علم بقيت عندكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم العبادة ، وهكذا كل آية وردت في المعنى .

وتدل العبارة التى نقلها « فنسك » عن « هجروني » بفجوها على أن ابراهيم لم يذكر بأنه حنيف الا في السور المدنية ، وهو خطأ أيضا ؛ لأنه ذكر بأنه كان حنيفا في سورة الانعام مرتين وفي سورة النحل كذلك وهما مكيتان .

سورة الانعام مكية إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين [٧٨]  
وقوله تعالى : قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا  
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [١٦١]

سورة النحل مكية إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [١٢٠] شَاكِرًا  
لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [١٢١] وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ  
الصَّالِحِينَ [١٢٢] ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [١٢٣]  
من ذلك كله يتبين القارىء المنصف فساد ما يقوله المستشرقون غير المنصفين .

وهاكم بيان السور والآيات التي ذكر فيها اسم « ابراهيم » في القرآن :

السورة	رقمها	أرقام الآيات
١ - البقرة	٢	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣
٢ - آل عمران	٣	١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٦٠
٣ - النساء	٤	١٦٣، ١٢٥، ٥٤
٤ - الأنعام	٦	١٥١، ٨٣، ٧٥، ٧٤
٥ - التوبة	٩	١١٤، ٧٠
٦ - هود	١١	٧٦، ٧٥، ٧٤، ٦٩
٧ - يوسف	١٢	٣٨، ٦
٨ - إبراهيم	١٤	٣٦
٩ - الحجر	١٥	٥١
١٠ - النحل	١٦	١٢٠، ١٢٣
١١ - مريم	١٩	٥٨، ٤٦، ٤١
١٢ - الأنبياء	٢١	٦٩، ٦٢، ٦٠، ٥١
١٣ - الحج	٢٢	٧٨، ٤٣، ٢٦
١٤ - الشعراء	٢٦	٦٩
١٥ - العنكبوت	٢٩	٣١، ١٦
١٦ - الأحزاب	٣٣	٧
١٧ - الصافات	٣٧	١٠٩، ١٠٤، ٨٣
١٨ - ص	٣٨	٤٥
١٩ - الشورى	٤٢	١٣
٢٠ - الزخرف	٤٣	٢٦
٢١ - الذاريات	٥١	٢٤
٢٢ - النجم	٥٣	٣٧
٢٣ - الحديد	٥٧	٢٦
٢٤ - الممتحنة	٦٠	٤
٢٥ - الأعلى	٨٧	١٩

واعلموا أن قصة ابراهيم ترتبط بها قصص أخرى كقصة لوط ؛ لأن ابراهيم ولوطا كانا متعاصرين ، ولوطا ابن أخ لابراهيم . قد آمن لوط بعمه ابراهيم كما قال تعالى ( فأمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى ) واسماعيل كذلك رزق به ابراهيم وهو ابن ست وثمانين سنة (١) .

(١) على ما فى الآية ١٦ من الاصحاح ١٦ - تكوين .



وقد عاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة <sup>(١)</sup> .  
 فيكون اسماعيل قد عاصر ابراهيم تسعا وثمانين سنة ، واسحق ولد لابراهيم وهو ابن مائة  
 سنة ، فيكون قد عاصر اياه خمسا وسبعين سنة <sup>(٢)</sup> .  
 أما لوط فقد ذكر في القرآن الكريم سبعا وعشرين مرة .  
 وهاكم أرقام الآيات في السور التي ذكر فيها :

السورة	رقمها	أرقام الآيات
الأنعام	٦	٨٦
الأعراف	٧	٨٠
هود	١١	٨٩.٨٢.٧٧.٧٤.٧٠
الحجر	١٥	٥٨.٥٧
الأنبياء	٢١	٧٤.٧١
الحج	٢٢	٤٣
الشعراء	٢٦	١٦٧.١٦١.١٦٠
النمل	٢٧	٥٦.٥٤
العنكبوت	٢٩	٣٣.٣٢.٢٨.٢٦
الصافات	٣٧	١٣٣
ص	٣٨	١٣
ق	٥٠	١٢
القمر	٥٤	٣٤.٣٢
التحريم	٦٦	١٠

اسحق ذكر ست عشرة مرة في القرآن الكريم . واليكم أرقام الآيات في السور التي ذكر فيها :

السورة	رقمها	أرقام الآيات
البقرة	٢	١٤٠.١٣٦.١٣٣
آل عمران	٣	٨٤
النساء	٤	١٦٣
الأنعام	٦	٨٦
إبراهيم	١٤	٣٩
مريم	١٩	٥٤
الأنبياء	٢١	٨٥
ص	٣٨	٤٨

وذكرت قصة ابراهيم في عدة مواضع من القرآن . تارة باختصار ، وتارة بالتطويل ، وتارة

(١) كما في الآية السابعة من الاصحاح الخامس والعشرين - تكوين .

(٢) راجعوا آية ٥ من الاصحاح الحادى والعشرين - تكوين .

بذكر شأن من شؤونه في سورة ، ثم شأن آخر من شؤونه في سورة أخرى . ومثل ذلك في شأن لوط واسماعيل .

## قصة إبراهيم

تتلخص في أنه كان فتى من أهل « فدان آرام » بالعراق <sup>(١)</sup> وكان قومه أهل أوثان . وكان أبوه نجارا ينحت الأصنام ويبيعها ممن يعبدونها — كما نص على ذلك في انجيل برنابا — وأن إبراهيم كان قد أنار الله بصيرته وهداه الى الرشد ؛ فعلم أن الأصنام لا تسمع ولا تبصر ، ولا تسمع نداء ولا تجيب دعاء ، ولا تضر ولا تنفع ، وأنها لا تبين بنات صنفها من سائر الخشب ، وأن أباه هو الذى يصنعها .

اقرأوا قوله تعالى في سورة الأنبياء :

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ [٥١] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ [٥٢] قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ [٥٣] قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [٥٤] قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ [٥٥] قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ [٥٦]

## تبذرت إبراهيم الشر للأصنام

وأن إبراهيم نوى الشر في نفسه لهذه الآلهة التى جمدوا على عبادتها ولم تقدمهم موعظة ولا برهان عن الغواية بها ، فأقسم في نفسه أن يلحق بها الأذى .

وهذه طريقة أراد بها أن يفهم القوم مركز آلهتهم . ويقيم لهم الحجة عملا على أنها لا يمكن أن تلحق بهم أذى اذا تركوا عبادتها ، أو تكسبهم خيرا اذا عبدوها ؛ لأن البرهان العملى أوقع في النفس وأرجى أن يحرز القبول .

فقال في نفسه :

سورة الأنبياء : وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ [٥٧] فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ [٥٨] قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ [٥٩] قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ [٦٠]

(١) كما في التوراة :

## المحاكمة

سورة الانبياء : قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون [٦١] قالوا أنت فعلت هذا بالهتأ يا إبراهيم [٦٢] قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون [٦٣] فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون [٦٤] ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون [٦٥]

حينئذ ظهرت حجة ابراهيم واضحة . ورأى الفرصة سانحة لالزامهم الحجة . قال :

(قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم [٦٦] أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون [٦٧])

فلما أعتهم الحيلة فيه ووجدت موعظته منهم قلوبا غلغا وآذانا صما ؛ عمدوا الى ما يلجأ اليه القوى الجبار الذى لا حق معه بازاء الحق الضعيف .

سورة الانبياء قالوا حرّقوه وأنصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين [٦٨] قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم [٦٩] وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين [٧٠] ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين [٧١] وهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين [٧٢]

وتوجد طريقة أخرى فى احتجاج ابراهيم لدينه وتزييف دين قومه أتى بها على سبيل التدرج فى الالزام . ويرى فريق من الناس أنها تدرج فى تكوين العقيدة . ذلك أن القوم كانوا يعبدون الأصنام . ينحتونها على أسماء الكواكب كالشمس والقمر ونحوهما . فأراد أن يلزمهم أن الكواكب والشمس والقمر لا تصلح لأن تكون آلهة . وانما الاله هو الذى خلقهم وخلق السموات والأرض . ويده ملكوت كل ما فيهما . وأن التماس الصحة والعافية والرزق من غيره تعالى باطل .

اقرأوا قوله تعالى فى سورة الأنعام :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [٧٤] وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [٧٥] فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِينَ [٧٦] فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِدْنِي رَبِّي لَا أكونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ [٧٧] فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ

هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ [٧٨] إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ  
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [٧٩] وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ (أى خوفه  
سطوة آلهتهم) قَالَ أَنحَاجُوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا  
وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ [٨٠] وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ  
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [٨١]  
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ [٨٢] وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا  
إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ [٨٣]

وهناك رأى آخر : وهو أنه حين التفت الى النظر في المعبودات لم ترقه الأصنام فظن النجم هو  
الاله فلما أفل لم يعجبه فانتقل الى القمر ، فلما أفل انتقل الى الشمس ، فلما أفلت علم أن الاله  
سوى هذه كلها . وقد قصها برنابا في انجيله نقلا عن المسيح عليه السلام .  
اقرأوا قصة ابراهيم كاملة في الآية ٢٥ من الفصل ٢٣ الى آخر ٢٥ من برنابا .

### محااجة إبراهيم للملك

تسعرنا قصة ابراهيم المحكية في القرآن أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون ملوكهم مع آلهتهم .  
يدل على ذلك المحااجة التى كانت بين ابراهيم وبين الملك فأحب الملك أن يرجع ابراهيم عن  
نحلته الجديدة المخالفة لنحلة قومه وأن يعبد وآلهته .

وقد قص الله ذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ  
اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [٢٥٨]

### تعدد مواقف إبراهيم

وقد كانت مواقف ابراهيم مع قومه متعددة ، فتارة يحاج والده وتارة يحاج الجمهور ، وتارة  
يحاج الملك ، وتارة يفعل ما يستفزهم به الى محاجته كتكسير الأصنام ليكلموه فى شأنها الى  
أن أوقدوا النار لتحيقته ، فنجاته منها بعد أن ألقى فيها : فهجرته . انظروا الى قوله تعالى فى  
سورة الصافات :

وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ [٨٣] إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٤] إِذْ قَالَ لِلْأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ [٨٥] أَنْفَكَ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ [٨٦] فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٨٧] فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ [٨٨] فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ [٨٩] فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ [٩٠] فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [٩١] مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ [٩٢] فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ [٩٣] فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ [٩٤] قَالَ أَنْعِبُدُونِ مَا تَنْحِتُونَ [٩٥] وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [٩٦] قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ [٩٧] فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ [٩٨] وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ [٩٩]

وهذه الآيات أيضا تدل على أنهم كانوا يأتون بالطعام الى آلهتهم ولعل السدنة كانوا يأخذونه ويوهمونهم أن آلهتهم رضيت عنهم فأكلت طعامهم .

اقرأوا قوله تعالى في سورة الشعراء :

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ [٦٩] إِذْ قَالَ لِلْأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ [٧٠] قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلْهَا سَاعَاتِنَا [٧١] قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ [٧٢] أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ [٧٣] قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ [٧٤] قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ [٧٥] أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ [٧٦] فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ [٧٧] الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ [٧٨] وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ [٧٩] وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ [٨٠] وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ [٨١] وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ [٨٢] رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ [٨٣] وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٤] وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ [٨٥] وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ [٨٦] وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ [٨٧] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [٨٨] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٩]

قصة ابراهيم في القرآن تدل على أنه كان حليما رقيق القلب عطوفا رءوفا بارا بوالده مع قسوته عليه . وأنه كلما باعد والده بينه وبينه تلطف هو في المقاربة وترفق في دعوته وهدايته وتحذيره . ولكن ذلك كله لم يفد لغلبة الشقاء عليه .

سورة مريم : وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا [٤١] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا [٤٢] يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا [٤٣] يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا [٤٤] يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا [٤٥] قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِلْأَرْجَمِ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا [٤٦] قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا [٤٧] وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا [٤٨]

### إخفاق إبراهيم في هداية قومه

ان ابراهيم صلوات الله عليه بعد أن جهد الجهد كله في سبيل هداية قومه وبعد أن حاول أن يقنعهم بكل وسائل الاقتناع ؛ لم يحل من قومه بطائل . وجفاه قومه وألقوه في النار فجعلها الله تعالى بردا وسلاما عليه . وهدده أبود بأن يرجمه اذا استمر على جحد الأصنام . ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة ولوط بن هاران بن تارح .

### رحلته إلى أور الكلدانيين ثم حاران أو « حران »

تبرأ ابراهيم من أبيه . ولم يطب له المقام بين أهله وقومه . فذهب الى أور الكلدانيين <sup>(١)</sup> ثم حاران . وكان ابراهيم قد ظفر من أبيه بعدة : هي أنه سيؤمن به فاستغفر الله له . ولكنه علم بعد ذلك أنه مقيم على دين قومه فتبرأ ابراهيم منه .

يدل على ذلك قوله تعالى في سورة التوبة ( وَمَا كَانَ أَسْتَفْقَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ) [١١٤]

### رحلته إلى فلسطين

رحل ابراهيم بعد ذلك الى فلسطين غريبا ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط ، ومع لوط زوجه كما قال تعالى في سورة العنكبوت :

فَأَمَّنَ لَهُ لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٦]

(١) مدينة كانت قرب الشاطئ الغربي للفرات .

وقد ورد أن عثمان لما هاجر بزوجه رقية بنت رسول الله إلى الحبشة قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان عثمان أول مهاجر بأهله بعد لوط » وسكن ابراهيم ولوط في تلك الأنحاء وكانت أرض الكنعانيين . وأقام في « شكيم » وهي مدينة « نابلس » ولكنه لم يطل به المقام ؛ بل كان ينتقل نحو الجنوب كما تدل على ذلك عبارات التوراة في رحلته إلى مصر ثم إلى أرض أبي مالك .

## رحلته إلى مصر

حدث جذب في الأرض فانتقل ابراهيم إلى مصر وذلك في عهد ملوك الرعاة وهم العماليق ويسميه الرومان « هكسوس » فأظهر أن التي معه أخته . وأراد الملك أخذها زوجة له فأرى في نومه أنها ذات بعل فعاتب ابراهيم وأعطاه أموالا وماشية وجواري وعبيدا ، وعاد ابراهيم كما بدأ وأنا أستبعد ما نصته التوراة في ذلك<sup>(١)</sup> وأحذر كل مؤمن أن يصدق ما جاء بها من

### (١) نقد اللجئة ( الموضوع الثامن )

( قصة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام والسيدة سارة زوجته مع الجبار )  
قال في صفحة ٦٣ « رحلته إلى مصر » : -

حدث جذب في الأرض فانتقل ابراهيم إلى مصر وذلك في عهد ملوك الرعاة وهم العماليق ويسميه الرومان « هكسوس » فأظهر أن التي معه أخته وأراد الملك أخذها زوجة له ، فأرى في منامه أنها ذات بعل فعاتب ابراهيم وأعطاه أموالا وماشية وجواري وعبيدا ، وعاد ابراهيم كما بدأ ، وكان لوط مع ابراهيم ٠٠٠ الخ ، ثم قال : يراجع الاصحاحات ١٢ و ١٣ - تكوين .  
وقال في صفحة ٧٥ ما نصه « مسألان » - أي من الطبعة الأولى -

الأولى : ان كان صحيحا ما جاء في عبارة التوراة من أن ابراهيم اتفق مع سارة على أن يقول « انها أختي » وتقول هي انه أختي ، وكانا أخوين حقيقة يكون ذلك قبل تشريع تحريم الأخت على أخيها ، وهذا هو الذي أميل إليه ، وحينئذ لا حاجة إلى قول ( أنها أخته في الدين ) لأن أولئك المتأولين ما دعاهم إلى التأويل إلا اعتقادهم أن الشريعة التي كان عليها ابراهيم كانت كشرعة موسى صلى الله عليه وسلم من تحريم الأقارب دينا كالأخت والعمة ، ثم أيد ذلك بأن موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب - إسرائيل الله - كان متزوجا عمته كما في الاصحاح ٢٦ من سفر العدد .  
وقال في صفحة ٤٩١ ما نصه « تنبيهات » إلى أن قال : -

الثاني : قدمنا ما ذكرته التوراة من أن ابراهيم حين تغرب في مصر قال عن سارة أنها أخته ، فأخذها الملك وقبل أن يقربها ضويق في منامه بسببها ، وأنه عاتب ابراهيم لأنه قال انها أختي ولم يقل هي زوجتي ، وفعل مثل ذلك مع أبي مالك ( ملك جرار ) واشتد في عتاب ابراهيم .

وقد تأملت في المسألتين فوجدتهما بعيدتي الحصول ، لأن سارة ذهبت إلى مصر مع ابراهيم وسنها نحو سبعين سنة ، ومن كانت في مثل تلك السن لا يطعم فيها طامع ، وعندما كانا في جرار كانت سنهما تسعين سنة ، وقبل ذلك بسنة قد قالت عن نفسها « عجوز عقيم » وقالت ( أأند وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ) وبعيد في مجرى العادة أن يطعم ملك مترف في بنت تسعين !

### ( رأى اللجئة )

هذا ما ذكره في هذه القصة . وقد اعتمد في بيانها على التوراة ، واستبعد حصولها من أجل أن سارة كانت سنها اذ ذاك نحو سبعين سنة، ومثلها لا يطعم فيها طامع ، وقرر أنه يميل - على فرض صحة هذه القصة - إلى أن قول ابراهيم ( أنها أختي ) محمول على الحقيقة ، فانهما كانا أخوين حقيقة ، وكان زواج الأخت جائزا اذ ذاك فلا داعي إلى التأويل بأنها أخته في الاسلام . =

ذلك فانها توهم أن ابراهيم كان يستغل وضاء وجه زوجته وجمالها « ان كانت في ذلك الوقت

= وأنا نلاحظ عليه اعتماده في هذه القصة على التوراة مع أنها ذكرت ووردت في الأحاديث الصحيحة بسياق مخالف لسياق التوراة ، وهذه الأحاديث تثبت وقوعها وتدل على خطأ ما رواه ومال اليه من أن سارة كانت أخت ابراهيم حقيقة .

وقبل أن نورد تلك الأحاديث ونبين من خرجها من أئمة الحديث - رأينا أن نبدي ما لحقنا من الدهشة لعدم الإشارة لتلك الأحاديث المتعلقة بهذه القصة في مثل هذا الكتاب الذي يدرس للعلماء المتخصصين في فرق الوعظ والارشاد - ولذلك أخذنا نتلمس الحكمة في تركه الإشارة لتلك الأحاديث ونطلب المعاذير فاجتمع لدينا احتمالات أربعة نذكرها ونبدي رأينا في كل احتمال منها .

**الأول** أنه لم يقف على تلك الأحاديث التي وردت في هذه القصة . ونرى أنه احتمال بعيد ، إذ يستبعد جدا من أستاذ فاضل متخصص في التاريخ نصب نفسه لتأليف كتاب في قصص الأنبياء ليدرس للعلماء المتخصصين في الوعظ والارشاد ألا يقف على تلك الأحاديث ، خصوصا وأنه جعل صحيح البخاري من الكتب التي رجع اليها وقت التأليف وهي مذكورة فيه ، وأيضا فان كتب التاريخ المشهورة كتاريخ ابن الأثير ، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، ذكرت هذه القصة على نحو ما وردت به الأحاديث ، بل صرح ابن كثير بالنقل عن البخاري . وأيضا قد استدلل المؤلف نفسه بحديث الشفاعة في قصة نوح .

**الثاني** أنه وقف على تلك الأحاديث ورأى فيها مطعنا أخرجه عن دائرة الاحتجاج بها في الحوادث التاريخية ، وهو بعيد أيضا ، لأنه لو كان كذلك لذكرها ونبه على ضعفها ، وكان ذلك خيرا من اعتماده على التوراة المعلوم أمرها من حيث القبول والرد ، وأفيد من الوجهة العلمية .

**الثالث** أنه وقف على تلك الأحاديث ولم يعلم فيها مطعنا ، ولكنه يرى أن الأحاديث - وإن صحت لا تصح مصدرا للحوادث التاريخية . وهذا الاحتمال لا يتصور أن يصدر من مثل فضيلة الأستاذ بل لا يصح أن يصدر من مسلم .

**الرابع** أنه يعلم تلك الأحاديث ويعلم أنه لا مطعن فيها ، ويعتقد أن الأحاديث الصحيحة أهم مصدر بعد كتاب الله للحوادث التاريخية ؛ إلا أنه حين تدوينه لهذه القصة سها عن تلك الأحاديث ، وهذا الاحتمال هو الذي نميل اليه والله أعلم بحقيقة الحال .

وأنا نورد تلك الأحاديث ونبين من خرجها :

**الأول** عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يكذب ابراهيم النبي عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله : قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وواحدة في شأن سارة فانه قدم أرض جبار ومع سارة وكانت أحسن الناس فقال لها : ان هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فأخبريه أنك أختى فانك أختى في الاسلام فأنى لا أعلم في الأرض مسلما غيرك وغيرى ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فاتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون الا لك فأرسل اليها فأتى بها فقام ابراهيم عليه السلام الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال ادعى الله أن يطلق يدى فلك الله أن لا أضرك ففعلت فأطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما أتيتنى بشيطان ولم تأتى بانسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر « قال » فأقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم عليه السلام انصرف فقال لها مهيم فقالت خيرا كف الله يد الفاجر واخدم خادما « قال أبو هريرة فتلك أمكم يا بنى ماء السماء .

هذا الحديث أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء من طريقين : مرفوعا وموقوفا . وقال الحافظ ابن حجر : ان ابن سيرين كان غالبا لا يصرح برفع كثير من حديثه .

وأخرجه أيضا مرفوعا من طريقين في كتاب النكاح . وأخرجه أيضا من طريق في كتاب البيع . وأخرجه مسلم في الفضائل مرفوعا . واللفظ الذى ذكرناه له . وأخرجه أحمد بسياق مخصوص . قال الحافظ بن كثير : وقال ابن حاتم حدثنا أبي حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات ابراهيم الثلاث ... الخ . =



على حال جمال » استغلالاتنا مغيبا . فهي تذكر أنه اتفق معها على أن تقول انه أخى وهو

= الثاني حديث الشفاعة فى فصل القضاء يوم القيامة : هو حديث طويل يتضمن أن أهل الموقف يأتون الأنبياء واحدا بعد واحد يطلبون منهم الشفاعة عند ربهم . وفيه « أنه حينما يأتون إبراهيم عليه السلام يطلبون منه ذلك يقول لست هناك انى كذبت ثلاث كذبات : قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لامراته أخبريه انى أخوك »

أخرج هذا الحديث البخارى من عدة طرق فى أبواب متعددة - أخرجه فى تفسير سورة البقرة عن أنس ، وفى تفسير سورة بنى اسرائيل عن أبى هريرة ، وفى كتاب الرقاق عن أنس ، وفى التوحيد عن أنس من طريقين . وأخرجه مسلم من حديث أبى هريرة وحذيفة . ورواه أحمد عن أنس من طريقين ، وعن ابن عباس من طريقين ، وأخرجه ابن خزيمة عن أنس . وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود . والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت . وأخرجه ابن أبى شيبة من حديث سلمان الفارسى . وأخرجه الترمذى عن أبى هريرة . وأخرجه أبو عوانة من رواية حذيفة عن أبى بكر الصديق . ثم أنه روى مطولا ومختصرا ، فان فى بعضها الاختصار على القول بأن كل رسول يذكر خطيئته ، وفى بعضها التصريح بالخطيئة بأن يقول إبراهيم كذبت ثلاث كذبات وفى بعضها يبين الكذبات الثلاث كما ذكرناه أولا ، وفى بعضها زيادة قول النبى صلى الله عليه وسلم « ما منها كذبة الا ما حل بها عن دين الله » وما حل : كجادل ، وزنا ومعنى .

هذا ما وقفنا عليه من الأحاديث الصحيحة المثبتة للقصة ، والدالة بصريح العبارة على أن سارة لم تكن أخت إبراهيم حقيقة . وهى كما ترى تكاد تكون القدر المشترك المثبت لأصل القصة والدال على أن سارة لم تكن أخت إبراهيم عليه السلام حقيقة يكون متواترا ، فلسنا فى حاجة الى أن ندعى كما ادعى ابن الصلاح من أن ما اتفق عليه البخارى ومسلم قطعى الثبوت لتلقى الأمة لكتابيهما بالقبول ، خصوصا وأن الأكثرين لم يوافقوه على دعوى القطعية . والمحققون منهم فصلوا تفصيلا حسنا يعلم من محله ولا حاجة لنا فى بيانه .

بل نحن تنزلنا الى أبعد حد ممكن ، فراجعنا الأحاديث التى انتقدت على البخارى من قبل بعض الحفاظ كحافظ عصره الدارقطنى - على الرغم من الاجابة عن معظمها - فلم نجد هذه الأحاديث التى ذكرناها لاثبات هذه القصة من ضمن الأحاديث المنتقدة ، فلم يبق شك فى صحتها ولا مجال للطعن فيها .

لا يقال ان فى هذه الأحاديث نسبة الكذب الى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقد قرر علماء التوحيد : أن ما ورد وفيه نسبة المعصية الى نبى من الأنبياء - فان كان مقطوعا به وجب تأويله ، وان كان منقولا بأحد وجب رده . وقال الامام الرازى فى تفسيره فى شأن الحديثين اللذين ذكرناهما ما نصه : فلأن يضاف الكذب الى الرواة أولى من أن يضاف الى الأنبياء .

لأننا نقول هذا من قبيل المعارض ، وهو نوع من البديع . وإبراهيم عليه السلام قد صرح بذلك اذ قال « فانك أختى فى الاسلام » وحينئذ فليس فيه نسبة الكذب حقيقة اليه . وأما كلام الامام الرازى فمردود ، وقد رد عليه العلماء وخطأوه وأثبتوا صحة الأحاديث ، وهو نفسه قال : فان صح فهو محمول على المعارض .

ومن راجع ما سبق لنا من بيان من خرج هذه الأحاديث قطع بصحتها ، بل تواتر القدر المشترك فيها والله أعلم .

ولا يقال : اذا كان الصادر من إبراهيم عليه السلام ومن غيره من باقى الرسل المذكورين فى حديث الشفاعة ليس بخطيئة ، فلم امتنعوا من الاقدام على الشفاعة وأظهروا حالة الخوف من الله تعالى لصدور ما ذكروه عنهم ؟ لأننا نقول : لأن ما صدر عنهم وان لم يكن خطيئة فى الواقع فهو صورة خطيئة . وعدم صدوره بالنسبة لمقام الأنبياء أولى من صدوره « من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين » فلم يروا فى أنفسهم بالنسبة الى ذلك أهلية الشفاعة العظمى التى هى من خصائص سيد الخلق على الاطلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

أما ما ذكره فى وجه الاستبعاد من أن سن سارة اذ ذاك كانت سبعين ، فلم يثبت ذلك من طريق صحيح . وانما الثابت قطعا أنها قالت حينما بشر إبراهيم عليه السلام بإسحاق ( يا ويلتا أألد وأنا عجوز ) واختلفوا فى سنها اذ ذاك فقليل تسعون وقيل غير ذلك .

يقول أختي لثلاث يقتلوه ، ويكون له خير من ذلك . وأنا أعيد إبراهيم من هذا النقص الشائن

= وذكر ابن كثير في تاريخه نقلا عن أهل الكتاب : أنه لما كان لإبراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة وهبت السيدة سارة له هاجر ودخل بها وجاءت بإسماعيل عليه السلام ، وذكر أيضا أن ولادة إسماعيل كانت قبل ولادة إسحاق بثلاث عشرة سنة .

ومعلوم أن هاجر أم إسماعيل هي التي قدمها الجبار خادمة لسارة . فاذا صبح ما ذكرناه وكان مكث إبراهيم في بيت المقدس المدة الموضحة بعد خروجه من مصر مباشرة لم يتخللها مدة أخرى تكون سنهما حينما كانت عند الجبار سبعة وخمسين سنة .

وعلى تسليم أن سنهما كانت اذ ذاك سبعين - لا وجه للاستبعاد . لأن مثل هذه السن بالنسبة للأعمار الطويلة التي كانت في تلك الأيام تعتبر سن شباب لا سن شيخوخة ، خصوصا بالنسبة للسيدة سارة التي أعطيت حظا كبيرا من الحسن والجمال - كما هو نص الحديث الأول - ولأنها أعطيت حظا كبيرا من التقوى وعدم الميل الى الشهوات ولا يخفى ما في هذا من حفظ القوى . وكما ذكره الحافظ ابن حجر : أعطى يوسف وأمه شطر الحسن يعنى سارة .

هذا ولنختم هذا الموضوع بما ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه في نسب سارة - ليعلم منه خطأ القول بأنها أخته حقيقة - فقال « قيل انها ابنة ملك حران ، والمشهور أنها ابنة عمه هاران ، ومن قال انها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن العسبي فقد أبعد النجعة وقال بلا علم ومن ادعى أن ذلك كان مشروعا فليس له على ذلك دليل . ولو فرض أن هذا كان مشروعا في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فإن الأنبياء لا تتعاطاه . » اهـ . والله أعلم .

#### رد المؤلف على نقد اللجنة

ذكرت في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ما ذكرته التوراة الى آخر ما نصه أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة ، وقد رابهم من شأني أني تركت الأحاديث ونصصت ما قالته التوراة ، وأبدوا احتمالات أربعة :

- ١ - أني لم أقف على تلك الأحاديث التي وردت في هذه القصة واستبعدوا ذلك .
- ٢ - أني وقفت على تلك الأحاديث ورأيت فيها مطعنا أخرجها عن دائرة الاحتجاج . . . الخ واستبعدوا ذلك أيضا .
- ٣ - أني وقفت على تلك الأحاديث ولم أعلم فيها مطعنا ولكني لا أراها تصلح مصدرا للحوادث التاريخية .
- ٤ - أني أعلمها وأعلم أن لا مطعن فيها وانها أهم مصدر بعد كتاب الله تعالى للحوادث التاريخية إلا أني سهوت عنها . ثم كان من عطفهم وحسن ظنهم أن مالوا الى هذا الغرض وهو حسن ظن بي أشكر حضراتهم عليه .

بعد ذلك سردوا حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري في حديث الانبياء مرفوعا وموقوفا . وأخرجه أيضا مرفوعا من طريقين في كتاب النكاح ، وأخرجه من طريق في كتاب البيع ، وأخرجه مسلم في الفضائل مرفوعا . وأخرجه أحمد بسياق مخصوص على شرط الصحيح ، وأخرجه النسائي والبيزاز وابن حبان ، الى آخره . ما نصوا ، ثم حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري من عدة طرق وأخرجه مسلم وغيره الى آخر ما قالوا وكلها تثبت كذب إبراهيم بقوله : أختي . . . الخ .

والذي أجيب به حضراتهم أني أعلم هذه الأحاديث ، وأعلم أنها من الأحاديث التي صح اسنادها ، ولكنها ترمى الى اسناد الكذب الى إبراهيم ، فهي تنص على وجوب اعتقاد الكذب في جانب إبراهيم عليه الصلاة والسلام . والأحاديث وإن كانت صحيحة الاسناد لا يمكن أن تكون برهانا على إثبات أمر اعتقادي .

نقل صاحب الفتوح - ج ٨ ص ٤٣١ - قول العلماء « الأحاديث اذا كانت في مسائل عملية يكفي في الأخذ بها بعد صحتها افادتها الظن ، اما اذا كانت في العقائد فلا يكفي فيها الا ما يفيد القطع : متنا وسندا »

وعلى ذلك فلا تصلح تلك الأحاديث أداة لتقرير اعتقاد كذب إبراهيم لوحده : -

وأقول : ان سارة لما كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة أو أكثر !

- ١ - ان ابراهيم نبي كريم ومن أخص الصفات الواجبة للأنبياء الصدق اللهم الا ان يكون من يريد اثبات الكذب واتصاف ابراهيم به ممن يجوز على أنبياء الله الكذب ولست منهم .
- ٢ - ان الله تعالى يقول « واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا » مريم ٤١ - فقد رأيت الله في هذه الآية لم يكتف باسناد الصدق اليه ، بل عبر عن ذلك بصيغة المبالغة ، والصديق من خلقه الصدق وجرى ذلك منه مجرى الأمور الطبيعية التي لا تتغير .
- ٣ - قال الله تعالى « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » . النحل ١٠٥ .
- وما كنت لاسمح لنفسي أن أنظم ابراهيم في سلك الذين لا يؤمنون بآيات الله بنسبة الكذب اليه - ولو على سبيل الصورة - لأن أقل ما فيها أن أسئ الأدب في حقه بنسبته الى ذلك الوصف الدنيء ولو صورة .
- ٤ - قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه السلام « ان ابراهيم كان أمة فانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » النحل ١٢٠ و ١٢١ . وما كان الله ليجتبي كذابا ، ولا من الهداية الى الصراط المستقيم أن يكون المهدي كذابا .
- ٥ - يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم « ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا » النحل ١٢٣ وما كان الله ليأمر خاتم أنبيائه باتباع ملة رجل كذاب .
- ٦ - أمر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يقول للزارين عليه أنه هدى الى ملة ابراهيم بقوله « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم ديننا فيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » الأنعام ١٦١ .
- ٧ - قال الله تعالى « ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » الأنبياء ١٥١ . وليس من رشد الرجل في شيء أن يكون كذابا .
- ٨ - بعد أن ذكر الله تعالى ابراهيم وما حاج به قومه وذكر معه سبعة عشر نبيا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » فهل كان الله تعالى يأمره بالاعتداء برجل كذاب ؟ .
- ٩ - قال الله تعالى في ابراهيم « آتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين » النحل ١٢٢ .
- قال البيضاوي في تفسير هذه الآية بأن الله حبه الى الناس حتى ان ارباب الملل يثولونه ويشنون عليه .
- ١٠ - وقال تعالى « رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين » الشعراء ٨٣ ، ٨٤ .
- قال البيضاوي في تفسير هذه الآية : أي وفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذي لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره .
- ١١ - قال الله في ابراهيم « وتركنا عليه في الآخرين » أي أبقينا له دعاء الناس في الزمن الباقي وتسليمهم عليه أمة بعد أمة وسلامهم الحسن وثناءهم عليه ، فأى ثناء حسن يبقى لرجل ينبز بأنه كذاب قارف الكذب ثلاث مرات أو سستا في الدنيا ، والكذب ينتظره أيضا يوم القيامة وقد قال المفسرون في قوله تعالى « كذلك نجزي المحسنين » اشارة الى ابقاء ذكره الجميل بين الأمم .
- ١٢ - سئل رسول الله : أكون المؤمن جباناً ؟ قال « نعم » قيل : أكون بخيلاً ؟ قال « نعم » قيل أكون كذاباً ؟ قال « لا » والكذاب جرى على الله جبان أمام الناس فهو يستخفي من الناس بكذبه ويحابه الله بلا حياة ، وما كنت بالذي يصم ابراهيم بذلك .
- هذا وقد نص العلماء على أن الحديث اذا كانت روايته آحادا وفيه نسبة المعاصي أو الكذب الى الأنبياء يرد ، وقد أورد ذلك حضراتهم .

وكان لوط مع ابراهيم ، وكان الرجلان لهما أموال كثيرة . وكان الرعاة يزدحمون على

= ففى شرح العصام على العقائد النسفية بعد أن ذكر وجوب اتصاف الأنبياء بالصدق ما نصه :  
إذا تقرر هذا فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية . فما كان منقولاً بطريق الأحاد  
فمردود ، وما كان بطريق التواتر فمصرّوف عن ظاهره أن أمكن . والا فمحمول على ترك الأولى  
أو كونه قبل البعثة .

وجاء فى الحاشية عليه « قوله فما كان منقولاً بطريق الأحاد » سواء بلغ حد الشهرة أو لا فمردود  
لان نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصى الى الأنبياء . وما كان بطريق التواتر فقسماً  
ما يمكن حمل خصوصياتها على أمر يخرجها عن كونها ذنباً كحمل قول ابراهيم عليه السلام « انى  
سقيم » على انى سقيم فيما بعد فيحمل عليه أن أمكن والا فيحمل لفظ الذنب الواقع فيه على ترك  
الأولى . . . الخ - راجع صفحة ٤٦٨ .

وجاء فى شرح عبد الحكيم السيالكونى على العقائد العضدية ما نصه : « واذا تقرر هذا فما  
نقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يشعر بمعصية أو كذب ، فما كان منقولاً بطريق الأحاد  
فمردود ، وما كان بطريق التواتر فمصرّوف عن ظاهره أن أمكن ، والا فمحمول على ترك الأولى  
أو كونه قبل البعثة ص ٢٠٣ » .

نظرت الى ذلك والى الأحاديث التى فيها رمى ابراهيم بالكذب وهى أحاديث آحاد - فتركتها  
وصرفت النظر عنها .

لقد افترضت أنها منقولة نقل تواتر . وانى أشرع فى تأويلها على وجه ملائم ان أمكن ، ولكنى  
وجدت قراء كتابى سوف لا يكونون من صنف واحد ، ومتى سمعوا الأحاديث وفيها كذب ابراهيم  
ثلاث كذبات يعلق ذلك فى أنفسهم ، ولا ضمان على اقتلاع ذلك من عقولهم بالحمل والتأويل فيكون  
ذلك سبباً لضلّالهم .

وقد نظرت أيضاً الى ما نصه الفخر الرازى « ج ٦ صفحة ١٢ الطبعة الثانية سنة ١٣٢٤ » فى  
تفسيره سورة الأنبياء فوجدته يقول :  
فان قيل قوله « بل فعله كبيرهم » كذب .  
والجواب : للناس فيه قولان ، أحدهما وهو قول كافة المحققين أنه ليس بكذب . وذكروا فى الاعتذار  
عنه وجوها .

ثم أطال فى تلك الوجوه وبعد ذلك قال :

القول الثانى : وهو قول طائفة من أهل الحكايات : أن ذلك كذب .

واحتجوا بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات  
كلها فى ذات الله تعالى : قوله انى سقيم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة هى أختى » .

وفى خبر آخر : أن أهل الموقف اذا سألوا ابراهيم الشفاعة . قال انى كذبت ثلاث كذبات .  
ثم قرروا قولهم من جهة العقل وقالوا : الكذب ليس قبيحاً لذاته فان النبى عليه السلام اذا هرب  
من ظالم واختفى فى دار انسان وجاء الظالم وسأل عن حاله فانه يجب الكذب فيه ، واذا كان كذلك  
فأى بعد فى أن يأذن الله تعالى فى ذلك لمصلحة لا يعرفها الا هو .

وأعلم أن هذا القول مرغوب عنه :

أما الخبر الأول : وهو الذى ردوه فلأن يضاف الكذب الى روايته أولى من أن يضاف الى الأنبياء  
عليهم الصلاة والسلام ، والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذبوا لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه ،  
فلنجز هذا الاحتمال فى كل ما أخبروا عنه وفى كل ما أخبر الله تعالى عنه . وذلك يبطل الوثوق  
بالشرائع وتطرق التهمة الى كلها . ثم ان ذلك الخبر لو صح فهو مجسول على المعارض على  
ما قاله عليه السلام « أن فى المعارض لمدوحة عن الكذب » .

فأما قوله تعالى « انى سقيم » فلعله كان به سقم قليل ، واستقصاء الكلام فيه يجرى فى  
موضعه وأما قوله ( بل فعله كبيرهم ) فقد ظهر الجواب عنه - أى فى كلام الفخر .

الأسامة والورد فاتفق رأيهما على أن يفترقا في الاقامة حفظا لعلاقة المودة والرحم .

= أما قوله لسارة : أنها أختي ، فالمراد أنها أخته في الدين . وإذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب الى الأنبياء عليهم السلام فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب اليهم الا زنديق « سورة يوسف » من الفخر الرازي ج ٥ ص ١١٩ .

وأعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما كذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات » فقلت الأولى ألا تقبل مثل هذه الأخبار ، فقال على طريق الاستنكار : فان لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة . فقلت له : يا مسكين ان قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام ، وان ردودناه لزمنا تكذيب الرواة . ولا شك أن صون ابراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب .

لذلك كله نحيث الحديث أو تنحيث عن طريقه ، حتى لا يشهد الجمهور اصطدام الحديث بآيات الكتاب الكريم وتركت تكذيب الفخر الرازي وغيره لسند ذلك الحديث واجابة المجيبين وتوجيه الموجهين ، لأن الجمهور لا خير له في الوقوف على هذا الضرب من الكر والفر .

وقد نظرت الى التوراة فوجدتها اذا تتبععت كانت سن سارة زوج ابراهيم نحو سبعين سنة حين كانت في مصر ووجدت أمرها مع ملك مصر محكما فيها . وهو أن ابراهيم اتفق معها أن تقول عنه أخى وهو يقول أختي لثلا يقتل . وأن الملك أخذها وأنه ضويق في منامه وأخبر بأنها ذات بعل فعاتب ابراهيم على ما كان منه ثم أحسن اليها واليه . وقد وقع في نفسى أن ملكا مترفا يبعد أن تشره نفسه الى من كانت تناهر السبعين فقلت ذلك .

ورأيت أن التوراة تذكر أن مثل هذه الحادثة تماما حصلت لابراهيم وسارة في أرض ابرمالك ، بعد أن بشرت بإسحق وصكت وجهها وضحكت وقالت عجوز عقيم . أى بعد أن بلغت أكثر من تسعين سنة ، كما هو نص التوراة - فاستبعدت ذلك أيضا .

جاء حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وخففوا العمر الذى بلغته سارة حين كانت في مصر الى سبع وخمسين سنة ، بناء على ما نقله المحافظ بن كثير في تاريخه البداية والنهاية ، من أن ابراهيم دخل بهاجر بعد خروجه من مصر بعشرين سنة .

أقول : انى نقلت من كتب أهل الكتاب ما قلته كما نقل ابن كثير . وهى تقول « تكوين » ص ١٦ - ٣١ « فأخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في أرض كنعان وأعطتها لابرام رجلها زوجة له . وقد راجعت نسخ التوراة بالعبرية والعربية وراجعت كتاب اظهار الحق لعله يكون قد أخذ هذا الموضع على أهل الكتاب - حين عد تخالف النسخ العبرية والسامرية واليونانية - فلم أجد لذلك أثرا فلعل العشرة حرفت الى العشرين من خطأ نساخ كتاب : البداية والنهاية ، أو أن الله رمى بالبركة فى العشرة فصارت عشرين .

ثم انهم فهموا ان السنوات العشر ابتداءها من حين خروج ابراهيم من مصر الى بلاد كنعان ، وليس على ذلك دليل ، والأقرب الى الحقيقة أن ابتداءها من نزوله من حران الى كنعان ، وفى أثناء السنوات العشر كان تغربه فى مصر وعوده الى أرض كنعان .

لهذا أقول أن سارة كان لها من العمر نحو سبعين سنة حين كانت فى مصر .

أما الحديث فلم يبين كم كان عمرها . فاذا سلمنا جدلا أن ابراهيم قد كذب وكان من ضمن كذبه - أجله الله عن ذلك ونزعه - هذه القطة ، فلا يرد عليه الايراد الذى أوردته على التوراة ولكنى كنت أناقش شيئا وضعته أمامى وهو محط الاستبعاد . وليس الحديث أمامى وهو لم يعين سنا ولا يأتى عليه ذلك الاعتراض . وأعجب شئ أنهم يشتدون فى المدافعة عن التوراة كأنها نص قرآنى عندهم .

أما قول حضراتهم « وعلى تسليم أن سنها كانت اذ ذاك سبعين لوجه له . . . الخ » .

فأقول : ذلكم ليس الى حضراتكم . فانكم تفرضون للمرأة التى رمت خلفها سبعين هلالا من أهلة الأعوام أنها لم تزل حافظة لنضارة الشباب يرى الملوك المترفون أنها من آراهم ؛ فلكم ما شئتم ، وليس لكم ولا فى قدرتكم أن تزيلوا الاستبعاد من نفسى . فانى أتمشى مع سنة الوجود ومع المألوف المعروف ، ومع طبيعة الملوك وأهل الترف الذين لا يرون التمتع الا مع من كانت غير بعيدة العهد بأول الحياة وأما من قدمتها السن الى النشاط الثانى للحياة فلا يرون التمتع بها غنيمة . =

فذهب لوط الى سادوم وعامورة في دائرة الأردن وأقام ابراهيم حيث كان (١) .

= أنا لا أمانع في أن سارة كانت وضيئة ، ولكن وضاعة وجهها ما كانت لتحول دون ظهور أمارات الكبر عليها ، وما كانت لتكف يد الدهر عن أن ترسم على جبينها وفي وجناتها وعند فمها الخطوط المنبئة عن قدم ميلادها الشاهدة بما حملت من أعباء الأعوام ، بحيث لا تكون موضع طماعية المترفين من الملوك .

ولعل حضرات أصحاب الفضيلة اقتدوا بقول القائل .

تعشقتها شمسًا شاب وليدها وللنساس فيما يعشقون مذاهب

لينظر القارئ الكريم معنى الى لفظ الحديث الذي يعزونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه واجد قول ابراهيم لسارة . « ان هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فأخبريه أنك أختى . الخ » فالمنطق المعقول يقتضى أنها اذا كانت امرأته يتركها لأنها مشغولة ، وإذا كانت أخته فانه يأخذها لأنها غير مشغولة ببعل .

ولكن المفسرين قالوا : ان السياسة كانت على أن القوم كانوا لا يتعرضون لغير ذات البعل، وانما كانوا يعرضون لذات البعل ويأخذونها قهرا . أقول: سلمنا جدلا أن السياسة كانت كذلك ، فما بالكم ناقضتم أنفسكم ونقضتم ما أبرمتم وقتلتم أن الجبار أخذها ؟ وما هو الحامل للجبار على مخالفة القاعدة التي زعمتم أنها كانت متبعة مرعية بين أولئك الاقوام، وبعد هذا فآين النقل الصحيح لذلك؟

على أن حضرات أصحاب الفضيلة لو تحروا الحق في شأن ابراهيم وكان كاذبا حاشاه كما يقولون لوجدوه قد كذب ست كذبات وهي : ١ - قوله انى سقيم ٢ - قوله بل فعله كبيرهم هذا ٣ - قوله عن زوجه أنها أختى ٤ - قوله هذا ربي حين رأى كوكبا ٥ - قوله هذا ربي حين رأى القمر ٦ - قوله هذا ربي حين رأى الشمس . فهذه ست كذبات ينتظره كذبات غيرهن يوم القيامة حين يهرع الناس اليه طالبين أن يشفع لهم في فصل الخطاب اذ يقول لهم لست هناكم انى كذبت ثلاث كذبات ، مع انهن ست ، وهكذا يجعلونه كاذبا في الدنيا كاذبا في الآخرة .

ولم يكفهم تلك السبع من الكذبات حتى يتأولوا فيهن ، فتكون نتيجة التأول أنه احتال على الناس وصرفهم عن اجابة طلبهم الى الشفاعة في الموقف بما ليس عذرا حقيقيا ، اذ كذباته ليست مما يوجب عقابا؛ فاجابته انما هي تملص من طلبهم الذي افتدى منه بالصاق الكذب بنفسه ، وهو اعتذار لا يحسن لأن كذبه لا تبعة عليه فيه . فهل هذا لسان الصدق الذي جعله الله لابراهيم ؟ اللهم أشهد على أنت وملائكتك أنى أشهد أن ابراهيم لم يكن كاذبا ولا مفتريا .

بقى أن أقول أن رد الفخر الرازى للحديث الذي ينبر فيه ابراهيم بالكذب هو الصواب الذي لا يشوبه خطأ ، والحق الصريح الموافق لاصول الاسلام ، لانه حديث آحاد يلصق بأحد الانبياء ، بل بأبى الانبياء من بعده وهو خليل الله ابراهيم نقيصة شنيعة وهي الكذب والتهاون في العرض ، وقد مر بك أيها القارئ الكريم أن مثله يرد طبقا لما جاء في العقائد النفسية وشرحها ، والرسالة العبودية ، وحاشية عبد الحكيم السيالكوتى عليها ، وما نقلناه عن ابن حجر في فتح الباري .

كتب أصحاب الفضيلة في الرد على ما ذهب اليه الفخر الرازى من عدم قبول الاحاديث الدالة على كذب ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأجابوا عن شق وقالوا لقد رد عليه العلماء . ومع كونهم هم ومن ردوا على الفخر الرازى لم يصيبوا المحز ولم يطبقوا المفصل ، لأنهم لم ينقضوا الأصل الذي رمى اليه ، وقد اجتمعت عليه كلمة المتكلمين وأهل الحديث ، فقد تركوا ما أورده من القطع بأن الله تعالى لا يرخص لأحد من أنبيائه في الكذب ، لأن ذلك يرفع الثقة من الأوامر الالهية والنواهي لاحتمال أنها مما رخص الله فيه لهم بالكذب .

وبعد هذا : فهل ما حصل من ابراهيم هو كذب أو صورة كذب كما يدعون ؟

والجواب : كلا ! فان قوله: انى سقيم، يحتمل أنه كان به سقم خفيف، أو انه كان سقيم الباطن والضمير، قلق الخاطر مألوما في نفسه ولرؤية قومه يعبدون غير الله، ولا يصغون لعظة ولا نصيحة . وأما قوله : بل فعله كبيرهم هذا ، فان الجواب عليه يحتاج الى أن نشرح ما هو الكذب فنقول : الكذب: الاخبار عن الشيء على غير ماهو عليه في الواقع ، مع اعتقاد المخبر أن مقاله غير مطابق للواقع ، =

## دخول إبراهيم بهاجر

كانت سارة زوج ابراهيم عاقرا لم تلد وكان ملك مصر قد أعطى سارة على ما تقول التوراة جارية مصرية وتأملت سارة اذ لم تجد لابراهيم نسلا - وهى قد شاخت ولا يرجى لها أن تكون أما - فأتمرت مع ابراهيم . وكان عاقبة ذلك أن دخل ابراهيم على هاجر فأنت منه بعلام هو اسماعيل عليه السلام .

= قاصداً بذلك خديعة السامع لخبره وايهامه أن الشيء على ما أخبر به ، ابتغاء اضلاله عن الحق مع امكان أن يقع كلامه من السامع موقع الصدق .

فاذا كان الكلام لا يمكن أن يفيد ذلك لم يكن هناك كذب فى الخبر .

فهل كان ابراهيم يضلل قومه ، ليعتقدوا أن الصنم الاكبر قد حطم سائر الأصنام ؟

كلا ، فان الذى يعتقد أن الصنم المصنوع من خشب أو غره - من حجر أو معدن - يأخذه الغيظ من أمثاله فيعمد الى تحطيمهن لا يكون عنده ذرة من عقل . وما كان القوم بهذا المقدار من الغباء ! بل مثله فى ذلك الاخبار مثل من يأتى الى مصحف قد كتبته بخط بديع ، فيقول لك : أنت كتبتنه؟ فنقول له - وهو أمدى لا يقرأ ولا يكتب - بل أنت كتبتنه! على سبيل التهكم والاستهزاء به . فانك لا تريد أن تضله عن الحق وتجعله يعتقد أن الكتابة الجميلة من صنع يده ، ومتى خرج الخبر الى التهكم خرج عن الخبرية الى الانشاء ولم يكن محتملا للصدق والكذب أصلا ، فابراهيم انما قال لهم ما قاله على سبيل الاستهزاء بهم ، وليجرهم الى اقامة حجته واضحة جلية ، ومعلوم أنه لا كذب فى ذلك .

وأما قوله عن زوجة : أختى ! فانه اذا كان قد وقع منه ذلك فيحتمل أن تكون أخته حقيقة ، كما يحتمل أن تكون ابنة عمه ، واطلاق الأخت على بنت العم سائغ لا تنكره اللغة ، ويحتمل أن تكون بعيدة منه وأنه يريد أختى فى الدين ؟ كل محتمل ولا كذب فيه .

وعلى ذلك لم يحصل من ابراهيم كذب ولا صورة كذب .

بقى أن أقول : أن لى سلفا فى رد الأحاديث الناطقة بكذب ابراهيم - نزهه الله عن ذلك - وهو الفخر الرازى ، وقد حاول حضراتهم الحط من هذا القول ، لأنهم متى زيفوا الفخر الرازى فقد زيفوا قولى . وأكبر ظنى أنهم لو لم يجدوا كلام الفخر الرازى مطابقا لما أوردته لما خطر ببالهم هذا الخاطر لأنى أنا المقصود بذلك دون غرى . وآية ذلك أنهم يعلمون أن الفخر الرازى قال ذلك قبل أن يصدر كتابى ومع ذلك فلم تنشط بأحد منهم همته الى الرد عليه وأن يعلنوا للامة حتى لا تضل بقول الفخر الرازى .

وبعد هذا : فهل يظن حضراتهم أن قولهم ، ومن ردوا على الفخر الرازى ، أولى عندي بالقبول من قوله ؟ أو أن تقتضى بعلم الرادين وصحة فكرهم فى كتاب الله وثقوب ذهنهم أكبر عندي من الثقة بالفخر الرازى فى ذلك كله ؟ اذا كان أحد قد أخبرهم بذلك فقد افترى اثما عظيما ولم يصدقهم سن بكره !

على انى لو كان حتما على أن ألغى عقلى ولم يكن لى بد من أن أقلد ، فانى لا أختار حضراتهم ومن ردوا على الفخر الرازى ، أن أكون تابعا لخطواتهم سائرا على نهجهم . بل انى أختار الفخر الرازى ومن كانوا على سبيله أن اقتدى بهم اذا كان لا بد من الاقتداء ، فانى لم أعهد الا قولا للحق غير متجانف عن سبيل الرشيد ولا محكم هواه ولا حاطب فى حبل غره ، وهو مأجور على ما يبدى من رأى أو فهم أصاب أو أخطأ لأنه مجتهد فى تحصيل الحق على كل حال .

قال أصحاب الفضيلة : « هذا ولنختم هذا الموضوع بما ذكره الحافظ ابن كثير فى تاريخه فى نسب سارة ليعلم منه خطأ القول بأنها أخته حقيقة ، قيل انها ابنة ملك حران ، والمشهور أنها ابنة عمه هاران ، قال : ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلي عن العسبي فقد أبعد النجعة وقال بلا علم . ومن ادعى أن ذلك كان مشروعا فليس له على ذلك دليل ، ولو فرض أن هذا كان مشروعا فى وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فإن الأنبياء لا تتعاطاه » ا ه .

## ولادة إسماعيل بن إبراهيم من هاجر

لم تفصل قصة ولادة إسماعيل ورزق والده به في القرآن الكريم . وإنما ذكرت في سفر التكوين مفصلة — وأما التي ذكرت في القرآن الكريم فلم يذكر فيها إسماعيل . وسنذكرها عند موقعه في ذبح إبراهيم ولده (١) .

== والذى أقوله : أنى لم أجزم بأن سارة كانت أختا لإبراهيم حقيقة . بل قلت « إذا صح أنها كانت أخته حقيقة وصح أنه قال أنها أختي كما قالت التوراة ... الخ » فايهاهم أنى جزمت في كلامي بأنها أخته غير صحيح . وقول : « هو الذى أميل اليه » ليس قطعاً منى بذلك ، بل هو الذى أميل اليه إذا تحققت الفروض السابقة .

وجهة نظرى فى ذلك : أنى أعلم كما يعلم حضرات أصحاب الفضيلة أن الأصل فى الأشياء الإباحة ، إلى أن يأتى الشرع بالخطر كما فى شرب الخمر، فانه كان مباحاً إلى أن أتى دين الإسلام بالخطر . ونعلم ويعلمون أن آدم كان يزوج أبناءه من بناته . فهذا الأصل : وهو الإباحة ، يستصحب إلى أن يأتى أمر الشارع بالمنع . وبعد هذا نقول : يحتمل أن تكون سارة أختا لإبراهيم كما يحتمل أن تكون أجنبية منه أو قريبة له قرابة بعيدة أو قريبة . وأنى على أتم الاستعداد للقول بأنها غير أخته قطعاً متى أوقفنى حضراتهم على نص من عندنا معشر المسلمين يقطع بأنها ليست أختاً له .

هذا وقد سبق أن جزم بأنها أخته العلامة رحمة الله الهندى فى كتابه « اظهار الحق » وهو أعظم كتاب وجد فى مكافحة أهل الكتاب ورد افتراءهم على دين الإسلام ، وفى اثبات تحريف أهل الكتاب لكتبهم خطأ وعمداً .

وأما قول الحافظ بن كثير : والمشهور أنها ابنة عمه هاران . فانى أقول : يحتمل أن يكون لإبراهيم عم اسمه هاران ولكنى لم أفق على ذلك ، ولم أدر من أين أخذ . ولو صح ذلك كان إطلاقه لفظ الأخت على بنت العم سائماً لجريان العرف بذلك . فلعلمهم كانوا مثلنا فى ذلك . وأما قوله : فان الأنبياء لا تتعاطا هذه الدعوى ينقصها الدليل . وعلى ذلك فيبقى الأمر محتملاً كما قدمت .

ان الضجة التى أثارها أصحاب الفضيلة حول هذه المسألة التى ربوها — حتى صار أمرها أمراً وشبهت عن الطوق — كانت سبباً فى إطلاق السنة المستهزئين والخلعاء فى إبراهيم ، ونسبته إلى ما أنزه إبراهيم عنه وأنزله لسانى عن أن ينطق به وقلمى عن أن يخطه ، حتى أن بعضهم شبهه موقفى مع حضراتهم بموقف عبد الرحمن بن الحكم مع معاوية .

أما كان الأجدر بحضراتهم أن يطووا هذا الأمر كما طويته ، وأن يربأوا بأنفسهم عن أن يكونوا سبباً فى حالة السوء عن نبي كريم ، وإطلاق ألسنة من يساوى ومن لا يساوى فى حقه ؟ أم أنتم أن يلاقيكم إبراهيم فى الآخرة وأن يعاتبكم على ما كان منكم من جعله عرضة لقالة مكروهة أو منديلا يمسح به أعداء الله ورسله مقاذيرهم ؟ أياكون اعتذارهم بأنهم قد عز عليهم أن تكون ساحته بريئة من الكذب فأحبوا أن يكملوا نقصه ؟

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب »

(١) وأما عبارة التكوين فهى فى الاصحاح ١٦ هكذا : —

- ١ — وأما ساراي امرأة ابرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية : هاجر .
- ٢ — فقالت ساراي لابرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، أدخل على جاريتى لعل أرزق منها بنين فسمع ابرام لقول ساراي .
- ٣ — فأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام فى أرض كنعان وأعطتها لابرام زوجة له .
- ٤ — فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينها .



## سنة الختان

وقد عهد الله الى ابراهيم بالختان وكانت سنه اذ ذاك تسعا وتسعين سنة . وكان اسماعيل قد بلغ ثلاث عشرة سنة ، فاختنن ابراهيم واسماعيل وكل من كان لابراهيم من العبيد (١) وفي انجيل برنابا أن سبب الختان أن آدم لما عصى ربه نذر أن يقطع من نفسه عضوا اذا تاب الله عليه فلما قبلت توبته وأراد الوفاء بنذره احتار ماذا يصنع ؟ فدلّه جبريل على هذا الموضع فقطعه . ولعل أبناءه تركوا هذه السنة حتى أمر الله ابراهيم باحيائها .

## إبراهيم والملائكة

ومن مواقف ابراهيم عليه السلام أنه رأى ثلاثة رجال في البرية فاستقبلهم — وكان ابراهيم يحب قرى الأضياف — فمالوا اليه ، فصنع لهم طعاما وعمد الى عجل سمين فذبحه وسواه في النار وجاء به حينذا ، قد أثرت فيه النار وجعلت لونه الحمرة ، وقرية اليهم . فلم تمتد الى طعامه أيديهم ، فارتاب في شأنهم وأوجس منهم خيفة . فخطبهم في هذا الشأن فعلم أنهم ملائكة أرسلهم الله للانتقام من أهل سادوم وعامورة ، وهم المعبر عنهم بقوم لوط . وكانت سادوم وعامورة في مكان البحر الميت المعروف اليوم ببحر لوط ، ويقال انه ظهرت بشاطئه بعض آثارهما .

- = ٥ - فقالت ساراي لابرام : ظلمى عليك ! أنا دفعت جاريتي الى حضنك فلما رأت أنها حبلى صغرت في عينها ، يقضى الرب بيني وبينك .
- ٦ - فقال ابرام لساراي : هو ذا جاريتك في يدك افعل بها ما يحسن في عينك ، فأذلتها ساراي فهربت من وجهها .
- ٧ - فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، على العين التي في طريق شور .
- ٨ - وقال : يا هاجر جارية ساراي : من أين أتيت والى أين تذهين ؟ فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي .
- ٩ - فقال لها ملاك الرب : ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها .
- ١٠ - وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يبعد من الكثرة .
- ١١ - وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدن ابنا اسمه اسماعيل . لأن الرب قد سمع لذلتك .

- ١٢ - وأنه يكون انسانا وحشيا (\*) يده على كل واحد ويد كل واحد عليه .
- ١٣ - فدعت اسم الرب الذي تكلم معها « أنت ايل رثى » لأنها قالت : أها هنا أيضا رأيت بعد رؤية .
- ١٤ - لذلك دعيت البئر « بئر لحي رثى » ها هي بين قادش وبارد .
- ١٥ - فولدت هاجر لابرام ابنا . ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر : اسماعيل .
- ١٦ - وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام .

(١) كما في الاصحاح ١٧ - تكوين .

(\*) عبارة التوراة العبرية هكذا - وهو بهي « فرء آدم » فغروها بقولهم « انه يكون انسانا وحشيا » وحقيقتها « انه يكون انسانا قويا » ولكنهم لم يجدوا أسوأ من كلمة « وحشى » ليصفوا بها اسماعيل .

## دفاع إبراهيم عن لوط ابن أخيه

خاف إبراهيم من هذا العذاب النازل أن يمس ابن أخيه فقال لهم : ان فيها لوطا ؟ فقالوا له : نحن أعلم بمن فيها وأنه وأهله من الناجين .

## مجادلة إبراهيم عن قوم لوط

كان إبراهيم عليه السلام رجلا رقيق القلب ، فلما علم أن قوم لوط هالكون وأن الملائكة قادمون لانتفاذ الأمر فيهم ، أخذته الشفقة عليهم ؛ فأخذ يجادل في شأن قوم لوط ويستنزل الرحمة بهم — رجاء أن ينظر الله اليهم نظر رحمة . قال تعالى . ( فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان إبراهيم لحليم أواه منيب ) — وهذه المجادلة عنهم لم تفصل في القرآن الكريم <sup>(١)</sup> .

## البشرى بإسحاق

والبشرى التي بشر بها إبراهيم هي أن الملائكة قالوا له انا جئنا لنبشرك بسلام عليم ؛ فراجعهم قائلا : أشرتُموني على أن مسنى الكبر وصار لا يرجى لمن كان مثلى أن يلد وامرأتى عاقر قد بلغت سن اليأس . وكانت سارة تسمع كلام الملائكة لإبراهيم فضحكت من هذه

---

(١) ولكنها فصلت في سفر التكوين ص ١٨ هكذا :

٢٢ — وانصرف الرجال « الملائكة » من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب .

٢٣ — فتقدم إبراهيم وقال : أفتهلك البار مع الأئيم .

٢٤ — عسى أن يكون خمسون بارا في المدينة . أفتهلك المكان ولا تصفع عنه من أجل الحسين بارا الذين فيه ؟

٢٥ — حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر . أن تميت البار مع الأئيم فيكون البار كأئيم . حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلا ؟

٢٦ — فقال الرب : ان وجدت في سدوم خمسين بارا في المدينة فاني أصفع عن المكان كله من أجلهم .

٢٧ — فأجاب إبراهيم وقال : اني شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد .

٢٨ — ربما نقص الخمسون بارا خمسة أهلك كل المدينة بالخمسة ؟ فقال : لا أهلك ان وجدت هناك خمسة وأربعين .

٢٩ — فعاد يكلمه أيضا وقال : عسى أن يوجد هناك أربعون فقال لا أفعل من أجل الأربعين .

٣٠ — فقال : لا يستحق المولى أن أكلمك عسى أن يوجد ثلاثون ! فقال : لا أفعل أن وجدت هناك ثلاثين .

٣١ — فقال اني شرعت أكلم المولى عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لا أهلك من أجل العشرين .

٣٢ — فقال لا يستحق المولى أن أكلمك هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة فقال لا أهلك من أجل العشرة .

٣٣ — وذهب الرب عندما ما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم الى مكانه .

البشرى العجيبة ، وقالت : كيف آلد وأنا عجوز وهذا يعلى شيخا ؟ ! وأبدت غاية الاستغراب ! فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذى لا يعجزه شئ ، وأقتوا وقتا لهذا الأمر . ثم فصلوا عن ابراهيم الى سدوم وعامورة .

اقرأوا هذه الآيات فى سورة هود :

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ [٦٩] فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ [٧٠] وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [٧١] قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا مَخْجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ [٧٢] قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَوَّكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ [٧٣] فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ [٧٤] إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ [٧٥] يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ [٧٦]

وفى سورة الذاريات (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [٢٥] فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ [٢٦] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [٢٧] فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ [٢٨] فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ <sup>(١)</sup> فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ [٢٩] قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ [٣٠] قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ [٣١] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ [٣٢] لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ [٣٣] مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ :

## حب الاستطلاع فى إبراهيم

كان ابراهيم عليه السلام محبا للاستطلاع شغوفاً بأن يرى الشئ الذى يقع عنده موقع الغرابة . وقد أوحى اليه أن الله سيحيى الموتى ويحشرهم ليوم لا ريب فيه ، ويجازى المحسن باحسانه والمسيء باسأته . فأحب أن يرى ميتا عاد حيا ، فسأل الله ذلك فقال الله له : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير فيقتلها ويفرق

(١) أى فى شدة من الكرب .

أجزاءها على الجبال ، ثم يدعوها فانه سيجدها آتية اليه ، وحينئذ يكون قد رأى الميت قد عاد حيا . ففعل ودعا الطيور فعادت اليه صحيحة كأنها لم تذوق للموت طعما (١) .

اقروا قوله تعالى في سورة البقرة : إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي . قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [٢٦٠]

والقرآن نزل مصدقا لما بين يديه ومهيئا عليه فهو الواجب التصديق دوما خالدا .

(١) وهذا الشأن من شؤون ابراهيم قد ذكر في سفر التكوين في الاصحاح الخامس عشر على غير هذا الوجه . بل على وجه أن ابراهيم أراد أن يعلم أنه سيرث الأرض التي وعده الله أن تكون لنسله وذريته ، فأراد الله أن يعلمه ذلك ، وأمره أن يأخذ عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة ، فأخذها وشق ما عدا الحمامة واليمامة وجعل كل شق مقابل صاحبه، فنزل الجوارح على الجثث ، وعند الغروب وقع سبات على ابراهيم وظلمة ورعب ، وفي تلك الحال قال الله لابراهيم أن نسلك سيستعبدون في أرض الغربية ويدلون أربعمائه سنة ثم يخرجون في الجيل الرابع يرجعون الى هذه الأرض ويملكونها . ولما غابت الشمس أنزل الله تنور دخان ومصباح نار جازا بين القطع، وقطع الله العهد لابراهيم أن أولاده يأخذون هذه الأرض ويطردون بها أهلها .

الاصحاح الخامس عشر تكوين : ٧ - وقال له أنا الرب الذي أخرجك من «اور» الكلدانيين(\*) لأعطيك هذه الأرض لترثها :

- ٨ - فقال ابراهيم : أيها السيد الرب بماذا أعلم أنى أرثها .
- ٩ - فقال له : خذ عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة .
- ١٠ - فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه .
- ١١ - وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث وكان ابرام يزجرها .
- ١٢ - ولما صارت الشمس الى المغرب وقع على ابرام سبات واذا رعبه مظلمة عظيمة واقعة عليه .
- ١٣ - فقال لابرام : أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة (\*\*) .
- ١٤ - فالأمة التي يستعبدون لها أنا أدبها وبعد ذلك يخرجون بأملك جزيلة .
- ١٥ - وأما أنت فتمضى الى آبائك بسلام وتدفن بشيعة صالحة .
- ١٦ - وفي الجيل الرابع يرجعون الى هنا لأن ذنب الأموريين ليس الى الآن كاملا .
- ١٧ - ثم غابت الشمس فصارت العتمة واذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع .
- ١٨ - وفي ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير : نهر الفرات .
- ١٩ - الفينيقيين والقانزيين والقدمونيين .
- ٢٠ - والحيتيين والقرزيين والرفائيين .
- ٢١ - والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين ليبوسيين .

(\*) بلد كان قرب الشاطئ الغربي للفرات كما تقدم .

(\*\*) ليعلم القاريء أن الأربعمائة السنة تحسب من وقت الميثاق : لا أنها مدة بقائهم في أرض الغربية؛ فإن المحققين على أن مدة غربة بني اسرائيل في مصر ( ٢١٥ سنة ) .

# اسحاق عليه السلام

## رزق أبيه به

قدمنا أن الملائكة بشروا ابراهيم بابنه اسحاق ، وأن سارة ضحكت من هذه البشرى عجباً من أن يكون نسل بين شيخ وامرأة عاقر قد بلغت من الكبر عتياً ، وأن الملائكة قالوا لها : ان هذا وعد من الله القادر ( قالوا أتعجبين من أمر الله ) .

لم يحل الحول على سارة وهي بنت تسعين سنة حتى حملت باسحاق ، ولما ولدته أسمته « يصحق » وترجمتها « يضحك » تريد أن كل من سمع بولادة هذا الولد من أبويه هذين يضحك لما في هذه الولادة من الغرابة ، وقد آل أمره الى أن يكون نبياً لقوله تعالى ( وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين ) وقوله ( وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ) — ( ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً \* ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ) (١) .

## تغرب إبراهيم في أرض أبي مالك .. « ملك جرار »

قبل أن يرزق ابراهيم بابنه اسحاق كان قد انتقل الى الجنوب وتغرب في جرار ، وسكن بين قادس وشور .

وشور هذه هي الطريق الذي يسلكه من خرج من مصر يريد بلاد العراق ، ولما كان في جرار خاف الملك أن يهلكه اذا علم أنه زوج لسارة حتى تخلص له ، فقال حين سئل عنها : انها أختي . وكانت وضيئة ، فأرسل الملك فأخذها ، وقبل أن يقترب الملك الى سارة أرى في منامه ما أفزع ، وأنذر أنه ميت بسبب المرأة التي أخذها وهي متزوجة ، فاحتج في نومه بأنه يرى لا يستحق ما يهدد به من القتل ، لأنه قال عنها أختي وهي قالت عنه أختي ، وأنه لم يعمل الا

(١) وقد جاء في التوراة قصة رزق ابراهيم وزوجه بولدهما اسحاق هكذا في سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرين .

- ١ - وافتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم .
- ٢ - فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابناً في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه .
- ٣ - ودعا ابراهيم اسم المولود له الذي ولدته سارة « اسحاق » .
- ٤ - وختن ابراهيم اسحاق وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله .
- ٥ - وكان ابراهيم ابن مائة سنة حين ولد له اسحاق ابنه .
- ٦ - فقال له الله في الحلم : أنا أيضاً علمت كل من يسمع يضحك لي .
- ٧ - وقالت من قال لابراهيم سارة نرضع بنين حتى ولدت ابناً في شيخوخته ، فكبر الولد وعظم وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحاق .

بسلامة قلبه ونقاوة يده ولم يقترب اثما ، فأمر برد المرأة الى زوجها لأنه نبي ، وأنه سيدعو له فلا يموت بهذا السبب ، وأنه إذا لم يردّها فانه يموت .

فلما هب الملك من نومه أخبر عبيده وخاصته ، وأرسل الى ابراهيم وعاتبه فيما صنع معه حتى كاد يجلب عليه وعلى شعبه غضب الله . وأنه بقوله « أختي » عمل معه ما لا يعمل ، وأطال في عتاب ابراهيم ، فما كان جواب ابراهيم الا الاعتذار بخوفه من أن يقتلوه لأجل امرأته ، وما يظن أن أحدا في هذه الأرض يخاف الله . ثم ترقى في الاعتذار بأنه لم يكذب لأنها أخته حقيقة لأبيه ولم تكن أخته لأمه فلم يقل الا حقا .

فأخذ الملك غنما وبقرا وعبيدا واماء وأعطاها لابراهيم ورد عليه سارة ، وأباح له أرضه يتبوأ منها حيث يشاء ، وقال لسارة : اني أعطيت أخاك ألفا من الفضة اكراما لك ؛ فدعا له ابراهيم فشفى الملك وجواريه ونساؤه من كل ما كان الله قد ابتلى به الملك ونساءه وجواريه ، لأنه كان قد أعظم أرحامهن . وفي تلك الجهة كانت ولادة اسحاق . وقصة ارتحال ابراهيم الى آخرها لم تذكر في القرآن وانما ذكرت في التوراة — وقد أعادوا لنا بها القصة التي وقعت في مصر وأنا أستبعد حصولها لأن سارة أيام كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة ، وحين كانت في أرض أبى مالك كانت سنها احدى وتسعين سنة ، وليس من المستساغ أن يطمع ملك مترف في بنت سبعين أو تسعين (١) .

(١) ١ — وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار .  
٢ — وقال ابراهيم عن سارة امرأته : هي أختي ؛ فأرسل أبو مالك ملك جرار وأخذ سارة .  
٣ — فجاء الله الى أبى مالك في حلم الليل قال له : ها أنت ميت لأجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل .

٤ — ولكن لم يكن أبو مالك قد اقترب اليها فقال : يا سيد أمة تقتل بامراة ؟  
٥ — ألم يقل هو لي انها أختي ، وهي أيضا نفسها قالت هو أخي ، بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا .

٦ — فقال له الله في الحلم : أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا وأنا أيضا أمسكتك من أن تخطيء الى ، لذلك لم أدعك تمسها .

٧ — فالآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وإن كنت لست تردّها فأعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك .

٨ — فيكر أبو مالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جدا .

٩ — ثم دعا أبى مالك ابراهيم قال له : ماذا فعلت بنا وبماذا أخطأت اليك حتى جلبت على وعلى مملكتي خطيئة عظيمة ؟ أعمالا لا تعمل عملت في .

١٠ — وقال أبى مالك لابراهيم : ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء ؟  
١١ — فقال ابراهيم اني قلت : ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل امرأتني .

١٢ — والحقيقة أيضا : هي أختي ابنة أبى ، غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة .

١٣ — وحدث — لما أتاهنى الله من بيت أبى — اني قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين الى في كل مكان نأتى اليه قولى عنى هو أخي .

١٤ — فأخذ أبى مالك غنما وبقرا وعبيدا واماء وأعطاهم لابراهيم ورد اليه سارة امرأته .

١٥ — وقال أبى مالك : هو ذا أرضي قدامك أسكن فيما حسن في عينك .

## مســـــــــــــــــالتان

الأولى : ان كان صحيحا ما جاء في عبارة التوراة من أن ابراهيم اتفق مع سارة على أن يقول انها أختى وتقول هي انه أختى ، وكانا أخوين حقيقة يكون ذلك قبل تشريع تحريم الأخت على أخيها . وهذا هو الذى أميل اليه ان كان ذلك حقا ، وحينئذ لا حاجة الى قول « أنها أخته فى الدين » لأن أولئك المتأولين ما دعاهم الى التأويل الا اعتقادهم أن الشريعة التى كان عليها ابراهيم كانت كشرعية موسى صلى الله عليه وسلم من تحريم الأقارب دينا كالأخت والعمة ، وهذا ما ليس فيه نص قطعى .

هذا موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب — اسرائيل الله — وأمه يوكابد بنت لاوى ؛ فيكون عمران متزوجا بعمته — كما تدل عليه عبارة الآيات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ من الاصحاح السادس والعشرين من سفر العدد ، وهو من الأسفار الخمسة التى يعزونها الى موسى — وقد رأيت فى تاريخ القضاء أنه مر بمسألة اخوة سارة ولم يذكرها أصلا ، وحسنا فعل . وأنتم تعلمون أنى أشك فيها شكاً قويا . وفيه أيضا كانت ابنة عمه .

الثانية : لاشك أن ابراهيم كان عالما بأنه متى قال عن زوجه أنها أختى ، فان الملك أو غيره من الأمراء سيأخذها زوجة أو جارية له ويفترشها افتراش الزوجة أو الأمة — فكيف تسمح نفس ابراهيم بهذا العمل يؤتى الى زوجته ؟ والرجولة والمروءة تأبيان مثل هذا العمل ؛ بل الموت فى هذا السبيل فخر وذكر .

وليس لنا جواب بازاء هذا الا أن نقول — اذا صح وقوع شئ من ذلك — أن ابراهيم لا يمكن أن يأتى هذا العمل الا بسابق وعد من الله تعالى أن يحفظها ممن يريد أن يمسها ؛ فأتيا هذا الأمر وفى يد ابراهيم وثيقة من الله القادر بحفظة فيها وحياطتها من كل من يريد أن يقترب اليها بسوء ، وعاقبة ذلك كله الخير لابراهيم بما يدره الملك عليه وعلى زوجه — كما حصل فى هذه الدفعة وفى مصر وهى تشبه هذه تماما — على أنى أشك فى ذلك كما قدمت .

# إسماعيل عليه السلام

## وإقدام أبيه على ذبحه

هنا نذكر قصة اسماعيل لقصرها ، ولأنها على التحقيق جزء من قصة ابراهيم ، فليس غريبا أن تذكر في خلالها .

سورة مريم : وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا [٥٤]  
وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا [٥٥]

وجاء في القرآن قصة ذبح ابراهيم لولده وهمه بذلك الى أن نودى بالكف عن ذبحه ، وأنه فدى بكبش يذبح عوضا عنه .

كانت المنامات عند الصالحين من عباد الله بمثابة الوحي والأمر المباشر . وقد رأى ابراهيم في منامه أنه أمر أن يقدم ابنه قربانا لله ويحرقه كما تقدم القرابين وتحرق ، وكان ذلك الولد اسماعيل — على ما نذكر فيما بعد — فصنع ابراهيم بذلك الأمر الصادر اليه في المنام ، وعرض الأمر على ولده فتقبل القضاء بالرضا وقال ( يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ) . ويقول بعض المفسرين أنه رأى في منامه أنه يذبح ذلك الولد عملا ، فقص ذلك على ولده فشجعه ابنه على أن يحقق منامه . فلما حقق العمل وأهوى بالمدينة الى ذبحه ناداه الله بالكف ، وأن هذا العمل منه يكفى تصديقا للرؤيا . ورأى ابراهيم كبشا قريبا منه فذبحه فدية عن ولده والآيات الخاصة بهذه الحادثة لم تذكر اسم ذلك الولد . ولكن سياق الكلام وذكر تبشير ابراهيم باسحاق بعدها لا يكاد يبقى شكاً في أن الذبيح اسماعيل .

اقرأوا قوله تعالى : —

سورة الصافات : وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ [٩٩] رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ [١٠٠]  
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ [١٠١] فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ [١٠٢] فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ [١٠٣] وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ [١٠٤] قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [١٠٥] إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ [١٠٦] وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ [١٠٧] وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي



الآخرين [١٠٨] سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ [١٠٩] كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [١١٠] إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [١١١] وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ [١١٢] وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ (\*) .

ولا شك أن الضمير في « عليه » راجع الى الذبيح . فالاتيان بالبشرى بإسحاق بعد ذكر القصة صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابتلى الله إبراهيم بذبحه ، وعود الضمير الى الغلام الذبيح وذكر اسم إسحاق معه صريحا يقتضى التغاير بين الذبيح وإسحاق . ومعنى « تله » صرعه وألقاه على عنقه وخده .

أما هذه القصة في التوراة فبطلها عند اليهود إسحاق . وفي اعتقادي أن لفظ إسحاق حتم حشرا في غشون القصة ، وذلك حرصا منهم على أن يكون أبوهم هو الذبيح الذي جاد بنفسه في طاعة ربه وهو في حالة صغره .

ودليلي على أن الذبيح هو اسماعيل من التوراة نفسها أن الذبيح وصف بأنه ابن

(١) قصة الذبيح في التوراة - الاصحاح الثاني والعشرين :

- ١ - وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له : يا إبراهيم ، فقال : ها أناذا .
- ٢ - فقال الرب : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه « إسحاق » واذهب الى أرض الموريا (\*) وأصعده محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك .
- ٣ - فبكر إبراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلماناه معه وإسحق ابنه ، وشقق حطبا لمحرقة ، وقام وذهب الى الموضع الذي قال له الله .
- ٤ - وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد .
- ٥ - فقال إبراهيم لغلاميه أجلسا أنتما هنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما .
- ٦ - فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضع على إسحاق ابنه . وأخذ بيده النار والسكين .
- ٧ - فذهب كلاهما معا وكلم إسحاق إبراهيم أباه وقال : يا أبى ، فقال : ها أنا ذا يا ابنى . فقال : هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟
- ٨ - فقال إبراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى . فذهبا كلاهما معا .
- ٩ - فلما أتيا الى الموضع الذي قال له الله ، بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب .
- ١٠ - ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه .
- ١١ - فناداه ملاك الرب من السماء وقال : يا إبراهيم فقال : ها أناذا .
- ١٢ - فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا ، لأنى الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عنى (\*\*) .
- ١٣ - فرفع إبراهيم عينيه ونظر ، وإذا كبش وراءه ممسك في الغابة بقرنيه ، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه .
- ١٤ - فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع « يهوہ يرأه » حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى .

(\*) كما في التوراة سليم .

(\*\*) وفي رأيي أن مسألة الذبيح كانت قبل ولادة إسحق ، وأن إبراهيم أسكن اسماعيل وأمه مكان مكة قبل مسألة الذبيح وأنها حصلت بنواحي مكة لا في جبل الموريا .

وتحريف أهل التوراة لتوراتهم أمر معلوم كثير الوقوع ، ومن شاء شيئا عن ذلك فليراجع « اظهر الحق » لرحمة الله الهندي . راجع صفحات ١٢٦ الى ١٩٦ من الجزء الأول من كتاب اظهر الحق .

ابراهيم الوحيد — أى الذى ليس له سواه اذ سبفاوة نفس ابراهيم بولده الوحيد يذبحه امتثالاً لأمر ربه له فى منام ، أدل على نهاية الطاعة والامتثال لأمر الله . وهذا هو الاسلام بعينه . اذ الاسلام هو الطاعة والامتثال . وهو دين الله فى الأولين والآخرين . واذا رجعنا الى اسحاق لم نجد له وحيداً لابراهيم فى يوم من الأيام ، لأن اسحاق ولد ولاسماعيل نحو أربع عشرة سنة — كما هو صريح التوراة — وبقي اسماعيل الى أن مات ابراهيم . وحضر اسماعيل وفاته ودفنه . وأيضاً فإن ذبح اسحق يناقض الوعد الذى وعد به ابراهيم أن اسحق سيكون له نسل . وسنعلمون فيما يأتى أن مسألة الذبح وقعت فى مكة . لأن اسماعيل ذهب به أبوه اليها رضيعاً — كما فى حديث البخارى الآتى :

### رحلة اسماعيل وهاجر إلى وادى مكة

رحلة اسماعيل وهاجر الى مكة لم تفصل فى الكتاب الكريم . ولم يذكر منها فيه سوى قوله تعالى على لسان ابراهيم ( ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ) . ويظهر لى أن ابراهيم دعا هذا الدعاء بعد بناء البيت .

والوادي الذى لا زرع فيه هو الوادى الذى به مكة اليوم .

ولم يبين بمكة شيء بعد البيت الا فى القرء الثانى قبل الاسلام ، فى عهد قضى بن كلاب . فانه بنى دار الندوة وتبعته قريش تبنى حول المسجد . وكان المسجد ساحة فبنوا حوله وذلك من نحو خمسين ومائة سنة قبل الاسلام — راجع صبح الأعشى صفحة ٢٥٠ جزء رابع — ومكة والحرم الذى حولها لا تثبت شجراً يثمر سوى شجر البادية . ففى صفحة ٢٥٥ من الجزء الرابع من صبح الأعشى قال ابن حوقل : وليس بمكة والحرم شجر يثمر <sup>(١)</sup> الا شجر البادية . أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار .

ولقد فصلت مسألة ذهاب اسماعيل عن بلاد أبيه الى فاران فى سفر التكوين . ونحن أولاء نسوقها هنا فى الهامش <sup>(٢)</sup> .

(١) فى رايبى أن ذلك مبالغه فقد رأيت بجياد نخلتين .

(٢) الاصطاح الحادى والعشرين تكوين :

٩ — ورات سارة ابن هاجر الذى ولدته من ابراهيم يمزح .

١٠ — فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق .

١١ — ففجع الكلام جدلاً فى عيني ابراهيم لسبب ابنه .

١٢ — فقال الله لابراهيم لا يقبح فى عينك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل

ما تقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه باسحاق يدعى لك نسل .

١٣ — وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك .

١٤ — فبكر ابراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء وأعطاها لهاجر ، وأضعا اياهما على كتفهما

والولد وصرفهما فمضت وتاعت فى بيرة بئر سبع .

١٥ — ولما فرغ الماء من القربة طرحب الولد تحت إحدى الأشجار .

وفي البخارى : عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل ، اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة . ثم جاء بها ابراهيم وبانها اسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، ووضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطقا ، فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : آله أمرك بهذا ؟ قال نعم ، قالت اذا لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت . ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه فقال : رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . حتى بلغ « يشكرون » . وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى - أو قال : يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر اليه . فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى

= ١٦ - ومضت وجلست مقابلة بعيدا نحو رمية قوس ، لأنها قالت لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت .

فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها . مالك يا هاجر لا تخافى لأن الله سميع لصوت الغلام حيث هو .

١٧ - قومى احملى الغلام وشدى يدك به لاني سأجعله أمة عظيمة .

١٨ - وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القرية ماء وسقت الغلام .

١٩ - وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس .

٢٠ - وسكن فى بركة فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر .

والذى ألاحظه :

أولا : أن مؤلف كتاب التكوين أراد أن يوجد لسارة عذرا فى طلبها طرد هاجر وابنها ، فأتى بالآية الأولى من الاصحاح الحادى والعشرين ، ولكن الآية الثانية ناطقة بأن الحامل لها على طلب تغريب اسماعيل انما هو غيرتها منه وأثرتها ، وجها أن يرث ابنها وحده ابراهيم دون اسماعيل .

وقد قدمت أن هجرة اسماعيل وأمه أو ابعادهما كان قبل وجود اسحق ، وانهما وجدا بتهامة الحجاز قبل ذلك . وفى حديث البخارى : أن اسماعيل كان رضيعا حين أبعد هو وأمه الى مكة . ومحال أن يكون من رضيع مزح ولا غيره ، وانما هي غيرتها من أن يكون لابراهيم ولد من غيرها تراه فيها فى البيت . وتحريف اليهود لكتابهم أشهر من نار على علم .

ثانيا : أن عبارة الآية ١٤ تفيد أن البلاد التى سكنها اسماعيل وأمه انما هي بركة بئر سبع ، ثم ذهب الى فاران ولم يذكر الوادى الذى هو مكة اليوم .

ثم قال فى الآية : وسكن فى بركة فاران . وفاران تطلق على مواضع منها جبال مكة - كما قال فى لسان العرب - ونص عبارته : وفى الحديث ذكر فاران وهو اسم عبرانى لجبال مكة - شرفها الله - ذكر فى أعلام النبوة .

ويدل على أن اسماعيل سكن مكة الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين . ونصها فى الترجمة العربية : وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر ، حينما تجى نحو أشبور ، أمام جميع اخوته نزل .

وحويلة : هي خولان . وخولان : قبيلة يمانية تسكن سرة اليمن مما يلي الحجاز وهذا دليل على أن مكة تشملها مساكن اسماعيل وبنيه .

إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى . ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات « قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه — تريد نفسها — ثم تسمعت فسمعت أيضا . فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث ؛ فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه — أو قال بجناحه — حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا . وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو ينفور بعد ما تغرف » قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم — أو قال لو لم تغرف من الماء — لكانت زمزم عينا معينا . وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه . وأن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعا من الأرض كالراية ، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم — أو أهل بيت من جرهم — مقبلين عن طريق كداء . فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء ، فأرسلوا جريا أو جريين ، فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء . فأقبلوا » قال « وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أأذنبن لنا أن ننزل عندك ، فقالت نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء ، قالوا نعم » قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم « فألقى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس . فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وثب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب . فلما أدرك زوجه امرأة منهم . وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل . فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر نحن فى ضيق وشدة ، فشكت اليه . قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه . فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته ؛ وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة ، قال فهل أوصاك بشىء ؟ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك ، قال ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ، الحقى بأهلك ، فطلقها وتزوج أخرى . فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت خرج يبتغى لنا ، قال كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت نحن بخير وسعة وأئنت على الله ، فقال ما طعامكم ؟ قالت اللحم ، قال فما شرابكم ؟ قالت الماء ، قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء » قال النبي صلى الله عليه وسلم « ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه » قال « فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه » قال « فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يشب عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أناكم من أحد ؟ قالت نعم ، أأنا شيخ حسن الهيئة ، وأئنت عليه ، فسألنى عنك فأخبرته ، فسألنى كيف عيشنا ، فأخبرته أنا بخير ، قال فأوصاك بشىء ؟ قالت نعم

هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال ذاك أبى . وأنت العتبة ، أمرنى أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله . ثم جاء بعد ذلك . واسماعيل يرى نبلا له قريبا من زمزم . فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ، ثم قال : يا اسماعيل ، ان الله أمرنى بأمر ، قال فاصنع ما أمرك ربك ، قال وتعيننى ؟ قال : وأعينك ، قال فان الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها « قال «فعندك ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبنى . حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » قال « فجعلنا بنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » اهـ وقد قرأت فى كتاب من كتب الأدب العبرى قريبا من ذلك .

## بناء البيت

لما ترك ابراهيم اسماعيل وهاجر بالوادي الذى به مكة اليوم ، كان يزور ولده اسماعيل — الحين بعد الحين — ففى احدى هذه الزيارات أمر الله تعالى ابراهيم واسماعيل أن يبنيا البيت فصدعا بالأمر وبنيا الكعبة . ولما تم بناؤها أمره الله تعالى أن يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى وأن عليهم أن يقصدوه للنسك . وطلب ابراهيم واسماعيل من الله تعالى أن يريهما المناسك التى ينسكانهما . وبقي ابراهيم بعد ذلك زمنا طويلا حيا :

والكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى . فى حين أن بقية الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل .

كان أهل مصر يعبدون آلهة متعددة ، تارة فى وقت واحد . وتارة فى أوقات متعددة . فمن عبادة الشمس . الى عبادة الثور ، الى عبادة الآلهة الثلاثة : أزوريس وايزيس وابنهما حوريس . وكانوا يرمزون بذلك الى صفات الله تعالى . ويصنعون التماثيل لتلك الرموز . وكان الأشوريون يعبدون بعل شמוש أى الاله الشمس ويصنعون له صنما على نحو أبى الهول له رأس انسان وجسم أسد وله أجنحة .

وكان الكنعانيون يعبدون البعل ، وهو على وصف بعل شמוש بدون أجنحة ، وقد رأيته مشوها فى معبد بعلبك — المعروف الآن بقلعة بعلبك — وكان أهل نواحي غزة يعبدون داجون <sup>(١)</sup> ويصورونه انسانا له جسم سمكة : والعمونيون وأهل باشان كانوا يعبدون بعل فغور . وآخرون كانوا يعبدون العشتارون — أى القمر — صنم على هيئة أنثى .

(١) هذا الاسم مأخوذ من كلمة ( دج ) العبرية ومعناها سمك .

اقرأوا قوله تعالى في سورة آل عمران : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى  
لِّلْعَالَمِينَ [٩٦] فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرَاهِمُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ  
اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [٩٧]

وفي سورة البقرة: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [١٢٥] وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ  
فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ [١٢٦] وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَائِدَ مِنَ  
الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [١٢٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [١٢٨] رَبَّنَا وَابْعَثْ  
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [١٢٩]

وفي سورة إبراهيم: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ [٣٥]  
رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٣٦]  
رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
فَجَعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [٣٧]

وفي سورة الحج : وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تَشْرِكَ بِ شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [٢٦] وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ  
فَجٍّ عَمِيقٍ [٢٧] لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ  
الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ [٢٨] ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا  
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ [٢٩] ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ  
إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ [٣٠] حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ  
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [٣١]

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [٣٢] لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ [٣٣] وفيها : وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَمَلَكُمْ تَشْكُرُونَ [٣٤] لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ نَفَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ [٣٥]

### استطرد

يريد بعض الناس أن ينفي العرب عن ابراهيم واسماعيل ، فيتذرع الى ذلك بنفى وجود ابراهيم واسماعيل تاريخيا ، بمعنى أنه لم يكن في ذلك الوقت الذى يدعى لهما من يدون التاريخ ويسطر أحواله . ومعلوم أن عدم وجود مؤرخ يكتب عن ابراهيم واسماعيل لا ينفي أنهما وردا سجل الحياة ، فإن الجد الذى يكمل العشرة من أجدادى ، لم أعلم اسمه ، ولم يسجله تاريخ ، فهل معنى ذلك أن ليس لى جد عاشر ؟

وعلى النافى أن يثبت أن حوادث عصرهما مسجلة — كبيرها وصغيرها — بيد مؤرخين كانوا في تلك الأمكنة ، فتركهما محدث للريية ، على أن ابراهيم واسماعيل قد ورد الخبر عنهما متواترا والتواتر حجة قطعية .

يقولون : ان وجود ابراهيم واسماعيل انما هو أمر اخترعه اليهود بعد الهجرة ليتقربوا الى العرب المسلمين ، وهذا القول حجة داحضة ، لأنه يقتضى أن ذكر اسماعيل وأنه أبو العرب المستعربة شيء اخترع زمن البعثة ، بعد الهجرة ! اخترعه اليهود ليوجدوا صلة بينهم وبين العرب ، في حين أن مسألة اسماعيل موجودة في سفر التكوين من أسفار التوراة ! وقد ترجم في نحو سنة ٢٨٠ قبل الميلاد من العبرية الى اليونانية ، في عصر بطليموس فيلادلف — وهو بطليموس الثانى — في الترجمة المشهورة بالسبعينية التى قام على ترجمتها بالاسكندرية سبعون حبرا من أخبار اليهود ، وذلك قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم بتسعة قرون ، وهو دليل مؤرخ معروف في التاريخ ، وتلك دعوى لا دليل عليها . رجعوا بعد ذلك يقولون : ان ابراهيم لم يبن البيت ، واسماعيل لم يكن ولم يوجد بمكة ، وانه ربما كان هناك بلدة أخرى اسمها بكة خارج بلاد العرب وهى غير مكة ، وجد بها ذلك البيت الذى أخبر الله أنه أول بيت وضع للناس ، وقد أعياهم أن يجدوا ذلك .

ومعلوم أن لفظ « مكة » عربى والعربية احدى اللغات السامية ، وقد قال جورج زيدان بك في كتابه العرب قبل الاسلام : أن لفظ « بيك » معناه البيت ، وعزا ذلك الى لغة سامية . ومعلوم

ان اللغة العربية فيها ابدال الباء ميما وبالعكس . ومن القبائل التى تفعل ذلك مازن ، فيقولون ، فى بكر مكر ، وفى مكان بكان . وعندنا فى بلاد الصعيد وغيرها أثر من ذلك الى اليوم . وفى بلاد العرب كذلك كما نص عليه صديقنا البحاث الرحالة محمد لبيب البتنونى بك فى رحلته الحجازية . فمكة هى عين بكة ، ومعناها البيت اطلق على ما جاوره توسعا . وهذه كلمة « بعل بك » مركبة من كلمتين « بعل » ومعناه الاله و « بك » ومعناه البيت ؛ أى بيت البعل ، اسم للمعبد الذى أقيم باسم البعل ووضع به صنمه ، وهو به الى اليوم مشوه الوجه كما رأيته فى سنة ١٩٠٨ ، وقد أطلق هذا الاسم على المدينة التى فيها بيت البعل — كما هو الواقع بمكة .

هذا وأما وصف الكعبة والحرم ومكة وتاريخ مكة والبيت فقد وفاه صديقنا البحاث محمد لبيب البتنونى بك فى كتابه الرحلة الحجازية .

## أولاد إسماعيل

وقد ذكر فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين أولاد اسماعيل الذكور وهم اثنا عشر ولدا رؤساء قبائل<sup>(١)</sup> .

## عمر إسماعيل ووفاته

وفىها أن اسماعيل عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة . وفىها أيضا ما يشير الى أنه مات بفلسطين . ولكن ما عليه مؤرخو العرب أنه بمكة . ويظن أنه دفن بالحجر الذى بجوار البيت هو وأمه .

## بقية أولاد إبراهيم غير إسماعيل وإسحاق

هؤلاء الذين نذكرهم لم يبينوا فى القرآن ، ولم يذكر أحد منهم فى معرض أنه من أولاد إبراهيم .

ولكن هذه الأمور ذكرت فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ، ونص عبارته كاف عن الشرح وهو :

(١) عاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له : زمران ويقشان وميدان ويشباق وشوحا .

(١) وهذا نص العبارة :

١٢ — وهذه مواليد اسماعيل بن إبراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم

١٣ — وهذه أسماء بنى اسماعيل باسمائهم حيث تواليدهم :

١ — نبايوت بكر اسماعيل ٢ — وقيدار ٣ — وادينل ٤ — ومبسام ٥ — ومشماع

٦ — ودومة ٧ — ومسا ٨ — وحدار ٩ — وتيما ١٠ — ويطور ١١ — ونافيش ١٢ — وقدمه .

١٦ — هؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم : اثنا عشر رئيسا حسب

قبائلهم .



## وفاة إبراهيم

لم يجر لوفاته ذكر في القرآن ، ولكن ذلك ورد في الاصحاح الخامس والعشرين تكوين ، من أول الآية السابعة الى آخر الآية العاشرة . وملخصها أن ابراهيم عاش مائة وخمسا وسبعين سنة ، ولما مات دفنه اسحاق واسماعيل في مقبرة المكفيلة في حقل عفرون بن صرصر الحثي ، وفيها دفنت سارة من قبل ، وهو الموضع الذي عليه مقام الخليل في حبرون ، وتسمى مدينة الخليل ، وكان اسمها في الأصل « قرية أربع » .

## قصة إسحاق

قدمنا ما كان من تبشير الملائكة ابراهيم وزوجه سارة بولدهما ، وأنها أسمته اسحاق . ولم يذكر في القرآن الكريم من قصصه الا البشارة ، وأنه غلام عليم ، وأنه نبي من الصالحين ، وأن الله بارك عليه . وقدما أن اليهود والنصارى يدعون أنه الذبيح مع تكذيب التوراة لهذه الدعوى أيضا . ودليلهم هو الاصحاح الثاني والعشرون . وقد تقدم في قصة اسماعيل .

## زواج إسحاق

ومما لم يقصه القرآن من أمر اسحاق . زواجه من ابنة بتوئيل بن ناحور . وانما قصته التوراة في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين ، وملخصها أن ابراهيم لما شاخ أتى بعبدته المستولي على بيته « لعازر » وأخلفه على أنه لا يأخذ لابنه اسحاق زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين في فلسطين ، بل يأخذ له زوجة من عشيرته وبنى أبيه . وأنه لا يرد ابنه الى الأرض التي خرج هو منها اذا تأبث عليه الزوجة وامتنعت من الانتقال . فذهب ذلك العبد وهياً ما يصلح أن يكون هدية للزوجة ، وأخذ من الجمال والأموال ما أحب ، وذهب الى آرام وأناخ جماله خارج المدينة التي بها أسرة ناحور — أخي ابراهيم — واذا هو بفتاة حسنة المنظر خرجت من المدينة وجرتها على كتفها ، فملأت الجرة فقال لها العبد : اسقيني ! فانزلت الجرة وأعطته اياها ليشرب وقالت : استقي لجمالك أيضا ، فتقرس فيها الى أن فرغت من سقى الجمال ، وحلى أنفها بخزامة من ذهب ويديها بسوارين من الذهب وسألها : بنت من هي ؟ وهل عند أبيها مكان لمبيتة وجماله فأخبرته بأنها بنت بتوئيل بن ناحور وأن عندهم مبيتا وعلقا لماشيتة وأسرت الى البيت وأخبرت بما رأت ، وكان اسم الفتاة « رقة » وقام لابان بن بتوئيل في الحال الى حيث عبد ابراهيم وأضافه وأكرم مثواه . وفي الحال أخبرهم عبد ابراهيم بما جاء لأجله ، وأنه يريد « رقة » لابن سيده . فأجابوه الى ما طلب وأعطاها آنية من ذهب وفضة وثيابا وتحفا لأخيها وأما . ثم طلب اليهم أن ينصرف سريعا ، ووافقت « رقة » على التعجيل بالمسير . فذهب بها الى ديار سيده .

وكانت عزاء لاسحاق بعد موت أمه . ثم ان رفقة ولدت توأمين هما : عيسو ويعقوب ، وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب .

وكان عيسو في كبره مغرما بالصيد ، ويعقوب وادعا ، فأحب اسحاق عيسو ، وأحبت رفقة يعقوب . وكان في ذلك الزمن للبكر امتياز على غيره في الميراث بحق البكورية . فجاء عيسو يوما متعبا لم يظفر بصيد . وقد هيا يعقوب طعامه من عدس فأراد عيسو أن يأكل منه ، فأبى عليه ذلك الا أن ينزل له عن حق البكورية ففعل .

وأن اسحاق — لما كبر — أراد أن يدعو لولده عيسو ويبارك عليه ، وطلب اليه أن يصيد صيدا ويهيئه للأكل ، حتى اذا أكل منه خصه بدعواته . وسمعت رفقة فأحبت أن تكون البركة ليعقوب ، فأمرته فصنع طعاما من جدى ذبحه وقربه الى والده ، وأوهمه أنه عيسو ، وكان اسحاق قد كبر وساعدته أمه على ذلك ، فأكل ودعا له ، فحقدها عليه عيسو فهرب الى خاله « لابان » في فدان أرام وخدمه وتزوج ابنتيه : ليثة وراحيل . وجاريتيهما : زلفا وبلها .

### تغرب إسحاق

وأنا أستبعد أن يكون أبو مالك الذي كان ذكر في القرآن : أنه حصل جرع في الأرض — كما حصل في عهد ابراهيم — وتغرب في جرار عند أبي مالك . وقالت رفقة عن زوجها اسحاق أنه أخى وهو أيضا قال أختى . ورأى الرجل اسحاق يلعبها فعلم أنها زوجته ، فعاتب اسحاق . وحصل ما حصل في شأن ابراهيم وسارة .

وأنا أستبعد أن يكون أبو مالك الذي كان في عهد اسحاق هو الذي كان في عهد ابراهيم ، كما هو المتبادر من عبارة الاصحاح السادس والعشرين تكوين . لأن ذلك كان رجلا كبيرا قبل أن تحمل سارة باسحاق . واسحاق كان قد جاوز الأربعين في تغربه .

ومما ذكر أيضا أن اسحاق قد كثرت أمواله وعبيده وحفر آبارا ، وكلما حفر بئرا نازعه عليها أهل جرار فيتركها لهم ويحفر بئرا أخرى . وأن الملك ورؤساء جنده صالحوا اسحاق أخيرا وعقدوا معه صلحا .

### موت إسحاق

وفيها أن اسحاق عاش مائة وثمانين سنة ، ودفن في حبرون — وهى مدينة الخليل اليوم — بمغارة المكفيلة .

## لوط عليه السلام

هو لوط بن هاران - أخى ابراهيم - بن تارح . آمن بابراهيم واهتدى بهديه كما قال تعالى ( فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى ... الخ ) وتبع ابراهيم عمه فى رحلاته فكان معه بمصر وأغدق عليه ملك مصر كما أغدق على ابراهيم . فكثر ماله ومواشيه . ثم افترق من ابراهيم عن تراض لأن الأرض لم تتسع لمواشيها ، ونزل الى سدوم فى دائرة الأردن .

### أهل سدوم

كان أهل سدوم ذوى أخلاق رديئة لا يستحون من منكر ولا يتعففون عن معصية يأتونها على رءوس الاشهاد . كما قال تعالى على لسان لوط وهو يعظهم وينهاهم ( وتأتون فى ناديكمن المنكر ) قرأت فى كتاب من كتب الأدب العبرى وصفا لهم . وهو أنهم كانوا يتربصون لكل داخل مدينتهم من التجار ويجتمعون عليه من كل أوب ، ويمدون أيديهم الى بضاعته يأخذ كل واحد منها شيئا قليلا حتى لا يبقى فى يده شيء . فإذا جلس حزينا وجأ بالشكوى . يأتى الواحد منهم ويقول كل هذا لأننى أخذت هذا الشيء اليسير ؟ دونكه ؛ فيقول : ما عسى أن ينفعنى ما جئت به بعد أن ذهبت بضاعتى . اذهب عنى بهذا الذى جئت به . فإذا انصرف جاء آخر بشيء تافه يريد رده عليه ، فيتركه الرجل لزهادة ما أتى به وينصرف . وهكذا يخسر الرجل بضاعته بتفرقها فى الأيدي الكثيرة . فهم كما قال تعالى ( وتقطعون السبيل ) .

وفى ذلك الكتاب من دلائل ظلمهم واستغراقهم فيه : أن سارة زوج ابراهيم أرسلت الى لعازر كبير عبيد ابراهيم ليأتيها بسلامة لوط . فلما دخل مدينة سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد الى لعازر بحجر ضربه به فى رأسه فأسال منه دما كثيرا . ثم تعلق به قائلا : ان هذا الدم لو بقى لأضربك ، فأعطنى أجرى . ثم آل الأمر بينهما الى الترافع الى قاضى سدوم . فلما سمع للخصمين حكم على لعازر بأن يعطى للسدومى أجر ما ضربه بالحجر وأسال دمه ، فلما رأى لعازر الجور من القاضى والخصم فى أمره ، عمد الى حجر ضرب به رأس القاضى فأسال دمه وقال له : الأجر الذى وجب لى عليك باسالة دمك - عليك أن تعطيه لضاربى السدومى جزاء ضربه اياى واسالة دمى . ولقد كنت اقرأ قول المعرى .

وإى امرئ فى الناس ألقى قاضيا ولم يمض أحكاما لحكم سدوم فلم أفهم ما يعزوه بهذا البيت ، ولم أعرف ما سدوم حتى قرأت هذه القصة ففهمت معنى البيت .

هذه الحكاية — مع احتمال وضعها — تفيدنا معرفة الفكر العام في أحوال هؤلاء الناس وأنهم من الشر بحيث يصلحون أن تسند اليهم أمثالها .

قدمنا في قصة ابراهيم أن الملائكة أخبروه أنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط ، الذين هم أهل سدوم وعمورة . وأن ابراهيم خاف أن يمس لوط بأذى ، فأخبر بأنه ناج هو ومن آمن معه ثم أخبر في آخر القصة بأن وقوع العذاب بالقوم أمر حتم ، لا تقبل فيه شفاعاة ولا يغنى جدال ( يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ) .

ذكرت قصة لوط بتسامها في عدة سور باختلاف يسير . وبعضها يكمل بعضها وتتلخص في أن قوم لوط كانوا من الشر بمكان ، وأنهم كانوا يقطعون الطريق على السابلة ، وقد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحا ولا يرغبون في حسن . كما قال الله تعالى حكاية عن لوط ( وتأتون في ناديكم المنكر ) وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم اليه أحد من خلق الله . وذلك أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء . يستعلنون بذلك ولا يستسرون ولا يرون في ذلك سوءا أو قبحا . وأن لوطا قد وعظهم ونصحهم ونهاهم وخوفهم بأس الله تعالى فلم يأبهوا له ولم يرتدعوا . فلما ألح عليهم بالعظات والانذار هددوه تارة بالرجم وتارة بالاخراج من بينهم . الى أن جاء الى لوط الملائكة — الذين مر ذكرهم في ابراهيم وبشره بابنه اسحاق — وقد جاءوا الى لوط بهيئة غلمان مرد حسان الوجوه ، فجاء أهل القرية الى لوط طالين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة . وقد جهد لوط في ردهم وبالع في ذلك حتى طلب اليهم أن يأخذوا بناته فلم يصغوا اليه . حينئذ التفت لوط الى الملائكة وقال ( لو ان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ) أى لجاهدتهم بكم وأوقعت بهم ما يستحقون ، وكان لا يعلم أنهم ملائكة الى ذلك الحين ، وحينئذ أعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم ، وأنهم جاءوا للتكليف بأولئك القوم . ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة وهجموا على بيت لوط ، طمس الله أعينهم فلم يبصروا ولم يهتدوا الى مكان يقتحمون منه عليه وعلى من معه . ثم أخرج الملائكة لوطا وابنتيه وزوجه من القرية وأمروهم ألا يلتفت منهم أحد وأن يحضروا حيث يؤمرون ، فصعدوا بالأمر الا امرأته فانها التفت الى القرية لترى ما يحل بها ، وكان هواها في أهل القرية دون لوط فحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم ، وكانت كافرة غير مؤمنة ، فأمر الله عليهم حجارة من سجيل ، وقلبت ديار القوم وجعل عاليها سافلها .

وأعتقد أن البحر الميت — المعروف الآن ببحر لوط وبحيرة لوط — لم يكن موجودا قبل هذا الحادث وانما حدث من الزلزال الذى جعل على البلاد سافلها ، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر وقد جاءت الأخبار في السنتين الماضيتين بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت .

انظروا إلى قوله في سورة الأعراف : وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ [٨٠] إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ [٨١] وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْكَسَ يَتَطَهَّرُونَ [٨٢] فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ [٨٣] وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ [٨٤]

ثم في هود : وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ [٧٧] وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ [٧٨] قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ [٧٩] قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ [٨٠] قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [٨١] فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ [٨٢] مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [٨٣]

وفي سورة الحجر : فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ [٦١] قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ [٦٢] قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكَ بِنَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ [٦٣] وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ [٦٤] فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ [٦٥] وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ [٦٦] وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ [٦٧] قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ [٦٨] وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ [٦٩] قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ [٧٠] قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ [٧١] لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ [٧٢] فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ [٧٣] فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ [٧٤] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَمْتُوسِّمِينَ [٧٥]

وفي سورة الشعراء : كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ [١٦٠] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ [١٦١] إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [١٦٢] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [١٦٣] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٤] أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ إِنْ مِنْ الْعَالَمِينَ [١٦٥] وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ

مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ [١٦٦] قَالُوا لَنْ لَمْ تَذْتَهُ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ [١٦٧]  
 قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ [١٦٨] رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ [١٦٩] فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ  
 أَجْمَعِينَ [١٧٠] إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ [١٧١] ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ [١٧٢] وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا  
 فَسَاءً مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ [١٧٣] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [١٧٤] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [١٧٥]

وفي سورة النمل : وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ [٥٤] أَتُنذِرُكُمْ لَتَأْتُونَ  
 الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ [٥٥] فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
 أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ [٥٦] فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنْ  
 الْعَاكِرِينَ [٥٧] وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ [٥٨]

وفي سورة التحريم : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ  
 مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ [١٠]

### مسألة

كيف سمحت نفس لوط بابنتيه أو بناته يقدمهن لهؤلاء الفسقة وهو نبي معصوم من المعصية  
 كما هو معتقد جمهور المسلمين في عصمة الأنبياء ؟ وهذه المسألة لها عدة أجوبة :

( أولها ) أن لوطا لم يعرض عليهم بناته الصليات ، وانما عرض عليهم بنات القرية وهن  
 أزواجهن ، لأن كل نبي أرسل الى قوم فأولادهم أبناءه ونسأؤهم بناته — مجازا — وهذا جواب  
 سخيف اذ كيف يكون لوط أبا لهؤلاء الكافرات غير المؤمنات ؟ وكيف يعبر عنهن ببنايتي وهن  
 يابن أبوته ويكفرنه ويجحدون نبوته ورسالته ؟ فهذا الجواب لا أرضاه ولا تطمئن له نفسى .

( ثانيها ) أن الملائكة الذين طمع فيهم هؤلاء الفجرة كانوا ثلاثة . ولا يعقل أن يكون كل  
 واحد من أهل القرية — الذين جاءوا اليه يزفون — يأمل أن ينال حاجته منهم ، وأهل القرية  
 يبلغون ألفا أو يزيدون . ولكن المعقول أنه كان هناك رئيسان مطاعان أو ثلاثة في القوم — وهم  
 الذين يطلبون الملائكة — وانما عبر بأهل القرية لمظاهرتهم لهم حتى يتم مرادهم ، فعرض لوط  
 على القوم بنتيه الصليتين ليأخذوهما بطريق التزوج لا على سبيل الزنا . وهذا الجواب قابل  
 لأن يحوز مكان القبول . ولكن الذى سأشرحه فيما يأتى أولى منه بالقبول . فقد نص على هذا  
 الجواب أبو السعود في سورة هود .

( ثالثها ) أن لوطا عرض على القوم بناته عرضا سابريا <sup>(١)</sup> — أى عرضا غير مؤكد — لا يقصد به الجد وأن يعطيهم بنتيه للزنا . ولكن عرض بنتيه اعتمادا على أنهم يستحيون منه ويخجلون ليكفوا عن خزيته في ضيفه — كما تقول لرجل يضرب آخرو أنت تحجزه عنه : دعه واضربني أنا . لأنك تقول هذا القول وأنت جد واثق بأنه لا يضربك . ولو علمت أنه يضربك حقيقة ما قلت هذا القول ولا تعرضت للشفاعة — وهذا القول قد أورده كثير من المفسرين كأبى السعود والفخر الرازى والأصفهاني وغيرهم . وهذا الذى أراضاه وأختاره .

ذكرت قصة لوط في التوراة على النحو الذى ورد في القرآن ، ولا تخالفه الا في شيء واحد وهو أنها لم تذكر عرض بناته على القوم . وذكرت أن زوج لوط وهى سائرة للابتعاد من المدينة التفتت فصارت عمود ملح ، وأن لوطا التجأ الى قرية تسمى صوعر — أى الصغيرة — ونجا هو وابنتاه ولم تمس صوعر بضرر .

### مسألة أخرى

ما هو مرجع كاف الخطاب في قوله ( لو أن لى بكم قوة ) ؟

— الجواب : أنه قومه الذين جاءوا يهرعون اليه . والمعنى لو أجد قوة تمكننى من صدكم واحلال النكال بكم . وهذا الجواب لا أميل اليه . وخير منه أن يقال أن مرجع الخطاب هم الملائكة . وعلى ذلك فان لوطا تمنى لو كان عدد ضيفه كثيرا ليجد بهم قوة على مجاهدة قومه وكفهم والايقاع بهم . ولذلك ردوا عليه بقولهم ( يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك ) .

### مكان العبرة في قصة إبراهيم وما معها

(١) أن العقيدة الحقّة اذا تغلّغت في النفوس وأشربتها القلوب استولت على فكر الانسان واستغرقت كل خطوات قلبه وملكت عليه مشاعره ووجدانه ، فهو يستهين بالنار يلقي فيها وكل عذاب يحل به دون أن يرجع أو يتقهقر ، والمثل الأعلى في ذلك : ابراهيم : الذى كان أول من ضرب المثل للأمم والأجيال بعده .

(٢) أن ثورة ابراهيم على الأصنام وعبادتها لم تكن ثورة كلامية ، بل كانت ثورة عملية . اذ جعل أصنامهم جذاذا لا كبيراً لهم ، وجعل عمله وسيلة لم حاجتهم حتى أفهمهم . فلجئوا الى مخاشنته والقائه في النار فكانت عليه بردا وسلاما .

(٣) أن ابراهيم لم يدخر وسعا في ابتكار أساليب الدعاية الى ما رآه من الحق . فتارة يلجأ الى النجوم عله يجد فيها الها ، فلما أفهمهم أن كواكب السماء كلها لا يصح فيها آلهة جهر بأمره قائلا ( وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ) فلم يتبرأ من

---

(١) السابري وهو بتر صفيق النسيج متلاحم ، وبائع لا يلح في عرضه ولا يزينه للمشتري .

لهم لأول وهلة وبأدى الرأى ، بل بعد ما جرهم الى امتحان الآلهة واحدا بعد آخر وأبان عجزها وعدم صلاحيتها لأن يكون واحد منها إلهاً .

(٤) أن ابراهيم كان جديرا بما قال الله فيه ( وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ) فقد كان يجادل الملك ويحاجه غير متتبع ولا وجل ، حتى ألزمه الحجة وألبسه الخزي .

واقروا قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ إِنِّ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [٢٥٨] سورة البقرة

(٥) أن ابراهيم كان رقيق القلب . يتجلى ذلك فى جوابه لأبيه اذ قال له ( لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً ) فأجابه بقوله ( سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفياً ) وقوله ( واغفر لأبى انه كان من الضالين ) وقوله ( فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ) .

وهكذا ينبغى أن يكون الداعى الى الحق حليماً واسع الصدر عظيم الأناة طويل البال .

(٦) أن الايمان الحق اذا اطمأن به قلب أورثه الطاعة التى لا معصية معها ، حتى أن ابراهيم لما طلب منه فى المنام أن يقدم ابنه الذى ليس له سواه امثل ذلك الأمر ، مقدماً رضا الله تعالى على رضا نفسه ، وقام بكل استعداد لتقديم ابنه قرباناً لله الى أن فداه الله بذبح عظيم .

(٧) أن ابراهيم كان مضيافاً ولا يرضى لأضيافه بما يقيم أودهم ، بل كان يكثر لهم من القرى . لأن ثلاثة أضياف لا يقدرون على التهام عجل سمين ، بل هو يفضل عنهم ، وكان يكفيهم عناق صغير أو بعض الفطير يقدم اليهم . ولكنه أظهر حفاوة هونت عليه أن يبذل من ماله كل كريم . ولا يفعل ذلك الا الكريم .

وهانذا استطرد لكم حكمة قرأتها فى بعض الكتب العبرية الأدبية . وهى أن ابراهيم نظر الى البرية يوماً فرأى رجلاً قد بلغ من الكبر عتياً يمشى وفى يده عكازته . فقام واستقبله وأضافه وقدم له طعاماً . فلما طعم الرجل مع ابراهيم قال ابراهيم : هلم نشكر الله الذى أطعمنا ورزقنا هذه النعم . ولكن الرجل أبى وقال : لا أعرف الله الذى تقوله ، وانما أشكر لى الذى فى بيتى — يعنى صنمه — فغضب ابراهيم وطرده الرجل . فلما ولى الرجل عنه رجع ابراهيم باللائمة على نفسه قائلاً : ان الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ وجباه بجلال النعم وأطال عمره وقد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله ويجحده ولا يؤدى شكر شئ من نعمه عليه . ومع اصراره على الكفر وتماديه فى الضلال لم يقطع الله عنه نعمة من نعمه المتواصلة ، وأنا لأنى أطعمته مرة واحدة وخالف مشورتى فى عبادة الله أطرده ، وأسف لذلك أسفا شديداً .

فخلق الكرم فى ابراهيم كان بالغاً حده الأعلى .



(٨) كان ابراهيم ذا نفس طلعة يحب استكناه الأشياء والوقوف على دقائق صنع الله تعالى . ولذلك طلب من الله أن يريه أحياء الموتى ليطمئن قلبه . وقد قدمنا موقعه في ذلك من القرآن والتوراة .  
(٩) كان ابراهيم قائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أوامر الله تعالى ، فيما أحب أو كره دون تبرم ولا تذمر ، متحليا بالتقوى والطاعة والشكر والصبر . وهى مزايا بارعة قل من الناس من يجمعها . وما اجتمعت هذه الخصال فى شخص الا برع أهل جيله وفضلهم .

انظروا إلى قوله تعالى : وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [١٣٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٣١] من سورة البقرة

ذلك أن كثيرا من الناس يدعون الى الخير الذى لم يعهده فتكون منهم نبوة عنه لأول وهلة وتوقف عن الاجابة ريثما تظمن النفس وتأنس بهذا الشئ الغريب الذى لا الف لها به . ولكن ابراهيم لم يكن منه شئ من ذلك . بل كانت نفسه مستشرفة للهداية متلبية للدخول فى الطاعة . فلم تكن منه هفوة ولا نبوة كما قال صلى الله عليه وسلم ما معناه « ما دعوت أحدا من أصحابى الى الاسلام الا كانت منه هفوة الا أبا بكر » وأما صبره على المكاره وايثاره رضا الله تعالى عنه فيتجلى فى تقديمه ولده الواحد « اسماعيل » ليقترله بيده ويقربه قربانا لله تعالى ، ويحرق جسمانه بيده فأقدم على ذلك صابرا غير مكابر ولا متضجر .

(١٠) أن اسماعيل كان عبدا مخلصا من صغره وقبل أن يبلغ حد التكليف صابرا على المكاره . فان أباه أخبره أنه رأى فى المنام انه أمر بذبحه فأجاب الى ذلك صابرا غير متألم ولا متبرم . ولم يعارض فى ذلك ولم يحل على أن ذلك أضغاث أحلام بل قال له ( يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ) .

(١١) أن اسماعيل كان اذا وعد صدق ، فقد وعد والده الصبر على أن يكون قربانا ، ووفى بوعده وصدق فيما قال . كما قال تعالى فيه ( واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا ) . وأى صبر لغلام لم يبلغ الحلم — وللغلمان آمال كبار فى الحياة — يقدم لينحر على الحطب كما تنحر الشاة فيقبل ذلك راضية نفسه ويطلق آماله . ويعتق آلامه . كل ذلك كثير وصاحبه جدير بالثناء وحقيق بكل وصف كريم .

(١٢) ويدل ما تقدم فى قصة لوط على كرم محتد كريم واستمساك بالذمام ورعاية للجار والنزىل . فقد أراد قومه سوءا بضيفه فقام يذب عنهم ويدافع أهل بلده دونهم . وعرض بناته فدية لهم كراهة أن يخزوه فى ضيفه .

قال أبو السعود فى تفسيره لسورة هود : فانه اذا أخزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل . وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة . وظلم الجار اذلال المجير .

(١٣) تدل قصة لوط على أنه كان عظيم الايمان مطمئن القلب به ، حتى أنه لم يحتج من عمه الى معالجة وأنه فى سبيل الايمان بالله تعالى قد رضى بأن يهاجر من وطنه ويتعد عن قومه مع علمه بأن الجلا سبا والنقلة مثله . قال الله تعالى فيه ( فأمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى ) .

## يعقوب عليه السلام

أولاد يعقوب عليه السلام — يوسف عند أبيه — يوسف عند سيده —  
محنة يوسف — يوسف وامرأة العزيز — شيوع الخبر في المدينة وتحدث  
النساء به — دعوة امرأة العزيز للوائمه — يوسف في السجن يدعو لدينه —  
الفرج ليوسف — يوسف بحضرة الملك — أخوة يوسف في مصر يمتارون —  
أخوة يوسف عند أبيهم — حيلة يوسف في إبقاء بنيامين عنده — يوسف  
يتعرف إلى أخوته — الأخلاق التي تستفاد من قصة يوسف وأخوته —  
فضيلة الشكر — العظة البالغة .

هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام من « رقة بنت نتوئيل » أخى ابراهيم .  
كان يعقوب أثيرا عند أمه . فلما دعا اسحاق ليعقوب وهو يظنه عيسو — وجاء عيسو وقد  
علم بذلك أخذ منه الغيظ مأخذه ، وخشيت رقة على يعقوب أن يبطش به عيسو . فأشارت عليه  
أن يذهب إلى خاله « لابان » فذهب إلى فدان آرام ، وأقام عند خاله يخدمه في نظير تزويجه  
بابنته راحيل . ولكن خاله أدخله على ابنته ليئة التي لا يريد لها يعقوب . فكلّم خاله في ذلك فقال  
له اخدمنى عشر سنين لأزوجك راحيل ففعل وتزوج أيضا من جاريتيهما : زلفا وبلها .  
ومنهن كان أولاده وقد ولد له أولاده جميعا في آرام الا « بنيامين » ثم جاء إلى فلسطين بمال  
كثير ونعم جليلة وأهدى إلى أخيه بعضها وهو خائف أن يبطش به . ولكن عيسو قابله  
مقابلة حسنة (١) .

---

(١) هذه الحكاية لم تذكر في القرآن . ولكن هذا ملخص صغير لما في التوراة .

## يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب — إسرائيل الله — بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام .  
ان قصة يوسف عليه السلام تتصل بقصة يعقوب عليه السلام . وقد مر بعضها في قصة  
اسحاق لتدخلها فيها . وسيمر بنا في قصة يوسف عليه السلام قدر وافر من قصص يعقوب  
عليه السلام .

### أولاد يعقوب عليه السلام

كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولدا ذكرنا وهم (١) رأوبين : بكر يعقوب (٢) شمعون  
(٣) لاوى (٤) يهوذا (٥) ويساكر (٦) زبولون — من ليئة بنت خاله لابان (٧) يوسف  
(٨) بنيامين — من راحيل بنت خاله لابان (٩) دان (١٠) نفتالى — من بلها جارية راحيل  
(١١) جاد (١٢) أشير — من زلفا جارية ليئة .

وهؤلاء الأولاد ولدوا له وهو في فدان آرام يرعى غنم خاله لابان في نظير تزوجه ابنته ليئة  
وراحيل . وعاد بهما بعد انقضاء الأجل — وبعد أن أخذ من غنم خاله تتاج سنة — الى أرض  
كنعان الا بنيامين فقد ولد في كنعان .

### يوسف عند أبيه

كان يوسف جميل الصورة أثيرا عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته . وكان ذلك سببا  
في حقد اخوته عليه وسببا في محنته التي كانت خيرا وبركة عليه وعلى الأمم القريبة من مصر ،  
وعلى مصر .

ذكر اسم يوسف في ٢٦ آية من الكتاب الكريم : ٢٤ آية في سورة يوسف ، وآية في الأنعام  
وآية في سورة غافر .

وهاهى ذى أرقام الآيات التي ذكر فيها: في سورة يوسف ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٩ ،  
٤٦ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٩ — وفي سورة الأنعام  
آية ٨٤ — وفي سورة غافر آية ٣٤ — وقد ذكرت قصة يوسف مطولة في سورة يوسف .

وسبب نزول هذه السورة في القرآن الكريم أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود وتباحثوا في  
ذكر محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لهم اليهود : سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام الى  
مصر ؟ وعن قصة يوسف فنزلت « ٥١ النسفى » .

والقصة أن يوسف كان صغيرا . وتقول التوراة كانت سنه سبع عشرة سنة « ومن كان في هذه السن يبعد أن يصنع معه ما صنع الى يوسف » فرأى في منامه أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له . والذي في القرآن الكريم يفيد أن قصة هذه الرؤيا على والده كان في غيبة اخوته . وأن أباه قال له ( لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيذا ان الشيطان للانسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليهم حكيم ) .

وتفيد عبارة التوراة أن ذلك كان بحضرة اخوته وأن أباه انتهره على هذا القول . وقال :  
لعلنا نسجد لك أنا وأمك واخوتك ! متهمكما . وما في القرآن هو حق .

رأى أبناء يعقوب من ايثار أبيهم ليوسف وحده عليه ما لم يكن منه لواحد منهم فغاضهم ذلك . وهم في سن الشباب وطيش الحداثة . فأضمرُوا له الشر فقالوا لأبيهم ( مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ؟ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ) وكان يعقوب قد أحسن الشر الذي يضره بنوه لأخيهم ولم يشأ أن يعلمهم بتخوفه جانبهم فقال ( انى ليحزننى أن تذهبوا به ) ثم ترقى في تعليل ضنه به قائلا ( وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ) والله يعلم أنه يتخوف عدوانهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب .

لم يعي أبناء يعقوب بجواب . بل أجابوه جوابا لا يبقى له علة يتشبث بها ، فقالوا ( لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ) وهنا تخالف التوراة القرآن في هذه القصة وتقول ان يعقوب هو الذى أرسل يوسف الى اخوته من تلقاء نفسه ليذهب اليهم في المرعى ثم يعود ويطلعه بأحوالهم . وكانوا قد أبعدهوا فلما جاء وعليه قميص مخطط — قد حباه به والده — قالوا : قد جاء صاحب الأحلام لابس البجاد المخطط ، ثم اتهموا به ما يصنعون ؟ ثم انتهوا الى أن يلقوه في الجب بعد أن يعرفوه من قميصه ولا يسفكوا دمه ، وأن يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه .

والقرآن على أنهم تسلموه من يد أبيه ( وذهبوا به وأجمعوا على أن يجعلوه في غيابة الجب ) ثم ( جاؤا بأباهم عشاء ييكون . قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق ) أى في النضال بالسهام ( وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ) .

ولما كان المريب يشعر من نفسه بالتهمة ويتخيل أن كل واحد قد اطلع على خبيثة أمره قالوا لو الدهم ( وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب ) فلم يخف عليه شأنهم . وكان كمهرة المحققين في القضايا في هذه الأيام ، فأخذ القميص ، ولما لم يجد به تمزيقا ولا قطعاً قال لهم متهمكما : ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل في قميصه نابا ولا ظفرا ، وقال لهم ( بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ) .

بعد أن ترك يوسف في الجب « البئر » وكانت قليلة الماء جاءت سيارة « قافلة » فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه في الجب فتعلق به يوسف ، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فإذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل وقال ( يا بشرى هذا غلام ) ويقول المفسرون : ان الذين كانوا على الماء ادعوا في القافلة أنهم اشتروه من سادته . وأسروه بضاعة حتى وردوا الى مصر . وشروه أى باعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين . وكثير من الناس حتى بعض العلماء يقولون : ان اخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة ، وعبارة التوراة لا تساعدنا ونظم القرآن لا يساعد على ذلك ، لأنه ذكر السيارة وواردهم ولم يعد الى ذكر اخوة يوسف في هذا المقام .

والذى في التوراة أن اخوة يوسف بعد أن ألقوه في الجب جلسوا للطعام . ورأوا قافلة من الاسماعيليين تقصد مصر ومعهم الكثيرون والبلسان والطيب . وجاءت قافلة أخرى من المديانيين فسحبوا يوسف من الجب وباعوه للاسماعيليين . وأن يهوذا أشار على اخوته ألا يتركوا يوسف في الجب وأن يبيعوه ، ولما جاء رأوبين الى الجب لم يجد يوسف فمزق ثيابه وبكى . وهذا كله ينفي ما اشتهر من أنهم باعوه ، والمفسرون يخطئون في هذا كثيرا . وباع الاسماعيليون يوسف في مصر وكان من رأى رأوبين من الأول عدم اهلاك يوسف ، وهو الذى أشار عليهم بالقائه في الجب لكي يخالفهم اليه ويأتى به الى أبيه .

### يوسف عند سيده

بيع يوسف لرئيس الشرطة في مصر ولم يعين البلد الذى كان عاصمة الملك في البلاد المصرية في ذلك الحين ، والأقرب أنه مدينة « صان » ببلاد الشرقية قرب بحيرة المنزلة . وذلك أن ملك مصر في ذلك العهد كان من العمالة الذين وردوا مصر قبل نزول ابراهيم ، وكان منهم الملك الذى أكرم مثنوى ابراهيم وأعطاء الأموال الكثيرة ، وهم الذين شغلوا تاريخ مصر ما بين الأسرة الرابعة عشرة الى الأسرة الثامنة عشرة ، التى منها « أحمس » الذى طرد العمالة من مصر ولما حصل يوسف عند سيده ألقى الله على سيده محبته فقال لامراته ( أكرمى مثنواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ) وكان سيده رئيس شرطة المدينة واسمه « فوطيفار » ويعبر عن منصبه في العبرية بـ « سرها طباحيم » أى رئيس الشرطة . فكان يوسف أثيرا لديه فجعله صاحب أمره ونهيه ، والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته بحيث لم يكن لأحد ممن في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته . وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق وعلمه من لدنه علما عظيما . كما قال تعالى ( وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ) .

## محنة يوسف

كانت منة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكننا لمحنته . ومحنته مكننا للمنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع الأمم التي تقرب من مصر . كما قال ابن عطاء الله السكندري : « ربما كمنت المنن في المحن » وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت الى يوسف وما هو عليه من الخلق السوى والجمال المفرط فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب .

وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له الى أن غلبها الحب على حيائها . فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملين يكفى كل واحد منهما لغزوفه عما تريد :

أولهما : ايمانه بالله وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الأرجاس الخلقية تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وجدته وجد أبيه .

ثانيهما : أن بعلمها سيده الذي حذب عليه ، وأكرم مثواه ، ومكن له في بيته ، وجعله المتصرف في أمواله وخدمه ، ووثق به ثقة ليس لها حد . فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران . فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافيا لحفظ سيده في أهله ، والبعد عن تدنيس فراشه .

كان ذلك دأب يوسف معها ، الى أن هاج بها هائج الغرام ، واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة فصارحته القول ، ودعته الى نفسها دعوة لا هوادة معها . واحتاطت للأمر وأخذت عدتها له . وغلقت الأبواب . وقالت ليوسف ( هيت لك ) فأبى وقال ( انه ) أى بعلمها ( ربى أحسن مشاوى انه لا يفلح الظالمون ) وفي هذا الموقف العنيف : شاب في ريعان شبابه وغضارة الفتوة تدعوه سيدته الجميلة الى نفسها فيغلبه دينه ويعصمه رعى الذمام لسيده . ثم يولى وجهه شطر الباب يطلب النجاة من شيطان غوايتها . وهى تجاذبه ثوبه وهو العصى حتى تمزق من خلفه . الى أن يغلبها ويفلت من يدها فيستبقان الباب . هو يريد فتح مغلقة وهى تريد أن تحول بينه وبين ما يشتهى من الافلات من يدها دون قضاء لباتتها . وحينئذ يجد أن بعلمها عند الباب (١) .

تدبروا واقروا قوله تعالى : وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [٢٣] وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ [٢٤] وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ [٢٥] سورة يوسف

(١) ساقط التوراة هذه القصة في سفر التكوين في الاصحاح ٣٩ وهى لا تختلف عن القرآن الا في شيء واحد ، وهو أنها لما امسكت بشوب يوسف خلعه لها ، فسادت الخدم واخبرتهم بأن بعلمها جاء برجل عبرانى يداعبها ، وأن يوسف لما رأى المكان خاليا طلب أن يضاجعها فأبت وصرأت بصوت عظيم ، وكان قد خلع ثوبه استعدادا للأمر فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه .

وللعلماء في تفسير هذه الآية آراء : فقوم يقولون ان امرأة العزيز قد همت ليوسف ليضاجعها وهو هم بها وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته . فلما لم يبق شيء دون اتمام ما قصده وقصده جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبيا . وهذا العمل لا يليق من الأنبياء فكف عنها وهذا : برهان ربه ، ومعنى الآية لولا أن رأى برهان ربه لفعل .

وقال آخرون : ان البرهان الذي رآه وهو على هذه الحال أن نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤنبه على هذا العمل عاضا على أنامله .

وقال آخرون : ان يوسف وهو في تلك الحال نودى من الله : يا يوسف انك مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء . الى غير ذلك من الأقوال الباردة . والقائلون بذلك لم يفقهوا قول الله تعالى في تلك الآية ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ) فكيف يكون قد صرف عنه السوء وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة وأصغى الى شيطان الغواية ؟ ولم يرجع كما يقولون الا بعد أن رأى من الزواجر والروادع ما يكفي لصرف أعظم الفسقة والمستهترين عن الفی ومتابعة الشهوة ! وكيف يوصف بأنه من المخلصين من كان انصرافه على هذا الوجه ؟

وأعرق هذه الأوجه في البعد قول من يعتذر عن هم يوسف بأن ذلك كان قبل النبوة — أى فعل المعصية في هذا الدور غير ممتنع على الأنبياء — فان صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالى ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) فان الرسالة انما يختار لها أصحاب الأعمال المرضية ولا يختار الله رسله من أهل الفسق . وهو تعالى يرشحهم لما يضطعون به من رسالته فهو يعصمهم عن الخسائس وسائر ما يعير به الناس ، وأى عار أكبر من أن يذهب الشخص الى المعصية ثم لا يرجع الا بعد الزجر والنهي ؟

ويقول آخرون : انه هم ، هم الطبيعة وهو أمر لا اختيار للمرء فيه . وهؤلاء أخف قولاً مما تقدم .

ويقول آخرون : انه هم ، هم ترك ولست أضمن الى هذا القول وأنه وجد منه هم على حال . وتكلف آخرون فقالوا : انه هم ليضربها .

والقول الذي لا غبار عليه ويلتئم مع قوله تعالى ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ) ومع قوله في الآية نفسها ( انه من عبادنا المخلصين ) أن همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بأداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة ، وأن قوله ( وهم بها ) لا يصلح جواباً لأن ( لولا ) لها الصدارة . لأننا لا نقول أن هذا هو الجواب ، ولكنه دليل الجواب . ونظير ذلك قوله تعالى ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ) لأن ( لولا ) حرف امتناع لوجود . امتنع الهم لوجود البرهان . وامتنع ابداء أم موسى بما في نفسها على ابنها لوجود ربطنا على قلبها . والجواب محذوف تقدم دليله على ( لولا ) .

## يوسف وامرأة العزيز

يوجد في الأمثال « ضربني وبكى وسبقني واشتكى » ذلكم المثل هو مثل امرأة العزيز مع يوسف . ذلك أنها لما رأت سيدها لدى الباب يريد الدخول — وكان معه ابن عمها — أرادت أن تشفى غل صدرها وحنقها على يوسف لما فاتها من التمتع به ، وتوقعه في الشر جزاء ابائه عن مطاوعتها .

تقدمت نحو زوجها باكية شاكية قائلة ( ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم ) وأفهمته أنه راودها عن نفسها وأنها أبت عليه .

وأما يوسف فقد وجد نفسه في مأزق حرج وأن الصدق سبيل نجاته . وأنه اللائق بمقابلة العزيز بما صنع معه من جميل وما أسدى إليه من المكرمة . فقال ( هي راودتني عن نفسي ) وأنا امتنعت وأبيت حتى آل أمرها إلى أن نازعتني ثوبى .

وهنا ظهرت فراسة ابن عمها في تحقيق الحق من قولهما . فقال ( ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ) لأن الهاجم على المرأة وهي تدافعه انما يظهر أثر دفاعها في مقدمة قميصه . والهارب من المرأة العالقة بشوبه انما يظهر أثر ذلك من الخلف ، لأنه يكون مستدبرا لها وهي تجاذبه من خلف . فظهر حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قد من دبر . فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال ( انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ) وأمر يوسف بكتمان الخبر ، وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرح بأنها مخطئة فيما صنعت .

اقرأوا قوله تعالى: قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٢٥] قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٢٦] وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٢٧] فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ [٢٨] يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ [٢٩] من سورة يوسف

## لطيفة

للامام الفخر الرازي كلمة قديمة أوردها في تفسيره . خلاصتها : أن يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله تعالى ( انه من عبادنا المخلصين ) وشهد الشيطان ببراءته بقوله ( فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ) وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز اذ قال (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من



الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر ، قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا ، واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين ) وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن ( ما علمنا عليه من سوء ) وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها ( الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ) فالذى يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان ، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر له من الاقرار بالحق على أى حال ، وهو براءة يوسف من الهم بها .

### شيوخ الخبر في المدينة وتحدث النساء به

شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة ، ولاكنه أفواه النساء لائعات لها على هذا الغرام ، وشرعن يضللنها ويلمنها بفادح اللوم . ودوى صدى هذا القول في أذن امرأة العزيز فأخذت في الكيد لهن ليعذرنها ولا يعزلنها ، فأرسلت الى طائفة من نظيراتها العاذلات وأعدت لهن مكانا يجلسن فيه ، وقدمت اليهن طعاما يحتاج الى القطع بالسكين . آتت كل واحدة منهن سكيناً . وفي تلك اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن ، فبهرن جماله ، وألهاهن عن ان يحسن قطع الفاكهة التي بأيديهن فصرن يقطعن أيديهن . وشغلن بمطالعة محاسن خلقه والتأمل في جماله واللذة في ذلك تغمر ألم جراحهن بأيديهن فأعلن اكبارهن لذلك الجمال ، وقلن ( ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ) .

حينئذ باحت امرأة العزيز لهن بما ينجيهن فؤادها من اللوعة . وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله : ( فذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ )

فأنتم ترون أن امرأة العزيز كتبت أمرها حتى صادتهن وأوقعتهن في شباك غرامه . وصرن كلهن في الهوى سواء . ثم باحت لهن بذات نفسها آمنة التهمة عليها ومن هذا القبيل قول القائل :

لا تخف ما فعلت بك الأشواق واشرح هواك فكلنا عشاق

وأنتم ترون أيضا أن عشقها فضحها في المرة الأولى . وكذبت لتتخلص من العار ولتتشفى من ذلك الرجل الذي وصل جبهه الى شغاف قلبها وأنضج فؤادها بنار هواه ، فلم تحسن التخلص ولم يكن كذبها منجيا لها من اللوم . وكان من حقها أن ترتدع ، ولكن الهوى صرعها للمرة الثانية فتوعدته بأن يصعد بأمرها والا كان مأواه السجن ولقاء الصغار بدخوله .

ولما فشت القالة بذلك ، رأى العزيز وحسن له مشيروه أمرا هو أنه لا يخلصهم من العار

ويكف السنة الناس عنه وعن زوجته الا زجه في السجن ، ليخيلوا للناس أنه ما زج في السجن الا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة . وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به . وهذا مصداق قوله تعالى ( ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ) .

وانى ألفت نظركم الى لفظ ( من بعد ما رأوا الآيات ) فان رؤية الآيات الدالة على صدق يوسف وكذب امرأة العزيز — فيما حاولت أن تلصقه به من عار الخيانة لسيده — كان ظاهرا واضحا . وكان من حق العزيز أن يوقع بها العقاب على ما اجترحته ، ويكرم يوسف ويظهر للناس براءته ( ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ) ولكن شيئا من ذلك لم يكن . بل عمد هو وآله الى الاساءة الى من أحسن عمله . وحفظه بالغيب في زوجه . ورعى له حق السيادة والاكرام . فجزاء جزاء سنمار ، وعمد الى المسيئة الكاذبة المستهينة بكرامتها وكرامة زوجها ، والتي عرضت عفافها بضاعة مزجاة في سوق الفسوق فلم يمسه بأذى ، بل قدم يوسف البرىء التقى الطاهر فدية عن سمعتها ، فكانت كأنها الدنيا تحب على كثرة أذاها ويرغب فيها مع اساءتها .

يسىء امرؤ منا فيغض دائما ودينياك ما زالت تسيء وتومق

والآية تشير من طرف خفى الى أن القوم استعانوا بالقوة القضائية على الكيد ليوسف وزجه في السجن ، لأن رؤية الآيات على براءته انما تكون أمام القضاء ، وهو اما رسمى أو عرفى ، ولعل القضاء الأخير هو الذى استعملوه . وهو قضاء خير منه الاستبداد لأن الاستبداد يجور فاعله على أن عمله جور — سافر غير مقنع — ولكن القضاء الذى يجور ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء .

### يوسف في السجن يدعو لدينه

أدخل يوسف السجن على غير جريمة أتاها . ودخل معه السجن فتيان ، أحدهما : رئيس الخبازين عند الملك ، والثانى : رئيس سقائه . فبعد يوم أتاه صاحب شراب الملك وأخبره أنه رأى في منامه أنه يعصر فى كأس الملك الخمر ، يتناول العنقود من العنب ويعصره فى كأس الملك . وجاء الخباز وقال له : انى رأيت فوق رأسى طبقا من الخبز والطير تأكل من ذلك الخبز . وطلبا اليه أن ينبىء كل واحد منهما بتأويل ما رأى فى منامه .

انتهر يوسف هذه الفرصة ليعلن لهم دينه ويدعوهم اليه ، وقام فيهم خطيبا ينبئهم بمقدرته على تأويل الرؤيا ، وأنه لا يأتيهما طعام الا نبأهما بتأويله قبل أن يأتيهما ، وأن ذلك مما علمه الله تعالى اياه بتركه ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واتبع ملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب . وذلك كله من فضل الله عليه وعلى ذويه وعلى الناس . وسأل صاحبيه : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟) الذى أمر ألا يعبد الناس ربا سواه . وأن ذلك هو الدين

القويم . وأن جهلة الناس لا يعلمون . وبعد أن فرغ من دعوتهم الى دينه وانتهى من خطبته الوعظية قال ( يا صاحبي السجن أما أحدكما « الساقى » فيستقى ربه حمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من راسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ) وفي تلك الحال أمل يوسف أن يجد الفرج لما هو فيه من الضيق على يد الذى ظن أنه ناج منهما . وقال له ( اذكرنى عند ربك . فأنساء الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ) وتحقق تأويل المنام كما قال .

### الفرج ليوسف

بعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف فهياً لذلك الأسباب : وذلك أن الملك رأى سبع بقرات جيلات طالعة من النهر فارتعت البقرات فى روضة . ثم رأى سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمينة . ثم استيقظ من منامه . ثم عاد فرعون الى رقاذه فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة فى ساق واحدة ، وإذا سبع يابسات خلفها قد لفحنه الرياح الشرقية قد عدت على السنابل الخضراء فأكلتها .

أصبح فرعون منزعجا لهذين المنامين فدعا بالسحرة وكل من له علم ، يسألهم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند أحد منهم جوابا . بل ( قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ) .

فى ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك الى الأمر . وتذكر ما قدم بما حدث ، ومر على خاطره منامه الذى رآه فى السجن ، ويوسف الذى عبره له تعبيرا كأنه يشاهد أمرا واقعا . فعرض الأمر على الملك ، واقتص عليه حلمه وحلم رئيس الخبازين ، وأن غلاما عبرانيا فى السجن — لرئيس الشرطة — قد عبر لهما رؤياهما . فكان الأمر كما قال ، وطلب أن يرسله الى السجن ليأتى بالتعبير الذى لا مرأى فيه من يوسف ، فأرسله الملك اليه .

فلما التقى بيوسف قال له : ( أيها الصديق . أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات ) تأكل الخضراء يوسف بتأويل ذلك . وهو أن مصر يأتى عليها سبع سنين مخصبات تجود الأرض فيها بالغلالات الوفرة ، ثم سبع سنين مجدبة تأتى على المخزون من السنين السبع التى تقدمتها . ثم بعد ذلك تأتى أعوام الخصب والرغد . وأن عليهم أن يقتصدوا فى سنين الخصب السبع ويخزنوا ما فضل عن القوت فى سنبله . حتى اذا حل الجذب وجدوا فى أمرائهم ومخازنهم ما يسد الرمق ويمسك الحوبة الى أن يأتى الخصب .

عاد رئيس السقاة الى الملك بتأويل رؤياه فسر بها ، وعلم أنه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا . فقال الملك ائتوني بيوسف . فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته ، وطلب الى الرسول أن يعود الى الملك ويسأل عن النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، ولا بد أن يكون قد سماهن له بأسمائهن ، فلما أحضرهن الملك وسألهن عن شأن يوسف ، قلن : حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، وأنكرن أن يكن سمعن شيئا عن شأنه وشأن امرأة العزيز .

وهذه هي الآيات المتعلقة بهذا الموقف : وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَأَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ [٥٠] قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ... [٥١] من سورة يوسف

في الكلام ايجاز كما هو شأن القرآن من عدم ذكر الأشياء التي تكون معلومة من المقام وفي الكلام شواهد تدل عليها . والذي يفهمه من الآيات كل من له عقل أن يوسف كبر عليه أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين المحدثين الخائنين ليقف أمام الملك . فأراد ألا يخرج من السجن الا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة . فذكر الحادثة على وجهها وأنه برىء منها وأن الجانية انما هي زوجة العزيز التي بهتته في وجهه . وأن الاشاعة في البلد كانت أن امرأة العزيز راودته عن نفسها . وآية ذلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، فانها لما سمعت أنهن لائمات لها دعتن الى دارها — وسماهن طبعاً — وأنهن لما رأيته قطعن أيديهن ، وراودته عن نفسه أيضا لها ولأنفسهن <sup>(١)</sup> وأن امرأة العزيز أقرت أمامهن قائلة ( فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ) قالت ذلك على ملائمتهم وأنها تفتت وعيدها بالقائه في السجن وهو برىء مما يوجب سجنه ، وشهادتهن بما سمعنه من امرأة العزيز برهان براءته وتثبيت لقوله . والذي قلته مفهوم من أساليب القرآن ، وأن الملك أحضرهن وسألهن عن شأنهن في ذلك اليوم الذي راودن فيه يوسف عن نفسه فكان جوابهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) .

يمكن أن يفهم قولهن هذا على أنهن لم يسمعن عن يوسف شيئاً ولم يعلمن عليه سوءاً ، أو يكون قد وقع منهن مراودات .  
وحينئذ يكن قد أنكرن الشهادة ولم يؤدين ما طلب يوسف منهن : وهو الشهادة بما سمعنه من امرأة العزيز وتوعدها يوسف بالسجن اذا لم يصدق بأمراها . وذلك الموافق لقولهن (حاش لله) لأنه انكار لما سئلن عنه .

وحينئذ يكن قد خيبن أمل يوسف فيهن ، وأردن أنهن لا يتهمنه بسوء ، وفي الوقت نفسه يكتمن على امرأة العزيز ما باحت به أمامهن من مراودتها اياه واستعصامه ، وأن نجاته من السجن رهينة بموافقتها على مرادها الذي أرادته عليه من قبل .

وحينئذ يكون يوسف قد اغتر بما أظهرن له من الاكبار والمجبة حتى دعت كل واحدة الى نفسها ، وظن أن ذلك يدعوهم الى أن يقلن الكلام الذي حصل على جهة الحق وفي ذلك براءته ، فلم يقلن ، بل قلن شيئاً لم يدعين لأجله وهو قولهن ( ما علمنا عليه من سوء ) فان عدم علمهن بالسوء عليه لا يجعله بريئاً في الواقع . وهذه شهادة على النفي لا تثبت بها الوقائع المعينة التي أراد يوسف اثباتها .

(١) ( والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ) .

ويحتمل أن يكون ما رواه القرآن من قولهن ( حاش لله ما علمنا عليه من سوء ) عبارة عن خلاصة لما روينه عنه مما يقتضى براءته . وأنهن أتين بالشهادة على وجهها ، وملخصها براءته من سوء . وهذا أولى الاحتمالين عندى . وأقول ان اتيانهن بالشهادة على وجهها هو الذى أخرج مركز امرأة العزيز . وسد فى وجهها المسالك ، فلم تجد للانكار سبيلا فقالت ( الآن حصص الحق . أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ) الخ .

سأقت التوراة حكاية السجن وحلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين الخ كما قصها القرآن الكريم . ولم تذكر المراودة بين يوسف والملك فى شأن براءته ، ولم تذكر النسوة اللاتى قطعن أيديهن ، ولا أى شئ عن شأنهن . وذكرت التوراة أيضا أن يوسف ارتفع شأنه فى السجن وصار كشخص رئيسه وله الأمر والنهى فى كل النازلين فى بيت السجن .

أضيف الى ما تقدم من شهادة النسوة ليوسف بما يرىء ساحته : أن امرأة العزيز لما رأت أن يوسف الذى زجت به فى السجن ظلما قد أكرمه الله تعالى حتى صار من هم الملك أن يأتى به ليستخلصه لنفسه ، وأن تمادىها فى اتهامه بما لم يقترب لا يجديها تقعا ولا يلحق يوسف ضررا ، وطدت نفسها على الصدق فى شأن يوسف لأول مرة . بعد أن بهتته فى وجهه ورمته بما هو منه براء وظلت مصرة على باطلها السنين الطوال ، فأقرت بما لا تقر به المرأة الا مغلوبة على نفسها وباحت بما كتمته عن زوجها وآلها سنين عدة . فقالت ( الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين . ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين . وما أبرىء نفسى ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربه ان ربه غفور رحيم ) .

بهذا الاقرار الصريح - الدال على صدق يوسف وبراءته مما قرف به ظلما ، ذلك الاقرار الذى ما كان يوسف يظن أنه يصدر من امرأة العزيز الجانية عليه الموقعة له فى السجن - لم يعد يومئذ فى حاجة الى جمع الأدلة وتصيد البراهين على براءته واقامة الحجج على أنه حبس ظلما وعدوانا ، وقدم فدية عن عرض امرأة العزيز وذبيحة بيد مكرها وقسوتها .

( ملاحظة ) يجعل بعض المفسرين قوله تعالى ( وما أبرىء نفسى ) الآية من كلام يوسف وهو خطأ لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأيدان ذلك ، وانما هو من قول امرأة العزيز لأن ذلك صدر ويوسف فى السجن قبل أن يقول الملك ( اتئوني به أستخلصه لنفسى ) .

### يوسف بحضرة الملك

لما ظهرت براءة يوسف لفرعون هذا الظهور ، وخرج يوسف واضح الحجة مستقيم المحجة . قال الملك اتئوني به أستخلصه لنفسى . وحينئذ رأى يوسف أنه لا علة له ، فجاء الملك وكلمه فسر الملك به وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا ، وسأله أى عمل يرضاه لنفسه ويكون فيه

سروره ؟ فقال يوسف ( اجعلنى على خزائن الارض ) وما يخرج منها من الغلات والخيرات ( انى حفيظ عليم ) .

اقرأوا قوله تعالى فى سورة يوسف ( وَقَالَ الْمَلِكُ اُتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ [٥٤] قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ [٥٥] وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [٥٦] وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [٥٧]

هذا الموقف ذكر فى التوراة فى الاصحاح الحادى والأربعين من سفر التكوين ، وهى لم تذكر اباءه الخروج من السجن حتى تظهر براءته . بل ذكرت أن رئيس السقاة أخبر فرعون بأن يوسف قادر على تعبير الرؤيا وأنه عبر له — على النحو الذى قدمناه — وقال لهم : لا بد من ادخار خمس غلة الأرض فى السنوات الخصبة ، حتى اذا جاءت سنوات القحط كانت البلاد مستعدة لمكافحة الجوع ، وأن يقوم على ذلك نظار فى أرجاء البلاد . فقال فرعون لجنوده : هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ؟!

ثم التفت الى يوسف وقال له : بعد ما أعلمك الله كل هذا ، ليس بصير وحكيم مثلك ، أنت تكون على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى ، الا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك . وقال له أيضا : قد جعلتك على كل أرض مصر ، وجعل خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ، ونادوا على الناس أمامه بالركوع على كل أرض مصر وصاحب الأمر والنهى والأمر المطاع والكلمة النافذة ، وسمى يوسف « صفنات فعنيح » وأعطاه « أسنات بنت فوطى فارع » كاهن أور زوجه . وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين كان هذا الحادث فخرج يوسف وارتحل فى كل أرض مصر لتفقد الأحوال وتهيئة الأعمال اللازمة لمقاومة الجوع فى البلاد .

### إخوة يوسف فى مصر يمتارون

مرت السبع المخصبة وأعد يوسف عدته فيها ، واتخذ الخزائن والأهراء وخزن الغلات فى غلفها . ثم جاءت السبع المجذبة واشتد الجذب فى جميع أنحاء الأرض . فأما المصريون فذهبوا الى فرعون يطلبون القوت فأحالهم على « صفنات فعنيح » يوسف ، ففتح المخازن وباع لهم من الطعام ما يكفيهم . وأحسن أهل فلسطين الجوع وعلموا أن الطعام بمصر ، فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمال والحمير لحمل الطعام وأعظاهم الثمن ، فقدموا الى مصر لشراء قوت لأهلهم . فلما قدموا الى مصر رآهم يوسف فعرفهم ولم يعرفوه .

وذلك طبعى لأنه فارقهم أمرد غض الاله اب وقد ناهز اليوم الأربعين من عمره ، وقد كسته أبهة الملك مهابة تغض عنه عين الناظرين اليه . وأما هم فعلى حالهم فى ملبسهم ولغتهم ومنظرهم . لما جهز يوسف اخوته بالطعام الذى اشتروه . قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم ، فاملكم مرة أخرى ، فاذا لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تأتوا الى . وذلك أنه رأى اخوته جميعا الا أخاه لأمه « بنيامين » وهو أصغر منه . فأخذ فى استدراجهم حتى علم منهم حياته وأنه عند أبيه لم يسمح بمفارقتهم ، فأعطاهم الطعام بلا ثمن فى الواقع ليأتوه بأخيهم دون أن يعلموا . رد عليهم الثمن . فقالوا له : سناود عنه أباه ، وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة . وقال لقتيانه اجعلوا بضاعتهم التى دفعوها ثمنا للطعام فى أوعيتهم فانهم يعودون بها إلينا ، لأنهم لا يقبضون ما ليس لهم . وقد جعل يوسف ذلك شركا لهم ليعودوا اليه .

### إخوة يوسف عند أبيهم

عاد إخوة يوسف الى أبيهم وأخبروه أن « وزير التموين والتجارة » منعهم الشراء من الطعام فيما بعد حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم ، فتذكر يعقوب قديم أمرهم بحديثه وعادته لوعته على يوسف فقال لهم ( هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل ) .

فتح إخوة يوسف متاعهم لاستخراج الطعام الذى أتوا به من مصر ، فوجدوا فضتهم بحالها لم تمس ، فكان ذلك مما شدد عزائمهم فى الكلام مع أبيهم وقالوا له : يا أبانا ما نبغى ! هذه بضاعتنا ردت إلينا ! فاذا سمحت بأخيها يذهب فاننا نمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير وهو شئ يسير عند الملك الذى طلب أخانا !

والظاهر أن القحط كان شديدا جعل يعقوب يسمح بسفر ابنه تحت شروط اشترطها على أولاده . فقال لهم : لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم . أى الا أن تغلبوا على أمركم . فأعطوه موثقهم على الوفاء بما اشترطه . وحينئذ قال : الله على ما نقول وكيل . وأوصى بنيه أنهم اذا أتوا مصر لا يدخلون من باب واحد بل يدخلون من أبواب متفرقة .

ويقول المفسرون : ان ذلك لخوفه عليهم من الحسد . والذى أميل اليه أن ذلك كان منه لئلا يلتفتوا نظر الناس . وذلك يدعو الى التحدث بشأنهم والحسد فى مقصدهم . فيظن بهم أنهم جواسيس أو رواد لمن وراءهم ممن يريد الاغارة على البلاد من الأقوام التى عضها الجوع .

ومهما كان من الأمر فقد عاد إخوة يوسف الى مصر فى طلب الميرة ولم يبق عند أبيهم أحد منهم ومعهم البضاعة التى وردت اليهم .

هذا الموضوع ذكر فى التوراة . وليس بينه وبين ما فى القرآن كبير اختلاف .

فقد ذكر فى الاصحاح ٤٢ تكوين : أن إخوة يوسف لما جاءوا اليه تنكر لهم وتكلم معهم

بخفاء وقال لهم : من أين جئتم ؟ فقالوا : من أرض كنعان لنشتري طعاما ! فقال لهم : انكم جواسيس جئتم لتعرفوا أرضنا ومدخلها ومخارجها وعورتها . فقالوا له في عرض تبرئتهم لأنفسهم بأننا لسنا جواسيس . عبيدك اثنا عشر أخا بنو رجل واحد ، الصغير منا عند أبينا ، وواحد مفقود . أى ولا يعقل ان عشرة من الرجال هم اخوة لأب واحد يكونون جواسيس . فأظهر أنه يريد منهم البراءة من الجاسوسية . ولا دليل على براءتهم الا أن يأتوه بأخيهم الصغير ، وحبسهم ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث أتى بهم وقال لهم : انى خائف الله فى أمركم فان كنتم أمناء ولستم جواسيس فليحبس واحد منكم . وانطلقوا أنتم وخذوا قمحا لامساك رفق أهليكم وأحضروا أخاكم الصغير الى لأعلم صدقكم .

وكان اخوة يوسف قد تذكروا حرج مركزهم أمام وزير التموين والتجارة وما هم فيه من الضيق ، فعادوا باللوم على أنفسهم اذ رأوا أخاهم يوسف وهو فى حال شدة حين هموا بقتله ثم ألقوه فى الحب وهو يستغيث بهم فلم يغيثوه فندموا . وأيقنوا أن هذا الموقف الذى وقفوه جزاء من الله تعالى لهم على قسوتهم على أخيهم وقال بعضهم لبعض : حقا اننا مدينون الى أخينا الذى رأىنا ضيقة نفسه لما استرحنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة . فقال لهم رأويين : ألم أكلكم قائلا لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا فهو ذا دمه يطلب ؟ ولم يكن القوم يعلمون أن يوسف فاهم لحوارهم . لأنه انما كان يكلمهم بواسطة ترجمان ، فتحول يوسف عنهم وبكى ثم أمر أن تملأ أوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد منهم الى عدله ، وأن يعطوا زادا للطريق فرأى واحد منهم فضته فى عدله فتكذبوا وخافوا . وكان يوسف قد استبقى شمعون عنده رهنا على وفائهم .

ولما عادوا الى أبيهم وأوقفوه على حقيقة أمرهم نهر من هذا الأمر فقال : أعدتموني يوسف فهو مفقود . وشمعون — الذى تركوه فى مصر — مفقود وتأخذون بنيامين ؟ فان حصل له أمر فى الطريق أهلك من الحزن ! فقال له رأويين : سلمه لى أردته اليك فان لم أفعل فاقتل ابنى ، فأبى « ص ٤٣ » .

ولما اشتد الجوع طلب يعقوب الى بنيه أن يذهبوا لأرض مصر ويبتاعوا منها طعاما ، فقال يهوذا له : ان الرجل قد أشهد علينا قائلا : لا ترون وجهى بدون أن يكون أخوكم معكم . فلامهم على اخبارهم اياه بأن لهم أخا تخلف . فقالوا : عذرنا أن الرجل اتهمنا بالجاسوسية وسألنا : هل أبوكم حى ؟ هل لكم أخ ؟ وما كانوا يحسبون أنه سيطلبه منهم . وألح يهوذا على أبيه وضمنه له فسمح بذلك . وأمرهم أن يأخذوا هدية للرجل الذى يبيعهم الطعام تكون من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن واللوز والفسق . ويردوا له الفضة ، يأخذوا فضة أخرى ثمنا للطعام الجديد

نزل اخوة يوسف بعد ذلك الى مصر ، فلما رأى يوسف اخوته ومعهم بنيامين أمر غلمانهم باضافتهم وأن يذبحوا لهم ويهيئوا طعاما لأكله معهم وقت الظهر .



ولما فعل رجال يوسف ما أمروا به جاءوا باخوة يوسف الى بيته ، فلما علموا أنهم داخلون الى البيت خافوا على أنفسهم وقالوا فيما يناجى به بعضهم بعضا : ان ادخلنا الى البيت انما هو بسبب الفضة التى وجدناها فى أعدالنا وأنه سيهجم علينا ويأخذ حميرنا ويجعلنا عبيدا له . فكلّموا خادما من خدم يوسف وقصّوا عليه قصتهم ورجوع الفضة معهم وهم لا يعلمون ، وأنهم عادوا بها وبفضة أخرى لشراء القمح . فهدأ الرجل روعهم ، وأدخل اليهم أخاهم شمعون الذى كان رهينة فى يد يوسف ، وأدخلهم الى دار يوسف للغداء .

ولما جاء يوسف وقت الغداء قدّموا اليه الهدايا ، ونظر الى بنيامين وقال : أهذا أخوكم الصغير الذى قتلتم لى عنه ؟ ودعا قائلا : الله ينعم عليك يا بنى ! ولم يطق يوسف الجلوس معهم لما حضره من الحنين الى أخيه . فذهب الى مكان منفرد وبكى ثم عاد وسألهم عن أبيه وسلامته . ثم قدم اليهم الطعام ، وأكل هو وحده والمصريون وحدهم .

لأن المصريين يعتبرون الأكل مع العبرانيين نجاسة . ولعل عدم آكله مع اخوته لئلا ينتقد المصريون عليه ذلك . وقد أجلس اخوته بحسب ترتيبهم فى السن فبهتوا لأن عمله صادف الواقع الذى يعرفونه وأغدق على بنيامين الطعام ا هـ .

### حيلة يوسف فى إبقاء بنيامين عنده

أمر يوسف بتجهيز اخوته فملا لهم الأعدال طعاما ، وأمر أن توضع فضة كل واحد فى عدله ، وأن توضع طاسة فى عدل الصغير — وهى الطاس التى كان يشرب فيها — فساروا غير بعيد فلم يفاجئهم الا وكيل يوسف يناديهم ويوبخهم على ما صنعوا وأنهم قابلوا الاحسان بالكفر ، وأنهم سرقوا سقاية الملك « يوسف » فأظهروا البراءة من هذا العمل . وقالوا : من وجدت سقاية الملك فى رحله يؤخذ عبدا للملك . ففتش أعدالهم — مبتدئا بالكبير منتهايا بالصغير — فوجد السقاية فى عدل بنيامين ، فرجعوا الى المدينة ودخلوا على يوسف مستعطفين مسترحمين ، ولامهم يوسف على ما صنعوا ، فراودوه على أن يأخذ أحدهم عبدا مكان أخيه ، فأبى وقال : ان الذى وجد الطاس فى رحله يستعبد لى ، وأما أتم فاذهبوا الى بلادكم ، وأبى يوسف — بعد الاستعطاف وبيانهم أن أباه متعلق به ، وأنه سلوته عن أخيه المفقود — أن يطلقه . فقالوا بحضرة يوسف وقد ملئوا غيظا على بنيامين لما أوقعهم فيه من الورطة : ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ! فأسرّها يوسف فى نفسه ولم يبيدها لهم ، وقال لهم : أنتم شر مكانا من هذا السارق ، والله أعلم بما تصفون . وكانوا يعنون يوسف ، ذلك أن أمه ماتت وهو صغير فكفلته عمته وتعلقت نفسها به . فلما اشتد قليلا أراد أبوه أن يأخذه منها ، فضنت به وألبسته منطقة لابراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه ، ثم أظهرت أنها سرقت منها وبحث عنها حتى أخرجتها من تحت ثياب يوسف ،

وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدة ، جزاء له بما صنع ، وبهذه الحيلة استبقته عندها وكف أبوه عن مطالبتها به .

يئس اخوة يوسف من أخذ أخيههم — بطريق المبادلة — فقال كبيرهم « رأوين » ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله برد أخيكم ، ومن قبل ذلك كان تفريطكم في يوسف ، وعلى ذلك لن أبرح الأرض « مصر » حتى يأذن لي أبي في القدوم ، أو يحكم الله في شأني وهو خير الحاكمين . وأشار عليهم بالرجوع الى أبيهم واخباره بما كان من أمر أخيههم ومن الملك « يوسف » وأن ابنه صار عبدا للملك بسبب سرقة طاسة . وأن ظهور السرقة كان عن ملائمتهم ومن أهل العير التي كانوا فيها وأنهم صادقون فيما أخبروا به .

عاد اخوة يوسف — عدا أكبرهم وأصغرهم — الى أبيهم وأخبروه بالأمر على جليته فلم يدخل عليه هذا القول . وأحاله على أمر دبروه له كما دبروا لأخيه من قبل ، وزاد به الحزن حتى ابيضت عيناه وعاوده من الوجد على يوسف معاودة فقال : يا أسفا على يوسف ! فلامه أولاده على ذكر يوسف وقد انقضى أمره . ثم ان يعقوب رد أولاده الذين وردوا عليه الى مصر ليشتروا طعاما وليتحصسوا له شأن يوسف وأخيه . وأمرهم بعدم اليأس من روح الله ، فان ذلك شأن الكفار . فذهبوا كما أمرهم أبوهم .

اقرأوا قوله تعالى في سورة يوسف : فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِخْلِ أَخِيهِ مُمَّ أَذْنًا مُؤَذِّنًا أَيَّتُهَا الْمَمْلُوكَةُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ [٧٠] قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْنَهُمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ [٧١] قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حُمِلَ بِهِ بِعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ [٧٢] قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ [٧٣] قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ [٧٤] قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [٧٥] فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [٧٦] قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُنْذِرْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ [٧٧] قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [٧٨] قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ [٧٩] وَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ [٨٠] إِنْ جِئْتُمْ إِلَى أَبِيكُمْ

فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ [٨١] وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ [٨٢] قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٨٣] وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَا عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ [٨٤] قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ [٨٥] قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [٨٦] يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَّسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [٨٧]

من المقارنة بين هذا الموقف من القصة في القرآن وبينه في التوراة نجد الخلاف قليلا . فإن القرآن يجعل أخذ الموثق على جميع أولاد إسرائيل العشرة . والتوراة تجعله على يهوذا خاصة ، ولعله كان متكلما عنهم وكلمته كلمتهم وعهده عهدهم . والقرآن يذكر أن يوسف آوى إليه أخاه وقال ( انى أنا أخوك ) والتوراة تجعل يوسف مجهولا من بنيامين الى أن أخبرهم جميعا بأنه أخوهم بعد ذكر قصة الطاس . والقرآن ذكر قولهم ( ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ) والتوراة لم تذكرها . والقرآن يذكر عودة اخوة يوسف الى أبيهم واخباره بأن ابنه قد سرق واستعبد في مصر ، والتوراة لم تذكره .

ومعلوم أن القرآن مهيمن على ما تقدمه .

### يوسف يتعرف إلى إخوته

جاء اخوة يوسف وقالوا ( يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر « من الجوع » وجئنا بيضاة مزجاة « لقلتها » فأوف لنا الكيل « وان كان الثمن لا يوجب ذلك » وتصدق علينا « باطلاق أخينا من عبوديتك » ان الله يجزى المتصدقين ) فقال لهم يوسف مذكرا بما كان منهم من الاساءة ( هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ) إذ فرقتم بينهما وألهبتم صدورهما بنار البعد . ولعله انما كلمهم بلغتهم لأول مرة . فعرفوا أنه يوسف ، لذلك ( قالوا أأنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين . قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين . قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ) .

فلما فصلت غيرهم من مصر كانت نفس يعقوب مستشرقة لتغيير مابه من حال ولم يدب اليأس الى نفسه ، بل هو يتوقع الفرج بقاء يوسف الذى طال حزنه عليه ، فقال لمن حوله من جماعته :

( انى لأجد ربح يوسف لولا أن تفندون ) ! أى لأخبرتكم بأنى أتوقع لقاءه . فقالوا له ( تالله انك لفى ضلالك القديم ) أى خطئك القديم فى اعتقادك أن يوسف باق الى اليوم ! ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير الى يعقوب بسلامة يوسف وأخيه . وألقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا وقرت عينه . وبشر نفسه باللقاء فقال للاخين له ( ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون ) ولا بد أن يعقوب لم يقل هذا القول الا وقد أعلمه الله بحياة يوسف وأنه سيلاقه .

شد يعقوب وآله أجمعون رحالهم الى مصر . فلما جاءوا اليها دخلوا على يوسف فأوى اليه أبويه أى يعقوب وزوجه — خالة يوسف لأن أمه كانت قد ماتت وهو صغير — وسجد له أبوه وأمه واخوته الأحد عشر . وقال لأبيه يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا . وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجعلنى على خزائن الأرض بيدى الحل والعقد والى الأمر والنهى . وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وهذا كله من لطف الله بى وبكم ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم .

فى هذا الموقف الباهر والاكرام العظيم الذى أكرم الله به يوسف بعد ملاقة الأهلوال التى يلين لها الحجر الصلد ، من ائتمار اخوته به ، فلطمه ، ولكمه ، ولكزه ، فسلبه ثيابه ، فالقائه فى الجب عاريا فريدا لا أنيس ولا معين ، فاخراج السيارة له وبيعه بيع الرقيق فى مصر فمحتته بامرأة العزيز تدبر له الكيد وتمعن فى الاساءة اليه جزاء له على تقويته غايات سافلة لها ، فسجنه السنين الطوال .

كل ذلك وهو مستمسك بدينه وبشرفه وكرامته ووفائه وذمته ودائب على الدعاء الى الله فخروجه من السجن ، فتوليته على خزائن الأرض ، فقدم اخوته مستجدين حنانه وهم لا يعرفونه ، فمداعبته اياهم ، فقدم والده اليه بعد أن ابيضت عيناه من الحزن عليه وعلى أخيه ولم يزل يباضهما الا بالقاء قميص يوسف عليه ، وسجود أبيه وأمه واخوته له .

كل ذلك مر بمخيلة يوسف فجاء يشكر الله تعالى معلنا نعمته عليه وما منحه من علم وملك ، داعيا الله تعالى أن يتولاه فى الدنيا والآخرة ، وأن يتوفاه مسلما أى مطيعا لله غير عاص ولا آثم ، وأن يلحقه بالصالحين من آبائه الأنبياء .

اقرأوا قوله تعالى : رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ [١٠١] من سورة يوسف

## الأخلاق التي تستفاد من قصة يوسف وإخوته

هذه القصة مورد غزير المادة لمن يريد أن يستنبط الأخلاق الفاضلة الطاهرة ، وشرح الاستقامة على المبادئ الحقّة وأثرها في النفس ، وموضع درس عميق في علم النفس . ولا يكون العالم النفسى مسرفا اذا وضع في الأخلاق وعلم النفس : كتابا كبيرا وافيا ، مرجعه فيه «سورة يوسف» وجعل أحوال يوسف وما حصل منه وله موضع تطبيقها . وقبل أن ألم المامة خفيفة بذلك أذكر مناقشة حصلت بين أحد وزراء المعارف ، في عهد الخديو السابق وبين أحد المشايخ .

ذلك أن الوزير كان من الذين تعلموا في مصر التعليم الابتدائي والثانوى . ثم ذهب الى أوروبا فكان نسخة صحيحة من التربية الفرنسية والتفكير الفرنسى .

ذهب الوزير يفتش في مدرسة المعلمين بالقازيق ، ودخل عند شيخ يدرس الأخلاق ، فأعجبه تدريسه وانتهى المدرس ، فسأله الوزير : من أى مرجع تستقى ؟ فقال : القرآن . فقال متهمكا : القرآن ! قرآن ايه يا خويا ؟ أتعلم الأخلاق من ( ولقد همت به وهم بها - وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ) ؟ .

فقال له الشيخ : ياسعادة الباشا ، ان هذه السورة التي لم تعجبك يمكننى أن أستخرج منها أمهات الفضائل والأخلاق . فأستخرج منها العفة والفضيلة في شاب في ريعان شبابه محفوف بالمغريات وموجبات الصبوة ، فلم يكثر لذلك واستمسك بمبدئه ولقد لقي الأهوال وعانى الصعوبات في سبيل استمساكه بالفضيلة ، فلم يغير مبدأه السجن والاذلال مع أنه لو أجاب لكان منعما مرفها منظورا اليه بعين الاكبار ، وإن الاستمساك بالدين أصل لكل فضيلة فاستمساكه بدينه جعله يستهين بالأخطار . وإن الحق وإن استتر زما ثوب من التضليل لابد أن يظهر ولو بعد حين .

ولما انتهى الشيخ الى هذا الحد قال له الباشا « بى الشيخ امسح وأنا امسح » .

وهأنذا أبين بعضا مما يعن لى :

ان طيب الأصل اذا آزره طيب البيئة ووجد الانسان في تلكم البيئة زمنا كافيا ، فان ذلك يجعله على أكمل الأوصاف وأروع الخصال ، ويصيره خيرا لا شرفيه ، والاحساس بالشرف عامل حافز على الاستمساك بالفضيلة :

(١) هذا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم - وكل اذا عد الرجال مقدم - غذى بدر النبوة وارتضع أفابوق الرسالة نشأ أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح وتمهده بالأخلاق النبوية الكريمة فنشأ أصلح نشأة ، وأحسن من صغره بمجد آبائه وأجداده . وأبوه يذكره بأولئكم الآباء الصالحين المصطفين الأخيار ، ويمنيه أن يلحق بهم ويسير على قدمهم .

انظروا حين قص يوسف على أبيه رؤياه ماذا قال له ؟ قال ( وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ) والأصول عليها ينبت الشجر .

أفعال من تلد الكرام كريمة      وفعال من تلد الأعاجم أعجم

وهكذا يكون الرجل الذي يرشح للنبوة . ويعده الله تعالى لنشر دينه ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » . ليس بالحرمت بل هو موصوف كما قال ابن عباس (٢) أن يوسف عليه السلام قد شب على أكمل الأوصاف عاملا بما علم من آبائه وأجداده ليعطيه الله الأنبياء صلوات الله عليهم .

فكفه ذلك عن اتباع الشهوات ؛ بل حصر فكره وعمله في موجبات الفلاح وما يعقب رضا الله تعالى ؛ لا جرم ان الله تعالى زاده علما على علمه وفتح بصيرته وجعله ذا فطنة ثاقبة ، وعلمه من تأويل الأحاديث فلا يأتيه أحد يقص عليه رؤياه الا أتاه بتأويلها على وجهه ، وذلك من شدة الملاحظة وثقوب الذهن ومعرفة موارد الأمور ومصادرها مع عون الله تعالى له ، فان ذلك كله يوجب النفوذ الى بواطن الأشياء والتفطن للمناسبات على وجه يجعل الظن يقينا ، وذلك هو الألمعية .

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

(٣) الايمان بالمبدأ يأتى من وراء كل بلاء فى سبيله .

فهو يسهل على صاحبه ملاقات الصعاب ومواجهة هوج العواصف النفسية والأخطار فى سبيل تأييد ذلك المبدأ الحق .

انظروا الى يوسف وهو الفتى الغض الاهاب المشتعل جمرة الشباب — الذى يقولون ان الجنون شعبة منه — مع فراغه وارتفاع شأنه فى بيت سيده ، ومع الحياة الجدة التى هو فيها ، والغنى الوافر الذى يتقلب فى أعطافه ويرغد فى أكنافه ، ومعه فى البيت سيدة فى مثل حاله — هى سيدته والحاكمة عليه فى بيئة كلها مغريات بارضاء الشباب وشفاء غلة النفس ، تدعوه الى نفسها فيعرض ، وتلح عليه فيرفض — أرادت قسره على ما فيه السعادة ظاهرا فأبى ، ونازعته ثوبه فنبأ . استمسكا بمبدأ العفاف والتقوى . وحذرا من أن يكون عار آبائه وأجداده الذين علم عنهم العزوف عن كل ما يشينهم أو يخل بأوامر دينهم ونواهيهم ، وحفاظا لسيده الذى أكرم مثواه وأحله محل الولد — ومقابلة النعمة بالكفران ليس من دأبه ولا دأب أسرته — وهى لا تصفى لعظة ولا تسمع لنصيحة ، ولا ترعوى عن غى . كل ذلك ينبىء عن نفس كريمة ، وروح طاهرة ، وعزيمة صماء لا تسمع رقى الغواية ، ولا تجيب داعى الجهالة .

وهذا من أخلاق أولى العزم المستضيئ بالبصائر ، المؤمنين حق الايمان بالمبدأ الذى اعتنقوه .

(٤) الالتجاء الى الله عند الابتلاء .

لقد اعتمد يوسف على الله تعالى عند كل ضيقة . والتجأ اليه عند كل معضلة . فان النساء المصريات حين رأين يوسف وأكبرن حسنه وجماله ، وبعد أن كن عاذلات لا حيات لامرأة العزيز عدن عاذرات ، وراودنه لها ولأنفسهن . وتوعدته امرأة العزيز قائلة (لئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ) لجأ الى ربه مستغيثا خائفا وجلا قائلا ( رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين ) ففرج الله عنه ما نزل به وصرف عنه كيدهن وعملهن لموافقتهم على ما يردن من الفاحشة ، بأن أبعدهن عنهن بالسجن وهو أهون الشرين على يوسف . وهذه ضراعة الى الله لا تهديد .

(٥) عشق يوسف لدينه والدعوة اليه .

ان المؤمن بمبدأ من المبادئ حق الايمان لا يترك فرصة تمر دون أن يدعو الى مبدئه الذي تغلغل في أعماق نفسه ويشر به . فان يوسف اهتبل فرصة احتياج رئيس الخبازين ورئيس السقاة اليه في تعبير رؤيا كل منهما ، فأخذ يدعوها الى دينه بعد أن أبان لهما قدرته على تعبير كل رؤيا . ولو كانت الرؤيا عن طعام يرزقانه لنأهما بتأويلها قبل أن يأتيهما ذلك الطعام .

وماذا يعيب المرء في مدح نفسه اذا لم يكن في قوله بكذب ؟

ثم أخذ يبين لهما أن ذلك من تعليم الهه . ومجانبته ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واتباعه ملة ابراهيم واسحاق ويعقوب . ثم أخذ يبين شناعة ما عليه أهل مصر من تعديد الآلهة . وتكثير الأرباب وأن دينه دين التوحيد هو الدين القيم ولكن الناس في غفلة عنه .

اقروا قوله تعالى : قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا .

ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي . إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ [٣٧]

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ [٣٨] يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابُ

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [٣٩] مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [٤٠] من سورة يوسف

فينبغي لكل واحد منكم أن يكون نهازا للفرص لبث عظاته ونصائحه وارشاده في أنفس الناس واذا لم تعرض له فرصة خلقها .

(٦) رزاة يوسف ومحافظته على شرفه .

ان أحدا سوى يوسف اذا كان مظلوما أو غير مظلوم وجاءه أمر الافراج والخروج من السجن . لا بد أن يبادر الى الخروج منه ويقتبط بذلك أيما اغتباط . ولكن يوسف كان عنده خلق الالباء والشم . شرف نفسه وطهارتها . أثر لديه من الخروج من السجن . فلم يشأ أن يقال عنه مجرم سر منه الملك فعفا عن جريمته وأخرجه من السجن . بل أبى أن يخرج الا بعد أن يثبت أنه برىء الساحة بقى الصحيفة . فأرسل الى الملك ييسط ظلامته ويطلب اليه اعادة التحقيق في جريمته . فلما أجرى الملك التحقيق على وجهه وظهرت براءته رضى بالخروج من السجن مرفوع الرأس تقى الصحيفة . والشم والالباء يحملان المتصف بهما على مجانية كل ما يمس شرفه أو يدنس نفسه ذلك أن نفس الانسان أعز الأشياء عليه وآثرها لديه ، فهو يحب نفسه حبا جما .

ويقول بعض العلماء : ان الانسان لا يجب أصدقاءه وخلاته الا لأنه يجد فيهم لذة نفسه . يرتاح اليهم ويجد سلوته بالقرب منهم . فمجة الأحياء أثر من آثار محبة المرء لنفسه . واذا كانت نفس انسان عنده بهذه المنزلة من المحبة والاكبار والاعظام . لا جرم أن غرامه بنفسه يدعوه اذا كان من أهل الكرامة الى أن يطهرها من الأدناس ويحرص الحرص كله على أن تكون صفحة حياتها متألثة لامعة لا يشوبها شيء من النقائص والخصائص .

هكذا كان يوسف عليه السلام . وهذا هو الذى حملة على الالباء من مزيلة السجن الى أن تنجلي عن ساحة شرفه تلك العمامة التى كانت مخيمة على صفحة كبيرة من صفحات حياته فلما انجلت خرج من السجن خروج السيف جلاه صيقله .

(٧) خلق الصبر .

كان يوسف عليه السلام متحليا بفضيلة الصبر . والصبر من أعظم الفضائل وأجلها قدرا . ذكر في القرآن الكريم في نيف وسبعين موضعا . وقد رتب الله كثيرا من الخيرات والدرجات العالية على تحلى الانسان بفضيلة الصبر ، حيث لم يجعل له جزاء محدودا ومكافأة معينة . بل جعله منوطا بكرمه الواسع . وجوده العميم بغير وزن ولا معيار . مع أنه حد لكل مزية جزاء معين .

اقرأوا قوله تعالى ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ) ( وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ) ( اصبروا وصابروا ) ( بلى ان تصبروا وتتقوا ) ( وبشر الصابرين ) . وقال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الايمان » وسئل عن الايمان فقال « الصبر والساحة »

الصبر : هو حبس النفس على ما تكره . وهو من خواص الانسان التى تميز بها عن سائر الحيوان . فان البهائم لا تحبس نفسها عن شهوة من الشهوات كالغذاء وغيره ولا تنظر في عواقب شيء من مشتيتها . بل هي تنظر شهواتها الحاضرة فقط ولا تحبس نفسها عنها أصلا .

١ - الحبر من ذكر لما عرفت الا لياض

مدرسة الحبر من ذكر لما عرفت الا لياض



الصبر له أسماء تتجدد بالاضافة الى ما عنه الصبر . فان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي « عفة » وان كان على احتمال مكروه ؛ فان كان في مصيبة سمي « صبرا » وضده الجزع والهلع — وذلك بأن يترسل في ضرب الخدود وشق الجيوب — وان كان الصبر في احتمال الغنى بأن يجاوره بالشكر سمي « ضبط النفس » ويقابله البطر . وان كان الصبر في الحروب وملاقة الأهوال سمي « شجاعة » ويضادها الجبن . وان كان الصبر عند موجبات الغضب سمي « حلما » ويضاده التذمر . وان كان الصبر عند نائبة مضجرة من نوائب الزمان ، سمي « سعة الصدر » ويضاده الضجر وضيق الصدر . وان كان الصبر باخفاء كلام يسوء غيره ظهوره . سمي « كتمان سر » . وان كان الصبر على القدر اليسير من الحفظ سمي « قناعة » . وان كان الصبر عن فضول العيش بأن اقتصر على أقل القوت سمي « زهدا » .

اقرأوا هذه الآية الجامعة لكثير من أنواع الصبر .

( وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ )

لقد ضرب يوسف للناس المثل الأعلى في كثير من أنواع الصبر :

(١) صبر على ايذاء اخوته له . وتجريدهم اياه من ثوبه . ولطمه ولكزه والقائه في الحب بقصد اهلاكه .

(٢) لا بل صبر على أعظم من هذا حيث اعتبروه شريرا جانبا ؛ اذ باعه ملنقطوه بأبخس الأثمان قال تعالى ( وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ) .

(٣) صبر على نعمة الله فجاورها بالشكر ؛ وجانب البطر حين تمكن في بيت سيده وصار صاحب الأمر والنهي . فلم يسيء استعمال المال بصرفه على الشهوات بل شكر الله ولسيده ، ولم يدخر لنفسه من ذلك الغنى ولم ينل منه الا حاجته ، وكف عن الفضول فكان قانعا .

(٤) صبر على شهوة الفرج وقد هيئت له في جيش من المغريات يخف به من كل ناحية ؛ فالطالبة سيدته وربة نعمته ، مع ما هي عليه من جمال ورفاعة ورغبة فيه ، وهو شاب ماطر شاربه في ابان فيضه الحيوى . وأوان التهاب جذوة الشهوة واحتشاد الدواعي الطبيعية ، وانتظار الآمال والأمانى الجسام له اذا لبي ، فلم يخرج من بين أولئك المغريات الا الى العفة متوجا بتاج الصبر عن الشهوات ، وأسقط منازعة دواعي الهوى وقهرها لباعث الدين وكرم النفس والحفاظ والوفاء ، ونصر جند الرحمن على جند الشيطان :

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

(٥) مسته الضراء وألقى في غيابة السجن فحالف الصبر الجميل ، وسعة الصدر .

(٦) خرج من السجن ومكن الله له في الأرض وجعله على خزائنها ، وصار أهل القطر المصرى في وثاقه ، والنفوس بين حبسه واطلاقه ، وعزرائيل بين شفثيه ، وكلمته فيها الحياة الطيبة أو الموت الزؤام . وجاء اخوته يمتارون وهم ثأره والذين أبدعوا به وأودعوا عنده اساءتهم سلفا . فلم يجز شرهم بمثله ، بل صبر وغفر . ولما قالوا له أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين . فأظهروا ندمهم واعترفوا بخطئهم قائلين ( تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ) فأسبل ذيل عفوه على اساءتهم . وأجرهم وسن التجاوز وقال لهم ( لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) . هذا قليل من كثير من المشاهد الصالحات والمواقف الكريمة التى تشهد ليوسف أنه رجل بَرَّ الرجال بصفاته الكريمة . وضرب الأمثال العالية بأخلاقه الطاهرة وحكمته ( ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الأبالب ) .

### فضيلة الشكر

كان يوسف متحليا بفضيلة الشكر . والشكر من أخلاق الربوبية قال الله تعالى ( والله شكور حلیم ) والشكر : هو معرفة النعمة الحاصلة من المنعم والفرح بها والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه : وهذا الخلق عزيز في الناس .

اقرأوا قول الله حكاية عن ابليس ( لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ) وهذا وان كان قولاً لابليس ولكن الله تعالى صدقه في قوله ( وقليل من عبادى الشكور ) وقد أمر الله به فقال ( فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ) . وقال تعالى ( ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ) . وقد استثنى الله تعالى في خمسة أشياء ولم يستثن في الشكر . فاستثنى في الاغناء . وفى الاجابة . وفى الرزق . وفى المغفرة وفى التوبة . فقال ( فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ) . ( فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ) . ( ويرزق من يشاء بغير حساب ) . ( ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) . ( ويتوب الله على من يشاء ) — وأما الشكر فقال فيه ( لئن شكرتكم لأزيدنكم ) . ولم يستثن .

وهذا يوسف يتحدث بنعم الله تعالى عليه وعلى آله وهو من الشكر . فانه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخر له أبواه واخوته سجدا . فقال ( يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربه حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربه لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ) .

وكان ختام قصته قوله ( رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ) .

## العظة البالغة

انكم ترون أن يوسف قد تقلب في الحالين بؤس ورخاء وتداولته أيدي ريحين : زعزاع ورجاء . وهو كالذهب الابريز لا يزيد على التقلب في النار الا صفاءً أو كالياقوت لا تؤثر فيه النيران فينما هو في كنف أب يؤثره بالكرامة ، ويحوطه بالمحبة ، ويخاف عليه من الليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس ؛ اذا هو في يد اخوته يسلفونه الاهانة والمذلة . يضربونه ظالمين . ويلقونه في غيابة الجب غير نادمين . وبينما هو على هذه الحال اذا هو يشم نسيم الحياة من جديد ، ولكنها حياة الرق والعبودية . ثم انتقل الى عبودية هي أشبه بالحرية اذ صار رئيس العبيد والخدم في بيت سيده . وبينما هو في هذه النعمة التي يغبطه عليها كثير من الأحرار ؛ اذا هو في غيابة السجن بلا ذنب اقترف ، ولا جريمة اجترح . وبينما هو في هذه الحال ، اذا هو في السجن مبشر ديني يدعو الى عبادة الله ، ويصد الناس عن كل ما سواه من الأرباب المتفرقين ؛ واذا هو يقسم الحظوظ ويخبر بالأشياء الغائبة : ثم ترقى به الحال الى أن صار معبر منام الملك ونذيره بقحط عقب رخاء يعم كل منهما البلاد ، فصيروه على خزائن الأرض واصطفاه لنفسه واستخلصه لمملكته . فصار قسيم الملك وكافل المملكة المصرية وعليه اعاشة مصر والبلاد القريبة منها فهو « وزير التموين » .

وبينما هو على هذه الحال لا ينقصه الا أن يشاهد أباه وأمه — خالته — اذا هو باخوته قد وقعوا في شركه ؛ فداعبهم أجمل مداعبة ، وعبث بهم عبثاً كله جد ، واحتال عليهم حتى أتوه بأخيه لأمه وأبيه ، ثم أتوه بأهلهم أجمعين .

وهو في كل هذه الأطوار المختلفة مستمسك بأكمل الخصال وجميل الأخلاق .

وان امراً دامت موافيق عهده على مثل هذا أنه لكريم

فهذه القصة الجميلة عبرة وعظة بالغة لا تلمح العبرة منها عين كل ناظر اليها ولا ينفذ الى لبابها كل قارئ لها . ولكنها كما قال تعالى ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ) .

## شعيب عليه السلام

قومه ومكانهم — تهديد شعيب والمؤمنين باخراجهم من القرية — موت شعيب .

ذكر شعيب في القرآن عشر مرات — في سورة الأعراف في الآيات ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ وفي سورة هود في الآيات ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥ وفي الآية ١٧٧ من سورة الشعراء وفي الآية ٣٦ من سورة العنكبوت .

### قومه ومكانهم

أما قومهم فهم شعب مدين بن ابراهيم عليه السلام ، ويعبر عنهم في التوراة بمديان . وأما مكانهم فقد كانوا نزولا في بلاد الحجاز — مما يلي الشام — على خط عرض يوافق خط عرض « ققط » في البر الافريقي الى الجنوب من القصير في الجهة المقابلة .

كان أهل مدين في عيش رافخ ، وهم مع ذلك أهل تجارة . وكانوا يعبدون غير الله تعالى ويفعلون الشرور ولا يكفون . فكانوا يطففون المكيال والميزان ، ويماكسون الناس في سلمهم ارادة شرائها بثمن بخس . وكان شعيب ينهأهم عن كل ذلك ويحذرهم بأس الله تعالى فأنكروا عليه ما جاء به أشد الانكار وهو دائب على نصحهم وهدايتهم .

ويسميه المفسرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعة قومهم وبراعته في اقامة الحجة عليهم ودحض حججهم . وقد جاءهم ببينة من ربه على صدقه فيما يدعو اليه غير أن الله تعالى لم يذكر في الكتاب هذه البينة . وقد تنوعت أقوال المفسرين فيها بما لا برهان لهم به — فالأولى التسليم لعلم الله تعالى . وقد كانوا يقعدون على الطرق يرصدون الناس الذين يأتون الى شعيب ليصدوهم عن الدين ويعيبون طريقته ، ويوعدون من آمن بشعيب . ويغفون سبيل الله عوجا . ولعل البينة الطريقة الواضحة المقبولة في العقل وهي شريعة من الله أتاهم بها .

وقد جهدوا جهدهم في ابطال دعوى شعيب فقد كانوا يقولون ( يا شعيب ما تفقه كثيرا مما تقول ) ويحتقرون شأنه بقولهم ( وانا لثراك فيها ضعيفا ) ظلما منهم أن القوة ميزان الصدق في القول وهو ضلال منهم ثم يتهددونه بقولهم ( ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزير ) .  
م — ١٠ قصص الأنبياء

## تهديد شعيب والمؤمنين بإخراجهم من القرية

ولما أخرج شعيب قومه بدعائهم الى ما لا يريدون من الايمان بالله وحسن المعاملة والاستقامة على الجادة . اجتمع ملا قومه وهددوه هو والذين آمنوا معه بإخراجهم من القرية اذا لم يدخلوا في دين قومهم . فراجعهم بقوله : أو لو كنا كارهين ؟ انا نكون قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم ودينكم بعد اذ نجانا الله منها بالهداية الى اقوم السبل ، وأن العود الى ملتكم ليس بملكتنا ، ولكن ذلك يكون اذا اراد الله خذلانا وابعادنا عما جاءنا به من الحق ، وهذا ما لاسبيل لنا الى علمه وانما يعلمه الله الذي وسع كل شيء علما وهو الذي تتوكل عليه .

وقال الملا من قوم شعيب يحذرون الجمهور الوقوع في دين شعيب قائلين ( لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون ) لأنه يمنعكم التطفيف في الكيل والميزان ، وهذا مما يزيد في ثروتكم . وعجبوا كيف ينهاهم عن عبادة ما كان آباؤهم يعبدونه ؟ وكيف يأمرهم بالعدل في الكيل والميزان وينهاهم أن يفعلوا في أموالهم بحسب أهوائهم وما يشتهون ؟ وعابوا عليه صلاته التي تأمره بذلك وتهكموا به قائلين : ( أئنك لانت الحليم الرشيد ) ، وهو في كل ذلك يراجعهم ويقيم الحجة عليهم الى أن تأذن الله بهلاكهم . فأخذتهم الرجفة وهي الزلزال فبادوا كأن لم يفنوا فيها .

وبعد أن فرغ الله من أهل مدين ونجى شعيبا والذين آمنوا معه ، أرسله الى أصحاب الأيكة — وهي غيضة تنبت ناعم الشجر كانت بقرب مدين تسكنها طائفة من عباد الله . قيل كانوا بادية مدين ، وكان شعيب أجنبيا منهم ، وكانوا على مثل طريقة أهل مدين فلما نهاهم عما هم فيه قالوا ( انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين ) فلما منهم أن الله لا يرسل الى البشر هداة منهم ، جهلا منهم بأن الله أعلم حيث يجعل رسالته .

وكان من شدة حماقتهم أن يطلبوا الى شعيب أن يسقط عليهم كسفا من السماء — أى قطعة منها — ان كان من الصادقين . ولشدة جهلهم لم يطلبوا الهداية الى الحق ، فأخذهم عذاب يوم الظلة بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت مياههم ، ثم ساق اليهم غمامة فاجتمعوا للاستظلال بها من وهج الشمس فأمرت عليهم نارا فاحترقوا . والى ذلك الاشارة في قوله تعالى ( انه كان عذاب يوم عظيم ) .

اقرأوا هذه الآيات :

سورة الاعراف : وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٨٥] وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [٨٦] وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا  
فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ [٨٧] قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
لَمُخْرِجَتِكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ [٨٨]  
قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا  
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا  
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [٨٩] وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيِئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ  
إِذَا نَخَسِرُونِ [٩٠] فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [٩١] الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا  
كَأَن لَمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ [٩٢] فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ  
أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ [٩٣]

سورة هود : وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ [٨٤]  
وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ [٨٥] بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيزٍ [٨٦] قَالُوا يَا شُعَيْبُ  
أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيمُ  
الرَّشِيدُ [٨٧] قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ  
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ [٨٨] وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ  
أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ [٨٩] وَأَسْتَغْفِرُورَ رَبِّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ  
وَدُودٌ [٩٠] قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ  
وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ [٩١] قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ

رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [٩٢] وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِنْ يَأْتِيهِ  
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ [٩٣] وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا  
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ [٩٤] كَانُوا  
لَمْ يَفْعَلُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ [٩٥]

**سورة الحجر :** وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ [٧٨] فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا  
لِبِأَمَامٍ مُبِينٍ [٧٩]

**سورة الشعراء :** كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ [١٧٦] إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ [١٧٧]  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [١٧٨] فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [١٧٩] وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ  
أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٨٠] أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ [١٨١] وَزِنُوا  
بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ [١٨٢] وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [١٨٣]  
وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى [١٨٤] قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ [١٨٥] وَمَا أَنْتَ  
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ [١٨٦] فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ  
الصَّادِقِينَ [١٨٧] قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ [١٨٨] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ  
عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ [١٨٩] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [١٩٠] وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [١٩١]

**سورة العنكبوت :** وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنُوا  
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [٣٦] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ [٣٧]

### زمن شعيب

كنت قد قرأت « في ص ١٦ ج ٤ من كتاب صبح الاعشى لأبي العباس أحمد القلقشندي »  
عبارة تفيد الجزم بأن شعيبا عليه الصلاة والسلام كان زمنه بعد زمن موسى بعدة قرون ، وأن  
وجوده كان في أوائل القرن الثامن بعد موسى عليه السلام . ونص عبارته :

« ثم ملك بعده — يعني يوثام — ابنه آحاز ست عشرة سنة أيضا . وكانت الحرب بينه وبين  
ملك دمشق ، وفي زمنه كان شعيب عليه السلام » اهـ .

ولكن تبين لى أن ذكر « شعيب » فى كلام القلقشندى خطأ وأن الصحيح « شعيا » .  
أما شعيب فقد كان زمنه قبل زمن موسى ، فإن الله جل ذكره لما ذكر نوحا ثم هودا ثم صالحا  
ثم لوطا ثم شعيبا قال ( ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه ) سورة الأعراف .  
ومثل ذلك فى سورة يونس بعد أن ذكرهم قال ( ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون  
وملائه ) ومثل ذلك فى سورة هود وفى سورة الحج وفى سورة العنكبوت — بعد أن ذكر  
أمم الأنبياء وأحوالهم قال ( وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات ) .  
وليان الحق واعطاء كل ذى حق حقه أقول ان الذى وجه نظرى الى ذلك هو الشيخ عبد الفتاح  
خليفة .

### بنو إسرائيل بمصر (١)

نزل يعقوب اسرائيل الله بأولاده مصر فى عهد يوسف عليه السلام ولم ينزل فى الكتاب الكريم  
شىء عن بنى اسرائيل واسرائيل بمصر بعد ذلك الى عهد ولادة موسى . ولكن التوراة ذكرت أن

(١) نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٣ يناير سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « فى الآثار  
المصرية » ما يلى : —

اكتشافات جديدة فى المتحف المصرى — رسالة عن فتح بئر كنعانية — النظام الهجائى  
الهيروغليفى الصحيح .

( كان المغفور له الملك فؤاد قد اهدى مجموعة نفيسة من الجعارين الى المتحف المصرى ، وقد  
أتىح للعالم الأثرى الأستاذ الن رو — مدير بعثات متحف جامعة بنسلفانيا الى مصر وفلسطين —  
بحث هذه الجعارين ، فوفق الى اكتشافين يطلع عليهما القراء فى هذا المقال المتمتع الذى كتبه  
خصيصا « للأهرام » ) .

أتاحت لى السلطات المحلية المصرية خلال الأشهر الأخيرة العمل فى مجموعة « الجملان » أو  
« الجعارين » التى أهداها المغفور له الملك فؤاد الى المتحف المصرى فى القاهرة ، وقد هيا لى العمل  
فى هذه المجموعة النفيسة ، أن أدرك ادراكا تاما ما لها من قيمة تاريخية عظيمة تجعلها بحق  
أفضل مجموعة من نوعها فى العالم وقد اكتشفت منها ، فيما اكتشفت ، رسالة تعلن فتح بئر  
كنعانية والنظام الهجائى على المتون الجفيلية وسأشر كليهما مع هذا المقال .

#### برتيفان كاهن أون

وارى ، قبل البحث فى اكتشافاتى هذه ، أن أصف حجرا عموديا من معالم القبور ورد على  
المتحف المصرى منذ عهد قريب ، وترجع أهميته الى اتصاله بعهد يوسف الصديق الوارد فى  
التوراة اليهودية قبل عهد الحفريات العلمية فى مصر وفلسطين ، كانت الاكتشافات الخاصة  
باليهود وتاريخ اقامتهم فى مصر نادرة جدا ، ولكن الأعمال التى قامت بها البعثات الأثرية  
الحديثة ، ومنها أعمال الأستاذ سليم بك حسن وغيره من الأساتذة المصريين ، أخذت لحسن الحظ  
تبدد شيئا فشيئا ذاك الضباب القائم الذى كان مخيما على هذا القسم المهم من رواية التوراة .  
فالتأبأت اجمالا ، يبين أكثر الخبراء ، أن العبرانيين دخلوا مصر فى عهد الهكسوس وهو العهد  
الذى يمثل الأسرتين المصريتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة والذى بدأ حوالى سنة ١٨٠٠ قبل  
الميلاد .

وقد كان الهكسوس ، أو « الملوك الرعاة » فى عرف الكتاب المحدثين ، من الشعوب الآسيوية  
بلغت سلطنتهم أوجها الى شمال مصر وأرض كنعان من مدينة أفاريس فى دلتا النيل . ثم طردهم  
من مصر أحمرس الأول ، أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، حوالى عام ١٥٨٠ ق م . وقد خرج  
العبرانيون من مصر فى ذلك الوقت أو بعده بقليل . أما الملك الذى لم يعف يوسف الصديق ( سفر  
الخروج ص ٨٠ع ١٠ ) فقد كان أحمرس الأول أو غيره من الملوك الذين عادوا الى حكم مصر  
الشمالية بعد طرد الهكسوس منها .



يعقوب وبنيه لما أقاموا في مصر خيرهم فرعون في الأرض التي ينزلون بها . فقالوا — بناء على تعليم يوسف لهم — انهم رعاة ماشية . وطلب يوسف الى فرعون أن يسكنهم أرض جاشان أو جاشان وهي في شمال بليس من بلادها سبط الحنة الآن . ويقول العلماء انها نواحي الصالحية وكانت العلة في طلب يوسف ذلك لهم أنها أرض مراعى وهم رعاة ماشية .

= أما الاسمان الواردان في تاريخ اقامة اليهود بمصر ، وهما بوتيفرا وبوتيفار — أولهما كاهن « أون » أو هليوبوليس الذى اقترن يوسف الصديق بابنته ( سفر التكوين ص ٦١ ع ٤٥ ) والثانى رئيس خدم فرعون ( سفر التكوين ص ٣٩ ) — فلم يكونا من نوع الأسماء المعروفة قبل الأسرة الحادية والعشرين ، ولم يكثر استعمال هذا النوع قبل الأسرة الثانية والعشرين . أى في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد اذ كتبت رواية اقامة اليهود في مصر بالخط الذى صرنا نعرفه الآن .

وبعبارة أخرى كانت أسماء الأشخاص المعاصرين الأصلية قد ضاعت مع الأجيال فطفق الراوى يستعمل بدلا منها الأسماء الشائعة في عصره ، ولكن لم يكن يعرف — حتى حين استيلاء المتحف المصرى على الحجر المتقدم ذكره — أن الشكل الأصلي لهذين الاسمين الذى طال البحث عنه وكان العلماء يقدرونه تقديرا — انما هو « بدى — با — راى » الذى حرفه الكتاب من قبل فجعلوه بوتيفرا وبوتيفار ومعناه الحرفى « الذى انعم به » « رع » آله الشمس » وهذا اسم صاحب الحجر نفسه .

« بدى — با — راى » بالهيروغليفية ، وهو الشكل الأصلي للاسم العبرانى « بوتيفار » الذى ورد ذكره في التوراة .



فـ « بدى — با — راى » هذا كان مديرا لمستودع الاله « بتاح » الذى كان معبده الرئيسى في ممفيس ، وقد مثل الميت على هذا الحجر مصليا لأوزيريس قاضى الأموات العظيم الذى يحمل لقب « رق شجرة الزيتون » .

وتدلنا النصوص التى وجدت على هرم الملك ونيس ، أحد ملوك الأسرة الخامسة على أن شجرة الزيتون هذه كانت مقدسة في هليوبوليس . قارن بذلك المثل الوارد في سفر القضاة ص ٩ ع ٨ خطر مرة للشجر أن يختزن ملكة فقلن للزيتونة « املكى علينا » . وفي الزمور الثانى والخمسين ع ٨ يستدل على أن شجرة الزيتون كانت مباركة في معبد العبرانيين .

وخلف رسم بدى — با راى على الحجر المتقدم ، توجد رسوم اقربائه ، ويدعى أحد ابنائه « ار — هب — يوت » وتعريبه الحرفى ( الاله أبيس يمنح العمر الطويل ) وهذا الاسم عينه موجود على حجر آخر من بقايا الأسرة الثانية والعشرين من السيرايوم فهو اذن ذو قيمة لأنه يساعد على تعيين تاريخ حجر — بدى — با — راى .

وأنا اترك لعلماء التوراة أن يبحثوا في الاثر الحقيقى لاسم بدى — با — راى وتاريخ حجره على كتابة قصة يوسف الصديق في كتاب العهد القديم .



الرمز الهيروغليفي عن « بئر الملك مرتتاح الاول » رسالة عن فتح بئر كنعانية

لم يكد مرتتاح الاول — أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة — يرتقى عرش مصر — حتى أمر باعادة فتح جميع الآبار غير المستعملة والتى كان العدو قد أغلقها . ( كما يستدل على ذلك من النقوش التى وجدت على حجر النصر الشهير الذى أقامه هذا الملك وكتبت عليه أسماء الاسرائيليين وغيرهم من الشعوب ) .

ويلوح لى أنه انما عمل ذلك ليعدهم عن مخالطة المصريين بقدر الامكان ، حتى يكونوا

= أما الحصون قد بقيت على حالها ، وهذه الآبار هى بلا شك التى كان يستمد منها جيشه الماء اللازم له فى أثناء احتلاله لأرض كنعان .

وبهذه المناسبة اقول انى لاحظت أخيرا فى مجموعة الملك فؤاد حجرا لولبيا أسود اللون مستطيل الشكل يشير فعلا الى اكتشاف بئر ، وهى بالبداهة بئر كنعانية تعود الى عصر مرتتاح الأول .

أما النقش الذى عليها فمعناه : « دخلت المياه فى حجر بئر الملك مرتتاح الأول « أو » وجد الماء فى حجر ... الخ » والحجر يعنى بالطبع الصخر الذى حفرت البئر فيه .

وليس مستحيلا أن تكون هذه البئر هى التى أشار اليها أحد موظفى الحدود الكنعانية فى يومينه الشهيرة اذ سجل أسماء الرسل الذين مروا من أرض كنعان واليهما فى عهد الملك مرتتاح الأول ، فقد كتب هذا الموظف السنة الثالثة ، بالشهر الأول من الفصل الثالث ، اليوم السابع ، وصل رؤساء رماة بئر الملك مرتتاح الأول - فلتكن لهم الحياة والصحة والقوة التى فى الجبال - ليتصلوا بقلعة ثارو ( وهى القنطرة الحالية ) ولعل قوله « التى فى الجبال » يعود الى البئر ويدل على ارتفاعها فى أرض كنعان ، ويظن الخبراء أنها كانت قرب اورشليم ولكن ليس على هذا من دليل .

وأنا أعتقد ان الحجر اللولبى الأسود المنقوش لم يكن الا رسالة خالدة مرسله الى مرتتاح الأول فى مصر تعلن له اكتشاف الماء فى البئر التى سميت باسمه وعلى كل حال من جانبى الحجر اسم الملك كأنما ذلك عنوان الرسالة !

### اكتشاف النظام الهجائى فى المتون الجعلية

أحد الرموز الجعلية  
النظام الهجائى  
الجديد ، وقراءتها  
« أوزيريس »



منذ كان علم الآثار المصرية فى طفولته حار العلماء فى تفسير مجموعات غريبة من العلامات المنقوشة على بعض المتون من الجعلان أو الجعارين ، وقد حسبوها غالبا نقوشا أو رموزا مقدسة لبعض الآلهة ، مثال ذلك أن منها جعلاً يحمل رسوم صولجان وسمكة وعقرب وأسد ، وقيمة هذه العلامات معروفة ، فالصولجان يدعى « واز » والأسد « رو » وهلم جرا .

وقد حاولت طويلا ، ولكن عبثا ، قراءة هذه العلامات بالطرق المعروفة ، ثم خطر لى أن أقرأ كل مجموعة بأول حرف من أسماء مفرداتها ، فاتخذت الواو فقط من « واز » أى الصولجان ، والراء من « رو » أى الأسد وكان نجاحى سريعا اذ تجلّى لى كثير من معانى هذه المجموعات على الجعلان أو الجعارين التى يمتد تاريخها من الأسرة الثامنة عشرة الى عهد البطالسة .

وجميع المجموعات التى فسرتها حتى الآن تشتمل على أسماء آلهة ، واتضح لى أن الكتابة الهيروغليفية التى اكتشفت حديثا على الجعلان انما كانت لاختفاء أسماء الآلهة ، ولهذه المناسبة تذكر ما كتبه هيرودس المؤرخ الشهير عن عملية التحنيط المصرى فى ( كتابه الثانى الفقرات ٨٥ الى ٨٨ ) اذ قال أنه يمتنع بكل تدقيق عن ذكر اسم الاله ، وهو يعنى طبعاً أوزيريس ، والعبرانيون

بمنجاة من وثنتهم حرصا منه على بقاء ذراريهم على التوحيد ، وذلك أن المصريين كانوا يقدرون الرعاة ولا يخالطونهم لأن ذلك نجاسة لديهم (١)

وتذكر التوراة أن يوسف اشترى من المصريين مواشيهم وكل ما يملكون من الأرضين لفرعون في نظير ما أعطاهم من الطعام حين اشتد الجوع في الأرض . ثم اشترى منهم أنفسهم فصاروا عبيدا لفرعون بطونهم . ونقل الناس الى المدن لأنهم لا خير لهم في البقاء بداخلة البلاد ، اذ لا زرع ولا ضرع .

وأما الآن أطلس تاريخي لحضرة الفاضل الأستاذ محمد رفعت بك . وقد رسم أرض جاشان شمالي بليس ومن بلادها « فكوسه » أي سفت الحنة .

### وفاة يعقوب

وقد عاش يعقوب سبعا وأربعين ومائة سنة . ومات على رأس سبع عشرة سنة من قدومه الى مصر . وبارك ابنى يوسف « أفرايم ومنسى » ودعا لهما . وجعلهما صاحبي نصيين كأولاد يعقوب الصليبين في الأرض المقدسة التي يملكها بنو اسرائيل — وهى أرض فلسطين — ودعا أولاده وباركهم وتنبأ لهم بما سيلقى كل واحد منهم ونسله اجمالا . وأوصاهم بالاستمسك بالدين ( أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهما واحدا ونحن له مسلمون ) .

— وقد مات يعقوب بعد ما أوصى أن يدفن عند أبيه وجده . فأمر يوسف الأطباء بتحنيطه فحنطوه وحمل الى فلسطين ودفن هناك كما أوصى ، أما اخوة يوسف فوقعوا على قدميه تائبين

= أيضا كانوا يرون أسماء آلهتهم اقدس من أن تذكر : ومعظم ما فسرتة من هذه النقوش يحوى اسم اوزيريس القاضى العظيم للأموات في الآخرة .

لكن أهمية الاكتشاف الجديد تتجاوز قراءة النصوص المنقوشة على الجعلان والجعارين ، لأنها تعنى أننا وقفنا على أول استعمال حقيقى للنظام الهجائى الصحيح الذى كان منتظرا في ذلك العهد من مصر الى سينا الى فلسطين وسوريا .

ومما لا شك فيه أن النظام الهجائى للغة الهيروغليفية نشأ من النظام المعقد الهيروغليفى القديم الذى انتشر في عهد الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، ولكن استعماله لم يشع إلا في اواخر الأسرة الثامنة عشرة . ففي النظام الأخير أعطيت الرموز الهيروغليفية معانى مختلفة تماما عما كان لها من قبل وقد استعمل هذا النظام في بعض النصوص الدينية وفي أسماء الملوك ، كما أن تفسير السيو دريوتون ، المدير العام لمصلحة الآثار لهذه الرموز المعقدة ساعدنى كثيرا على قراءة النظام الهجائى المحض للكتابات المنقوشة على الجعارين والجعلان .

(١) وتقول التوراة « في الآية ١١ من الاصحاح ٤٧ — تكوين » فأسكن يوسف اباه واخوته واعطاهم ملكا في مصر في أفضل الأرض من أرض رعسيس كما أمر فرعون ١٢ — وعال يوسف اباه واخوته وكل بيت أبيه ورتب الطعام على حسب الأولاد .

مستغفرين لسابق ذنبهم ضارعين خائفين أن يمسك يوسف عنهم سبب بره ، ويزوى عنهم وجهه بشاشته بعد أن كان يكرمهم . مقدرين أنه ما كان يكرمهم الا بسبب وجود أبيهم . وقالوا له : ان أبانا أوصانا أن نبغلك أن تصفح عن اساءتنا اليك وبخعوا له بأنفسهم بالعبودية ، فبكى يوسف وسكن روعهم وعرفهم ما في اساءتهم من الخير لشعوب الأرض وأن الله فعل ذلك رحمة بعباده ، وعاش يوسف الى أن بلغت سنة عشرًا ومائة سنة فحنطوه ووضعوه في تابوت وبقي محفوظا الى أن أخذه بنو اسرائيل في خروجهم من مصر .

وقد رأيت في الحرم الخليلي بحبرون أحد التوابيت الموضوعة قريبا من مغارة المكفيلة وهى مدفن ابراهيم وسارة ورفقة واسحق ويعقوب . وأهل البلاد يقولون انه تابوت يوسف وانه دفن في المغارة ، وأحسب ذلك منهم وهما لأن يوسف دفن في أرض « أفرايم » كما تقول التوراة ، وحبرون من أرض يهوذا .

وقد أخبرنى حضرة الفاضل محمد نمر حسن نابلسى بأن يوسف مدفون بنابلس وله ضريح هناك . وكذلك أخبرنى بذلك حضرة الفاضل أمين بك عبد الهادى من أعيان نابلس . وهذا هو المعقول لأن نابلس من أرض أفرايم واسمها فى القديم « شكيم » أو « شخيم » .

## ثم ماذا ؟

ضرب الدهر ضرباته وجاءت الأسرة الثامنة عشرة المصرية . وطردها ملوك الرعاة الذين كانوا فى مصر وشغلوا من تاريخها نحو أربعة قرون — من الأسرة الرابعة عشرة الى الأسرة الثامنة عشرة .

جاء أحسن رأس تلكم الأسرة وطرده الرعاة ومزقهم كل ممزق وشردهم كل مشرد . وبنو اسرائيل فى أمكنتهم . وكان بين ورودهم الى مصر وخروجهم منها على يد موسى خمس عشرة سنة ومائتا سنة على ما حققه رحمة الله الهندى .

جاء ملك لمصر لا يعرف يوسف ولا فضله على مصر وغيرها . ورأى بنى اسرائيل يكثرون . فخاف أن يكونوا الب « أى قوة وحزبا » لأعداء أهل مصر فأراد أن يقتل كل ذكر من أولادهم حتى لا يكثرو عددهم ويكون منهم ما يحذر على مصر والمصريين<sup>(١)</sup> . فأمر قابلى المصريين وكان اسم احدهما « شفرة » والثانية « فوعة » بقتل كل ذكر تلده عبرانية . وأما البنت فتبقى ، فلم تفعل ما أمرتا به . ولما سألهما قالتا له ان العبرانيات قويات . فهن يلدن قبل أن تأتى القابلة . وكان

---

(١) يقول المفسرون : ان الكهنة أخبروا فرعون بأن زوال ملكه سيكون على يد مولود لبنى اسرائيل فوجه همه الى قتل ابنائهم واستحياء نساءهم ، وهذا يحتمل ولا بعد فيه .

ذلك الملك أمر باذلال العبرانيين وتسخيرهم في عمل اللبن والبناء وغير ذلك من الأعمال الشاقة، وוכל بهم من يتبعهم حتى لا يجدوا مس الراحة ، رجاء أن يقلل ذلك من نسلهم ، فلم يفد ذلك فرعون وآله فائدة . لأن العبرانيات كن يحملن كثيرا ، ثم أمر فرعون جنوده والمتدخلين في الأعمال أن يلقوا كل ذكر من أولاد العبرانيين في النهر ليموت .

هذا ما ذكرته التوراة وهو عين ما ذكر في القرآن الا في تفاصيل جزئية .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة البقرة :** وَإِذْ أَخَذْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [٤٩]

**سورة الاعراف :** وَإِذْ أَخَذْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [١٤١]

**سورة ابراهيم :** وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [٦]

**سورة القصص :** تَسَلُّوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَائِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [٣] إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [٤] وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [٥] وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ [٦]

فأنتم ترون أن قتل الأبناء واستحياء النساء بلاء لا يصبر عليه ذو عقل الا بمعونة الله ، وأن الله سبحانه وتعالى انما كافأ بنى اسرائيل بنعمه الوافرة بما كان منهم من الصبر ، وان كانوا على أخلاق جافية وطباع شاذة في نواح أخرى من نواحى سجاياهم ، من حيث ضجرهم بالخير يسدى اليهم ، وطلبهم من موسى أن يجعل لهم الها حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم — كما سيأتى — ومبادرتهم الى عبادة العجل بلا روية وذلك أن أجر الصبر عند الله تعالى عظيم .

## موسى عليه السلام<sup>(١)</sup>

ولادة موسى وأرضاعه — تربيته في بيت فرعون — خروج موسى من مصر الى أرض مدين وسببه — أرض مدين ونزول موسى بها — قضاء موسى مدة استئجاره — موسى بالوادي المقدس — بعثته عليه السلام — عود موسى الى مصر ودعوته لفرعون — تذكير فرعون موسى تربيته في بيت فرعون — موسى يحتاج فرعون في ربوبية الله تعالى — فرعون يتجاهل الله ويدعى الألوهية ويأمر ببناء صرح يصعد به الى السماء — معجزتا العصا واليد — ثمادى فرعون وقومه — الاثمار بموسى لقتله — فرعون يستخف بموسى ويباهى — الآيات التى أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه لما كذبوا موسى عليه السلام — انطلاق بنى اسرائيل — فرعون صاحب موسى رأى آخر فيه — لصوق الوثنية بنى اسرائيل — ذهاب موسى عن بنى اسرائيل — اتخاذ بنى اسرائيل العجل — ما حقيقة العجل الذى عبده بنو اسرائيل — ومن هو السامرى — دخول الأرض المقدسة — نثق الجبل فوق بنى اسرائيل — بنو اسرائيل ومسألة البقرة — قصة قارون وموقف موسى بازائه — ابتداء بنى اسرائيل لموسى — اظهار الله تعالى براءته — اختيار موسى سبعين رجلا — العبد الصالح صاحب موسى — ما اسم العبد الصالح — تذكير الله تعالى بنى اسرائيل بنعمه عليهم — موت هارون ثم موسى — موقف لبنى اسرائيل بعد موسى — ثناء الله تعالى على موسى وهارون — العظمت التى تستفاد من قصة موسى — استطراد .

## ولادته وإرضاعه

فى أثناء تلکم العاصفة الهوجاء التى مرت بنى اسرائيل فى مصر والأهوال التى يلاقونها

(١) نشرت جريدة الأهرام بعددها الخاص فى ١٠ مايو سنة ١٩٣٩ خبرا لمراسلها فى لندن جاء فيه:

### موسى عليه السلام : هل كان مصرياً ؟

لندن فى ٩ مايو — لمراسل الأهرام الخاص — اشارت جريدة « نيوز كريكىل » الى الطبعة الالمانية التى نشرت فى امستردام لكتاب : « موسى والتوحيد » من تأليف الأستاذ سجموند فرويد ، من علماء تحليل النفس المشهورين ومما نالته الجريدة أن من أهم آراء الأستاذ فرويد فى هذا الصدد ، قوله أن النبى موسى لم يكن يهوديا بل كان مصرياً من اتباع اخناتون ، وهو يعتقد أن اليهودية والمسيحية اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس .

وستنشر الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب يوم ٢٦ مايو الحالى .

ونشرت الأهرام بعددها الصادر فى ١٣ مايو سنة ١٩٣٩ تعليقا على الخبر السابق للأستاذ منصور وهبة جاء فيه :

### موسى عليه السلام : هل كان مصرياً ؟

نشرت « الأهرام » أخيراً برقية لمراسلها فى لندن عن كتاب « للعالم النفسانى » « فرويد » يقول :-

كان رجل عبراني يقال له عمران « عرام ، بالعبري » بن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام —

= فيه ان سيدنا موسى عليه السلام كان مصرياً وليس عبرانياً من بنى اسرائيل، واني — اى فرويد — يرى ان موسى كان من اتباع اخناتون ، وان الدين اليهودي والدين المسيحي اشتق كل منهما من كلمة اخناتون للشمس .

وفضلاً عما في هذا الرأي من تناقض تاريخي وديني ونفساني ايضاً ، فان المرء لا يسمعه الا الاستغراب من صدور هذه النظرية من علامة مثل فرويد ، وذلك ان اساس الدين الاسرائيلي وهو التوحيد بالرب الواحد الأحد ، قائم من ايام سيدنا ابراهيم الخليل قبل المجيء الى مصر بزمان بعيد ، وقيل ان تقوم لأخناتون قائمة . ثم ان اخناتون قد عبد الشمس ، ولم يعبد الرب الواحد القهار . يضاف الى هذا ان موسى عليه السلام لم يأت بجديد على اصول الدين الاسرائيلي سوى الوصايا العشر .

ومما يدعو الى الدهش ان يقال ان سيدنا موسى ليس من سلالة ابراهيم ، مع ان ابراهيم جده . ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » وقوله جل شأنه ، « وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا » ، وفي آية أخرى « قال موسى لقومه استمعينوا بالله واصبروا » وقوله تعالى « ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة » فهذه الآيات تدل دلالة صريحة على ان الكتاب والنبوة لم ينزلا على رجل من آل يعقوب ، وان موسى عليه السلام كان من بنى اسرائيل ، وأظننى لست في حاجة الى ان استشهد بآيات التوراة والانجيل فكلها ناطقة بأن النبوة لم تخرج من بيت ابراهيم عليه السلام .

اما من ناحية التاريخ فلعله قد فات « فرويد » ان الاسرائيليين كانوا يعبدون الله قبل مجيئهم الى مصر ايام الهكسوس وقبل اخناتون بزمان ، وكانوا في مصر يكرهون عبادات المصريين الوثنية ، ولم يختلطوا بهم قط ، وظلوا محافظين على طقوسهم ودينهم ووجدتهم ، بل لعل اخناتون هو الذي تأثر فأخذ فكرة مشوشة عن امه « تاي » فتجسست في ذهنه بعبادة قرص الشمس .

على انه في اثناء ذلك العهد ، ومن قبله بازمنة بعيدة ، اى من عهد ابراهيم واسحق ويوسف . كان الاسرائيليون لا يعرفون الا عبادة الرب الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قال تعالى : « لا اله الا الذى آمننت به بنو اسرائيل » ولم يذكر انسان عاقل ان بنى اسرائيل قد عبدوا قرص الشمس في اى عصر من العصور .

منصور وهبة

درجة الشرف في العلوم

ونشرت الاهرام ايضا بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٩٣٩ تعليقا على الخبر ايضا للدكتور هلال فارحي جاء فيه :

« موسى عليه السلام هل كان مصرياً ؟ »

نشرت « الاهرام » لمراسلها في لندن منذ ايام ان جريدة « نيوزكرونيكل » اشارت الى طبعة كتاب « موسى والتوحيد » الالمانية ، وما جاء في هذا الكتاب من ان مؤلفه الاستاذ سيجموند فرويد من علماء تحليل النفس يعتقد ان النبي موسى عليه السلام لم يكن يهودياً بل كان مصرياً من اتباع اخناتون وان اليهودية والمسيحية اشتقتا من عبادة اخناتون للشمس .

قد تزوج بن عمته يوكابد بنت لاوى — كما هو مقتضى الآية ٢٠ من الاصحاح الثانى من سفر الخروج ونصها « وأخذ عمران يوكابد زوجة له فولدت له هارون وموسى » ومعلوم أن زواج

= هذا ما يقوله الأستاذ فرويد وما من شك في أنه انفراد ، بين سائر العلماء والمؤرخين في العالم ، بهذا الاعتقاد الغريب الشاذ . ذلك أن كتب التاريخ والكتب المنزلة تؤيد الاعتقاد السائد منذ آلاف السنين بأن موسى كان يهوديا أباً عن جد ومع أنه تربى وثقف في بلاط مصر ، فقد قام مع أخيه هارون بإنصار اخوانه اليهود ضد رعمسيس . ثم تولى زعامة اليهود ، الى أن أخرجهم من مصر . فقد جاء في صفحة ٦٣ من تاريخ يوسف فرس المؤرخ الشهر الذى عاش في ٢٧ — ١٠٠ م : « كان رجل اسمه عمرا م من أشرف العبرانيين وولد له ابن آخر بعد هارون ومريم ، وبعد صدور أمر فرعون بأعدام كل مولود ذكر للعبرانيين بالقاء في النيل . وخبأ عمرا م ابنه هذا ثلاثة أشهر . ثم اضطر أخيراً أن يضعه في صفت مطلى بالحرمل ويلقيه في النيل . والتقطته ثرموسيس ابنة فرعون وتبنته وسمته « مورييس » من « مو » ماء و « أوزس » أى منتشل من الماء في اللغة المصرية » وهذه العبارات تقارب ما ورد في التوراة ( خر ٢ ) : وذهب رجل من بيت لاوى وتزوج من بيت لاوى وولدت له ابنا . . . ودعته ابنة فرعون « موشه » « من الفعل ماشه انتشل أى منتشلا » فلو كان موسى مصرياً لما طبق عليه فرعون بقتل المواليد الذكور ولا اضطرت والدته أن تخبئه . ثم أننا لو بحثنا عن اسم أبيه عمرا م ( أى شعب سام ) وأجداده : فقاومت من لاوى بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم أبى اليهودى واسم أمه « يوكابد » من « كابود » أى الكرامة والاحترام ، وجدناها عبرية محضاً .

وأما ما زعم فرويد ، من أن موسى كان من أتباع اخناتون فهو أيضاً مناقض للحقيقة لأن موسى ثبت عقيدة جده ابراهيم بتوحيد الله . ثم جاء بالتوراة أساس الشريعة الموسوية ووصاياها من أوامر ونواه من بينها الوصايا العشر التى نهت عن عبادة آلهة أخرى من أى نوع كانت . وكذلك ما زعمه فرويد أن الديانة اليهودية والمسيحية اشتقتا من عبادة اخناتون ، مناقض للحقيقة . وقد سبق أن حض الأستاذ منصور وهبة فيما نشرته له « الأهرام » هذا الزعم بالادلة والنصوص القيمة من الكتب المنزلة .

يضاف الى هذا أن أول من آمن بوحداية الله ابراهيم وذريته . وأنه هاجر من بلاد الكلدان ، فراراً من الوثنية وزار مصر في عهد امنحت ٢ من الأسرة ١٢ نحو ٢٢٠٠ ق . م . وذلك قبيل اخناتون بزمان طويل وهو امينوفيس ٤ ١٣٧٥ — ١٣٨٥ ق . م . والأسرة ١٨ حمو توت عنخ آمون . على أن كثيرين يعتقدون أن اخناتون قد اخذ توحيد الآلهة عن العبريين . فان لفظة « أتون » أى قرص الشمس الذى اختاره معبوداً له لكونه الها منظوراً مأخوذة من « أدون وأدوناي » بالعبرية أى سيد والسيد والله ، الاله غير المنظور . وقد سمي نفسه اخناتون — أى انعكاس قرص الشمس تيمناً به — وترك طيبة وعبادة آمون وبنى معبداً لأتون في تل العمارنة ووضع أناشيد للشمس .

وقد يبدو للمطالع أن بعض آيات من مزمور ١٩ و ١٠٤ — ٢٤ وغيرها من مزامير داود ، لكثرة مشابهتها لاحدى أناشيد اخناتون مثل « ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت » قد أخذت عهد اخناتون . وهذا أيضاً بعيد عن الصواب وما هو الاوارد الخواطر لا اقل ولا اكثر . الدكتور هلال فارحى



العمات لم يكن قد نزل الأمر بتحريمه <sup>(١)</sup> لأن ذلك إنما كان على يد موسى بعد خروج بني إسرائيل من مصر — ولما ولدته خباته عن عيون من يطلبون أطفال بني إسرائيل/ لقتل ذكراهم ، فمكث عندها ثلاثة أشهر ، فلما خافت افتضاح أمرها ، أعلمها الله تعالى وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالحر <sup>(٢)</sup> والزفت وتلقيه في اليم ، ففعلت وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه ، وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين . فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه النقط وأدخل دار فرعون ، وأن عين زوجة فرعون وقعت عليه فألقى الله عليه محبتها ، فاستحيته وأبقت ليكون قرّة عينها وعين فرعون راجية أن ينفعهما أو يتخذاه ولدا ، وهذا تدبير من الله لموسى وأمه لأنه سيعود إليها لتكون ظئرا له وتتقاضى على ارضاعه أجرا وهي آمنة كيد الكائدين وسعى الساعين .

وكيفية اعطائها إياه لترضعه أن الله تعالى زهده في المراضع فلم يقبل على ثدى احدهن — رحمة منه تعالى بأمه — وكانت أخته تقص أثره وتتبعه أينما سير به حتى رأت اعراضه عن الثدي ، فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأة عبرانية ترضعه وتكفله ، وأنها تكون له ناصحة مشفقة تقوم له مقام الأم وكان اسم أخته مريم .

صادف قول مريم من آل فرعون أذنا مصغية وبعثوها في طلب الظئر ، فجاءت بأمها وأمه على التحقيق . فأقبل على ثديها فألقوا إليها بموسى لترضعه وهو موضع عنايتهم .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة القصص :** وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَلَاخِيزَ فِي الدِّمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ [٧] فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ [٨] وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [٩] وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [١٠] وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [١١] وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ

(١) قد ينكر بعض الناس صحة زواج العمات . وأنا أقول انه ثابت تزويج آدم اولاده من بناته ، فتزوج من بعد منهن من الاقارب بالاولى ، وما ثبت من حل التزوج بالقربيات لا يحظر الابشرع جديد يأتي بعدم الاباحة العامة — ونحن أسراء النص — فمن اراد ان يثبت حرمة هذا النوع من الزواج في ذلك العهد فعليه ان يأتي بالنص القاطع على ذلك .

(٢) الحر — بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة — القطران .

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ [١٢] فَرَدَّ ذُنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [١٣]

سورة طه : وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى [٣٧] إِذَا وَحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى [٣٨] أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي النَّبُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي [٣٩] إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ . . . . . [٤٠]

وقد ذكرت التوراة قصص ولادة موسى وارضاعه أولاً ، ثم صنع سبط له وطلاءه بالحرر والزفت ، والقائه .

خرجت ابنة فرعون ومعها جواربها الى شاطئ النهر وانها نزلت تغتسل فعثرت على السبط الذى فيه موسى . لأنها رآته بين الحلفاء فأمرت جواربها فأتين به اليها ، فعلمت أنه عبرانى وأحبته . وللحال عرضت عليهم مريم أخت موسى أن تأتيهم بأمها لترضعه ، فعثتها في ذلك فعادت بها وناطوا بها ارضاع موسى وتربيته .

والقصة هناك ليس فيها اختلاف له شأن مع ماقصة القرآن الكريم . غير أن القرآن يقول ان التى تبنته امرأة فرعون ، وما في سفر الخروج يقول انها ابنته . ولعل امرأته كانت واسطة بين بنته وأبيها ، وهى التى تولت تحسين أمر استبقائه لفرعون — فالخطب هين . وأمر آخر هو أن القرآن يذكر أن الله أمرها بالقاء التابوت في اليم — أى الماء — وأن الماء سيلقيه بالساحل . والتوراة تذكر أنها وضعتة بالساحل بدأة ذى بدء .

### تربية موسى في بيت فرعون

طبعى أن تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعته قد أتت به الى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعونى تربيته ، كما كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك العهد بواسطة الكهنة <sup>(١)</sup> ورجال الدين

(١) نقد اللجنة « الموضوع التاسع »

( تربية موسى في بيت فرعون )

في صفحة ١٤٣ ما نصه :

طبعى أن تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعته قد أتت به الى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعونى =

بحسب التقاليد التي كانت لذلك البيت في تلك الأيام ، وأن يكون موسى قد تعلم تعليما راقيا  
ويضاف الى ذلك ما أفاضه الله عليه في كبره من الحكمة والعلم الثابت في قوله تعالى :

= تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك في ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين ، بحسب  
التقاليد التي كانت لذلك البيت في تلك الأيام ، وأن يكون موسى قد تعلم تعليما راقيا :  
اقرأوا هذه الآية :

سورة القصص « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين » هذا  
نص عبارته بالحرف .

### ( رأى اللجنة )

لا نفهم السر في قوله : اقرأوا هذه الآية « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك  
نجزي المحسنين » .

هل يقصد أن ما آتاه الله من الحكم والعلم — لما بلغ أشده واستوى — هو من تعلمه التعلم الراقى  
في البلاط الفرعونى بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التي كانت لذلك البيت في تلك  
الأيام ؟ ..

إن كان قصده هذا فعجيب جدا ، فإن معنى الآية الكريمة على ما يؤخذ من الألوسى وغيره  
باختصار ( ولما بلغ أشده ) أى المبلغ الذى لا يزيد عليه نشؤه ( واستوى ) أى كمل وتم تأكيد  
وتفسير لما قبله ، وقيل هما مختلفان ، وقد ذكر المفسرون لهما معانى عدة واختار الألوسى أن  
المعنى ولما قوى جسمه واعتدل عقله ( آتيناه حكما ) أى نبوة ( وعلمنا ) أى بالدين والشرعة ، وقيل ،  
الحكم : السنة . والعلم : التوراة . وقيل المراد آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمعتهم قبل البعث  
فكان عليه السلام لا يفعل فعلا يستجمل فيه .

ثم قال الألوسى — بعد كلام في ترجيح القول الأخير — ما نصه : ومن ذهب الى أن هذا الإتياء كان  
قبل الهجرة قال يجوز أن يكون المعنى آتيناه رياسة بين قومه بنى اسرائيل ، بأن جعلناه ممتازا فيما  
بينهم ، يرجعون اليه في مهامهم ، ويمثلونه اذا أمرهم بشئ أو نهاهم عنه ، وعلمنا ينتفع به وينفع به  
غيره . وذلك اما بمحضر الالهام أو بتوفيقه لاستنباط دقائق وأسرار مما نقل اليه من كلمات آبائه  
الانبياء عليهم السلام ، ولا بدع في أن يكون عليه السلام عالما بما كان عليه آباؤه الانبياء وبما كانوا  
يتدينون به من الشرائع بواسطة الالهام أو بسماع ما يفيد العلم من الاخبار : اها المقصود منه .

فهل يرى فضيلة الأستاذ أن النبوة والشرعة ، أو التوراة والسنة ، أو سيرة الحكماء والعلماء  
وسمتهم ، أو الامتياز على قومه والعلم الذى ينتفع به وينفع غيره — والذى حصل عليه اما بمحض  
الالهام أو بتوفيق الله له لاستنباط دقائق وأسرار مما نقل عن آبائه الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين  
— قد اكتسبه موسى عليه الصلاة والسلام من الكهنة ورجال الدين في البلاط الفرعونى . لا نظن  
أنه يرى ذلك ولا نظن الا أنه كتب هذه الآية في هذا المقام سهوا .

أما ما ذكره في أصل الموضوع من قوله « طبعى ... الخ » فنقول في شأنه أن الثابت قطعا أن  
موسى عليه السلام قد تربى في بيت فرعون وهو صغير بدليل قوله تعالى حكاية عن فرعون ( ألم  
نريك فيما وليدا ) أى صبيا ، ثم الذى نعتقده وندين الله عليه أن الله حماه في أثناء التربية وهو  
صبى من الكهنة الفرعونية ورجال دينه ، وأنه لم يتعلم منهم شيئا ، والله اعلم . =

## سورة القصص: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [١٤]

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع التاسع

(تربية موسى في بيت فرعون)

لقد كتبت في كتابي ما نصه حضرات اصحاب الفضيلة . والذي يظهر لي أنهم تملكتم الروعة والجزع حين قرأوا عبارتي ، وقد ذكرت فيها ان الكهنة لا بد ان يكونوا قد تولوا تربية موسى بحسب التقاليد التي كانت لذلك البيت في تلك الايام . وخيل اليهم اننى اقرر ان الكهنة ورجال الدين قد صبغوا موسى بالصبغة الوثنية وصروه من عباد الأوثان وكان الحق على حضراتهم ان يسألوا العالمين بأحوال القبط في تلك الايام عن وظيفة الكهنة ، فانى أؤكد لحضراتهم أنهم سيعلمون ان الكهنة كانوا كل شيء لكل شيء . وأنهم كانوا الاطباء ومعلمى الحساب والهيئة والاقرباذين والتاريخ والصيدلية والفلسفة ومعلمى القراءة والكتابة ، وفي أيديهم وحدهم كل علوم الثقافة . وأنهم كانوا متمكنين في توحيد الله الحق ، وكان ذلك سرا يكتُمونه عن العامة لا عن مثل موسى ولا ييوحون به الا للخاصة ومن يريدون الدخول في زميرتهم . واما العامة فانهم يلهونهم بهذه الاوثان والتماثيل ويستديمون طاعتهم بتبليغهم أوامر الآلهة وهكذا قال ابن كثير في « البداية والنهاية » واهل مصر وان كانوا يعبدون أصناما الا أنهم يعلمون ان الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له في ذلك « ص ٢٠٤ ج ١ » .

وليكن في علم حضرات اصحاب الفضيلة انى अगर على دين الله وعلى أنبيائه ورسله الاطهار كفيرتهم او أشد . وانى على أكثر من اليقين بأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يلج الكفر بالله قلبه - صغيرا ولا كبيرا - قبل النبوة . وأنه رضع عقيدة الايمان مع لبن أمه ، وأنه قد عرف وكره الذى فيه ولد وعشه الذى منه درج ، وتلقن الايمان والتوحيد من أمه وأبيه وان مستقر اعتقاده لم يتلوث بشيء من وثنية المصريين ، وذلك كله ماثل للعيان في كتاب الله الكريم . ومن شاء فليُنظر الى قوله بعد ان وكز القبطى فقصى عليه وأدركه الندم على ما فرط منه من غير قصد الى الجريمة والمعصية : ( هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ) وكيف ضرع الى الله قائلا ( رب بما أنعمت على فلان اكون ظهيرا للمجرمين ) فانه لم يضرع الى : آمون رع ، ولا الى آزوريس ، ولا الى ايزيس ، ولا الى حوريس ، ولا الى ايبس وغيرهن .

اذا اطمانت انفس حضرات اصحاب الفضيلة الى ما قدمت . فانى أقول لهم : ان قصدى من الآية التي اتيت بها ، ان موسى لم يقتصر الله في امداده على الثقافة التي أصابها في البلاط الفرعونى، بل أزر ذلك الحكمة والعلم اللذان أمداه الله تعالى بهما - حين بلغ أشده واستوى - وصار بذلك مغزى آل اسرائيل وغوثهم وغياثهم . وقد نص العلماء على أن بنى اسرائيل قد خف عنهم الحيف في المدة التي كان فيها موسى في بيت فرعون من حين كبر وعرف أنه من بنى اسرائيل . بذلك يندفع ذلك التعجب وينهار كل ما بنوا عليه من الحسد والتخمين وفرض الفروض والأخذ والرد ، وأؤكد لحضراتهم انى لم اكتب هذه الآية سهوا بل عنيت بها ما قدمته والله على ما أقول شهيد وكفى بالله شهيدا .

وانى أقطع - كما قطع حضراتهم - ان موسى قد تربى في بيت فرعون صغيرا ، وأزيد على ذلك =

وقد ذكرت التوراة أن أم موسى ردت إلى ابنة فرعون فاتخذته ولدا وأسمته « موسى »  
وقالت انى اتشلت من الماء ولفظ « موسى » في العبرى « موشى » بامالة حركة الشين  
الى الكسرة .

= انه لم تنقطع صلته بالبيت الفرعونى كبيرا . وأدين الله كما يدينون ان الله تعالى قد حماه من كل  
نزعة وثنية . وان العقيدة الوثنية لم تجد الى قلبه سبيلا ولم تجد الى مستقر اعتقاده مسربا .  
واما كون موسى لم يتعلم من الكهنة شيئا ، فان عقلى لا يتسع الى هذا الحد ، ولا اجيز في مجرى  
العادة ان ابن فرعون — بالتبني — ينشأ جاهلا لا يقرأ ولا يكتب ولا يتعلم حسابا ، وهو الذى يرشح  
عند المصريين لجسام الأعمال ، وربما كانوا يعدونه ليتولى الالهية في يوم من الايام ، اذا خلا البيت  
المالك عن ملك من صلب الأسرة ولم يوجد فيها من يتولى ذلك ، واذا كان حضراتهم قد حصلوا من  
الشجاعة على مقدار تطوع لهم انفسهم معه ان يكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، فانى أقف عندما أعلم  
وافوض علم ما وراء ذلك الى الله تعالى ، وعلى ما حملت وعليهم ما حملوا .

اذا ما انتهى علمى تناهيته عنده اطلال فأملى أم تناسى فاقصرا

وبعد ذلك : فالقرآن الكريم يشهد بصريح عبارته ان موسى لم ينقطع عن البلاط الفرعونى بمجرد  
فطامه . ففرعون يقول له ( الم نريك فينا وليدا ) قال في التاج . « الوليد » الغلام حين يستوصف  
قبل ان يحتلم « ص ٥٤٤ تكملة ج ٢ » ، ومعنى يستوصف أى يصير بهيئة الشاب لان الوصيف  
هو الشاب من الخدم . قال في اللسان « والخدام ان كان شابا : وصيف » ثم اتبع فرعون ذلك بقوله  
( ولبث فينا من عمرك سنين ) وقد قال البيضاوى : قيل مكث فيهم ثلاثين سنة ، أى قبل ان يذهب  
الى مدين . ومعنى ذلك انه مكث هذه المدة في بيت فرعون . واذا كان قد انقطع عن البيت  
الفرعونى منذ صغره لم يكن لفرعون ان يمن عليه بأنه مكث فيهم من عمره سنين ، لانه يكون قد مكث  
مع اليهود وفي اليهود . وما كان موسى بالذى يظل جاهلا لا يشقف بثقافة عصره حتى يبلغ ثلاثين سنة .

وبعد هذا كله : فانى أهمس في اذن حضرات الافاضل اعضاء اللجنة بكلمة صغيرة فاقول لهم :  
ان شأنكم في كتابى ان تبحثوا عن تصريح لى يخالف نصا قطعى الثبوت والدلالة ، او تصريح لى  
بمخالفة معلوم من الدين بالضرورة ، فاذا لم يكن هذا ولا هذا فلا شأن لكم ، فاذا سوغتم لانفسكم  
بأكثر من هذا . فابرزوا الى الوثيقة التى جاءتكم من الله تعالى بان سلطكم على عقائد عباده وضمائرهم  
وأباح لكم بها ان تتسوروا على وجدانهم وخلجات انفسهم وخواطرم ، لتلقوا فيها الشك وهى حرم  
مقدس يجب عليهم الدفاع عنها بأشد مما يدافعون عن ارواحهم واموالهم واعراضهم . وهل ادب  
الدين او ادب السلوك او ادب المروءة ان يعتمد العالم من امثالكم الى أحد من عباد الله تعالى — لم  
يستحق اثما ولم يحدث في الدين جريمة — فيوجه كلامه توجيها يلقى الشبهة في عقيدته الدينية ،  
ويخيل لسامع كلام الناقد انه مرق من الدين واتبع غير سبيل المؤمنين ، لمجرد احتمال لم يدر الا في  
خلد ذلك الموجه ، ولا يمكن ان يمر بخاطر انسان سواه ، ليسوى سمعته ويشينه بين الناس بغير  
سلطان ولا برهان .

يا قوم لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة. فقد اتهم اسامة بن زيد رجلا بأنه أسلم ونطق بالشهادة  
متعمدا . ولما جاء الى رسول الله وبلغه خبر فعلة اسامة وكان معرضا عن المخبرين — فرفع رأسه الى  
اسامة فقال « كيف أنت ولا اله الا الله » ؟ فقال : يا رسول الله انما قالها متعمدا يتموذا بها =

## خروج موسى من مصر

الى أرض مدين ، وسبيه

شب موسى في بيت فرعون . وكان أيدا قوى البأس وافر القوة . ولم يخف عليه أنه دخيل في بيت فرعون ، وأنه اسرائيلي من ذلك الشعب المضطهد من فرعون وآله ، فكان ظهيرا للبرانيين قومه — وقد جاء في الطبرى أنه من حين شب موسى وقوى كف عادية المصريين عن بنى اسرائيل . ومن الأمور الطبيعية أن يعرف فيه بنو اسرائيل الظهير والنصير . وأن يلجأ اليه المظلومون منهم .

خرج موسى يوما على حين غفلة من أهل المدينة فوجد رجلا مصريا يأخذ عبرانيا ليسخره في بعض عمله ، فاستغاث العبراني بموسى فجاء الى المصرى على حال حرد ووكزه وكزة كانت القاضية . فواراه التراب ولم يعلم بذلك الأمر سوى الرجل العبراني — الذى نصره موسى وندم موسى على ما فعل وقال في نفسه ، هذا الذى أتيت من عمل الشيطان انه عدو مضل ميين ، وضرع الى الله أن يتوب عليه وألا يجعله ظهيرا للمجرمين وناصرا لأهل الشر .

فلما كان اليوم الثانى خرج الى المدينة وهو يخاف اقتضاح فعلته التى فعل — وقد ذكر الطبرى — بسنده الى ابن عباس — خبرا طويلا فى قصة ولادة موسى الى أن ذهب الى مدين جاء فيه : أن المصريين لما عثروا على قتييل موسى ولم يعلموا له قاتلا سبق الى فكرهم أن بنى اسرائيل هم قاتلوه . فقالوا لفرعون ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال : ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لأنه لا يستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك .

فبينما هم يطوفون ولا يجدون ، اذ مر موسى من الغد فوجد ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي — وهو الذى من شيعته — على الفرعوني — الذى هو من عدوه — فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذى رأى ، وغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطن بالفرعوني ، وفى الوقت ذاته قال للاسرائيلي ( انك لغوى ميين ) قال : فاذا هو

---

= فقال عليه الصلاة والسلام « هل شققت عن قلبه فنظرت اليه » ثم نزلت آية ( يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا ) ، وقد رويت فى هذه الحادثة روايات أخرى بمعنى ما تقدم « ص ١٥٧ ج ٢ روح المعاني للآلوسى » .

وأما قول حضراتهم ان وليدا بمعنى صبى ، فهو يوهم انه انقطع عن بيت فرعون منذ صغره أيام كان لا يعي دينا ، مع ان الوليد ليس معناه الصبى مجردا ، بل هو الغلام اذا بلغ الشباب قبل أن يحتلم .

غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى فخاف الاسرائيلى أن يكون اياه أراد بعد ما قال له ( انك لغوى مبین ) فحاجز الاسرائيلى الفرعونى وقال لموسى : يا موسى ( أترید أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ) ؟ وانما قال له ذلك مخافة أن يكون موسى اياه أراد ليقته . فانطلق الفرعونى فأخبر قومه . ورفعوا الأمر الى فرعون بأن القاتل هو موسى فأرسل اليه الذباحين . فى ذلكم الوقت خالف رجل شريف من آل فرعون قومه وجاء الى موسى من أقصى المدينة مسرعا — ليسبق الذين يطلبون موسى من طريق مخضر — وأعلمه علم القوم وما دبوا عليه . وذلك من فتون الله له . ونصح ذلك الرجل الشريف له أن ينجو بنفسه . ويفارق بلاد مصر حتى لا تمتد اليه أيديهم بسوء ، فقبل منه موسى هذه النصيحة الغالية . وذهب على وجهه يريد أرض مدين — وانما وصفت الرجل بالشرف لأمرين :

الأول — أن من الأمثال الجارية « الأطراف سكنى الأشراف » وذلك أنهم ينالون حاجاتهم من المدينة بفضل مالهم من قوة وثروة . ويسعى اليهم أهل الحاجات بفضل مالهم من جاه وعز .  
الثانى — أن الله عبر عن نصيحته بقوله لموسى ( ان الملائكة يأترون بك ليقتلوك ) والملائكة القوم يملأون عين من يراهم مهابة وروعاً ، ولا يطلع على أسرار الملائكة الا من كان منهم ، ولا يقف على ما يبيتون الا من كان من طبقهم ولا يحجبون عنه سرهم . ومثل هذا لا يكون الا من أشرفهم وعليتهم .

اقرأوا هذه الآيات — سورة القصص : ودخَلَ المدينة عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ [١٥] قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ [١٦] قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ [١٧] فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ [١٨] فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبَطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ [١٩] وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ [٢٠] فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٢١]

سورة طه: وَقَتَلْتُ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (١) [٤٠]

## أرض مدين ونزول موسى بها

هى بلاد واقعة حول خليج العقبة من عند نهايته الشمالية وشمال الحجاز وجنوب فلسطين تنسب الى مدين « وتقول التوراة : مديان » بن ابراهيم عليه السلام سميت القبيلة باسمه وكانوا شاوية .

وفى الطبرى عن سعيد بن جبير أن ما بين مصر ومدين ثمان ليال ، وكانت مدين هى البلاد التى وقع اختيار موسى على قصدها والنزول بها ولعله راعى صلة القرابة بين مديان بن ابراهيم واسحق بن ابراهيم الذى من ذريته موسى .

وظاهر أن موسى خرج من مصر على عجل ، فلم يتزود للطريق ولم يعد للسفر عدته . معتمدا على الله فى هدايته الى السبيل السوى . فلم يكن فى قافلة أو رفقة فى ذلك السفر الشاق ، لأن من يطلب النجاة بخيط رقبته ، لا يمكن أن يروى فى أمره أو يعد لسفره عدته .

وفى الطبرى عن سعيد بن جبير أن موسى لم يكن له طعام سوى ورق الشجر . وأنه خرج حافيا ، فما وصل الى مدين حتى وقع خف قدمه — أى أن الجلدة الملاصقة للأرض من قدمه قد أضر بها السير الحثيث المتواصل حتى سقطت . وعن ابن عباس أنه ورد ماء مدين وأن خضرة البقل لتتراءى من بطنه من الهزال .

ورد موسى ماء مدين فماذا رأى ؟

ورد الماء فوجد عليه جماعات كثيرة من الناس يسقون ماشيتهم . ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنهما عن الورد ، وتجسناها بعيدا عن الحوض انتظارا لأن يسقى أولو القوة من الرعاة ماشيتهم . حتى اذا فرغوا من حاجتهم جاءتا واستقتا لماشيتهما .

وفى الطبرى أنهما كانتا تسقيان من الحياض ومما لا خفاء به أن التقدم فى ورود الماء لسقى الماشية انما يكون لأولى القوة . وأما أهل الضعف فحظهم التأخر حتى اذا لم يبق وارد ولا صادر سواهم أوردوا ماشيتهم . انظروا الى قول الشاعر :

فجازى بنى العجلان رهط بن مقبل	اذا الله جازى قوم سوء بفعلهم
ولا يظلمون الناس حبة خردل	أولئك قوم لم يكونوا أعزة
اذا صدر الورد عن كل منهل	ولا يردون الماء الا عشية

= الثانى من سفر الخروج » وهى لا تختلف عما فى القرآن فى شئ جوهرى . غاية الأمر أنها ذكرت ان الخصمين فى اليوم الثانى كانا عبرانيين ، وأن موسى قال للمذنب منهما ، لم تضرب صاحبك ؟ فقال له : من جعلك رئيسا وقاضيا علينا ؟ امفكرانت بقتلى كما قتلت المصرى ؟ وعبارة القرآن تشير الى ان احد الرجلين : صاحبه الذى نصره بالأمس ، عبرانى من شيعة موسى والثانى : مصرى عدو لهما . ولم تذكر التوراة ان رجلا جاء من أقصى المدينة يسعى وانباء ان الملا ياتمرون به . وأشار عليه بالخروج . ومعلوم ان المعول على مافى القرآن .



يريد أنهم لضعف قوتهم وذلتهم يتأخرون عن الناس في ورود الماء . حتى اذا صدر الورد ولم تبق لأحد حاجة الى الماء ، أوردوا . وانما يطلب أهل القوة والعزة الورد أولا ، لأن الماء في هذه الحال يكون صافيا ، والذي يرد آخره انما يرد بعد نضوب الماء . وحيثذ لا تخرج منه الدلاء الا ماء كدرا بما خالطه من طين البئر . قال عمرو بن كلثوم التغلبي :

ونشرب ان وردنا الماء صفوا      ويشرب غيرنا كدرا وطينا

موسى رجل جد وانسان صدق رأى هذا فلم يعجبه أن يتعد النسوة . ويتقدم للورد الرجال . فسأل المرأتين عن شأنهما وجسهما ماشيتهما عن الورد فقالتا لا نسقى حتى يصدر هؤلاء القوم ما شيتهم . لأننا اذا حاولنا التقدم عليهم أو مشاركتهم منعونا بفضل قوتهم . وليس لنا من يلزمهم انتظارنا لأن أبانا شيخ كبير لا يقدر على مباشرة شيء من أمر الرعى والسقى فحمى موسى لهما وطردها أولئك الرعاة . وأقدم على البئر ينزع منها بالدلو وسقى لهما غنمهما . ولم يقدر أحد على منعه لأن الناس دائما يحترمون الأقوياء وقد رأوا من قوة موسى واقدامه ما ألزمهم حد الأدب معه .

ويقول بعض المفسرين : انه وجد البئر عليها صخرة عظيمة لا يستقل بازالتها عن فم البئر الا جماعة من الأقوياء فنزعها وحده وسقى للمرأتين . غير أن في هذا القول غفلة عما نطقت به الآية فانها تصرح بأنه وجد على البئر أمة من الناس يستقون فلم يكن بأحد حاجة الى ازالة الغطاء عن البئر ان كان له غطاء اذ القوم يستقون بالفعل ولا يكون ذلك الا اذا كانت البئر مفتوحة لا غطاء عليها (١) .

عادت المرأتان الى أبيهما الشيخ فأنكر منهما تبكيرهما بالعودة على خلاف شأنهما كل يوم وسألهما عن سبب ذلك فأخبرتا بما كان من الرجل المصرى الذى سقى لهما . وسنى لهما العودة مبكرتين فأرسل احدهما اليه فوافته بمكانه قرب الماء . وقالت له والخجل يأخذ منها ( ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ) .

رأى موسى الفرج من ناحية تلك المرأة وأبيها وعلم أن الله استجاب له دعاءه اذ قال ( رب انى لما أنزلت الى من خير فقير ) وابن عباس وغيره من أهل التفسير يقولون انما طلب الطعام .

(١) يريد بعض المفسرين أن يجمع بين القرآن وما قاله بعضهم من انه كان فوق فوهة البئر صخرة رفعها موسى فقال انها بئر ان احدهما كان يستقى منها الناس والاخرى كانت عليها الصخرة فرفعها موسى وسقى لهما . وبعض المفسرين يقول رأيت هناك بئرين ، وانى أسلم انه رأى بئرين ولكن ما حجته على انهما كانتا معا في الوجود على عهد موسى ؟ اذ من المحتمل أن احدهما حفرت في

ويقول بعض المفسرين انه أسمع المرأتين هذا القول تعريضا حتى يكون له منهما ما يقوته وهو ليس معه درهم ولا دينار ولا ما يؤكل . فكانت دعوته كدعوة المظلوم سريعة الاجابة . ومن جهة أخرى فان غرس الجميل قد أثمر وآتى أكله فى أقل من ساعة ، والله يضاعف الحسنات لعباده المخلصين .

تبع موسى المرأة الى منزل أبيها . وجعلها خلفه قائلا : انا لا ننظر الى أدبار النساء ولكن انعتى لى الطريق وأنت خلفى . ويقول بعض المفسرين أنه انما قال ذلك حين تبعها وضربت الريح ثوبها فكشفت عن عجيزتها فأخراها موسى وتقدم وقال لها : انعتى لى الطريق .

موسى رجل ربى على العزة فى بيت فرعون . مدلا فى نعيم دائم ورفاغة وقد نزل به من الجوع ما اضطره الى أن يرضى بأخذ أجر عمل من أعمال المروءة : والجوع يرضى الأسود بالجيف . وأحسبه لو كان فى بلهنية من العيش لم يرض أن يأخذ أجرا على زكاة قوته .

جاء موسى الى ذلك الشيخ فرحب به وأهل وسأله عن خطبه بعد أن قتل عنه سورة الجوع طبعاً ، فقص عليه موسى قصصه ولعله وقفه على جلية أمره وفعل فرعون وجنوده بينى اسرائيل من ذبح الأطفال الذكران وترك النساء ، وأنه أفلت من شفارهم بأعجوبة ، وقص عليه جميع الأدوار التى لقيتها أمه فى سبيله الى أن قتل القبطى على غير عمد وأنهم طلبوه ليقنلوه فهرب منهم الى أن ورد ماء مدين .

فطمأنه ذلك الشيخ قائلا ( لا تخف نجوت من القوم الظالمين ) وأحسبه لم يصفهم بالظلم الا لكفرهم أو لذبحهم أبناء الاسرائيليين واستحيائهم النساء ، والا فأى ظلم فى مؤاخذه موسى بما اجترحت يده من قتل القبطى اذا كانوا لا يجازون الجزاء الحق ؟

ملاحظة : يقول بعض المفسرين أن ابنة الشيخ لما جاءت الى موسى وأبلغته دعوة أبيها كانت تكلمه وكفاها على وجهها حياء منه . وهذا الخفر أمر طبيعى فى النساء اللاتى لم يخلعن نقاب الحياء ولم تكن الواحدة منهن سلفعا ولاجة خراجة متبذلة — اقرءوا هذه الآيات :

**سورة القصص :** وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِ سَوَاءَ السَّبِيلِ [٢٢] وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ [٢٣] فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ [٢٤] فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أُمَّى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٢٥]

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى بعبارة لا تخالف ما جاء في القرآن الا في موضعين :

أولهما : أنها ذكرت أن النسوة كن سبعا لا اثنتين .

ثانيهما : أنها ذكرت أن النسوة كن قد ملأن الحياض لسقيا غنمهن ، فجاء الرعاة وطردهن وأبعدوا الغنم عن الحوض ، وأخذوا في سقى ماشيتهم . فغضب موسى لهذا العمل وطرده الرعاة وسقى لهم .

والحق ما قصه القرآن .

### مصاهرة موسى للشيخ

لما جاء موسى الى الشيخ وكلمه وطمأنه قالت إحدى بنتي الشيخ - وهي التي دعت موسى : يا أبت استأجره لرعى ماشيتنا ليكفيانا مؤونة هذا العمل ان خير من استأجرت القوى الأمين . ويذكر أصحاب التفسير أن أباهما سألها عن أماتته وقوته من أين علمتهما ؟ ونص عبارة الطبرى في التفسير : فأحفظته الغيرة أن قال : وما يدريك ما قوته وأماتته ؟ فقالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا ، لم أر رجلا قط أقوى في السقى منه . وأما أماتته فانه نظر حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الى حتى بلغت رسالتك . ثم قال : امشى خلفى وانعتى لى الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو أمين . فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذى قالت .

نشط الشيخ لرأى ابنته وطلب الى موسى أن يخدمه برعى غنمه ثمانى سنوات في نظير أن يزوجه بأحدى ابنتيه وأشار إليها وأنه اذا أجمل معه يتم عشر سنوات فقبل موسى على أنه بالخيار في أى الأجلين . وتمت الصفقة بينهما على ذلك .

ومن ذلك الوقت صار موسى صهرا لذلك الشيخ وراعى لغنمه .

ويقول بعض المفسرين انه أخرجها معه من حين العقد . ومعنى قوله ( فلا عدوان على ) أى أنى اذا قضيت الأجل الأول وهو الحجج الثمان فليس لك أن تطالبنى باتمام العشر ، واذا قضيت العشر فليس لك أن تطالبنى بزيادة عنها .

وأكثر المفسرين على أن اسم ابنة الشيخ التى صارت زوجا لموسى « صفورة » .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة القصص :** قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ [٢٦] قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَنَسِيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا

فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ [٣٧] قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ [٣٨]

سورة طه : فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى [٤٠] وَأَصْطَفَيْنَكَ لِنَفْسِي [٤١]

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى ، وهو لا يخالف ما في الكتاب الكريم في شيء سوى أن التوراة لم تذكر طلب ابنة الشيخ استتجار موسى ، بل الذي هناك أن الشيخ طلب استتجاره ابتداء والخطب سهل جدا . وذكرت أن بنات الشيخ كن سبعة .

وقد جمع ابن كثير بين القولين بأن المخاطبتين لموسى كانتا اثنتين وهما المباشرتان للرعى ، وأن سواهما لم يباشرن الرعى .

### من هو صهر موسى ؟

ان مفسرى القرآن الكريم قد اضطربت أقوالهم في اسم صهر موسى عليه السلام الذى استأجره . وكثير منهم يذكر أنه شعيب عليه الصلاة والسلام ، وقد اشتهر ذلك اشتهارا عظيما وأولع به الأدباء وأصحاب السير . وهذا أبو العلاء المعرى يقول مادحا رجلا عظيما زفت اليه عرسه :

كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما من فقير

وآخرون يذكرون غير ذلك وهأنذا أسوق أقوالهم جميعا :

١ — قال جماعة ان اسم والد المرأتين « يثرون » وانه ابن أخى شعيب عليه الصلاة والسلام — قال أبو جعفر الطبرى : وأما أبوهما ففى اسمه اختلاف فقال بعضهم : كان اسمه « يثرون » وحدث بسنده الى أبى عبيدة قال : الذى استأجر موسى « يثرون » ابن أخى شعيب .

٢ — قال آخرون : بل اسمه « يثرى » .

وقد أورد أبو جعفر الطبرى فى ذلك ثلاث روايات تنتهى كلها الى ابن عباس . فى روايتين منها : الذى استأجر موسى « يثرى » صاحب مدين . وفى الثالثة : اسم أبى المرأة « يثرى » .

وليس فى الروايات الثلاث أنه شعيب أو ابن أخى شعيب .

٣ — قال جماعة : ان الذى استأجر موسى هو نبى الله شعيب عليه الصلاة والسلام .

وفى ذلك روى الطبرى بسنده الى قرّة بن خالد قال : « سمعت الحسن البصرى يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ » ص ٤٠ ج ٢٠ .

أقول : في كونه سيد أهل الماء نظر ؛ اذ لو كان سيد أهل الماء ما أخر الرعاء ابنتيه عن الورد؛ ولكاتنا تصدران قبل ورد الرعاء .

وقد أخذ الحافظ ابن كثير في تفسيره من قول الحسن هذا : أنه من القائلين بأن والد المرأتين هو شعيب عليه الصلاة والسلام « ص ٣٣٢ ج ٦ » .

والذي أميل اليه غير ذلك ؛ لأن الحسن انما قال ذلك بصيغة التبرى اذ يقول « يقولون » وصيغة التبرى لا تقضى أن حاكيا يلتزم ذلك القول ويجزم به .

وقد ذكر الحافظ بن كثير في تفسيره : أن ممن روى أن والد المرأتين هو « شعيب » : ابن أبي حاتم بسنده الى مالك بن أنس أنه بلغه أن « شعيبا » هو الذي قص عليه موسى القصص ومعلوم أن « بلغه » لا تفيد الجزم القاطع . فقد بلغه وبلغنى وبلغ غيرى ذلك . بل وبلغ من قالوا ان اسمه يثرون أو يثرى . ولكن هل هذا يفيد القطع ؟ كلا .

٤ — قال آخرون : ان صاحب موسى والد المرأتين هو رجل مؤمن من قوم شعيب . ذكر ذلك الحافظ بن كثير في تفسيره « ص ٣٣٢ ج ٦ » ونص عبارته « وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب » .

٥ — قال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه ( وما قوم لوط منكم ببعيد ) وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة كما ذكره غير واحد — وما قيل ان شعيبا عاش مدة طويلة انما هو والله أعلم احتراز من هذا الاشكال .

ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب أنه لو كان اياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ههنا . وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح اسناده — كما سنذكره قريبا ان شاء الله — ١ هـ « من ص ٣٣٢ ج ٦ — من تفسير الحافظ بن كثير » .

هذه أقوال خمسة بعضها قريب من بعضها الآخر وبعضها بعيد . وليس أحدها بأولى بالقبول من الآخر ، لأنه لم يؤيد بنص قطعى الثبوت والدلالة ولا بحديث صحيح يرجحه على غيره .

ولقد راودت نفسى على أن أقول أن الشيخ الكبير هو شعيب النبی عليه الصلاة والسلام فتمثل لى شيخ المعرة يقول :

لا تظلموا الموتى وان طال المدى انى أخاف عليكمو أن تلتقوا

وخشيت أن يلقانى شعيب عليه الصلاة والسلام في عرصات القيامة فيلبنى الى الله عز وجل ويقول : أى ربى سل عبدك هذا لم جعلنى صاحب موسى الذى استأجره ولم أكن صاحبه ولا وجدت في زمنه ؟ وليس بيدي حجة ولا برهان . وجدت الجزم بأن الشيخ الكبير هو

« شعيب » قول منى على الله بما لا أعلم وهو منى عنه بقوله تعالى ( ولا تقف ما ليس لك به علم ) .

لذلك كله آثرت تفويض العلم باسم الشيخ الكبير الى الله تعالى ؛ اذ من المحتمل الذى لا استحالة فيه أن يكون بنفسه شعيبا عليه الصلاة والسلام ، ومن المحتمل أيضا أن يكون ابن أخيه ، كما يحتمل أن يكون رجلا صالحا من أهل مدين . كل ذلك محتمل والله أعلم .

يوجد وجه سادس : وهو التوقف فى أمر ذلك الشيخ الكبير — كما توقفت — ذكره الامام محمد بن جرير الطبرى وأورده الحافظ بن كثير فى تفسيره « فى صفحة ٣٣٢ ج ٦ » ونص عبارة الطبرى ؛ قال أبو جعفر : وهذا مما لا يدرك علمه الا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول فى ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه اهـ « ٤٠ ج ٢٠ » وهذا يعنى قوله تعالى ( وأبونا شيخ كبير ) .

هذا ولقد تكلم شيخ من أفاضل العلماء معى وناقشنى فى الشيخ الكبير الذى استأجر موسى . فقال لى : ان موسى نبي كريم ورسول عظيم فلا ينبغى أن يكون الذى استأجره الا نبيا مثله أو قريبا منه فى المنزلة ، ولم يوجد فى مدين من هو بهذه المنزلة سوى شعيب عليه الصلاة والسلام .

فقلت له : لقد انتقلت المسألة من النص الى الاستحسان ، وليس الاستحسان من البراهين التى يحتج بها فى موقف يحتاج فيه الى نص قاطع . على أن موسى لم يكن فى زمن استجاره نبيا .

وقد أورد الحافظ بن كثير عدة أحاديث مرسله فى أى الأجلين قضى موسى ؟ وكلها تدل على أن موسى عليه السلام قضى أبر الأجلين وأوفاهما . ولم يذكر فى تلك المراسيل اسم الشيخ الكبير .

ثم قال : قد روى أيضا نحوه من حديث عتبة بن المنذر بزيادة غريبة جدا . فقال أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال « سمعت عتبة بن المنذر يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أبرهما وأوفاهما » ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاهما ما ولدت غنمه فى ذلك العام من قالب لون . قال : فما مرت شاة الا ضرب موسى جنبها بمصاه فولدت قوالب ألوان كلها ، وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة وليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كميشة تقوت الكف ولا ثغول » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا شتمتم الشام فانكم ستجدون بقايا منها وهى السامرية » هكذا أورده البزار .

وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال : حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة

عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال : سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام آجر نفسه بغفة فرجه وطعمة بطنه فلما وفي الأجل قيل يا رسول الله أى الأجلين ؟ قال « أبرهما وأوفاهما ، فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما ولدت غنمه من قالبة لون من ولد ذلك العام ، وكانت غنمه سوداء حسناء ، فانطلق موسى عليه السلام الى عصاه فسمها من طرفها ثم وضعها في أدنى الحوض ، ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى بازاء الحوض . فما تصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة » قال « فأتأمت وألبنت ووضعت كلها قوالب ألوان الا شاة أو شاتين ، ليس فيها فشوش » قال يحيى « ولا ضبوب » وقال صفوان « ولا صبوب » وقال أبو زرعة : الصواب « ظنوب » « ولا عزوز ولا ثعول ولا كمشة تقوت الكف » قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهى السامرية » ثم قال الحافظ بن كثير - بعد كلام - مدار هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصرى وفي حفظه سوء ، وأخشى أن يكون رفعه خطأ والله أعلم اهـ .

من هذا نعلم أنه لا يوجد حديث صحيح فيه اسم « شعيب » مصرحا به .

« لطيفة » جاء في تفسير الامام البغوى « معالم التنزيل » عند قول ابنة الشيخ ( ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ) قال أبو حازم سلمة بن دينار : لما سمع ذلك موسى أراد ألا يذهب ، ولكنه كان جائعا ، فلم يجد بدا من الذهاب ، فمشى المرأة ومشى موسى خلفها . فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفا ، فكره موسى أن يرى ذلك منها ، فقال لها : امشى خلفى ودلبنى على الطريق ان أخطأت ففعلت ذلك . فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيا . فقال : اجلس يا شاب فتعش . فقال موسى : أعوذ بالله ! فقال شعيب : ولم ذاك ألت بجائع ؟ قال بلى . ولكن أخاف أن يكون ذلك عوضا لما سقيت لهما . وانا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا . فقال شعيب : لا والله يا شاب ، ولكنها عادتي وعادة آبائي ، تقرى الضيف ونطعم الطعام . فجلس موسى وأكل .

أقول : انها حكاية جميلة لولا أن موسى كان موقنا أنه انما دعاه ليجزيه أجر ما سقى لابنتيه ، فما كان له أن يتجاهل ذلك .

بقيت مسألة : وهى أن حضرموت بها قبر يقول أهل البلاد انه قبر شعيب عليه الصلاة والسلام ، وهو يقع في شمال شبام يبعد عنها ساعتين بعد أن يمر السائر اليه بوادى ابن على ، ويخلص السائر الى سهل بعد الوادى . وليس بجانبه عمران ولا يقصد ذلك القبر الا للزيارة . وشبام تقع في غربى مدينة سيون . وانى أشك في أن القبر لنبي الله شعيب .

## قضاء موسى مدة استئجاره

موسى بالوادی المقدس

بعثته عليه السلام

قضى موسى الأجل الذى بينه وبين صهره . والمفسرون للقرآن الكريم على أنه قضى أكبر الأجلين ، أى أنه خدم صهره عشر سنين . وقد رووا فى ذلك حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم لم يبين عدد السنين التى أقامها بعد انقضاء الأجل . وأكثر المفسرين يتعجلون موسى ويقولون أنه بعد انقضاء الأجل أراد العودة الى مصر وأن حماه جعل له نتاج غنمه تلك السنة فحملت الماشية كلها .

وأنا لا أظن أن موسى يتعجل العودة الى مصر بمجرد انتهاء الأجل لأنه يعلم أن بمصر من ينتظر الظفر به ليورده موارد الردى ، وقد أثبت لديهم أنه مقترف الجريمة هربه منهم عقب افتضاح الأمر . ويدل على ذلك قوله ( وقتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون ) وقوله ( ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ) .

أما التوراة فتقول ان عودة موسى الى مصر بأمر ربه لاجراج بنى اسرائيل من ذل العبودية كان على أثر بلوغه ثمانين سنة . وأنه على أثر مدة التيه كان قد بلغ مائة وعشرين سنة ، وقد مات ولم يدخل الأرض المقدسة . وقد يكون ذلك صحيحاً وهو لا يعارض الكتاب الكريم . وفى معالم التنزيل أنه أقام بعد انقضاء الأجل عشر سنين والأسلم التفويض الى علم الله .

وربما كان السبب فى أن المفسرين يقولون ان موسى سار عقب انتهاء الأجل قوله تعالى ( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ) وقد فاتهم أن الواو لا تقيّد ترتيباً ولا تعقيباً . وتقول التوراة ان موسى رزق ولداً اسمه « جرشوم » وهو اسم يدل على معنى الغربة أى أنه غريب المولد .

بينما موسى يرعى غنمه ومعه امرأته ضل الطريق فى ليلة باردة ، وأراد أن يورى نارا فوصلد زنده وضمن بالنار ، وبينما هو على هذه الحال رأى نارا من بعيد فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى : فأسأل من عندها عن الطريق يهدوننا . والظاهر أنه كان أبعد من مدين حتى جاء الى سيناء . وهذا ليس بغريب فإن الراعى يتبع مواضع الكلاً ومواقع المطر حيث كانت ليرعى ماشيته .

لما قرب موسى من النار وجد النار فى شجرة عليق ، وأن النار لا تطفأ والعليقة لا تشتعل ، ولم يجد أحداً من الناس يسأله عن الطريق وحينئذ سمع صوتاً من وسط النار يناديه يا موسى انى أنا الله رب العالمين . وأمره بخلع نعله لأنه بالوادی المقدس طوى فخلعها .

وفى الحديث « كاتنا من جلد حمار ميت » .



وفي الطبرى : فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته وابتدأه فيها نبوته وكلامه أخطأ الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه . فأخرج زنده ليقدر ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله ، فصلد عليه زنده فلم يور ناراً ، فقدح حتى أعياه ، ولاحت له النار فرآها ( فقال لأهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ) بقبس تصطلون وهدى عن علم الطريق الذى أضللتاه بنعت من خير ، فخرج نحوها فاذا هى فى شجرة من العليق . وبعض أهل الكتاب يقولون فى عوسجة .

فلما دنا استأخرت عنه ، فلما رأى استخارها رجع عنها وأوجس فى نفسه خيفة ، فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس وقال الله : ( يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى ) فآلقاهما ، ثم قال ( ما تلك يمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها ما رب أخرى ) أى منافع أخرى . قال ( ألقها يا موسى فآلقاها فاذا هى حية تسعى ) قد صار شعباتها فمها وصار محجنها عرفا لها فى ظهرها ، تهتز ، لها أنياب فهى كما شاء الله أن تكون . فرأى أمراً فظيماً ( فولى مدبراً ولم يعقب ) فناداه ربه أن ( يا موسى أقبل ولا تخف ... سنعيدها سيرتها الأولى ) أى سنعيدها عصا كما كانت . قال فلما أقبل قال خذها ولا تخف . أدخل يدك فى فمها . وعلى موسى جبة من صوف فلف يده بكمه — وهو لها هائب — فنودى أن ألق كمك عن يدك ، فآلقاه عنها ثم أدخل يده بين لحييها ، فلما أدخلها قبض عليها فاذا هى عصاة فى يده ، ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ، ومحجنها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئاً . ثم قال ( أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ) أى من غير برص — وكان عليه السلام رجلاً آدم أفتى جعداً طوالاً — فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ثم ردها فى جيبه فعادت كما كانت على لونها . ثم قال ( فذا لك برهانان من ربك الى فرعون وملاؤه انهم كانوا قوماً فاسقين . قال رب انى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى رداء يصدقنى ) أى يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهمهم عنى ما لا يفهمون : قال ( سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ) .

ونقل عن السدى : فأقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم فأناهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل « المرق » فنزل فى جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدعاه ، فلما أن قعدا تحدثا فسأله هارون من أنت ؟ فقال : أنا موسى ! فقام كل منهما الى صاحبه فاعتنقه .

ولى هناك ملاحظة : هى أن موسى قال ( وأخى هارون هو أفصح منى لساناً ) وقال فى مرة أخرى ( واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى ) وعيره فرعون بعدم الفصاحة فقال ( أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ) والمفسرون يرون لجبة موسى أو لكنته سبباً . هو أن

موسى أخذه فرعون على حجره وهو صغير فمد يده الى لحيته وتنف خصلة منها ، فأراد قتله . فشغفت فيه زوج فرعون وقالت انه لا يعقل ما يفعل . وأشارت باختباره بتمرة وجمرة ، فوضعتا فى طست فأخذ الجمرة ووضعهما فى فيه فأثرت فى لسانه ، فلذا نشأ موسى غير فصيح بل عنده حبسة فى لسانه . وأحسب ذلك غير صحيح وان المسألة ذات وجهين :

أولهما : أن موسى ألقته أمه فى اليم ، والتقطه آل فرعون ، وحرم الله عليه المراضع لطفاً بأمه الوالدة الى أن جاءوا بها فأرضعته وكفلته ، والطفل عادة اذا تأخرت عنه الرضاعة مدة كهذه يورثه ذلك حبسة فى لسانه .

وقد رأينا من أصحابنا من كان لا يكاد يبين ولا سبب لذلك الا احتباسه عن الرضاعة مدة . ثانيهما : أن موسى خرج من مصر من عهد بعيد . واعتقادى أنه مكث فى مدين زمنا طويلا فنسى اللغة المصرية — لغة القبط — لطول العهد وعدم وجود من يناغيه بها أو يكلمه . وأما هارون فكان بين المصريين ومقيما معهم ، فهو أفصح من موسى . وحقيق بأن يشافهم بها . ونحن أولاء يسافر الواحد من أبنائنا الى البلاد الأوروبية — ولا تكون مدة اقامته أكثر من خمس أو سبع سنوات — ثم يجيء الى مصر ناسيا كثيرا من لغة أبيه وأمه . وللناس نوادر فى حكاية الفاظهم وأحوالهم .

بقى أن يقال : اذا كان موسى قد نسى لغة المصريين فكيف يحاور أخاه هارون الذى لم يخرج من مصر ؟ وجوابى على ذلك أن هارون بحكم البيئة كان يجيد القبطية ، وبحكم طينته كان يجيد العبرية . ولغة أهل مدين ولغة العبرانيين متقاربة جدا لأن المديانيين اخوة للعبرانيين . أبوهم واحد هو ابراهيم . لاجرم كان هارون يفهم من موسى ما لا يفهمه عنه المصريون القبط . وانى أميل الى رأى الأول . وليبان موقف موسى هذا :

اقرأوا هذه الآيات :

سورة الاسراء : وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا [٢] ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا [٣]

سورة طه : وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى [٩] إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى [١٠] فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى [١١] إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِى الْمُقَدَّسِ طَوًى [١٢] وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى [١٣] إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى [١٤] إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لُتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى [١٥] فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَزِدَى [١٦]

**سورة طه :** اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [٢٤] قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي [٢٥] وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٢٦] وَأَخْلَلْ عُنْقَدَةً مِنْ لِسَانِي [٢٧] يَفْقَهُوا قَوْلِي [٢٨] وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي [٢٩] هَارُونَ أَخِي [٣٠] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي [٣١] وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي [٣٢] كُنِ نَسِيجَ كَثِيرًا [٣٣] وَتَذَكُّرًا كَثِيرًا [٣٤] إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا [٣٥] قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ [٣٦]

**سورة طه :** وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ [١٧] قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَىٰ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ [١٨] قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ [١٩] فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبِيبَةٌ تُسْقَىٰ [٢٠] قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ [٢١] وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ [٢٢] لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ [٢٣]

ومنها أيضاً: اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي [٤٢] اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [٤٣] فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ [٤٤] قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ [٤٥] قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ [٤٦] فَآتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ [٤٧]

**سورة القصص :** وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ [٤٤] وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [٤٥] وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَأْأَنَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [٤٦]

**سورة الفرقان :** وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا [٣٥] فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَا لَهُمْ نَارَهُمْ تَذَمِيرًا [٣٦]

**سورة الشعراء :** وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [١٠] قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْقُونَ [١١] قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونِ [١٢] وَيَضْحِكُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ [١٣] وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [١٤] قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ [١٥] فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦]

**سورة النمل :** إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا خَبِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِّنْ سَمَٰئِكُمْ تَصْطَلُونَ [٧] فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٨] يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٩] وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ [١٠] إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ [١١] وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي نِسْمِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [١٢]

**سورة القصص :** فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ [٢٩] فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [٣٠] وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ [٣١] أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [٣٢] قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [٣٣] وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ [٣٤] قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وََجَعَلْنَا لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ [٣٥]

**سورة السجدة :** (١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ [٢٣] وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [٢٤] إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [٢٥]

**سورة النازعات :** هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى [١٥] إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى [١٦] أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ [١٧] فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ [١٨] وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ [١٩]

وقوله تعالى ( واضم اليك جناحك من الرهب ) معناه أن الله تعالى يأمر موسى بأن يضم يديه الى جنبه اذا آنس من نفسه رعبا ورهباً من فرعون ، فان الله ينزل عليه السكينة والقوة على مقاومة ذلك في هذا الحين ، وهذه ليست من الآيات التي ضربها لفرعون وانما هي تأييد خاص من الله لموسى وكأنها تكاد تكون أمرا غريزيا (١) .

### المواقف المتقدمة فى التوراة (١)

ذكرت التوراة قصة موسى هذه فيما يلى :

الاصحاح الثالث - خروج .

(٤) وأما موسى فكان يرعى غنم « يشرون » حميه كاهن مديان ، فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب ، وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط عليقة ، فنظر فاذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ، فقال موسى : أميل الآن لانظر هذا لمنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة .

(٥) فلما رأى الرب أنه مال لينظر ، ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى . فقال : هأنذا فقال : لا تقرب الى ها هنا . خلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة .

(٦) ثم قال : انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله .

(٧) فقال الرب انى رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم ، انى علمت أوجاعهم .

(٨) فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين .

(٩) ولأن هو ذا صراخ بنى اسرائيل قد أتى الى ، ورأيت أيضا الضيقة التى يضيقهم بها المصريون .

(١٠) فالآن حلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبي بنى اسرائيل من مصر .

(١١) فقال موسى لله من أنا حتى أذهب الى فرعون ، وحتى أخرج بنى اسرائيل من مصر .

(١٢) فقال انى أكون معك ، وهذه تكون تلك العلامة أنى أرسلتك حينما تخرجون الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل .

(١٣) فقال موسى لله ها أنا آتى بنى اسرائيل وأقول لهم اله آبائكم أرسلنى اليكم ، فاذا قالوا ما اسمه فماذا أقول لهم ؟

(١٤) فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل أهيه أرسلنى اليكم .

(١٥) وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل يهوه اله آبائكم اله ابراهيم اله اسحاق اله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الابد ، وهذا ذكرى الى دور فدور .

(١٦) اذهب واجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم : الرب اله آبائكم اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ظهر لى قائلا : انى قد اقتقدتكم وما صنم بكم فى مصر .

(١٧) فقلت أصعدكم من مذلة مصر الى أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين الى أرض تفيض لبنا وعسلا .

(١٨) فاذا سمعوا لقولك ، تدخل انت وشيوخ بنى اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له الرب اله العبرانيين التقانا ، فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا .

(١٩) ولكن أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية .

(٢٠) فأمد يدى واضرب مصر بكل عجائبى التى أصنع فيها وبعد ذلك يطلقكم .

(٢١) وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين

(٢٢) بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريون .

## عودة موسى إلى مصر

### ودعوته لفرعون

ذكرنا عود موسى الى مصر عن القرآن والتوراة ، وأن موسى أخبر هارون بأنه شريك له في الرسالة ومعين له على تبليغ حجة الله فامتثل أمر الله تعالى .  
فأتتم ترون أنه ليس بين ما جاء في القرآن وما جاء في التوراة — خلافا بمواقف موسى المذكورة — سوى فروق ليست بذات بال .

الاصحاح الرابع — خروج

(١) فأجاب موسى وقال : ولكن ها هم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى ، بل يقولون لم يظهر لك الرب . .

(٢) فقال له الرب : ما هذه فى يدك ؟ قال : عصا .

(٣) فقال : اطررها الى الأرض فطرحتها الى الأرض فصارت حية . فهرب موسى منها .

(٤) ثم قال الرب مد يدك وأمسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده .

(٥) لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب له آباؤهم اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب .

(٦) ثم قال له الرب أيضا : أدخل يدك فى عبك فأدخل يده فى عبه ثم أخرجها وإذا يده برصاء ملل الثلج .

(٧) ثم قال له : رد يدك الى عبك فرد يده الى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هى قد عادت مثل جسده .

(٨) فيكون اذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآيه لاولى أنهم يصدقون صوت الآيه الاخير .

(٩) ويكون اذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك أنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليايس فيصير الماء الذى تأخذه من لنهر دما على اليايس .

(١٠) فقال موسى للرب : استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل القم واللسان .

(١١) فقال له الرب : من صنع للانسان فما أو من صنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى أما هو أنا لرب .

(١٢) فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ماتكلم به .

(١٣) فقال : استمع أيها السيد أرسل بيدى ترسل .

(١٤) فحمى غضب الرب على موسى . وقال ليس هارون اللاوى أخاك ؟ أنا أعلم أنه يتكلم وأيضا ها هو خارج لاستقبالك وحينما يراك يفرح بقلبه .

(١٥) فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأنا أعلمكما ماذا تصنعان .

(١٦) وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له الها .

(١٧) وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات .

(١٨) فمضى موسى ورجع الى « يثرون » حميه وقال له : أنا أذهب وأرجع الى أخوتى الذين فى مصر لأرى هل هم بعد أحياء . فقال « يثرون » لموسى اذهب بسلام .

(١٩) وقال الرب لموسى فى مديان : اذهب ارجع الى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك .

(٢٠) فأخذ موسى امرأته وابنيه وأركبهم على الحمير ورجع الى أرض مصر ، وأخذ موسى عصا الله فى يده .

(٢١) وقال الرب لموسى : عندما تذهب لترجع الى مصر أنظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واسمعاها قدام فرعون ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب .

ويقول بعض المفسرين : أن أمهما خافت عليهما وعارضت في ذهابهما الى فرعون خشية أن يبطش بهما فلم يصغيا لقولها ولم يكن لهما هم الا تنفيذ أمر الله تعالى .

وبعض المفسرين يذكر أنهما دخلا على فرعون بمجرد استئذانهما عليه ، وبعض آخر يقول انهما ترددا على بابه سنتين لا يظفران بالثول بين يديه حتى دخل عليه مضحكة وأخبره أن بالسباب رجلا مجنونا يدعى أن له الها غير فرعون . فكان ذلك حاثا لفرعون على طلب موسى وهارون .

أما القرآن الكريم فلم يتعرض لشيء من هذا . وانما ذكر أنهما أتيا فرعون وبلغاه رسالة الله تعالى له ، أن يرسل معهما بنى اسرائيل لعبادة ربهما . وفي التوراة « أطلق شعبي ليعيدوا في البرية » وبلغه موسى فيما بلغه أنه لم يقل على الله الا الحق وأنه قد أرسل بآية منه ليرسل معه بنى اسرائيل . وجعل ترخيصه لبنى اسرائيل بالذهاب مع موسى الى البرية لعبادة ربهم نعمة يمنها فرعون على موسى .

وهذا من تلفظ موسى ورققه في خطاب فرعون طبقا لقوله تعالى ( فقولوا له قولنا لعلة يتذكر أو يخشى ) وهذه الآيات تدل على هذا الموقف من مواقف موسى : —

**سورة الأعراف :** وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٠٤] حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [١٠٥]

**سورة الشعراء :** أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ [١٧]

ومنها أيضا : وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمَنَّا عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ [٢٢]

لا تنسوا أن المفسرين يجعلون الآية الأخيرة « وتلك نعمة تمنها على » توبيخا من موسى لفرعون أن جعل بنى اسرائيل عبيدا وأنه يتهم به لذلك .

- (٢٢) فتقول لفرعون هكذا يقول الرب «اسرائيل ابني البكر» .
- (٢٣) فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها انا أقبل ابنك البكر .
- (٢٤) وحدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله .
- (٢٥) فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجله فقالت انك عريس دم لي .
- (٢٦) فأنفك عنه حينئذ فقالت عريس دم لي من أجل الختان .
- (٢٧) وقال الرب لهارون : اذهب الى البرية لاستقبال موسى فذهب والتقاه في جبل الله وقبله
- (٢٨) فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذي أرسله وبكل الآيات التي أوصاه بها .
- (٢٩) ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى اسرائيل .
- (٣٠) فتكلم هارون بجميع الكلام الذي كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب .
- (٣١) فأمن الشعب ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وأنه نظر مذلتهم خروا وسجدوا له .

ولكنى أخالفهم فى ذلك وأقول انه يتلطف به غاية التلطف ليحمله على اطلاق بنى اسرائيل قائلا:  
ان تعبيدك بنى اسرائيل أى تكريمك لهم وتمكينهم من عبادة ربهم أعده نعمة مننت بها على،  
تضاف الى تربيتى فيكم وليدا والى مكثى بينكم فيكم من عمرى سنين . وما كان من شأن موسى  
أن يخرج الهزل فى معرض الجد ولا أن يلجأ الى المعاريض والمجازات . ولكنه كان فى محاوراته  
كلها مثال الجد والصراحة . يؤدى ما أمر به على الوجه الذى صدر له أن يؤديه . ومهمته العظمى  
انقاذ بنى اسرائيل من ذلك العذاب المهين الذى كانوا فيه . وهذا طلب لذلك الأمر على وجه  
اللطف والرفق .

قد يقول بعض الناس : ان هذا المحمل الذى حملت الآية عليه لم يوجد لمفسر ، وكتب اللغة  
لم تذكر هذا المعنى .

والجواب : أن محور رسالة موسى والغرض الأول المقصود بها هو اطلاق بنى اسرائيل ،  
والحجة الظاهرة لهذا أنهم يريدون أن يعبدوا الههم فى البرية ، يعملون له عيدا « وفى العبرية  
حج » فهذا هو الغرض الأسمى الذى جاء موسى لتنفيذه وجاء بالآيات لحمل فرعون وقومه عليه .  
وأما استعباد فرعون لبنى اسرائيل فليس من النعمة أو المنة فى شىء ، وما كان موسى من  
المستهزئين أو الذين يأتون بالأمر يكون مغريا لفرعون بالعناد . والاستخفاف بمثل هذا الملك  
الجباز لا ينتج ما يرجو موسى . فحمل المعنى على ما قالوه لا يجعل فى موسى حكمة الأنبياء  
الذين جعلهم الله تعالى بها .

بل هذا القول الى المشاكسة أقرب ، ومن قوله تعالى ( فقولوا له قولنا لعلنا نتذكر  
أو يخشى ) أبعد . وأقرب المعانى الى ذلك هو ما ذكرته .

ومعنى « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل » . أى كرمتهم . وتكريمهم يكون  
بترفيه العذاب عنهم واطلاق الحرية لهم فى عبادة ربهم وارسالهم مع موسى لذلك .

والتعبيد بمعنى التكريم وارد فى اللغة العربية ، فقد جاء فى لسان العرب « مادة ( عبد )  
ما نصه » والمعبد : المكرم . والمعبد : المكرم فى بيت حاتم :

تقول ألا تبقى عليك فانتى أرى المال عند الكثيرين معبدا

أى معظما مخدوما . وبغير معبد : مكرم اهـ .

واذا عرفت هذا أيها القارئ الكريم عرفت أن الوجه الذى ذكرته أقرب الى الغرض من ارسال  
موسى ، وأجدر بأن تحمل الآية عليه .

### تذكير فرعون موسى — تربيته فى بيت فرعون

لما دخل موسى على فرعون وأدى مقالته بواسطة هارون ، كان فيما قال فرعون لموسى  
وذكره به . أنه ربى فى بيت فرعون وليدا ولبث فيهم سنين من عمره ، وهذا يقتضى أن يكون  
حافظا للمودة حريصا على التباعد عن كل ما يفيظ فرعون وآله ، فلا يروغهم بمعتقد غريب عنهم غير



معروف لهم . وهو عبادة غير فرعون وآلهته ، بل عليه أن يبادر الى عبادة فرعون . ثم ذكره بفعلته التي فعل من قتل الرجل القبطي وهربه على أثرها فمن كان آثما ائمه لا يأتي بما هو أعظم منه وهو حملهم على ترك آلهتهم وتقديس فرعون وترك التوجه اليه بالعبادة فرد موسى على هذه المسألة الأخيرة بقوله . ( فعلتها اذا وأنا من الضالين فقررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ) .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الشعراء :** قَالَ أَلَمْ نُنْزِلْكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ [١٨] وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ [١٩] قَالَ فَعَلْتُهَا إِذْ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ [٢٠] فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لى رَبِّىْ حُكْمًا وَجَعَلْنى مِنَ الْمُرْسَلِينَ [٢١]

وهذا الموضع من الحوار بين موسى وفرعون لم يذكر فى التوراة .

## موسى يحاج فرعون

### فى ربوبية الله تعالى

لما فرغ موسى مما قال وذكر لفرعون أنه يريد اطلاق بنى اسرائيل ليعبدوا الههم فى البرية — وفرعون رجل عات تدين الأمة المصرية بعبادته وتدعن بقداسته <sup>(١)</sup> ، وقد فجأه من موسى أمر لا يقره ولا يرضاه . وهو محاولة انزاله عن عرش الربوبية — أخذ على أثر ذلك يحاور موسى . فيسأله مارب العالمين ؟ قال : رب السموات والأرض وما بينهما ، خالق ذلك ومبتدعه . فالتفت فرعون الى من حوله من ملئه مظهر العجب قائلا : ألا تستمعون ! واستمر موسى قائلا ( ربكم ورب آبائكم الأولين ) أى حين لم يكن فرعون موجودا ولا معبودا فقال فرعون لملكه ( ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ) لأنه جاء نابشئ لا نعرفه ولا نقره . فاستمر موسى قائلا . ( رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ) .

ولما علم موسى وهارون عدم ارعواء فرعون عن غيه . وتماديه فى ادعاء الربوبية وأنه مكذب لا محالة . قالوا له ، ( انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ) فقال لهما : فمن ربكما

(١) كان الملوك فى قديم الزمان يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس ويضعون مكانتهم فى اطار من الالهية لاجهلا منهم بأنهم أناس لا يختلفون عن غيرهم ! ولكنهم يفعلون ذلك تمويها على العامة حتى يامنوا غائلة التورات الهوج من الذين يطمعون فى تبوى عرش الملك ، مقدرين أن ذلك التقديس يحول بين النازعين الى الثورة وبين ما يشتهون . وهذه كانت حال نمرود فى عهد ابراهيم وحال الذين أتوا بعد موسى من ملوك اليونان ثم الرومان ، كما كانت حال الفراعنة فى مصر .

يا موسى ؟ فأفهمه أن الله هو الذى أحصى كل شئ خلقه فهو الذى أعطاهم الحواس والعقول ، وخلق لهم ما فى الأرض جميعا ، وجعلهم فيها خلفاء ، وصرفهم فى خيراتها ومراقفها وما عليها من حيوان ، وجعلهم مستخلفين فى كل ذلك ، وهداهم الى الانتفاع بكل شئ فى مصالحهم كل فيما يصلح له . فسأل فرعون عن القرون الأولى ، فأحال موسى على الله الذى علم كل شئ من شئونها ، وأن ذلك فى كتاب ، وأن الله لا يضل عن أعمالهم ولا ينسى منها شيئا . وسيحاسب كل انسان بما صنع . ثم ذكر من قدرته على ما صنع ويصنع ماتجب بمثله الحجة على قدرته وحكمته واستحقاقه للعبادة قائلا ( الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ) . أى أخرج به أنواع النبات على تعدده وأزواجه وتباين ألوانه . وسهل للانسان ما يأكله ولماشيته ما ترعاه . وأن من كانت هذه أعماله ، كانت تلك الأعمال آيات يهتدى بها ذو العقل السليم .

ثم قال : ان الأرض منبتنا الذى أنبتنا الله منه . وفيها يسود الناس اذا فنيت حياتهم . ومنها يخرجون مرة أخرى لمجازاة كل بما صنع .

اقرأوا هذه الآيات فى هذا الموقف : —

**سورة طه :** إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى [٤٨] قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى [٤٩] قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى [٥٠] قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى [٥١] قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى [٥٢] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى [٥٣] كُلُوا وَارْزُقُوا أَنَّامَكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى [٥٤] مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى [٥٥]

**سورة الشعراء :** قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ [٢٣] قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [٢٤] قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ [٢٥] قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [٢٦] قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ [٢٧] قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ <sup>(١)</sup> [٢٨]

(١) ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى فى الاصحاحين الخامس والسادس من سفر الخروج وهاكم نصها :  
١ — وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالوا لفرعون هكذا يقول الرب اله اسرائيل ، اطلق شعبى ليعبدوا لى فى البرية .

## فرعون يتجاهل الله ويدعى الإلهية

ويأمر ببناء صرح يصعد به إلى السماء

لما ألح موسى على فرعون بالدعوة الى الايمان بالله تعالى وهو في ملأ قومه وذلك يكسر من هيئته ويحط من رتبته . وجه فرعون الى القوم كلامه متجاهلا الاله الذي يدعو اليه موسى وأنه (٢) فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق اسرائيل . لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه .

(٣) فقالوا اله العبرانيين قد التقنا . فنذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف .

(٤) فقال لهما ملك مصر لماذا يا موسى وهارون تبطلان الشعب من أعماله . اذهبا الى انقالكما .

(٥) وقال فرعون هو ذا الآن شعب الارض كثير وأنتم تريحانهم من أنقالتهم .

(٦) فأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومديره قائلا :

(٧) لا تعودوا تعطون الشعب تينا لصنع اللبن كأمس وأول أمس . ليذهبوا هم يجمعوا تينا لأنفسهم .

(٨) ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه أمس وأول أمس تجعلونه عليهم لا تنقصوا منه فانهم متكاسلون . لذلك يصرخون قائلين نذهب ونذبح لالهنا .

(٩) ليشغل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا الى كلام الكذب .

(١٠) فخرج مسخرو الشعب ومديروه . وكلموا الشعب قائلين هكذا . يقول فرعون لست أعطيكم تينا .

(١١) اذهبوا أنتم وخذوا لأنفسكم تينا من حيث تجدونه أنه لا ينقص من عملكم شيء .

(١٢) ففترق الشعب في كل أرض مصر ليجمعوا قشاً عوضاً عن التبن .

(١٣) وكان المسخرون يجعلونهم قائلينكملوا أعمالكم أمر كل يوم بيومه كما كان حينما كان تبن .

(١٤) فضرب مديرو بني اسرائيل الذين أقامهم عليهم مسخرو فرعون وقيل لهم لماذا لم تكملوا فريضتكم من صنع اللبن أمس واليوم كالأمس وأول من أمس .

(١٥) فأتى مديرو بني اسرائيل وصرخوا الى فرعون قائلين لماذا تفعل هكذا بعبيدك .

(١٦) التبن ليس يعطى لعبيدك واللبن يقولون لنا اصنعوه . وهو ذا عبيدك مضربون . وقد أخطأ شعبك .

(١٧) فقال متكاسلون أنتم متكاسلون لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب .

(١٨) فالآن اذهبوا اعملوا . وتبن لا يعطى لكم ومقدار اللبن تقدمونه .

(١٩) فرأى مديرو بني اسرائيل أنفسهم في بلية اذ قيل لهم لا تنقصوا من لبنكم أمر كل يوم بيومه .

(٢٠) وصادفوا موسى وهارون واقفين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون .

(٢١) فقالوا لهما ينظر الرب اليكما وبقي لأنكما انتنتما رائحتنا في عيني فرعون وفي عيون عبيده حتى تعطينا سيفاً في أيديهم يقتلونا .

(٢٢) فرجع موسى الى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت الى الشعب . لماذا أرسلتني .

(٢٣) فإنه منذ دخلت الى فرعون لاتكلم باسمك أساء الى هذا الشعب وأنت تخلص شعبك، وهذا معنى قوله تعالى ( قالوا أوذيتنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما حثتنا ) .

الاصحاح السادس - خروج

(١) فقال الرب لموسى الآن تنظر ما أنا أفعل بفرعون . فإنه يبيد قوياً يطلقهم ويبيد قوياً يطردهم من أرضه .

(٢) ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب .

سيأخذ الوسيلة للصعود الى اله موسى ليصفى الحساب بينه وبينه . ولعله فهم من قول موسى رب السماء والأرض أنه موجود في السماء لأن العظيم القادر على العلو لا ينزل الى أسفل . وأوهم القوم أن الصعود الى السماء أمر تناله قدرته . فأصدر أمره الى هامان أن يطبخ له الآجر ويبنى له صرحا يأخذ في السماء صعدا حتى ينالها ويطلع الى اله موسى . ثم أردف ذلك بأنه يظن أن موسى كاذب في أن له الها سوى فرعون .

من الناس من يذكر الفكرة علما بأنها مبنية على غير أساس ، ثم لا يزال يخادع نفسه ونفسه تخادعه حتى يخيل اليه أن الأمر سهل الوقوع ويعلق نفسه به . شأنه في ذلك شأن أشعب المشهور بالطمع ، اذ صرف عنه الأطفال بحيلة أنه يوجد عرس في بيت فلان وأنهم يفرقون على الناس الدراهم ، فانصرفوا ظانين صدقه فتبعهم أملا أن يكون ما قاله لهم حقا . فينال من تلك الدراهم التي تفرق في ذلك العرس الوهمي .

لا أظن أن فرعون كان من الجهل بدرجة أن يأمل أن ينال السماء ببناء يصعد ولكنه أراد أن يتغفل القوم الذين معه حتى لا يخامر أنفسهم خلة في حظه عن عرش الربوبية . فأراد أن يدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر على منازلة كل اله ولو كان في السماء . وأنه على استعداد لمحاربة اله موسى الذي في السماء اذا كان فيها ، وأنه يتهم موسى في وجود اله سواه وأنه سيأخذ في أسباب العمل في تصفية الحساب مع ذلك الاله . ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أسباب السموات ، وعهد بذلك الى هامان .

(٣) وأنا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب بالى الاله القادر على كل شيء . أما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم .

(٤) وأيضا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها .  
(٥) وأنا أيضا قد سمعت أنى بنى اسرائيل الذين يستعبدونهم المصريين وتذكرت عهدي .  
(٦) لذلك قل لبنى اسرائيل أنا الرب : وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين . وأنقذكم من عبوديتهم . وأخلصكم بفراغ ممدودة وبأحكام عظيمة ، وأتخذكم لى شعبا وأكون لكم الها .  
(٧) فتعلمون أنى أنا الرب الهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال المصريين .  
(٨) وأدخلكم الى الأرض التى رفعت يدي أن أعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب وأعطيكم اياها ميراثا . أنا الرب .

(٩) فكلّم موسى عكدا بنى اسرائيل . ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية .

(١٠) ثم كلم الرب قائلا .

(١١) أدخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بنى اسرائيل من أرضه .

(١٢) فتكلّم موسى أمام الرب قائلا هو ذا بنو اسرائيل لم يسمعوا لى . فكيف يسمعنى فرعون وأنا أغلف الشفتين .

(١٣) فكلّم الرب موسى وهارون وأوصى معهما الى بنى اسرائيل والى فرعون ملك مصر فى اخراج بنى اسرائيل من أرضه .

(٢٨) وكان يوم كلم الرب موسى فى أرض مصر .

(٢٩) ان الرب كلمه قائلا أن الرب كلم فرعون ملك مصر بكل ما أنا أكلمك به .

(٣٠) فقال موسى أمام الرب هأنا أغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون .

ولا يبعد أن تكون نفسه أشعبية فتخيل ثم خال .

سمعت من أهل السودان أن يونس الدكيم من رجال التعايشى كان أميراً على مديرية دنقلة . فلما قامت الحملة المصرية لاسترجاع السودان سنة ١٨٩٦ م جاء الخبر بأن الترك « المصريون والانجليز » آتون في البحر « النيل » على السفن لأخذ البلاد السودانية ، وكان رجلاً عاتياً قاسياً فحلف قائلاً « بتا بالله أشرب البحر » يريد بذلك أن يشرب ماء النيل حتى تقف السفن على الطين فلا تقدر على المسير ، ويكتفى بذلك شر جنود الترك .

ومع علم الحاضرين بكذبه أخذوا يظهرن له أن هذا الأمر وإن كان في مقدوره ولكن البحر « النيل » يشرب منه خليفة المهدي وكل الاخوان ، وبه ينمو الزرع وتشرب منه الناس والبهائم ، وإذا شربه فانت تلك المصالح وهلك الناس . فهم بذلك سلدوا له بكذبه وأخذوا يترضونه حتى لا يفعل ، وهم يعلمون أنه كاذب ولو خلى وما أراد ما أثر شيئاً ولكنه الملق البارد .

وهكذا كان شأن أصحاب فرعون يعلمون كذبه ولا يجسر أحد منهم على تكذيبه أو رده . وأخرى : أن الجيش المصرى لما انتهى من وقعة كررى خارج أم درمان خرج عبد الله التعايشى مع بعض الجنود مصعداً نحو الجنوب ، والجيش المصرى يرسل رصاصه على ساقه جيش التعايشى . وخاف التعايشى أن يركب جواده فيصيبه الرصاص فمشى راجلاً . وكان في الجيش عثمان دقنه بطل الحروب السودانية المشهور فقال له : اركب يا خليفة المهدي ! فأجابه بلهجة أهل السودان « كيفن ؟ أركب والخضر ماش أمامى ؟ » فقال له عثمان دقنه « فضنا من كضباتك دى يازول » أى دعنا من أكاذيبك يا رجل « نحنا معردين الخضر معرديشينو ؟ الخضر ما هو شايف رصاص الترك في جفانا » أى نحن شاردون والخضر لأى شىء يشرد ؟ ألم ير رصاص الترك يأخذنا من خلفنا . ولكن فرعون لم يجد من المصريين فى ملئه من يقولون له ما قال عثمان دقنه للتعايشى . بل كانوا يؤمنون على قوله .

لم يكن فى ذلك الوقت رجل صادق الفراسة يقرأ لنا أفكار الملأ من قوم فرعون ؟ هل كانوا يفكرون فكره ويترسمون خطواته فيما يخيل اليهم ؟ أو كانوا عالمين باستحالة ما يحاول وانما يؤمنون على قوله مجازاة له ، ومجاملة يتالون بها الخطوة عنده — وإن كان فى نفوسهم كاذبا — كما هو شأن الكثير من المصريين فى موافقة الحكام على آرائهم ، وإن كانت مباينة لما يكونون فى أنفسهم ؟! — وهل فعل هامان ما أمر به فرعون ؟ وإلى أى حد بلغ فى علو البناء ؟ والام آل أمر ذلك البناء ؟

كل ذلك لم يذكره القرآن ولم يذكر فى التوراة بطريق التصريح أو الإشارة . وانما يذكر المفسرون أن هامان بنى له الصرح حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء . ثم صعد

فرعون وصوب سهما الى السماء ورمى به فعاد اليه النصل مخضبا بالدم ، فقال : لقد قتلت اله موسى .

ثم ما هو هامان<sup>(١)</sup> ؟ وما منصبه ؟ وهل لفظ « هامان » علم له أو علم منصبه الذي يشغله ؟ ليس عندنا في ذلك أثارة من علم . والذي أفهمه أنه وزير العمارات عند فرعون .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة القصص :** وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٣٨]

**سورة غافر :** وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ [٣٧]

أما التوراة فلم تذكر بناء الصرح ولا أمر هامان بذلك .

## معجزة العصا واليد

اتهام موسى بالسحر — حشد فرعون السحرة — القاؤهم بسحرهم —  
تلقف العصا للسحر — ايمان السحرة برب العالمين وثباتهم على ايمانهم —  
غضب فرعون من السحرة وقتلهم وصلبهم .

لما أعضل موسى وأخوه بفرعون ولم يجد السبيل الى اقرارهما بأنه الاله الحق رجا أن يعجز عن الاتيان بأية تبين صدقهما فيما جاءا به عن الهما . فطلب آية من موسى فألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان لا شك فيه يتحرك ويسعى ، ووضع يده في جيبه ثم نزعها فاذا هي بيضاء للناظرين . رأى فرعون والملأ من قومه ذلك فعمدوا الى التماذى على تكذيب موسى فيما جاء به من الآيتين وأحالوا ذلك منه على السحر ، وتشاوروا فيما بينهم في شأن موسى مؤكدين أنه ساحر عليم يريد أن يخرجهم من أرضهم . فأدت بهم خاتمة المطاف الى أن أشاروا على فرعون بأن يرجئ موسى وأخاه حتى يأتي بالسحرة من آفاق مصر ليأتوا بمثل ما أتى به موسى . لأن هذه الآية

(١) يقول الأستاذ موسى جار الله : انه يرجح أن فرعون كان يدعو « آمون » معبود المصريين ، وأن هذا القول من قبيل الامر . وهو معنى حسن لولا قوله تعالى ( أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ) فان الصنم لا يوصف بالخطا ، وانما تدل على أنه رجل له قدر عال عند فرعون . هذا وفي كتاب استير : أن هامان كان من وزراء الملك « احشويرس » وهو : هامان بن همداثا الاجنابي ، وكان عدوا لليهود وكان عاملا على ابادتهم « ١ : ١٣ سبتيمبر » وعلى ذلك فهو اسم الذي وظيفة .

التي أتى بها متى كان في مقدور غيره أن يأتي بمثلها فقد بطلت دعواه ، اذ الغرض أن يأتي بشيء لا يقدر غيره على الاتيان بمثله . والا فانه لا يسمى معجزة تدل على صدقه فيما يبلغ عن ربه .

أرسل فرعون في مدائن مصر حاشرين يأتونه بالسحرة — وكان للسحر منزلة عظيمة في أرض مصر . يعنى به الملوك والأمراء ويكافئون عليه . وهذا أمر لم يزل كشف الآثار المصرية يبين عنه الى اليوم — فجاءوا بجمهور عظيم من السحرة كانوا مدلين بأنفسهم واثقين من مقدرتهم على السحر والتصرف في الأعيان والعيون ، وعرضوا لفرعون بالأجر ينالونه جزاء قيامهم بالسحر . فوعدهم الأجر الجزيل . والزلفى لديه وأى زلفى أعظم من زلفى قوم يؤيدون ربوبيته ويشبتون عرش ( ألوهيته ) — وطلب السحرة الأجر يدل على أن أمور الفراعنة كانت سخرة .

راود السحرة موسى هل يلقون سحرهم أو يلقي هو سحره أولا ؟ وكان الجمع حافلا وفي يوم الزينة ، ويظن أنه يوم وفاء النيل . فانه كان أعظم أعيادهم . فقال لهم موسى : ألقوا ما أتمم ملقون . وكان عتادهم العصي والجمال ، فألقوها فامتلا المكان حيات وثعابين ، وخيل الى موسى من سحرهم أنها تسعى .

في تلك اللحظة ابتهج فرعون وجنوده وعلية قومه ، وأيقنوا أن السحرة قد نجحوا ، وأن موسى لا يمكنه أن يأتي بشيء أعظم من سحرهم ، اذ كل ما في يده عصاه ، فاذا قلبت حية فهي حية واحدة من مئات وآلاف قد غص بها رجب الساحة التي هم فيها .

وفي تلك اللحظة أيضا هال موسى أمر تلك الحيات وأوجس في نفسه خيفة . فأمره الله أن يلقي عصاه ، فاذا هي حية تسعى واذا هي تبتلع حيات السحرة وتتلفقها <sup>(١)</sup> . فوقع الحق وبطل سحر السحرة . ودهش آل فرعون والملا من قومه . وعلم السحرة أن السحر لا يفعل مثل ذلك . وانما هي القوة الالهية صنعت هذا ، فخروا ساجدين لله تعالى وآمنوا برب موسى وهارون ، مفضلين ذلك على الأجر الذي كانوا يرجونه من فرعون ، مستهينين بجزائه الذي سيوقعه بهم .

علم فرعون أنه لم يعجز موسى ولكن موسى أعجزه فأراد أن يستر عواره فقال للسحرة عن موسى : ( انه لكبيركم الذي علمكم السحر ولهذا كان أقوى منكم وغلب سحره سحركم ) . قال هذا مع علمه بأن موسى لم يعرفهم . ولم يجتمع معهم من قبل بل كان ثاويا في أهل مدين ، ولم يصل بالسحرة بأية صلة . ولكنه المقهور المغلوب يلتمس لنفسه العذر وان كان لا يغنى « ولا بد للمغلوب من بادر العذر » .

ثم أخذ يتجنى على أولئك السحرة ويقول لهم ( آمنتكم له قبل أن آذن لكم ) موهما أنه يتصرف في وجدانهم وأنه كان على وشك أن يأذن لهم ، ولكنهم أجزموا بالايان قبل صدور

(١) الذي في القرآن تلقف ما يافكون قال في تاج العروس : وفي المحكم اللقف : سرعة الاخذ لما يرمى اليك باليد أو باللسان . وقال غيره ، اللقف : أن تأخذ شيئا فتأكله أو تبتلمه « من ٢٤٨ ج ٦ — وفي ص ٢٤٩ » اللقف : بالفتح الغم — بمانية .

الاذن ، وهددهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف والتصليب على جذوع النخل ، فلم يشتم ذلك عن الايمان . وقد نفذ فيهم ما هددهم به . ولقد هم فرعون أن يقتل موسى خوفاً من أن يبدل دين المصريين أو أن يظهر في أرض مصر الفساد .

ولعله انما يعنى بالفساد اطلاق بنى اسرائيل من أسر العبودية ، ويفوت بذلك على فرعون وأله المنافع التي تعود عليهم من تسخير بنى اسرائيل في الأعمال الشاقة . ولعل الأعمال التي كانت تؤدي الى فرعون كانت على سبيل السخرة في الأعم الأغلب — كما سبقت الإشارة الى ذلك .

يرشد الى هذا أن السخرة استفهموا من فرعون قائلين ( أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالين ) ولو كانت الأمور سائرة بغير سخرة لما ساع لهم هذا السؤال .

استنفذ فرعون الوسع في أن يشنى موسى عن دعوته الى الله فلم يفلح ولم يقلع ، وكلما فتح بابا — للتجنى على موسى وأخيه — حول موسى مجرى الجدال الى شيء آخر فيه فرج . انظروا الى قول فرعون ( لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ) والى لباقة موسى . في قوله ( أو لو جئتك بشيء مبین ) ؟

وكان موسى لا يترك فرصة للدعوة الى الله سواء أمام فرعون أو غيره . انظروا الى قول موسى لآل فرعون لما اتهموه بالسحر ( ويلكم لا تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ) وقوله لهم ( أتقولون للحق لما جاءكم ) أى هذه المقالة ( أسحر هذا ) ؟ كانت عصارة هذه الأحوال كلها أن فريقا من بنى اسرائيل قد آمنوا لموسى ، وهم على خوف من فرعون ومن ملا بنى اسرائيل أن يفتنهم لأنه كان مسرفا لا يبالي ما يصنع ، ويظهر أنهم كانوا شبابا لقوله تعالى ( ذرية من قومه ) وكان موسى يعتقد أن طغيان فرعون وملئه واباءهم عن الايمان به سببه : أن الله تعالى أعقد عليهم الأموال في الحياة الدنيا ومتعمهم بلذائذ العيش فقست قلوبهم ، وظنوا بقاء ذلك النعيم فتمادوا في طغيانهم ولم يصفخوا الى العظات التي يغاديهما بها موسى ويرأوهم . فحمله ما عناء من العناء في ارشادهم وما تحمل من البلاء والعنف في دعوتهم على أن يدعو عليهم بأن يسد الله تعالى طريق هدايتهم ويقل ما بأيديهم من المال الذي هو سبب طغيانهم واسرافهم في أمرهم ، وأن يشد على قلوبهم ويبعدهم عن طريق الايمان الى أن يسلمهم ذلك العذاب الأليم . وقد أجاب الله تعالى دعوته .

ولما لم يفد العلاج مع فرعون ، أمر الله موسى أن يتخذ لبنى اسرائيل بيوتا للعبادة في مصر ويقيم فيها الصلاة لله تعالى .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الاعراف :** قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [١٠٦] فَأَتَيْنِ

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ [١٠٧] وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ [١٠٨] قَالَ الْمَلَأُ مِنْ



قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ [١٠٩] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ [١١٠]  
 قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ [١١١] يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ [١١٢] وَجَاءَ  
 السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ [١١٣] قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ  
 الْمُقَرَّبِينَ [١١٤] قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُدْعَى وَوَمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ [١١٥] قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا  
 سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ [١١٦] وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ  
 فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [١١٧] فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١١٨] فَغَلِبُوا هُنَالِكَ  
 وَانْقَلَبُوا صَاحِرِينَ [١١٩] وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [١٢٠] قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٢١] رَبِّ مُوسَى  
 وَهَارُونَ [١٢٢] قَالَ فِرْعَوْنُ أَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ  
 لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [١٢٣] لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ  
 لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ [١٢٤] قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [١٢٥] وَمَا نَنفَعُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ  
 رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [١٢٦]

سورة يونس : ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا  
 قَوْمًا مُجْرِمِينَ [٧٥] فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ [٧٦] قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ  
 لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ : أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ [٧٧] قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَا وَجَدْنَا عَلَيْه  
 آبَاءَنَا وَنَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ [٧٨] وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتَوَى  
 بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ [٧٩] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ [٨٠] فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ  
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ [٨١] وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ  
 بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ [٨٢] فَمَا مِنْ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ  
 وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَقْتُلَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ [٨٣] وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ  
 كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ فَتَنَّا [٨٤] فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً  
 لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٨٥] وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [٨٦] وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ  
 تَبَوَّءَا لِقَا رَبِّكُمْ مِصْرَ بَيْوَتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [٨٧] وَقَالَ

مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ.  
رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [٨٨] قَالَ قَدْ  
أُحِيتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [٨٩]

سورة طه : قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى [٥٧] فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ  
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى [٥٨] قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ  
وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضَحَّى [٥٩] فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى [٦٠] قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ  
لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى [٦١] فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ  
وَأَسْرَوْا النَّجْوَى [٦٢] قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا  
وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى [٦٣] فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى [٦٤]  
قَالُوا يَسْمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى [٦٥] قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابٌ وَعَصِيئُهُمْ  
يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [٦٦] فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى [٦٧] قُلْنَا لَا تَخَفْ  
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى [٦٨] وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحِيرٍ وَلَا يَنْفَعُ  
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى [٦٩] فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى [٧٠] قَالَ آمَنُتُمْ لَهُ  
قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ  
خَلْفٍ وَلَا صُلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَعَلَّكُمْ بَيْنَا أَسَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى [٧١] قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ  
عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [٧٢]  
إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى [٧٣] إِنَّهُ مَنْ  
يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى [٧٤] وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ  
فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى [٧٥] جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ  
جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى [٧٦]

سورة الشعراء : قَالَ لِيَنِي اَتَخَذَتِ اِيْمَا غَيْرِي لِاَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُوْنِيْنَ [٢٩] قَالَ اَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِيْنٍ [٣٠] قَالَ فَاَنْتَ بِهٖ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ [٣١] فَاَلْقَى عَصَاهُ فَاِذَا هِيَ ثُمْبَانٌ مُّبِيْنٌ [٣٢]

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ [٣٣] قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ [٣٤] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ [٣٥] قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ [٣٦] يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ [٣٧] فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [٣٨] وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ [٣٩] لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ [٤٠] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ [٤١] قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفَرِّينَ [٤٢] قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ [٤٣] فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ [٤٤] فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ [٤٥] فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ [٤٦] قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [٤٧] رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ [٤٨] قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [٤٩] لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ [٥٠] قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [٥١] إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ [٥٢]

هذا الموقف من مواقف موسى عليه الصلاة والسلام قد ذكر في التوراة (١).

- (١) في الاصحاح السابع من سفر الخروج من أوله الى الآية ١٤ وهذا نصها :
- ١ - فقال الرب لموسى أنظر . أنا جعلتك الها لفرعون وهارون أخوك ليكون نبيك .
- ٢ - أنت تتكلم بكل ما أمرك وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بنى اسرائيل من أرضه .
- ٣ - ولكنى أقسى قلب فرعون وأكثر آياتى وعجائبي فى أرض مصر .
- ٤ - ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدي على مصر فأخرج أجنادى شعبى بنى اسرائيل من ارض مصر باحكام عظيمة .
- ٥ - فيعرف المصريون انى انا الرب حينما امد يدي على مصر وأخرج بنى اسرائيل من بينهم
- ٦ - ففعل موسى وهارون كما أمرهما الرب هكذا فعلا .
- ٧ - وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون .
- ٨ - وكلم الرب موسى وهارون قائلا .
- ٩ - اذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهرون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا .
- ١٠ - فدخل موسى وهارون الى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب . طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا .
- ١١ - فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك .
- ١٢ - طرخوا كل واحد عصاه فصارت العصا ثعابين . ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم .
- ١٣ - فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب .

## تمادى فرعون وقومه فى إصرارهم على الكفر

عودهم لا يذاء بنى اسرائيل بقتل آبائهم واستحياء نساءهم — تشجيع  
موسى لقومه وأمره لهم بالصبر ووعدهم بحسن العاقبة — فرعون يهدد  
موسى بالقتل .

رأى فرعون الآيات فتمادى فى كفره وأصر على عناده معرضا عن الآيات التى أتى بها  
موسى ، وأغراه قومه بموسى لائمين له منكرين عليه ترك موسى وقومه يفسدون فى الأرض  
بالامتناع عن الأعمال التى سخرها فيها ، وأن يذر فرعون وآلهته لا يسبدها ولا يعبد فرعون .  
فسكن فرعون روع القوم واعدوا اياهم بأن يقتل قوم موسى ويستحيى نساءهم . معتزا بما له عليهم  
من القهر والغلبة والسلطان . ثم أتبع القول بالعمل .

مما هو طبيعى أن يضج بنو اسرائيل بالشكوى الى موسى مما حاق بهم من الحيف والجور .  
فوصاهم موسى بالصبر على هذا البلاء النازل . وأن يستعينوا بالله على احتماله . ووعدهم حسن  
العاقبة . فلم يكفكف ذلك دموعهم وقالوا له ( أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ) .  
فمناهم هلاك عدوهم واخراجهم من الضيق الى السعة ، وأن يكونوا خلفاء فى الأرض التى وعدوا  
بها . وأراد فرعون أن يبطش بموسى متحديا الهه حتى لا يكون منه تبديل لدين القوم أو فساد فى  
أرضهم . ولكن موسى عاذ بالله من شر هذا المتكبر الذى لا يؤمن بحساب ؛ فكان عياذا .

اقرأ فى هذا الموقف الآيات الآتية : —

**سورة الاعراف :** وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ  
وَأَهْلَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ [١٢٧] قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا  
بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [١٢٨] قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ  
قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَتَنْظُرُوا كَيْفَ تَعْمَلُونَ [١٢٩]

**سورة غافر :** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ [٢٣] إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ  
فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ [٢٤] فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عَذَابِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ  
وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ [٢٥] وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ  
م- ١٣ قصص الأنبياء

رَبُّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ [٢٦] وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ  
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ [٢٧] .

لهم تذكر التوراة مسألة إعادة تقتيل أبناء العبرانيين

### الاتّهار بموسى لقتله

دفاع مؤمن آل فرعون عن موسى وانتصاره لدين موسى — مخالفة  
فرعون له — رد المؤمن على الملأ من قوم فرعون ووعظه إياهم وتحذيرهم بأس  
الله — تذكيره إياهم بيوسف وما كان منهم من الشك فيما جاءهم به — ودعاء  
القوم له الى منابذة موسى والاستمسك بدين آبائه وأجداده — رده عليهم  
واستمسكه بالايمان بموسى — تدبيرهم عليه ونجاته منهم ومن مكرهم .

خلص فرعون والملأ نجيا يأترون بموسى لاهلاكه . ولما كان الحق لا يعدم نصيرا قام رجل  
مؤمن من آل فرعون يكتنم ايمانه بموسى ورب موسى الى ذلك الحين — ودافع عن موسى دفاعا  
يشكره الله له . وأبلى في ذلك بلاء حسنا . وبين لهم أنه لا ينبغي أن يقتلوا رجلا يقول  
« ربى الله » لأن قوله ذلك لا يصلح سببا للقتل . وبخاصة اذا كان قد جاءهم بالآيات الدالة على  
صدقه . وأنه لو فرض أنه كاذب فيما يقول ما نالهم ضرر من كذبه . ولا يحملون شيئا من اثمه .  
ولو فرض أنه كان صادقا أصابهم بعض الوعيد الذى توعدهم به . وقد عارضه فرعون فيما رأى  
ووجه أقواله الى الملأ ينتصر بهم على معارضته قائلا : ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل  
الرشاد !

عاد مؤمن آل فرعون الى الكلام محذرا قومه بأس الله تعالى ووقعاته في أمم عاد وثمود وقوم  
نوح وغيرهم ؛ ممن انتقم الله منهم جزاء وفاقا بما صنعت أيديهم . وذكرهم بأن الدعوة التى جاء  
بها موسى اليوم ليست جديدة . فقد جاء الى آبائهم واليهم ضمنا يوسف بالبينات ؛ فلم ينل  
تصديقهم اياه حتى اذا هلك قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا . وأبان لهم أن ذلك من طبع الله  
على قلوبهم وامسأكه تعالى عن هدايتهم هداية موصلة بالفعل الى المقصود . وأن الله تعالى  
لا يهمل الحسنات ولا السيئات بل يجازى على كل شيء . وأن المؤمنين لهم الجنات يرزقون فيها  
بغير حساب .

تمادى قومه وجهدوا أن يردوه الى دين قومه فلامهم على أنه يريد بهم السعادة وهم يريدون  
له الشقاء الدائم ، فهو يدعوهم الى الايمان وهم يدعونه الى الكفر بالله تعالى العزيز الغفار ، وأن  
الآلهة التى يدعونه الى عبادتها لا تنفع فى الدنيا ولا تشفع فى الآخرة ، وأن المرد الى الله تعالى ،  
وأنه سيأتى عليهم وقت يذكرون فيه نصحه إياهم وأنه يفوض أمره الى الله .

ولقد هموا به كما هموا بموسى فوقاه الله سوء عملهم وكانت عاقبته السعادة وعاقبة آل فرعون النار .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة غافر :** وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ [٢٨] يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ [٢٩] وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ [٣٠] مِثْلَ دَابِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ [٣١] وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ [٣٢] يَوْمَ تُثَوَّلُونَ مُذَبِّرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [٣٣] وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ أَنْ يَبْعَثَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ [٣٤] الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ [٣٥]

وفي سورة غافر أيضاً : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ [٣٨] يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ [٣٩] مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ [٤٠] وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ [٤١] تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ [٤٢] لَا جَرَمَ أَنَّ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ [٤٣] فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [٤٤] فَوَقَاهُ (١) اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ [٤٥] النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [٤٦]

(١) يصلح أن يعاد الضمير على موسى ؛ اذ كانوا ياتمرون به لقتله ، ويمكن أن يعود على

لم تذكر التوراة ائتمار القوم بموسى لقتله ولا مسألة مؤمن آل فرعون ودفاعه عن موسى وتذكيره قومه بيوسه ، لأن القوم نسوا حظا مما ذكروا به ، ولعل حقدهم على فرعون وقومه صرفهم عن ذكر أحد من المصريين قد آمن بموسى .

### فرعون يستخف بموسى

ويباهى بأنه ملك مصر مع ما فيها من الثروة — وينادى بأنه رب الناس الأعلى —  
وأن كل معبود دونه

كان من موسى بعد أن نصره الله تعالى على سحرة فرعون فأمنوا مستهينين بعذاب الدنيا — أن دأب على دعاء فرعون الى الايمان واطلاقه بنى اسرائيل ، وتمادى فرعون فى دفعه ، ورأى عظيما أن يلبي دعوة موسى ويتبع دينه ، مع ما لفرعون من عزة السلطان ووافر الثروة التى تدرها عليه مصر بسبب نيلها الفيض وماله من الفروع التى تبث الحياة الرافقة فى مصر كأنها الشرايين تمد مصر بالحياة ، اذ تسرى فى أرضها الدانية والقاصية فتسرى فيها الثروة واليسر ، وكأنه كان ينظر الى قول الشاعر بعد عصره :

فلا تعجب فكل خليج ماء بمصر مسبب لخليج مال  
زيادة أصبع فى كل يوم زيادة أذرع فى حسن حال

غلبت عليه نفسه المادية التى لا ترى الخير والعز الا فى وفرة المال . ولا تعرف أن الله يختص برحمته وفضله من يشاء فقال ( أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ) . ثم لجأ الى الاعنات وطلب ما هو أقل مما أتى به موسى من الآيات البينات على صدقه . وقال ( فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ) كأن هذا الذى يطلبه لا يحال على أنه سحر كما قال عن العصا التى استحالت ثعبانا واليد التى اكتست لون البياض بلا مرض بدل لون الأدمة .

كانت هذه الأقوال من فرعون كافية لاستخفافه قومه . واطاعتهم له ميلا منهم عن الحق وزيفا عن طريق الهدى ؛ لأنهم ألفوا الانقياد له حيث شاء وفى كل وجه أراد ، فأفئوا ذاتهم فى ذاته ، وأماتوا شخصياتهم فى شخصه ، وأهدروا آدميتهم ابتغاء الزلقى لديه . وجره ذلك الى ان حشر الناس من آفاق البلاد قائلا ( أنا ربكم الأعلى ) الذى ينبغى أن تخصوه بالعبادة دون اله موسى الذى جاءنا به على غير معرفة منا به — اقرءوا هذه الآيات :

**سورة الزخرف :** وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ [٥١] أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [٥٢] فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ [٥٣] فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ [٥٤] .

سورة النازعات : ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى [٢٢] فَحَشَرَ فَنَادَى [٢٣] فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى [٢٤] فَأَخَذَهُ  
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى [٢٥] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى [٢٦] .

## آيات الله على فرعون وقومه

### لما كذبوا موسى عليه السلام

لما أخذت فرعون العزة بالاثم وعنا عن أمر الله تعالى وتمادى فى تكذيب موسى واستمر فى  
اعتات بنى اسرائيل وايقساع ضروب الادلال والاهانة بهم ، أمر الله تعالى موسى أن يعلن فرعون  
وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه وامتناعهم من اطلاق بنى اسرائيل  
فكانوا كلما وقع بهم عذاب بعد انباء موسى اياهم به وعدوه بالايان به تارة ، وبارسال بنى  
اسرائيل معه تارة أخرى اذا سأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب . فاذا كشف الله عنهم ما نزل  
بهم ، عادوا الى طغيانهم وغدروا بعهدهم وخاسوا بوعدهم . وهكذا الى أن كانت الآية الكبرى  
والبطشة العظمى وهى اغراق فرعون فى اليم ونجاة بنى اسرائيل والآيات هى :

١ — ( الجذب ) بأن قل عنهم النيل وقصر عن ارواء أرضهم وسنو الجذب يؤرخ بها ،  
فيقال لعام الجذب سنة ... ومنها أسنت القوم أى أصابتهم السنة .

٢ — ( النقص من الثمرات ) بسبب ما يأتى عليها من الجوائح والعاهات .

٣ — ( الطوفان ) ولم يقطع المفسرون بأن هذا الطوفان كان على أى وجه ؟ فهل كان بطغيان  
النيل على الأرض وامتداد زمن بقاءه على وجه الأرض حتى عاقهم عن الزرع فى الوقت المناسب ؟  
أو كان بتتابع المطر على أرض مصر فى وقت كان فيه الزرع ناميا حتى أغرقه وأضر به كل محتمل ؟  
وقد مال البيضاوى الى هذا فى تفسيره .

٤ — ( الجراد ) بأن أرسل الله على بلاد مصر الجراد ؛ فأكل الزرع واجتاح الثمار .

٥ — ( القمل ) الذى أقض مضاجعهم وأتعبهم أيما تعب . وفى التوراة « البعوض » بدل  
القمل .

وفى البيضاوى قيل هو كبار القراد ، وقيل صغار الجراد — قبل نبات أجنتها — وعبرة  
القاموس : والقمل كسكر صغار الذر والدبا الذى لا أجنحة له أو شئ صغير بجناح أحمر ،  
وشئ يشبه الحلم لا يأكل أكل الجراد، خبيث الرائحة . أو دواب صغار كالقردان واحدها بهاء —  
أو قمل الناس . وهذا القول مردود اهـ .

٦ — ( الضفادع ) قيل انها كثرت عندهم حتى نغست عليهم عيشتهم بسقوطها فى طعامهم  
وفراشهم وبين ملابسهم .

٧ — ( الدم ) بأن استحال الماء لأهل مصر دما . وقيل الله سلط عليهم الرعاف .



٨ - ( الطمس على أموالهم ) وهو محققها واهلاكها .

٩ - ( اليد ) اذ كان يضع يده في جيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء .

وبعض المفسرين يعد الآيات على غير هذا الوجه . فيجعل « فلق البحر » من الآيات التسع . وآخرون يجعلون « انبجاس الحجر بالماء لبني اسرائيل » من الآيات التسع .

ولا يخفى أن فلق البحر انما كان بعد تمام الآيات . وانبجاس الحجر بالماء انما كان بعد هلاك فرعون . فلا يصح ان يكون آية له ولقومه . وانا أعد الآيات هكذا :

(١) السنون (٢) نقص الأموال (٣) نقص الأنفس (٤) نقص الثمرات (٥) الطوفان (٦) الجراد (٧) القمل (٨) الضفادع (٩) الدم .

واعلموا ان هذه الآيات التسع وغير الآيات التي ارسل بها موسى الى بني اسرائيل وهي المذكورة في قوله ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم ) المذكورة في سورة الاسراء . فقد فسرهما البيضاوي بأنها آيات أرسل بها موسى الى بني اسرائيل ؛ وهي أحكام أمروا بالأخذ بها آيات عقاب عوقب بها فرعون وجنوده وهو أحد وجوه أوردها في هذه الآية . وعبارته بنصها ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ) هي : العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وانفجار الماء من الحجر ، وفلق البحر ونشق الطور على بني اسرائيل . وقيل : الطوفان ، والسنون ، ونقص الثمرات ؛ مكان الثلاث الأخيرة . وعن صفوان أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببريء لدى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة ، ولا تقروا من الزحف ، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت » فقبل اليهودي يده ورجله .

فعلى هذا المراد بالآيات : الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الاعراف :** وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ [١٣٠] فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [١٣١] وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَخُنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ [١٣٢] فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ [١٣٣] وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا

عَهْدَ عِنْدَكَ لَنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَسُرَّسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ [١٣٤] فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ [١٣٥] .

**سورة الاسراء :** وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْجُورًا [١٠١] قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا [١٠٢] .

**سورة طه :** وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى [٥٩] .

**سورة النمل :** فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ [١٣] وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ [١٤] .

**سورة القصص :** فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ [٣٦] وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ [٣٧] .

**سورة الزخرف :** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٤٦] فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ [٤٧] وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [٤٨] وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ [٤٩] فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ [٥٠] .

**سورة القمر :** وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ [٤١] كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلَّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ [٤٢] .

**سورة النازعات :** فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى [٢٠] فَكَذَّبَ وَعَصَى [٢١] <sup>(١)</sup>

(١) ذكرت التوراة الآيات التي جاء بها موسى الى فرعون وملئه وجعلتها ثنتي عشرة آية . ولما كان الاتيان بنص ذلك كله يطيل المقام ؛ أحببت ذكر تلك الآيات التي جاءت فيها مع الإشارة الى مواضع نصوصها طلبا للاختصار . واليكم ما جاء فيها : -

١ - انقلاب العصا حية ؛ وقد تقدم .

٢ - انقلاب نهر النيل دما سبعة أيام وموت السمك في النهر وثن مائه ؛ من الآية ١٤ من الاصحاح السابع - خروج ، الى آية ٢٥ منه .

## انطلاق بنى اسرائيل

ندم فرعون وقومه - رحيل فرعون في أثرهم لردهم انشقاق البحر  
عبور بنى اسرائيل على أرض البحر - اقتحام فرعون في أثرهم - انطباق  
الماء على فرعون وجنوده وغرقهم - من هو فرعون ؟ - أين موضع العبور ؟

انطلق موسى بقومه بنى اسرائيل من أرض مصر ذاهبا الى أرض فلسطين كما قال تعالى  
( وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تختشى )  
فهل كان هذا الانطلاق بناء على أمر صدر له من فرعون بعد أن أمضه الله وقومه بالعذاب الشديد  
في الآيات التسع ؟

تقول التوراة : ان ذلك كان بناء على سماح فرعون لهم بالانطلاق ليخلص من ضروب العذاب  
التي حاقت بقومه ؛ أى أن سماح فرعون لهم بالانطلاق للتخلص من شر موسى ؛ لا لأنه آمن  
برب موسى وهارون . والقرآن ساكت عن هذه النقطة .

ندم فرعون على ارسال بنى اسرائيل ، أو أنه رأى أنهم انطلقوا بلا إذن منه ، ولعله قد  
بلغه ما فعله اليهوديات بالمصريات من استعارة الحلى والزينة وعدم ردها اليهن ، فأرسل في  
المدائن حاشرين . فجمع جندا عظيما واتبع بنى اسرائيل ليردهم الى عبوديته ، وكان بنو اسرائيل  
قد بلغوا ساحل البحر الأحمر - على خليج السويس - واطلع عليهم مع شروق الشمس  
فأيقنوا بالهلاك وأن فرعون باطش بهم . فسكن موسى روعهم وضرب البحر - كما أمره الله

- 
- = ٣ - صعود الضفادع من النهر الى أرض مصر ومضايقتها للمصريين حتى غطت أرض مصر ؛ من  
أول الاصحاح الثامن الى الآية ١٥ منه .  
٤ - كثرة البعوض بأرض مصر على الناس والبهائم - ولعله المعبر عنه بالقمل - والبعوض  
هو الذى يعبر الناس عنه بالبق ؛ من الآية ١٦ اصحاح ٨ الى آخر الآية ١٩ منه .  
٥ - كثرة الذباب فى أرض مصر وبيوت المصريين كثرة فاحشة حتى تنغص عيشهم ؛ فى  
الآية ٢٠ من الاصحاح الثامن - خروج الى آخر الآية ٢٤ منه .  
٦ - تفشى الوباء فى مواشى المصريين من الحيل والحمير والجمال والبقر والغنم ؛ من أول الاصحاح  
التاسع الى الآية ٧ منه .  
٧ - فشو الدماميل فى الناس والبهائم ؛ من الآية ٨ من الاصحاح التاسع من سفر الخروج الى  
الآية ١٢ منه .  
٨ - نزول البرد العظيم يهلك ما أصاب من المواشى والنساص ؛ من الآية ١٣ من الاصحاح  
التاسع خروج الى الآية الخامسة والثلاثين منه .  
٩ - وجود الجراد بكثرة وأكله الزرع والثمار ؛ من أول الاصحاح العاشر من سفر الخروج الى  
الآية ١٥ منه .  
١٠ - اظلام أرض مصر ثلاثة أيام ؛ من الآية ٢١ من الاصحاح العاشر الى الآية ٢٣ منه .  
١١ - موت كل بكر من الناس والبهائم فى مصر ؛ من أول الاصحاح الحادى عشر من سفر  
الخروج الى الآية ٢٩ من الاصحاح الثانى عشر .  
١٢ - اليد علم أمرها مما تقدم .

تعالى — فاتفق حتى ظهرت أرضه ، وأمر بنى إسرائيل بالعبور فيه فعبروا من الشاطئ الغربى الى الشاطئ الشرقى . وأشرف فى ذلك الحين فرعون على الموضع الذى عبر منه بنو إسرائيل ، فرأى طريقا فى البحر لا وعورة فيه ، وبنى إسرائيل بين فرقى الماء لم يسهم أذى . فطمع أن يعبر فى أثرهم فيردهم هو وجنوده . فاقتحموا الطريق اليابس فى البحر خلف بنى إسرائيل . فلما جاز بنو إسرائيل البحر — ولم يبق أحد منهم بين المياه المنحسرة ، وفرعون قد توسط البحر هو وجنوده انطبق البحر عليهم وعاد كما كان أولا . وغرق فرعون وجنوده ولم يفلت منهم أحد ممن اقتحم الماء . فى ذلك الوقت الذى أدرك فيه فرعون الغرق . قال ( آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ) .

والذى أعتقد أنه فرعون أراد أن يدفع عن نفسه الغرق بهذه الكلمة التى نطق بها دون أن يعتقد ، مقدرا أنه بذلك يخدع موسى والله ويمثل فى هذه المرة الأدوار التى مثلها من قبل لأنه وقومه كانوا يقولون لموسى ( ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ) الخ . ويقولون لموسى ( يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ) فكان الله يكشف عنهم البلاء ثم يعودون سيرتهم الأولى . فظن أنه ينجو فى هذه المرة بمثل الخديعة التى كان ينجو بها أولا . ولا يعجبني قول الجلال الدوانى « ان فرعون ناج لأنه آمن » والله تعالى يقول ( وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ) وقال تعالى ( يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ) وفرعون لم يكسب فى إيمانه خيرا بفرض أنه آمن .

### رأى فى فرعون صاحب موسى

لقد كتبت فى الطبعة الأولى ما عرفته عن فرعون الذى كان فى زمن موسى عليه السلام . ونقلت ما كتبه المونسنيور لويس ملحمة فى اهرام ٧ مايو سنة ١٩٣٢ عن « فرعون الاضطهاد » و « فرعون الخروج » .

ولكنى الآن أردت أن آتى البيوت من أبوابها ، عملا بعموم قول الله تعالى ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) فذهبت الى دار الآثار وقابلت حضرة الفاضل أحمد يوسف أحمد أفندى المصور بدار الآثار المصرية وقد نقلت من كتاب له عنوانه « كتاب فرعون موسى — قصة الولادة والرسالة — والخروج » وهو تحت الطبع ما يأتى :

لم يبق شك فى أن يوسف الصديق عليه السلام قد دخل مصر فى عهد الأسرة السادسة عشرة فى أيام أحد ملوكها المدعو « ابابى الأول » وقد وجدت لوحة أثرية عبارة عن شاهد مقبرة ذكر فيها اسم « فوتى فارع » وهو المذكور فى التوراة « فوطيفار — عزيز مصر » كما استدل

من بعض آثار عن الأسرة السابعة عشرة على حدوث جذب في مصر قبل هذه الأسرة . وهو ما ذكر في القرآن والتوراة عن سنن القحط .

أذن فدخل يوسف يمكن تحديده قريبا من سنة ١٦٠٠ ق م في عهد الملك ابابى المذكور . ويكون دخول بنى اسرائيل بعد ذلك بنحو ما يقرب من ٢٧ عاما ، وهى المدة التى أقامها يوسف فى بيت سيده مضموما إليها المدة التى أقامها فى السجن ، يضم الى ذلك مدة الرخاء والخصب ثم بعض مدة الجذب الى أن قال لآخوته ( واثنتونى بأهلكم أجمعين ) .

وإذا اطلعنا على حياة ملوك الفراعنة فيما بين هذه الأسرة والأسرة التاسعة عشرة لم نجد أيضا ذكرا ثبت أى اضطهاد حدث لقوم اسرائيل . ولا أى ذكر لهم أثناء ذلك .

ولكن التوراة تذكر ان فرعون مصر الذى اضطهد بنى اسرائيل . كان يستخدمهم فى بناء مدينتين رعسيس وفيثوم . وقد ثبت من الحفائر الأثرية وجود مدينة باسم « فيثوم » أو « بر — توم » ومعناها بيت الاله توم . ومدينة أخرى باسم « بررعسيس » أى بيت أو قصر رعسيس . والأولى اكتشفت بواسطة العالم الفرنسى « نافيل » فى سنة ١٨٨٣ وموضعها تل المسخوطة الآن — فى مديرية الشرقية — والثانية اكتشفت بواسطة العالم المصرى الأستاذ محمود حمزة فى سنة ١٩٢٨ — وموضعها بلدة « قنتير » — وتسمى بالمصرى القديم « خنت نفر » أو الوسط الجميل . وأيضا ( بررعسيس ) وهى التى بناها رعسيس الثانى لتكون عاصمة لملكه فى مصر فى وسط الوجه البحرى — ليكون بها قريبا من الحدود المصرية لتساعده على صد الأعداء — كما انه أيضا بنى مدينة « فيثوم » واتضح من وجود بعض آثار الجدران فى المدينة انها أيضا كانت حصنا مصرية . وتكون التوراة قد أخطأت فى حسابها مخازن للعلال .

وأذن فرعسيس الثانى قد يعتبر الفرعون الذى اضطهد بنى اسرائيل وولد موسى فى زمنه . ويضاف الى ذلك عداؤه الشديد للشعوب الآسيوية التى ظل يحاربها متغيبا عن مصر زهاء تسع سنوات . وقد يكون كرهه لبنى اسرائيل المقيمين فى مصر مترتبا على خشيته من أن يكون حزبا ممالئا لأعدائه المواطنين لهم من قبل ، ولا سيما وقد تكاثروا فى عددهم وتناسلوا حتى كانت لهم جالية تشمل جزءا عظيما من مديرية الشرقية .

وحيث أن الملك رعسيس الثانى قد اشرك ابنه الملك « منفتاح » معه فى الحكم قبل وفاته وكان « منفتاح » الولد الثالث عشر لرعسيس . وقد بلغ أولاده ١٥١ وكان مسنا حين ولايته للعهد . فيكون قد عاصر موسى فى بيت أبيه . وبحق قال لموسى ( ألم نربك فىنا وليدا ولبث فىنا من عمرك سنين ) ويكون منفتاح هو فرعون الخروج . الذى أرسل اليه موسى وهرون عليهما السلام لاجراج بنى اسرائيل من مصر . وتكون التوراة على صواب عند ما قالت : وفى هذه الأثناء كان ملك مصر قد مات .

وقد عثر العلامة فلندرس بترى على حجر من الجرانيت القاتم ورقمه في الدار « ٥٩٩ » وهو عبارة عن لوحة كبيرة يبلغ ارتفاعها ٣ أمتار و ١٤ سم وهو منقوش من الوجهين أحدهما للملك « امنحبت » الثالث من الأسرة ١٨ يذكر فيه كل ما عمله لمعبد آمون .

أما الوجه الآخر فقد استعمل في شأن « منفتاح » بن رعسيس الثاني من « الأسرة ١٩ » وذكر فيه عبارات بأسلوب شعري يفخر فيها بانتصاره على اللبيين ، ويشير الى سقوط عسقلان وجيزر ويانوعيم في فلسطين . وجاء من ضمنها عبارة تشير الى بنى اسرائيل ونصها الحرفي ( لقد سحق بنو اسرائيل ولم يبق لهم بذر ) وهذا أول نص رسمى في الآثار ذكر فيه بنو اسرائيل . وقد عثر على هذا الحجر في كوم الحيتان بطيبة الأقصر .

وهذا الحجر يبدو منه للمدقق أن « منفتاح » لم يكتبه في عهده . والا لكانت لهذه الحوادث الهامة التى يذكرها فيه شأن عظيم كان يجب أن يدون في أثر خاص . لا أن يستعمل له حجر كان لغيره من قبل .

ويظهر أن الكهنة التابعين لمنفتاح هم الذين استعملوا هذا الحجر ودونوا ما به ليشيدوا بذكره ، فيقوموا بذلك بواجب التخليد حيث لم يكن منتظرا أن يموت الملك بتلك الصورة المعجلة التى مات بها . وقد أرادوا أن يوهموا الناس ان فرعون قد سحق بنى اسرائيل تمويها وقلبا للحقائق ، حتى يستروا أمام الشعب المصرى الذى كان يحترم دياتهم خذلانهم وخذلان الهمهم أمام موسى ، حين كان فرعون يتعقب بنى اسرائيل .

ويكون العثور على جثة « منفتاح » ووجودها الآن بالمتحف المصرى ، مصداقا لقول القرآن الكريم « فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية » .

وقد وجدت الجثة مع غيرها من الجثث في قبر « امنحبت الثانى » بالأقصر .

وظهر من آثار قبر منفتاح انه لم يكن مهياً كما يجب لدفن ملك مثله ؛ لأن موته لم يكن منتظرا فلم يهيا له قبر خاص اه من الكتاب المذكور .

أما موضع العبور فلم يعلم بالضبط . والتوراة تورد أسماء أمكنة مر بها بنو اسرائيل حتى أتوا الى مكان العبور . وهذه الأمكنة ليست مسمياتها معروفة اليوم . والبحارة في البحر الأحمر يسمون مكانا في خليج السويس ( بركة فرعون ) ويقولون ان العبور كان بها وهى بعيدة عن السويس كثيرا تمر بها السفن البخارية بعد نصف الليل اذا قامت من السويس فى المساء وانى لأستبعد ذلك كثيرا وأعتقد أن خليج السويس كان يمتد من تلك الأزمان الى البحيرة المرة أو يقرب منها وفى هذا الخليج من تلك الناحية كان عبورهم . وبعبارة أخرى انهم عبروا مكان شمالي المكان المعروف بـ « عيون موسى » فى البر الآسيوى وهى لا تبعد عن السويس كثيرا .

وبين يدي اطلس تاريخي للأستاذ محمد رفعت « مساعد مراقب تعليم البنات في وزارة المعارف الآن سنة ١٩٣٦ » وقد رسم فيه طريق عبور بني اسرائيل بين السويس وبين البحيرة المرة ، ورسم خطين يدلان على ان خليج السويس كان متصلا بالبحيرة المرة . واحسب انه على صواب .

وتقول التوراة : ان الله أرسل ريحا شرقية على البحر فأزالت الماء حتى ظهرت اليابسة ، وعبر بنو اسرائيل فتبعهم فرعون ففرق .

وعلى كل حال ؛ فالآية ظاهرة واضحة ، سواء أكان ذلك بسبب ضرب موسى البحر أو بهبوب الريح بالكيفية التي شرحتها التوراة . فان الناس لم يعمدوا ان الريح عملت هذا العمل في الخليج مرة أخرى . فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة من الله تعالى لانفاذ ما في علمه <sup>(١)</sup> .

(١) نقد اللجنة الموضوع الاول ،

#### ( انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام )

في صفحة ٢٠٠ ما نصه : وتقول التوراة ان الله أرسل ريحا شرقية على البحر فأزالت الماء حتى ظهرت اليابسة ، وعبر بنو اسرائيل فتبعهم فرعون ففرق .

وقال بعد ذلك ما نصه : وعلى كل حال فالآية ظاهرة واضحة سواء كان ذلك بسبب ضرب موسى البحر أو بهبوب الريح بالكيفية التي شرحتها التوراة ، فان الناس لم يعمدوا ان الريح عملت هذا العمل في هذا الخليج مرة أخرى فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة من الله تعالى لانفاذ ما في علمه . انتهى بالحرف الواحد .

#### رأى اللجنة

والذى نراه أن مثل هذه العبارة لا ينبغي أن تصدر منه ، بل يجب أن ينزه عنها قلم فضيلة المؤلف ؛ لأنها ان لم تكن صريحة في افادة احتمال كذب ما جاء به القرآن الكريم فهي موهمة لذلك ، اذ أنه بهذه العبارة ردد في سبب فلق البحر - الذى هو معجزة لموسى عليه السلام - بين أن يكون ذلك السبب هو ضرب موسى البحر - أى كما جاء به القرآن الكريم - وبين أن يكون ذلك السبب هو هبوب الريح - أى كما جاء في التوراة - فكانه يقول : سواء كان الواقع ما جاء به القرآن فيكون هو الصادق أو ما جاءت به التوراة فتكون هي الصادقة ! ولولا أننا نعرف فضيلة المؤلف شخصيا وتذكرنا ما ذكره في مقدمة كتابه في البند الثالث من أن القرآن الكريم جاء مهيمنا على غيره من الكتب فلا يعول على ما خالفه ، لأسأنا الظن ! من أجل ذلك فكرنا في تأويل هذه العبارة كثيرا لتؤدى معنى يطابق العقيدة الاسلامية . فمن الاحتمالات التى خطرت فى البال أن مراده منها أن المعجزة ثابتة - سواء كان ذلك بسبب ضرب موسى البحر كما هو الصحيح فى الواقع - ويكون الغرض من ذلك اثبات المعجزة فى اعتقاد الفريقين وهذا الاحتمال وان كان بعيدا جدا من منطوق العبارة لأنه يحتاج الى عدة تقارير وتقييدات فى عبارته فهو متعين .

لا يقال يمكن صحة ما جاء به القرآن وما جاءت به التوراة معا ؛ فتحمل عبارته على تجويز الجمع بين الأمرين ؛ لأن ضرب موسى البحر بعصاه ورد فى التوراة أيضا - كما يؤخذ مما ذكره بعد ذلك « صفحة ٢٠٣ » ، فى تلخيص الاصحاح الرابع عشر من سفر الخروج ، فانه يقول ما نصه :

فاوحى الله اليه أنهم ناجون وأن فرعون وجنده مغرقون ، وحال بين فرعون وبينهم وضرب موسى البحر فأجرى الله ريحا شرقية قوية طول الليل حتى جعلت فى البحر طريقا يابسة ، وسار فيه موسى وبنو اسرائيل على اليبس ، والماء كالسور على يمينهم وشمالهم الخ ا ه =

والذى أزيده من ذلك أن الآية واضحة جلية سواء نظر فيها المسلم الى قرآنه ، أو نظر فيها الكتابى الى توراته — ولا حجة للملاحدة الذين يتعلقون بعبارة التوراة ، فيقولون ان السبب هو هبوب الريح المحكى فى التوراة فلا معجزة . لأننا نقول ان المعجزة حاصلة مع فرض هبوب

= لأننا نقول هما متناقبان حتما فلا يمكن الحكم بصحتها معا . ومن قرأ قوله تعالى فى سورة الشعراء « فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين » يتيقن من غير شك أن انفلاق البحر لم يكن بسبب الريح القوية التى مكثت طول الليل حتى أزال الماء وجعلت فى البحر طريقا يابسة ، بل يتيقن أن سبب ذلك هو ضرب موسى البحر بعصاه كما أمره الله تعالى . نعم ورد فى القصة أنه حينما ضرب موسى البحر أرسل الله ريح الدبور فجفت الأرض من الوحل من غير أن يكون للريح دخل فى انفلاق البحر وإزالة الماء . والله أعلم .

### رد المؤلف على نقد اللجنة

#### الموضوع الأول

#### ( انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام )

كتب حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة فى هذا الموضوع ما هو مسطر قبل هذا وقد اعتصر أعضاء اللجنة حفظهم الله من عبارة الكتاب ما يأتى :

(١) انى أسوى بين القرآن الكريم والتوراة .

(٢) ان عبارتى تتضمن احتمالاً صدق القرآن الكريم وكذبه .

ثم أخذت اللجنة تردد فى الاحتمالات — التى عطفت على بها لتصحيح عبارتى — ولم تجد وجهاً مناسباً الى آخر ما نصت وشرحت ولم ينقذها من بين أمواج هذا الترديد سوى التخطئة لى .

وانى لاتألم لما نال حضرات أعضاء اللجنة من الحيرة والنصب بسببى ، لمحاولة تخريج قولى على وجه صحيح ، ويزيد فى ألى أنها لم تظهر بحاجتها وهى أقرب اليها من حبل الوريد . فالذى أقوله فى مقابلة ما جاءت به اللجنة الموقرة :

(١) جاء فى صفحة ٤ من كتابى ما نصه « (٣) يغلب أن أذكر ذلك الموقف أن كان له ذكر فى كتب العهد القديم أو العهد الجديد ، وهو أحياناً يوافق القرآن وأحياناً يخالفه ، ولا يغرب عن فكر القارىء الكريم أن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فما جاء به الحق الذى لا مراء فيه وكل ما يخالفه لا يعول عليه » .

وجاء فى ص ٤ أيضاً ما نصه « ان كتب العهدين : القديم والجديد ليس لهما سند متصل ولم تخل من تحريف المحرفين خطأ أو عمداً » .

لم اضع هذين النصين فى الكتاب للتحلية والزينة فحسب ، ولم أجعلهما مرآة ينظر فيها ولا تمس ولكنى أردت أن يكون ما تضمناه دستوراً يستصحبه القارىء فى أثناء قراءة الكتاب وينتفع بهما أثناء فهمه لمضمونه .

ومعلوم أن المقدمة هى أقوال تتقدم الكلام فى موضوع العلم لارتباط لها به ، وانتفاخ بها فيه ؛ فاذا لم يستعمل القارىء مضمون هذين النصين فى هذا الموضوع فمتى يستعملهما ؟

وقد جرت عادتي — اذا نهبت على مخالفة عبارة التوراة لما جاء فى القرآن الكريم — أن أنبه على أن ما جاء فى القرآن هو الحق الذى لا مرية فيه اذا كان مدى الخلاف واسعا وشقته بعيدة .

فاذا لاح لى أن الخلاف ليس من الاهمية بمكان — أو أن الجمع بينهما ممكن ولو عن بعد — وكلت حل الاشكال الى فطنة القارىء والى ما قدمت من الدستور الواجب الاتباع الذى نصصته فى المقدمة .



الريح ، لأنه لم يعهد أن عملت الريح ذلك في كل الدهر — سواء قبل الحادثة أو بعدها . فلم فعلت ذلك حين عبور بني إسرائيل فقط ؟

ويذكر المفسرون أن الطرق كانت اثني عشر طريقا بعدد أسباط بني إسرائيل . وعبرة القرآن ليست نصا فيما يقولون .

وانى أحمد الله تعالى أن جعلنى أنا والآلاف الكثيرة من الناس الذين قرءوا هذا الكتاب بحيث لم تطق عقولنا السباحة فى معانيه الا فى ساحله والسلامة فى الساحل ولم يجعل لنا من قوة الذكاء وتوقد الذهن ما يجزئنا على الغوص فى الأعماق البعيدة الغور ، فنخرج من تلك الأعماق بما يحول الكعبة مباءة كفر والحاد ، أو أن ننيخ الشرك فى دار الجهاد ؛ وربما كمننت المنن فى المحن . لا أريد أن أطيل الكلام فى الجمع بين ما جاء فى الكتاب الكريم وما جاء فى التوراة ، ولكنى أعرض لما جاء فى كتاب اللجنة من أنى سويت بين القرآن والتوراة فأقول :

ان مسلما — (ولو كان ضعيف الايمان ضعيف العقل — لا يمكن أن يسوى بين الكتابين ! فكيف بمن يعلم عن كتب أهل الكتاب وما فيها من الحلل والخطأ والتحريف ما أعلمه مما لم يتسن لكثير من أهل الاسلام أن يعلموه ؟

الكتاب الذى يتضمن : أن الابن أكبر من أبيه بسنتين ! هل يمكن أن يسوى به القرآن الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟

لا بل انى أعلم بعض المواضع التى أخطأ مترجمو كتب العهد القديم فى ترجمتها . وقد اهتمت الى ذلك بنفسى بمراجعة الأصل والترجمة . ان من يعلم ذلك لا يمكن أن يهجم فى خاطره هاجس بالتسوية بينهما ، ولا يمكن أن يسوى بينهما الا من سفه نفسه !

أما الترديد الذى جعلوا حمله جملا وحبته قبة ، فأمره أبسط مما ظنوا وهو قولى « وعلى أى حال فالآية ظاهرة واضحة » أى عند المسلمين وعند أهل الكتاب . وقولى بعد ذلك « سواء أكان ذلك بسبب ضرب موسى البحر » أى أن موسى ضرب البحر فانفلق البحر فور ضربه كما هو ظاهر نص القرآن واعتقاد المسلمين . وقولى « أو بهبوب الريح بالكيفية التى شرحتها التوراة » أى أن موسى ضرب البحر ، فأهبط الله الريح فور ضربه فأزالت الماء ، كما هو ظاهر نص التوراة وكما هو اعتقاد أهل الكتاب ، أى فالاحتمال موزع بين أهل الاسلام الذين يقولون على القرآن وأهل الكتاب الذين يقولون على التوراة . والفريقان يلتقيان فى ثبوت المعجزة وان كانا يختلفان بحسب ظاهر كتابيهما فيما صحب السبب وهو الضرب . هل كان عنه ريح أو لا ؟

وفى حال كتابتى لهذا الموضع كنت الحظ أن هناك قوما — ليسوا بمسلمين ولا بأهل كتاب — ربما تعلقوا بما فى التوراة من هبوب الريح ، فأنكروا الآية وزعموا أن الريح عملت هذا العمل . وهبوب الريح ليس معجزة أو عجيبة ، فقلت دافعا فى صدر مقالهم « فان الناس لم يعهدوا أن الريح عملت هذا العمل فى هذا الخليج مرة أخرى ، فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة من الله تعالى لانفاذ ما فى علمه » .

وفهم الكلام على هذا الوجه متعين ، وقد فهمه الآلاف من الناس . ولم يكتب الى أحد انه توهم فيه جيدا عن الحق أو جنفا عن الصراط السوى .

ظهر أن العبارة صحيحة بكل ما قدمت ، جلية لا غبار عليها . وأن ملاحظة اللجنة انما هى تحميل اللفظ ما لا يمكن أن يحتمله ، ولا يمكن أن يتوصل الى ما قالوا الا بتكلف .

وبخاصة اذا علمنا أن القاعدة : ان الكلام اذا كان يحتمل التأنييم من مائة وجه ، ويحتمل عدم التأنييم من وجه واحد ، وجب أن يصار الى الوجه الذى لا تأنييم فيه .

وفى القوانين الوضعية أن القوانين تفسر دائما فى مصلحة المتهم ، ومعاقبة برئ واحد أشد جرما من افلات مائة مجرم أثيم .

ويكفى أن الآلاف من أهل الاسلام الذين قرءوا هذا الكتاب — ومنهم علماء اعلام لهم عقول وأفهام — لم تخامرهم خلجة من الشك فى هذا الموضع . وفى فهم القراء ما يغنى عن الاطالة .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الاعراف :** فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [١٣٦] وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَبَيَّمْتُ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ [١٣٧]

**سورة يونس :** وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٩٠] أَلَا نَ وَقد عصيتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [٩١] فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ [٩٢]

**سورة الاسراء :** فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا [١٠٣] وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا [١٠٤]

**سورة طه :** وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ [٧٧] فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ [٧٨] وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ [٧٩]

**سورة الشعراء :** وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ [٥٢] فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الدَّائِنِ حَاشِرِينَ [٥٣] إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ [٥٤] وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ [٥٥] وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ [٥٦] فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [٥٧] وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ [٥٨] كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ [٥٩] فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [٦٠] فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُثَاءِ قَالَ أُوْصَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ [٦١] قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [٦٢] فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ [٦٣] وَأَرْأَيْنَا لَمَّا الْآخِرِينَ [٦٤] وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ [٦٥] ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ [٦٦] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ [٦٧] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [٦٨]

**سورة النقص :** وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ [٣٩]  
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [٤٠]

**سورة الزخرف :** فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ [٥٥] فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا  
وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ [٥٦]

**سورة الدخان :** وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ [١٧] أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ  
اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [١٨] وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ [١٩] وَإِنِّي  
عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُونَ [٢٠] وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ [٢١] فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَا يَهْدِي  
قَوْمَ الْفَاسِقِينَ [٢٢] فَأَنْسِرُ الْعِبَادَ لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ [٢٣] وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ  
مُغْرَقُونَ [٢٤] كَمْ تَرَ كُوفًا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ [٢٥] وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ [٢٦] وَلَنْعَمَ كَانُوا فِيهَا  
فَآكِهِينَ [٢٧] كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ [٢٨] فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا  
مُنْظَرِينَ [٢٩] وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ [٣٠] مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ  
عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ [٣١]

**سورة الدَّهْرِيَّات :** وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ [٣٨] فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ  
سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ [٣٩] فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ [٤٠]

طبيعي أن يفهم ان فرح بنى اسرائيل كان عظيما جدا بنجاتهم بهذه الأعجوبة وهلاك فرعون  
وجنوده في اليم ، حتى صاروا سلفا ومثلا للآخرين على مرّ الدهور وتعاقب الحقب .

وقد ذكرت التوراة نجات بنى اسرائيل وهلاك فرعون « وفي الاصحاح الرابع عشر من سفر  
الخروج » ويلخص في أن بنى اسرائيل ضلوا طريق فلسطين ، وكان ملك الله يسير أمامهم في  
عمود دخان نهارا وفي عمود نار ليلا ؛ ليضئ لهم . ثم أمرهم الله بالعودة الى مكان خاص  
وغضب فرعون من انطلاقهم ؛ فجمع جنوده وخيله ومركباته قاصدا رد بنى اسرائيل الى  
العبودية والذل . فلما رأى بنو اسرائيل فرعون وجنوده ذعروا وفرعوا الى موسى ، فأوحى الله  
اليه أنهم ناجون وأن فرعون وجنوده مغرقون . وحال بين فرعون وبينهم وضرب موسى البحر  
فأجرى الله تعالى ريحا شرقية قوية طول الليل ، حتى جعلت في البحر طريقا يابسة ، وسار فيها  
موسى وبنو اسرائيل على اليبس ، والماء كالسور عن يمينهم وعن شمالهم . فساروا فيه حتى عبروا

الى الضفة الأخرى ، وراحهم فرعون يسيرون على اليابسة فسار في أثرهم ، فلما توسط اليم وعبر بنو اسرائيل جميعا انطبق الماء على فرعون وجنده فأغرقوا جميعا .  
ومعلوم انه اذا تخالف ما في التوراة والقرآن فالمعول على ما جاء في القرآن لأنه جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئا عليه .

« وفي الاصحاح الخامس عشر » فرح بنو اسرائيل وأعلنوا فرحهم مترنمين بتسبيح الله تعالى . وأخذت مريم أخت هارون الدف وخرج جميع النساء وراءها يدقن ويرقصن لنجاتهم وهلاك عدوهم .

### سوء حال فرعون وقومه يوم القيامة وما أعد الله لهم من الخزي والنكال

لا يحتاج الى شرح ولا الى تعليق ما جاء في الكتاب الكريم من الآيات متعلقا بسأل فرعون وقومه : وما أعد الله تعالى لهم من سوء العذاب وأليم العقاب في الدار الآخرة .  
وحسبنا في ذلك أن نقول :

اقرأوا الكتاب ففيه عبرة لأولى الألباب :

**سورة هود :** وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ [٩٦] إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ [٩٧] يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ [٩٨] وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ [٩٩]  
**سورة القصص :** وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ [٤١] وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ [٤٢]

**سورة غافر :** وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ [٤٥] النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ [٤٦] وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ [٤٧] قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعَمِيدِ [٤٨] وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزَانَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ [٤٩] قَالُوا أَوْ كَمْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ [٥٠] إِنَّا لَنَنصِرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [٥١] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [٥٢]

سورة الدخان : إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ [٤٣] طَعَامُ الْأُنْيَمِ [٤٤] كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ [٤٥]  
كَغَلِي الْحَمِيمِ [٤٦] خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ [٤٧] ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ  
الْحَمِيمِ [٤٨] ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [٤٩] إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ [٥٠]

## لصوق الوثنية

### بقلوب فريق من بني إسرائيل على عهد موسى

طلبهم الى موسى أن يجعل لهم ألهة كما للناس آلهة حين مروا على قوم  
يعكفون على أصنام لهم - توبيخ موسى لهم على طلبهم الها غير الله الذي أنجاهم  
من سوء العذاب وفضلهم على العالمين - تفجير العيون من الصخر بعدد قبائل  
بني إسرائيل - انزال المن والسلوى عليهم في برية سيناء - تظليل الغمام  
لهم من حر الشمس - طلبهم أن يطعمهم الله تعالى القوم « الثوم »  
والقثاء والعدس والبصل .

كان بنو إسرائيل قد ألفوا وثنية المصريين وقلدوهم في وثنتهم شأن المغلوب في تقليد  
الغالب ولم يؤمن بموسى واليه الا ذرية من قومه على حال رهبة من فرعون وشيوخ بني إسرائيل  
ان يفتنهم عن دينهم ويردهم الى الوثنية كما قال تعالى ( فما آمن لموسى الا ذرية من قومه  
على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ) باعتبار الضير « في ملئهم » راجعا الى قوم موسى . ولم  
تكن العجائب التي ضرب الله بها فرعون وقومه لتزجرهم عن تلك الوثنية التي طال الفهم لها .  
ما بالكم بقوم لقوا من المصريين ألوان العذاب من الذل والاهانة ، وجاءهم منقذ منهم هو  
موسى . وقد لقي الأمرين في اتقاذهم من العذاب الأليم ، وتحمل في سبيل ذلك الاهانة والسخرية  
والتهديد بالقتل والتكذيب ، ورمى بأنه ساحر مجنون ، وألقى على فرعون وقومه الدروس  
القاسية بآياته البينات الدالة على صدقه ، ورأوا بأعينهم انفلاق البحر لهم حتى جازوه على ييس  
قاعه لم تبطل أقدامهم ولا نعالهم ولم يفقدوا ثيابهم ولا قطميرا - بل خدعوا نساء المصريين  
واستعاروا منهن الحلى من الذهب والفضة وذهبوا بذلك المال كله كما ذهب الأسير بقيده !  
ولما أراد فرعون أن يدرهم ويردهم الى عبوديته وطمع أن يعبر كما عبروا أطبق الله عليه  
وعلى جنوده الماء فكانوا من المغرقين !

كل ذلك يجرى أمام أعينهم وموسى يتخولهم بالنصح والموعظة . ويقول لهم ان كل الأعمال  
التي عملها انما هي من صنع الههم واله آبائهم الواحد الحي المنزه عن الشريك والمعين . ورمال  
البحر الرطبة لا تزال عالقة بنعالهم ! مع هذا كله غلبت عليهم الوثنية اللاصقة بقلوبهم وغلبت  
عليهم بلاذة الطبع وما ركز في طبيعتهم من السخف وما استولى على أنفسهم من الغثاء !

أجل غلبت عليهم كل هذه الخصال الذميمة ودفعتهم الى أن يطلبوا من موسى - وقد مروا على قوم يعبدون الأصنام - أن يتخذ لهم الها كما لهؤلاء القوم آلهة !

لا جرم كان جواب موسى لهم تجهيلاً ولوما وذماً على طلبهم الها سوى الله الذى فعل بعدوهم العجائب المدهشة ، وأنجاهم من عذابه بأعجوبة الأعاجيب وخصهم بالأكرام . وفضلهم على العالمين . وان الها هذه آياته وهذا احسانه اليهم لا يعدل عن عبادته الى عبادة غيره الا من سفه نفسه وسجل عليها من الجهل عاراً لا يمحي !

ولما كان القوم قد عبروا الى سهول شبه جزيرة سيناء والشمس فيها شديدة - ولا مساكن يكتن فيها القوم ، ولا شجر يتقيأون ظلاله - شكوا الى موسى ما يلقون من العناء فدعا موسى ربه فساق الغمام الى ذلك المكان ليظلهم ويقبهم وهج الشمس ودام ذلك لهم !

ولما كان زادهم عرضة للنفاذ وتاقت أنفسهم الى اللحم - مع خشيتهم الجوع والهلاك - أرسل الله لهم الرياح تحمل لهم المن والسلوى . والمن مادة تتزهر على أوراق بعض الأشجار مثل الطرفاء وغيرها ، يميل طعمها الى الحلاوة فيها لين وهى سهلة الهضم . والسلوى طائر السماني كان يغطي الأرض فيأخذ منه كل انسان حاجته . وقد أمرهم أن لا يطفوا فيه بالادخار ؛ لأن ذلك من سوء الظن بالله فخالف قوم منهم وادخروا فداد ما ذخروه - كما بين ذلك في سفر الخروج -

ولما جازوا البحر وجاءوا الى الشاطئ الشرقى لم يجدوا ماء لشربهم وسقيا دوابهم ، فشكوا الى موسى متذمرين واستسقوه فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فلما ضربه انبجست منه اثنتا عشرة عينا ، لكل من الأسباط عين تجرى بالماء يشرب منها . وهذه العيون بالبر الشرقى غير بعيدة من مدينة السويس شهيرة بـ ( عيون موسى ) وقل اليوم ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره . ويزرع على تلك المياه بعض النخيل . والظاهر ان ضرب الحجر وانبجاسه بالماء حصل مرات .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة البقرة :** وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ [٦١]

**سورة الاعراف :** وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [١٣٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَرُونَ مَّا فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٣٩] قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [١٤٠]

**سورة الاعراف :** وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ [١٥٩] وَقَطَعْنَا مِنْهُمُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَسَبًا فَأُوتِيتُ إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَسَبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [١٦٠]

**سورة طه :** يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى [٨٠] كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى [٨١] وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [٨٢]

قد يكون طلبهم البقول والعدس والبصل وأخواتها وسيلة من الله تعالى لتتبيهم الى أن طلبهم لا يكون الا اذا نزلوا مصرا من الأمصار . تجبى اليه ثمرات ريفه . وتجلب اليه خيرات الأرض الزراعية القريبة منه ، حتى اذا علموا بذلك كان مغريا لهم بمنازلة أعدائهم ومكاثرتهم حتى يملكوا عليهم مدينتهم للارتفاع بريفها والحاصلات التي تجبى اليها . ولكن ذلك لم يوقظ همتهم التي أخمدتها ظلم فرعون وآله وما صب على رؤوسهم من المصائب في الأحقاب الطويلة التي جعلت الخنوع والذلة خلقا مركزا فيهم .

وسياتى لذلك فضل بيان عند طلب موسى اليهم دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم

### ذهاب موسى عن بني إسرائيل

(لميقات ربه . وكتابة الله تعالى له ألواحاً متضمنة الوصايا التي يطلب إلى بني إسرائيل العمل بها)

أوصى الله موسى أن يصعد الى الجبل ويمكث فيه ثلاثين ليلة ، حتى اذا أتمها أعطاه الله ألواحاً وكتب له فيها الوصايا التي يأخذ بها بنو إسرائيل أنفسهم وأعقابهم من بعدهم .

ذكر البيضاوى والنسفى والخطيب والألوسى — وعباراتهم متفاوتة — ان موسى وعد قومه بنى إسرائيل — وهم بمصر — ان أهلك الله فرعون أتاهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه الكتاب ، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً وهى شهر ذى القعدة — فلما أتى الثلاثين أنكر موسى خلوف فمه ، فاستاك أو أكل بعض النبات فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك ، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة .

وأخرج الديلمي عن ابن عباس يرفعه لما أتى موسى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين وقد صام نهارهن ولياليهن كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم ، فتناول من نبات الأرض فمضغه فقال له ربه لم أفطرت ؟ وهو أعلم بالذي كان ، قال أى رب كرهت أن أكلمك الا وفى طيب الريح ، قال او ما علمت يا موسى ان ريح فم الصائم عندى اطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرة أيام ثم ائتني ففعل موسى عليه السلام الذى أمره ربه به اهـ .

وذلك مصداق قوله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » .

وقبل ذهاب موسى لميقات ربه أمر أخاه هارون أن يكون خليفة على بنى اسرائيل وأكد عليه الأمر بالنظر فى مصالحهم وشؤونهم واليقظة فى أمرهم .

وبعد تمام الأربعين كلم موسى ربه فقال ( رب ارنى أنظر اليك ) أى مكنى من رؤيتك أو تجل لى فأنظر اليك وأراك : فقال الله تعالى له ( لن ترانى ولكن انظر الى الجبل . فان استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ) .

وهنا مجال واسع للكلام بين أهل السنة المجوزين لرؤية الله تعالى والمعتزلة المانعين لها « وهذا مبحث يرى فى موضعه لا هنا » .

ويقول المفسرون : كيف يطلب موسى رؤية الله مع علمه بأنها غير ممكنة ؟ ويستدلون بذلك على جوازها ، والا لما طلبها موسى . كأن موسى بمجرد نبوته صار عالما بكل شئ . وما دروا أن موسى كان عليه أمور كثيرة ينبغى أن يعلمها . واذا كان حاله مع العبد الصالح أن قال له لما شاء صحبتته ( هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ) أفما كان موسى محتاجا ان يتعلم من الله وعن الله شيئا حتى يقال انه يعلم ان الرؤية ممكنة ولولا ذلك ما سألها ؟

ويعجبني ما أورده الألوسى من قول المعتزلة : سلمنا أن سؤال الرؤيا ينافى العلم بالاحالة لكننا نلتزم القول بعدم العلم ، وهو غير قادح فى نبوته عليه السلام ، فان النبوة لا تتوقف على العلم بجميع العقائد الحقة ، أو جميع ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز . بل علمه ما يتوقف عليه الغرض من البعثة والدعوة الى الله تعالى وهو وحدانيته . وتكليف عباده الأوامر والنواهي تحريضا لهم على النعيم المقيم . وليس امتناع الرؤيا من هذا القبيل <sup>(١)</sup> .

(١) نقد اللجنة « الموضوع العاشر » .

#### ( طلب موسى عليه السلام رؤية البارى تعالى )

« فى صفحة ٢٠٩ سطر ١٣ » ويقول المفسرون كيف يطلب موسى رؤية الله مع علمه بأنها غير ممكنة ؟ ويستدلون بذلك على جوازها والا لما طلبها موسى . كأن موسى بمجرد نبوته صار عالما بكل شئ ، وما دروا أن موسى كان عليه أمور كثيرة ينبغى أن يعلمها ، واذا كان حاله مع العبد الصالح أن قال له لما شاء صحبتته ( هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ) أفما كان موسى محتاجا أن يتعلم من الله شيئا حتى يقال انه يعلم أن الرؤية ممكنة ولولا ذلك ما سألها ؟ =



أعلن الله انه لن يراه . اما لأن الرؤية غير ممكنة اصلا كما يقول المعتزلة ، واما لأنها غير ممكنة في هذه النشأة — كما يقول بعض العلماء — أو لأنه لا يقوى على تلك الرؤية . ثم أراد

= ويعجبني قول الألوسي : سلمنا أن سؤال الرؤية ينافي العلم بالاحالة لكننا نلتزم القول بعدم العلم ، وهو غير قادح في نبوته عليه السلام فان النبوة لا تتوقف على العلم بجميع العقائد الحقّة أو جميع ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز . بل علمه ما يتوقف عليه الغرض من البعثة والدعوة الى الله تعالى وهو وحدانيته وتكليف عباده الأوامر والنواهي تحريضا لهم على النعيم المقيم . وليس امتناع الرؤية من هذا القبيل اهـ هذا نص كلامه بالحرف .

### ( رأى اللجّة )

لا نعجب من أنه اختار أنه لا مانع من أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم استحالة رؤية الباري تعالى لأن المعتزلة سبقوه بهذا الرأي، وانما العجب كل العجب من قول « ويعجبني قول الألوسي سلمنا الخ ما نقلناه عنه ، فإن الناظر في كلامه هذا وتعرفه في النقل يعتقد — اذا لم يطلع على كلام الألوسي من أوله الى آخره — أنه ؛ أي الألوسي ، يرى هذا الرأي ويعتقد هذا الاعتقاد ، مع أن الألوسي بعد أن قرر استدلال أهل السنة بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ) على جواز رؤية الباري من وجهين .

قال بعد بيانه للوجهين ما نصه : وائترض الخصوم الوجه الأول بوجوه : الأول . . . الى أن قال : الخامس سلمنا . . . الى آخر ما نقل . عنه الاستاذ وبعد أن أتم ذكر جميع اعتراضات الخصوم — أي المعتزلة — أجاب عن كل واحد منها الى أن قال : وما ذكروه في الوجه الخامس ظاهر رده من تقرير الوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما أهل السنة ، وحاصله أنه يلزمهم أن يكون التكليم عليه السلام دون آحاد المعتزلة علما ودون من حصل طرفا من الكلام في معرفة ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز عليه . وهذه كلمة حمقاء وطريقة عجواء لا يسلكها أحد من العقلاء فان كون الأنبياء أعلم ممن عداهم بذاته وصفاته العلية مما لا ينبغي أن ينتطح فيه كبشان . اهـ كلام الألوسي في تفسيره مأخوذا من شرح المواقف ، ويكاد يكون بالحروف . وعبارة المواقف في جواب هذا الاعتراض الخامس هكذا .

والجواب : التزام أن النبي المصطفى المختار بالتكليم في معرفة الله وما يجوز عليه ويمتنع دون آحاد المعتزلة ، ودون من حصل طرفا من علم الكلام ؛ هي البسطة الشنعاء والطريقة العجواء التي لا يسلكها واحد من العقلاء اهـ

فلعل الاستاذ نقل كلام الألوسي من غير أن يطلع على صدره ليعلم أنه من اعتراضات المعتزلة؟ ولا على آخره ليعلم الجواب عنه فلا يعجبه . ولاتستطيع القول بأنه اطلع عليه من أوله الى آخره وتصرف في النقل هذا التصرف الذي يعتبر تدليسا غير حميد والله أعلم !

وأما قوله في الرد على أهل السنة « وما دروا أن موسى كان عليه أمور كثيرة ينبغي أن يعلمها فمردود فان ذلك في غير معرفة الله تعالى ، أي معرفة ما يجب في حقه ويستحيل ويجوز فان هذه عقائد أولية مكلف بها آحاد الناس ، ثم لا يخفى أن مثل هذا التعبير لا ينداسب في حق موسى عليه الصلاة والسلام .

وأما قوله « واذا كان حاله مع العبد الصالح الخ » فيعلم جوابه مما ذكرناه أولا ومع ذلك نزيده بيانا . قرر الأئمة أنه لا يعقل أن يطلب موسى عليه السلام من العبد الصالح أن يعلمه شيئا من العقائد الدينية أو من الشريعة اللازمة لمن أرسل اليهم ، فان موسى من أولى العزم ؛ أي ممن هم أفضل من غيرهم من الرسل ، فيجب أن يكون فيما ذكرناه أعلم من العبد الصالح ، وانما طلب أن يتعلم منه شيئا من الاسرار الكونية ومن علم الحقيقة والعلم اللدني الباطني قالوا ؛ ولا مانع من أن يكون =

الله أن يعلمه انه انما طلب شيئا عظيما لا تتحمله الجبال فتجلى الله للجبل فصار دكا — أى غاص في الأرض أو تقطعت وخر موسى مغشيا عليه كما يخر من أخذته الصاعقة وذلك لما هاله من صوت ما عرا الجبل حين صار دكا . ( فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين ) بعظمتك وجلالك .

= العبد الصالح أعلم من موسى في هذا النوع كما أن موسى أعلم منه في النوع الأول . ولذلك رجع المحققون أن ذلك العبد الصالح وهو الخضر كان نبيا حتى لا يلزم أفضلية الولي على النبي في علم الحقيقة . أما الأنبياء فلا مانع من تفاوتهم في هذا النوع ، بل لا مانع من أن يوجد في المفضل ميزة في هذا العلم لا توجد في الفاضل .

وان أردت زيادة تحقيق في هذا المقام فعليك بالألوسي في تفسير هذه الآية والله أعلم .

### رد المؤلف على نقد اللجنة

#### الموضوع العاشر

#### ( طلب موسى رؤية الباري تعالى )

كتب أصحاب الفضيلة ما سطر قبل هذا وقد جاء فيه « لا نعجب من أنه اختار أنه لا مانع من أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم استحالة رؤية الباري تعالى ؛ لأن المعتزلة سبقوه بهذا الرأي الخ . » كأنهم بهذا القول ينالون مني ويغضونني الى الناس والى نفسي !

وانى أقول لحضراتهم انى لو كنت أرى رأى المعتزلة لبدرت باظهاره دون أن أخشى لومة لائم كما فعل جار الله الزمخشري . واذا كنت لا أخشى الله الذى برأى وسوانى « فى نظر اللجنة » فكيف أخشى عبده وهم لا يملكون لى موتا ولا حياة ولا نشورا ؟

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل من المؤمن ايمانه دون أن يسأله عن أن الله تمكن رؤيته أو لا تمكن ؟ وما أثار هذا الخلاف سوى سلف القدريه ، وهذا ما أخذه عليهم وأنقمه من عملهم فعليهم ما حملوا وعلى غيرهم ما حمل . ومع ذلك فلا ينقص هذا من حفظ أقدارهم التى لهم فى نفسى فانى ألبس كل طائفة على عيبها ولا أنغمس فيما شذت به :

ضمنت وفائى للعشائر كلها وأمسكت لما عظموا الفار أو خما

ورحم الله من قال فى وجوب التوسط :

لا تكن مجبرا ولا قدريا واجتهد فى توسط بين بينا

وقال : وان سألوا عن مذهبي قلت خشية من الله لا طوقا أبث ولا جبرا

وليس على من حرج اذا وجدت كلاما حسنا أن استحسنه — كائنا ذلك القائل من كان — والمؤمن يلتقط الحكمة حيث وجدها . ومن رأى عن الكلام فى رؤية الله تعالى وامكانها أنه بحث سابق لأوانه . وأنه تسلق على الغيب وتسور على ما لا يمكن القطع به فى دار الدنيا . وأن الأسلم الامساك عنه وتفويض علم ذلك الى الله تعالى . وسنقدم على الله يوم القيامة فنعلم . ومن جهة أخرى اعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع اعداد الله لهم وافاضته العلم عليهم ينقصهم كثير من المعلومات يساعفهم بها الآن بعد الآن .

أنظروا الى موسى عليه الصلاة والسلام لما شرفه الله تعالى برسالته وبكلامه وقد حكى الله شأنه فقال فى سورة الشعراء ( واذا نادى ربك موسى أن أثت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون ) فأراد موسى أن يفر من هذه الرسالة وقال لربه ( انى أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون ) فأجاب الله بقوله ( كلا ) الخ ولما أمره بالقاء العصا فصارت تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب فقال الله له ( لا تخف انى لا يخاف لى المرسلون ) أليس توليه مدبرا . كان سببه أنه لا يعلم أن المرسلين لا يخافون لى ربه ؟

وانى وأيم الله لا أدري كيف يفيض الله تعالى على موسى العلم بأحوال ذاته وصفاته كلها وبأن رؤيته تعالى ممكنة ثم يضمن على عبده موسى بالعلم بأنه لا يستطيع رؤيته تعالى فى هذه الدار وأن الجبل اذا تجلى له الله تعالى لا يستقر مكانه ، بل يجعله دكا وان موسى لا يطيق ذلك حتى طلبه =

ويقول بعض المفسرين . ان موسى مات ثم أحياء الله تعالى ، وهو قول لا يساعد عليه الكتاب ، لأن الافاقة انما تكون عن غشية ، ومن حيى بعد موته لا يقال له أفاق وانما يقال بعث . وتاب موسى من أن يطلب مثل ذلك الطلب وآمن انه طلب ما لا يقوى على احتماله : وبأن

= ورفض طلبه أما كان فى علمه بأحوال ذات الله وصفاته ما ينهائى عن طلب يكون سببا فى صعقه ثم توبته منه ؟

ان موسى صلى الله عليه وسلم لا يرى كبيراً على نفسه أن يتعلم من الله أى أمر من الأمور ، ولا يرى نقيصة عليه وزرارة على قدره ومنصبه أن يكون متعلماً من الله تعالى فى أى وقت من أوقات حياته . فلا حق لهم فى أن يقولوا « ان مثل هذا التعبير لا يناسب فى حق موسى » فأنى أقول لحضراتهم لا تدخلوا بينى وبين رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام . وليس بيد حضراتهم توكيل عن موسى بمقاضاتى على شئ كان منى فى حقه ، وأحسبه لو كان شاهد أمرنا اليوم لكان أكثر رضا عني !

أطال حضرات الأفاضل فى الكلام على قولى « ويعجبني قول الألوسى ... الخ » وقالوا انى لم أطلع على أول الكلام وآخره . وأنى أسلم لهم بذلك تسليماً تاماً ولا أنازعهم ، وأن هذا هو الصواب ، ولكن ما قولهم - دام فضلهم - فى اننى بعد أن اطلعت على تقريرهم وعلمى بأن الألوسى انما كان يبسط وجهة نظر المعتزلة ويرد على ذلك الوجه الذى ذكره . قد ازددت به يقيناً ووثقت بأنه ليس دليلاً قاطعاً . وأن الاحتمال الذى أوردوه لم يدفع باجابة الألوسى ولا غيره . ولا حبا منى فى مذهب المعتزلة ولكن لأنه مطابق لرأى وتفكيرى ، مع العلم بأنى أفوض علم الامكان الخاص برؤية البارى الى علم الله تعالى وأن الكلام فى ذلك سابق لأوانه .

ولم أزل أقول أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام يفتقرون الى الله فى علم ما لا يعلمون وقد أمر الله رسوله الكريم بقوله ( وقل رب زدنى علماً ) .

وفى جواب الله تعالى لنوح فى ابنه اذ يقول ( قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين ) وغير ذلك مما يشهد لى .

ودعوى أنه علمهم فى الحال وعند افاضة النبوة كل ما يتعلق بذاته وصفاته وما يستحيل وما يجوز ، حتى لا يبقى عليهم أن يسألوه المزيد فى ذلك - كما هو مقتضى كلام أعضاء اللجنة وما يؤخذ من فحوى عباراتهم فامر ينقصه الدليل القاطع ، وانما حداهم على ذلك أمر حسن وهو حبه أن يكون الأنبياء فى ذروة الكمال المطلق التى لا يقرب ساحتها أى عارض انساني أو نقص بشري . ولكن محبتهم لذلك لا تحول بين الواقع المشاهد المنصوص فى الكتاب الكريم من أن الله تعالى كان يتخولهم بالتعليم ويكملهم بما يلقى اليهم من المعارف . وأنى أفهم أن رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم كان يوم وفاته حاصلًا على قسط مما علمه الله اياه - فى الله وذاته وصفاته وحكمه البالغة - لم يكن حاصلًا على مثله يوم جاءه الملك بالوحي فى حراء ولا بعدها فى ثلاث سنين . ولو كان الله تعالى قد أفرغ عليه العلم بأحوال الله وبشأنه قبل ما عاد الى خديجة وهو فى حال رعب وقال لها « لقد خشيت على نفسى » - كما فى حديث عائشة فى البخارى فى بدء الوحي - لما كانت خديجة فى احتياج الى أن تسأل ورقة بن نوفل عما رآه صلى الله عليه وسلم فى حراء . الى آخر الحديث .

ولو كان الأمر كما يقولون وأن الرسول من حين النبوة يعلم جميع شؤون الله ؛ لقرت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى اليه فى حراء ، ولم يكن منه أن يعتمد الى التردى ، ولا يردده الا تبدى جبريل له ومناداته بقوله « يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل » .

جاء فى البخارى ولفظه هكذا « وفتقر الوحي فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غداً منه مرارا كى يتردى من رؤوس شواق الجبال ، فكلمنا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن جاشه فيرجع . فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك . فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك » .

( بما تقدم ) علم أن ما أوردته ليس فيه خطأ أو زلل وليس فيه نصرة لمذهب المعتزلة ، ولكنه رأى الذى أتحمّل تبعته امام الله تعالى ، وهو أمر سائغ ولا برهان للجنة على بطلانه . ولو كان باطلاً حقاً كما يدعون لكان المعتزلة الذين استدلوا به على مذهبهم كفاراً وهو ما لم يقله أحد من المسلمين .

عظمة الله بالغة الحد الذي لا يطاق . وقد اختلف أهل التفسير في هل رأى موسى ربه قبل الصعق أو بعده أو لم يره ؟

وأنا أريح نفسى من هذا الاختلاف ملتجئاً الى كتاب الله اذ يقول ( لن ترانى ) . وأقول ان الرؤية لم تحصل قبل الصعق ولا بعده .

بعد أن أفاق موسى من غشيته خاطبه الله تعالى بأنه اصطفاه على الناس برسالاته « وهى اسفار التوراة » وبكلامه تعالى بأن يوحى اليه بلا واسطة ملك . بل يسمعه ما يريد أن يبلغه اليه أمره أن يأخذ ما أعطاه من شرف الاصطفاء والكلام شاكرًا لله تعالى على ما أعطى .

وكتب الله تعالى ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من بيان الحلال والحرام والمحاسن والقبائح — فى ألواح اختلف المفسرون فى عددها بين عشرة واثنين ، كما اختلفوا فى حقيقتها بين خشب وحجر وزبرجد وياقوت . وكل هذا لا يعنينا — وكان المكتوب فيها مواعظ وأحكام وتفصيل لكل شئ يهم بنى اسرائيل . وأمره الله تعالى أن يأمر بنى اسرائيل أن يأخذوا بأحسنها . أى يسيروا على أحسن وأفضل ما رسم فيها ، بأن يفعلوا ما هو أدعى الى الزلفى من الله تعالى . فاذا نص فيها على خصلتين تقربان الى الله تعالى واحداهما تستدعى ثوابا أعظم ؛ فعليهم أن يأخذوا بالأفضل — وأز كان فى كل فضل — ثم وعده الله بأن يريهم دار الفاسقين .

وقد اختلف المفسرون فى دار الفاسقين ما هى ؟ فقال فريق : انها مصر عاد اليها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون وجنده . وهذا القول عندى ليس بشئ .

وقال الكلبي « منازل عاد وثمود » وهو كلام حاطب ليل . لأن « ديار ثمود » وان كانت قرية من بنى اسرائيل الموجودين فى شبه جزيرة سينا ورؤيتها ممكنة لهم ؛ ولكن « ديار عاد » فى جنوب بلاد العرب . ولا يعقل أن بنى اسرائيل يجنازون الفيافي والقفار ليروا منازل عاد وقد طست آثارها . ولم ينقل ناقل انهم ذهبوا الى بلاد الأحقاف أصلاً . والأقرب ما قاله قتادة من أن المراد بدار الفاسقين أرض الجبابة والعمالقة بالشام . ولا أريد بهذه الرؤية ما ذهب اليه بعض المفسرين من أنهم دخلوا بلاد الجبارين وهى الأرض التى كتب الله لهم لأن الله تعالى حرمها على الكبار من بنى اسرائيل . وموسى لم يدخلها وانما رآها فقط . وانما دخلها بنو اسرائيل مع يوشع بن نون فتى موسى — كما سيمر بنا ولعل المعنى سأرى بعضكم وهم الرواد الذين دخلوا البلاد ، ثم عادوا الى بنى اسرائيل بخبر أولئك الجبارين فهال بنى اسرائيل أمرهم وعصوا عن مقاتلتهم والأقرب أن يكون المراد ببعض يوشع بن نون وكالب بن ينفه .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الاعراف :** وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَا هَا بِمَشْرِيقِ نَجْدٍ فَنِمَّتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ [١٤٢] وَلَمَّا جَاءَ

مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [١٤٣] قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [١٤٤] وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ [١٤٥] سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [١٤٦] وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٤٧]

## اتخاذ بني إسرائيل العجل إلهاً يعبدونه

غضب موسى على هارون - أمر الله بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم ليتوب عليهم - احراق موسى العجل ونسفه في اليم - مجازاة السامري الذي أضلهم بالعجل - الى أى شيء ينسب السامري ؟

قلنا فيما مضى أن بني إسرائيل لم تكن أنفسهم أكثرهم مرتاضة بالآيمان . وانهم كانوا ذوى جهالة لم يحصلوا على الثقافة الكافية لصون عقائدهم من الزيغ . والقوم عاشوا في مصر وألقوا أن يروا عبادة المصريين للعجل أبيس . وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل . وكانت العجول المؤهلة اذا ماتت حنطوها - كما يحنط الآدمي بما يحفظ جسمها من التلف ودفنوها في مقبرة خاصة في جهة سقارة . تسمى « سرايوم » .

كانت بساطتهم والفهم اللوثنية مسهلة لرجل ماكر كان فيهم سماء القرآن « السامري » فجاءهم بعجل له خوار . وقال لهم : هذا الحكم واله موسى نسيه موسى هنا وذهب لملاقاته في الغية الطويلة .

وذلك أن موسى أخبرهم - قبل ذهابه لميقات ربه أن غيبته عنهم لا تطول أكثر من ثلاثين يوماً مع مسافة الطريق الى جبل حوريب ، وهو جبل الطور . فلما أمر الله موسى أن يستأنف صوم عشرة أيام طالت غيبته عن قومه ، واستببط القوم موسى .

فاتتهز رجل يقال له السامري غيبة موسى وأخذ من بني إسرائيل بعض حليهم التي كان

نساؤهم أخذنها من المصريات قبل رحيل بنى اسرائيل وألقاها فى النار وسبك منها عجلا .  
وجعله بحيث انه كان له خوار ؛ أى صوت الثور وقال لهم : هذا الهكم واله موسى .

وليس غريبا أن يكون رجل له علم بالهندسة والحيل يجعل تمثال الثور يخور كما يخور الثور  
وقد رأيت عند صديق لى تمثال بقرة من الجبس ، عند سرتة سلك من الخيط ؛ اذا جذب الى  
أسفل ثم أرسل الخيط دارت آلة فى داخله ولفته على جسمها ، وحينئذ يحدث ما يشبه خوار  
العجل الصغير وبعض الناس يأخذ عظم رأس الحمار — بعد أن ييلى عنه اللحم — ثم يضع  
ضفدعا داخل تجويف الرأس ، ثم يقربها من الحرارة أو من دخان نار ، فتتق الضفدع ويخرج  
نقيقها من الرأس مكبرا ، حتى ليخيل للسامعين أن الصوت صوت حمار .

سعى اليهم هارون وأراد ردهم عن عبادة هذا العجل . وأفهم القوم انهم فتنوا به وجهد  
أن يردهم فلم يفلح ولم يصغوا اليه . وقالوا له ( لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ) .  
فلما قضى موسى أجل الصوم وكلم ربه وأعطاه الألواح سأل الله تعالى وهو أعلم ؛ عما  
أعجله عن قومه . فقال انهم آتون على أثرى وعجلت اليك ربي طلبا لرضاك . وحينئذ أخبره  
الله تعالى بأنهم فتنوا عن دينهم وان السامرى أضلهم ، فرجع موسى الى قومه غضبان حزينا  
حردا على أخيه اذ لم يردهم عن فتنتهم وظن به التقصير فى النصح . فلما لقيه أخذ بلحية هارون  
ورأسه يجره اليه وكان موسى رجلا أيدا فيه حدة لا يقوم لغضبه أحد . فاعتذر هارون بأنه عمل  
جهده ، ولو قام بقتال من ارتد لكان ذلك سببا لفرقة خشى هارون أن تكون سببا لغضب موسى  
لأنه لم يرتقب رأى موسى فى هذه الفتنة . ولام موسى بنى اسرائيل أشد اللوم وألقى الألواح  
التي كتبها الله له . ويقال انها كسرت .

بعد ذلك ذهب موسى الى السامرى وسأله عن شأنه والأسباب التي حدثت به الى هذا  
العمل المنكر ؟ فقال ( بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك  
سولت لى نفسى ) فقال له موسى : اذهب فان الله عاقبك بأن تقول فى حياتك « لا مساس » وأن  
لك موعدا لن تخلفه ، وأخبره ان هذا الاله الذى ظل عاكفا عليه سيحرقه موسى وينسفه فى ماء  
البحر . وقال لبنى اسرائيل ( انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ) .

ثم أن الله تعالى أوحى الى موسى أن توبة بنى اسرائيل : أن يقتلوا أنفسهم بأن يقتل كل  
انسان من يقابله من قريب أو أخ أو نحو ذلك . ثم عفا الله عنهم بعد أن قتلوا من أنفسهم عددا  
عظيما . وكان اعتذار بنى اسرائيل انهم حملوا من زينة المصريين شيئا كثيرا فقدفوه هم والسامرى  
وكان عن ذلك العجل .

## ما حقيقة العجل الذى عبده بنو إسرائيل — ومن هو السامرى

ويقول المفسرون والتوراة : انه كان عجلا من ذهب صاغه لهم صائغه من حلى المصريات — كما قدمنا — ويقول المفسرون : ان السامرى اسمه موسى وكان مولودا من سفاح ، وأن الله أمر جبريل أن يربيه ويقوم بمصالحه ، فكان جبريل يأتيه على فرس . وكان يلاحظ — بعد أن كبر أن فرس جبريل لا يضع حافره على شئ الا صار حيا فأخذ من تراب أثر الحافر بعضا ، فلما صاغ العجل من الذهب ألقى ذلك التراب في فم العجل فصار له خوار .

ويقول البيضاوى : ان الذهب صار عجلا جسدا ذا لحم ودم له خوار — صوت البقر — وقال بعضهم : انه كان صائغا وقد دبره بطريقة خاصة تجعل للريح اذا مرت من دبره وخرجت من فمه صوت البقر .

والذى أراه أن حكاية السامرى وجبريل ليست صحيحة ، فلا جبريل جاء الى السامرى ولا السامرى أخذ ترابا من أثر حافر فرسه . وأن القول بأنه صاغه بحيث اذا استدبر الريح خرجت الريح من فمه ولها صوت البقر — وهو الخوار — أقرب من ذلك بل لا غرابة في هذا أصلا .

ولو قال القائل : ان الرجل خدع بنى إسرائيل وأخذ منهم الحلى ، وبصر بعجل على هيئة العجول التى تعبد في مصر — ولم يبصروا به فاشتراه وجاءهم به وقال لهم ما قال ، وانهم قبلوا ذلك منه واعتقدوا أن ذلك العجل الههم واله موسى ، وعكفوا على عبادته مع انه عجل جسد لحم ودم له خوار لا يفترق من أبناء جلدته من البقر فى شئ ! ومع ذلك كله فانهم لبلاد أذهانهم وسخافة عقولهم قد جعلوه الها وعبدوه ، وظلوا عاكفين على عبادته مع نهى هارون لهم وقوله ( انما فتنتهم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى ) فلم يلتفتوا اليه لما أشربوه فى قلوبهم من حب العجل لما هم عليه من الكفر لم يكن بعيدا من الصواب ولم يكن مخلا بنظم القرآن هذا هو الذى أميل اليه . ويكون السامرى قد خدعهم بأخذ الحلى والقائه فى النار ليؤهمهم أن حلبيهم صار عجلا . وأخذ المال لنفسه . فشأنه شأن الدجالين الذين يخدعون الناس بايهاهم الكنوز المطلسة وافتتاحها لهم ثم يجردونهم من كل شئ . فيأتون اليهم بالفقر حيث يرجون الثروة والغنى (١) — وهنا يعرض سؤال لانه بعض المسيحيين فى الجرائد وهو :

(١) نقد اللجنة « الموضوع السادس » .

### ( حقيقة العجل الذى عبده بنو إسرائيل )

قال فى صفحة ٢١٥ سطر ١٤ ما نصه :

ولو قال القائل : ان الرجل خدع بنى إسرائيل وأخذ منهم الحلى وبصر بعجل على هيئة العجول التى تعبد فى مصر — لم يبصروا به — فاشتراه وجاءهم به وقال لهم ما قال . وانهم قبلوا ذلك منه واعتقدوا أن ذلك العجل الههم واله موسى ، وعكفوا على عبادته مع أنه عجل جسد لحم ودم له خوار لا يفترق عن أبناء جلدته من البقر فى شئ ! ومع ذلك كله فانهم لبلاد أذهانهم وسخافة عقولهم قد =

كيف يكون السامرى هو الذى أضل بنى اسرائيل بالعجل مع أن السامرى نسية الى سامرة — والسامرة بلد من فلسطين لم توجد فى زمن موسى ! وانما اشتراها « عمرى » وهو

= جعلوه الها وعبدوه ! وظلوا عاكفين على عبادته مع نهى هارون لهم ( وقوله انما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى ) فلم يلتفتوا اليه لما أشربوه فى قلوبهم من حب العجل لما هم عليه من الكفر لم يكن بعيدا من الصواب ولم يكن مخلا بنظم القرآن . هذا هو الذى أميل اليه ويكون السامرى قد خدعهم بأخذ الحلى والقائه فى النار ليؤهمهم أن حليهم صار عجلا وأخذ المال لنفسه ! فشأنه شأن الدجالين الذين يخدعون الناس بايهاهم بالكنوز المطلسة وافتتاحها لهم ، ثم يجردونهم من كل شيء فيأتون اليهم بالفقر من حيث يرجون الثروة والغنى ! اه بحروفه .

### ( رأى اللجنة )

والذى نراه أن هذا القول مخالف لما عليه جميع المفسرين — فيما نعلم — وبعيد عن الصواب ومخل بنظم القرآن . وذلك أن هذا المعنى يتلخص فى أن السامرى خدع بنى اسرائيل وأخذ منهم الحلى وأوهمهم أنه صاغ منها عجلا جسدا له خوار ، مع أنه فى الواقع جاء لهم بعجل حقيقى من نوع البقر !

فالسامرى هو الخادع والموهم — بكسر الهاء — وباقى قوم موسى مخدوع وموهم — بفتحها — ونحن لا ندرى كيف يفهم هذا المعنى من قوله تعالى ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ) .

على مقتضى أصول اللغة العربية هل يقدر فى نظم الآية خدع وأوهم — بالبناء للفاعل — قوم موسى انهم اتخذوا من الحلى عجلا . أو يقدر خدع وأوهم — بالبناء للمفعول — أو يراد أحد المعنيين بطريق التجوز ؟ ومن المعلوم أن افادة التركيب لهذا المعنى انما يعقل بواحد من هذه الاحتمالات . وحينئذ يقال له ( أولا ) أن مثل هذا التقرير أو التجوز لادليل عليه أصلا ولاقرينة تصاحب نظم الآية لا حالية ولا مقالية ، بل يعتبر الكلام بالنسبة لهذا المعنى من المعميات الشبيهة بالأغاز . والدليل الواضح على صحة ما قلناه أن هذا المعنى لم يخطر على بال أحد من أرباب التأويل — سواء كانت عربيتهم باكتساب أو كانت سليقة — ولا يوجد نظيره فى كلام المبتدئين ؛ فضلا عن كلام رب العالمين .

( وثانيا ) أن جريت على الاحتمال الاول فى التقرير أو التجوز فأين الموهم — بفتح الهاء — أو المخدوع ؟ فإن قوم موسى يشمل السامرى وباقى القوم . وإن جريت على الاحتمال الثانى فأين الموهم — بكسر الهاء — والخادع ؟ فإن قال : انما أسند الابهام سواء كان على جهة الفاعلية أو المفعولية للجميع مع أنه واقع من البعض وعليه على قياس اسناد الاتخاذ الى الجميع على المعنى المشهور للآية ، مع أن المتخذ واحد منهم وهو السامرى ؟ قلنا : انما جاز نسبة الاتخاذ الى الكل على المعنى المشهور ، لأن الباقي وافق على عبادته . فهل يمكن أن يقال ذلك فى الابهام فيسند الى الموهم والموهم والخادع والمخدوع معا سواء كان مبنيا للفاعل أو للمفعول ؟ وهل لذلك نظير فى اللغة العربية ؟ فإن قال : نختار الاحتمال الثانى وهو البناء للمفعول ويراد بقوم موسى ماعدا السامرى . أو الاحتمال الاول وهو البناء للفاعل ويراد بقوم موسى خصوصا السامرى ؟ قلنا : هذه ارادة بمجرد التشبهى وثانيا يصير المعنى على الاحتمال الثانى هكذا : خدع قوم موسى أى ما عدا السامرى انهم اتخذوا من الحلى ؛ أى أن السامرى اتخذ لهم من الحلى عجلا ، وهو كما ترى واضح البطلان . وأما الاحتمال الاول فينافيه آخر الآية ( ألم يروا أنه لا يكلمهم ) الخ .

( ويقال له ثالثا ) من أين جاء السامرى بالعجل الذى يعبد نظيره فى مصر ؛ ومن أى سوق اشتراه مع أنهم جاوزوا البحر ؟ فهل استصحبه السامرى من مصر وعدى البحر معه أو كان على شاطئ البحر طائفة من القبط يسكنون هناك ؟ أو وجده عند القوم الذين أتوا عليهم يعكفون على أصنام لهم ؟

( ويقال له رابعا ) يظهر من قولك « وبصر بعجل » الخ أنه فسر قوله تعالى ( فبصرت بما لم يبصروا به ) أى فبصرت بعجل لم يبصر به باقى بنى اسرائيل ، وحينئذ يقال له كيف يترتب على =



الرابع من ملوك اسرائيل بعد أن انشقت مملكة اليهود الى قسمين : قسم هو سبط يهوذا ومقره اورشليم وملوكه من ذرية داود وسليمان . وكان أول ملوك اسرائيل «يربعام بن ناباط» ورابعهم

= هذا المعنى قوله تعالى ( فقبضت قبضة من أثر الرسول ) حتى على تأويله المذكور في صفحة ٢١٧ التابع فيه لأبى مسلم الأصفهاني وهو أن المراد فقبضت قبضة من أثر الرسول الخ ولا ينفعه تأويل أبى مسلم البعيد من منطوق الآية كما يعلم بمراجعته .

( ويقال له خامسا ) ان كان الواقع كما تقول أفلا يكون الأجدر اظهار هذه الحالة والنمى على السامري بأنه اتخذ فى سبيل الاخلال طرقا غير شريفة من النصب والاحتيال وسلب الاموال ؟ والنمى على باقى القوم بالغفلة الشديدة من جهة أنه نصب عليهم وأخذ الحلى منهم ؟ ومن جهة أنه لا يوجد لهم أقل شبهة فى عبادة هذا العجل الحقيقي المعروف أمره لهم ؟

### رد المؤلف على نقد اللجنة

#### ( الموضوع السادس )

#### « مسألة اتخاذ بنى اسرائيل العجل »

ذكرت فى كتابى ما نقلته اللجنة من صفحة ٢١٥ سطر ١٤ بعد أن ذكرت فى صفحة ١٣ ما ذكره المفسرون من أنه صاغ لهم عجلا من ذهب ودبره ، بحيث اذا استدبرته الريح صار له خوار وعددت ذلك أمرا ليس بالغريب .

وفى صفحة ٢١٥ طرقت الاحتمال المنصوص بها ، وأشهد أن أحدا من المفسرين لم يخطر فى باله هذا واتشرف بأنه لى وحدى .

والذى يؤلمنى أن حضرات أعضاء اللجنة قد حاروا فى فهم قوله تعالى ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ) حيرة لم يقع فيها أحد ولم يبتل بها من دخل قصر « لبيران » ويقولون « فالسامري هو الخادع والموهم - بكسر الهاء - وباقى قوم موسى مخدوع وموهم - بفتحها - وأنهم لا يدرون كيف يفهم هذا المعنى فى قوله تعالى ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ) الخ ؟

ولو رجعوا الى أنقذتهم من حيرتهم وقلت لهم : ان من معانى « من » - بكسر الميم - فى اللفظة العربية « البديل » وقد مثل ابن هشام فى المغنى ١٣ ج ٢ لذلك بقوله تعالى ( أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة - لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ) لأن الملائكة لا تكون من الانس ( لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ) أى بدل طاعة الله أو بدل رحمة الله « ولا ينفع ذا الجند منك الجند » أى لا تنفع ذا الحظ من الدنيا حظه منك ؛ أى بدل طاعتك أو بدل حظك أى بدل حظه منك . ومثلها أيضا بقول الشاعر : « ولم تنق من البقول الفستقا » أى بدل البقول ا هـ

وعلى ذلك يتمشى قول الله تعالى ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ) أى اتخذوا بدل حليهم عجلا جسدا له خوار ، بأن بذلوا الحلى وأخذوا العجل جسدا له خوار . وكما تقول اتخذت من جواهرى دارا ؛ أى بدلها .

وأما التيه الذى اختطوه « بخدع وخادع ومخدوع ، وموهم ، وموهم ، والتساؤل عن البناء للفاعل والبناء للمفعول ، واستجداء التجوز ، والبحث بالميكروسكوب عن القرينة الحالية والمقالية ، فأمر لا لزوم لها .

بذلك يعلم حضراتهم أنهم أتعبوا أنفسهم بدون موجب لهذا التعب ، وأطالوا الكلام فى غير طائل ، وأن التردد فى هذه الاحتمالات التى قدروها لى لم تخطر لى ببال ولم يكونوا فى احتياج إليها ! أما قول حضراتهم « بل يعتبر الكلام بالنسبة لهذا المعنى من المعجمات الشبيهة بالالفاز » فانه شبنشنة أعرفها من أخزم . وكل امرئ يجرى على أعراقه .

فهنيئا لحضراتهم من عرضى ما يستحلون ومن عراى ما يحلون !

وظريف جدا قولهم « ويقال له ثالثا من أين جاء السامري بالعجل » ؟ فان هذا منهم يشعر أنهم يفهمون أن هذا العجل له سلالة مقدسة لا توجد الا فى مصر . ولو أنهم سألوا علماء الآثار والخبراء بتاريخ المصريين وعبادتهم لعلموا أن عجل المصريين ليس له سلالة خاصة يختار منها ! وانما =

« عمرى » اشترى جبل السامرة وبنى تلك المدينة وجعلها مقر مملكة اسرائيل . وذلك بعد موسى بنحو ثلاث وعشرين وخمسمائة سنة ؟

= يختار على الشيات التي توجد في جلده . ومثل هذا يوجد في بعض الاحياء في عجائيل بنى اسرائيل والعرب - الضاربين في شبه جزيرة سيناء - والعمالق الذين في تلك الاصقاع .  
واذا أصروا على معرفة القوم البائعين له ، والمكان الذى وجسد فيه ذلك العجل ؛ فليصبروا وموعدها عرصات القيامة ان شاء الله الى أن يلاقوا السامرى ، فانه هو الذى يعلم أين وجده وممن أخذه ؟ ولعمري ما الذى يفيد حضراتهم من معرفة المكان الذى وجد فيه ؟!

( قالوا ) ويقال له رابعا : يظهر من قولك « وبصر بعجل » الخ أنه فسر قوله تعالى ( فبصرت بما لم يبصروا به ) أى فبصرت بعجل لم يبصر به باقى بنى اسرائيل . وحينئذ يقال له : كيف يترتب على هذا المعنى قوله تعالى ( فقبضت قبضة من أثر الرسول ) حتى على تأويله المذكور فى صفحة ٢١٧ التابع فيه لأبى مسلم الأصفهانى ؛ وهو أن المراد فقبضت قبضة من أثر موسى الرسول . . . الى آخره - ولا ينفعه تأويل أبى مسلم البعيد من منطوق الآية كما يعلم بمراجعتها .

والجواب على ذلك سهل جدا وهو أن السامرى بصر بعجل لم يبصر به بنو اسرائيل ؛ فسولت له نفسه أن يطرح ما علمه من موسى ؛ من أن الاله واحد هو الله وأنه لا يعبد سواه وأنه ليس كمثله شئ . فنبذ تلك القبضة من التعاليم وهى أثر من آثار موسى ، ورأى الفرصة سانحة للعب بعقول بنى اسرائيل ، وأخذ الحلى الذى كان عندهم ، فدعاهم الى أن يأتوه به فجاءوا به ، وأوصهم أنه سيأتيهم باله موسى . وكذلك سولت له نفسه وهو كلام سائح مشهور لا غبار عليه .

( وأما ما قالوه ) خامسا : فقد كفانا الله مؤنة الرد عليه بقوله عز شأنه ( أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى ) وكفى بذلك تجهيلا وتوبيخا لهم .

( وأما قولهم ) والنعمى على السامرى . . الخ فأقول : ان الذنب الذى أتاه السامرى أكبر من النعمى وأربى من التوبيخ ! بل اللائق فى مثل أمره احلال العقاب اذ لا يعاتب الا الأديم ذو البشرة . وقد عاقبه الله بتعذيبه فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأخرى .

بقى أن أصحاب الفضيلة - حفظهم الله - قالوا فى صدر ابداء رأيهم « والذى نراه ان هذا القول مخالف لما عليه جميع المفسرين فيما نعلم ، وبعيد عن الصواب ومخل بنظم القرآن ، ولكنهم بعد رحلتهم الطويلة لم يقولوا لنا ما رأوه صوابا من وجوه تفسير هذه الحادثة ؛ وهذا لا يليق .  
وانى أقر وأعترف اقرارا واعترافا لاثنييهما أن هذا رأى لى ولم أقف عليه لأحد غيرى . فهل فى ذلك ذنب على ؟ أو أنى ارتكبت بذلك اثما ؟

وما أشبه قول حضراتهم هنا بما كان يقوله أعضاء محكمة التفتيش البابوية لمن فهم فى الانجيل معنى من المعانى : ان هذا المعنى لم تأمر به الكنيسة ولم تفهمه ! فهل يريد التاريخ أن يعيد نفسه ؟ يا قوم ان الحجر على العقول أن تعقل ، وعلى الافهام أن تفهم ، وعلى المدارك أن تدرك ؛ ليس من أحكام الاسلام الذى خاطب العقول ورفع قدرها وأمر الناس بالرجوع اليها فيما هو من اختصاصها .

أما ما قاله المفسرون فمختلف ؛ فقائل أنه صاغ العجل من الحلى ووضع فيه ترابا من أثر حافر فرس جبريل . وقائل أنه صاغه ودبره بطريقة تجعل له خوارا اذا استندبرته الريح . وقائل أنه بعد أن صاغه من الحلى استحال جسدا لحميا ودما . فأى هذه الأقوال يرضى حضراتهم ؟

فاذا قالوا : ان هذه الأقوال كلها ترضيهم لأن المفسرين قالوا بها ؟ قلت لهم : محال أن تكون كلها صحيحة بل كل منها محتمل لأن يكون صحيحا .

( بما تقدم كله ) يتبين القارىء أن المحمل الذى أوردته سائح ، وكلام الله تعالى يحتمله ، وأنه لا بعد فيه . وهو ما غزوته من إيراده ، وأنا لا أنكر أن أقوال المفسرين التى أوردتها كل منها محتمل أيضا . والوجه الذى أوردته أكثر مناسبة لقوله تعالى حكاية عن موسى ( وأنظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ) اذ الذهب لا يحترق ولا ينسف .

والجواب على ذلك أن السامري ليس منسوباً الى « سامرة » بل الى « شامر » بالشين في اللغة العبرية .

ويغلب أن تكون « الشين » في العبرية « سينا » في العريية فهو سامر — كما ينطقها أيضاً سبط افرايم بن يوسف وقد كان رجال سبط يهوذا في بعض الحروب يمتحنون الرجل ليعرف هل هو من سبط يهوذا أو افرايمي ؟ بأن يأمره بأن ينطق « شبولت » — سنبله — فإذا قال « سبولت » علم انه افرايمي ومعنى شامر أو سامر كما هو النطق العربي والافرايمي « حارس » فالسامري نسبة الى سامر ونطقها في العبرية « شومير » من مادة : شمر ؛ أى حرس .

راجعوا الآية ٩ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين ونصها : فقال الرب لقايل أين هابيل أخوك فقال لا أعلم ( هـ شومير أحى انواخى ؟ ) وترجمتها « أحارس أنا لأخى ؟ » .

وقد كان مصير العجل الذى عبده بنو اسرائيل ان احرق وذرى في الماء .

أما قول السامري ( فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ) فمعناها على ما اخترت : انه قبض قبضة من أثر الرسول ؛ أى تعليمه واحكام التوحيد التى جاء بها الرسول — وهو موسى — فنبذتها ؛ أى ألقيتها وأهملتها وكذلك سولت لى نفسى .

كان عقاب السامري في الدنيا عقاباً بدنياً ، وهو ان يتألم من مس أى انسان له ؛ فكان اذا لقى انساناً وخشى أن يمسه يقول له « لا مساس » وأما في الآخرة فان الله حسيبه بما صنع .

وأما الذين اتخذوا العجل من بنى اسرائيل فكان جزاؤهم أن الله لا يقبل توبتهم حتى يقتل بعضهم بعضاً وستأتى كيفية ذلك فيما نقصه من التوراة .

ويقول أهل الكتاب : ان الذى صنع العجل لبنى اسرائيل هو هارون أخو موسى : حاشاه أن يكفر بعد الايمان وهو نبي معصوم عن ذلك . ولكن هذا دأبهم مع أنبياء الله ينسبون اليهم النقائص وما ينزه نفسه عنه أحط الناس قدراً ويلصقون ذلك بهم .

اقرأوا هذه الآيات : —

سورة البقرة : وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [٥٤]

ومنها أيضاً : وَاقْعَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ [٩٢] وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَوْلَنَا وَصِينَا وَاسْمِعُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا أُمْرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٩٣]

**سورة الاعراف :** وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ [١٤٨] وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [١٤٩] وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [١٥٠] قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [١٥١] إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَآهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ [١٥٢] وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِأَنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [١٥٣] وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ [١٥٤]

**سورة طه :** وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى [٨٣] قَالَ هُمْ أُولَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى [٨٤] قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ [٨٥] فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي [٨٦] قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْ زَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ [٨٧] فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ [٨٨] أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا [٨٩] وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي [٩٠] قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى [٩١] قَالَ يَاهَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا [٩٢] أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي [٩٣] قَالَ يَبْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي [٩٤] قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ [٩٥] قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتِ لِي نَفْسِي [٩٦] قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا

أَنْ تُخَلِّقَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا [٩٧]  
إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا [٩٨] (١)

(١) ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى « من أوله الاصحاح التاسع عشر من سفر الخروج » ، فذكرت أن بني إسرائيل جاءوا أمام الجبل « حوريب » وأن موسى صعد إلى الله في الجبل فأوحى إليه كلاما يبلغه بني إسرائيل ، وهو أن الله سيتخذهم شعبا مقدسا ومملكة له أن أطاعوا وصاياه . فقبلوا ذلك ووعدوا أن يفعلوا كل ما يأمرهم الله به . ثم أمره الله أن يقول لبني إسرائيل أن يتطهروا لأن الله سيترأى لهم . وفي اليوم الثالث صارت رعود وبروق على الجبل . وكان موسى يتكلم والله يجيبه . ثم دعاه الله إلى الجبل فأوصاه وأمره ونهاه ، ووضع لبني إسرائيل شرائع ، وشعب بني إسرائيل ارتعد وقالوا لموسى كلمنا أنت ولا يكلمنا الله لئلا نموت ، فوضع له الشرائع المذكورة في الاصحاحات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ - خروج - وفي الاصحاح ٢٤ أمر الله موسى أن يصعد الجبل هو وناداب وأيهود وسبعون شيوخا من شيوخ إسرائيل ، وأن يسجدوا لله من بعيد ولا يقترب من الرب سوى موسى . فصعدوا ورأوا الله ( تعالى عما يقولون ) وتحت رجليه شبه حجر من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة .

ثم دعا الله موسى إلى أعلى الجبل وأمر القوم بالبقاء إلى أن يرجع ، ومعهم هرون ليقم لهم القضاء . وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة ، فأوحى الله إليه ما أوحى من الشرائع وأعطاه الألواح فيها الشريعة مكتوبة بأصبع الله ؛ وهي الألواح من حجر منسوبة . وقال الله لموسى : انزل . فقد فسدت الشعب وزاغوا عن الطريق ، وأراد الله أن يبطش بهم ، فتضرع إليه موسى ليصفح عنهم . ولما اقترب موسى من المحلة ابصر العجل والرقص ، فغضب موسى ورمى اللوحين من يده فكسرها في أسفل الجبل . ثم أخذ العجل فأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل .

ولام موسى هرون فاشتد بأن الشعب شرير ، وقد قالوا له : اصنع لنا الها يسير أمامنا فان موسى لا ندري ما أصابه ، وأن هارون طلب منهم الذهب فطرحوه في النار فخرج هذا العجل . ولما رأى موسى ذلك ، طلب من كان للرب أن يأتي فأتاه « بنو لاوي » ، فأمرهم أن يضعوا سيوفهم على أفخاذهم ، وأن يمروا بالمحلة من باب إلى باب ، ويقتل كل رجل أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعلوا . وقتل في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل . ثم صعد موسى إلى الجبل وطلب من الله غفران خطيئة الشعب ؛ فاذا لم يفعل ، يمحو موسى من كتابه . فأجابته : الذي أخطأ أمحوه من كتابي . وأمره أن يذهب بالشعب إلى الأرض التي وعدهم أن تكون لهم ميراثا ، وأنه سيطرده من أمامه تلك الأمم الساكنة في الأرض ، وأن الله لا يكون معهم . فرجاء موسى أن يكون معهم ليميزوا عن سائر الأمم .

وتذكر أيضا : أن الله أرى موسى مجده على الجبل وأخفاه في نقرة من الأرض لئلا يهلك وسجد موسى لله عند اجتيازه ، وطلب إليه أن يسير في وسطهم ، فأوحى الله إليه بأمور وشرائع ومكث عند الله أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء . فكتب الله على لوحين الكلمات العشر « يراجع سفر الخروج من الاصحاح التاسع إلى الاصحاح ٣٤ » .

ولا يخفى أنها تخالف القرآن في كثير من المضامين . ولم تذكر جواب بني إسرائيل إذ أمروا بالدخول إلى الأرض التي وعدوا بامتلاكها ؟ ولاي شيء بقوا أربعين سنة ؟ مع أن هذه الحوادث ابتدأت من الشهر الثالث لخروجهم . وسيأتي ما يدل على امتناعهم في أول سفر التثنية .

والذي يظهر من عبارة سفر الخروج : أن ذهب الشيوخ السبعين كان قبل عبادة العجل . وأما القرآن فإنه يذكر أنه ذهب لتلقى الألواح قبل عبادتهم العجل ، وذهب مع الشيوخ السبعين بعد ذلك وهذا هو العقول .

## أمر الله بني إسرائيل

### على لسان موسى بدخول الأرض المقدسة

عصيانهم موسى — تحريم الله الأرض عليهم — اتاهتهم في البرية أربعين

سنة .

قرب بني إسرائيل من أرض الموعد وهي فلسطين : التي وعدها الله إبراهيم واسحق ويعقوب أن تكون ملكا لأولادهم ، وأن يطردوا من أمامهم الأمم التي يسكنونها ، في ذلك الوقت — وأمر الله تعالى موسى أن يذهب ببني إسرائيل الى تلك الأرض لامتلاكها ، ولكن بني إسرائيل قوم قد ثقفوا بالذلة وتمكن الصغار والهوان من أنفسهم . وألقوا الذل في أرض القراعنة فلم تكن لهم قوة على الدخول الى تلك الأرض ، وتمثل لهم شبح الموت في كل خطوة في ذلك السبيل فلم يشاءوا أن يذهبوا لأمر ربهم . وقالوا يا موسى ( ان فيها قوما جبارين . وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ) .

كان موسى قبل أن يطلب الى بني إسرائيل دخول تلك الأرض قد أرسل من قبله روادا يتجسسون الأرض وحال أهلها . ويقول المفسرون : انهم كانوا اثني عشر رجلا ، فرأوا من جسامة أجسام أولئك القوم ما عالهم ! فلما عادوا أخبروا بني إسرائيل بما رأوا فضعفت قلوبهم وتراءى لهم شبح الهلاك في القدوم على هذه البلاد ! فلما أمرهم موسى بالعبور أبوا . وقال رجلان من الذين جاسوا خلال البلاد لبني إسرائيل : ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه غلبتم على المدينة ( أريحاء ) فأبوا وقالوا لموسى ( اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ) وأبوا عليه كل الالباء .

شكا موسى أمر بني إسرائيل معه الى الله قائلا ( رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق — احكم — بيننا وبين القوم الفاسقين ) فأخبره الله تعالى بأنها — ( أى الأرض ) — محرمة عليهم وأنهم سيتهون في الأرض أربعين سنة . فكان بقاء بني إسرائيل في البرية — من عهد خروجهم من مصر الى أن مات موسى ، وعبروا نهر الأردن ، وملكوا أريحاء وما معها من الأرضين غرب الأردن — أربعين سنة .

والسر في ذلك كما أوضحه ابن خلدون : أن نفس بني إسرائيل كانت صغيرة ضئيلة لأنهم رثموا الذل والهوان في ملك المصريين ! ومن كان كذلك لا يصلح لقتال ولا استقلال ! ولذلك ذابت قلوبهم في صدورهم وملا الخوف أنفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين .

والعلماء يقررون : ان حضارة العلم خمس عشرة سنة ؛ فاذا ابتدأت أمة تتعلم فانها تجني ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . وأما حضارة الأخلاق فمدتها أربعون سنة ؛ فاذا أخذت الأمة تستمسك بالأخلاق فانها لا تجني الثمرة الا بعد أربعين سنة . لذلك أراد الله تعالى أن يبقى بني إسرائيل في البرية أربعين سنة ، حتى يفنى الجيل الذي نشأ في الذل والاستعباد وينشأ جيل ألف

الحرية ولم تذله العبودية . وهكذا كان حال بنى اسرائيل . فان الجيل الذى ولد فى الذل وكبر حتى مرن عليه هلك فى البرية . وجاء الجيل الذى كان صغيرا أيام عبوديتهم فى مصر ، والذى نشأ أو ولد فى البرية فى الحرية والعزة ، فلم يبال بأولئك الناس ودخل عليهم بلادهم مع يوشع بن نون فتى موسى فملكها .

وهنا لطيفة أريد التنبيه عليها : وهى أن يوقف عند قوله ( أنها محرمة عليهم ) ويبدأ بقوله تعالى ( أربعين سنة يتيهون فى الأرض ) لأنها حرمت عليهم تحريما أبديا لا تحريما مقيدا بأربعين سنة . وذلك أن الرجال الصالحين للحرب الذين عصوا أمر موسى وقالوا ( اذهب أنت وربك فقاتلا ) ماتوا فى البرية أثناء السنين الأربعين ، ولم يدخل أحد منهم الى أرض الموعد . فكانت محرمة عليهم باطلاق .

اقرأوا هذه الآيات : —

**سورة المائدة :** وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [٢٠] يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ [٢١] قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ [٢٢] قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ . وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٢٣] قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [٢٤] قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [٢٥] قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [٢٦]

هذا الموقف من مواقف موسى مع بنى اسرائيل لم يذكر فى سفر الخروج . وكل ما ذكر انما هو مواقف عنيفة بين موسى وقومه ، ووصفهم بصلابة الأعناق والتمرد وأن الله عوقبهم فى البرية أربعين سنة ، ولم يشأ لموسى ولا لهرون أن يعبر أحد منهما الى تلك الأرض ، فمات هرون قبل موسى ودفن فى جبل هور من جبال سينا التى فى البرية . وأما موسى فأمره الله أن يصعد الى جبل « نيبثو » وينظر أرض الموعد دون أن يدخلها . ففعل ومات على الفسجة أى الأكمة التى هى من رمل أحمر ودفن هناك وخفيت معالم قبره .

وأهل فلسطين يدعون أن قبره في موضع من بلادهم ويقيرون له مولدا يقصد من كل ناحية في كل سنة في موعد معين .

وقد ذكر هذا الموقف « في الاصحاح ١٤ سفر العدد » وذكر أيضا على سبيل الحكاية والتذكير « في سفر التثنية » — أثناء تعداد موسى أعمال بني اسرائيل وعصيانهم عليه ومخالفتهم لأمر الله تعالى ما تنقل بعضه « من الاصحاح الأول — تثنية » (١) .

## نتق الجبل فوق بني اسرائيل

ذكر الله تعالى في سورتي البقرة والأعراف أنه رفع جبل الطور فوق بني اسرائيل حتى صار كأنه ظلة وظنوا أنه واقع عليهم أو أيقنوا ذلك . وأمرهم أن يأخذوا ما آتاهم من الأحكام بقوة بأن يفعلوها دون تدمير أو توقف ، وأن يحافظوا عليها أشد محافظة بجِد وعزم قوى على تحمل مشاق ما أوتوه .

وأن يذكروا ما فيه بالعمل به ، وألا يتركوه كالمنسى . فانهم اذا فعلوا ذلك كان مرجوا لهم أن يكونوا ممن اتقى قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق . ثم لم يكن منهم الا الاعراض عن الميثاق بعد أخذه . ولولا فضل الله عليهم ورحمته بتوفيقهم للتوبة لكانوا من الخاسرين المغبونين بالمعاصي والتخبط في الضلال .

هكذا قال المفسرون ، ونحو هذا النحو . وشايعهم أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده لأنه لم ير موجبا للعدول عن ظاهر القرآن الى تأويله ؛ اذ لم يصرف عنه صارف والمسألة من الممكنات العقلية وقد خلت الآية من قرينة صارفة عن الظاهر الى تأويله .

وقد أورد السيد رشيد رضا في تفسير المنار أن هذا المعنى اعترض عليه بأنه اكراه على الايمان والبقاء اليه وذلك يناقض التكليف . قال أجيب عنه بأجوبة منها أن ما يفعل بالاكراه يعود اختياريا بعد زوال ما به الاكراه . ومنها أن مثل هذا الاجاء كان جائزا في الأمم السابقة . ويزيد

---

(١) — (٦) الرب الهنا كلمنا في حوريب قائلا « كفاكم تفعودا في هذا الجبل » (٧) تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما يليه من قرية والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر ارض الكنعاني ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات (٨) انظروا قد جعلت امامكم الأرض التي أقسم الرب لابائكم ابراهيم واسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلمهم من بعدهم .

(٢٠) فقلت لكم قد جئتم الى جبل الاموريين الذي اعطانا الرب الهنا (٢١) انظر قد جعل الرب الهك الأرض امامك أصعد تملك كما ملك الرب اله آبائك لا تخف ولا ترتعب .

(٣٤) وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلا (٣٥) لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجبل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لابائهم (٣٦) ما عدا كالب بن يفتة هو يراها وله أعطى الأرض التي وطئها ولبنيه لأنه اتبع الرب تماما (٣٧) وعلى أيضا غضب الرب بسببكم قائلا وانت أيضا لا تدخل الى هناك (٣٨) يوشع بن نون الواقف امامك هو يدخل الى هناك . شددته لأنه هو يقسمها لاسرائيل (٣٩) وأما اطفالكم الذين قلتهم يكونون غنيمة . وبنوكم الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر فهم يدخلون الى هناك .



من قال هذا أن نفى الاكراه في الدين خاص بالاسلام لقوله تعالى ( لا اكراه في الدين ) وقوله ( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) .

قال الأستاذ الامام : لا حاجة لنا في فهم كتاب الله الى غير ما يدل عليه بأسلوبه الفصيح . فهو لا يحتاج في فهمه الى اضافات ولا ملحقات . وقد ذكر لنا مسألة رفع الطور فوق بنى اسرائيل ولم يقل أنه أراد بذلك الاكراه على الايمان . وانما حكى عنهم في آية أخيرة أنهم ظنوا أنه واقع بهم . فقد قال تعالى في سورة الاعراف ( واذا تلقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ) .

والنتق : الزعزعة والهز والجذب والنفض . وتتق الشيء ينتقه وينتقه من بابى ضرب ونصر تتقا جذبه واقتلعه . وقد يكون ذلك في الآية بضرب من الزلزال كما يدل عليه التعبير بالنتق وهو في الأصل بمعنى الزعزعة والنفض .

والمفهوم من أخذ الميثاق أنهم قبلوا الايمان . وعاهدوا موسى عليه . فرفع الطور وظنهم أنه واقع بهم من الآيات التي رأوها بعد أخذ الميثاق كان لأخذ ما أوتوه من الكتاب بقوة واجتهاد لأن رؤية الآيات تقوى الايمان وتحرك الشعور والوجدان ؛ ولذلك خاطبهم عند رؤية تلك الآية بقوله ( خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه ) أى بالمحافظة عليه والعمل به . فإن العمل هو الذى يجعل العلم راسخا في النفس مستقرا عندها . أى أن تتق الجبل فوقهم لم يكن الغرض منه الاكراه على الايمان ، وانما كان للعمل بما أوتوه من الشريعة والمحافظة عليه بعد أن أقروا بالايمان .

ثم ذكرهم بما كان منهم من التولى عن الطاعة بعد أخذ الميثاق ومشاهدات الآيات . وقد حال دون ادراجهم في سلك الخاسرين ما أدركهم من فضل الله عليهم ورحمته بهم .

وقد قال السيد رشيد رضا في تفسير المنار أيضا : شايح الأستاذ الامام المفسرين على أن رفع الطور كان آية كونية . أى أنه انتزع من الأرض وصار معلقا فوقهم في الهواء . وهذا هو المتبادر من الآية بمعونة السياق وان لم تكن ألفاظها نصا فيه ؛ اذ الرفع هو الارتفاع وجعل الشيء — أو أن يكون الشيء — رفيعا عاليا كما قال تعالى ( فيها سرر مرفوعة ) وقال ( وفرش مرفوعة ) فكل من السرر والفرش تكون مرفوعة وهى على الأرض . وقوله تعالى في سورة الاعراف ( واذا تلقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ) ليس نصا أيضا في كون الجبل رفع في الهواء .

وأصل النتق في اللغة الزعزعة والزلزلة — كما سبق — قال في حقيقة الأساس : تتق البعير الرجل زعزعه . وتتقت الزبد أخرجه بالمخض . وتتق الله الجبل رفعه مزعزعا فوقهم . والظلة كل ما أظلك سواء كان فوقك أو في جانبك وهو مرتفع له ظل .

فيحتمل أنهم لما كانوا بجانب الطور رأوه منتوقا أى مرتفعاً مزعزعا فظنوا أن سيقع بهم

وينقض عليهم . ويجوز أن ذلك كان في أثر زلزال تزعزع له الجبل . ثم قال : وإذا صح هذا التأويل لا يكون منكر ارتفاع الجبل في الهواء مكذبا للقرآن اهـ .

أقول قد يكون جزء عظيم من الجبل اقتلع من مكانه أثناء رجفة أو زلزال ، ورأوه بأعينهم وهم في أسفل الجبل كأنه ظلة وخافوا وقوعه بهم ، وذلك عند أخذ ميثاقهم على العمل بالتوراة<sup>(١)</sup>

(١) الموضوع الثالث « نتق الجبل فوق بنى إسرائيل » .

قال في صفحة ٢٢٦ سطر ٢١ ما نصه :

وقد قال السيد رشيد في تفسير المنار أيضا : شائع الاستاذ الامام المفسرين على أن رفع الطور كان آية كونية ؛ أى أنه انتزع من الأرض وصار معلقا فوقهم في الهواء . وهذا هو المتبادر من الآية بمعونة السياق وإن لم تكن الفاظها نصا فيه . إذ الرفع هو الارتفاع وجعل الشيء - أو أن يكون الشيء - رفيعا عاليا كما قال تعالى ( فيها سرر مرفوعة ) وقال ( وفرش مرفوعة ) فكل من السرر والفرش تكون مرفوعة وهى على الأرض وقوله تعالى في سورة الاعراف ( وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ) ليس نصا أيضا في كون الجبل رفع في الهواء . فأصل النتق في اللغة : الزعزعة والزلزلة ؛ كما سبق قال : في حقيقة الأساس : نتق البعير الرجل ؛ زعزعه . ونتقت الزبد ؛ أخرجه بالمخض . ونتق الله الجبل رفعه مزعزا فوقهم . والظلة كل ما اظلك سواء كان فوقك أو في جانبك وهو مرتفع له ظل . فيحتمل أنهم لما كانوا بجانب الطور رأوه منتوقا ؛ أى مرتفعا مزعزا فظنوا أن سيقع بهم وينقض عليهم . ويجوز أن يكون ذلك في أثر زلزال تزعزع له الجبل . ثم قال : وإذا صح هذا التأويل لا يكون منكر ارتفاع الجبل في الهواء مكذبا للقرآن . اهـ « أى رشيد » أقول : قد يكون جزء عظيم من الجبل قد اقتلع من مكانه أثناء رجفة أو زلزال ورأوه بأعينهم وهم في أسفل الجبل كأنه ظلة ، وخافوا وقوعه بهم وذلك عند أخذ ميثاقهم على العمل بالتوراة . هذا نص كلامه بالحرف .

ثم بعد ذكره الآيات القرآنية الواردة في رفع الجبل قال ما نصه بالحرف :

أما التوراة فلم يذكر فيها أن الله نتق الجبل فوق بنى إسرائيل ، وإنما ذكر فيها وجود رعود وبروق وارتجاف في الجبل وبنو إسرائيل أمامه حتى خافوا جدا .

« في الاصحاح ١٩ - خروج » (١٥) فانحدر موسى من الجبل الى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة (١٦) وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى في المحلة (١٧) وأخرج موسى الشعب من المحلة للاقاة الله فوققوا في أسفل الجبل (١٨) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وضعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا (١٩) فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا موسى يتكلم والله يجيب بصوت « وفي اصحاح ٢٠ خروج » (١٨) وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد (١٩) وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . اهـ .

### رأى الجنة

لم يسمع السيد رشيدا ومؤلف هذا الكتاب ما وسع الأستاذ الامام في موافقة جميع المفسرين على أن رفع الطور آية كونية ؛ أى أنه انتزع من الأرض وصار معلقا فوقهم في الهواء . مع اعتراف الأول بأنه المتبادر من الآيتين بمعونة السياق ؛ بل أديا احتمالا مخترعا في الآيتين أخرجاهما عن افادة تلك الآية الكونية بحجة أن الفاظهما ليست نصا فيما أجمع عليه المفسرون وتبعهم عليه الأستاذ الامام .

وهل الحامل لهما رد القرآن الكريم الى ما جاء في التوراة وهو الذى نقله مؤلف هذا الكتاب ونقلناه عنه في عبارته السابقة ؟ فان كان هذا هو الحامل يقف الذهن في ادراك السر في ذلك .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة البقرة : وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا**

ونحن نرى أن هذا الاحتمال فاسد لا يمكن تطبيق الآيتين الكريميتين عليه بأى وجه من الوجوه وذلك أن الله تعالى يقول في سورة الأعراف ( واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ) وفي سورة البقرة ( واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ) .

والنتق قال في لسان العرب : الزعزة ، والهز ، والجذب ، والنفض . ونتق الشيء ينتقه وينتقه - بالضم - جذبه واقتلعه . وفي التنزيل ( واذ نتقنا الجبل فوقهم ) أى زعزعناه ورفعناه اه . وفي الأساس : ونتق الله الجبل رفسه مززعجا فوقهم اه .

وذكر المفسرون : أن ابن عباس فسر به بالرفع قالوا وهو أرجح ليتوافق مع الآية الأخرى وهى ( ورفعنا فوقكم الطور ) والرفع كما في كتب اللغة : ضد الخفض . وبعد أن بين أنه يكون في الأجسام والمعاني قال صاحب المصباح ما نصه بالحرف « فالرفع في الأجسام حقيقة في الحركة والانتقال ، وفي المعاني محمول على ما يقتضيه المقام » اه . ومعنى الفوقية واضح ، وبيان الجهات الست لا يخفى على كل من قرأ الاجرومية وشرحها .

وعلى ذلك يتعين أن يكون معنى ( ورفعنا فوقكم الطور ) أننا حركناه ونقلناه وجعلناه فوقكم . ولا يعقل أن يكون فوقهم أى في الجهة المعروفة من غير أن يكون معلقا في الهواء .

وهل يتصور أن يكون معنى ( رفعناه ) جعلناه مرتفعا عاليا وهو بجانبهم وهم بجانبه عن يمينهم أو شمالهم أو أمامهم أو وراءهم ويصدق مع ذلك أنه فوقهم .

ان تصور ذلك فلم قلت يا سيدى رشيد « والظلة كل ما اظلك سواء كان فوقك أو بجانبك » ؟ ولم هذا التعميم ان كان ما بالجانب يصدق على أنه فوق ؟

نحن نعتقد أنه غفل عن قوله تعالى ( فوقهم ) وقد ذكرت الفوقية في الآيتين معا . هذا ثم يقال له : هل الزلزال الذى جعل الجبل مرتفعا وعاليا مززعجا أثره ، حصل اتفاقا - أى بالأسباب العادية كبركان في داخله كما يحصل في هذه الأزمان - أو أن الله أجراه من غير تلك الأسباب ؟ وهل الغالب في الزلزال ذلك الجبال أو رفعها وجعلها عالية مرتفعة ؟ وهل مثل هذه الحالة يعبر عنها بمثل هذا التركيب في الآيتين الكريميتين .

ويقال لمؤلف هذا الكتاب بخصوصه : الله سبحانه وتعالى قال ( ورفعنا فوقكم الطور ) وقال ( واذ نتقنا الجبل فوقهم ) ولم يقل ارتفع جزء من الجبل أثناء رجفة أو زلزال . ويقال له ان الذى نقلته عن التوراة ويجوز أنك نقلته - استثناسا لرأيك في فهم القرآن - ان صح ، يجوز أن يكون اشارة الى موقف آخر من مواقف بنى اسرائيل ؛ كموقفهم حينما قالوا ( لن نؤمن لك حتى ترى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ) أو كموقفهم حينما اختار موسى منهم جماعة للميقات وحكاه الله تعالى في سورة الأعراف بقوله ( واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ) الخ الآيات :

وهذا على القول بأنهما موقفان مختلفان لبنى اسرائيل ، وفي ذلك خلاف بين المفسرين .

وحيث ظهر فساد هذا التأويل ، وأن القرآن الكريم نص في افادة الرفع المخصوص - كما قرره جميع المفسرين - كان القول بعدمه تكديبا للقرآن والله أعلم .

**رد المؤلف على نقىة اللجنة**

**( الموضوع الثالث )**

**« نتق الجبل فوق بنى اسرائيل »**

كتب حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة ما هو مسطور قبل هذا . وبه ينكرون على الاحتمال الذى طرقت في رفع الطور فوق بنى اسرائيل ، وينكرون أيضا على السيد رشيد رضا الاحتمال الذى أورده في ذلك .

مَا فِيهِ لَكُمْ تَتَّقُونَ [١٣] ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ

والناظر الى ما كتبه اللجنة يرى ان ما اطالوا به في هذا الباب لا يساوى المداد الذى بعثته على صفحات تلك الاوراق .

والذى ينظر كتابى يرانى قد اوردت ما اورده جمهور المفسرين وهو الذى يفهم من ظاهر القرآن اول وهلة . وقد جرى عليه استاذنا الامام وقد ايدته وعززته ولم اشر الى اى مخالفة له او اعتراض عليه . ثم انى رايت السيد رشيدا قد اورد احتمالا واحس بما فيه من البعد عن ظاهر الآية فقال « واذا صح هذا التأويل لا يكون مكر ارتفاع الجبل في الهواء مكذبا للقرآن » .

وقد نظرت الى قوله فأحسست ببعده مع اعتقاده بأنه محتمل ، فأوردت وجهها يمكن ان تحمل عليه الآية هو في نظري اقرب من الوجه الذى اورده السيد رشيد ، وهو قولى : أقول قد يكون جزء عظيم من الجبل اقتلع من مكانه أثناء رجفة أو زلزال ، وراوه بأعينهم وهم في أسفل الجبل فوقهم كأنه ظلة وخافوا وقوعه بهم ، وذلك عند اخذ ميثاقهم على العمل بما في التوراة . فجاءت اللجنة وقررت ان الاحتمال الذى اورده فاسد ولا يمكن حمل الآيتين عليه وهما قوله تعالى ( واذا نتقنا الجبل فوقهم ) الخ وقوله ( ورفعنا فوقكم الطور ) والى اى حد بلغ ظرف اللجنة في قولها تويخا وتجهيلا لى « ومعنى الفوقية واضح وبيان الجهات الست لا يخفى على كل من قرأ الاجرومية وشراحها » وفسرت قوله تعالى ( ورفعنا فوقكم الطور ) بمعنى اننا « حركناه ونقلناه وجعلناه فوقكم » وقالت : ولا يعقل ان يكون فوقهم اى في الجهة المعروفة من غير ان يكون معلقا في الهواء .

فالخلاف بينى وبين اصحاب الفضيلة - أعضاء اللجنة - انهم يقولون ان الفوقية لا تكون الا على مسامطة الرأس . وأنا أقول : ان الفوقية تحصل مع عدم المسامطة ودليلي على ذلك قوله تعالى ( اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) فان قوله ( من فوقكم ) ليس معناه فوقية مسامطة بل من مكان أعلى من مكانكم . قال في تاج العروس « ص ٥٢ ج ٧ » وقوله تعالى ( اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) عنى الأحزاب وهم قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت قد جاءتهم من فوقهم ، وجاءت قريش وغطفان من ناحية مكة من أسفل منهم ا هـ .

قال الألبوسى « في صفحة ١٣ ج ٧ » عند قوله تعالى ( اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ) - ( من فوقكم ) من أعلى الوادى من جهة المشرق والاضافة اليهم لادنى ملابسته والجائى من ذلك بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد وبنو قريظة وبنو النضير ( ومن أسفل منكم ) من أسفل الوادى من قبل المغرب ، والجائى من ذلك قريش ومن شابعهم من الاحابيش وبنى كنانة واهل تهامة . وقيل الجائى من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل قريش وأسد وغطفان وسليم . وقيل غير ذلك .

وايضا قال الله تعالى ( يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ) « آل عمران آية ٥٥ » فعلى فهم حضرات الأفاضل يكون الله تعالى قد وعد عيسى عليه السلام ان يجعل فوق كل كافر ممن كفروا به واحدا من اتباعه - على سمت راسه - لا ينفك شأن الكفار بعيسى وشأن اتباعه عن ذلك الى يوم القيامة .

وقال تعالى في سورة يوسف آخر آية ٧٦ ( وفوق كل ذى علم عليم ) فمقتضى طريقتهم في فهم الفوقية ان الله تعالى وضع ( عليم ) فوق رأس كل ذى علم .

وهذا ما لا يسلم به أحد حتى حضرات أصحاب الفضيلة فيما أظن .

قال أصحاب الفضيلة - أعضاء اللجنة - ويقال لمؤلف هذا الكتاب بخصوصه : الله سبحانه وتعالى قال ( ورفعنا فوقكم الطور ) وقال ( واذا نتقنا الجبل فوقهم ) ولم يقل ارتفع جزء من الجبل أثناء رجفة أو زلزال .

وانى اجيب حضراتهم بانى قرأت من قبل احدي وخمسين سنة في كتاب اسمه متن السمرقندية في علم البيان عليه حاشية لأحد العلماء ان اللفظ قد يستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما ومن تلك العلاقات الكلية والجزئية فيطلق اللفظ ويراد جزء معناه ومثلوا لذلك بقوله تعالى ( يجعلون أصابعهم في آذانهم ) اى جزءا من أصابعهم وهو الانامل . واعتقد أن علم البيان لم يتغير ولم يتحول عن وضعه في هذه الحقبة وقد يحمل على المبالغة . قال الألوسى في قوله تعالى ( يجعلون أصابعهم في آذانهم ) وهل هذا من المجاز اللغوى لتسمية الكل باسم جزئه أو للتجاوز في الجمل أو هو

## الغاسرين [٦٤]

من المجاز العتلى بأن ينسب الجعل للأصابع وهو للأنامل ؟ فيه خلاف . والمشهور الأول وعليه الجمهور وابن مالك وجماعة على الأخير . . . الخ .

وأرى من الجريئة أن أقول لحضراتهم انكم لم تقرأوا هذه النصوص في علم البيان ولو طوعت لى نفسى ما صدقنى أحد .

وهيى قلت هذا الصبح ليل . أسمى الصالحون عن الضياء ؟

وأرى القول بذلك ذنباً غير مفتقر .

ولكنى أقول أن حضراتهم . . مع علمهم بذلك . لم يريدوا إلا مدايمتى بطريقة بدعية يقول علماء البديع أنها « تحاسن العارف » ولم يكونوا جادين حين قالوا هذا القول أو أنهم أرادوا بذلك اختبار مقدار الذكاء عندى فقط .

وحذف في التقرير أيضاً : ويقال له . أى لهذا المعجز عبد الوهاب التجار . أن الذى نقلته عن التوراة ويجوز ذلك نقله استثناساً لرايك في فهم القرآن . . الخ .

وجوابى على هذا : أن الذى فهمته اللجنة . من انى استأنست لرايى في فهم القرآن في هذا الموضوع بما نقلته عن التوراة . يحتاج الى أناس ليسوا من هذا العالم ليفهموا فهمهم . لأنى قلت : من الجاز أن يكون جزء عظيم من الجبل أقتلع وصار معلقاً في الهواء أمام أعينهم كأنه ظلة ! والذى نقلته عن التوراة ليس فيه هذا ؟ فكيف استأنس لقولى أو رأيى بكلام ليس فيه ما قلت ؟ ثم انى أقول لحضراتهم : بعشكم ؟ اليس اقتلاع جزء عظيم من الجبل ورفع معلقاً في الهواء . يراه القوم كذلك أمام أعينهم . آية كونية ؟ وليس في وسمى إلا أن أقول لهم : يا قومنا ( اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ) وأما احتمال أن يكون في موقف آخر من مواقف بنى اسرائيل؛ فهذا ما لم أرده ولم يخطر ببالى .

قالت اللجنة . في الرد على : أن الله لم يقل واذ نتقنا بعض الجبل . وأنا أقول لهم أن بعض الجبل يعلق عليه جبل مجازاً . كما قدمت . وقد يقف الانسان فوق جزء صغير من الجبل ويقول قد وقفت على الجبل . والواقف على جزء من جبل عرفات يقول قد وقفت على جبل عرفات . وهو لم يقف إلا على موضع قدميه ! ولا يمكن أن يكون كاذباً ! ويجزئه ذلك في الوقوف . وتقول : دخلت قصر عابدين . وأنت لم تدخل إلا إحدى حجراته ! وأقول : قد نصت نقد اللجنة على التشهير بى وإنما نص على ذلك في بعض سطور النقد .

قالت اللجنة : وحيث ظهر فساد هذا التأويل وأن القرآن الكريم نص في افادة الرفع المخصوص . . كما قرره جميع المفسرين . كان القول بعدمه تكذيباً للقرآن الكريم .

وأنا أقول : وحيث قد ظهر مما قدمت أن الاحتمال الذى آتيت به سائغ وإن القوية لا تنحصر في فوقية السامعة كما تدعى اللجنة لما قدمت عن تاج العروس وعن الألوسى .

وحيث أن أجماع المفسرين لا يمنع انساناً أن يفهم كلام الله على وجه غير الذى قرروه . وحيث أن الحجر على العقول أن تفهم كلام الله إلا كما فهمه الأقدمون : اكبروسية لا تليق بسماحة الاسلام الذى ما جاء الا لاطلاق العقول من أسر التقليد للآباء الذى تريد اللجنة قسر العقول والافهام عليه مع مناقضته لروح الاسلام الذى جاء بوضع الأصار عن الناس والأغلال التى كانت عليهم .

يعلم أن عبارة كتابى لا غبار عليها وأنها لا تحتاج في فهمها الا الى انفس خالية من غرض التائيم نقيه من الأهواء .

وأما نسبة اللجنة الى انى اكذب القرآن فأقول لأعضائها : انكم لتقولون قولاً عظيماً ، يعظكم الله أن تعودوا لثقله أبداً أن كنتم مؤمنين . وأنى اكل حسبانكم الى الله يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئاً ولا ثقل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل . ويومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه . وأن الذى أعزاكم بى سيئراً منكم ومما جئتم على يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء فاعرفه . وأن بيننا وبينه آمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله بصير بالعباد ويومئذ يعجز الظالم . . . الخ .

سورة الاحزاب : وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ  
بِقُوَّةٍ وَإِذْ كُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) (١)

## بنو إسرائيل ومسألة البقرة (١)

(أولا ) أريد أن أقدم بين يدي الكلام على بقرة بنى إسرائيل : أن المفسرين يذكرون أن القتل ضرب بجزء من البقرة فحبي وأخبر بقاتله فأخذ وقتل . ويذكرون للبقرة حكايك وروايات وغرائب ما أنزل الله بها من سلطان .

(١) أما السورة فلم يذكر فيها أن الله نتق الجبل فوق بنى إسرائيل . وإنما ذكر فيها وجود رعود وبروق وارتجاف في الجبل . وبنى إسرائيل أمامه حتى خافوا جدا .

في الأصحاح ١٩ - خروج (١٥) فالتحق موسى من الجبل إلى الشعب وقدم الشهاب ونزلوا ثيابهم وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث . لا تقربوا امرأة (١٦) وحدث في اليوم الثالث ما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت برق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذي في المحلة (١٧) وأخرج موسى الشعب من المحلة للملاقة الله . فوقفوا في أسفل الجبل (١٨) وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الأتون . وارتجف كل الجبل جدا (١٩) وكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا . موسى يتكلم والله يحبيه بصوت .

وفي أصحاح ٢٠ - خروج (١٨) وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد (١٩) وقالوا لموسى تكلم معنا فنتسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت .

## (٢) الموضوع الثاني « قصة بنى إسرائيل والبقرة »

يرى أن ما ذكر في القرآن في شأن ذبح البقرة هما قصتان منفصلتان - سببها وحكما « أحدهما » بتندى من قوله تعالى ( وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ) وتندى بقوله تعالى ( فذبحوها وما كادوا يفعلون ) « والثانية » بتندى من قوله تعالى ( وإذ قلتم أنفسنا فاداراتم فيها ) وتندى بقوله تعالى ( لعلكم تعقلون ) .

فقال في شأن القصة الأولى صفحة ٢٣٣ سطر ٧ ما نصه :

والذي فهمته من القصة الأولى أن بنى إسرائيل قد وقعت عندهم واقعة قد حاروا فيها ؛ وهي أن شخصا قد قتل في الحقل وهم لا يدرون من الذي قتله . والحقل واقع بين بلاد كثيرة غاي البلاد تلصق بأهله تهمة القتل ؟

رفعوا أمرهم إلى موسى فما كان جوابه إلا أن قال لهم : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ( ولما كان الجواب بعيدا - في رأيهم - عن الغرض الذي جاءوا لأجله وقع عندهم موقع الغرابة وقالوا لموسى ( اتخذنا هزوا ) ولما كان موسى إنسان صديق بعيدا عن الهزء والسخرية بعباد الله قال لهم ( أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ) الذين يمزأون بعباد الله . ثم كانت المراجعة بينهم وبين موسى وربه حتى بين لهم شأن البقرة ولونها وأحوالها أتم بيان ، ومع ذلك لم يمثلوا بل ذبحوها بعسك أن كادوا لا يفعلون ؛ أي أنهم ذبحوها بعد جهد شديد .

أتى موسى برجال أقرب محلة من مكان القتل . وأحلفهم عليها بعد ذبحها - أي وهي أمامهم - أنهم ما قتلوا القتل ولا علموا به وأنهم برءاء على البقرة كما قص ذلك في التوراة . ثم قال هذه اليمين في شريعتهم كيمين القسمات عندنا معشر المسلمين ... الخ .

وذكر قبل ذلك ملخص ما جاء في التوراة في شأن هذه القصة صفحة ٢٣٠ فقال ما نصه :

أما ما جاء في التوراة متعلقا بأمر ذبح البقرة فيلخص في : أن بنى إسرائيل فرض عليهم أنه إذا قتل قتيل في الحقل يؤتى بأهل أقرب البلاد من موضع القتل ، وبأتون بمجلة من البقر لم يحرق عليها

أما قولهم : ان القتل ضرب ببعض البقرة فجبي وأخبر بقاتله ؛ فهذا شيء زائد على ما نص في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — وكل ما قصوه في هذا الموقف

ولم تجر بالنير ، ويأتى شيوخ القرية بها الى واد دائم السيلان لم يحرق فيه ولم يزرع ويكسرون عنق المعجلة في الوادى . ثم يتقدم الكهنة — بنو لاوى — ويباركون الله ويفسل جميع شيوخ القرية القريبة من القتل ايديهم على المعجلة ويصرخون قائلين « ايدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر أغفر لشعبك اسرائيل الذى فديت يا رب ولا تجعل دم برىء في وسط شعبك اسرائيل فيغفر لهم هذا الدم » اهـ .

ثم ذكر نص التوراة بالحرف في هذا الموضوع من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التثنية ويلاحظ ان نص التوراة لم يشتمل على يمين ، فلا ندرى من اين هذه اليمين التى ذكرها وشبهها بيمين القسامة في الشريعة الاسلامية ؟ اللهم الا أن يقال ان صراخهم قائلين « ايدينا لم تسفك هذا الدم » الخ يعتبر يميناً عندهم وهو بعيداً جداً . ولعله أخذها من وضع ايديهم في الدم يعتبر ذلك يميناً .

وقال في شأن القصة الثانية صفحة ٢٣٤ سطر ٩ ما نصه :

وأما القصة الثانية وهى قوله تعالى ( واذا قتلتم نفساً ) الخ فهى في شأن قتل وجد قتيلاً في بيته أو محلة قومه ، أو سقط في معركة فيها جماعة وقد دفع كل واحد القتل عن نفسه ولم يتعين قاتله تماماً ؛ وكل واحد يتهم سواه بالقتل . وحينئذ يكون المتهمون محصورين والقاتل لا يخرج عنهم بدليل قوله تعالى ( فاداراتم فيها ) ولما كان الله تعالى مخرجاً ما يكتمون من القتل علمهم طريقة يميز بها القاتل من البرىء ، ذلك بأن يأتوا بالمتهم ثم يضربوه بجزء من تلك النفس — أى من القتل — بأن يأتى واحد ويضرب المتهم بيد القتل أو برجله ، فإذا كان المتهم بريئاً لم يحدث له شيء ، وإذا كان فاعلاً ظهر عليه أنفعال نفسى ورعدة يعلم بسببها انه القاتل دون سواه . ثم قال وهذا الأمر يرجع الى أحوال الفرائز النفسية ... الى آخر ما قرره من أصول علم النفس . واستشهد بييتين من الشعر لشاعر عربى وبحادثة امرأة ملطية ، وبما أجابه به مدرس التحقيق الجنائى ومعاون بوليس العياط مما لا يعنىنا صحته ولا فساد .

وقد استند في هذا الراى الى أن كلا الموضعين اللذين اعتبرهما قصتين مبدوء بقوله تعالى ( واذا ) على النسق المطرد الذى لم يتخلف في حكاية القصص المتعلقة ببنى اسرائيل ؛ فان كل قصة مبدوءة بذلك . وهناك وجه آخر لهذا الراى يفهم من كلامه ؛ وهو أن الآية الثانية تكون مفيدة لقاعدة مهمة وطريقة عامة في استكشاف القاتل الحقيقى لا تخص بنى اسرائيل ، بخلاف ما اذا جعلت قصة واحدة على الراى المشهور ، فانها تكون فائدة قاصرة على اظهار قاتل واحد في بنى اسرائيل .

وذكر حكمة عدم استيفاء القصة الاولى في القرآن بأن الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نموذجاً مما بلغ اليه تمتت بنى اسرائيل في ابطائهم عن امتثال امر الله تعالى ، ومطاولتهم ومماطلتهم في تنفيذ ما يأمرهم به دون استيفاء القصة استيفاء كاملاً يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة . اهـ .

هذا ما ذكره في ابداء هذا الراى في تفسير آيات البقرة . وقد رجا العلماء بأن يعروه اهتماماً وان يوافوه بما يرونه من الصواب ... الخ .

### ( راي اللجنة )

والذى نراه أن ما ذهب اليه في تأويل هذه الآيات مخالف لما ثبت بالرواية والاثار ، خطأ من جهة الدراية والنظر .

أما الاول فلأنه خالف اجماع المفسرين فيما نعلم سوى صاحب المنار في تفسيره . وسنذكر نص عبارته بعد اتمام الرد على هذا الراى .

وقد نقل ابن جرير الطبرى التفسير المشهور لهذه القصة بأسانيده عن ارباب التأويل ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وذكر الحافظ بن حجر في « فتح البارى » ان قصة البقرة أوردها آدم بن اياس في تفسيره . قال : حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالى في قوله تعالى ( ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة ) قال : كان رجل من بنى اسرائيل غنياً ولم يكن له ولد ، وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق . واتى موسى

في كتبهم ليس الا اسراييليات تلقفها أولئك المفسرون من مسلمة أهل الكتاب ، أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه الذين لا يبالون بما ينسبونه الى كتاب الله التوراة ، والتوراة خالية منه بالمرّة

فقال ان قريبي قتل واتى الى امر عظيم . واني لا اجد احدا يبين لي قاتله غيرك يا نبي الله . فنادى موسى في الناس من كان عنده علم من هذا فليبينه ؟ فلم يكن عندهم علم فأوحى الله اليه قل لهم فليذبحوا بقرة . فمجبوا وقالوا كيف نطلب معرفة من قتل هذا القليل فنؤمر بذبح بقرة ؟ وكان ما قصه الله تعالى ( قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر ) يعنى لا هرمة ولا صغيرة ( عوان بين ذلك ) اى نصف بين البكر والهرمة ( قالوا ادع لناربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها صفراء فاقم لونها ) اى صاف ( تسر الناظرين ) اى تعجبهم ( قالوا ادع لناربك يبين لنا ما هي ) الآية ( قال انه يقول انها بقرة لا ذلول ) اى لم يذلها العمل ( تثر الأرض ) يعنى ليست بذلول فتثير الأرض ( ولا تسقى الحرث ) يقول ولا تعمل في الحرث ( مسلمة ) اى من العيوب ( لاشية فيها ) اى لا بياض ( قالوا الآن جئت بالحق ) قال : ولو ان القوم حين امروا بذبح بقرة اشتروا اى بقرة كانت ؛ لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشد عليهم ولولا انهم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما اهتدوا اليها ابدا فبلغنا انهم لم يجدوها الا عند عجوز فأغلت عليهم في الثمن ، فقال لهم موسى انتم شددتم على انفسكم فأعطوها ما سألت . فذبحوها واخذوا عظما منها فضربوا القليل فعاش فسمى لهم قاتله ثم مات مكانه . فاخذ قاتله - وهو قريبه الذي كان يريد ان يرثه - فقتله على أسوأ عمله .

ثم قال الحافظ بن حجر : واخرج ابن جرير هذه القصة مطولة من طريق العوفي عن ابن عباس ، ومن طريق السدى كذلك . واخرجها هو وابن أبى حاتم وعبد بن حميد باسناد صحيح عن محمد ابن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلماني أحد كبار التابعين .  
واما الثانى وهو الخطأ من جهة الدراية والنظر فمن وجوه :

( الاول ) انه على هذا الفهم لا يكون للمذكور من القصة الاولى في القرآن الكريم معنى محصل ؛ اذ يتلخص معنى ما ذكر في ان موسى عليه الصلاة والسلام قال لقومه : ان الله يأمركم بذبح بقرة ، وبعد استغرابهم لهذا الأمر طلبوا منه ان يدعو ربه ليبين هذه البقرة - المرة بعد المرة - وبعد بيانها امتثلوا وذبحوها بعد جهد شديد .

هذا ملخص ما ذكر من القصة الاولى ، ولم يبين سبب الذبح ولا فائدته .

والاجابة عن ذلك بان الغرض ان يقص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم انموذجا من تعنت بنى اسرائيل في ابطائهم عن امتثال امر الله تعالى ، ومطاولتهم ومماطلتهم في تنفيذ ما يأمرهم به دون استيفاء القصة - لا تنفع ؛ لان فائدة القصص اما الاعتبار واما تقريع الخلف . ولا شك ان اظهار التعنت انما يثير الاعتبار ويحصل به التقريع اذا كان في أمر معقول يتضح منه انه لا مبرر لهم في هذا التعنت ولا وجه لهم في التباطؤ في الامتثال ، بخلاف اظهار تعنتهم في أمر لم يظهر سببه ولم يتبين فائدته ، فانه لا يثير اعتبارا ولا يحصل به تقريع ، بل ربما ابدت الطبيعة البشرية لهم بعض العذر على هذا التباطؤ .

على انه لو ذكرت القصة بتمامها على ما فهمه اخذا من التوراة لم يفهم السامع منها في ذبح البقرة سببا معقولا لاطهار براءة القاتل ، لا خارقا للعادة ولا معتادا اللهم الا ان يكون ذلك السبب هو ما اشتملت عليه من اليمين على تسليم انها اشتملت على يمين .

ثم ما علاقة هذه اليمين بذبح البقرة وغسل الايدي عليها ؟ لا نفهم لذلك علاقة سوى انه يرجع لعبادة العجل وتعظيمهم له ! نعوذ بالله من ذلك .

( الوجه الثانى ) انه لا يظهر في هذه القصة ما يقنع بعدم وجود الهزء والسخرية الا مجرد صدور الطلب والقول من موسى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى ، من غير ان يظهر لهم فائدة هذا الامر الغريب في العادة ، خصوصا بالنسبة لبنى اسرائيل الذين اشتهروا بالعناد والتعنت وعدم الانقياد مع ظهور الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات .

( الوجه الثالث ) اين مرجع الضمير على هذا الراى في قوله تعالى ( فقلنا اضربوه ببعضها ) ؟ فان قالوا : يرجع الى المتهم ؟ قلنا : فابن موضع ذكره في الآيات ؟ فان قالوا : يفهم من قوله



وقد أفاضوا على المسلمين ثروة من تلك الاسرائيليات التي لم ينزل الله بها سلطانا ولا يمكن أحدا من المسلمين أن يجعلها برهانا على أمر من الأمور .

تعالى ( قتلتم ) ؟ قلنا : كان الظاهر أن يقال : اضربوا أنفسكم ، فإن قالوا : يعلم من المقام ؟ قلنا : هذه قصة جديدة على هذا الرأي مقامها يستدئ من قوله تعالى ( واذا قتلتم ) فلا بد أن يكون مأخذ مرجع الضمير هو قوله تعالى ( واذا قتلتم ) الآية . ثم أنه يؤخذ من القصة أن المتهم متعدد ، فكان الظاهر أن يقال : اضربوهما أو اضربوهم . ولا يغنى عن هذا ارادة الجنس - أى جنس المتهم - إذ المعنى عليه : اضربوا جنس المتهم المتحقق في أشخاص عدة ، وهو تكلف بل تصسف ، ولا يقع نظيره في الكلام المعتاد فضلا عن فصيح الكلام - البالغ حد الإعجاز في البلاغة والفصاحة - ألا ترى أنه إذا قيل : حكمت المحكمة بسجن المتهم مدة كذا أو باعدامه ، لا يفهم جميع من يسمع ذلك إلا أن المتهم المحكوم عليه شخص واحد لا أشخاص عدة ، وإذا كان الأمر كذلك لا يجوز مخالفة جميع أئمة التفسير - ومنهم صحابة أجلاء لمثل هذا التصسف من التأويل .

ثم يقال : على تسليم هذا النوع من التأويل جدلا لم يبين في الآية الكريمة ما يترتب على ضرب المتهم ببعض القتل من حصول الاضطراب والردة ، ولم يبين فيها أيضا أن تلك الردة إنما توجد من القاتل دون غيره ، وحينئذ يتميز عن باقي المتهمين . ومن الواضح جدا أن ذلك هو الأحذر بالبيان والأحق بالارشاد إليه ؛ لأن فائدة الضرب هي الدققة التي عليها مدار هذه الطريقة في استكشاف القاتل . فإن قالوا : أن المخاطبين يعلمونها ؟ قلنا : لا يتصور أن يعلموها ويجهلوا ما يوصل إليها من الضرب أو عرض المتهم على القتل ! نعم لو كان ما يترتب على الضرب هو اقرار المتهم بالجريمة لا يحتاج الأمر الى البيان . وفوق هذا فقد دلت الآثار الصحيحة التي نقلنا بعضها سابقا عن أئمة المسلمين من الصحابة وغيرهم على خلاف هذا التأويل . فمن أين جاء له هذا الرأي الذي لم يساعده الأسلوب ولم يؤيده المنقول ؟ بل ينافيه وتمجه العقول .

( الوجه الرابع ) قوله تعالى ( كذلك يحيى الله الموتى ) على نحو قوله تعالى ( ولكم في القصص حياة ) يحتاج الى التجوز في قوله تعالى ( يحيى ) بأن يراد بديم الحياة وفي قوله تعالى ( الموتى ) بأن يراد من هم في معرض أن يموتوا لولا هذا الضرب من استكشاف القاتل الحقيقي . وهذا التجوز بعيد من وجهين ( الأول ) لم يعهد في القرآن الكريم على ما نعلم التجوز بلفظ ( الموتى ) عن هذا المعنى وأن عهد التجوز بلفظ « الحياة » ( الثاني ) عدم وجود قرائن لهذه المجازات بخلاف قوله تعالى ( ولكم في القصص حياة ) فإن القرينة واضحة .

فإن قالوا أن صح ما فهمناه من الآيات كانت القرائن واضحة على هذا التجوز مأخوذة من المقام ؛ إذ لا يوجد ميت حقيقى أحياه الله حتى تحمل هذه الألفاظ على الحقيقة ؟

قلنا هذا الفهم في معرض النزاع فلا يقبل دليلا .

وعلى تسليم أن هنا قرائن تؤخذ من المقام - بناء على هذا الفهم - فهل عهد في اللغة العربية التعبير بمثل هذه العبارة في مثل هذا المقام ؟ وبعد ذلك يقف الذهن في قوله تعالى ( كذلك ) فإنا أن أرجعنا اسم الإشارة الى ما وقع من بنى اسرائيل وتكون تلك الحادثة هي المشبه بها ، والمشبه غيرها من الحوادث أمثالها ، توقفت صحة هذا الكلام على أن تلك الحادثة تبرا فيها أناس ادم الله حياتهم بعد أن كانوا في مظنة أن يموتوا . أما إذا فرضنا أن جميع المتهمين في تلك الحادثة حصلت لهم رعدة واضطراب فثبت أنهم قاتلون ، فلا مرجع لاسم الإشارة ، ولا يقال إن الحياة وقعت لغير المتهمين - بالاعتبار على هذا الاحتمال - فلا يقدمون على القتل لأنه وإن ساع اطلاق الحياة عليهم بهذا لا يسوغ اطلاق الموت عليهم ؛ لأنهم ليسوا بمعرض أن يموتوا .

وعلى تسليم الاطلاق ! يكون المقصود من هذه الجملة هو براءة المتهم غير القاتل دون اظهار القاتل الحقيقي المقصود من القصة . وأين هذه التصفيات من المعنى المشهور للآية ( كذلك ) أى كهذا الأحياء العجيب - وهو أحياء القتل بضربه ببعض البقرة ليخبر عن قاتله - يحيى الله الموتى يوم القيامة بالبعث ، فيكون اثباتا للبعث الذي كثر منكره بالمشاهدة لمن حضر تلك الحادثة . ثم أنه لم يتعرض لتفسير قوله تعالى ( ويرىكم آياته لعلكم تعقلون ) على هذا الرأي . والمعروف

وإذا كانت المسألة خالية من نص قطعى الثبوت والدلالة جاء في القرآن الكريم ومن نص عن المعصوم صلى الله عليه وسلم تجب به الحجة وتثبت به القضية ، وليس فيه سوى تلك

في تفسير الآيات في مثل هذا الموضع انها الدلائل الدالة على عظم قدرته تعالى ، وذلك انما يكون في خلق الأمور العجيبة الخارقة للعادة ، والتي ليست من مقدور البشر كاحياء الموتى ، فهل ارشادهم الى هذه الطريقة التي تفتن لها مدرس الجنائي وملاحظ بوليس العياط تعتبر من الآيات التي اراهم الله اياها ؟

( الوجه الخامس ) هل الاضطراب الذى يحصل للمتهم بالقتل - اذا عرض على القتل او ضرب ببعضه - يجب به قصاص في الشريعة الموسوية ؟ او في الشريعة الاسلامية ؟ او بحسب القوانين الوضعية حتى يترتب عليها احياء الله الموتى ؟ لا يستطيع احد ان يدعى ذلك في الشريعة الموسوية ، وهو قد صرح بأن هذا الضرب لم يعرف عند اهل الكتاب ، فانه مما ذكروا به ونسوه . ولا يستطيع احد ان يدعى ذلك في الشريعة الاسلامية ؛ فان مثل هذا لا يعتبر من موجبات القصاص في الشريعة الاسلامية . ولا نظن مثل ذلك يعتبر لوثا - اى قرينة - يسوغ بمقتضاها دعوى الدم ؛ فيكلف المدعى يمين القسامة المعروفة في علم الفقه ؛ وكيف يعتبر لوثا مع ان هذه الرعدة والاضطراب قد تحصل للبريء بمجرد اتهامه بالقتل ؛ لانه لم يتعود العرض على الحكام ، او لانه شريف كبير في قومه ، او لانه ضعيف القلب او غير ذلك من الأسباب . وهى لا تحصل للقاتل غالبا . وقد لا تحصل للقاتل الذى اعتاد الاجرام . ومن ينظر لحالة الطبيب في ميدان تعلمه لفن التشريح وبعد كثرة التدريب في الجراحات . لا يشك في تغير أحوال الانسان - اضطرابا وعدمه - عند رؤيته لمثل هذه المؤثرات . اما القوانين الوضعية : فانا وان لم نطلع عليها نستطيع لانفسنا القول بأنه لا يمكن للقضاة بمقتضى هذه القوانين ان يحكموا - لمجرد اضطراب او رعدة - باعدام المتهم او بسجنه مدة تناسب جريمة القتل . وحادثة « طنوب » التي ذكرها اقر فيها اثنان من المتهمين كما هو صريح الجواب الذى ذكره فضيلة المؤلف .

فهذه خمسة اوجه تدل على خطأ هذا الراى من الوجهة العلمية .

وهناك وجه سادس لانبيديه لمثل فضيلة الاستاذ - مؤلف هذا الكتاب - لانا نعتقد انه ذو دين وعقيدة صحيحة ، وانما نبيديه لمن كانت عادته تاويل مثل هذه الآية من الآيات الدالة على معجزات الرسل حتى يخرجها عن كونها خارقة للعادة ويطبقها على التواميس الطبيعية .

ذلك انه يوجد في هذا الزمن نوع من الالحاد خفى المال ؛ هو تاويل كل آية او حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل حتى يكون مفادها امرا غير خارق للعادة . وهذا النوع اخطر انواع الالحاد لانه سبيل الى انكار الاديان السماوية والى هدمها من اساسها ؛ لان اساس اثباتها المعجزات التي اجراها الله تعالى على ايدى الرسل عليهم الصلاة والسلام . واما ما استند اليه في هذا الراى - من الوجهين السابقين - فلا يصح ان يكون متكا لمخالفة سائر المفسرين .

اما الوجهة الاولى : وهو تصدير الموضعين بقوله تعالى (واذ ) فلا يدل على انها قصتان منفصلتان سببا وحكما ؛ اذ يمكن ان يقال انها قصة واحدة كما وردت بذلك الآثار وكما هو المعقول ، والله سبحانه وتعالى حكى هذه القصة بطريقة بدیعة غريبة ؛ اذا سمع الانسان مبداءها يبقى متشوقا الى منتهاها بسبب قلب نسقها وتغير ترتيبها في الحكاية . وهذا القلب الذى يثير الشوق فى النفس يستدعى ان يبدأ كل طرف منها بقوله تعالى ( واذ ) كانه قصة قائمة بنفسها . وقد ذكر المفسرون حكما لتغيير الترتيب في هذه القصة منها : تكرير التوبيخ وتثنية التقرير ، فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامثال به جناة عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحياها . ولو حكيت على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يختص بها من التوبيخ .

واما الوجه الثانى فلا يحتاج الى الرد ؛ اذ لم يثبت ان ما ذكره قاعدة منضبطة مطردة يصح التعويل عليها في تمييز القاتل من غيره ، لا في الشرائع السماوية ولا في القوانين الوضعية . والله اعلم . هذا ما يتعلق بكلام مؤلف هذا الكتاب في تفسير هذه الآيات . وقد راينا ان نقل عبارة سلفه في

الاسرائيليات المعلوم أمرها كان من الظلم أن تفسر العقول على فهم وجه ليس به حجة ولا برهان ، وأن تكف عن فهم كتاب الله تعالى على وجه مقبول في العقول سائق في الأفهام .

هذا الرأي - أى في مخالفة المفسرين وإن كان بينهما فرق كما سنذكر - وهو السيد رشيد رضا في تفسير المنار قال ما نصه صفحة ٣٥٠ من الجزء الأول : وأما قوله تعالى ( فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ) فهو بيان لاخراج ما يكتمون . ويروون في هذا الضرب روايات كثيرة : قيل إن المراد ضربوا المقتول بلسانها ، وقيل بذنبها . وقالوا انهم ضربوه فعادت اليه الحياة وقال قتلنى أخى أو ابن أخى فلان الى آخر ما قالوه . والآية ليست نصا في مجمله فكيف بتفصيله ؟ والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء ، عند التنازع في القاتل اذا وجد القاتل قرب بلد ولم يعرف قاتله ، ليعرف الجاني من غيره . فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجنابة .

ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس ؛ أى يحييها بمثل هذه الأحكام . وهذا الأحياء على حد قوله تعالى ( ولكم في القصص حياة ) فالأحياء هنا معناه الاستبقاء على الحياة المقصود نقله .

ومراد به ما قدمه هو عبارة التوراة التى لخصها مؤلف هذا الكتاب وحمل القصة الأولى في نظره عليها ، ثم الظاهر من عبارة السيد رشيد أنه فهم أن القصة واحدة وإن قوله تعالى ( فقلنا اضربوه ببعضها ) إشارة الى الوسيلة التى كانت عندهم للفصل في الدماء . ورأى مؤلف الكتاب قد يكون أقرب ، وإن كان كل منهما بعيدا جدا عما تدل عليه الآيات القرآنية ، بل باطلا .

وقد سبق في الأوجه التى ابديناها ما يكفى لإبطال مثل هذه الآراء والله اعلم .

### رد المؤلف على نقد اللجنة

#### في قصة بقرة بنى اسرائيل

ابتدا أصحاب الفضيلة رايهم قائلين « والذى نراه أن ما ذهب اليه مخالف لما ثبت بالرواية والأثر » كلام فخم ضخم رنان يوهم أنى خالفت نصا قطعى الثبوت والدلالة وأردا في الكتاب الكريم ، أو خبرا متواترا عن المعصوم صلى الله عليه وسلم صريحا في بابه . ولكن القراء اذا تحروا تلك الروايات وتلك الآثار وجدوها اسرائيليات لا أكثر ولا أقل ؛ لا عيب على مخالفها ولا اثم على مزيفها .

هذا وإنى أقول : لما وصلت في كتابى الى قصة بقرة بنى اسرائيل نصصت بايجاز ما قاله المفسرون القدم والحديثون من أن المسألتين قصة واحدة فيها تقديم وتأخير وإن الضمير في (بعضها) يعود على البقرة . وإن القتل حى واخبر بقاتله - على النحو الذى نقله حضرات أعضاء اللجنة - ولم أزيغ هذا الرأى ولم أنقضه . وإنما عن لى أن أفهم الأمر على أنهما قصتان لا قصة . ونصصت ما نقلته اللجنة عارضا إياه على انظار العلماء ليوافونى برأيهم حتى أثبت لكل انسان رأيه عند إعادة طبع الكتاب ، مقدرا أنه وجه مما تحتمله الآية ، وأنه ليس يناقض الوجه الأول ولا يمزيف له - وإن كنت أعتقد أن رأى خير منه - وكنت أنتظر من اللجنة أن توافينى برأيها خالصا دون تأففاو تذر ، ودون رمى بمغديات - كما فعلت - وهى تعلم أنى مستعد لقبول الرأى والانصياع له اذا رأته قاطعا . والعدول عن رأى متى علمت بطلانه من كل وجه . ولكنها عمدت الى التشهير بى قائلة « انه خالف اجماع المفسرين فيما نعلم سوى صاحب المنار » كان ذلك الذى تقوله يخيفنى . أو كأنى لم أجهر به من أول الأمر .

وطريف لدى جدا قول اللجنة « وقد نقل ابن جرير الطبرى التفسير المشهور لهذه القصة بأسانيده عن أرباب التأويل ، ومنهم جبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس » والظاهر أنهم كانوا في احتياج الى هذه التعويذة أو الرقية ، حتى اذا سمعتها لا يكون منى سوى الاستخذاء والتسليم بأن الوجه الذى أوردته أنا باطل فاسد . وكأن هذا الرأى الذى نصه ابن عباس نص قطعى الثبوت والدلالة ! وليت شعرى ماذا يقولون في كبار المفسرين الذين خالفوا ابن عباس في كثير من آرائه في التفسير ؟

(ثانياً) أريد أن أناقش الوجه الذى فسروا عليه آيات الكتاب الكريم وحملوها من المعنى ما لم يأذن به الله فأقول : اذا فرضنا المستحيل فى العادة وأن القتل حى وأخبر بقاتله ، فما فائدة ذلك ؟

هيو أنى سمعته من ابن عباس نفسه أليس من حق العلم على أن أسأله عن أخذ هذا القول ؟ أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سمعه من مسلمة أهل الكتاب أو رأى رأاه من نفسه ؟ يا قوم انى لا أنكر القول الذى نصه القوم عن ابن عباس ، ولكنى أنكر أن يكون قاطعاً فى الموضوع لا يمكن معه أن يتطرق احتمال آخر . ولا أنكر وجود الخوارق على يد موسى فقد أوجد الله على يده ما هو أبلغ وأعظم ، ولقد اتعبت أنفسكم فى نقل ذلك النص فليستم بقائلين شيئاً من هذا الا وقد رأيته ، وليس الفرق بينى وبينكم الا أنكم تقولون ان الآيتين لا تفهمان الا على مقتضاه ؛ وبذلك تجعلونه قطعى الثبوت والدلالة . وأنا أقول بإمكان فهمها على وجه آخر وأنه ليس قطعى الثبوت والدلالة ؛ كما يوهمه كلامكم .

وقد ذهب على اللجنة الموقرة ان تبين لنا الفائدة المترتبة على حياة الميت بضربه بجزء من البقرة والأخبار باسم قاتله بعد حياته .

قد يقولون اننا ذكرنا ذلك بقولنا « فأخذ قاتله وهو قريبه الذى كان يريد أن يرثه فقتله على أسوأ عمله » فانى أقول ان هذا على خلاف شرعهم ، لأنه لا يحكم عندهم على أحد الا بشهادة شاهدين أو ثلاثة تثنية « ص ١٩ » (١٥) لا يقوم واحد على انسان فى ذنب ما أو خطيئة ما من جميع الخطايا التى يخطئ بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر .

وأقول ايضا ما يقوله جمهور العلماء : من ان قول المقتول « دى عند فلان أو فلان قتلنى » خبر يحتمل الصدق والكذب . ولا خلاف فى ان دم المدعى عليه معصوم ممنوعة اباحتها الا بيقين ، ولا يقين مع الاحتمال . قد يقولون : ان قتل بنى اسرائيل كان أمره معجزة ، وأخبر تعالى أنه يحييه ، وذلك يتضمن الأخبار بقاتله خبراً جزماً لا يدخله احتمال ، فافترقا .

أقول كما قال ابن العربى : المعجزة انما كانت فى احيائه ، فلما صار حياً كان كلامه ككلام الناس كلهم فى القبول والرد . ١٠ هـ « ٣٨٨ الأحكام للقرطبى » .

ولا توجد شريعة تأخذ المتهم بقول المجنى عليه وحده . ولو أن قتل بنى اسرائيل الذى عاش بعد قتله - كما يقولون - ادعى على رجل درهما ؛ ما قبل قوله فيه ولا حكم لورثته به بسبب شهادته وحده فكيف يقبل قوله فى الدماء المعصومة المحترمة ؟ وهى لا تحل الا بيقين لا يتطرق اليه شك !

وبعد هذا كله فان قولهم « وأخبر تعالى أنه يحييه » الى آخره أمر زائد عما يستفاد من القرآن الكريم ، وليس عليه نص فى القرآن .

أقر وأعترف - وأنا فى حال طواعيتى واختيارى وصحتى بدنا وعقلا وجواز الاشهاد على شر ونفاذ تصرفاتى فى الوجوه كلها بدون اجبار ولا اكراه - أن الوجه الذى أوردته فى تفسير مسألة بقرة بنى اسرائيل مخالف لما جرى عليه المفسرون جميعاً من أقدم الغصور الى الآن : فهل أنا فى ذلك آثم ؟ عابت على اللجنة انى فهمت القرآن الكريم فهماً لم يفهمه المفسرون من قبل ، وأتيت بوجه لم يأت به أحد . وعد اعضاؤها ذلك منى خطأ أوجبوا على أن أفهم بما فهم المفسرون من قبل . والذى أجيب حضراتهم به أن ما أوجبه على لم يوجبه الله تعالى ولا رسوله . وأقول لحضراتهم ايضا : ان الله تعالى قد أكمل دين الاسلام من قبل ، وأنتم نعمته على أهله ورضيه لهم ديناً قبل اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف سنة ، ولم ينزل الله تعالى قرآناً يتعبد الناس فيه بآراء فريق من عباده ، وقد انقطع التشريع بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لهم هذا التشريع الذى لا يعرفه الاسلام ؟ ان القرآن أنزله الله تعالى على رسوله ليتدبر الناس آياته ويفقهوا عظاته بما منحهم من عقول وقرائح .

**سورة القتال :**

م - ١٦ قصص الأنبياء

(١) « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

أنا نعلم أن القتل إذا أحيى بعد قتله كان حكمه حكم سائر الناس ، فهو مخاطب بأحكام الشرع فإذا شهد فلا تقبل شهادته وجده ، بل لابد من قيام نصاب الشهادة ، فإذا شهد بمال لواحد من الناس على انسان فلا بد من شاهد آخر . وإذا شهد بالزنا على أحد فلا بد من شهادة

= (٢) « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » . سورة النساء

(٣) « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » . سورة ص

(٤) « أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين » . سورة المؤمنين

ان الله تعالى انما خاطب الناس بما منحهم من العقول . وعلى مقتضى عقولهم وما أدركوه من الايمان والدين يحاسبهم ، فيثيبهم أو يعاقبهم على ما اجترحوا من طاعة أو معصية ، ولا يسألهم عما عقله غيرهم أو فهمه سواهم أو أدركه أحد من عباده الآخرين ؛ بل هم مسئولون عن سمعهم وابصارهم وأفدتهم ( ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) .

هل يجب في عرفهم أن يكون للناس قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وأذان لا يسمعون بها ، وأن يكونوا أضل من الأنعام لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلا ؟

فإذا كان الله تعالى قد منحني عقلا وفكرا وذكاء وقريحة ؛ اليس من الكفران لنعمته والجحد لمنته أن اطرح كل أولئك النعم خلفي ظهريا ، وأعظلهن كافة . واحسب نفسي كمن رمى بالشلل فيهن جميعا ! فلا أعقل الا بعقل غيري ولا افكر الا بفكره ولا اتدبر كتاب الله الا بتدبره وأن لا أجد ولا أحس الا بوجدانه وحسه ؟

وهل يعنى أحد عنى من الله شيئا اذا سألني عن تلك النعم لم عطلتها ولم استعملها فيما خلقت لأجله ؟ وهل ينجنيني من عقابه أن أقول له اني عطلت نعمك ولم أستعمل منها شيئا واهملتها اهمالا تاما لأنك اعطيت بعض عبادك عقلا وفكرا وذكاء وقرائح .

ان هذا التشريع الجديد الذي جاء به حضرات أعضاء اللجنة - بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنتين وخمسين وثلاثمائة والفسنة ، بعقل العقول وغل الافهام عن فهم كتاب الله تعالى - تشريع لم يعرفه الاسلام . وهؤلاء المفسرون الأولون كان كل منهم يفسر القرآن الكريم بما وصل اليه ادراكه ، لا بما أدركه سواه ممن حوله من المفسرين .

هذا ابن جرير الطبري قد اورد في شأن صهر موسى اربعة اقوال عن ائمة المفسرين ثم اختط لنفسه طريقا آخر ولم يعول على قول منها بل قال « المسألة تحتاج الى خبر تجب حجة ، ولا خبر في المسألة . فلا قول أحق بالصواب من قول الله عز وجل يريد به - ( وأبونا شيخ كبير ) .

ان الاسلام هو الدين الذي أطلق العقول من عقلها وفك أغلال الفكر البشري وازال عنه القيود التي كان مكبلا بها ، ونفى عن الأمم ما كانوا فيه من أسر التقليد للآباء والسابقين من الأجداد ، وأعلن أن اتباع الآباء والأجداد بغير سلطان اتاهم حجة داحضة . وان جماله وجلاله وروعته لتتجلي لأعين من لا يدينون به في أنه الدين الذي كتبت له الصيانة من عبث العابثين ، لأنه ليس فيه كهنوت ولأنه بعيد عن الكليروس .

قال « شارل جنيسير » مدرس مقارنة الأديان في السربون : ومؤلف كتاب « تطور الديانات » : ان كل دين من الأديان يحمل في طياته عوامل تطوره وتحوله والدين الوحيد الذي نجا من هذا التطور انما هو دين الاسلام . والسر في ذلك أنه ليس فيه « اكليروس » ا ه بالمعنى .

ولكن هذه الطريقة الجديدة - التي يريدني حضرات السادة الافاضل اعضاء اللجنة على اتباعها - ترمى الى ادخال الاسلام في طور كهنوتي - على مثله قامت محكمة التفتيش البابوية في القرون الوسطى في أوروبا - فقد كانت الكنيسة تهيمن على عقائد الناس وعلى خطرات أنفسهم وهواجس افكارهم . فكل انسان محرم عليه أن يقرأ الانجيل الا باذن خاص من الكنيسة ، ومحرم على كل فرد أن ينطق لسانه أو يهجنس في خاطره تفسير للانجيل بغير ما فسرت به الكنيسة . فإذا نطق لسانه أو مر بخاطره تفسير لم تأمر به الكنيسة لم يكن له جزاء الا التعذيب الشديد يذوق ألوانه ، ثم الاعدام بعد رضح عظامه في جسده بالمعاصير ، ثم الاحراق بالنار حيا آخر الامر =

ثلاثة سواه معه ويحد اذا لم يتم نصاب الشهادة ولا بد من الاعذار الى المشهود عليه فيه كما يعذر اليه في سائر الشهود — لعل له طعنا عليه أو على غيره تسقط به أقواله . ولا تقبل شهادته لأبيه

= وفي جميع أدوار العذاب يقف الآباء الرحماء رجال الدين والقساوسة يرتلون عليه الآيات ، ويسألون الله الرحمة لهذا المعبذب . فهم يسألون له رحمة لا تجد قلوبهم مسها في أنفسهم .

ان حرمان العقول والافهام من التغذى بمعانى القرآن وقضاء لبانتها من جماله وجلاله وبهائه ، وقسر العقول عن ان ترفض ما عقلت ، وأن تقبل من المعانى ما عقله الغير وفهمه ، لا يليق بالاسلام ، وانما يليق بالكهنوت الذى جاء الاسلام بحل النفوس من أسرهِ وارسل الله لذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وهو ( النبی الامی الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ) .

قال حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة فى تقريرهم — دليلا على خطاى — ان نص التوراة لم يشمل على يمين ، فلا ندرى أين اخذ هذه اليمين التى ذكرها وشبهاها بيمين القسامة فى الشريعة الاسلامية ؟ . اللهم الا أن يقال : ان صراخهم قائلين « ايدينا لم تسفك هذا الدم ... » الخ يعتبر يميننا عندهم وهو بعيد جدا . ولعله اخذها من وضع ايديهم فى الدم ويعتبر ذلك يميننا اهـ . اقول : انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا . وهذا امر اصطلاحى يرجع فيه الى اهل الذكر ( فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ) .

ولكى ازيد حضراتهم بيانا اقول انكم لم تروا اسم الله محلوفا به عندهم فارتبتم فى كون ذلك القول منهم يميننا . ولكن اذا علمتم ان اليهودى لا ينطق لسانه باسم الله تعالى وهو عندهم ( يهووا ) علمتم السر فى عدم ذكر اسم الله فى القسم . ذلك انه جاء عندهم فيما يسمونه التوراة « ٢٠ : ٧١ — خروج » لا تنطق باسم الرب الهك باطلا . لانه لا يبرىء من نطق باسمه باطلا .

فهذه العبارة جعلتهم يتخرجون من ذكر اسم الله مطلقا فى باطل أو حق ، وهم الى اليوم حتى فى اثناء قراءة التوراة اذا عرض لهم اسمه اثناء القراءة يبدلونه باسم آخر يدل على الله تعالى وليس اسما له . فاذا جاء فى التوراة مثلا « ويؤمر يهووا لأبرام » فان اليهودى يقرأ هكذا « ويؤمر ه شم لأبرام » .

و « ه شم » معناها الاسم أو يقرأ هكذا « ويؤمر الوهيم لأبرام » أو « يؤمر ادوناي » . وهذا هو السبب فى خلو القسم عندهم عن ذكر اسم الله .

اذا عرف حضراتهم هذا فقد استبان اعتبار قولهم صارخين « ايدينا لم تسفك ... الخ » قسما .

قال اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة فى الوجه الاول « من وجوه الخطأ من جهة الدراية » : انه على هذا الفهم لا يكون للمذكور من القصة الاولى فى القرآن الكريم معنى محصل ... الخ .

والذى اقوله لحضراتهم : ان المعنى ظاهر واضح الاثر اذا قرأتم بعد تلك القصة قوله تعالى ( افطمعون ان يؤمنوا لكم ) اى ان الله تعالى يقطع طماعية المسلمين فى ايمان اليهود ببيان عنادهم وابطائهم عن اجابة امر الله تعالى — بعد تبليغه لموسى وتبليغ موسى اياهم — بل صاروا يتلمسون العلل للتسويق والابطاء . وهؤلاء ابناؤهم الذين طبعوا على غرارهم وصبوا فى قلوبهم « والاصول عليها ينبت الشجر — والعصا من العصية — والحية لا تلد الا حية » فهم اشبه بهم من القراب بالقراب . فالعظة بذلك تحصل للمؤمنين . وتبين لهم السبب فى وقوفهم عن الايمان وتقطع طماعيتهم فى ان يؤمنوا . وهى مع ذلك تفرعهم وتظهر صلابة اعناقهم .

وليس من الضرورى فى وجوب طاعة الله ورسوله ان يظهر السبب للمأمور حتى يمثل ؛ بل كون الأمر صادرا من الله مبلغا بلسان الرسول الكريم الذى لا ينطق عن الهوى كاف . فليس من حق كل من اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة ان يخالف عن أمر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم =

ولا لابنه ؛ كما لا تقبل شهادة سائر الناس بذلك . وإذا أوقع على زوجته طلاقا وقع كما يقع طلاق سواه . وإذا أقر بمال لغيره على نفسه قبل منه الاقرار وأخذ به — كما يقبل من غيره

= إذا بلغه امر الله اياه بذبح بعيره أو ناقته انه عاصره ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ) .

وبذلك ادفع قولهم « والاجابة عن ذلك بأن الغرض . . . » الى قولهم « بل ربما أبدت الطبيعة البشرية لهم بعض العذر على هذا التباطؤ » .

قالوا « على انه لو ذكرت القصة بتمامها على ما فهمه اخذا من التوراة لم يفهم السامع منها في البقرة سببا معقولا لظهار براءة القاتل لا خارقا للعادة ولا معتادا » .

اقول : ليعلم اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة اني لم ادع ان موسى عليه السلام امر قومه بذبح البقرة ليأتيهم في هذا الشأن بأمر خارق للعادة وهم لم يطلبوا منه ذلك .

وليس من الضروري أن تكون امور النبي من الانبياء كلها خارقة للعادة ، فلا يأكل الا بأعجوبة ، ولا يشرب الا بأعجوبة ، ولا ينام الا بأعجوبة ، ولا يصحو الا بمعجزة ولا يمشي الا بمعجزة ، ولا يتكلم الا بمعجزة ، ولا يقعد الا بمعجزة بل قلت « ان موسى اتى برجال اقرب محلة من مكان القتل وأحلفهم عليها بعد ذبحها » الخ .

وبنحو الذي قلت قال صاحب تفسير المنار . ونص عبارته « والظاهر مما قدمنا ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل — اذا وجد القاتل قرب بلد ولم يعرف قاتله — ليعرف الجاني من غيره . فمن غسل يده وفعل ما رسم في الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية . وأما قول حضراتهم « ولا معتادا » فاذا كانوا يريدون ان ذلك الامر ليس معتادا عندنا فالامر ظاهر . وأما اذا كانوا يريدون انه ليس معتادا عند اليهود ؛ فقد علموا انهم ليس لهم ان يحكموا هذا الحكم على قوم لم يدرسوا كل شريعتهم ولا عاداتهم .

ان ذلك الذي ذكرتموه من انها قصة واحدة ، وان القاتل حي واخبر بقاتله ؛ لا يتم لكم الا اذا كانت الآية القرآنية صريحة في ان الله قال لهم اضربوا النفس التي قتلتوها ببعض البقرة التي ذبحتوها فيحيا القاتل ويخبركم بقاتله فضربوه ببعضها فحيى واخبرهم بقاتله .

أما وهذه الامور لم تبين في الكتاب الكريم فليس لديكم نص قرآني صريح على ان ما ذهبتم اليه وذهب اليه المفسرون هو الوجه الذي لا محيد عنه .

يقول اصحاب الفضيلة « ثم ما علاقة هذه اليمين بذبح البقرة وغسل الأيدي عليها ؟ والذي اقوله لحضراتهم : ان اليهود في تشريعهم تقديم القرابين في كثير من الأشياء التي يعملونها . فالمرأة اذا طهرت من الحيض تقدم قربانا . واذا طهرت من نفاسها تقرب قربانا . واذا اخطأ الرجل خطيئة قدم قربانا . واذا ولدت ابقاره قدم ايكار اولادها قربانا . ويقدم باكورة حنطته وزيته وخمره . من هذا كله نجد طقوسهم الدينية خافلة بوجوب تقديم القرابين والمحرقات . فكان الحلف للبراءة من جريمة سفك الدماء مما يقدم بين يديه قربان . وهذا امر مفهوم في دين تقوم طقوسه على القرابين بدون معرفة علة لذلك أو سبب .

جاء في « ص ١٤ — لاويين » ما نصه :

(١) وكلم الرب موسى قائلا (٢) هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره يؤتى به الى الكاهن (٣) ويخرج الكاهن الى خارج المحلة فان رأى الكاهن واذا ضربة البرص قد برئت من الأبرص (٤) يأمر الكاهن ان يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران وخشب ارز وقرمز وزوفا ويأمر الكاهن ان يذبح العصفور الواحد في اناء خزف على ماء حي (٥) اما العصفور الحي فيأخذه مع خشب الارز والقرمز والزوفا ويفعسها مع العصفور الحي في دم العصفور المذبح على الماء الحي (٦) وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره . ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء (٧) فيفصل المتطهر ثيابه ويحلق كل شعره ويستحم بماء فتطهر . ثم يدخل المحلة لكن يقيم خارج خيمته سبعة أيام (٨) وفي اليوم السابع يحلق كل شعره : رأسه ولحيته وحواجب عينيه وجميع شعره يحلق =

ويؤخذ به - وإذا ادعى مالا على الغير لا يحكم له به بمجرد دعواه بل لا بد من اثبات ذلك بالبيينة العادلة . فهو انسان كبقية الأناسى لا فضل له على سواه ولا مزية له على سائر البشر .

= ويفسل ثيابه ويرحض جسده بماء فيطهره (٩) ثم في اليوم الثامن يأخذ خروفين صحيحين ، ونعجة واحدة حولية صحيحة ، وثلاثة أعشار دقيق ، تقدمه ملتوتة بزيت وليج زيت (١٠) فيوقف الكاهن المتطهر واياها امام الرب لدى باب خيمة الاجتماع (١١) ثم يأخذ الكاهن الخروف الواحد ويقربه ذبيحة . ثم مع لج الزيت يرددهما ترديدا أمام الرب (١٢) ويذبح الخروف في الموضع الذى يذبح فيه ذبيحة الخطية والمحرق في المكان المقدس . لأن ذبيحة الاتم كذبيحة الخطية للكاهن . انها قدس اقداس (١٣) ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الاتم ، ويجعل الكاهن على شحمة اذن المتطهر اليمنى وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى (١٤) ويأخذ الكاهن من لج الزيت ويصب في كف الكاهن اليسرى (١٥) ويغمس الكاهن أصبعه اليمنى في الزيت الذى على كفه اليسرى وينضح من الزيت بأصبعه سبع مرات امام الرب (١٦) ومما فضل من الزيت الذى فى كفه يجعل الكاهن على شحمة اذن المتطهر اليمنى وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى على دم ذبيحة الاتم (١٧) والفاضل من الزيت الذى فى كف الكاهن يجعل على رأس المتطهر ، ويكفر عنه الكاهن امام الرب (١٨) ثم يعمل الكاهن ذبيحة الخطية ويكفر عن المتطهر من نجاسته ، ثم يذبح المحرقة (١٩) ويصعد الكاهن المحرقة والتقدمة على المذبح ويكفر عنه الكاهن فيطهر . ا هـ .

فحضرات اعضاء اللجنة يرون جعل دم الذبيحة على شحمة اذن المتطهر ، وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى . ومثل ذلك جعل الزيت على هذه المواضع لا نعرف له معنى ولا يعرف له اليهودى معنى كذلك . ولكنها اوامر شرعية عندهم .

اما قول اصحاب الفضيلة بعد ذلك - اى بعد ذكر اليمين وذبح البقرة وغسل الايدي عليها - لا نفهم لذلك علاقة سوى انه يرجع لعبادة العجل وتعظيمهم له نعوذ بالله من ذلك ! فانى اقول : ما كنت آمل ان يمتد بى زمنى حتى ارى فريقا من جلة العلماء بالأزهر الشريف يفهمون من ذبح بقرة من البقر والحلف من الناس - وهى امامهم - انهم ما سفكوا دما ولا راوا سافكة وغسل ايديهم عليها يعتبر ضربا من ضروب عبادة العجل وتعظيم أولئك القوم له ، ولكن الايام ارتنى ما لم ترنى الأحلام . أسأل الله تعالى ان يبقى حضراتهم لاستخراج نفائس العجائب وفوائد الغرائب .

### الوجه الثانى

قال اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة « انه لا يظهر فى هذه القصة ما يقنع بعدم وجود الهزؤ والسخرية الا مجرد صدور الطلب من موسى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى من غير ان يظهر لهم فائدة هذا الامر الغريب فى العادة ، خصوصا بالنسبة لبنى اسرائيل الذين اشتهروا بالعناد والتعنّت وبطء الانقياد مع ظهور الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات » ا هـ .

والإيراد الذى أوردوه على الوجه الذى أوردته هو بعينه يرد على الوجه الذى اختاره المفسرون ورضيه اعضاء اللجنة ، فان موسى عليه السلام لم يبد لهم فى مقابلة قولهم ( اتخذنا هزوا ) الا قوله ( اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ) فكان مجرد صدور ذلك منه كافيا لهم عن طلب الوقوف على الاسباب والنتائج لطلبه هذا . ولطف الله تعالى بعبده موسى بن عمران اذ لم يكن حضرات اعضاء اللجنة شهودا ، حتى يبصروهم بأن هذا القول غير مقنع وانهم لابد لهم من الاستقصاء ومتابعة السؤال عن الاسباب والنتائج . ومن لطف الله تعالى بموسى عليه السلام ان كان وجود حضراتهم بعد آلاف من السنين مضت على الحادثة .

انا لا اقول فى هذا الوجه انه خال من الفائدة والقيمة ؛ وانما اقول انى لم افهم الحكمة العالية من ايراده ، وهو وارد على ما فهمته ، وعلى الوجه الذى فهموه ايضا ، ولا الحكمة فى استصغار طلب موسى منهم ان يذبحوا البقرة امثالاً لأمر الله تعالى ، واسأل الله أن يهينى من العلم ما افهم به ذلك .

### الوجه الثالث

كتب اصحاب الفضيلة فى هذا الوجه ما نص فى كلامهم - وهم يتساءلون عن مأخذ مرجع الضمير - ثم جزموا بأنه قوله تعالى ( قتلتم ) وأنه يؤخذ من القصة أن المتهم متعدد وكان الظاهر أن يقال :



وقته ثم حياته لم يخرج عن البشرية ولم يجعل له حكما خاصا به ليس لغيره من الناس . واذا لم تقبل دغواه في درهم مع قلة خطره فكيف يقبل قوله في الدماء المعصومة ! وكيف تهدر بقوله

= اضربوهما او اضربوهم ، ولا يفنى ان يقال اضربوا جنس المتهم المتحقق في اشخاص عدة ، وان هذا تكلف بل تعسف . ثم تساءلوا من اين جاءني هذا الرأي الذي لم يساعده الأسلوب ولم يؤيده المعقول ؟ بل ينافية وتمجه المعقول ! سامحهم الله .

والذي اقله ان الكتاب الكريم يقول ( واذا قتلتم نفسا ) ومن البديهي ان بنى اسرائيل كانوا اكثر من مئات الوف ، ولا يمكن ان يكونوا قاتلين جميعا . والمخاطبون في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بانفسهم قاتلين ؛ بل الذي باشر القتل واحد او اثنان . على عهد موسى . ومثل هذا يقال في قوله ( فاداراتم ) فان الذين تداروا ليسوا جميع بنى اسرائيل ، ومن البين بنفسه ان التدارؤ هو ان يدفع الشخص القتل عن نفسه ويلصقه بآخر بعينه . وهذا لا يكون الا في محصورين . وضرب من وقعت عليهم الشبهة لا يكون جملة واحدة ؛ بل يقدم واحد فان ظهرت عليه اشارة القتل اكتفى به واذا لم تظهر عليه اتى بواحد آخر . فالذي يقع عليه الضرب واحد من المتدافعين الى ان تظهر الامارة على واحد . فمأخذ مرجع الضمير هو قوله تعالى ( فاداراتم ) ولما كان الضرب لا يكون على المتدافعين دفعة واحدة ؛ بل الضرب يقع كل مرة على فرد واحد كما قدمنا خبر بقوله ( قلنا اضربوه ببعضها ) اذ قد يستبين الامر من اول واحد ، وحينئذ يكون مرجع الضمير معلوما من المقام منظويا ضمنا في قوله ( فاداراتم ) وقد جاء في القرآن الكريم عود الضمير على معلوم من المقام غير مذكور في الكلام . اقرعوا قوله تعالى ( يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف . ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد . فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها اودين ) فان الضمير في قوله ( مما ترك ) وما بعدها يعود على المورث المعلوم من المقام ومثل ذلك قوله تعالى ( وان خفتم شقاق بينهما ... الخ ) فان الضمير يعود على الزوجين المعلومين من المقام المتدرجين ضمنا في قوله قبل ذلك ( الرجال قوامون على النساء ) وانى اؤكد لحضراتهم انى قرأت في كتب النحو « ان الضمير يعود الى اقرب مذكور » واقرب مذكور يمكن ان يعود الضمير عليه مؤنثا في قوله ( ببعضها ) هو النفس . واما البقرة فهي ابعد مذكور . وما كان لعربى او فاهم للعربية ان يفعل ذلك ، وان العربى اذا اراد ان يرجع الضمير الى البعيد صرح بالاسم ، فكان مقتضى مرادكم ان يقول « قلنا اضربوه ببعض البقرة » . فلاحتمال الذى اوردته هو الموافق لقواعد العربية التى انتم جهابذتها فان قال حضراتهم : انا جعلنا مرجع الضمير في قوله ( اضربوه ) هو النفس باعتبار انها في الحقيقة نفس رجل ؟ قلت : ومن اين يتعين انها نفس رجل ؟ واين الدليل على ذلك ؟ ومن ذلك كله يتبين ان ما قالوه ليس بمانع من جواز الاحتمال الذى اوردته . بل هو الصقي ووافق بقواعد اللغة ونص المفسرين ليس مانعا من جواز ذلك الاحتمال .

فالناظر الى اقوال حضراتهم والى اقوال المفسرين يجد انهم فرضوا اولاً قتيلا حياً واخبر بقاتله . ثم اخذوا يقدمون في آيات القرآن ويؤخرون ، ويعودون بالضمير على البعيد دون القريب وهو غير مناسب للعربية ، ويصلون ما فصل الله ولم يسايروا القرآن حتى يهجم بهم على المعنى ، بل قسروه على المعنى الذى فرضوه قسرا .

#### الوجه الرابع

كتبت اللجنة في هذا الوجه ما هو منصوص - وبعد ان ذكرت ان الكلام يحتاج الى التجوز في لفظي « يحيى - وموتى » قالت : لم يعهد في القرآن الكريم - على ما نعلم - التجوز بلفظ ( الموتى ) عن هذا المعنى - وهو يقتضى ان القرآن الكريم لا يصح ان يجيء فيه مجاز الا اذا عهد مجيء مجاز آخر قبله على شاكلته - وهذا مشكل لان اول مجاز جاء في القرآن لا بد ان يرد لانه لم يعهد في القرآن مثله . ثم قالت : الثانى عدم وجود قرائن لهذه المجازات .

وحده النفس التي لا تباح الا بحقها من كفر بعد ايمان ! وزنا بعد احسان ! وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق !؟

= والذي ا قوله لحضراتهم . ان القرآن الكريم قد عهد فيه المجاز في الحياة والموت لما هو ابعد من هذا المعنى قال تعالى ( او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ) فعبر بلفظ ( ميتا ) عن الضال ، ولفظ « الاحياء » عن الهداية . ومن كان على خطر الموت اقرب الى الموت من الضال .

واما القرينة التي نشدوها ولم يجدوها فهي موجودة ، وهي المعبرة عنهم بالموتى موجودون احياء يرزقون ، ولا شك ان حفظ حياة من كان على خطر فراقها يعبر عنه بالاحياء ، وبذلك سقط قول الجنة « وهذا الفهم في معرض النزاع فلا يقبل دليلا » وقولها « فهل عهد في اللغة العربية التعبير بمثل هذه العبارة في مثل هذا المقام » واقول ايضا : قد عهد التعبير في العربية عن حفظ الحياة بما هو اغرب من هذا ، فهذا الشاعر يقول :

ما زلت تعمل من لطف احتياك لي حتى اختلست حياتي من يدي اجلى

وانى ليحزننى ان يقف ذهن حضراتهم في قوله تعالى ( كذلك ) وحيرتهم في مرجع اسم الاشارة ، وما كنت اظن ان حضراتهم يتوقفون هذا التوقف في شيء لم يتوقف فيه احد . فان اسم الاشارة يرجع الى ما امرهم به من ضرب المتهم ببعض النفس التي تداروا فيها ، فان الله يحفظ به حياة من كانوا عرضة للقتل للاشتباه فيهم وهم براء واما قولهم « توقف صحة هذا الكلام على ان تلك الحادثة تبرا فيها اناس ادام الله حياتهم بعد ان كانوا في مظنة ان يموتوا الخ » .

فالذى ا قوله لحضراتهم : ان الكتاب الكريم يبين لنا ان القتل الذي وقع كان المتهمون فيه عددا ، وكان كل واحد منهم يدفع القتل عن نفسه وينسبه الى آخر ، ومن البين بنفسه انهم ليسوا براء جميعا ولا قاتلين جميعا . بل القتل صدر من بعضهم او واحد منهم فقط . واهل الخبرة بهذه الامور قالوا ان القاتل الحقيقي تعثر به انفعالات نفسية وجزع بدوم بخلاف غير القاتل . وعلى ذلك : فاني لا اخشى مفندا اذا قلت ان قرينة القتل قد ظهرت على بعض المتهمين ولم تظهر على البعض الآخر وهم الذين عبر عنهم بأنه يحييهم بعد ان كانوا على خطر الموت . والتعبير بالاحياء عن استنقاذ حياة الشخص من خطر الموت وارد في قوله تعالى ( من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ) فكل امر يؤدي الى معرفة القاتل الحقيقي احياء لسائر المتهمين واستنقاذ لحياتهم من الهلاك . قالت اللجنة : ثم انه لم يتعرض لتفسير قوله تعالى ( ويريك آياته لعلمكم تعقلون ) .

اقول : ان من آيات الله تعالى الباهرة الدالة على قدرته وحكمته ان جبل الانسان وركز فيه هذه الغريزة - غريزة تبكيت الضمير والاسف على ارتكاب الجرائم والانفعال - حين رؤيته لانارها بعد ظهورها وانها لا تنقص عن اختلاف اللسان والالوان في دلالتها على القدرة . والحكمة في قوله تعالى ( ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم وانوائكم ) . وليس من الضروري ان تكون آيات الله مرتجلة تشده منها العقول وتدهش منها الالباب - كما يريدون - فبارشادهم الى هذه الطريقة التي شرحتها في الكتاب قد اراهم بعض آيات قدرته وحكمته .

وهاكم بيان معنى الآية واستعمالاتها في القرآن الكريم :-

#### الآية في استعمال القرآن

قال الراغب : الآية هي الصلابة الظاهرة وحقيقته لكل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره . فمتى ادرك مدرك الظاهر منهما علم انه ادرك الآخر الذي لم يدركه بذاته اذ كان حكمها سواء . وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات . فمن علم ملازمة العلم للطريق ثم وجد العلم علم انه وجد الطريق . وكذلك اذا علم شيئا مصنوعا علم انه لا بد له من صانع . وقيل للبناء العالي آية نحو ( اتبنون بكل ريع آية ) ولكل جملة من القرآن هـ .

قد يقولون : انه لما كان أحياءه معجزة كان قوله في الدماء مقبولا . فانا نقول ان المعجزة انما كانت في احيائه اذا كانت قد حصلت وكان عنها عود الحياة اليه . فلما حيى كان قوله كسائر

### تعريف معنى الآية في كليات ابي البقاء ص ٨٨

الآية في الاصل هي العلامة الظاهرة ، واشتقاقها من « آي » لانها تبين « ايا » عن « آي » وتستعمل في المحسوسات والمعقولات . يقال لكل ما تتفاوت به المعرفة بحسب التفكير والتأمل فيه وبحسب منازل الناس في العلم « آية » ويقال على ما دل على حكم من احكام الله ، سواء كانت آية أو سورة أو جملة منها .

والآية ايضا طائفة حروف من القرآن علم بالتوقيف انقطاع معناها عن الكلام الذي بعدها في اول القرآن ، وعن الكلام الذي قبلها في آخره ، وعن الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك والآية تعم الامارة والدليل القاطع اهـ .

### الآية - بمعنى طائفة حروف من القرآن

قال تعالى ( منه آيات محكمات - الر تلك آيات الكتاب الحكيم - تلك آيات الكتاب المبين - واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل ) .

### الآية - بمعنى العلامة

قال تعالى ( قال رب اجعل لى آية - ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت - يوم ياتي بعض آيات ربك - اتبنون بكل ريع آية تعبثون - ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون - لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ) .

### الآية - بمعنى المعجزة

قال تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات - اذهب أنت واخوك بآياتي - واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها - فان استطعت ان تبغى نفقا في الأرض او سلما في السماء فتأتيهم بآية - وارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات - وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون - وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله - وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات ) .

### الآية - بمعنى العبرة والعظة

سواء استقل بها الله او اجراها على يد انسان، وسواء اكانت خارقة للعادة ام غير خارقة للعادة: ( ا ) فما استقل بها الله قوله تعالى :

( ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب - وجعلنا الليل والنهار آيتين - وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون - وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ) - ومن آياته ان خلقكم من تراب - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ) .

( ب ) ومن التي اجراها الله تعالى على يد الانسان قوله عز وجل :

( ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوالتكم - وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون - سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام - الذي جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لأولي النهى فلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لأولي النهى ) .

أقوال الناس — كما نص على ذلك الامام أبو بكر ابن العربي ونقله عنه القرطبي في أحكامه — وليس من المعقول ولا المقبول في الأفهام أن يقبل قوله في دعوى القتل ، وتباح بذلك اراقة الدم

### الآية — بمعنى حكم من احكام الله

قال تعالى ( تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ) .

### الآية — بمعنى السلطان

قال تعالى « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون » .

وقد تحصل لنا من ذلك ان الآية من آيات الله لا تنحصر في الشيء الخارق للعادة المعجز للبشر تشده له العقول فقط — كما فهم حضرات أعضاء اللجنة — ولكنها تطلق على :

١ — الطائفة من القرآن .

٢ — العلامة .

٣ — المعجزة .

٤ — العبرة والعظة سواء استقل بها الله تعالى أو أجراها على يد الانسان ، وسواء اكانت خارقة للعادة أم غير خارقة لها .

٥ — الحكم من احكام الله تعالى .

٦ — السلطان والبرهان .

وما ذكرته ليس خارجا عنها بل هو من صميمها . واكبر ظنى انهم يعرفون الآية ولكنهم ينكرونها لغرض خاص هو الذى جعلوا وكدهم فيه ، وهو تزيف قولى على كل حال .

( الوجه الخامس ) جاء فيما كتبه اللجنة تحت هذا العنوان ما نصه « وهل الاضطراب الذى يحصل للمتهم بالقتل اذا عرض على القتل أو ضرب ببعضه ، يجب به قصاص في الشريعة الموسوية أو في الشريعة الاسلامية أو بحسب القوانين الوضعية حتى يترتب عليها احياء الله الموتى » ؟ .

اقول : اما الشريعة الموسوية فلا شأن لكم ولا لاحد بها في هذه الحادثة . فان موسى رسول الله عليه الصلاة والسلام كان شاهدا هذه الحادثة ولم يتركهم حيارى ، بل انفذ امر الله تعالى وبين لهم ما يعملون في امثالها بيانا كافيا . واذا كانت كتبهم خالية من مثل هذا العمل فليس ذلك عيب شريعتهم ، ولكنه عيب اولئك اليهود الذين جعلوا كتابهم قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا . وقد استحفظوا على كتابهم فلم يحفظوه كما يشهد التاريخ وكتبهم بذلك .

واما الشريعة الاسلامية فانكم تعلمون — كما أعلم — ان بعض الائمة يرى الاخذ بالقرائن في بعض الامور . وقد عول الله تعالى عليها في قوله تعالى في المنافقين . (ولو نشاء لاريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ) فهذه القرينة التى بينها الله لرسوله — لتدل على المنافق — لها خطر عظيم . فانه ينبئ عليها انه لا يستغفر لمن ظهرت عليه ولا يصلى عليه رسول الله ولا يقوم على قبره . وقد جعل الله ذلك الحكم منوطا بتلك القرينة فكيف يسوغون لانفسهم القول بان القرينة لا يعول عليها شرعا ؟

قال ابن القيم في كتابه « الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية » ص ٥ . فان السياسة نوعان : سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها ، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر بعين الشريعة ، علمها من غلمها وجهلها من جهلها . ولا تنس في هذا الموضع « نور » نبى الله سليمان صلى الله عليه وسلم للمرأتين ، كذا في الاصل ولعلها « قول » اللتين ادعتا الولد فحكم به داود صلى الله عليه وسلم للكبرى . فقال سليمان : ائتوني بالسكين اشقه بينهما فسمحت الكبرى بذلك وقالت الصغرى : لا تفعل — رحمك الله — هو ابنها ! فقضى به للصغرى . فأى شيء أحسن من اعتبار =

المعصوم . ثم اننا نرد دعواه في الشيء الحقير التافه كالدرهم اذا ادعاه — فان الدماء يجب فيها الاحتياط اذ الحياة اذا ذهبت فلا عودة لها في هذه الدار ، بخلاف الدرهم فان خطبه يسير

== هذه القرينة الظاهرة ؟ فاستدل برضا الكبرى وانها قصدت الاسترواح الى الناس بمساواة الصغرى في فقد ولدها وشفقة الصغرى عليه وامتناعها من الرضا بذلك دل على انها امه ، وان الحامل لها على الامتناع من الدعوى ما قام بقلبها من الرحمة والشفقة التي وضعها الله في قلب الام . فأتضحت هذه القرينة عنده حتى قدمها على اقرارها فانه حكم به لها مع قولها هو ابنها وهذا هو الحق . فان الاقرار اذا كان لعل اطلع عليها الحاكم لم يلتفت اليه ابدا . ولذلك الفينا اقرار المريض — مرض الموت — بمال لوارثه لانعدام سبب التهمة ، واعتمادا على قرينة الحال في قصده تخصيصه . ومن تراجع قضاة السنة والحديث على هذا الحديث ترجمة ابي عبد الرحمن النسائي في سننه قال : التوسعة للحاكم في أن يقول للشيء الذي لا يفعله افعَل كذا ليستبين به الحق . ثم ترجم عليه ترجمة اخرى احسن من هذا فقال : الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه اذا تبين للحاكم من الحق غير ما اعترف به ، ( فهذا \* ) يكون الفهم عن الله ورسوله . ثم ترجم عليه ترجمة اخرى فقال : نقض الحاكم ما حكم به غيره ممن هو مثله أو أجل منه . فهذه ثلاث قواعد . ( ورابعة ) وهي ما نحن فيه وهي الحكم بالقرائن وشواهد الحال . ( وخامسة ) وهي انه لم يجعل الولد لهما كما يقوله ابو حنيفة . فهذه خمس سنن في هذا الحديث .

ومن ذلك قول الشاهد الذي ذكر الله شهادته ولم ينكرها ، بل لم يعبه ، بل حكاه مقررًا لها فقال تعالى ( واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سواء الا ان يسجن أو عذاب اليم ) قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ) .

فتوصل بقدر القميص الى تمييز الصادق منهما من الكاذب ، وهذا لوث في احد المتنازعين يتبين به وجه الحق . وقد ذكر سبحانه اللوث في دعوى المال في قصة شهادة اهل الذمة على المسلمين في الوصية في السفر وامر بالحكم بموجبه . وحكم النبي صلى الله عليه وسلم بموجب اللوث في القسامة وجوز للمدعين ان يحلفوا خمسين يمينا ويستحقوا دم القتيل ، فهذا لوث في الدماء . والذي في سورة المائدة لوث في الاموال . والذي في سورة يوسف لوث في دعوى العرض ونحوه .

وقد حكم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والصحابة معه برجم المرأة التي ظهر بها حمل ولا زوج لها ولا سيد . وذهب اليه احمد ومالك في اصح روايتيه اعتمادا على القرينة الظاهرة . وحكم عمر وابن مسعود رضى الله عنهما — ولا يعرف « لهما » مخالف من الصحابة — بموجب الحد برائحة الخمر من في الرجل أو قيئه خمرًا ، اعتمادا على القرينة الظاهرة . ولم يزل الائمة والخلفاء يحكمون بالقطع اذا وجد المال المسروق مع المتهم . وهذه القرينة اقوى من البيينة والاقرار ، فانهما خبران يتطرق اليهما الصدق والكذب . ووجود المال معه نص صريح لا يتطرق اليه شبهة . وهل يشك احد رأى قتيلًا يتشحط في دمه وآخر قائم على رأسه بالسكين انه قتله ؟ ولا سيما اذا عرف بعدوانه . ولهذا جوز جمهور العلماء لولى القتيل أن يحلف خمسين يمينا ان ذلك الرجل قتله . ثم قال مالك واحمد : يقتل به .

( فصل ) ومن ذلك أن ابني عفراء لما تداعيا قتل ابي جهل فقال « هل مسحتما سيفيكما ؟ » قال : لا ، قال « فأرياني سيفيكما » فلما نظر فيهما قال لأحدهما « هذا قتله » وقضى له بسلبه ( \*\* ) وهذا من اعظم الاحكام وأحقها في الاتباع اهـ .

( \* ) لعلها « هكذا »

( \*\* ) أى رسول الله

والحصول عليه بعد فوته غير عسير ، والأنفس تسمح به ، بخلاف الحياة التي ليس لها عودة في هذه الفانية .

= وأما القوانين الوضعية ؛ فقد استباح حضرات أصحاب الفضيلة لأنفسهم القول بأنه ليس للقضاة - بمقتضى هذه القوانين - أن يحكموا لمجرد اضطراب أو رعدة بأعدام المتهم أو بسجنه مدة تناسب جريمة القتل .

أقول : كان في حكم الحق الواجب على حضراتهم للعلم إلا يطفروا هذه الطفرة ، وأن يترشوا حتى يسألوا أهل العلم بالقوانين التي يجري العمل في هذه البلاد على مقتضاها ، حتى لا يظهروا بمظهر المتوطن في قارة غير هذه القارة فلا يعلم من أمرها شيئاً .

ان اصفر كاتب في مكاتب المحامين يعلم علماً ليس بالظن : ان القاضي الجنائي ليس مقيداً في جمع الأدلة التي يكون بها اعتقاده في ادانة المجرم الا بضميره فقط ، فله ان يقذف بالشهادات التي قدمت له من حلق . ولا يمنعه اعتراف المجرم بارتكاب الجريمة من تكذيبه وأن يضرب باقراره عرض الحائط ، ويحكم ببراءته من الجريمة التي اعترف باقترافها كاذباً . فهو يكون اعتقاده من الاحوال والمناسبات والقرائن التي تحتف بالجريمة وظروفها ، ومن انفعالات المتهم ، وما يبدو على الشهود من اضطراب أو اصفرار أو تلعثم . فكل ذلك له دخل في تكوين اعتقاد القاضي في الجريمة والفاعل . وبحسب اعتقاده الادانة أو البراءة يصدر حكمه . وليس لمحكمة النقض والابرام سيطرة عليه في هذا . وانما سيطرتها على الاجراءات والخطأ في التطبيق فقط .

ومن الامثلة على ما قدمت : ان قتل قتيل من اسرة شتا المشهورة في الجهات البحرية من مديرية الغربية وهو جمال الدين شتا . وكان القتل بمنزل الاسرة بدرب الأبنيهى بطنطا . وسرعت النيابة في التحقيق واتهم بالقتل احد أبناء الاسرة ، فجاء خادم المنزل وأقر طائفاً مختاراً انه هو القاتل . ولما قدمت القضية الى المحكمة وحصلت المرافعة حكمت ببراءة القاتل - المعترف بالقتل والمعر عليه الى ما بعد النطق بالحكم - وحكمت على قريب القتيل بالسجن .

يا قوم ان شعرة واحدة توجد بين اظافر القتيل - تحلل كيميائياً ويقابل تحليلها بتحليل شعرة من المتهم - تكفى لجعله متهماً وللحكم عليه بأنه مرتكب الجريمة ويعاقب عليها . وقطعة من القماش توجد بين أسنان القتيل يوجد نظيرها مقطوعاً من ثياب المتهم كافية لاعتباره قاتلاً .

لا ؛ بل قطعة من المواد البرازية تكفى للدلالة على المتهم واعتباره مجرماً ؛ اذا اتحدت العناصر الأصلية في العينة التي وجدت بمكان الجريمة بالعناصر الأصلية في براز المتهم . بل اثر حذاء المجرم اذا وجد في مكان الجريمة أو في المكان الذي وجد فيه أثر للمسروقات كاف لاعتباره مجرماً والحكم عليه بالعقوبة . وكذلك وجود اثر عضة في جسم القتيل تكفى لاثبات الجريمة على المجرم متى ثبت أنها اثر أسنان المتهم . وكذلك وجود اثر عضة في جسم المتهم تثبت عليه أنه القاتل ، متى توفرت بأسنان القتيل ووجدت مطابقة لها .

اما كان الأجدر بأصحاب الفضيلة ان يكلوا الامر في هذا الشأن - الذي لم يدرسوا فيه سطوراً ولم يقرءوا عنه صفحة واحدة من كتاب - الى من هم أولى به واقوم عليه .

واما ما قالوه من ان الارتعاد والاضطراب قد يحصل للبريء ، لأسباب التي أبدوها ؛ فقد تكفل خطاب مدرس التحقيق الجنائي بمدرسة البوليس بالاجابة عنه ؛ اذ يقول « على انه يجوز ان المتهم البريء يجزع عند رؤية القتيل ، ولكن جزعه لا يبدو وهو خارجي اكثر منه داخلي لرؤية المنظر فقط ، ولا بد ان يعود حالاً الى الحالة الاعتيادية الأصلية لا الحالة الثانوية التي سنتكلم عنها » .

ويعجبنى جداً قول اللجنة « وهي لا تحصل للقاتل غالباً » اي أن القاتل يغلب عليه الا تعروه رعدة اذا عرض عليه القتيل . وانا أنزه حضرات أعضاء اللجنة عن أن يكونوا قد باشروا القتل مجتمعين أو منفردين ، وقد جربوا أن الرعدة لم تحصل لهم حين عرض عليهم القتيل ! فكيف علموا ذلك ؟ =

(ثالثا) قد تقرر في علم العربية أن الضمير يعود الى أقرب مذكور . فاذا طال الكلام وكان مرجع الضمير بعيدا ؛ فالبلغة تقضى بأن يعاد الاسم مرة أخرى ليكون أقرب مذكور ليتأتى عود الضمير اليه بلا تشويش على القارئ أو السامع ، وتقاديا من تشتيت الضمائر .

= ان اهل الفن الذين درسوا ومارسوا وراوا مئين من القضايا يقولون انه لا بد من حصول الجزع او الجذل للقاتل حين يرى قتيله ، وكل من الجذل والجزع امارات على حصول القتل تبعا للعوامل النفسية التى اعترت القاتل . واما حضرات أعضاء اللجنة فيقولون ان ذلك لا يحصل للقاتل ، فإى الفريقين أحق بالاتباع ؟ ان رجال القوانين يقدرون القرائن والاحوال النفسية قدرها ويعولون عليها في قبول شهادة الشاهد او ردها .

هذا الاستاذ محمود حسن وكيل وزارة الداخلية - سابقا - والمستشار الملكى بوزارة المالية حالا يقول :

اشترطت القوانين ان يؤدى الشاهد شهادته شفاهة ، واعتبر علماء النفس كيفية الاداء وسيلة من وسائل تحقيق صحة الشهادة ، لما يبدو على الشاهد وقت الاداء من تائر او انفعال كالاضطراب والحركات او الغضب او اصفرار الوجه ، وغير ذلك من التغيرات ، وصعوبة الاداء او سهولته ، والعبارة التى يؤدى بها شهادته ، والتانى والتردد ، ودرجة تاكيدہ للوقائع التى يشهد بها . كل هذه يرى علماء النفس انها امارات تدل على صحة الشهادة وصدقها او كذبها ، وهى امارات تبدو على الشاهد اراد او لم يرد ، فهى تتكلم دائما وهى تصدق دائما . اما اللسان فقد يسكت وقد يسير في غير الطريق المستقيم بخلاف تلك الامارات ا هـ .

فهل يرى القارئ الكريم ان اتباع أعضاء اللجنة واجب في مسألة هم أبعد الناس من العلم بها ! او الواجب اتباع رأى اهل الخبرة الذين يقولون عن علم ودراسة ؟ جاء في صفحة ١٣١ من كتاب التحقيق الجنائى « القسم الفنى » :

« امثلة القضايا المحكوم فيها بدليل بصمات الاصابع والايدي الشأن المهم في اكتشاف مرتكبيها او تعزيز الادلة عليهم ، وصدرت فيها الاحكام منصوبا في اسبابها على ذلك ، ولا نستطيع ان نحصرها لكثرتها ، على اننا سنذكر على سبيل المثال قضية الجنائية « نمرة ١٨٥٣ سنة ١٩٢٥ عابدين » ويتضح من بيان ما جاء بنص حكم محكمة جنايات مصر الصادر بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩٢٧ « وقائع الدعوى فيها ، وأن بصمة اصبع المحكوم عليه التى تركها سهوا عنه في محل الحادثة على الآنية الزجاجية التى كان بها بعض المصاغ المسروق ، هى التى دلت عليه ، بل كانت الدليل الوحيد القاطع الذى اخذت به المحكمة في الحكم عليه .

### الحكم واسبابه

وحيث انه بتاريخ ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٥ وقعت سرقة في منزل الخواجة الفريد عفيف وآخرين بواسطة مفاتيح مصطنعة حالما كانوا غائبين عن المنزل ، ولما حضروا وتبينت لهم سرقة مصوغاتهم وتقوذهم وأوراق مالية أخرى بلغوا البوليس . وهذا لاحظ عند المعاينة وجود بصمة اصبع على آنية زجاجية من الاوانى التى كانت بها بعض المصوغات المسروقة ، فحافظ عليها وانتدب احد موظفى قلم تحقيق الشخصية لاجراء اللازم نحوها ، فهذا الموظف رفع هذه البصمة بواسطة الفتوغرافية ، ثم بعد ذلك اخذ البوليس يتحرى ويضاهى بصمات اصابع المشتبه في امرهم والمشهور عنهم ارتكاب السرقات ، وخصوصا سرقات الخزانات الحديدية ، حتى استدل على المتهم « عزب سلامة » الذى كان وقتئذ مقبوضا عليه في سرقة من السرقات الكبيرة بناحية « بيلة » فأحضره وأخذت بصمة أصبعه الإبهام ليده اليسرى مع شخص آخر كما أخذت بصمات أصبعه الموجودة =

يقول المفسرون : انه كان في بنى اسرائيل شيخ موسر له ابن واحد قتله ابن عمه طمعا في ميراثه . ثم جاء يطلب بدمه قوما آخرين . فأنكر الآخرون قتله ، وترافع القوم الى موسى ، فأمرهم

= له بأوراق الغيش ، وأجريت عملية المضاهاة بمعرفة الموظف المذكور فتبين له بطريقة واضحة ان البصمة الموجودة على الآنية الزجاجية هي بصمة أصبع عزب سلامة المذكور .

وعلى ذلك قدمت النيابة القضية ضد المتهم المذكور بهذا الدليل وحده . في الجلسة طعن المحامي عن المتهم على أعمال نجيب أفندي تادرس موظف قلم تحقيق الشخصية المذكور ، وطلب تعيين خبراء آخرين في هذا الفن لبيان الحقيقة . فالمحكمة نذبت محمد بك شعير وحسن بك رفعت الملمين بهذا الفن ، وقررت ايضا أن ينضم نجيب أفندي تادرس اليهما في العمل ، وذلك للاطلاع على البصمة التي وجدت على الآنية الزجاجية المضبوطة وعلى صورها الفتوغرافية ، ومضاهاتها على بصمات المتهم الموجودة بالاوراق ، وعلى ما يأخذونه من البصمات وقت العمل ، وبيان ما اذا كانت البصمة الموجودة على الآنية الزجاجية هي عين بصمات المتهم أم لا ؟ وقد قام الخبراء بهذه المأمورية وقدموا تقريراً جاء مؤيداً لتقرير نجيب أفندي تادرس وأوضحوا فيه أيضاً أنهم وجدوا ( ١٦ ) علامة في بصمة أصبع المتهم منطبقة على العلامات الموجودة في بصمة الآنية الزجاجية .

وحيث أن المحكمة تأخذ بهذا الدليل القاطع لما ثبت علمياً « من عدم تطرق الشك اليه » . وحيث أن المتهم له ثلاث سوابق في سرقات - وهي البيئة بصحيفة سوابقه - وتلك السوابق تجعله عائداً .. فلهذه الأسباب .. حكمت المحكمة حضورياً باعتبار عزب سلامة مجرماً اعتاد الاجرام وارساله الى المحل المخصوص ليسجن به طبقاً للمادة الاولى من دكريتو الاجرام الى ان يأمر وزير الحقانية بالافراج عنه .

ومن الامثلة لتقرير الادلة قبل المتهم - أي بالقرينة - القضية نمرة ١٤٦٨ جنح جزئية عابدين سنة ١٩٢٦ وقد صدر الحكم من محكمة عابدين الجزئية على المتهم - الذي وجدت بصمة يده وكانت الدليل الوحيد على ارتكابه جريمة السرقة - بالحبس شهرين مع الشغل يوم ١٩/٩/١٩٢٦ .

الم ياتكم يا حضرات الافاضل نبأ الجريمة التي هزت فرنسا ؟ تلك الجريمة التي نقلت جريدة الاهرام تفصيلها عن الجرائد الفرنسية في شهر اكتوبر سنة ١٩٣٣ ؟

تلخص تلك الجريمة في أن رجلاً له بنت وحيدة في مقتبل العمر - مستهتره في لرضاء شبابها ، تأوى الى حى الطلبة ، كثيرة الاخلاء - وجدت أحد خلانها يشتهي أن يقتنى سيارة ، فصممت على قتل أبيها وأما وارسالهما الى الدار الآخرة ، وأن تستولى على ما عندهما من نقود ليقتنى خليلها سيارة ، ولتتمتع هي وهو بما بقى في السرف والبذخ ، فعمدت الى والديها فدست لهما السم . فأما والدها فلم يتوقف في سبيله الى الآخرة ، وبزت منه بضعة عشر ألف فرنك . وأما والدتها فصابرت الموت وتشبثت بأذيال الحياة ، فائختها بالجراح حتى وثقت من أن ذلك كافٍ لازهاق روحها ، وابترت منها ألفاً وخمسمائة فرنك . وأسرت الى حى الطلبة - حيث ينتظرها خليلها - وظلت في رقص ومعاقرة وما يتبع ذلك ثلاثة أيام .

أما أبوها فقد علم به البوليس وأمرت الحكومة بدفنه ، وأما والدتها فقد عثر عليها فاقدة الصواب فمولجت من السم وضمدت جراحها ونجت من الموت .

لما عثر البوليس على الفتاة في بعض المراقص ومعها بعض أخلائها واسمها « فيوليت نوزير » وسئلت عن الجريمة اعترفت بها في غير خوف ولا وجل ولا حياء ، وقالت : انها قتلت أبوها انتقاماً منه « لشرفها » الذي دنسه لانه كان يكرها على الزنا بها . ولما حان الوقت لمواجهة والدتها كان المنظر مروعا واليكم ما جاءت به جريدة الاهرام في العدد ١٧٥٦٠ - الصادر في ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٣٣ =



أن يأتوه ببقرة ليذبحوها ليعين لهم المجرم من البريء فقالوا له انك تهزأ بنا ، فاستعاذ بالله من أن يكون من الجاهلين الذين يهزأون بغيرهم . فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟ فقال لهم ان الله

= على مسرح الحياة :

### الجريمة التي هزت فرنسا

#### مواجهة البنت بالأم

« لن اغفر لك الا بعد الحكم عليك .. بعد موتك ! »

يرمى القضاء بالمواجهة ان يصل الى قبس جديد يتير السبيل للعدالة . بيد ان مواجهة فيوليت نوزير - قاتلة ابنيها - بأمها لم تات بشيء يذكر ؛ لان التأثير بلغ مداه حتى انه لا القاضي ولا المحامي قد استطاع أحدهما او كلاهما ان يتدخل ويوجه اقل سؤال .

اما الأم فكانت لا تزال نزيلة مستشفى سانت انطوان ، فما طلع صباح اليوم المحدد للمواجهة حتى لم يعد في شارع المستشفى موضع لقدم ، وفي الساعة السابعة صباحا لزم الامر لتدخل البوليس لحفظ النظام وافساح الطريق للسيارات ، وكان الجمهور يتلهف على رؤية الفتاة القاتلة . وكان يعلم انه سيؤتى الى المستشفى بالتى سميت والديها ، فهو يريد ان يتعلم من تلك الخلقة الغريبة عنده . وبعد ذلك يعود الناس يحدث بعضهم بعضا « بأنهم قد شاهدوا ... » .

بيد ان كل الذين انتظروا الساعات الطوال قد خاب أملهم ، لان البوليس خشى ان يلحق بالفتاة اعتداء من الجمهور - الكاره لها - فساقها من السجن في مركبة مغلقة الى باب صغير خلفي بالمستشفى مخصص لدخول الاطعمة والادوية . وكانت في ذلك الثوب الاسود الذي قضت به ليالى الهوى الاخيرة . ولم تفه بكلمة وعرضوا عليها طعاما ، فاكلت قليلا . وجلست معتمدة راسها بيدها وقد تاهت نظرتها ؛ تنتظر ...

وفي تلك الاثناء كان قد وصل المسيو لنوار قاضي التحقيق ورئيس النيابة والمحاميان عن فيوليت نوزير ، والطبيب الشرعى ، ومندوبو الصحف .

وجاءوا بالأم محمولة على عربة يد من غرفتها الى القاعة التى اعدت بالمستشفى للمواجهة - وبدا الاستجواب . وبعد الوصول الى تفاصيل عن السرقة الاخيرة ، وعن وقوع الام مغمى عليها ، وعن تذكرة الطبيب المزورة - التى ادعت الفتاة بأنها قد اشترت الدواء بموجبه وكان ذلك الدواء هو السم الزعاف - بدأت المواجهة . وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة .

فقال قاضي التحقيق مخاطبا فيوليت نوزير : « والان ! اواجهك بأبك » .

فاذا دموعها تنسكب مدرارا للحال . واذا بها تفر وتتشج نشيجا مؤلما وتصرخ صراخا غامضا . واتسار بيدها كأنها تقول « لا ! » ولم تنهض ، ولكن المواجهة كانت امرا مختوما . ودنا المحاميان من المقعد كما لو كانا سيبدان ازرها .

ومع الباب العاصل بين القاعتين : فكشف مشهد له الهول . فهناك على مقعد كبير امرأة غارقة في صمادات الحروح ، شاحبة شحوبا لا يخفى شبابها وجمالها . وما ان فتح الباب حتى اعدلت في جلسنها وادخلت عليها فيوليت فصرخت الام :

« فيوليت ! فيوليت ! اقلنى نفسك ! ماذا صنعت ؟ فيوليت ! فيوليت . لقد قتلت اباك ذاك الذى كان طبيبا طيبه كلها ! لقد قلت ذلك الرجل ! اما انا فلست شيئا ! ولكن اباك يا فيوليت ! زوجي ! ابوك ! ... » .

وتحشج صوتها وغص بالعبرات . وكأنها تريد ان ترتدى بكل جسمها الى الامام ، ثم اذا بصوتها يعلو بالالم والحقد معا :

يقول : انها بقرة بين الفتية والمسننة وأنها عوان . ثم طلب منهم أن يفعلوا ما أمرهم الله به ولكن بنى اسرائيل قوم جبلوا على عدم امتثال أمر الله وعدم المسارعة الى أوامره ؛ بل اعتادوا المماطلة

« فيوليت ! أبوك ! أطيّب الرجال ! . اقتلى نفسك . . اغربى . . انتحري . . . » .  
ووقف صوتها ثانية . وكأن فيوليت قد جعلت تتلاشى وتفتنى من الوجود . فجعلت تزفر وتبكي بكاء مرا . وكان الطبيب شديد التأثر موزع القلب بين الأم والبنت وكان الجميع كان على رءوسهم الطير . وعاد صوت الأم يقول :

« فيوليت ؟ أبيك ؟ تتكلمين ؟ تقولين ؟ تتهمين ؟ أباك ! مثل هذا الرجل أين مثله ؟ ! انتحري يا شقية ! فلن أغفر لك جرمك أبد الدهر ! . . » .

فانهارت الفتاة من طولها كأنها بيت مشيد قد سقط . وكان اليأس قد هدمها وسال دمعها مدرارا وزحفت الى قدمي أمها زحفا ، وكان الحضور قد عصرت قلوبهم واشتد خفقانها وحزنها ، وزاد ذلك ما سمعوه من البنت اذ قالت بصوت متقطع متمزق :

— غفرانك يا أماه غفرانك ! . .

« كلا ! . . فلن أغفر لك أبدا ! . . » .  
وكان صوت الأم عندئذ قد ثبت وتجلّى ، فان ما لقيته من أهوال واستعرضته في تلك الدقيقة قد أعطاها قوة جديدة .

أتوسل اليك يا أماه أن تسامحيني ! « كلا ! أبدا » .  
صفحا يا أماه ! « سأصفح عنك بعد الحكم عليك ، عندما تنزلين الى قبرك ! . . » .  
سكوت وصمت ! بكاء والى ! ضيق وانزعاج ! أم موتورة صارخة باكية ، وبنت يائسة متهمة ، وشهود في حزن ليس بعده حزن ! وتمنى الجميع أن يوضع لهذه المواجهة حدا . وهى لم تكد تستغرق ربع الساعة ، ومع ذلك كانت ممتلئة بالهول والرعب والويل . وكان من صالح الأم المريضة نفسها الكف عن ايلامها . ولم ينبس قاض أو محام ببنت شفة . وكان المشهد لم يسبق له مثيل في تاريخ القضاء . وكان الجميع — من قضاة ومحامين ورجال الشرطة وأطباء وممرضين — قد عجزوا عن استبقاء دموعهم فانسكبت ، وقد بلغ تأثر القاضي حدا جعله لا يملأ كاتبه شيئا .  
وصرح الطبيب الشرعى فيما بعد أنه منذ أربعين عاما لم يشهد مثل هذا الموقف الفاجع ، وكان الأستاذ هنرى جيرو — محامى الفتاة ، وهو نفسه محامى جرجولوف الروسى قاتل رئيس الجمهورية الفرنسية السابق المسيو بول دومير — قد تأثر عندئذ أكثر مما كان متأثرا اذ سار الى جنب موكله جرجولوف عند الفجر ، منذ بضعة أشهر الى المقصلة . . فهو هنا قد اهتز وارتجف من قمة راسه الى قدميه لهذه الأم التى تحكم وتأبى الصفع . .

وانتهى المشهد . . . ولزمت الأم عندئذ الصمت . وألقت برأسها الى الخلف ، وثبت نظرها كأنه قد تسمر بالسقف ولم تلق على بنتها نظرة — اذ أخذوها عنها الى السجن — وعادوا بها على محملها الى غرفتها . وتأجلت المواجهة من جديد شهرا .

لقد قالت الأم كلمتها الأولى . وهذه الكلمة هى حكم بوضع رقبة ابنتها في جبل المشنقة . .  
على أن حضراتهم لو سألوني مسترسلين لأجبتهم بأنى لم ادع أن الرعدة هى الدليل الوحيد الموصول الى القتل قصاصا ؛ بل أقول لهم انما رعدة المتهم باب يوصل الى الاعتراف المؤيد بالأدلة المادية الشاهدة على صدقه في اعترافه ؛ كضرب المتهم عند مالك الموصول الى الاعتراف بالجريمة اعترافا مصحوبا بما يدل على صدقه في اعترافه . وحينئذ يكون دليل القصاص ليس هو الرعدة فقط ؛ بل ما أدت اليه من الأدلة المادية — والرعدة أساسه .  
فالرعدة الحاصلة للمتهم عند توجيه التهمة اليه هى ظاهرة من هذه الظواهر التى كثيرا

والمطالبة فبحكم عاداتهم لم يمتثلوا . فسألوه عن لونها فيبين لهم أن الله يقول : انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها لحسنها . فلم يشاءوا الامتثال وقالوا له : ان البقر تشابه علينا فيبين

= ما تعترى المجرم الحقيقي ، فتضييق دائرة الاتهام امام المحقق فيسمى في جمع الأدلة في هذه الناحية واستخراج الواقع من تضاعيف تصوراته ؛ لأن نفس المتهم تصغر ، وتضعف عنده قوة المقاومة فيستسلم امام الحقيقة ولا يجد مناصا من الاعتراف الصحيح .

قد يحصل أن تشهدوا المتهم وهو يسأل عن جريمته ، وترونه جريئاً ثابتاً في نظركم في وقت يراه فيه المحقق المجرم مضطرباً مذعوراً وانتم لا تعلمون .

فالمسألة فنية محضة يعرفها ارباب الفن وأهل الدراية الخاصة .

حضرات أصحاب الفضيلة عندي - في موضع الاحترام والاحلال - لذلك لا أريد أن اجيهم بعدم الثقة بقولهم الصادر من غير تجربة ولا خبرة ؛ بل أسكت وكفى .

وأما ضربهم المثل بالطبيب الذي يزاول التشريح ، وأنه يتأثر اول الامر ثم يزول ذلك التأثير منه ! فاني اوجب حضراتهم بأن المشرح بوصف أنه طبيب يعمل ذلك وهو مطمئن القلب جازم بأن عمله ليس وراءه مسئولية ، ولا يظن أن تبعة عمله ستوقفه موقف الاتهام ، بل يرى أنه يقوم بواجب يجب عليه اداؤه ، والمسئولية إنما تترتب على التقصير فيه .

لذلك نراه مطمئناً هادئاً ؛ بخلاف المجرم فان شعوره بفداحة الجريمة التي اقترفها وبمظم المسئولية يجعله مضطرباً ابداً . فالقياس على الطبيب قياس مع الفارق . وايضا فان الطبيب اذا كان مشرحاً أو معالجا غيره اذا كان مجرماً آثماً .

قال حضرات أعضاء اللجنة « فهذه خمسة أوجه تدل على خطأ هذا الرأي من الوجهة العلمية » وانا اوافق حضراتهم موافقة تامة على أن هذه - خمسة أوجه - تدل على خطأ الرأي من الجهة العلمية ، ولكن أي الفريقين هو المخطئ ؟

ان أدنى نظر يهدي من اطلع على تقدمكم وردى عليه الى نسبة الخطأ الى الفريق الذي ارتكبه ؛ فنظر القارئ كاف ! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ونظر القارئ الى ناحية الصواب انفذ ، ورأيه في الحكم لى أو لهم أعلى .

طريف جدا قول اللجنة « وهناك وجه سادس لا نبديه لفضيلة الأستاذ .. الخ » .

فقد أرادوا أن يلهونى بالسياط على أرجل قوم آخرين - لا أعلمهم - فهل هم بذلك يريدون أن يتأسوا بقول القائل « اياك أعنى واسمعى يا جاره » ؟

قال أصحاب الفضيلة بعد ذلك « وأما الوجه الأول : وهو تصدير الموضعين بقوله تعالى ( واذا ) فلا يدل على أنهما قصتان منفصلتان - سببا وحكما - اذ يمكن أن يقال أنهما قصة واحدة ، كما وردت بذلك الآثار وكما هو المعقول » .

أقول : وهل قلت في كتابي غير هذا يا حضرات أصحاب الفضيلة المدققين ؟ لقد قلت في ص ٢٤٢ - ٢٤٣ « والذي أريد أن أخرج به من هذا البحث : هو أن القول بأن القصة الأخيرة مرتبطة بما قبلها ليس متعينا . وأن مسألة ضرب القاتل بجزء من البقرة فحى وأخبر بقاتله لم يرد به نص قطعى الثبوت والدلالة ؛ وأن الرأي الذي رأيته تحتله الآية . والله الموفق للسداد » .

وها انتم تقرررون ما قررت « اذ يمكن أن يقال أنهما قصة ، واحدة » وهذا عين ما قلته فأين موضع الرد يا حضرات الاجلاء الاعلام ! وعلى أى شيء تخالفنا ؟

وانى أختتم الكلام في مسألة البقرة بأن أتقدم الى أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة بهذا السؤال : ما قولكم دام فضلكم في رجل قال لزوجته : أنت طالق ان كان موسى رسول الله عليه الصلاة والسلام أو احد من بنى اسرائيل قد ضرب ببعض البقرة - التي أمر الله بنى اسرائيل بذبحها فذبحوها =

لهم البقرة بأنها غير مذلة بالعمل ، وأنها سليمة الأعضاء ، وأن لونها واحد لاشية فيه تخالف لون جسمها . فطلبوا تلك البقرة فذبحوها ، وبعد الذبح جاء موسى بلسانها وضرب به القتيل

وما كادوا يفعلون — قتيلا فحیی القتيل وأخبر بنی اسرائیل باسم قاتله ! فهل يقع عليه الطلاق بذلك وتحرم عليه زوجته في الحال وتحل لغيره بعد العدة ، مع أن حلها أزواجها ثبت بيقين فلا يرفع الا بيقين مثله ، وحرمتها على غيره ثبتت بيقين فلا ترفع الا بيقين مثله ؟ .

وهل صاحب الفضيلة الشيخ الكبير — مفتي الديار المصرية — يفتي بحرمتها على زوجها بمقتضى هذه الآية ! ويعتبرها نصا قطعي الثبوت والدلالة على حياة قتيل بنی اسرائیل وأخباره بقاتله ؟ وهل فضيلته لا يرى حرجا في أن يشهد على الله تعالى ، بأن طلاق المرأة على ذلك شرعه الذي رضىه لأهل الاسلام ؟

أسأل الله تعالى لي ولأعضاء اللجنة الهداية الى سواء السبيل .  
بعد هذه السياحة الطويلة ، أقول لحضرات أعضاء اللجنة الأجلاء : ان الاحتمال الذي طرقت في مسألة البقرة — وطلبت رأى حضرات العلماء فيه — قد رن صداه في معهد الدراسات الجنائية بكلية الحقوق ، وصار له في أنفس الدارسين لعلم النفس الجنائي والمحاضرين مكانة مكيمة ، وقد تناولوه في محاضراتهم بالبحث والدرس والتحليل ، وما كنت أظن أن يكون لهذا الوجه هذه الأهمية وأن يكون علماء النفس المتناولين له وأنا حتى أرزق ؟

فهذا النجاح الذي نلته ، لا سبب له سوى أعضاء اللجنة ! جزاهم الله خيرا عما وصل الى على أيديهم من خير وان لم يقصدوه .

وهل انى حضراتهم : ان الروايات التي أوردها المفسرون في شأن البقرة والقتيل ؛ الذي يدعون انه ضرب ببعضها فحیی . . الى آخره انما هي اسرائيليات ؟

قال الحافظ بن كثير — بعد أن سرد الآثار الواردة في شأن البقرة — وهذه السياقات عن عبدة وأبى العالية والسدى وغيرهم : فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بنی اسرائیل ، وهى مما يجوز نقلها . ولكن لا تصدق ولا تكذب ؛ فهذا لا يعتمد عليها الا ما وافق الحق عندنا والله أعلم .  
ونقل في تفسير المنار قول ابن كثير « أكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب » .

وحيث قد ظهر من كل ما تقدم أن مسألة ضرب القتيل ببعض البقرة فحیی وأخبر بقاتله لا تستند الى نص قطعي الثبوت والدلالة . وأن أكثر ما فيها من الاسرائيليات فيكون الجرى على ذلك القول غير متعين ، ولا حرج على ما يفهمها على وجه آخر ، ما دام محافظا على أسلوب الكتاب الكريم غير مخل بمقصد من مقاصد الدين ، ويكون ما أورده وجه محتملا ، وهذا ما أردته .

### استدراك

قال حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة « وعلى تسليم الاطلاق ، يكون المقصود من هذه الجملة هو براءة المتهم غير القاتل دون اظهار القاتل الحقيقى المقصود من القصة » .

أقول : انى أشهد الله وجميع خلقه وأسأل أهل الأرض قاطبة ؛ عن جماعة أريد امتحانهم بعرض القتيل عليهم ، وضرب كل واحد منهم بيد القتيل — مثلا — فأمضى كل واحد منهم الامتحان — بدون تغير ولا اختلال في موازين عقله وحركات نبضه — الا واحدا أخذته الرعدة وعراه من هذه المشاهدة ما يعرف من أصيب بمس ، وظهر عليه من أمارات الجزع والاضطراب شيء لم يظهر على غيره من الجماعة ؛ فهل تحكمون بأنهم جميعا في البراءة من سفك دم القتيل سواء ؟ ويكون من ظهرت عليه أماراة من ذلك بريئا براءة جميعهم ؟ وهل جميع الحكام في الدنيا عندهم من طيبة القلب والرفق ما عند حضرات الأعضاء ، فيأمروا لمن ظهر عليه الاضطراب وحده بمكافأة حسنة ويخصوه برعاية وملاطفة لا يجدها من أبيه وامه ؟

فحيى وأخبر بقاتله بقدره الله تعالى . ومع ظهور ذلك كله لبنى اسرائيل ؛ فان قلوبهم بقيت على قساوتها كأنها الحجارة أو أشد قسوة منها ولم تؤثر تلك العجيبة في قلوبهم الينا .

ان نظر القراء في الموازنة بين ما قلت وما قالوه كاف ! ولا ألجأ في الحكم — على شأن الذى انفراد بالاضطراب والارتعاد الا الى ضمائر حضرات القراء .

وأما قول حضراتهم « وأين هذه التعسفات من المعنى المشهور للآية » فهو آية فخار لى وعنوان شرف أحرص عليه ، ليس شيئاً فى جنبه ما نلت من أوسمة أو دبلوم ؟ قالوا « ( كذلك ) أى هكذا الاحياء العجيب — وهو احياء القليل بضربه ببعض البقرة — يحيى الله الموتى يوم القيامة بالبعث فيكون اثباتاً للبعث الذى كثر منكروه ، بالمشاهدة لمن حضر تلك الحادثة » .

والذى أقوله : ان السياق الذى جاءوا به فى هذه الجملة يدل على أنهم يرون ان الباعث على احداث الله تعالى هذه المعجزة — التى يقولون بحصولها وهى احياء القليل بضربه ببعض البقرة — ان يثبت موسى لبنى اسرائيل ما ينكرونه من البعث وحياء الله الموتى . وانى لهم ان يثبتوا ان بنى اسرائيل قد انكروا البعث يوم القيامة ؛ فأوجد الله تعالى حادثة قتل القليل والتدافع فيه — الى غير ذلك مما يحكونه فى تلك القصة — ليبرهن لبنى اسرائيل على قدرة الله تعالى على احياء الانفس بعد موتها فى الدار الآخرة ؟ وأن الآيات التى صنعها الله لهم من قلب عصا موسى حية ، واليد ، وسائر الآيات التسع التى ضرب بها المصريون وفرعون ، ونجاة بنى اسرائيل بفلق البحر ، وضرب طريق لهم فى البحر ييسا ، وتظليل الغمام عليهم ، وانزال المن والسلوى لهم ، ونشق الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وانباط الماء من الصخر — بضرب موسى الحجر بعصاه — كل ذلك لم يكفهم بل طلبوا ان ينظروا بأعينهم احياء الله الموتى الى ان كان ما كان مما يقولون ؟ فأين ما يدل على ذلك من الكتاب الكريم ؟

فأت فى جريدة الجهاد الصادرة فى هذا اليوم « ٢٨ يونيه سنة ١٩٣٦ » خبرا جاء فيها ، عن معاينة النيابة ورجال المباحث لمكان وقعت فيه جناية قتل فيها شاب فرنسى فى حجرته ، وكان مستخدماً فى محل « فلوران » وقد جد البوليس فى تتبع الجريمة حتى انتهى الى اتهام اثنين بالقتل ، وقد ذهبت النيابة وضابط المباحث لمعاينة مكان الجريمة ، بعد ان اعترف بها أحد المتهمين « عطية » والى القراء ما جاء فى « الجهاد » عن ذلك : وقد بدأت المعاينة فى غرفة القتل ثم انتقل حضرة المحقق الى الغرف والممرات المحيطة بها التى مر منها المتهمان قبل تنفيذ الجريمة وبعدها .

وقد علم مندوبنا أن المتهم « عطية » اعترف فى التحقيق الذى أجرته النيابة ، غير انه لما استأنف حضرة المحقق صباح أمس التحقيق معه أصر على الإنكار ، وكان يمتنع عن الأسئلة التى توجه اليه . وقبل ان تتم المعاينة أخذ المتهم عطية يصيح بأعلى صوته « مظلوم يا ناس حرام عليكم » ولما سيق الى غرفة بها آلة للفرم ، وقف بجوارها وهم بأن يضرب رأسه بها ، ولكن حارساه تداركاه فمنعاه .

وقد عمل حضرة المحقق على الوقوف على كيفية تمكن المتهمين من الوصول الى غرفة القتل وتنفيذ القتل ؛ غير أن الحالة النفسية التى كان عليها المتهم عطية حالت دون اتمام المعاينة .

ومما لاحظناه أن المتهم عطية كان فى ذهول يدل على أنه يعانى من تأنيب الضمير آلاما وانفعالات اه المراد منه .

ففى عرف حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة أن هذا المتهم « عطية » الذى عراه الانفعال والذهول برىء من جريمة القتل ؛ لأن الانفعال عند معاينة مكان الجريمة انما يصيب البرىء لا المجرم هذا عرف حضراتهم . والواجب على الحكومة ان تقدم هدية لهذا المتهم المنفل ، وأن تقضى ببراءته ؛ لأنه ظهر عليه الذهول والانفعال . وكل ذلك فى عرف حضراتهم أماره البراءة غالباً . وهكذا يكون النقد البرىء الراقى للبحوث العلمية العالية .

وقفت على حكم « طنوب » واقتطفت منه ما يأتى :

عبد الغفار السيد منصور ، منجود علام على ، بسيونى أحمد عبد الغفار ، عبد العزيز سيد أحمد ، قتلوا بطنوب عمدا « عبد الحميد موسى أبو سعدة » بأن ذبحوه وقطعوه مع سبق الاصرار — ليلة ٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ — وقد حكم على الأول بالاعدام ، وعلى الثانى والثالث بالاشغال الشاقة ، وبراءة الرابع « فى القضية نمرة ٢٧٦ احالة سنة ١٩٢٠ » وكان رئيس الجلسة صالح بك حقى ، وتاريخ الحكم ٢١ يولييه ١٩٢٠ .

اقرأوا هذه الآيات : —

**سورة البقرة :** وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْغَالِينَ [٦٧] قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ [٦٨] قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ [٦٩] قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ [٧٠] قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا آلَافَ حِثٍّ بِالْحَقِّ فذبحوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ [٧١] وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [٧٢] فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [٧٣] ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ. وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءً يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءً يَنْبَاطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [٧٤]

ويكون نظم القرآن في هذه القصة هكذا : قتل بين بنى اسرائيل قتيل فتدافعوا فيه ، يدفع كل تهمة القتل عن نفسه . فلما ترافعوا الى موسى ؛ أمرهم بذبح البقرة . وبعد المرافعة بينه وبينهم وبين الله ذبحوها بعد جهد شديد . يقولون فأمرنا موسى أن يضربه ببعضها فحى القتيل وأخبر بقاتله ( وكذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون ثم انكم توليتهم بعد ذلك وقست قلوبكم . فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ) .

إذا تأمل الانسان في هذه الحادثة وجدها — اذا كانت قد وقعت كما يقولون — قد اشتملت على معجزة غريبة صنعها الله لموسى ، وقد صنع الله له من الآيات في تأييده ما هو أبداع منها وأعجب ويجد مع ذلك أنها قد حلت مشكلة من مشاكل بنى اسرائيل حلا وقتيا فقط . فقائدتها قاصرة ، وخير منها أن يأتيهم بعجيبة تحل مشاكلهم أبدا على الدوام .

ظاهر الكتاب يقتضى أن سنة الله في احياء الموتى دائما أن يأتى ببقرة تذبح ويضرب من يريد احياءه ببعض البقرة فيحيا ذلك الميت وليس مرادا .

أرايتم لو قتل قتيل اليوم أو قبل اليوم من بنى اسرائيل أو من سواهم من البشر وذبحنا أو ذبحوا بقرة على هذا الوصف المذكور في السورة أو ألف بقرة وضرب ببعضها هل يحيا ؟ كلا فقائدة هذه الحادثة جزئية لا تحل مشاكلهم على فرض وقوعها !

أما ما جاء في التوراة متعلقا بأمر ذبح البقرة فيلخص في أن بنى إسرائيل فرض عليهم أنه اذا قتل قتيل في الحقل يؤتى بأهل أقرب البلاد من موضع القتل ويأتون بعجلة من البقر لم يحرق عليها ولم تجر بالنير ، ويأتى شيوخ القرية بها الى واد دائم السيلان لم يحرق فيه ولم يزرع ، ويكسرون عنق العجلة في الوادى . ثم يتقدم الكهنة - بنو لاوى - ويباركون الله ويغسل جميع الشيوخ الذين من القرية القريبة من القتل أيديهم على العجلة . ويصرخون قائلين «أيدينا لم تسفك هذا الدم . وأعينا لم تبصر اغفر لشعبك إسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء في وسط شعبك إسرائيل فيغفر لهم هذا الدم اهـ » (١) .

فالنظر الى التوراة يرى أنها جعلت الأمر شريعة معدة لأن تتبع في النوازل والوقائع التى تقع لبنى إسرائيل .

على أن ذلك لا ينافى أن حادثة وقعت عمل فيها موسى ما قصه القرآن . ثم كتب الله عليهم أن يكون ذلك شريعة تتبع في الحوادث المستقبلية المماثلة لها .

وهذا الذى حدث عند بنى إسرائيل يشبه في الجملة ما يحدث عند الأعراب في البلاد المصرية .

فان الأعراب اذا قتل عندهم قتيل - لا يعلمون قاتله - واتجهت التهمة الى قوم آخرين أرسلوا اليهم رسولا يقول لهم : ان دما عندهم فاذبحوا لنا ذبيحة . فاذا فعلوا جاء أولياء الدم وأقسم المتهمون يمين القسامة أنهم لم يقتلوا ذلك القتيل ولا يعلمون قاتله . ثم يسوى لهم لحم الذبيحة فيأكلون ويأمن بعضهم بعضا وتثبت براءتهم من القتل . ويقولون : الدم يمسح العيب . ولى في هذه الحادثة نظر آخر سوى ما ذهب اليه المفسرون .

هو أننا اذا نظرنا الى القصص التى قصها الله في هذه السورة قبل هذه القصة - وكلها متعلقة ببنى إسرائيل - وجدنا كل قصة مستقلة عما قبلها وما بعدها مبدوءة بقوله تعالى ( واذا ) .

اقرأوا ( واذا أنجيناكم من آل فرعون - واذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم - واذا واعدنا موسى أربعين ليلة - واذا آتينا موسى الكتاب - واذا قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم -

١ - وهذا نصها من أول الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التثنية :

(١) اذا وجد قتيل في الأرض التى يعطيك الرب الهك لتملكها واقعا في الحقل لا يعلم من قتله .

(٢) يخرج شيوخك وقضاك ويقيسون الى المدن التى حول القتل .

(٣) فالمدينة القربى من القتل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرق عليها لم تجر بنير .

(٤) وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد دائم السيلان لم يحرق فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادى . (٥) ثم يتقدم الكهنة - بنو لاوى - لأنه اياهم اختار الرب الهك لخدمته ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة . (٦) ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادى . (٧) ويصرخون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعينا لم تبصر . (٨) اغفر لشعبك إسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء في وسط شعبك إسرائيل . فيغفر لهم الدم اهـ .

واذ قلتهم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة — واذا قلنا ادخلوا هذه القرية — واذا استسقى موسى لقومه — واذا قلتهم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة — واذا قلنا ادخلوا هذه القرية — واذا استسقى موسى لقومه — واذا قلتهم يا موسى لن نصبر على طعام واحد — واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور — واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة — واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها ) .

فهذا النسق المطرد الذى لم يتخلف يجعل مسألة قتل النفس والتدارؤ فيها مسألة مستقلة بنفسها غير مرتبطة بما قبلها ولا مدمجة فيها وقد حاك في نفسى أن هاتين القصتين تفهمان على ضرب آخر من الفهم وقد قوى عندى ذلك كل القوة .

وها أنا أعرضه على حضرات القراء ؛ راجيا أن يعيره حضرات العلماء اهتماما وأن يوافقونى بما يروونه الصواب بعد قتل المسألة بحثا ، حتى اذا ظهر لى الحق عدت الى ما رسموا ضاربا بقولى عرض الحائط فلست بالمتعنت ولا بالمفتون بقولى ورأى ، ولا ممن تنزهوا عن الخطأ ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ذلك أن القصة التى أمر فيها موسى قومه بذبح البقرة لم يكن الغرض منها الاتيان بكل ما اشتملت عليه واندرج فيها من الحالات والأحكام ؛ بل الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نموذجا مما بلغ اليه تعنت بنى اسرائيل فى ابطائهم عن امتثال أمر الله ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يأمرهم به ، دون استيفاء القصة استيفاء كاملا يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة ؛ بل هو يقص علينا نمطا من تعنتهم وصلابة أعناقهم .

وأما القصة الأخرى المبينة فى قوله تعالى (واذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها ) فانه تعالى يقص علينا فيها لونا من أفضاله على بنى اسرائيل وحل مشكلاتهم بطريقة لم تخطر لهم ولا لبشر ببال وظلت هذه الحكمة العالية المشتملة عليها تلك الطريقة غامضة على بنى اسرائيل وعلى جميع البشر الأجيال الطوال .

والذى فهمته من القصة الأولى أن بنى اسرائيل قد وقعت عندهم واقعة قد حاروا فيها . وهى أن شخصا قد قتل فى الحقل . وهم لا يدرون من الذى قتله والحقل واقع بين بلاد كثيرة فأى البلاد تلصق بأهله تهمة القتل ؟ رفعوا أمرهم الى موسى فما كان جوابه الا أن قال لهم ( ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ) — ولما كان الجواب بعيدا فى رأبهم عن الغرض الذى جاءوا لأجله وقع ذلك عندهم موقع الغرابة وقالوا لموسى ( أتتخذنا هزوا ؟ ) — ولما كان موسى انسان صدق بعيدا عن الهزء والسخرية بعباد الله — قال لهم . أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين الذين يهزءون بعباد الله .

ثم كانت المراجعة بينهم وبين موسى وربه حتى بين لهم شأن البقرة ولونها وأحوالها أنهم بيان ومع ذلك لم يمتثلوا بل ذبحوها بعد اذ كادوا لا يفعلون أى أنهم ذبحوها بعد جهد شديد .

أتى موسى برجال أقرب محلة من مكان القتل وأحلفهم عليها بعد ذبحها أى وهى أمامهم أنهم



ما قتلوا القتل ولا علموا به وانهم برءاء من دمه وكانوا يغسلون أيديهم على البقرة كما قص ذلك في التوراة .

هذه اليمين في شريعتهم كيمين القسماء عندنا معشر المسلمين . اذا قتل قتيل في محلة غير محلة قومه أو بقرب تلك المحلة ولم يعلم قاتله وكان هناك لوث يقع به في النفس صدق المدعى وهو ولى الدم ( واللوث القرينة ) حلف خمسين يمينا واستحق الوارث بالقسماء في القتل الخطأ أو شبه العمد الدية في القتل العمد حالة على المقسم عليه . ولا قصاص في الجديد لأن القسماء حجة ضعيفة فلا توجب القود احتياطا للدماء . وان لم يكن هناك لوث أو أنكر المدعى عليه اللوث في حقه فاليمين على المدعى عليه . وأظهر الأقوال أنه يغلط عليه بالعدد . انتهى باختصار من شرح الخطيب على متن أبي شجاع .

فتلك عند اليهود شرع كالقسماء عند المسلمين في الجملة .

وأما القصة الثانية وهى قوله تعالى ( واذا قتلتم نفسا ) الخ فهى في شأن قتيل وجد قتيلا في بيته أو محلة قومه أو سقط في معركة فيها جماعة . وقد دفع كل واحد القتل عن نفسه ولم يتعين قاتله تماما وكل واحد يتهم سواه بالقتل . وحينئذ يكون المتهمون محصورين ، والقاتل لا يخرج عنهم بدليل قوله تعالى ( فادارأتم فيها ) ولما كان الله تعالى مخرجا ما يكتنون من القتل علمهم طريقة يميز بها القاتل من البرىء . أو هى على الأقل تضيق دائرة الاتهام وتوجه نظر القاضى الى استنباط الأدلة على المتهم أو من له اتصال بالقتل .

ذلك بأن يأتوا بالمتهم ثم يضربونه بجزء من تلك النفس أى من القتل وهو متصل ببقية الجسم بأن يأتى واحد ويضرب المتهم بيد القتل أو رجله ، فإذا كان المتهم بريئا لم يحدث له شيء وإذا كان قاتلا ظهر عليه افعال نفسى ورعدة يعلم بسببها أنه القاتل دون سواه ، أو هو على اتصال به .

وهذا الافعال قد يكون فرحا وجذلا وقد يكون خوفا ورعدة تبعا لسبب القتل .

وهذا الأمر يرجع الى أحوال الغرائز النفسية والى العقل الباطن في الانسان ، ذلك أن القاتل حين يباشر الجريمة — وبخاصة القتل — يكون واقعا تحت تأثير افعال خاص يغلب منه دمه — يدفعه ذلك الافعال الى ارتكاب جريمة القتل . فإذا سكن نائره وهدأت أعصابه ، وزال ذلك الدافع الذى أكسبه الجرأة حتى طوعت له نفسه ارتكاب الجريمة ، عاوده الندم وتبكيك الضمير وصار شبح الجريمة مخفيا في نظره ، ويتمثل له شبحها في كل شيء يتعلق بها ، فهو يكره رؤية مكان الجريمة والأشياء التى رآها رؤية مقارنة لارتكابها ، وتضطرب نفسه ويرتفع نبضه ويسرع اذا ذكر بشيء من الجريمة .

ويكثر أنه اذا أدخل على القتل أو عرض عليه تألم أشد ألم عرفه ، واضطرب ، ولم يستطع

النظر اليه ولا الى مكان حدوث الجريمة . فكيف اذا حرك عضو من أعضاء القتل وضرب به القاتل لا شك في أن ذلك العمل يكون ذا تأثير عظيم في أعصابه لا يطبق معه ذلك المنظر .

هذا اذا كان القتل لحادث عارض . أما اذا كان انتقاما للشرف أو لثأر فان الأعراض التي يأتى بها الافعال تكون فرحا وجدلا .

هذا « قايين » بن آدم طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، وحرار في أمره لا يدري ماذا يصنع بجثته فلما بعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه أدركه الندم فأصبح من النادمين .

وهذا العربى يقول في قريب له أراد قتله فذكر ما بينهما من الرحم . فلم يؤثر ذلك فيه فقتله وندم فقال :

فلما رأيت انه غير منته أملت له كفى بلدن مقوم

فلما رأيت أننى قد قتلته ندمت عليه أى ساعة مندم

على أنى لا أذهب بكم بعيدا ، فهذه « مدام ما كوش المالطية » قتلتها بنتها بمساعدة ابنتها الأخرى وبنت بنتها . وكان الباعث على القتل الحصول على المال وهو ستائة جنيه كانت عندها . وحصرت الشبهة في ابنتها . فلما أراد المحقق ادخالها الى غرفة نوم أمها التي ارتكبت الجريمة فيها — وقد هيئت كما كانت وقت ارتكاب الجريمة — أثبت أن تدخلها أباء مطلقا . وقد حكم عليها بالسجن ، وذهبت أختها الأخرى لتحاكم في بلاد فرنسا . والى الآن لم يصدر الحكم . ونحن في أواخر ديسمبر سنة ١٩٣٢ وكان حصول الجريمة بالاسكندرية في شهر يونيه سنة ١٩٣٢ .

وقد أرسلت خطابا لحضرة ولدنا الفاضل أحمد أفندى فؤاد عبد المجيد — مدرس التحقيق الجنائى بمدرسة البوليس والادارة — وسألته أن يمخض لى رأيه في عرض معالم الجريمة على القاتل المتهم وآراء العلماء القانونيين في هذا الموضوع فجاء منه الرد الآتى :

مصر في يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ .

سيدى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب النجار .

أقبل الأيدى وأدعو لفضيلتكم بكل خير وسعادة .

تشرفت بخطابكم الكريم أمس فقط . ويسرنى استمرار فضيلتكم على البحوث العلمية والاجتماعية وهذا يذكرنى الأيام الماضية .

وانى بكل سرور أجيب فضيلتكم ولعلى أنال رضاكم كما فزت به عندما كنت تلميذكم .

لم يكتب في هذا الموضوع على ما أذكر أحدا من الأوربيين الانجليز ولا الفرنسيين على الأخص وقد اطلعت على أكثر كتب التحقيق الجنائى الفرنسية والانجليزية ، ولم تزد الاشارة الى هذا

الموضوع في بعضها ؛ الا أن العرض قد يؤدي الى اعتراف القاتل أحيانا . ولم يذكروا الأسباب كل ذلك لأن هذا البحث خاص بعلم النفس الجنائي .

ولم يوجد للآن كتاب ذو قيمة في علم النفس الجنائي بالذات في العالم الأوربي ، مع كثرة المؤلفات في علم النفس على العموم ، لا سيما علاقته بالتربية ونظريات « فرويد » وأتباعه ومعارضيه . وهذه مست نفسية المجرم مسا خفيفا .

على أن تجاربي العلمية واستنباطي من المؤثرات المشابهة تمكنني من اجابتكم على قدر ما وسع علمي وهو :

لا شك أن القاتل يتأثر لحظة عرض جثة قتيله عليه . وسبب ذلك الانفعال الشديد الناتج من تصور الحالة التي كان فيها مع القتل أثناء ارتكاب الجريمة . فمتى ارتسمت في ذهنه وتصورها هزت أعصابه فارتبكت دورته الدموية والنفسية . ولا تلبث هذه الانفعالات الداخلية ترسم خارجا على وجهه وبصره وعقله ولسانه . فيبدو على لسانه من الكلام ما يدل على ارتكابه الجريمة ، وقد يعترف خروجا من هذا الضيق ، وقد يلتمس لنفسه الأعذار الغريبة . على أنه بعد هذه البرهة لا يلبث أن يعود الى حالة ثانوية وهي حالة الجذل أو الحزن ، وقد تطول تلك البرهة أو تقصر حسب اعتياد القاتل على ارتكاب القتل فاذا لم يسبق ارتكابه قتل الانسان أو الحيوان طالت ، وان سبق له قتل حيوان قصرت قليلا . فان كان انسانا قصرت ... الخ بالتدريج . ولكن لا بد من هذه البرهة وانفعاله فيها ، وظهوره الخارجى يتمشى مع طول أو قصر وجود البرهة .

على أنه يجوز أن المتهم البرىء يجزع عند رؤية القتل ، ولكن جزعه لا يدوم ، وهو خارجى أكثر منه داخلى لرؤية المنظر فقط . ولا يلبث أن يعود حالا الى الحالة الاعتيادية الأصلية لا الحالة الثانوية التي سنتكلم عنها .

أما عودة القاتل الى الحالة الثانوية بعد تلك البرهة السابق بيانها ، فهي حالة جذل أو حزن وهي تستند على الغرائز النفسانية للجاني وارتباطها بسبب الجريمة . فان كان القتل انتقاما لدم أو شرف أو كراهية ، حصل الجذل وارتسم خارجيا . وان كان القتل لزعل أو دافع من الدوافع الوقفية حصل الحزن وارتسم خارجيا أيضا . ويكون عميقا اذا كان القاتل عالما بداخليات القتل وما تركه من الأولاد وما كان له من الفضل . والعكس بالعكس .

وقد حصل أن غاب شاب حمّار عن أهله ببلدة « معمل القراز » التابعة لمركز كفر الدوار وعادت حميره التي كانت معه من تلقاء نفسها دون أن يعود هو ، وبلغت أمه بغيابه . ومن التحريات ظهر أنه رأى مع اثنين يركبان حمارين معه ، وهذان الشخصان أنكرا بتاتا وقبض

عليهما . ووجدت جثة الشاب مدفونة بجوار جسر . وبعرضها عليهما اتفعلوا واعترفا . انما كل منهما يرمى زميله بأنه هو الذى ارتكب الخنق بالذات وأعدما شنقا . وغير ذلك من الحوادث . لا تعيها الذاكرة .

هذا ما علمته ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وهذا بحث شيق . وسأبحث فيه بالذات ان شاء الله . وانى فى خدمتكم وخدمة العلم دواما . وتفضلوا يا صاحب الفضيلة بقبول أسمى تحياتى ومزيد تشكراتى .

تلميذكم المخلص : أحمد فؤاد عبد المجيد

مدرس التحقيق الجنائى بمدرسة البوليس والادارة

وقد كتبت الى ولدنا راغب عطية أفندى معاون بوليس مركز العياط لما أعرفه من اجتهاده وتمرسه بضبط المجرمين ويقتضه لأحوالهم . وقد اشتغل فى فرع المباحث الجنائية بمصر والجيزة مدة ليست بالقليلة وعينت له حادثة يذكر ما حصل من الانفعال للجانى فيها ، فجاءنى منه ماأتى :  
حضرة الوالد المحترم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار .

تحية وسلاما — وبعد فقد قرأت خطابكم الكريم الذى تسألوننى فيه عن ملاحظتى على أحوال المجرمين وموقفهم بازاء جرائمهم . وخصوصا عن الأحوال التى شاهدها فى حادثة طنوب . وجوابى على ذلك أن المجرم حين يرى مكان الجريمة يلمحه ببصره ثم يحول وجهه ولا يجب الاتجاه اليه بعد ذلك . وكان حصول ذلك يغرينى على الحرص على تفتيش المكان الذى حول وجهه عنه تفتيشا دقيقا .

وأياضا فإن المجرم لا يجب أن يدخل المكان الذى فيه الأشياء التى يحرص على اخفائها ، كالمسروقات والحشيش والهوراين والكوكايين ، كما حصل من المتهم الذى باشرت ضبط الأشياء التى سرقت من المرحوم السيد باشا شعير بكفر عشنا عنده . وكانت المسروقات تقودا ونياشين وبراءات وحججا أخفاها أحد السارقين فى احدى القاعات فى بيته . فلما هممنا بدخول القاعة وقف عن الدخول فكان توقعه حاملا لى على زيادة البحث والتفتيش ، حتى أخرجنا المسروقات كلها من الجيطان . وردت الى صاحبها — عدا بضعة مئات من الجنيهات تصرف فيها السارقون قبل الضبط — وكان ذلك سنة ١٩١٩ .

وأما حادثة طنوب التى سألتنى عنها ، فهى أنه كان يوجد رجل من « تلا » منوفية اسمه أبو سعده أعطى ثلاثة أشخاص من ناحية طنوب مركز تلا منوفية مبلغ أربعين جنيها للتجار فى العجول الصغيرة ، على أن يكون له نصف الربح فى هذه التجارة وللثلاثة النصف الباقي . والثلاثة هم عبد الغفار السقا ومنجود علام والثالث قد غاب اسمه عن ذاكرتى الآن . وقد اتجروا وكانوا يبعثون له فى كل أسبوع نصف الربح ، وبعد خمسة أسابيع أو خمس أسواق قطعوا عنه نصيبه فى الكسب ، فجاء اليهم ولقيه الثلاثة ، وأضافه عبد الغفار فى بيته ومعه زميلاه . وبعد

أن تناولوا طعام العشاء قدم له قهوة فيها كثير من الحشيش . ولما فقد الرجل وعيه ولم تبق فيه قوة على المدافعة — لتخدر أعصابه — نقلوه الى زريبة البهائم ، وجاء عبد الغفار « بقرمة » وهي الخشبة التي يقطع عليها الجزارون اللحم ، ووضع رأسه عليها وفصل عنقه مع الرأس بالساطور . ثم أخرج أمعاءه وفضل أعضائه من المفاصل ، ورمى بعضها في النيل وبعضها دفن دفنا متفرقا .

ولما جاء أهله للبحث عنه قيل لهم « كان هنا وذهب الى سوق كذا ولم يعد » وذهب عبد الغفار معهم للبحث عنه في البلاد — وكان يبكي لبكاء أهله — ولما أعياهم الأمر حصروا شبهتهم في عبد الغفار وزميله ، وبلغوا النقطة ، فاهتمت بالأمر وتولى أحمد بك الخازن دار — وكان وكيل النيابة — التحقيق . ولما بحث لم أجد من أعضاء القتل سوى الرأس ومعه العنق والفخذ اليسرى واحدى القدمين . ولما عثرت على الرأس — كان بعد ثلاثة عشر يوما من وقوع الجريمة — أردت أن أعرضه على المتهم عبد الغفار وسألته أهذا رأس القتل ؟ فعراه انفعال شديد . ووضع يديه على عينيه جزعا وكان يتقهقر مبتعدا عن الرأس مستغيثا قائلا « حوشوها من قدامى مش قادر أشوفها » وجلس على الأرض وأبى أن يتقدم لنظر الرأس بتاتا .

ومع ما تقدم فقد استمر على انكار القتل واعترف زميلاه بكل شيء وألصقا به تهمة مباشرة القتل واعداد كل شيء في بيته . وقدمت القضية الى محكمة جنايات طنطا سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ فحكم على عبد الغفار بالاعدام شنقا ، وعلى زميله بالأشغال الشاقة المؤبدة . هذا ما حضرني الآن وتفضلوا بقبول وافر احترامي .

ولدكم

اليوزباشى : راغب ابراهيم عطية

١٩٢٢/١٢/٢٢

معاون بوليس مركز العياط

ان العلم اليوم قد كشف عن بعض الغرائز النفسية وأدخلها تحت سلطانه وأخضعها لقوانينه . هذه أمريكا قد اخترع علماؤها آلة تسجيل ضربات القلب — كما وكيفا — فهي تسجل عدد الضربات في الثانية الواحدة ، وتبين حالة الضربات ان كانت مرتفعة أو منخفضة . ومن ذلك يمكنهم أن يقرءوا في ضوء هذه الآلة الأحوال النفسية للمتهم في جريمة من الجرائم . وطريقة ذلك أن تناط الآلة بمكان نابض من جسمه كالساعد . ثم يذكر المحقق أسماء الأمكنة والآلات والأدوات — التي يمكن أن تستعمل في الجريمة — والأحوال والأزمان التي يمكن أن تقارنها أو يكون المتهم قد لبسها .

فان المتهم اذا سمع اسم الآلة التي استعملت ، عراه انفعال (١) خاص فنبض نبضه نبضا عاليا

(١) جاء في كتاب « علم النفس » لحضرات الأفاضل الاساتذة . حامد عبد القادر أفندى وعطية الابراشى أفندى ، ومحمد مظهر سعيد أفندى ؛ في الصفحة ٢٦٠ من الجزء الأول منه ما يأتى :

روى أنه عرض — على ابن سينا — أحد الأمراء وقد أعيا الأطباء أمره ؛ فلما رآه وخاطبه في شأن مرضه تبين له أن مرضه هو الحب ، ولم يشأ المريض أن ييوح باسم محبوبته ، ولما علم ابن سينا أن =

متواترا يتغير به نظام النبض ، ثم يعود الى الحالة الطبيعية . فيأخذ المحقق كل كلمة اقترن بها اضطراب النبض ثم يضمها الى قريناتها ، حتى يخرج بتقرير عن الجريمة وآلتها ومكانها وملابساتها من حصولها في ظلمة أو ضوء ، وهل حصلت من المجنى عليه مقاومة أو لا ؟

وهكذا فالله تعالى — مكون الغرائز ومشتبها في الأنفس — شاء أن يدل بنى اسرائيل على طريقة تبين لهم الفاعل اذا تدافعوا في قتل نفس ولم يعلم الفاعل ، فدلهم على هذه الطريقة التي لا تتخلف غالبا ؛ لتحقق بها الدماء وتحيا الأنفس .

وهذا هو المراد بقوله جل ذكره ( كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته ) .

ذلك أن ولي الدم ربما حصر شبهة قتل قريبه في برىء ؛ فاغتاله على حين غرة منه ومن الناس ! ويأتى ولي المقتول الثانى ويحصر شبهته في برىء آخر ؛ فيغتاله بالطريقة التي اغتيل بها قريبه .

فالله سبحانه وتعالى أراد — ببيان هذه الطريقة — أن يعلم الفاعل بلا لبس ، ويقتص منه ، ويحيا من كانوا مظنة للاتهام وهم براء .

وأىضا — من تحدثه نفسه بقتل غيره غيلة — ويظن أنه يفلت من العقاب — اذا علم أنه لا نجاة له لأن هذه الطريقة ستظهره ؛ يكف عن القتل ويحقق دم من هم بقتله ودم نفسه . وفي ذلك حياته وحياة غيره ، على حد قوله تعالى ( ولكم في القصاص حياة ) لأن الحياة التي في القصاص ليست للقتيل ولا للقاتل ! ولكن لمن كانوا على طريق القتل من الأحياء !

بقى أن يقال ان أهل الكتاب ليس عندهم هذا الضرب الذى مشيت عليه في الآية . وجوابى على ذلك : أن الله تعالى شهد عليهم بأنهم نسوا حظا مما ذكروا به . فليكن هذا مما ذكروا به ونسوه .

وليس هذا الشأن بأول شيء نسوه مما ذكروا به ! فكم من حادثة ذكرها القرآن وليس لها ذكر عندهم ؟ فقد سكنت التوراة عن هلاك زوجة نوح وعن مسألة ابنه وهلاكه وذكرهما القرآن .

= شفاء المريض متوقف على معرفة محبوبته وازالة ما عنده من وجدانات وعواطف كامنة مرتبطة بها ، اخذ على عاتقه ان يعرف اسمها بأية وسيلة . فأمر باحضار اكبر سكان المدينة سنا . فلما حضر قال له : اتعرف شوارع هذه المدينة وسكانها ؟ قال : نعم ، فأمره بأن يذكر أسماء الشوارع — شارعا شارعا — وهو قابض على يد المريض ليتحقق من مقدار سرعة نبضه . فلما ذكر الرجل اسم أحد الشوارع أسرع نبض المريض ؛ فأمر الرجل بأن يذكر أسماء الشوارع المتفرعة من هذا الشارع ؛ فلما أتى الى اسم أحدها ازدادت سرعة النبض ثانية . فأمر الرجل أن يقص عليه أسماء البيوت الواقعة في هذا الشارع الصغير ؛ فلاحظ ابن سينا ازدياد نبضه عند ذكر أحد البيوت ؛ فقال له : أخبرنى عن أسماء سكان هذا البيت من الفتيات ؛ فلما أتى اسم المحبوبة أسرع النبض ، فالتفت ابن سينا الى المريض وقال له : اليست هذه محبوبتك ؟ فأجابه : نعم ! وبالبحث علم أنها ابنة عمه ، وأن الشاب كان يحبها حبا جما ، ولم يجرؤ أن يذيع سره خوفا من أهله ؛ ولكنهم لما علموا أن شفاءه في التزوج بها زفوها اليه ؛ فبرىء من مرضه وعاد الى حالته الطبيعية . فسبحان من يعلم السر وأخفى اه .

والذى أريد أن أخرج به من هذا البحث : هو أن القول بأن القصة الأخيرة مرتبطة بما قبلها ليس متعينا ، وأن مسألة ضرب القتل بجزء من البقرة فحى وأخبر بقاتله ، لم يرد به نص قطعى الثبوت والدلالة ، وأن رأى الذى رأته مما تحتمله الآية . والله تعالى هو الموفق للسداد .

بعد كتابة ما تقدم وطبعه ، أطلعت عليه حضرة العلامة البجائة الأستاذ محمد فتحى « رئيس مجلس حسبى مصر » فأظهر لى ارتياحه وأهدى الى رسالتين عنوان كل منهما « علم النفس الشرعى وكشف الجرائم » ثانيتهما تشتمل على ما نشره فى مجلة المحاماة « عددى مايو وكتوبر سنة ١٩٢٧ » وفيها عدة مباحث لكشف الجرائم بالوسائل العلمية . وقد خطر لى أن أنقل لحضرات القراء بعض الكلمات التى جاءت فى بحث طريف من أبحاث الرسالة وهو : —

#### « قياس الانفعالات النفسية عن طريق الجلد »

قال : ان كشف آثار الانفعالات النفسية لا يقف عند حد قياس زمن التفاعلات العقلية بالكرونسكوب ؛ بل هناك من الوسائل العلمية الأخرى ما لا تقل عنه خطورة وأهمية .

ولقد أشرت فى محاضرة ألقيتها فى نادى الحقوق « فى يناير سنة ١٩٢٥ » ومنشورة فى مجلة المحاماة عدد نوفمبر من تلك السنة — تحت عنوان « علم النفس الشرعى » وآثار الانفعالات النفسية فى كشف التأثيرات النفسية ؛ بقياس قوة مقاومة سطح الجلد للتيارات الكهربائية بتمرير تيار كهربائى ضعيف فى الجسم ، ثم رصد آثار الانفعالات التى تنتاب الشخص الذى تحت الاختبار بمقياس دقيق لمقاومة التيار معروف باسم « جلغانومتر » وهو جهاز ذو ابرة مغناطيسية حساسة للتيارات الكهربائية وتسجل ما يطرأ عليها من التغير .

فان هذه الظاهرة الجلدية العجيبة قد درست من الوجهة الطبية وأجريت فيها عدة أبحاث فنية قام بها نخبة من خيرة العلماء أمثال « شارل فيريه C. Féré » و « فيجورور R. Vigourou » و « سترى Sticker » و « تارشنوف Tarchanof » و « زومر Sommer » و « فورنستينو Furnstenau » وغيرهم من رجال العلم وأبطال البحث — فدلّت التجارب المتعددة التى قاموا بها على أن كل خاطر يمر بالبال ، أو كل لفظ يطرّق السمع ولو كان مدلوله تافها وظاهره مجردا عن المغزى ؛ له تأثيره الخاص فى النفس . ويظهر بوضوح فى جهاز الاختبار .

أما أساليب الاختبار فكثيرة متنوعة . ويكفى هنا ذكر الطريقة الأثر شيوعا : وهى أن يؤمر المختبر بأن يستوى على مقعد مريح وثير الفراش — ذى متكأين يركز عليهما منكبيه — ثم ييسط راحته على لوحين نحاسيين ، أو يضع أطراف بعض أصابعه فى اناءين صغيرين — من الصينى — بهما محلول ملح الطعام ، ثم يسلط على اللوحين أو الاناءين تيار كهربائى ضعيف من بطارية « قوتها ١٥ فولتا » بحيث لا يكون التيار محسوسا طول مدة الاختبار .

وتقاس التقلبات التى تطرأ على التيار بجلغانومتر دقيق ذى مرآة عاكسة ، ويوضع على مسافة

متر - تقريبا - تجاه المرأة مصباح قوى يلقي أشعته عليها ، وهذه تعكسها على لوح كبير من السليوليد - مقسم الى سنتيمترات، ومليمترات - بحيث ان كل تغيير فى قوة مقاومة التيار - مهما كان طفيفا - يؤدي الى تحرك الجلفانومتر بالمرأة ، فيظهر أثر هذه الحركة مكبرا فى رحلات الأشعة الساقطة على اللوح المقسم . وبهذا يمكن قياس درجات انحراف الأشعة عن موضعها الأصلي بسهولة .

فكل لفظ يحدث فى النفس انفعالا - مهما كان طفيفا - يؤثر فى قوة مقاومة الجلد للتيار تأثيرا خاصا يبدو على اللوح مكبرا ، وبذلك يتسنى للخير أن يرصد مراتب الانفعالات المختلفة لكل خاطر بدقة ووضوح تام . فيدرس مما تسطره يد العلم على لوح الامتحان نفسية المختبر - درسا غاية فى الدقة - حيث ينطق الجلد قبل اللسان بما يكنه الفؤاد ويضره الجنان . ان هذا الأسلوب العجيب من البحث قد استخدم فى الأبحاث الطبية وتشخيص الانفعالات النفسية فى الحالات المرضية بمهارة واحكام .

ولقد اتجهت أنظار العلماء أخيرا الى تطبيقه فى الأبحاث الجنائية لكشف التأثيرات الخفية الخاصة بالذكريات الاجرامية فوصلوا فى أبحاثهم الى نتائج جديرة بكل اعتبار واهتمام . أقول : ان العلم فى كل زمان يخدم القرآن الكريم ، ويبين البيان الوافى أن الغرائب التى فيه صحيحة مؤيدة بالبراهين الناصعة .

ورد فى القرآن الكريم : أن أهل الذنوب ينطق الله تعالى جلودهم يوم القيامة ، فتشهد عليهم بما اقترفوا من الذنوب فى الحياة الدنيا . وهذا العلم جاء اليوم يؤيد ذلك !

اقرأوا قوله تعالى فى سورة فصلت : وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ [١٩] حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٢٠] وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُنَا لَمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٢١]

لا أريد حمل الآية على أن المراد بها أن الله تعالى ينطق الجلود بتلك الآلة ! ولكنى أقول ان العلماء ينطقون الجلود فى الدنيا بما أوتوا من العلم ، والله ينطقها فى الآخرة بما له من القدرة الغالبة والحكمة العالية .

ويعجبنى قول الأستاذ العلامة محمد فتحى فى آخر رسالته المذكورة : وكلما ازدادت أساليب الاختبار تحسينا واتقانا ، زادت معها نسبة النجاح فى اقتحام ضمير المتهم وكشف بواطن عقله واستخلاص ما يكنه فى سويداء قلبه من الخبايا وانتزاع أعز ما يحرس عليه بين حنايا ضلوعه من الأسرار . اهـ .

فاذا كان ذكر أسماء الأشياء التى لها ذكريات فى الجريمة كافيا لفضح سر المتهم . فمن باب



أولى يكون عرض القتل على القاتل وضربه بجز منه حاملا على اضطرابه وظهور أماره الاجرام عليه ؟

جاء في أهرام يوم السبت ٩ مارس سنة ١٩٣٥ بمناسبة الحكم على هويتان — قاتل : ابن لندبرج — بعد أن تكلم على الآلة الفاضحة لأسرار المجرمين قال :

وفاضحة الأسرار مفيدة ليس في الدلالة على الذنب أو البراءة فحسب ؛ بل في ايضاح بعض أمور مشكوك فيها تتعلق بالجريمة ، ففي قضية هويتان — مثلا — قد تفصح كذبه في انكار رقاع الفدية التي لا تزال هدفا للشك ، وفيما اذا كان هو واحدا من عصاة دبرت طريقة الخطف أو أنه آمنه وحده ، وتساعد أيضا على معرفة صدق بعض المشتبه بهم أو كذبه ، ولا سيما الأنسة « قيولات شارب » خادمة أسرة زوجة لندبورغ التي انتحرت بشرب السم عندما أراد رجال البوليس استجوابها مرة ثانية ، والتي يعتقد كثيرون أن لها اصبعاً في المكيدة .

فآلة البوليجراف مماثلة في فعلها من بعض الوجوه للسائل المعروف — بمصل الصد — الذي اذا أعطى المتهم مقدارا معلوما منه أرغم على ايراد ما في ذاكرته ، وماتت قوة ارادته فعال دون تبرمه أو اختلاق ما لا يكنه صدره فلا يتفوه بغير الحقائق ، وقد جربوا هذا المصل في سارق بعد اتهام آخرين غيره فكانت النتيجة مدهشة اذ اعترف بارتكابه الجريمة وحده وهو الآن يكفر عن جريمته في السجن .

وفي جريمة قتل حدثت في « شكاغو » سألت الحكومة الدكتور « كيلر » عن استخدام البوليجراف لفصل الأبرياء عن المذنبين ففعل وكان نجاح الآلة في كشف مخبآت صدورهم مدهشا اذ اعترف المرتكبون بفعلتهم بعد أن سجلت الآلة كذبهم وبرأت الآخرين ، وهناك عدة جرائم أخرى — أماطت هذه الآلة عنها نقاب الكذب والتمويه — لا يتسع المجال لايرادها بالتفصيل بعد أن عجز رجال الحكومة عن الوقوف على خفاياها .

وجاء في الأهرام الصادر يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « آلة لفصح الكذب : استعمالها لأول مرة في إحدى محاكم أمريكا » ما نصه :

نيويورك في ١٠ مايو — لمراسل الأهرام الخاص — ان الطريقة الآلية التي يعرف بها صادق المتهم أو كذبه ، قد خطت خطوات واسعة الى الأمام ، عندما استعين بها . وقبل القاضي ما رسمته من هذا القليل في دعوى جرت مؤخرا في هذه المدينة ، وذلك للمرة الأولى في التاريخ القضائي ، وكانت المحاكم تأبى استخدام آلة مثلها لذلك القصد ، كان الاعتماد فيها على اعتبار دقات القلب والعمق الذي يتصبب من المتهم بتأثير مجازيها الكهربائية السارية في جسمه .

وهكذا أصبحت آلة فضح الكاذب معتبرة شاهدا صادقا ، كما تعتبر بصمات الأصابع والكتابة وغير ذلك من الأمور التي يلجأ اليها لاثبات ارتكاب المتهم ، ولهذه الآلة مزية أخرى

أيضا ، هي أنها تبرهن على براءة المتهمين ، الذين يكونون ضحية الغرض أو الشهادات الاستدلالية . وقد قبل القاضي شهادة الآلة في محاكمة شاب متهم بأخذ ٣٥ دولارا بالقوة من مخزن بقال ، وكانت للشاب سابقة أخرى سجن بسببها ، فتعرض بذلك للحكم عليه بالحبس من ثلاثين الى ستين سنة .

وتبرأ الشاب من التهمة الأخيرة بقوله انه كان — وقت ارتكاب السرقة — في منزله مع زوجته وأبيه وأمه ، وأقسم صاحب المخزن اليمين على أنه ، أى المتهم ، هو الذى اغتصب المال ، وكان لكل من المدعى والمدعى عليه شهود يؤيدونهما فيما قالا ، وعندئذ عرض المحامون عن المتهم نتيجة آلة فضح الكذب كبرهان على براءة موكلهم . وهذه الآلة هي اختراع الكاهن « والتر سمرس : من جامعة فوردهام » فبعد أن تروى القاضي مليا فيما رسمته الآلة ، أشار على المحكمين بأن يعتبروا ما اختبرته الآلة ، وهكذا برأوا ساحة الشاب وأطلقوا سراحه .

وهذه الآلة تتأثر بفعل مجار كهربائية تخترق جسم المتهم بينما يكون قابضا بكلتا يديه على نصابين متصلين بسلكين كهربائيين بالآلة ويشرع في الاجابة عن أسئلة تلقى عليه ، فترسم أجوبته خطوطا على خريطة بيضاء ملصقة بالآلة ، فإذا كانت أجوبته كاذبة كانت الخطوط معوجة ، وإذا كان صادقا جاءت الخطوط مستقيمة ، وقال الأب سمرس مخترعها للمحكمة : انه ألقى على المتهم ١٩ سؤالا منها ١٦ سؤالا لا علاقة لها بالتهمة مطلقا والثلاثة الباقية تتعلق بالسرقة رأسا ، وأعادها عليه ثلاث مرات ، فجواب المتهم عنها واستواء الخطوط على خريطة الآلة كانت البراهين على براءته .

وسأل المدعى العام الكاهن مخترع الآلة قائلا : أليس من الممكن أن يسيطر المتهم على انفعالاته بصورة تقصد عمل الآلة ؟ فقال الكاهن : كلا ؛ لأنه ان تمكن المتهم من ذلك فانه لا يؤثر في الآلة أقل تأثير ، وزاد الكاهن على هذا أن خريطة الآلة منقسمة الى ثلاثة أقسام : فقسم منها يسجل الذنب ، والقسم الثانى يسجل ما يدل على أن للمتهم علما بالجريمة ، والقسم الثالث يسجل البراءة .

فإذا كان المتهم بريئا كانت الخطوط التى ترسمها الآلة على الخريطة مستقيمة وإذا كانت للمتهم معرفة بالجريمة كانت الخطوط شبيهة بالهضاب والأودية ، وإذا كان مذنبا يزداد ارتفاع الهضاب الى أعلى حد ، فإذا أجازت المحاكم العليا الاعتماد على هذه الآلة أصبحت معرفة المذنب والبريء من أسهل الأمور وتخلصت المحاكم من عناء كثير وثققات طائلة في اثبات الذنب على المجرم ونجا البريء الذى توافرت عليه الشبهات والأدلة من عقاب جريمة لم يرتكبها .

ونشرت الأهرام بعددها الصادر فى ٨ يونية سنة ١٩٣٨ مقالا علق فيه لفيف من الكتاب على الرسالة الواردة من نيويورك بخصوص آلة فضح الكذب ونصه :

نشرت « الأهرام » منذ أيام لمراسلها الخاص في نيويورك ، رسالة عن آلة فضح الكذب التي اخترعها الكاهن الأمريكي « والترسمرس » وطبقها القضاء الأمريكي في إحدى الدعاوى ؛ إذ اتخذ منها شاهدا صادقا لاثبات الذنب على المجرم أو لتسجيل براءته .

وعلق الأستاذ عبد العليم رزق الدهشان المحامي على ذلك فقال : ان محققا مصرياً لا يذكر اسمه — قد سبق الكاهن الأمريكي بالفكرة منذ عشرين سنة إذ اتخذ من نبض القلب في سرعته وبطئه مقياسا لتعرف أسباب الجريمة .

ولقد أثار هذا الموضوع اهتمام بعض القراء .

### الرئيس ابن سينا أسبق الجميع

فقد تلقينا تعليقا بهذا العنوان من حضرة « ابراهيم عابدين : خريج دار العلوم » استهله بقوله : انه وان كان يوافق على أن مصر سبقت أمريكا في فكرة الآلة الا أنه يرى أن الرئيس ابن سينا كان أسبق الجميع بها . ثم روى عنه القصة التالية :

« أقبل على الرئيس ابن سينا — ذات يوم — أهل مريض أسقمه الحب وحل به ما حل بأبى نواس حيث قال :

حامل الهوى تعب	يستخفه الطرب
ان بكى يحق له	ليس ما به لعب
تضحكين لاهية	والمحب ينتحب
تعجبين من سقى	صحتى هى المعجب

وزعم أهل المريض لابن سينا أن مرضه كسائر الأمراض وأنهم يأملون أن يبرئه من سقمه ويذهب عنه ألمه .

ولكن الرئيس ابن سينا لم يكدر يراه ، حتى قرأ في عينيه آيات الحب ولمح في وجهه شاهدا من الخبر ، فأخذ يجس نبضه ثم أحضر رجلا يعرف قرية المريض — شوارعا وبيوتا وأهلا — ثم طلب إليه الرئيس أن يعد أسماء شوارع القرية ففعل ، وكان كلما اقترب من شارع حبيته ازداد نبضه . حتى اذا ما انتهى الى الشارع كان أكثر نبضا ، فطلب الرئيس الى ذلك الرجل عد ما في الشارع من بيوت فذكر بيوته ، حتى اذا ما انتهى الى بيت حبيته كان أكثر نبضا ، فطلب إليه ذكر أسماء من في البيت حتى اذا ما ذكر اسمها كان النبض قد بلغ أشده فسأله الرئيس عما يربطه بها ، فعلم أنها ابنة عمه فنصح الى أهل المريض بتزويجه منها .

ثم روى بعد ذلك القصة الطريفة التالية أنها وقعت في الريف منذ ٣٠ سنة . كان عمادها جس النبض للوقوف على الحقيقة وهي :

« كثيرا ما يرحل بعض الأعراب الى الريف أيام الحصاد فيتخذون الأجران مقاما يضربون

فيها خيامهم ، وقد حدث مرة أن خرج رجل منهم ليلا لبعض شأنه فاتهز أحد أفراد القرية فرصة غيابه ، فدخل على امرأته في خبائها ورغب في مداعبتها — على كره منها — واتفق أن جاء في هذا الوقت ، فلما أحس الفلاح وقع قدميه ولنى مدبرا ، وتوسط جماعة الفلاحين الذى كانوا نائمين فى الجرن كعادتهم صيفا ، فلما علم الأعرابى من زوجته بأمر ذلك القروى أسرع الى جماعة الفلاحين وهم رقاد ، ثم أخذ يجس نبضهم واحدا واحدا ، فعرف أن شخصا منهم كان أسرعهم نبضا ، فترك عليه قلنسوة ليميزه بها من غيره ، ثم رجع الى خبائه ليحضر عصا ولكن القروى كان أحذق منه فما أن غادره حتى وضع القلنسوة على رأس شخص آخر برىء ، فلما حضر الأعرابى بعصاه أوسع ذلك البرىء ضربا من غير ما ذنب جنى ؛ وهكذا تكون مجاورة رجال السوء .

ان هذا الأعرابى وان أفلح فى فراسته لم يأخذ حيطته . ولعل جس النبض للوقوف على الجريمة فكرة عند العرب من قديم حتى فعلها ذلك الأعرابى الساذج .

ثم ختم تعليقه بقوله : ان الرئيس ابن سينا يعد بحق أول الجميع فى السبق بالانتفاع بالفكرة . وأشار الأستاذ « محمد طاهر الخشاب : المحامى » فى مستهل مقال له حول الموضوع الى تعليق الأستاذ الدهشان وما قاله من أن محققا مصريا — لا يذكر اسمه — قد سبق الأمريكى بعشرين سنة فى الأخذ بفكرة النبض كمقياس للكشف عن الجريمة ثم قال :

« وائنى بصفتى أحد تلاميذ هذا الأستاذ المحقق ، وهو قاض كبير الآن ، أود — انصافا له ولجهوده — أن أذكر أنه هو الأستاذ « محمد فتحى بك رئيس محكمة المنيا الابتدائية وأستاذ علم النفس الجنائى بمعهد الدراسات الجنائية فى كلية الحقوق » وكان الأستاذ قد شغف بدراسة هذا العلم منذ بعيد . فقرأ كثيرا من الكتب والمؤلفات حتى أصبح حجة فيه .

ثم انتقل الى الكلام عن الحادثة التى رواها الأستاذ الدهشان فقال : انها حادثة قتل لا سرقة ، وقد وقعت فى مركز السنبلولين سنة ١٩١٤ حين كان الأستاذ وكيل النيابة المركز . كما يتبين ذلك من مراجعة العدد السابع من مجلة القانون والاقتصاد فى سنتها السابعة ، ومن المذكرات التى كتبها الأستاذ فى ذلك الصدد .

الى أن قال : ولقد ذكر الأستاذ فى مذكراته هذه أنه لم يعتمد فقط على تجربة جس النبض بل وعلى تجارب أخرى معروفة لدى المشتغلين بعلم النفس الجنائى ، منها تجربة كرة العيين وهى احدى التجارب التى قام بها الأستاذ « هوجو منستربرج » فى الولايات المتحدة . ومما يذكر بالفخر لأستاذنا الكبير أنه لم يشأ أن يترك هذه الحادثة تمر دون أن يكون لها أثر رسمى ثابت ، فسجلها فى محضره الذى أخذت به محكمة الجنائيات فيما بعد واعتمدت عليه فى أدانة المتهم .

واذا كنا نذكر أستاذنا فتحى بك بالاجلال والتقدير اللائقين به وبجهوده الموفقة ؛ الا أنه

م - ٨١ قصص الأنبياء

يجب علينا انصافا للعلم ولرجالہ أن نذكر أن هذه التجربة التي استعان بها فتحي بك في تحقيقاته كان قد سبقه إليها عالم أمريكي هو الأستاذ « هوجو منستر برج » ، أستاذ علم النفس الجنائي بجامعة هارفارد » في الولايات المتحدة . ولقد ذكر أستاذنا ذلك صراحة في مقالته المنشورة بمجلة القانون والاقتصاد اذ قال ما نصه :

« ... وبينما أنا مسترسل في أفكاري وحيرتي ، اذ تذكرت في الحال بعض تجارب العلامة « منستر برج » بشأن ضربات القلب ، وتأثير الانفعالات النفسية فيها فوضعت يدي في يد المتهم .. الخ » .

ولقد أثبت القضاء المصري جدارة تستحق الاعجاب حين أخذ بهذه الفكرة واعتمد في حكمه على نتيجة هذه التجربة في وقت كان يعتبر فيه علم النفس ضربا من ضروب الشعوذة والخيال .

ثم أشار بعد ذلك الى الرئيس ابن سينا وحادثته المشهورة ، التي عالج بها مريضا وعرف داءه عن طريق جس نبضه ، وقال : انه وان كان الأستاذ « هوجو منستر برج » هو صاحب صياغة الفكرة في قالب عملي بواسطة آلة ميكانيكية ؛ الا أن صاحب الفضل الحقيقي في الفكرة هو هذا العلامة الاسلامي المشهور : ابن سينا .

ثم ختم تعليقه بقوله : ولقد ذكر الزميل الأستاذ الدهشان شيئا عن واقعة سرقة - الحمار - ولم يذكر اسم عضو الهيئة الذي ذكر الأستاذ فتحي بك صاحب الفكرة بتجربة جس النبض ، وأستطيع أن أقول ان عضو الهيئة المقصود هو الأستاذ « محمد البابلي بك : مدير الجيزة والأستاذ بمعهد العلوم الجنائية » .

ونشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر في ١٣ يونيه سنة ١٩٣٨ مقالا للأستاذ محمد فتحي بك في هذا الموضوع ونصه :

قرأت في جريدة « الأهرام » من بضعة أيام - ذلك النبأ الذي بعث به مراسل الأهرام في نيويورك بشأن اختراع كاهن أمريكي يدعى « والتر سمرس : من جامعة فورد هام » لجهاز كهربائي يفضح كذب المتهم . وذلك بتمرير تيار كهربائي يخترق جسم المتهم ، بينما يكون قابضا بكلتا يديه على نصابين بسلكين متفرعين من الجهاز . ثم يشرع في توجيه بعض الأسئلة الى المتهم ، فترسم أجوبته خطوطا وموجات على خريطة بيضاء - متصلة بالآلة - يستدل من شكلها وأبعادها على ما اذا كان المتهم صادقا أو كاذبا . كما اطلعت على ما كتبه الأستاذ « عبد العليم رزق الدهشان » بأهرام ه الجارى - تعليقا على النبأ المتقدم ، وعلى حكاية المحقق الذي كشف جريمة خطف بندقية خفي عن طريق جس نبض المتهم ، بينما كان المحقق يجاذبه أطراف الحديث ويجوب به الأمكنة التي يغلب أنه أخفى البندقية فيها ، وكيف وفق في النهاية الى كشف مكان البندقية ؟ - واني أشكر الأستاذ الدهشان على حسن ظنه بذلك المحقق المجهول الذي يقول عنه انه

استعمل فكرة الكاهن « والتر سمرس » من عشرين سنة خلت ، كما أستسمحه في تصحيح ما ورد في روايته من تحريف غير مقصود للوقائع باعتبار اننى ذلك المحقق المصرى الذى أشار اليه في مقاله ، ملتصقا له العذر خصوصا وأنه ناقل عن سواه .

وانى ما كنت أريد أن أتصدى للمناقشة في موضوع فنى دقيق كهذا على صفحات الجرائد اليومية ، لأن مجال هذه الأبحاث هى المجالات العلمية المخصصة لذلك — طيبة كانت أو قضاية — غير أن واجب الأمانة للعلم يدفعنى الى تصحيح وقائع رواية محرفة اسندت الى ، كما يدفعنى الى ابداء ملاحظاتى من الناحية العلمية الذى بعث به مراسل « الأهرام » والذى كان موضوع تعليق الأستاذ الدهشان . وانى أبدأ بملاحظاتى على النبأ فى ذاته أولا ، ثم انتقل بعد ذلك الى التعليق على تعليق حضرة الزميل المحترم .

فالجهاز الكهربائى الذى أسند اختراعه الى الكاهن الأمريكى « والتر سمرس » يلوح لى من وصفه المجلد أن المقصود به هو الجهاز المعروف باسم « Psycho Galvanometer » المخصص لرصد الظاهرة المعروفة باسم « Psycho-galvanic Reflex » أو بعبارة أخرى هو جهاز معد لقياس مبلغ التأثيرات النفسية عن طريق الجلد بواسطة تمرير تيار كهربائى بالجسم ، ورصد آثار الاتصالات التى يحدثها توجيه بعض الأسئلة المحرجة أو الأجوبة عليها بجلفانومتر حساس يوضع فى طريق التيار . فان كان الأمر كذلك فهو جهاز قديم مضى على اختراعه عشرات السنين ويسنده البعض الى العلامة « فيريه » والبعض الآخر الى العلامة « تارشانوف » حتى لقد أطلق أحيانا اسم كل منهما على هذه الظاهرة ، فيقال عنها « ظاهرة فيريه » وأحيانا « ظاهرة تارشانوف » وقد تلقى العلامة « هويتلى سمث » طريقة استخدام هذا الجهاز عن الدكتور « بريدو » كما أشار الى ذلك فى مقدمة مؤلفه المعروف باسم قياس الاتصالات النفسية . وتحت يدي نسخة منه طبعة سنة ١٩٢٢ وقد استخدمه فى قياس الاتصالات استخداما صالحا موقفا ، وانى لا أستبعد أن يكون هذا الجهاز عن الدكتور « بريدو » كما أشار « والتر سمرس » انما هو تحريف لاسم « ويتلى سمث » صاحب المؤلف المذكور لما بين الاسمين من تشابه كبير مع اتحاد فى أسلوب البحث .

وانى قد أشرت الى هذا الجهاز وما يرجى له من الأثر فى كشف الجرائم فى محاضرة ألقيتها فى نادى الحقوق سنة ١٩٢٥ ، ونشرت مجلة المحاماة نصها فى العام التالى على ما أذكر ، وقد آتيت على وصف مجمل لهذا الجهاز فى مقال نشر بمجلة القانون والاقتصاد — التى يصدرها أساتذة الحقوق فى العدد الخامس من السنة السابعة — ولست أرى بأسا من أن أورد هنا نص ما نشر خاصا بوصف الآلة تحت عنوان « قياس الاتصالات النفسية عن طريق الجلد » ص ٨٧٧ زيادة فى الايضاح وتعميما للفائدة العلمية :

« ان كشف آثار الاتصالات النفسية لا يقف عند حد قياس زمن التفاعلات العقلية

بالكروونسكوب ، بل هناك من الوسائل العلمية الأخرى ما لا يقل عنه خطورة وأهمية ، ولقد أشرت في محاضرة ألقيتها في نادى الحقوق — في يناير سنة ١٩٢٥ — الى امكان كشف التأثيرات النفسية بقياس قوة مقاومة سطح الجلد للتيارات الكهربائية بتمرير تيار كهربائى ضعيف فى الجسم ، ثم رصد آثار الانفعالات التى تنتاب الشخص الذى تحت الاختبار بمقياس دقيق لمقاومة التيار معروف باسم «جلفانومتر» وهو جهاز ذو ابرة مغناطيسية حساسة للتيارات الكهربائية وتسجل ما يطرأ عليها من التغير فان هذه الظاهرة الجلدية العجيبة قد درست من الوجهة الطبية وأجريت فيها عدة أبحاث فنية قام بها نخبة من خيرة العلماء أمثال : شارل فيريه ، وفيجورو ، وشكر ، وتارشنوف ، وزومر ، وفورنستو ، وغيرهم من رجال العلم وأبطال البحث ، فدلّت التجارب المتعددة التى قاموا بها على أن كل خاطر يمر بالبال ، أو كل لفظ يترك السمع — مهما يكن مدلوله تافها وظاهره مجردا عن المغزى — له تأثيره الخاص فى النفس ويظهر بوضوح فى جهاز الاختبار .

« أما أساليب الاختبار فكثيرة متنوعة . ويكفى هنا ذكر الطريقة الأكثر شيوعا : وهى أن يؤمر المختبر بأن يستوى على مقعد مريح ويثر الفراش ذى متكأين — يركز عليهما منكبىه — ثم ييسط راحتيه على لوحين نحاسيين أو يضع أطراف بعض أصابعه فى اثنتين صغيرين من الصينى بهما محلول ملح الطعام ، ثم يسלט على اللوحين أو الاناءين تيار كهربائى ضعيف من بطارية قوتها نحو « ١٥ فولتا » بحيث لا يكون التيار محسوسا طول مدة الاختبار ، وتقاس التقلبات التى تطرأ على التيار « بجلفانومتر » دقيق ذى مرآة عاكسة ، ويوضع على مسافة متر — تقريبا — تجاه المرآة مصباح قوى يلقي أشعته عليها . وهذه تعكسها على لوح كبير من السليوليد يقسم الى سنتيمترات ومليمترات بحيث أن كل تغير فى قوة مقاومة التيار — مهما يكن طفيفا — يؤدى الى تحرك الجلفانومتر بالمرآة ، فيظهر أثر هذه الحركة مكبرا فى رحلات الأشعة الساقطة على اللوح المقسم ، وبهذا يمكن قياس درجة انحراف الأشعة عن موضعها الأصيل بسهولة ، فكل لفظ يحدث فى النفس انفعالا — مهما يكن طفيفا — يؤثر فى قوة مقاومة الجلد للتيار تأثيرا خاصا يبدو على اللوح مكبرا ، وبذلك يتسنى للخير أن يرصد مراتب الانفعالات المختلفة لكل خاطر بدقة ووضوح تامين ، فندرس مما تسطره يد العلم على لوح الامتحان نفسية المختبر درسا غاية فى الدقة والاتقان ، حيث ينطق الجلد قبل اللسان بما يكنه القواد ويضمره الجنان .

ان هذا الأسلوب العجيب من البحث قد استخدم فى الأبحاث الطبية وتشخيص الانفعالات النفسية فى الحالات المرضية بمهارة واحكام . ولقد اتجهت أنظار العلماء أخيرا الى تطبيقه فى الأبحاث الجنائية لكشف التأثيرات الخفية الخاصة بالذكريات الاجرامية ، فوصلوا فى أبحاثهم الى نتائج جديرة بكل اعتبار واهتمام وقد نشرت احدى المجلات العلمية المعروفة باسم « Popular Science » بعض هذه الأبحاث بقلم « E. E. Free » بعدد ديسمبر سنة ١٩٢٦ ص ١٤ .

ولست أرى من الوجهة العلمية مانعا يمنع من أن يسير مثل هذا الأسلوب الجديد من البحث بجانب الاختبار « بالتداعي اللفظي » في كشف الجرائم ، حيث ينضم الجلفانومتر الى الكرونسكوب في العمل انضمام تكاتف وتعاون في دراسة الخواطر المختلفة مع ما يتبعها من الانفعالات ، وما على الباحث الا أن يدون في مذكراته ما يسجله « الجلفانومتر » من جانب وما يسجله « الكرونسكوب » من الجانب الآخر . وبذلك يتوافر لدى الباحث ضمانان علميان بدلا من ضمان واحد ، كما يمكنه بهذه الوسيلة المزدوجة الرشيدة أن يرقب البواعث المختلفة التي أثرت في سرعة التفاعلات العقلية « Reaction time » وما اذا كان مصدرها التأثيرات النفسية والانفعالات ، أم مصدرها مجرد التأملات الباطنية والمحاولات .

فمن الاطلاع على النبذة المتقدمة مما سبق نشره يتبين أن الفكرة لم تكن جديدة في بابها ، ولا هي وليدة عام أو عامين انما الطريف فيها أن أخذت بها بعض المحاكم الأمريكية — لأول مرة — لا على سبيل الاستدلال فحسب ، ولكن كدليل مباشر على براءة المتهم ان صح النبا الذي وافانا به مراسل « الأهرام » بنيويورك وهو ضرب جديد من ضروب التدليل العلمي في ساحة القضاء .

وليس « السيكوجلفانومتر » هو الجهاز الوحيد لقياس الانفعالات النفسية ورصد آثارها ، بل هناك غيره من الأجهزة التي ترمى الى نفس الغاية . وان اختلفت عنه من حيث الوسيلة أو الأسلوب .

( فمنها ) ما أعد لرصد حركة القلب ونبضاته وما يطرأ عليها من التغير — سواء من حيث السرعة والبطء أو القوة والضعف — يتأثير الانفعالات . وقد أطلق عليه اسم سفجموجراف « Sphegmograph » ( ومنها ) جهاز وضع لرصد حركات التنفس كذلك وأطلق عليه اسم : نوموجراف « Pneumograph » وقد ظهر بالتجربة أن لكل نوع من أنواع الانفعالات تأثيرا خاصا في حركتي التنفس وضربات القلب .

ففي حالة السرور يسرع التنفس ويصير خفيفا — أي قريب الشبه بحالة الضحك — وفي حالة الحزن يبطئ التنفس ويصير عميقا — كأنه تنهدات مخففة — وفي حالة الغضب يسرع التنفس ويصير قويا . وفي حالة الهبوط يبطئ التنفس ويصير خفيفا . كما وجد أن النبض عند السرور يكون بطيئا وقويا ، وفي الحزن يكون سريعا وضعيفا — أي النبض في هاتين الحالتين يكون على عكس ما في التنفس — وفي الغضب يكون سريعا قويا . وفي الهبوط بطيئا ضعيفا — كما هي الحال في التنفس .

وهناك جهاز يسمى بالبليتز موجراف « Plethysmograph » لقياس مقدار توارد الدم في عضو من الأعضاء وقد وجد بالتجربة أن لكل انفعال تأثيرا خاصا في كمية الدم التي تتوارد على ذلك العضو الموضوع تحت التجربة ، كذلك تظهر آثار الانفعالات النفسية في حركة الساق



الناشئة من الدق على وتر الركبة بتأثير الفعل المنعكس ، بمعنى أن الزاوية التى تتكون من هذه الحركات وجدت تختلف درجتها باختلاف الحالات النفسية المتنوعة . وقد استخدم لذلك جهاز خاص ذو مطرقة صغيرة تدق على ذلك الوتر دقات متساوية فى فترات منتظمة ، ثم رصدت الحالات النفسية المختلفة حال اجراء هذه العملية .

وهناك جهاز آخر لتسجيل حركة الذراع أو المعصم حين بسطه عليه فتعين اتجاه اليد اتجاهها — لا شعوريا — نحو شيء معين يكون له أهمية خاصة من نفس الشخص الموضوع تحت الاختبار ، فيوضع ضمن مجموعة من أشياء أخرى تصف على المائدة فى شبه دائرة حول الجهاز فتشاهد أن اليد تحرك الجهاز عن غير قصد فى اتجاه الشيء الخاص . وقد أطلق عليه اسم « Automatograph » أى مسجل الحركة الذاتية فلو كان شخص متهما فى جريمة قتل وجيء بالسلاح الذى ارتكب به القتل ، وكان هذا الشخص ينكر الجريمة وملكية السلاح ، ووضع السلاح ضمن قطع أخرى — من أسلحة مختلفة — حول الجهاز لشوهد أن يد المتهم تحركه فى اتجاه السلاح المقصود بالذات ان كان سلاحه ، وإذا نقل من مكانه الى مكان آخر تحركت اليد فى اتجاه ذلك المكان الجديد .

وهناك غير ذلك من التجارب والأجهزة التى يمكن استخدامها فى كشف آثار الانفعالات ، وبالتالي فى فضح نفسية المتهم لا يتسع المجال لذكرها ، انما الذى يجب لفت النظر اليه ، أن هذه الاختبارات لم تصل بنا بعد الى الدرجة التى يمكننا معها استخدامه كغاية فى ذاتها لاقامة الدليل على متهم نيس عليه دليل سواها ، ولكن ذلك لا يمنع من استخدامها فى الوقت الحالى كمجرد وسيلة للوصول الى الأدلة المعتبرة أمام القضاء ، والتى تثبت الجرم على المتهم بالبرهان المقبول قانونا . فهناك فرق عظيم بين اعتبار هذه الأبحاث كواسطة للوصول الى غاية معينة وبين اعتبارها غاية فى ذاتها ، ولكى أقيم الدليل العملى على فائدة مثل هذه الاختبارات للمحقق فى كشف معميات الجريمة ضربت المثل للطلبة فى مذكرات التدريس بحكاية البندقية التى أشار اليها الأستاذ الدهشان فى مقاله ، وانى أنتهر الفرصة لذكرها الآن مصححة نقلا عن مذكراتى الخاصة متوخيا الإيجاز بقدر المستطاع .

فى عام ١٩١٤ وقع حادث شروع فى قتل باحدى القرى التابعة لمركز السنبلاوين ، وملخصه : أن شخصا من الأهالى أطلق عليه عيار نارى من يد مجهول — حال خروجه من القرية قاصدا غيطه — وكان الوقت قبيل العشاء ، وقد أطلق العيار من مزرعة على جانب الطريق فأصيب المجنى عليه فى ساعده الأيسر . ولما كنت وكيل النيابة ذلك المركز وقتئذ فقد قمت بالتحقيق ، وفى خلاله حامت الشبهة حول شخص كان خطيبا لزوجته المجنى عليه ، ولكن والدها أبى أن يزوجه منه لسوء سلوكه وزوجها من المجنى عليه ، ولما كان المتهم خفيرا خاصا لزراعة بعض الأعيان ومرخصا له بحمل السلاح فقد سئل بطبيعة الحال عن سلاحه ، فادعى فقده من عشرين يوما ،

غير أن بعض الشهود شهدوا بأنهم رأوه يحمله قبل الحادثة بيوم واحد ، كما شهد اثنان من أهالى القرية بأنهما رأيا المتهم — عقب سماعهما العيار — يسير على شاطئ التربة متجها نحو المزرعة التى وجد فيها . وكان مجدا فى السير قليلا ويده عصا ، ولكن نتيجة التحقيق لم تتقدم بعد ذلك خطوة واحدة ، فى حين أن ما وصلت اليه من الأدلة لم يكن سوى شبهات لا تكفى لادانة المتهم قانونا ، غير أنها كوت عندى شبهة عقيدة بأنه هو الفاعل ، ولذلك حصرت اهتمامى فى البحث عن السلاح ، لأنه كان الطريق الوحيد المفتوح أمامى للبحث ، ولما لم يكن لدى المتهم من الوقت ما يكفى للعودة الى القرية بعد الحادثة ، فالسلاح لا بد وأن يكون خارجا فأرجأت التفتيش الى الصباح ، لأن البحث عن السلاح فى وسط المزارع والغيطان ليلا ضرب من العبث ، فأمرت بوضع الحرس الكافى حول تلك المزارع ، لكى لا يقربها أحد ، ولما طلع النهار خرجت لأجراء البحث والتفتيش وبصحبتى المتهم — كعادتى عند كل تفتيش — لعلى أستفيد مما قد يبدو عليه من التأثيرات النفسية حال اجراء البحث . ولكنى بمجرد أن خرجت من القرية وقفت برهة حائرا لأنى وجدت أمامى ميدانا للتفتيش متسع الأرجاء مترامى الأطراف ، وأنى لى أن أهتدى الى المكان الذى خبأ المتهم سلاحه فيه ؟ وأن التفتيش فى الخلاء يتطلب عناء شديدا ومجهودا عظيما قد يستغرق كل نهارى ولا أصل الى نتيجة ما ، وبينما أنا مسترسل فى أفكارى وحيرتى ، اذ تذكرت فى الحال بعض تجارب العلامة « منستربرج » بشأن ضربات القلب ، وتأثير الانفعالات النفسية فيها ، فوضعت يدى فى يد المتهم ، وبينما كنت ممسكا بمعصمه وضعت أصبعى — خلسة — على الشريان الكعبرى « وهو الذى يجس منه الأطباء النبض عادة » وبعد أن تملك موضع النبض منه جيدا — وأصبحت دقات قلبه تحت اشرافى ومراقبتى — ألقى عليه عدة أسئلة متتابعة بشأن محل اخفاء السلاح ، وعددت الأمكنة التى يحتمل أن يكون قد أخفاه فيها ، فذكرت له بعض المزارع ، ثم ساقيته الخاصة ، ثم التربة فالقناة فالمصرف وهكذا . فلاحظت أن النبض عند ذكر المصرف كان يشتد ويسرع كثيرا ، واذا ما حولت الكلام عنه الى أماكن أخرى كان النبض يهدأ ويكاد يكون طبيعيا ، وهكذا كلما ذكرت المصرف يعود النبض فيقوى ويسرع . وكان أثر الانفعال محسوسا لدرجة أثارت دهشتى ، وكانت دقات قلبه قوية واضحة حتى خيل الى أنى أسمعها من صدره ، فترجج لدى أن المتهم ألقى سلاحه فى ذلك المصرف ، فطلبت الى مأمور المركز أن يكلف بعض الخفراء بالبحث عن البندقية فى قاع المصرف ، ولكن المتهم عندما رأى الرجال المكلفين بهذا البحث متجهين نحو المصرف بدت على وجهه دلائل الارتباك والحيرة وشحب لونه وجف لعابه ، ولكى يدارى اضطرابه وقتئذ ويظهر عدم اكترائه بما يجرى حوله أخذ يولى وجهه شطر موضع آخر ، ويحوله عن مكان البحث من المصرف ، ولكنه بالرغم من كونه أدار وجهه فان كرتى عينيه كانتا لا تزالان فى اتجاه نفس ذلك المكان ، فازداد اعتقاده بوجود السلاح فيه وقوى أملى فى الحصول عليه ، وبالفعل لم تبض بضعة دقائق فى البحث حتى انتشلت البندقية من قاع المصرف وتبين أنها مطلوقة حديثا . فلم أشأ أن أترك

هذه التجربة — على تفاقتها — تمر دون أن يكون لها أثر رسمى ثابت ، فسجلتها في محضرى الذى أخذت به محكمة الجنايات فيما بعد واعتمدت عليه في ادانة المتهم » .

فما تقدم : نرى كيف كان البحث عن سلاح المتهم في ميدان مخيلته أسهل منالا وأقل عناء من البحث عنه في ميدان الطبيعة الفسيح المتعدد الأمكنة المتشعب الأرجاء ، فالتجارب النفسية قد تؤدي — على تفاقتها وسهولة تناولها في بعض الأحيان — أجل الخدم للمحقق وأعظمها فائدة اذا عرف كيف يستخدمها وينتفع بها .

انما الذى أريد أن أوجه النظر اليه أن الاستدلال على مكان اخفاء السلاح عن طريق جس النبض انما يختلف في أسلوبه عن طريقة الاختبار بالجهاز الكهربائى — الآنف الذكر — وانى لم أسبق العلامة « ويتلى سميث » في بحثه كما أسند الى ذلك الأستاذ « الدهشان » خطأ في مقاله . وان كان ما أسنده الى يعد أكرم تحية لمحقق مصرى . ولكن الحقائق العلمية لا تقبل مجاملة ولا تسمح للمرء أن ينتحل لنفسه فضلا لا يستحقه . فطريقة الاستدلال على مخبأ السلاح عن طريق مراقبة نبض المتهم عند تعداد الأمكنة المحتمل اخفاء السلاح فيها ، ما هى الا طريقة اجتهدانية قد تنجح في بعض الأحيان ، ولكنها قد تفشل في أحيان كثيرة حيث يكون أثر الاضطراب طفيفا فلا يتسنى ادراكه بجس النبض أو يكون اضطراب النبض مستمرا بسبب الحالة النفسية التى يكون عليها المتهم — سواء كان مرتكبا أو بريئا — فهى طريقة لا تستند في رصد آثار الافعال الى جهاز دقيق الحساسية كجهاز « فريه » الكهربائى ولكنها لا تخلو مع ذلك من الفائدة ، وقد علمت فيما بعد أن الامام ابن سينا قد لجأ الى استخدام النبض في دراسة الحالة النفسية لشاب هام بحب فتاة ثم كظم حبه في أعماق نفسه فبدت عليه أعراض مرضية أعيت نطس الأطباء ، غير أن ابن سينا قد وفق الى كشف علة دائه الدفين عن طريق رصد آثار الافاعلات البادية على حركة النبض ، عند ذكر اسم بلد الفتاة دون غيره من البلاد ، ثم القسم ثم الشارع ثم المنزل ثم اسم الفتاة التى كان يحبها من بين سكان هذا المنزل .

واستخدام آثار الافاعلات في الحياة العملية ليس أمرا غريبا على الانسان في نوعه ، بل يرجع الى أزمنة قديمة ربما امتدت الى أقدم العصور ، فمن الأمور الشائعة المألوفة أن افعال الخوف يجفف اللعاب ، لأنه يشل نشاط الغدد المخصصة لافرازه ، ويعطل وظيفتها ، وكانت هذه الظاهرة معروفة للانسان منذ فجر المدنية فكانت بعض القبائل تهاجم الشخص اذا لاحظت أنه لا يبصق حال مروره بها ، متخذة ذلك دليلا على الخوف والجبن ، أما اذا بصق فلا تتعرض له بسوء لاعتقادها بجراته وشجاعته . وربما كانت عادة البصق بقصد الاحتقار التى لا تزال شائعة الى وقتنا هذا بين العامة وليدة تلك العادة القديمة الموروثة عن الانسان الأول . كما أنه من الأمور المألوفة في كشف الجرائم لدى بعض القبائل العربية — والتى لا تزال على الفطرة الى وقتنا هذا أن تحمى قطعة حديد الى درجة الحرارة الحمراء ، ويطلب من كل من وقعت عليهم

شبهة الجرم أن يلعبها بلسانه فمن كان بريئا نجسا لسانه من الحرق ، ومن كان مدانا حرق لسانه « وتسمى بالبشعة » وفي اعتقادي أنها لا تزال شائعة بين عرب سينا ، أما تعليلها فراجع الى كون البريء يستطيع أن يجمع كمية من اللعاب فوق سطح لسانه يستطيع أن يتقى بها حرارة الحديد عند الملامسة بسبب تحويل اللعاب الى بخار ، بعكس المذنب فإن لسانه يكون جافا فتشويه النار ، و « لقمة الزقوم » المعروفة لدى العامة لكشف البريء من المجرم بسرعة البلع وبطئه لتستند الى نفس هذه الظاهرة .

غير أن مثل هذه الأمور لا تخرج عن كونها مجرد محاولات اجتهدانية قابلة للخطأ ، ولا يصح الاعتماد عليها في البحث العلمي ، ولا تبلغ مرتبة التجارب الفنية التي هذبها يد العلم ، ولا دقة الاستدلال التي يمكن أن نصل بها عن طريق الأجهزة التي سبقت الإشارة إليها ، وعسى أن يفتن القضاة في المستقبل القريب الى ما تقتضيه العدالة من وجوب اظهار الصدق من الكذب بوسائل علمية وتجارب فنية صحيحة على يد خبرا مدربين محنكين ، وربما لا تكون حاجة رجل القانون الى الخير النفساني أقل منها الى الخير في الطب أو الكيمياء ، ان لم تكن حاجته اليه أمس وألزم ، لأن أبحاثه تدور حول أمور كلها في صميم مهمة رجل القانون ، وهي قائمة على فحص عقليات ، ودراسة نفسيات .

محمد فتحي

## قصة قارون وموقف موسى بازائه

### إيذاء إسرائيل لموسى — إظهار الله تعالى براءته<sup>(١)</sup>

أما قصة قارون : فتلخص في أنه كان رجلا من بنى اسرائيل آتاه الله بسطة في الرزق وأدرّ عليه أخلاف الثراء حتى ان مفاتيح خزائنه كانت تنوء بالعصبة أولى القوة ، فكان مرموقا من قومه بعين الغبطة . كل من رآه في زينته وأبهته يتمنى أن يرزق مثل ما رزقه من الحظ في الدنيا ويستعظمون ذلك أيما استعظام !

(١) نقد اللجنة « الموضوع السابع » .

### ( ايذاء موسى وتبرئة الله اياه )

في صفحة ٢٤٨ سطر ٧ ما نصه :

اما ايذاء بنى اسرائيل لموسى فقد اختلف في نوع الايذاء ، فقال قوم : انهم قالوا ان موسى به عيب جسمي واتهموه بالادرة . وقال آخرون : بالبرص فنزل الماء ليستحم ووضع ثوبه على حجر فجرى الحجر بثوب موسى ، فصار موسى يجري خلفه خارج الماء ويقول : ثوبى حجر ثوبى حجر ، الى أن وقف الحجر في مجتمع بنى اسرائيل وموسى مكشوف العورة فظهر لبنى اسرائيل أنه برىء من العيب الذى اتهموه به .

وانا لا ندرى ما هو الحامل او الداعي الذى اراده الله من جعل الحجر يشتد في الجرى وموسى في اثره مكشوف العورة ، ولم كانت هذه المعجزة التي تهتك ستر نبي كريم يحق بسببها ويضرب الحجر حتى يؤثر فيه ندوبا ! وايضا فاني لم افهم كيف يكون ابتلاء موسى بالادرة عيبا يحول بينه وبين الوجهة عند الله تعالى ؟

كان أولو البصائر من قوم قارون يعظونه ويذللون له النصح ويحذرونه عاقبة ما هو عليه من الخيلاء والزهو ، ويشيرون عليه بالابتعاد عن سوء مجاورة نعمة الله بالافساد في الأرض ،

وإذا كان الاتهام بالادرة هو الأمر الذي أودى به موسى فكيف ينافي هذا علمهم بأنه رسول الله اليهم — كما يشعر بذلك قوله لهم ( يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنني رسول الله اليكم ) فلا بد ان يكون الايذاء أكبر من الاتهام بالادرة ؟

نعم ورد الحديث بمسألة الحجر ، ولكن في رجاله « عوف » وقد جاء عنه في تذهيب التهذيب انه كان شيعيا رافضيا شيطانا هذا نص كلامه :

### ( رأى اللجنة )

نلاحظ عليه انه استبعد وقوع قصة الحجر الذي جرى بثوب موسى ، وطعن في الحديث الوارد بها بأن في رجال سنده عوفا وقد جاء عنه في تذهيب التهذيب انه كان شيعيا رافضيا شيطانا .

وانا نورد هذا الحديث ، ثم نبين من خرج ليتبين ان فضيلة الأستاذ لم يكلف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا :

في صحيح مسلم في « فضائل موسى عليه الصلاة والسلام » حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أحاديث منها : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض ، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه أدر . قال : فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه ، قيل فجمع موسى بآثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر ! حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى فقالوا : والله ما بموسى من بأس ! فقام الحجر بعد حتى نظر اليه . قال : فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا ، قال أبو هريرة : والله ان بالحجر ندوبا ستة او سبعة من ضرب موسى عليه السلام بالحجر .

ثم رواه مسلم بسند آخر فقال : وحدثنا يحيى بن حبيب الحارثي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق قال : أنبأنا أبو هريرة . . . الى آخره نحو ما تقدم ، الا انه زاد في آخره : ونزلت ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ) الآية . وأخرجه البخارى في ثلاثة مواضع في التفسير ، وفي أحاديث الأنبياء بسند واحد فيه عوف مع زيادة نزول الآية السابقة ، وفي باب الفسل بسند آخر ليس فيه عوف ، فقال : حدثنا أسحق بن نصر حدثنا عبد الرازق عن معمر ابن همام بن منبه فهو متفق مع السند الأول لمسلم ما عدا شيخه وهو أسحق بن نصر .

واما عوف فقال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري في بيان من طعن عليه من رجال البخارى ما نصه : عوف ابن أبي جميلة الأعرابي البصري أبو سهل من صغار التابعين ، وثقه أحمد وابن معين ، وقال النسائي : ثقة ثبت ، وقال محمد بن عبد الله الأنصارى : كان من أتيتهم جميعا ولكنه كان قدريا وكان شيعيا ، قلت : احتج به الجماعة — يعنى أصحاب الكتب الستة — ثم قال الحافظ : قال مسلم في مقدمة صحيحة : وإذا قارنت بين الأقران كابن عون وأيوب مع عوف بن أبي جميلة وأشعث الحمزاني وهما صاحبا الحسن وابن سيرين كما أن ابن عون وأيوب صاحبهما كان البون بينهما بعيدا في كمال الفضل وصحة النقل وان كان عوف وأشعث غير مدفوعين عن صدق وامانة . ١ هـ .

و٢ — صحح النووي رضى الله عنه الاحتجاج برواية المتدع غير الداعية ، وقال في شرح مسلم ما نصه « ففى الصحيحين وغيرهما — من كتب أئمة الحديث — الاحتجاج بكثير من المتدعة — غير الدعاة ولم يزل السلف والخلف عن قبول الرواية منهم والاحتجاج بها والسماع منهم واسماعهم من غير انكار منهم . والله أعلم ١ هـ .

من ذلك نعلم ان الحديث الوارد بقصة الحجر الذي جرى بثوب موسى صحيح وانه ورد في الصحيحين من ثلاث طرق اتفق البخارى ومسلم على طريق منهما ، وانفرد كل بطريق ، وان عوفا =

ويحضوره على أن يتغنى فيما آتاه الله الدار الآخرة ولا يسي نصيبه من الدنيا ، بأن يظهر عليه أثر معرفة نعمة الله بالاحسان الى الفقراء من عباد الله كما يظهر أثرها عليه في تناول المباحات

= أحد رجال طريق واحدة وهى التى انفرد بها البخارى . فعلى فرض انه ضعيف لا يلزم ضعف الحديث لوروده من طريقين آخرين لا يوجد عوف بين رجالهما على انك علمت مما نقلناه عن الحافظ ابن حجر أن أكثر أئمة الحديث ومنهم أصحاب الكتب الستة - على توثيق عوف والاحتجاج بروايته وان ابتداعه لا يمنع من ذلك ، كما قرره النووى وما نقله في شأنه عن « تذهيب التهذيب » نقلها صاحبه وهو الحافظ الذهبي فيه وفي ميزان الاعتدال عن بNDAR فلعلها مبالغة في بيان تشييعه والا فغيره نقل عنه : انه كان شيعيا ، ولا يلزم منه أن يكون رافضيا والله اعلم .

أما ايذاء بنى اسرائيل لموسى فقد ذكر المفسرون في نوعه عدة اقوال منها : أنهم نسبوا اليه عيبا في بدنه وهو ما ذكر في الحديث . ومنها أنهم نسبوا اليه أنه قتل اخاه هارون . ومنها : أن قارون أغرى موسيا على قذفه بنفسها . ومنها : ما نسبوه اليه من السحر والجنون . ومنها : ما حكى عنهم في القرآن من قولهم ( اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ) وقولهم ( ان نصبر على طعام واحد ) وقولهم ( لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ) الى غير ذلك . قال الالوسى : ويمكن حمل ما قالوه على جميع ما ذكر . اهـ . واذا صح ما قال الالوسى فلم يكن هناك من تناف بين صحة هذه الرواية في بيان نوع الايذاء وصحة غيرها من الروايات في بيان نوع آخر . وأما تردده فيما اراده الله من جرى الحجر فلا وجه له - فان الله اراد بذلك اظهار براءة موسى من العيب الذى اتهموه به والذي يجب تنزيه الانبياء عنه عند المحققين . قال النووى - في شرح مسلم - ومنها : أى من فوائد هذا الحديث - ما قاله القاضى وغيره أن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين منزهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعاييب . قالوا : ولا التفات الى ما قاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ في اضافة بعض العاهات الى بعضهم بل نزههم الله من كل عيب وكل شيء يفيض العيون او ينفجر القلوب . اهـ .

ثم ان الله تعالى أظهر براءته بمعجزتين عظيمتين ظاهرتين (احدهما) مشى الحجر الى ملا بنى اسرائيل ( والثانية ) حصول الندب في الحجر .

وأما استبعاده لوقوع هذه العجزة لأن فيها هتكا لستر نبي كريم فلا وجه له أيضا لثلاثة أمور : ( الأول ) أن المقصود كما علمت اظهار البراءة مما نسبوه اليه وذلك يستلزم الكشف ، وقد اقترن بمعجزة باهرة لتبكي بنى اسرائيل على هذا الظن السيئ ؛ الذى لا ينبغي أن يكون منهم في حق هذا النبي العظيم الذى يؤيده الله تعالى بالمعجزات الباهرات في جميع مواقفه معهم . وما أكثر مواقف بنى اسرائيل في المراوغة والعدا والتقطع .

( الأمر الثانى ) ووجهه انه لو كان محرما في شرعهم لكانوا جميعا عصاة وهو بعيد ، ولما كان هناك وجه لاتهامهم له بالأدرة بسبب انفراده بالفضل ؛ لأنه يكون انفراده حينئذ امثالا للريعة ؛ كما قاله الحافظ ابن حجر : ان اغتسال بنى اسرائيل عراة ونظر بعضهم الى بعض كان جائزا في شرعهم ، وانما كان موسى يغتسل وحده أخذا بالفضل . واذا كان كذلك فلا شيء في كشف ستره امامهم . واستقباح النفس له الآن لأنه محرم في شرعنا والله اعلم .

( الأمر الثالث ) ما يترتب عليه من المصلحة التى لا توجد اذا بقى الأمر مكتوما ؛ بل يكون حينئذ مفسدة وأى مفسدة . حيث يكون منهم استمرار العجاج في الطعن على موسى بما يؤدى الى زيادة شدتهم في عنادهم له ، ويفضى الى بعدهم عن قبول ما جاء به ، والنفور من الايمان به ، والرجوع الى الكفر الذى هو مفسدة واثم كبير ! فأي الامرين أرجح في نظر فضيلة المؤلف ؟ اكفر امة بأسرها وانتقاص وايذاء نبي كريم أم كشف عورة لا مفسدة فيه ؟! كما اشار شراح الحديث من ان كشف العورة كان جائزا في شريعة موسى ، واجتنابه عليه السلام لكشف عورته كان أخذا بالفضل .

ثم ان مقتضى كونه وجيها عند الله أن يبرئه من كل تهمة تلصق به كذبا ، سواء كان ما ينهم به كذبا - عيبا يتنافى مع الرسالة او لا - كما أن مقتضى كونه رسول الله اليهم انقذهم من ظلمات الضلال =

من اللذائد ، وألا يصرف نعمة الله في طرق الفساد في الأرض . لأن ذلك يغضب الله تعالى ، ولأن مجاورة نعمة الله بالافساد في الأرض تدعو الى أن يغير الله تلك النعمة . فأعطاهم أذنا صماء ولم يصنع الى نصائحهم . وقال في المال الذي عنده ( انما أوتيته على علم عندي ) .

= الى نور الايمان واخرجهم من استعباد فرعون وقومه لهم الى الاطلاق والحرية ان لا يؤدي منهم باى نوع من انواع الايذاء ، ولا شك ان اتهامه كذبا بعيب في بدنه يعتبر ايذاء ، وان لم يتناف ذلك العيب مع الرسالة .

على أنك علمت ان المحققين على ان مثل هذا العيب مما يجب تنزيه الانبياء عنه . وبذلك يعلم ان ما قاله الاستاذ « ثم انى لا افهم كيف ... » الخ لا وجه له . والله سبحانه وتعالى اعلم .

### رد المؤلف على نقد اللجنة

#### الموضوع السابع

#### ( ايذاء موسى وتبرئة الله اياه )

نظرت الى لفظ الايذاء في القرآن الكريم فوجدته انما يكون في امور هامة غليظة غالبا .  
فقد قال الله تعالى :

١ - « يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها » .  
الاحزاب آية ٦٩ .

٢ - « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا » الاحزاب آية ٥٧ .

٣ - « الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » الاحزاب آية ٥٨ .

٤ - « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم » التوبة آية ٦١ .

٥ - « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله » الاحزاب ٤٨ .

٦ - « ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون » ابراهيم ١٢ .

٧ - « واللذان يأتياها منكم فاذهما » النساء آية ١٦ .

قال الامام أحمد : حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسما ، فقال رجل من الانصار : ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله ، قال : فقلت يا عدو الله اما لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت . فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال « رحمة الله على موسى فقد أودى بأكثر من هذا فصبر » أخرجاه في الصحيحين من حديث سلمان بن مهران به .

طريق آخر . قال الامام أحمد : حدثنا حجاج سمعت اسراييل بن يونس عن الوليد بن هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال : قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه « لا يبلغنى أحد من أحد من أصحابي شيئا فاني أحب ان اخرج اليكم وأنا سليم الصدر » فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه ، قال : فمررت برجلين أحدهما يقول لصاحبه : ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة ، قال فثبت حتى سمعت ، قال : ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك قلت « لا يبلغنى ... الخ » واني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا ، فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال « دعنا منك فقد أودى موسى أكثر من هذا فصبر » وقد رواه ابو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن اسراييل بن الوليد بن هشام ، وكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي .

ويقول المفسرون انه كان واقفا على سر الصناعة أى الكيمياء <sup>(١)</sup> أى احالة المعادن الخسيسة الى معدن نقيس هو الذهب — ذاهلا عن أن فضته وزهبه لم يغنيا عنه من الله شيئا ، لأن الله

= ان الذين كانوا يؤذون الله ورسوله انما كان بقولهم « شاعر . كاهن . ساحر . مجنون » وقيل كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه في غزوة أحد . وقيل طعنهم في نكاح صفية ، وقال الألوسي : والحق العموم في ذلك .

وقوله تعالى ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ... الخ ) قيل في منافقين كانوا يؤذون عليا ويسمعونه ما لا خير فيه . وقيل فيمن اشتركوا في حديث الأفك بقذفهم عائشة رضى الله عنها . وقيل فيمن كانوا يتبعون النساء اذا برزن في الليل لقضاء الحاجة . قال الألوسي والظاهر العموم لكل ما ذكر . من هذا كله نعلم ان الإيذاء ورد في القرآن والأحاديث في كل استعماله تقريبا ، في أمور شائنة كالطعن في الكرامة ، أو في العرض أو في الدين .

وقد نظرت الى ما قاله المفسرون في مسألة إيذاء موسى وتبرئة الله اياه ، فوجدت الحافظ ابن كثير قدرى حديث البخارى فقال : قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان موسى كان رجلا حيا ستمرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه ، فاذا من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده ؛ اما برص واما اذرة واما آفة ، وان الله اراد ان يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها ، وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبى حجر ثوبى حجر ؛ حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فراوه عريان احسن ما خلق الله وابراه مما يقولون ، فقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه ، فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله ( يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ) » .

وقد اورد ابن كثير في تفسيره هذا الحديث بتمامه . ثم قال : ان هذا الحديث من افراد البخارى دون مسلم ، ثم رواه ايضا عن احمد عن ابي هريرة ، ورواه ابن جرير من حديث سليمان ابن مهران الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير ... الخ .

وقال ابن ابي حاتم : حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العزام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم في قوله تعالى ( فبراه الله مما قالوا ) قال : صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون ، فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : انت قتلته ، كان الين لنا منك واشد حياء فاذوه من ذلك ، فامر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بنى اسرائيل . وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد ابن العوام وقد اورد نحو هذا الكلام الامام البغوى في معالم التنزيل كما اورد حديث ابي هريرة .

وقال ابو العالية : هو ان قارون استاجر مومسا لتقذف موسى على راس الملا فعصمه الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون .

فتلخص لنا في المسألة ثلاثة اقوال : (١) اتهام بنى اسرائيل لموسى بالاذرة او غيرها من العيوب الجسمية ، وعدو الحجر بثوبه وعدو موسى في اثره عريان حتى راوه بريئا . (٢) اتهام بنى اسرائيل موسى بقتل هارون الى ان برأه الله من ذلك ، اذ امر الملائكة بحمل هارون على سرير والطواف به على مجالس بنى اسرائيل حتى راوه لا اثر فيه للقتل « اخرج ذلك ابن منيع وابن جرير وابن المنذر » . (٣) اتهام قارون اياه بالزنا واستاجر لذلك مومسا فاقرت ببراءة موسى ، وبأن قارون هو الذى أغراها على اتهامه ، فبرأ الله موسى واهلك قارون .

(١) ظل الأوربيون يقولون باستحالة تحول المعادن حقبة من الدهر ولكنهم بالاستمرار في البحث في الذرة — أو الجوهر الفرد — صاروا يقولون ان ذلك من الممكنات ، وهم جادون في تفريق أجزاء الذرة ، حتى اذا تم لهم هذا امكنهم ايجاد أى مركب كالذهب وغيره . وجيشئذ يكون ما كان يبدو مستحيلا صار جائزا .



تعالى قد أهلك من القرون من هم أشد منه قوة وأكثر جمعا ، فما أغنى عنهم جمعهم وما كانوا يعتزون به من مال ونسب ، ولم يفلتوا من عذاب الله تعالى .

= هذه اقوال ثلاثة ؛ للمتفهم لكتاب الله تعالى ان يأخذ منها ما شاء وان يدع ما شاء . فاما ابن جرير فقد جوز ان يكون حديث الحجر هو المراد ، وجائز ان يكون اتهمه بقتل هرون هو المراد ، وآخر عبارته يشير الى تفويضه العلم الى الله تعالى . ونص عبارته بعد ان يورد اتهام بنى اسرائيل موسى بقتل هارون « وجائز ان يكون هذا هو المراد بالاذى . وجائز ان يكون الاول هو المراد . فلا قول اولى من قول الله عز وجل » .

وابن كثير يقول : قلت يحتمل ان يكون الكل مرادا . وقال الالوسي بعد ان اورد الاقوال الثلاثة : ويبعد هذا القول — أى روى قارون موسى بالزنا — جمع الموصول . وقيل ما نسبوه اليه من السحر والجنون . اقول : لا استبعاد في ذلك لان قارون يحتمل ان يكون رئيسا لجماعة واطووه على ذلك فليس عجيبا ان يعبر بالذين الدال على الجمع !

لما كان للانسان ان يختار ما تطمئن نفسه اليه — أنه المراد من كلام الله — اخترت القول الثالث هو طعن قارون على موسى . وحجتى في ذلك ؛ ان الايذاء انما يستعمل في الشيء العظيم — كما بينت ذلك في اول الكلام — وان الايذاء بذلك هو الذى يتناقى مع علمهم بأنه رسول الله اليهم ، المبين في قوله ( يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم ) وهو الذى ينافى الوجهة عند الله تعالى المبين في قوله تعالى ( وكان عند الله رجيبا .

وليس من لوم على متدبر كتاب الله تعالى اذا جنح الى رأى أو وجه أو تأويل وجده لائقا بفكره وارتاح اليه ضميره ؛ مادام لا يخالف قطعى الثبوت والدلالة ، وليس لاحد من خلق الله ان يقول له : اخلع هذا الرأى وخذ هذا الرأى والبسه لان بعض الناس قاله . وقد رأينا ابن جرير الطبرى يروى عن المتقدمين الاجاديت أو الآثار ، ثم انه يترك ذلك كله ويسير في طريق آخر . وان قسر العقول والأفهام على رأى خاص — غير قطعى الثبوت والدلالة ، وطلب العدول عن رأى أو تأويل الى مثله — تحكم في الضمائر ودخول بغير حق فيما بين المبدور به . واملاء ارادة ما أنزل الله بها من سلطان .

وليعلم حضرات اصحاب الفضيلة انى انما يعجبني الحديث النقى — الذى لا عيب في رجاله — وتطمئن نفسى اليه . فاما الحديث الذى طعن في أحد من رجاله بطعن — ولو كان خفيفا أو ضئيلا — فان نفسى تنفر منه مهما وثقه آخرون . فانى اقدم الجرح على التعديل وبخاصة اذا كان مبتدعا دعا الى بدعته أو لم يدع . واخص من ذلك اذا كان شيعيا يستحل الوقوع في الشيعين أو لا يتولاهما ، ولم يسلم من ذلك أحد من طوائف الشيعة في نظرى سوى الزيدى وقد رأيت في « تذهيب التهذيب » الطعن على « عوف » من رجال حديث أبى هريرة ، بأنه شيعى رافضى شيطان . فمع ما قدمت لا ارى الفقه به مهما قال حضرات اصحاب الفضيلة في توثيقه وجواز الرواية عنه . واطمئنان النفس شيء يأتى عن طريق الوجدان لا باملاء الارادة كما يريدون .

وازيدهم الآن في حديث أبى هريرة : الحسن عن أبى هريرة . والحسن موثق به في نظرى ونظر كل المحققين ، ولكنه لم يسمع من أبى هريرة .

قال في عمدة القارىء : واما الحسن فلم يسمع من أبى هريرة عند المحققين من الحفاظ ، ويتولون ما وقع في بعض الروايات من سماعه عنه فهو وهم . وفيه أيضا « خلاص » عن أبى هريرة . وقد جاء في عمدة القارىء : واما « خلاص » ففي سماعه عن أبى هريرة خلاف . فقال ابو داود عن احمد : لم يسمع خلاص من أبى هريرة ... الخ .

واما الرواية الثالثة للبخارى التى ليس فيها عوف وهى التى قال فيها :

حدثنا اسحق بن نصر حدثنا عبد الرازق بن معمر عن همام بن منبه . فان فيها عبد الرازق وقد جاء في « عمدة القارىء ٢٥٣ ، ٢٥٤ ج ١ » وقال الحافظ ابو احمد بن عدي : قال بن معين ليس بالقوى ، ونسبة العباس بن عبد العظيم الى الكذب . قال : والواقدي اصدق منه . وقال =

كان من أحداث الزمان أنه خرج على قومه في زينته ، فقال المولعون بالدنيا الذين يزدهيم زخرفها : ( يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم ) ووعظهم أهل البصر النافذ فيما وراء

= أبو أحمد : لعبد الرازي حديث كثير وقد رحل اليه الناس وكتبوا عنه ولم يروا بحديثه بأسا ، الا انهم نسبوه الى التشيع . وقد روى أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب غيرهم مما لم يوافقه عليها أحد من الثقات . فهذا أعظم ما ذموه به من روايته المناكير .

وبعد هذا كله ، فان أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة جعلوا هذا الحديث حجة على حدوث معجزة ، وهى جرى الحجر بشياب موسى . وزادوا فيها معجزة أخرى وهى حدوث ندب في الحجر بضرب موسى له بالعصا .

أقول : أولا - أن الحديث يفرض خلوه عن جميع الملاحظات ليس الا خبر آحاد ، وخبر الآحاد لا تثبت به المعجزة . لأن المعجزات لا تثبت الا بيقين لا يتطرق اليه شك . وخبر الآحاد ليس فيه يقين لانه ظنى الثبوت .

ثانيا - المعجزة لا تكون الا مقرونة بالتحدى ، وما تحدى موسى بهذا الامر احدا ولا طلب احد من موسى هذه المعجزة .

ثالثا - أن المعجزة انما تأتى بطلب الرسول ، او باقتراح قومه عليه ان يأتى بها ، ولم يحصل ان موسى طلب ذلك من الله تعالى ولا طلب أحد من قومه ذلك !

رابعا - ان جرى الحجر حصل رغما عن موسى ، وكان موسى كارها لذلك . وما عهدنا معجزة تأتى رغم انف الرسول والرسول يكون كارها لحصولها .

خامسا - ما هو موقف الرسول من امر خارق للعادة يعملها الله له ثم هو يكره ذلك ! هل يحل ذلك للرسول ولا يقدح في رضاه بما صنع الله لاجله واکرمه به ؟

سادسا - اما كان لموسى وقد رأى الحجر يشتد في الجرى - ويفعل امرا ليس من شأنه ان يعمل - ان يعلم أن الحجر لم يكن منه ذلك الا لامر يعلمه الله قد قهره عليه وسخره له فيسكت عند الغضب ويرجع الى الصواب من امره ؟

سابعا - هل كان موسى حين طفق بالحجر ضربا بالعصا ، يظن ان الحجر يتألم من هذا الضرب ويندم على ما كان منه ، وان هذا سيصرفه عن العودة الى مثل ما صنع مرة أخرى ؟

ثامنا - يرى أصحاب الفضيلة حصول الندب من اثر العصا معجزة ، ومع اكبارى لاشخاص حضراتهم ارى انه لم توجد معجزة - أخرى ولا أولى - في هذا الامر أصلا ؛ اذ الحجر جسم صلب ومن المألوف في مثله انه اذا تلاقى مع جسم صلب تفتت بعض الحجر ، وصار اثر ذلك كهيئة الندب « الندب : اثر الثام الجرح ، شبه به الاثر في الحجر » فليس ذلك بغريب او غير مألوف !

تاسعا - ادعى حضرات الأفاضل أن بنى اسرائيل كان التمرد جائزا في شرعهم وكانوا يفتسلون عراة ولا يستترونها . واني أقول لحضراتهم ولكل من قال قبلهم بهذا الرأي : هذه دعوى عريضة في ذمتكم أن تثبتوها ، ولا ينفع في ذلك الاحتمال أو نحوه ، بل لابد فيها من النص من كتاب الله أو من كتبهم ، وهو ما لم يوجد ولن يوجد .

فانى اعرف أن السواتين مركزوز في الطبيعة الانسانية استقباح كشفهما ، بدليل ان آدم وزوجه حين نزع عنهما لباسهما - حين الأكل من الشجرة - طبقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة - ولا عبرة بالأمم التي نزلت الى الدرك الأسفل من الانسانية كرنوج المناطق الاستوائية . فان شأنهم ليس شأن بنى اسرائيل الذين يقول الله فيهم ( اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين ) ويقول أيضا ( ولقد اخترناهم على علم على العالمين ) واني بذلك أدفع مجاء في الامر الثانى .

عاشرا - عظم حضرات الأفاضل الادرة وجعلوها منافية للنسوة وعيبا لا يصح ان يتصف به النبى ، ولم يقيموا الدليل الذى ينص على عدم اتصاف الانبياء بها وأنها من المنفردات التى تمنع المتصف =

المظاهر الخلابه وقالوا لهم : ( ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ) طالبين صرفهم

= بها أن يكون نبيا ، وكل ما ساقوه عموما ليس فيها تنصيص ، وقد عظموا الادرة تعظيما لم ياذن به الله وفخموا من شأنها ومن ضررها ما هو ضئيل حقير .

### حقيقة الادرة

الادرة هي ورم في الخصية . ويسميه الأطباء « القيلة الدوالية » وهي تنشأ من ميكروب يسمى « ميكروب الفلاريا » وهذا الميكروب يصيب الانسان من ناموس يوجد فيه ذلك الميكروب ، فاذا لقح انسان به فانه يحدث التهابا في بعض أعضاء الجسم ، فاذا أصاب الساق انصبت اليها الدماء من الشرايين ولا تعود تلك الدماء تسير في الأوردة ، فتضخم الرجل حتى تصير كرجل الفيل وتصير اليافا ، ومن ذلك اشتق « الفيلاريا » .

واذا وجد الميكروب في الخصية أحدث التهابا في طبقاتها ، فيحصل من ذلك الورم - وبذلك يكون الناس بمأمن من العدوى به الا من طريق الناموس ، وهي مستترة بالملايس . فكم من رجل جليل القدر مالى الاسماع والابصار وهو مصاب بالقيلة الدوالية ، وهو يجالس العلماء والملوك والكبراء لا تنبو عنه اعينهم ولا تزدرية انفسهم ولا يعلمون من أمره شيئا . فمثل هذه القيلة لا تكون عيبا في رسول ولا نبى لانهم انما ينزهون عن العيوب الجسمية التي تستقذرها الاعين وتنفر منها النفس ، لانهم معلمون والناس في حاجة اليهم ، ولا يمكن أن يؤدوا مهمتهم مع المرض المنفر المستقذر . ولذلك تجوز عليهم الأمراض غير المنفرة ، وهذا منها . اللهم الا اذا كبرت وزادت عن الحد وصارت كأنف ذلك الرجل الذي داعبه بعض الشعراء بقوله :

راينا للذكي جدار انف يحاكي في تشامخه الجبالا  
تصدى للهلل لكى يراه فلولا انفه لراى الهلالا

وبقوله :

لك انف ذو انوف انفت منه الأنوف  
انت بالقدس تصلى وهو بالبيت يطوف

والادرة مهما عظمت ليست مرضا مستعصيا ، بل الجراحون يستأصلون اليافها ويعيدون الخصية سيرتها الاولى .

قال اصحاب الفضيلة : ( الأمر الثالث ) ما يترتب عليه « على كشف عورة موسى » من المصلحة التي لا توجد اذا بقى الأمر مكتوما ، بل يكون حينئذ مفسدة وإى مفسدة ، حيث يكون منهم استمرار المجاج في الطعن على موسى بما يؤدي الى زيادة شدتهم في عنادهم له ، ويفضى الى بعدهم عن قبول ما جاء به ، والنفور من الايمان به والرجوع الى الكفر الذى هو مفسدة واثم كبير . فأى الأمرين أرجح في نظر فضيلة المؤلف ؟ اكفر امة بأسرها . وانتقاص وايداء نبى كريم أم كشف عورة لا مفسدة فيه ؟ كما اشار شراح الحديث من أن كشف العورة كان جائزا في شريعة موسى ، واجتنابه عليه السلام لكشف عورته كان اخذا بالافضل .

اقول : لقد اكبروا من شأن ورم الخصية ما اصفرته العادة ! وعظموا منها ما حقره الطب ! ووضعوا الخصية الدوالية في كفة الميزان وكفر امة بأسرها واستمرار الفساد في كفته الثانية ، وربطوا ما في كل من الكفتين بمورب من العقد ضلت حله الأرباء . واقرر منع ما يقولون واقول : ان مرضا كورم الخصية مستتر بالثياب ، لو فرض وجوده في نبى كريم لا ينبئ عليه ما قالوا ولا يمكن أن تكون الامم مطبوعة بالطابع الذى قدره حضرات الافاضل ، مصوبة في القلب الذى هياه حضراتهم فكم من ملوك كرام على أمهم ورؤساء قد بخعت لهم رعيتهم بالطاعة كانوا مصابين بعيوب ظاهرة وبقوا حافظين لمكانتهم واحترامهم ورياستهم ، ولم يترتب على ذلك نشوز الرعية أو مخالفتهم ؟ ان العلماء والمدرسين في كل الامم انما هم خلفا الانبياء في تعليم الامم . وقد أفتى حضرات =

عن المطامع الباطلة فكانت عاقبة طغيانه وانصرافه عن شكر الله على نعمته أن أزال الله عنه لباس النعمة وأذاقه وبال أمره فخصف به وبداره الأرض ولم يجد له ناصرا أو معينا .

الأفاضل بأن الأدرة عيب منفر — يفرق بين المعلم والمتعلم وفي الأزهر الشريف وسائر المعاهد الدينية علماء يدرسون ويعلمون . وقد أصبحت أشك كل الشك في براءة كثير منهم من الأدرة . فهل يسمح فضيلة الشيخ الأكبر بأن يأمر بالكشف على حضراتهم ! وأن يأمر بتنحية من كان مصابا بالأدرة منهم وإبعاده عن التدريس لأنه مصاب بمرض مستقذر منفر ؟ ولتعلم فضيلته أن عدم إبعاد العلماء المادورين عن التعليم ينبئ عليه نفور الأمة الإسلامية من معرفة دينها والاهتداء بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم . فليوازن بين جهالة الأمة الإسلامية بدينها وتنحية المادورين عن التعليم في معاهد الدين . ورأيه الأعلى أن شاء الله تعالى .

أراد بعد ذلك حاذق منهم أن ينقذ الموقف — لما رآه من عدم السداد فيما أوردوا — فكتب الفقرة الآتية :

ثم أن مقتضى كونه وجيها عند الله أن يرثه من كل تهمة تلصق به كذبا — سواء كان ما يتهم به كذبا عيبا يتنافى مع الرسالة أولا — كما أن مقتضى كونه رسول الله إليهم انقذهم من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان ، وأخرجهم من استعباد فرعون وقومه لهم إلى الإطلاق والحرية لا يؤذى منهم بأى نوع من أنواع الإيذاء . ولا شك أن اتهمه كذبا بعيب في بدنه يعتبر إيذاء وأن لم يتنصاف ذلك العيب مع الرسالة ، على أنك علمت أن المحققين على أن مثل هذا العيب مما يجب تنزيه الأنبياء عنه . وبذلك يعلم أن ما قاله الأستاذ « ثم انى لا أفهم كيف ... الخ » لا وجه له . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وانى أجيب حضرة الفاضل الذى كتب هذه الفقرة بما يأتى :

ان مواضع الخلف بيننا هي : —

- ١ — هل ثبت بنص قاطع أنهم رموه بهذا العيب الذى هو الأدرة ؟
- ٢ — هل الأدرة تنافى الوجهة عند الله ، وإن الله ينظر إلى أدر الناس فيسقطهم من الوجهة عنده ولا ينظر إلى قلوبهم وضمائرهم ؟
- ٣ — هل كان بنو إسرائيل محللا لهم أن يتكشفوا وليس عندهم شئ اسمه عورة ؟
- ٤ — هل جرى الحجر بثوب موسى معجزة حصلت له رغم أنه ؟
- ٥ — هل ثبتت المعجزة بغير نص قطعى ؟

كل واحد من هذه الأمور لم يثبت على الوجه الحق ، وأحاديث الأحاد لا يثبت بها أمر على سبيل القطع ، فلم تزل ذمة حضراتهم مشغولة بالبرهنة على سبيل القطع الذى لا يقبل شكاً ولا احتمالا على هذه الأمور . وأن المحققين الذين يعززون إليهم أنهم « على أن مثل هذا العيب يجب تنزيه الأنبياء عنه » لم ينصوا على أن الأدرة عيب يجب تنزه الأنبياء عنه ، وعبارته ليست نصا . وقضية قوله « ان المحققين يرون كذا » أن فريقا من العلماء يرى خلاف رأيهم وذلك يخرج المسألة عن أن يكون فيها نص .

وما دام الأمر كذلك ، فلا برهان لكم — على ما تزعمون — يوجب أن يكون التفسير للآية لا يصح إلا على رأيكم . ولتعلم حضرات الأفاضل أن اثبات معجزة — غير ثابتة لنبي من الأنبياء — يساوى اثمه اثم انكار معجزة ثابتة ثبوتا قطعيا .

وآخر الكلام أقول لحضراتهم : انى كنت جادا حين تساءلت عن الحكمة التى ارادها الله تعالى من كشف عورة رسوله موسى ، وهتك ستره وإبداء سواته للملأ من قومه ؟ وليس فى كلام حضرات الأفاضل ما شفى أو كفى ! ألم يجد الله تعالى طريقة لتبرئة عبده موسى سوى ذلك الذى يكرهه موسى ؟

أما دعوى حضراتهم ومن نقلوا عنهم أن ذلك كان جائزا عند بنى إسرائيل ، فدعوى تحتاج إلى نص عندنا أو نص عندهم ، وهو ما لا يوجد فهى افتراض افتراضه . ولم تزل ذمة حضراتهم مشغولة ببيان الوجه الوجه الذى لا ينازع فيه أحد .

من هذا كله : يتبين انى لم أحد عن طريق الصواب فى اختيار الوجه الثالث ، وأنه لا حرج على فى ذلك . وما اعترضوا به وما قالوه لم يغير موقفى ولم يزحزحنى قيد شعرة .

اقرأوا هذه الآيات .

**سورة القصص:** إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ [٧٦] وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِدِينَ [٧٧] قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ [٧٨] فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [٧٩] وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَنْتَظِرُكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ [٨٠] فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ [٨١] وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسْأَلُ اللَّهُ يُسْطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا خُسْفَ بِنَا وَيَسْأَلُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [٨٢] تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [٨٣]

أما ايذاء بنى اسرائيل لموسى فقد اختلف في نوع الايذاء . فقال قوم : انهم قالوا ان موسى به عيب جسمي واتهموه بالادرة . وقال آخرون : بالبرص ، فنزل الماء ليستحم ووضع ثوبه على حجر فجرى الحجر بثوب موسى . فصار موسى يجرى خلفه خارج الماء ويقول : ثوبى حجر ! ثوبى حجر ! الى أن وقف الحجر في مجتمع بنى اسرائيل ، ورأوا أنه برىء من العيب الذى اتهموه به .

وأنا لا أدري ما هو الحامل أو الداعى الذى أراد الله من جعل الحجر يشتد في الجرى وموسى في أثره مكشوف العورة ؟ ولم كانت هذه المعجزة التى تهتك ستر نبي كريم يحنق بسببها ويضرب الحجر حتى يؤثر فيه ندوبا ؟ وأيضا فانى لم أفهم كيف يكون ابتلاء موسى بالادرة عيبا يحول بينه وبين الوجاهة عند الله تعالى ؟

واذا كان الاتهام بالادرة هو الأمر الذى أودى به موسى فكيف ينافى هذا علمهم بأنه رسول الله اليهم ؟ كما يشعر بذلك قوله لهم ( يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم ) ؟ فلا بد أن يكون الايذاء أكبر من الاتهام بالادرة .

نعم ورد الحديث بمسألة الحجر ولكن في رجاله « عوف » وقد جاء عنه في « تذهيب التهذيب » أنه كان شيعيا رافضيا شيطانا .

والذى أميل اليه في مسألة ايذاء بنى اسرائيل موسى ما ذكره البيضاوى في تفسير آية الأحزاب والألوسى في تفسيره وابن الأثير في تاريخه وعبارة ابن الأثير أوسع ، ذلك أن موسى طلب الزكاة من قارون . فشحت نفسه بالمال . وأراد أن يكيد لموسى ليرجمه . فاتفق مع امرأة أن تقول عن موسى انه زنى بها . ولما أصبح قال لموسى : أليس من الشريعة أن الزانى يرحم ؟ قال : بلى قال : فانك قد زنت بفلانة ويجب أن تسلم نفسك لترجمك .

فلما جاءت المرأة أخبرت أن قارون لقنها أن تدعى هذه الدعوى على موسى وهو برىء منها . وبذلك ( برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ) وهذا هو اللائق أن تحمل عليه الآيات لأن من كان زانيا لا يكون وجيها عند الله تعالى .

ويظهر أن قارون اجتمع عليه كثرة المال والشح به على الواجبات . والنتية على قومه حتى آل أمره الى الاقتراء على موسى . فكان عاقبته أن خسف الله به وبداره الأرض . ولما كان أكبر اعتقاده ارتباط الايذاء بقارون وأضرابه — الذين شايعوه على موسى — فأنا أميل الى هذا الرأى وقد أورد الألوسى احتمالات كثيرة لا أرى ضرورة لنقلها .

اقرأوا هذه الآيات : —

**سورة الأحزاب :** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا.

**سورة الصف :** وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُذُنُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ .

ذكرت قصة قارون في الاصحاح السادس عشر من سفر العدد . وملخصها : أن قورح — قارون وهو ابن عم موسى — ودathan وأبيرام — ابنا اليباب — وأون — ابن فالت بنو راووين — كانوا يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة . فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما ان الجماعة كلها مقدسة وفي وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب ؟

فلما سمع موسى سقط على وجهه وقال غدا يعلن الرب من هوله ، ومن المختار والمقدس حتى يقربه اليه . وأمر القوم أن يأخذوا مجامرهم وأن يضعوها فيها النار وأن يضعوا على النار بخورا . والرجل الذى يختاره الله هو المقدس . وعاتب موسى قورح قائلا : اسمعوا يا بنى

لاوى ! أقليل عليكم أن اله اسرائيل أفرزكم من جماعة اسرائيل وقربكم اليه لخدمته ؟ اذن أنتم متفقون على الله وعاصون لأوامره والا فما هو هارون حتى تتذمروا عليه ؟ وأرسل يدعو داثن وأيرام بن ألياب فلم يصعدا اليه . قالا لرسوله قل له : أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا كما وعدتنا ولم تعطنا نصيب حقول وكروم ؟ لا نصعد اليك ؛ فاعتاظ موسى وقال لله : لا تلتفت الى تقدمتها « حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت الى أحد منهم » .

وأمر موسى قورح أن يكون مع أولاده والجماعة المظاهرين له في أبواب خيامهم ، ويكون معه أبناءؤه ، ويأتى هارون بمجمرته ويكون الجمر في المجامر ، ويتقدمون أمام الله مائتين وخمسين مجمرة ، وأن الله كلم موسى وهارون وأمرهما أن ينفزا عن كل بنى اسرائيل ليهلكهم ، فتضرع موسى الى الله حتى لا يأخذ كل القوم بخطيئة رجل ، فأمره أن يبعد جماعة بنى اسرائيل عن خيام هؤلاء المشاقين ففعل .

ولما حضروا من الغد ، قال موسى للجماعة : اذا كان الله قد أرسلنى لأعمل هذه الأعمال وليست من نفسى . أن موت هؤلاء كموت كل انسان فليس الله قد أرسلنى . ولكن أن ابتدع الله بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل مالهم ، فيهبطوا أحياء الى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالله .

فلما فرغ موسى من قوله انشقت الأرض وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع الأموال ، وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من كل الجماعة ، وأرسل الله نارا على المائتين والخمسين من أعداء موسى الذين قربوا البخور . اقرءوا من أول الاصحاح السابع عشر : من سفر العدد الى آية ٢٤ منه . فهذا هو ايداء بنى اسرائيل لموسى وهذه براءته عندهم .

### اختيار موسى سبعين رجلا

من شيوخ بنى اسرائيل لطلب المغفرة من الله والندم على ما صدر من قوم موسى على عبادة العجل - طلب بعضهم من موسى ان يروا الله جهرا ليؤمنوا به - اخذ الصاعقة اياهم - تضرع موسى الى الله الا يهلكهم بفعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية - احيأهم بعد موتهم من الصعقة - التبشير بمحمد على أثر ذلك .

لما رأى القوم أنهم قد ظلموا أنفسهم وقارفوا اثما كبيرا بعبادة العجل ؛ اختار موسى من القوم سبعين رجلا يذهبون معه الى الجبل - الذى اعتاد أن يناجى الله فيه - ليقدموا الطاعة لله والندم على ما اقترفوا من اثم ، ويتوبوا الى الله مما جناه عبدة العجل ، فذهب بهم الى الجبل « حورب » وهو جبل الطور . فلما كلم الله تعالى موسى وهم شهود يسمعون كلام الله عاودت جماعة منهم جبلة التمرد والعصيان ، فلم يؤمنوا أن الله تعالى هو الذى يكلم موسى وأنه أعطاه التوراة . وقالوا له : لن تؤمن لك أن الله نبأك وأعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة بأعيننا

لا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر . والظاهر أنهم لم يؤامروا موسى في هذا الاقتراح من قبل . ولو فعلوا لأرشدتهم وأعلمهم علم ما لقي من التجربة القاسية ، وهي الصعقة التي نالته على أثر ذلك الاقتراح الذي صدر منه وتجلّى الله تعالى للجبل الذي صار ذكاً من هيئته تعالى . ولا يبعد أن يكون أعلمهم بذلك كما يقول بعض المفسرين ، وأنهم لم يقبلوا منه قوله .

على أثر هذا الطلب من القوم أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم الى بعض ، يتهافتون على أديم الأرض ليكون ذلك برهاناً فعلياً لديهم على أن ما أصابهم حق لا شبهة فيه . ثم بعثهم الله من بعد موتهم بعد التضرع والتذلل من موسى ، وطلب العفو عما صدر من سفهائهم والغفران لزلتهم ، فغفر الله لهم ذلك وأعادهم الى الحياة . وكان من طلب موسى المغفرة والرحمة في الدنيا والآخرة ؛ أن أخبره الله تعالى بأن ذلك راجع لمشيئته . وأخبره الله تعالى بأنه كتب رحمته للمتقين الذين يؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله ولا يعارضون فيها ولا يتعنتون في الاقتراح بعد إيمانهم ، كما فعل قوم موسى . وهم الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً في التوراة والانجيل ، ومن أوصافه أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، الى آخر الآيات .

فكانه تعالى كان يباهى بمحمد وأتباعه أتباع موسى قبل وجود محمد وأمه بأكثر من ألف وخمسمائة سنة ، ويوبخهم بأن له عباداً ليسوا على شاكلة قوم موسى يؤمنون بالله وآياته بدون تعنت أو تدمير بعد اتسامهم بالإيمان ، ووصفهم بأروع الأخلاق وأجل الصفات .

نبوة محمد موجودة في التوراة رغم ما اعتورها من التحريف والتشذيب . وها أنذا أسوق تلك المواضع من التوراة تعجيلاً للفائدة ، ولأنها أيضاً من قصة موسى .

ففي الآية العشرين من الاصحاح السابع عشر — تكوين « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه هأنا أباركه وأثمه وأكثره كثيراً جداً » .

ولفظ العبارة الأخيرة في العبرية « **هِنِي يِرְخִי أَوْتُو وَهִרְיִי أَوْتُو وَهִרְיִי أَوْتُو** بماد » بامالة في « بماد ماد » الى واو .

ومن عادة العبرانيين الاعتماد في الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب، فلو حسبنا لفظ « بماد ماد » بالجمل ! لكانت جمل « محمد » بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والأثمار في أبنائه (١) .

(١) ثانياً — في الآية ١٥ من الاصحاح ١٨ من سفر التثنية : قول موسى لبني اسرائيل (١٥) يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون (١٦) حسب كل ما طلبت من الرب الهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود اسمع صوت الرب الهى ، ولا ارى هذه النار العظيمة لئلا أموت (١٧) قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا (١٨) اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى في فمه فيتكلم بكل ما اوصيه .

فقوله من اخوتهم في الآية (١٥) وقوله من وسطهم من اخوتهم في الآية (١٨) تدل على ان =



أما بقية كتب الأنبياء ففيها أخبار كثيرة تنطبق على « محمد » صلى الله عليه وسلم والبلد الذي يخرج منه . أما هذا الموقف من مواقف موسى فافقروا هذه الآيات التي تدل عليه :

**سورة البقرة :** وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ [٥٥] ثُمَّ بَعَثْنَا كُومًا مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٥٦]

**سورة الأعراف :** وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِبَائِي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ [١٥٥] وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [١٥٧]

وقوله ( ثم بعثناكم ) دليل على أنهم ماتوا . لأن البعث لا يكون الا عن موت ولا مانع أن يكون في الكلام مجاز فثبه افافتهم من الصعق بالاحياء .

= الموعود به لا يكون من بنى اسرائيل بل من اخوتهم . واخوتهم بنو اسماعيل كما تدل على ذلك الآية « ١٨ من الاصحاح ٢٥ - تكوين » وسكنوا « اى ابناء اسماعيل » من حويلة الى شور التي امام مصر حينما تجيء نحو اشور امام جميع اخوته نزل . وحويلة هي بلاد خولان على تخوم اليمن - مما يلي الحجاز - ولا مقابل لابناء اسماعيل في جهة شور سوى بنى اسرائيل . وكما تدل على ذلك ايضا الآية « ١٢ من الاصحاح ١٦ - تكوين » « وامام اخوته تسكن » وايضا فان قوله « واجعل كلامي في فمه » الخ يدل على انه يكون اميا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يدع احد من ابناء اسماعيل ذلك سوى « محمد » صلى الله عليه وسلم . ولم يبق نبي امي سواه منذ خلق الله الدنيا الى اليوم .

ثالثا - الآية الثالثة من الاصحاح الثامن والثلاثين - تشية (٢) قال جاء الرب من سينا وشرق لهم من سدير وتللا من جبل فاران واتي من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم .  
جبل فاران بمكة وهي البلاد التي سكنها اسماعيل .

## العبد الصالح صاحب موسى

حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال : أخبرني سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوحا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل؛ فقال ابن عباس كذب عدو الله . حدثني ابن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان موسى قام خطيبا في بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه : ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب فكيف لى به ؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم . فأخذ حوتا في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون — حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما ، واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا ، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطلق . فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا ببقية يومهما وليتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا . قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به . فقال له فتاه « رأيت اذ أويانا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا » قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا . فقال موسى « ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا » قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة ، فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام . قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى اسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا . قال : انك لن تستطيع معى صبرا ، يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ! فقال موسى : ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . فقال له الخضر : فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد خلع لوحا من السفينة بالقدوم ، فقال له موسى : قدوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا امرا ! قال : ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال : لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا . قال : وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر : ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فيبينما هما يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر بسلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه ، فقال له موسى : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ! قال : ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال : وهذه أشد من الأولى ؛ قال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى

عذرا ، فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض . « قال : مائل » فقام الخضر فأقامه بيده فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا ؟ قال : هذا فراق بيني وبينك — الى قوله — ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وددنا أن كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » .

قال سعيد بن جبير : فكان ابن عباس يقرأ ( وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ) وكان يقرأ ( وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ) .

### ما اسم العبد الصالح

وأما العبد الصالح فقد اختلف العلماء في اسمه . وهل هو نبي أو رسول أو ولي ؟ واختلفوا في زمنه وهل هو حي الى اليوم أو ميت ؟

أما اسمه فقالوا : انه « الخضر » وقيل « بلياً بن ملكان » وقيل « اليسع » وقيل « الياس » وقيل « ملك من الملائكة » وقيل اسمه « عامر » وقيل « أحمد » . واختلفوا في اسم أبيه فقيل انه « ابن آدم » لصلبه وقيل انه « ابن فرعون » وقيل « ابن العيص » وقيل « ابن كليان » . والجمهور على انه « بلياً بن ملكان » وأن « الخضر » لقب له . وعلى أنه نبي . وقال غير الجمهور : انه رسول . وقال آخرون : انه ولي . وعليه الكثير .

واختلف هل هو حي اليوم أو ميت ؟ فذهب جمع الى أنه ليس بنبي . وأنكر البخاري أن يكون حيا . وفي صحيح مسلم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل موته « ما من نفس منقوسة يأتى عليها مائة سنة وهى حية » وسئل غير البخاري من الأئمة فتلا قوله تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية عنه فقال : لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه . وسئل ابراهيم الحارثي عن بقائه فقال : من أحال على غائب لم ينتصف منه ، وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان . ونقل في البحر عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسى : القول بموته . ونقله ابن الجوزي عن علي بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنهما اهـ من الألوسي .

ويقول بعض أهل التفسير : انه و « الاسكندر المقدوني » ابنا خالة ، وكان وزيره . وهو قول جاهل ؛ لأن الاسكندر كان بعد موسى بأكثر من ألف سنة ! فكيف يكون ابن خالته معاصرا لموسى رسول الله ؟

القرآن الكريم لم يرد فيه هذا الاسم ، ولولا وجوده في حديث البخاري ما صدقت بوجود صاحب هذا الاسم ! وكان « هيان بن بيان » وانى أكتفى بما قدمته من ذكر الآيات الكريمة . ومن شاء فليقرأ سورة الكهف فهي فيها .

## تذكير الله تعالى لبني إسرائيل بنعمه عليهم

ان الناظر الى أحوال بني اسرائيل والقارئ للقرآن ولكتب أنبيائهم يجد الله تعالى قد دلهم وأعطاهم حكم الصبى على أهله . فأتاهم بالعجائب وفعل بالأمم الظالمة لهم الأفاعيل ، واحتمل صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم الا فعلها ، وهم لا يزيدون الا عنادا ومخالفة عن أمره .

والظاهر أن الأمم — التى طردها الله أمام بني اسرائيل وأورثهم أرضهم وديارهم — كانوا غاية فى الرداءة والعصيان والكفر ، حتى أن بني اسرائيل الذين نعرف حالهم كانوا مختارين من الله عليهم . وقد رأيت فى الكتاب المقدس . أن موسى — على ما أذكر — قال لبني اسرائيل: لا تظنوا أن الله تعالى سيأتى بكم الى الأرض المقدسة بسبب قداستكم وطهارتكم وأنكم أفضل الناس فى طاعته ! كلا فانه انما يطرد الأمم أمامكم لرداءتهم ورجسهم العظيمين .

وقد ذكر الله تعالى بني اسرائيل بما صنعه لهم من الاحسان ، وبآيات التى صنعها فى سبيل اطلاقهم من أسر فرعون وقومه ما نوردته فى هذه الآيات :

**سورة البقرة :** يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [٤٧] وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ [٤٨] وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [٤٩] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ [٥٠] وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ [٥١] ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٥٢] وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [٥٣] وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [٥٤] وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ [٥٥] ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [٥٦] وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [٥٧]

ومنها أيضاً : وَإِذْ أَسْتَشَقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُغْسِدِينَ [٦٠] وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْزِلُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ [٦١]

**سورة الاعراف :** وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [١٤١]

**سورة ابراهيم :** وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [٦] وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [٧] وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ [٨]

## موت هارون ثم موسى

أما هارون فقد أمر موسى أن يذهب هو وهارون الى جبل « هور » فذهبا وهناك مات هارون ودفنه موسى ، وعاد الى بنى اسرائيل وأخبرهم بموت هارون ، ويقول مفسرو القرآن : ان بنى اسرائيل قد شغبوا على موسى واتهموه بقتل هارون الى أن أراهم الله هارون على سرير بين السماء والأرض ليس به أثر للقتل . وأما موسى فقد أمره الله أن يذهب الى جبل « نبو » وأن ينظر الى الأرض المقدسة ولا يدخلها ، وهناك مات موسى ودفن على الفسجة وهى الكثيب الأحمر .

## موقف لبنى إسرائيل بعد موسى

بعد وفاة موسى قام بأمر بنى اسرائيل « يوشع بن نون » من سبط يوسف ومعه بنو اسرائيل وعبروا الى الأرض التى وعدوا بها ، وكان أول بلد ملكوه مدينة « أريحا » وقد أمرهم الله أن يدخلوا باب المدينة حين يدخلونها سجدا أى خاشعين متذللين لله تعالى وأن يقولوا ( حطة ) ولكن القوم عاودتهم سجية مخالفة أمر الله تعالى ، فقالوا قولاً غير الذى أمرهم بأن يقولوه ، ودخلوا وهم على هيئة غير التى أمروا بها ، فغضب الله عليهم وأنزل عليهم العذاب .

ومعنى ( حطة ) حط عنا خطيئتنا أو أمرنا حطة . وليس من البعيد أن يكون هذا اللفظ عبريا ومعناه خطيئة لأن لفظ أخطأ بالعبرية « حطا » بجاء مهملة فطاء تقول « انى خطاتى » أى أنا أخطأت و « آتا خطاتا » أى أنت أخطأت .

ولكن يلزم عليه أن القرآن فيه لفظ غير عربى . وقد جوز بعض العلماء ذلك ومنعه آخرون . ولا مانع من أن يكون هذا اللفظ دخل فى العربية وصار منها .

ويقول البيضاوى : ان المدينة هى بيت المقدس أى « أورشليم » أو « أريحا » . وتعل القول بأنها « أورشليم » الذى دعا أهلها لأن يسموا أحد أبوابها « باب حطة » والقرآن لم يبين المدينة والتوراة لم تذكر المسألة أصلاً .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة البقرة :** وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [٥٨] فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [٥٩]

**سورة الاعراف :** وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ [١٦١] فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ [١٦٢]

### ثناء الله تعالى على موسى وهارون

علمنا من هذه القصة ما كابده موسى وهارون فى معالجة شؤون بنى اسرائيل وسياستهما لذلك الشعب المشاغب . وأن هارون مات فى جبل « هور » وأن موسى مات ودفن فى جبل « نبو » بعد أن أشرف على أرض الموعد . وقد أثنى الله تعالى ثناء طيباً على موسى وهارون لما كابدا من غنت قومهما وشدة مراسهم ، مع ما كانا عليه من الايمان المحض والاخلاص .

اقرأوا الآيات الآتية :

**سورة مريم :** وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا [٥١] وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا [٥٢] وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا [٥٣]

**سورة الصافات :** وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ [١١٤] وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ [١١٥] وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ [١١٦] وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ [١١٧]

وَهَدَيْنَاهَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [١١٨] وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ [١١٩] سَلَامٌ عَلَى مُوسَى  
وَهَارُونَ [١٢٠] إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [١٢١] إِنَّهُمْ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [١٢٢]  
سورة غافر: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ [٥٣] هُدًى وَذِكْرًا  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ [٥٤]

## العظات التي تستفاد من قصة موسى

١ — أن الابتلاء الذي يصاب به الانسان في الدنيا ينبغي أن يقابل بالرضا ؛ فقد يكون  
الخير العظيم في هذا الابتلاء . فهذا موسى قد خرج خائفاً من آل فرعون متبعاً نصيحة ذلك  
الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة ناصحاً له بالابتعاد عن مصر لأن الملائمة يأترون به . فهاجر من  
مصر وكان الخير كله في هجرته ؛ فقد وجد أهلاً بأهل وجيراناً بجيران ، واصطفاه ربه على  
الناس برسالاته وبكلامه وجعله واسطة لا تقاذقومه من فرعون وآله .

٢ — أن المتوكل على الله المعتمد عليه تعالى في أموره يقيض الله تعالى من ينقذه ويهيء له  
من أمره يسيراً ؛ كما قيض ذلك الرجل لموسى فكان سبباً لنجاته أولاً وكان في هذه النجاة أن  
يخصه الله بوحيه .

٣ — أن الشخص المستمسك بالحق لا يبالى بمن خالفه ولو كان عظيماً .  
فهذا موسى قال له فرعون ( انى لأظنك يا موسى مسجوراً ) فقال له موسى في غير مبالاة به  
ولا اكتراث لما هو فيه من أبهة الملك وعز السلطان ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات  
والأرض بصائر وانى لأظنك يا فرعون مشبوراً ) أى هالكا بعد أن حاسنه موسى كل المحاسنة  
وتلطف به كل التلطف ، فلما لم يفد أخشن له القول .

٤ — أن الحق لا يعدم نصيراً . ذلك موسى جاء الى فرعون لينزله عن عرش الربوبية ويدعوه  
الى عبادة الله فاعترم قتله وأمر قومه ، فقام رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم ايمانه ينافح عن  
موسى ويدافع عنه ويحذر فرعون وآله بطش الله ضارباً الأمثال بالأمم الخالية غير مبال  
بمخالفة فرعون .

٥ — أن لذة الايمان اذا تذوقها الانسان ملكت عليه مشاعره واستهان في سبيلها بكل  
عقاب . لذلك آمن السحرة بموسى واله ، غير مباليين بفرعون وما أعد لهم من عذاب .

٦ — أن الصبر على البلوى حميد العاقبة . فهؤلاء بنو اسرائيل ابتلوا فصبروا على الاهانة  
والذل والتسخير وتقتيل الأبناء واستحياء النساء الى أن أعقبهم الله الحسنى كما قال ( وتمت  
كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ) .

٧ - أن موسى كان حليما على بنى اسرائيل رءوفا بهم . فان الله قد غضب عليهم بسبب عبادة العجل وهددهم بالابادة . وكذلك الشيوخ الذين ذهبوا لتقديم توبة الشعب طلبوا رؤية الله تعالى جهلا وعنتا فأخذتهم الصيحة ، فأخذ موسى يتضرع الى الله ويقول « رب لو سئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك ، قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

### استطراد

بمناسبة هذه الآية الكريمة عرض لى أن أسائل نفسى سؤالين . وهما : -

١ - أن التواريخ قد دلت على أن اليهود قد احتلوا جهات من الحجاز ؛ كتيماء ووادى القرى وفدك وخيبر ومدينة يثرب . واتخذوا تلك الأمكنة مقاما وجعلوها دار قرارهم وأثاروها وعمروها وبنوا فيها المصانع والآطام العظيمة والحصون المنيعة . واستقر من قبائلهم هناك : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . فما الذى أزعجهم عن فلسطين تلك الأرض التى اذا تكلموا عنها قالوا انها تفيض لبنا وعسلا ؟

٢ - ولم كان اتجاههم الى تلكم الأرض القليلة الريف وأرض الله واسعة أمامهم ؟ فهذه مصر متاخمة لأرضهم والشام من شمالهم والعراق مهاجرهم الأول . فلم اتجه هؤلاء الناس الى تلك الناحية ؟

١ - أما السؤال الأول فجوابه فيما أعتقد أن بنى اسرائيل انما أزعجهم من فلسطين التى كانوا يحبونها حبا جما . اغارة « طيطس » الرومانى على بلادهم وايقاعه بهم ، وتخريبه بيوتهم المقدس وهيكلهم الذى كانوا يفاخرون به كل الأمم ويباهون بضخامة بنيانه وما فيه من آنية الذهب والفضة ، وذلك سنة ٧١ بعد الميلاد .

٢ - وأما جواب الاستفهام الثانى : فان بنى اسرائيل قد وعدوا بنبى يقوم من بين اخوتهم وهم العرب الاسماعيليون ، وأنه سيكون ظهوره واعلان أمره فى مدينة يثرب . فلما ضاقت أنفسهم مما أنزله بهم الرومان . رجوا أن يأتهم الفرج ويعود لهم العز بمظاهرة هذا النبى الذى وصف لهم فى كتب الأنبياء ، فجاءوا الى مكان ظهوره انتظارا لمقدمه وعلى الطريق بين البلد الذى يظهر منه وبين فلسطين .



جاء في أشعيا (١٠) غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض . أيها المنحدرون في البحر وماؤه والجزائر وسكانها (١١) لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار التي سكنها قidar . لتترنم سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا (١٢) ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر (١٣) الرب كالجبار يخرج كرجل حرب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه ا ه . فسالع هذه التي يدعوها أشعيا للابتهاج ليست سوى « جبل سلع » اذ الوادى الذى به المدينة المنورة يكتنفه جبالان : أحدهما شرقى وهو « جبل أحد » . وثانيهما غربى وهو جبل سلع .

والأغنية الجديدة انما هى الدين الجديد الذى يعلن توحيد الله وافراذه بالعبادة ، ويكون حربا للأصنام التى تعبد من دون الله تعالى كما فى قول أشعيا « ص ٤٢ » قد ارتدوا الى الوراء يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات . القائلون للمسبوكات أتنن آلهتنا .

لم يأت نبي بعد أشعيا كان حربا على الأصنام وعبادتها وأعلن ثورته عليها حتى أبادها من بلاده سوى « محمد » صلى الله عليه وسلم لهذا السبب جاء اليهود الى « يثرب » بلصق « سلع » التى دعاها أشعيا الى الابتهاج بشريعة الله الجديدة والنبي القائم بها .

وقد يكون قد هجس لبعض اليهود أن يكون منهم النبي الذى يقوم من سالع وتبتهج به ، فنزلوا فى تلك الديار رجاء أن يبعث ذلك النبي منهم وتكون لبقيتهم العزة به .

## داود عليه السلام

تمهيد - رجع الكلام الى داود - نعم الله على داود - موقفان لداود - الزبور - هبة سليمان لداود - حكمة داود - ما يتعلق بالفتنة من القرآن - مكان العبرة من قصة داود .

هو كما في انجيل متى : داود بن يسي . بن عوبيد . بن بوغز . بن سلمون . بن نحشون . ابن عمينا داب . بن أرام . بن حصرون . بن فارص . بن يهوذا . بن اسحاق . بن ابراهيم عليه السلام .

ورد اسم داود في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا . في الآية ٢٥١ من سورة البقرة . وفي ١٦٣ من سورة النساء . وفي ٧٨ من سورة المائدة . وفي ٨٤ من سورة الأنعام . وفي ٥٥ من سورة الاسراء . وفي ٧٨ ، ٧٩ من سورة الأنبياء . وفي ١٥ ، ١٦ ، من سورة النمل . وفي ١٠ ، ١٢ ، من سورة سبأ . وفي ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ من سورة ص . وقد آتاه الله النبوة والملك في بني اسرائيل . وقد ذكرت قصته في القرآن مرات كثيرة - تارة مختصرة وتارة مطولة - وكلها يكمل بعضها بعضا وقد طالت مدته في الملك . وله مواقف أيام ملكه وقبله .

والكلام في داود وتلخيص قصته يحتاج الى تمهيد نبدأ به فنقول :

### تمهيد

لما دخل بنو اسرائيل بلاد فلسطين مع يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام وقسم لهم الأرضين قام يرشع بأمرهم الى وفاته . وأقاموا على ذلك ، يقيم لهم أمرهم قضاة منهم ، وليس فيهم ملك ستا وخمسين وثلاثمائة سنة بعد موسى عليه السلام .

وكان بنو اسرائيل في تلك الأثناء عرضة لغزوات الأمم القريبة منهم - كالعمالقة من العرب والمديانيين والفلسطينيين والآراميين وغيرهم - وكانت الأيام دولا بين الفريقين : تارة يغلبهم اليهود وتارة يغلبون اليهود . وكان الأنبياء في ذلك العهد مرشدين لأولئك القضاة والحكام من اليهود وواسطة بينهم وبين الله تعالى . وفي بعض الأحيان يكون النبي قاضيا .

وكان في أواسط المائة الرابعة - في أيام عالي الكاهن - أن العبرانيين دخلوا في حرب مع الفلسطينيين سكان أشدود بالقرب من غزة . وقد أخذ بنو اسرائيل معهم تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه التوراة أى الشريعة ليستنصروا به . فغلبهم الفلسطينيون وأخذوا تابوت العهد ودخلوا به الى بيت « داجون »<sup>(١)</sup> الههم « وهو رأس انسان على جسم سمكة » . وكانت هزيمة بنى اسرائيل عظيمة وذللهم شديدا .

(١) توجد قرية قرب الرملة من بلاد فلسطين اسمها « بيت دجن » اعتقد أنها « بيت داجون » وأن معبد هذا الاله كان بها ، وأن بها كان تابوت العهد الذى لبنى اسرائيل ورد أيام طالوت .

ندع تابوت العهد في بيت داجون مؤقتا ، ونذكر لكم أنه كان من قضاة بنى اسرائيل نبي اسمه صمويل <sup>(١)</sup> قضى لبنى اسرائيل زمنا ، وعين ابنين له للقضاء في احياء اسرائيل فلم يعدلا ، وخاف بنو اسرائيل أن يفسد عليهم الأمر بعد صمويل ، وجاءوا اليه في بلدة الرامة وألحوا عليه في أن يقيم عليهم ملكا منهم ، يأترون بأمره ويقودهم الى قتال أعدائهم الذين أذلّوهم دهرا طويلا ، ويدافع عنهم من يريد الاغارة عليهم . وكان صمويل عالما بعقلية بنى اسرائيل وعاداتهم وما انطوت عليه أنفسهم . فقال لهم ( هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ) « فصل بين عسى وخبره بالشرط » والمعنى أتوقع جينكم عن القتال ان كتب عليكم ، فأجابوه قائلين ( وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ) والمعنى أن دواعي القتال موجودة وهي أن الأعداء أخرجونا من ديارنا وأسرنا أبناءنا . فلا يتأتى منا النكول ونحن على هذه الحال .

وقد جاء في الكتاب الكريم أنهم لما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم . عرفهم صمويل بعد ذلك أن الله قد جعل « طالوت » ملكا عليهم واسمه في سفر صمويل « شاول بن قيس بن أبيئيل بن ضرور بن بكورة بن أفيح » من سبط بنيامين . وكان « شاول » شابا جميلا لم يكن في بنى اسرائيل أحسن منه .

عرفنا أن الشاب « شاول » هو الذي اختاره الله ليكون ملكا لليهود وقد نصت حكاية « شاول » الذي هو « طالوت » في سفر صمويل الأول من الاصحاح الثامن الى الحادى عشر .

وكان من قصته وأمر تمليكه أن ضلت أتن لقيس أبى شاول ، فقال لابنه خذ معك واحدا من الغلمان وفتش على الأتن ، فبحث في أمكنة كثيرة الى أن أتى الى المدينة التى فيها صمويل ، فأشار الغلام على شاول أن يقصد النبی صمويل ليدله على الأتن ، فذهب اليه فالتقى به في وسط المدينة يريد صمويل لقاءه ، فسأله على الأتن فطمأنه وأكرمه اكراما عظيما في ذلك اليوم ، وفي اليوم الثانى صب صمويل الدهن على رأس شاول ومسحه به وقبله وأخبره بما سيصير اليه أمره .

ثم أخذ صمويل في العمل لتعيين من اختاره الله ملكا لليهود أمام الشعب ، وطلب شاول فوجد مختبئا بين الأمتعة . ولما جاءوا به كان أطول الناس فرضى به الشعب وهتفوا له وغضب آخرون . واحتقروه .

وفي القرآن الكريم أن نبينهم لما أخبر بنى اسرائيل أن الله قد بعث لهم طالوت ملكا تدمروا ( وقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فقال لهم نبينهم

(١) رايث قبره على جبل على يمين الذهاب من بيت المقدس الى الرملة . بعد أن يجاوز لفته وابى غوش . وقد قيل انه دفن في الرامة ، ولعل ذلك الموضع يقال له الرامة .

ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء ) وكان شاول طويلا .

وكان مما أخبر به صمويل بنى اسرائيل ، أن آية ملك طالوت أن يأتيهم التابوت الذى أخذ منهم و ( فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون ) أى موسى وهارون على حد قول عمر : لو ضاع عقال بشرط العراق لخشيت أن يسأل الله عنه آل عمر ؛ يريد نفسه ( تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ) .

نعود الى التابوت الذى فى بيت داجون فنقول : ذكر فى سفر صمويل أن الفلسطينيين كانوا يجدون الههم « داجون » ملقى عن مكانه فى كل ليلة وسلط الله عليهم الفيران فأفسدت عليهم حاصلاتهم ، وخرجت لهم البواسير ، وعلموا أن ذلك من وجود التابوت عندهم . فصنعوا تماثيل فيران من ذهب وتماثيل بواسير من ذهب ووضعوها مع التابوت قربانا ، وجاءوا بمجلة جديدة وعلقوا فيها بقرتين مرضعتين ووضعوا التابوت على العجلة وأطلقوا البقرتين ، فجاءتا بالتابوت بدون سائق أو قائد الى قرية « بيت شمس » الى أهل قرية « يعاريم » اليهودية ، فأخذوا التابوت وما معه وأوجدوه فى بيت وخصوا به أحد الكهنة لخدمته ، وكان مكث التابوت عند الفلسطينيين سبعة أشهر ، وأقام فى يعاريم عشرين سنة .

وصعود التابوت من عند الفلسطينيين هو الذى أقامه صمويل آية على ملك طالوت . ومعنى ( تحمله الملائكة ) على هذا أنها كانت تدل بالبقرتين الجارتين للعجلة .

جمع بعد ذلك طالوت الجنود لقتال الفلسطينيين ، وكان شجاعهم وعظيمهم رجل يقال له « جالوت » — أو « جليات » عند العبرانيين — قد هابه الناس وتحاموا حربه لشجاعته وقوته .

وكان فى ذهاب طالوت اليه أن قال لجنوده ( ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده ) فأصاب القوم ظمأ شديدا ، فلما أشرفوا على النهر لم يملكوا أنفسهم أن شربوا منه الا قليلا منهم امتنعوا وصبروا عن الماء وآثروا طاعة الله وكانوا قليلا . فلما جاوز النهر هو والذين آمنوا معه على قلتهم قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده — لأنهم نظروا الى قلتهم وكثرة أعدائهم — فقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله أى المؤمنون بأنهم ملاقوا الله وانما عبر بالظن للإشارة الى أن مجرد الظن كاف للعقل فى العمل لما ينجم عنه لأنه أخذ بالأحوط ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ) وقد كان من حاضرى الحرب داود بن يسى وكان صغيرا يرعى الغنم لا فضل فيه للحرب ولكن أباه أرسله الى اخوته الثلاثة الذين مع طالوت ليأتيه عندهم بما يملئونه عليهم — فرأى جالوت وهو يطلب المبارزة والناس قد تحامته لما ملا أنفسهم من هيئته وتيقن كل مبارز له أنه هالك . فسأل داود قصص الأنبياء

عما يصير لقاتل هذا الفلسطيني فأجيب بأن الملك يغنيه غنى جزيلا ويعطيه ابنته ويجعل بيت أبيه حرا في اسرائيل .

كان داود في ذهابه الى اخوته المحاربين لا يعلم أنه سيحارب ولم يكن قد جرب نفسه في الحرب ولكنه ذهب الى شاول وطلب الاذن بمبارزة جالوت فغن به شاول وحذره . فقال انى قتلت أسدا أخذ شاة من غنم أبى وكان معه دب فقتلته . وألبسه شاول لامة حرب فلم يعرف داود أن يمشى فيها فخلعها وتقدم بعصاه وخمسة أحجار ماس في كنفه <sup>(١)</sup> انتخبها من الوادى ومعه مقلاعه وبعد كلام مع جالوت رماه داود بحجر فثبت في جبهته وأخذ منه السيف وفصل به رأسه عن بدنه وهزم الفلسطينيون ووعد الملك داود أن يزوجه ابنته ميكال وجعله رئيس الجند .

اقرأوا الآيات الآتية :

**سورة البقرة :** أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [٢٤٦] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [٢٤٧] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٢٤٨] فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [٢٤٩] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [٢٥٠] فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ..... [٢٥١]

(١) وعاء يحمل فيه الراعى خبزه ونحوه .

## رجع الكلام إلى داود

بعد هذا التمهيد الذى قدمناه نقول لما هزم داود جالوت ورجاله حسنت حاله عند شاول وصار مقبدا بين رجال الحرب فى بنى اسرائيل ، وعظمت منزلته وزوجه ابنته وانعقدت أواصر المحبة الصادقة بين داود وبين يوناثان ابن شاول.

تغير قلب شاول بعد ذلك على داود لما أحسن من تعلق الشعب به وعظمه فى أعينهم ، فعمل على اهلاكه خشية أن تمتد عينه الى الملك . وكان يوناثان بن شاول يعمل على تحسين مركز داود عند أبيه ويطريه ويشيد باخلاصه فى خدمة الملك ولما اعتزم شاول القتل بدادود أنذرته زوجته ميكال بنت شاول ، فهرب وأوهمتهم أنه على سريريه ولم يكن فوق السرير سوى متاع مغطى وكان داود قد أعطى شاول صداقها مائة غلفة من الفلسطينيين .

وكان شاول حين ولى حرب الفلسطينيين — بعد أن تغيرت نيته فيه — يريد بذلك أن يلى الأعداء قتله ويكفوه أمر داود . ولكن داود كان مظفرا فى حروبه . فلما لم يهلك أحب أن يهلكه بجنده وأعوانه فقاتهم . وكان داود مع علمه بخبث نية شاول عليه لا يقصر فى النكاية بأعداء الملك . ولما أيقن داود أن نية الملك قد صحت على قتله هرب منه . حتى لقد هم شاول أن يظن ابنه يوناثان بالرمح لأنه كان يحاجه فى داود فراغ منه ونجا . فتمت عزيمة داود على الهرب منه وأن يغيب وجهه عنه .

انتهى داود فى هربه الى « أخيش » ملك « جت » وهم أعداء شاول الألداء ولدادود أسوأ النكايات بالقوم فى الحرب . فلما ظفروا به جاءوا به الى الملك وحرضوه على قتله . فتظاهر داود بالجنون . وأوقع الله فى قلب الملك طرد هذا المجنون من حضرته . فأمر غلمانه باطلاقه وإبعاده عنه ففعلوا وقد لامهم الملك على ادخال مجنون الى بيته .

ذهب داود الى مغارة « عدلام » وجاء اليه جميع اخوته وجميع بيت أبيه ، واجتمع اليه كل رجل متضايق وكل مدين . فانتقل الى مصفاة موآب وأرسل أباه وأمه الى ملك موآب ليكونا فى كفالته الى أن يعلم مصير أمره . ثم انتقل بمن معه الى أرض يهوذا .

سمع شاول بدادود ومن اجتمع له من الرجال ، فلام رجاله على عدم اخباره بأمر داود مع ابنه يوناثان أنهما تعاهدا على الصداقة والوفاء . فأغراه أحد رجاله بأنخى مالك بن خيطوب الكاهن وأخبره أنه أعطى داود طعاما وسلحه بسيف جالوت ، وأن الكاهن دعا له بالنجاح . فأتى شاول بالكاهن ولامه فى أمر داود فأتى الكاهن على داود وقال : انه مخلص فى خدمة الملك وقد شاع أمره واشتهر ، وأن الملك لا ينبغى أن يكافئ داود عن الاحسان شرا . فأمر الملك بقتله وقتل الكهنة فقتل منهم خمسة وثمانين ولم ينج منهم سوى طفل يقال له أياثار ابن

خطوب وهرب الى داود وأخبره بكل ما فعل شاول . فرحب داود بأبيائار وأقامه عنده لأن أهل بيته قتلوا بسبيه .

أقام داود في البرية وشاول يطلب الفرصة لاهلاكه ، وعلم داود بكل ما يدبر عليه وقد جمع شاول ثلاثة آلاف للتفتيش عليه والايقاع به ، واختبأ معه بعض رجاله في كهف فجاء شاول ونام في ذلك الكهف وداود ورجاله في داخله ! ولاحت الفرصة لداود في قتله وأغراه رجاله بذلك فوبخهم ولم يفعل ، واقتصر على قطع طرف جبة شاول . ولما استيقظ شاول وخرج من الكهف تبعه داود وأخبره بأنه قد كانت له الفرصة في قتله فلم يمد اليه يدا ، وان آية ذلك أنه قطع طرف جبته وعف عن الحاق الأذى به . فندم شاول وقال : أنت أبر مني .

لم يلبث شاول أن عاوده الخوف على ملكه من داود فألح في طلب اهلاكه وخرج مع رؤساء جنده في جيش لاهلاك داود . فصبر داود حتى نزلوا منزلا ناموا فيه وقد ركز الملك رمحه عند رأسه ونام ، فجاء داود وتخطى الجند ورؤساءهم ، وأخذ الرمح وكوز ماء كان عند رأس الملك ، ووقف على ربوة ونادى رؤساء الجند موبخا لهم على تقصيرهم في حراسة الملك ، فاستيقظوا ودعا داود أحدا منهم يجيء اليه ليأخذ رمح الملك وكوز الماء . وأعلم الملك بأن الفرصة قد سحت له في قتله ولكنه لم يفعل . فأظهر الملك الندم وعاد الملك الى بيته وأقام داود في حصن اتخذه لنفسه .

لما يئس داود من صلاح الحال بينه وبين الملك ذهب الى الفلسطينيين فطلب من ملكهم ان ينزله في احدى القرى يقيم فيها هو ورجاله .

ولعل ملك الفلسطينيين قد رأى الفرصة سانحة لعمل هدنة داود ليكتفى شره . ورأى ذلك خيرا من بقاءه على العدا وودام النكاية بالملك وجنده فأجاب طلب داود .

لم يطل المقام بداود حتى قام شاول لمحاربة الفلسطينيين ، وخرج داود برجاله معهم ، ولكن قادة الجند تخوفوا جانبه وأغروا الملك برده فرده بعد مسير ثلاثة أيام ، وكان الملك به ضنينا . فلما عاد الى المكان الذي فصل منه وجد الفلسطينيين خائفوا الى نساء داود والرجال الذين معه وأولادهم ، فسبواهم ونهبوا كل شيء وأحرقوا القرية التي كان داود نازلا بها وتدعى « صقلع » فجند وراء المغيرين وخلص السبي وأفحش في قتل أولئك القوم وغنم منهم غنائم عظيمة .

أما شاول فلقية الفلسطينيين فانهمز جيشه ، وقتل هو وثلاثة من بنيه ، وهزم رجاله وجلا العبرانيون عن المدن القريبة من الموقعة وسكنها الفلسطينيون .

في أثناء هذه الخطوب مات صمويل — صلوات الله عليه — وقام في بني اسرائيل نبي آخر اسمه جاد . وكان صمويل قد تغير على شاول وابتعد عنه ولم يشأ أن يذهب اليه مع الحاح الملك في الطلب . وقد أخبر داود أن الملك صائر اليه بعد موت شاول .

لم يكن داود يعلم بما تم على شاول وجنده من القتل والهزيمة والتشريد ، حتى جاء اليه غلام عماليقي . وأخبر بما تم على شاول وجنده . وأن شاول كان فيه بقية من رمق بعد سقوطه في الحرب . وعلم أنه مأخوذ لا محالة فطلب الى الغلام العماليقي أن يقتله ففعل ، وأنه أخذ اكليله وسواره وجاء بهما الى داود ، فغضب عليه داود وقتله ، وأقام مأتما على شاول ويوناثان صديقه ورثاهما رثاء عظيما . والظاهر أن شاول كان حسن السياسة وأن مدته كانت مدة رفاغة وهناءة لبني اسرائيل كما تدل عليه مريثة داود .

سعد بعد ذلك داود الى « حبرون » وهي مدينة الخليل اليوم . فجاء رجال يهوذا وأقاموا داود ملكا على بيت يهوذا .

وأما بقية اسرائيل فدانوا بالطاعة « ايشبوشث » بن شاول وقام بأمره رجال أبيه ورؤساء جنده .

وقد حصلت حروب بين رجال داود ورجال ايشبوشث بن شاول الى أن هلك ابن شاول بعد سنتين ، وأقام داود ملكا في حبرون ، وجاء اليه بقية رؤساء اسرائيل وملكوه عليهم ، وأقام في حبرون سبع سنوات . ثم انتقل الى صهيون وهو حصن سماه مدينة داود وكان المقيمون في جبل الموريا من اليوسيين . فأقام داود بجانبهم في صهيون الى أن صارت جميعها لبني اسرائيل .

قام داود في أيام ملكه بحروب كثيرة كان موقفا فيها منصورا على أعدائه واتسع ملكه حتى صار من أيلة — خليج العقبة — وهي المدينة التي على الخليج الى الفرات ، فدانت له تلك البلاد كلها بعد حروب كان الظفر حليفه فيها كلها ، فافتتح بلاد الفلسطينيين وأخذ دمشق عاصمة ملك الآراميين بعد حرب شديدة ، وحارب الأقوام الذين على الفرات ونصر عليهم قبل أن يملك دمشق وما معها .

وقد أحسن داود الى غلام بقي من بيت شاول ورد عليه أملاك أسرته ، ملك داود شرقي الأردن بعد أن حاربه بنو عمون .

## نعم الله على داود

قد ذكر الله تعالى لداود مواقف صالحات وأنه أنعم عليه نعمًا عظيمة فمن ذلك :

١ — أن الله ذكر في الكتاب الكريم أنه سخر الجبال مع داود يسبحن بكرة وعشيا ، وقد دل على ذلك بقوله في سورة سبأ ( ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه والطير ) .

وفي سورة ص ( انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعسى والاشراق ) .

قال البيضاوي في قوله ( أوّبي ) رجّعى في التسييح كلما رجّع فيه اهـ وهذا أمر يدل على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال لعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته .



٢ - تسبيح الطير معه كما تفعل الجبال أيضا - كما تقدم في سورة سبأ .

وفي سورة ص ( والطيور محشورة كل له أبواب ) .

٣ - علم منطق الطير : فقد جاء في سورة النمل ( وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ) .

قال البيضاوي : والضيمير في ( أوتينا - وعلمنا ) له ولأبيه أو له وحده - على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة - ويؤيد - في نظري - أنه يتكلم عنه وعن أبيه :

( أولا ) قوله تعالى : يا جبال أوبي معه والطير ( ثانيا ) قوله تعالى : والطير محشورة كل له أبواب ( ثالثا ) قوله تعالى : وورث سليمان داود اذ الظاهر أنه ورثه في العلم والحكمة .

٤ - الآلة الحديد له كما في قوله تعالى في سورة سبأ ( وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقدر في السرد ) النسيج أو الثقب قال البيضاوي ( ألنا له الحديد ) جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته أو بقوته اه فكان يعمل الدروع المسردة أى ذات الحلق من الحديد بيده معجزة له وأمرأ خارقا للعادة . ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن في ذلك امتنانا من الله عليه اذ كل الناس يعملون كذلك . اللهم الا أن يدعى مدع أن الآلة الحديد لم تكن معروفة قبل داود وأن الله هداه الى هذا الأمر الذي لم يكن معروفا قبله . وهذا ما لاسبيل الى تحقيقه .

٥ - عمله الدروع المركبة من حلق الحديد<sup>(١)</sup> وكانت تعمل صفائح ، فكان هو الذى نسجها من حلق الحديد ، تناط الحلقة بأمثالها الى أن يكمل الدرع ، وهى أخف من الدروع الأخرى وأبعد من مضايقة لابسها ، وهى تقى لابسها من أن تعمل فيه الأسلحة . فهى على لابسها حصن يتنقل بتنقله كما قال تعالى ( وعلمناه صنعة لبوس لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ) .

واعلموا أن الدروع لم تبق لها فائدة حربية بعد اختراع المدافع والبنادق ، فان مقذوفات البنادق تخرقها ، وقد سمعنا أنهم في بعض الأحيان يتخذون الدروع من الحديد المقسى « أى المقوى بالنيكل » فتكون لها قوة لا تخرقها قذائف البنادق ولكنها غالية جدا .

٦ - تشديد ملكه . ذلك أن الله تعالى قواه في الملك وجعله منصورا على أعدائه ، فقد انتصر على جميع مبغضيه . ومناوئيه - قبل الملك وبعده - ومكث دهر لا يقوم له معارض الا غلبه ، ولا يعتدى على ملكه معتد من خارج مملكته في أواخر ملكه . وقال البيضاوي ( شددنا ملكه ) قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود . وقرئ بالتشديد للمبالغة . قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان ، فأوحى الله اليه أن اقتل المدعى عليه . فأعلمه فقال : صدقت انى قتلت أباه وأخذت البقرة . فعظمت بذلك هيئته .

(١) لعل الذى جعله يفكر في عمل الدروع المسرودة ، عدم قدرته على المشى في لامة الحرب التى ألبسه اياها « شاول » يوم برز داود لجالوت - كما تقدم - .

٧ — آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . والمراد بالحكمة : النبوة . وأصل معناها اللغوي وضع كل شيء في محله . أى يقول الانسان القول لا خلل فيه ، وليس فيه موضع لليت أو للو . ويفعل الصواب الذى لا اعتراض لأحد عليه . بل يأتى به الانسان على وجه الكمال .

ومعلوم أن النبوة هى من هذا القليل . ولكن الحكمة بمعنى النبوة تكون هبة من الله تعالى ؛ دون أن تكون نتيجة بحث أو درس . ولكن حكمة غير الأنبياء تكون بعد البحث والدرس ومجاهدة النفس ورياضتها على السير بمقتضى الحكمة فالنبوة طريق الى الحكمة مختصر يختص الله به من اصطفاهم من عباده . وهو الفاعل المختار .

قال البيضاوى فى تفسير ( فصل الخطاب ) فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل . أو الكلام الملخص الذى ينهى المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والحذف والتكرار ونحوها . وانى الى الأول أميل .

٨ — ان الله تعالى أعطاه الزبور كما فى قوله تعالى ( وآتينا داود زبوراً ) وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له ، وبعض أخبار مستقلة كما قال تعالى ( ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) أى أنه تضمن الأخبار بشأن النبى الآتى وهو ( محمد ) صلى الله عليه وسلم وأصحابه — كما فى الزبور الخامس والأربعين .

وكان داود عليه الصلاة والسلام حسن الصوت حسن الانشاد ، حتى أنه الى اليوم مضرب للمثل بحسن الصوت ، فيقال للحسن الصوت : انه أعطى زمماراً من مزامير داود « عليه السلام » والزبور يسمى عند أهل الكتاب « المزامير » وعددها مائة وخمسون زمموراً . وليست كلها لداود بل بعض المزامير منسوبة لقورح أمام المغنين ، وبعضها منسوب الى داود ، وبعضها منسوب للمغنين على السوسن ، وبعضها غير منسوب . والكثير منها منسوب الى داود . وليس فى الزبور أحكام ولا أوامر ولا نواه ، بل كله كما وصفنا . وبعض المزامير ألف بعد داود بمئات السنين . كالزمور أوله « على أنهار بابل » فانه ألف بعد سبى الاسرائيليين الى بابل فى حادثة « بختنصر » .

## موقفان لداود

( الأول ) لا يختص بداود وحده بل يشترك معه ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام . قال المفسرون : ان حرثاً — أى زرعاً أو كرماً — تدلت عناقيده نقشت فيه غنم لغير أهله — أى أكلته ليلاً — فجاء المتحاكمون الى داود وعنده سليمان فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضاً عن حرثه الذى أتلفته الغنم برعيها اياه ليلاً . فقال سليمان — وهو ابن احدى عشرة

سنة — غير هذا أرفق . فأمر بدفع الغنم الى أهل الحرث فيستقعون بألبانها وأولادها وأشعارها .  
والحرث الى أمل الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان .

قال البيضاوى ( والأول ) نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى . ( والثانى ) مثل قول  
الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المعضوب اذا أبى . وحكمه فى شرعنا عند الشافعى : وجوب  
ضمان المتلف بالليل ؛ اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا . وكذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم  
لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته ، فقال « على أهل الأموال حفظها بالنهار ، وعلى أهل  
الدواب حفظها بالليل » وعند أبى حنيفة : لا ضمان الا أن يكون معها حافظ .

( الثانى ) قالوا ان داود جزأ أزمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما لخاصة  
نفسه ، فتصور عليه ملائكة فى صورة الناس فى يوم الخلوة والاحتجاب — والحرس على  
الباب لا يتركون من يدخل عليه — ففرغ منهم فقالوا له لا تخف نحن فوجان مختصمان ( بغى  
بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ) تجر فى الحكم ( واهدنا الى سواء الصراط )  
وهو العدل ( ان هذا أخى ) فى الدين والصحة ( له تسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة )  
وهى الأنثى من الضأن وقد يكنى به عن المرأة ( فقال أكفلنيها ) أى ملكنيها ( وعزنى فى  
الخطاب ) أى غلبنى فى الحجة أو فى خطبة المرأة . فأجاب داود قائلا ( لقد ظلمك بسؤال نعجتك  
الى نعاجه ) منكرا فعل خليطه ومهجنا طمعه ( وان كثيرا من الخطاء لينبغى بعضهم على بعض  
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ) أى قليل وجودهم وكأنه يتعجب لقتلهم ( وظن  
داود أنما فتناه ) ابتليناه بالذنوب وامتحناه بتلك الحكومة ليتنبه ( فاستغفر ربه ) لذنبه ( وخر  
راكعا وأناب ) الى الله بالتوبة . ولعل داود رأى أنه أسرع بالحكم قبل سؤال المدعى عليه ، وعلم  
أنه تجاوز الحق بذلك ( فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ) وهو أحد الآراء التى تحمل عليها الآية  
وهو حسن .

قال البيضاوى : وأقصى ما فى هذه القصة : الاشعار بأنه عليه السلام ود أن يكون له  
ما لغيره ، وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة ؛ فاستغفر وأناب . وما روى أن بصره وقع على  
امراة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان — ان صح — فلعله خطب مخطوبته  
أو استتراه عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم ، وقد واسى الأنصار المهاجرين بمثل هذا .  
وما قيل انه أرسل « أوريا » مرارا الى الحرب وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها ؛ هزه واقترأ .  
ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين .

أقول ان المائة والستين خذا قذف . وكأنه رضى الله عنه أراد أن يحده حد القذف ، والثانى  
تغليظ لأن المقدوف نبى أما مواساة الأنصار للمهاجرين بنحو هذا ؛ فبلغ علمى أن سعد بن الربيع  
عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن فأبى . وحاصل  
ما يفهم من هذه القصة أن داود عليه السلام كان يرى بعض الأشياء عند غيره فيستحسنها ،

وتقع من نفسه موقعا ، ويتمنى لو كانت له . وهذه الأشياء أعم من أن تكون امرأة أو سواها . وهو لا يريد بذلك أن يكون له الشيء الا من وجه حل طبعاً . فأراد الله تعالى أن ينبهه على القناعة بما عنده من أمثال ما يستحسن مما أنعم الله به عليه . فأرسل الملكين بهيئة متخاصمين ، فلما أفتاهما وتحقق بعد ذلك أنهما ملكان ظن أن الله تعالى ابتلاه وأنهما معاتبان في الواقع . وليسا بخصمين ، فاستغفر الله تعالى وأتاب اليه . وأولى منه أن يكون ندم على الحكم قبل سؤال المدعى عليه — كما قدمنا — هذا هو الذى ينبغى المصير اليه وهو اللائق بمقام داود الذى يقول الله تعالى فيه ( نعم العبد انه أواب ) ويقول أيضا ( وان له عندنا لزلقى وحسن مآب ) ويقول أيضا ( وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ) وبعيد من الحكمة أن يكون الحكيم فاسقا قاتلا من غير حق ولا برهان .

بقى أن القول الذى نقلناه عن البيضاوى وفرض صحته ، وهو احتمال أنه خطب على خطبة رجل آخر أو طلب اليه أن ينزل له عن زوجته . وان ذلك كان سائغا عندهم . انما هو قول تلتطف به المسلمون . وأما أهل الكتاب فانهم يقولون : ان داود نظر وهوىمشى على سطح داره الى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها ، وأتى بها واضطجع معها فحملت منه وأعلمته ، وكان زوجها « أوريا الحثي » في الحرب فأتى به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر ، وليحدث الرجل بأمراته عهدا حتى لا يرتاب بأمرها اذا علم فيما بعد أنها حامل ، ولكن الرجل كان تقيا جدا ، فبات بباب داود ولم يزر امرأته . لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتع بزوجه واخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم . فلما علم داود بأمره لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره الا تعريض أوريا لجبهة القتال حاملا الراية ، وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدم ، وبهذه الوسيلة قتل الرجل ، وأتت امرأته بولد من تلك الزنية ! وتزوجها داود . ثم مرض الولد فحزن داود لمرضه حزنا شديدا حتى لا يقدر أحد على تسرية همه . ثم مات الولد . ومن هذه المرأة كان سليمان . وكل هذا منهم كذب وافتراء ! وانى أرد كذبهم بالشهادات الحسنة التى شهدت بها كتبهم لداود .

ففى سفر صمويل الثانى فى الاصحاح الثانى والعشرين يقول داود « يكافئنى الرب حسب برى حسب طهارة يدي يرد على لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى ، لأن جميع أحكامه أمامى فرائضه لا أحيد عنها » .

وهذا السفر يقرون أنه كتب بالهام ، وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم ، ومحال أن يكون الزنا من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته .

وفى الاصحاح الثالث من الملوك الأول « فقال سليمان : انك قد فعلت مع عبدك داود أبى رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك ، فحفظت له هذه الرحمة

العظيمة وأعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذا اليوم» فهل من البر والاستقامة أن يكون زانيا قاتلا؟

وفي الاصحاح السادس من أخبار الأيام الثاني قول الله لداود «ان يكن بنوك طرقهم يحفظون حتى يسيروا في شريعتي كما سرت أنت أمامي» فهل يريد الله لأبناء داود الذين يقويهم ويملكهم أن يكونوا كداود زناة قتلة؟ وهل هذا الوصف مما يكافئ الله عليه بحفظهم وتشديد ملكهم؟ ويكون ذلك حفظا للشريعة؟

وفي سفر الملوك الأول قول الله ليربعام بن ناباط عن سليمان اصحاب ١١ (٣٤) ولا آخذ المملكة من يده لأجل داود عبدى الذى اخترته الذى حفظ وصاياى وفرائضى (٣٨) فاذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت فى طرقى وفعلت ما هو مستقيم فى عينى وحفظت فرائضى ووصاياى كما فعل داود عبدى أكون معك وأبنى لك بيتا آمنا كما بنيت لداود وأعطيك اسرائيل .

وكانت مدة ملك داود أربعين سنة . منها سبعة أعوام وهو ملك فى « حبرون » لسبط يهوذا وحده . ولاسرائيل كلهم : ثلاث وثلاثون سنة ملكا لجميع اليهود فى صهيون . وجعل ابنه سليمان ولى عهده قبل أن يموت ومات وهو شيخ كبير جدا .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة البقرة :** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءُوا مُوسَىٰ إِذْ قَالَوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [٢٤٦] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [٢٤٧] وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٢٤٨] فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً

يَاذُنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [٢٤٩] وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [٢٥٠] فَهَزَمُوهُمْ يَاذُنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ [٢٥١].

## الزبور

ذكر الزبور في الآيتين الآتيتين من القرآن الكريم :

سورة النساء : وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ..... [١٦٣].

سورة الاسراء : وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا [٥٥].

## هبة سليمان لداود

سورة ص : وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٣٠].

## حكمة داود

تسبيح الجبال والطير معه واشتغاله بعمل الدروع

سورة الانبياء : وَداوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ [٧٨] فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّأَ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ [٧٩] وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ [٨٠]

سورة سبأ : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْخَلْدِيدَ [١٠] أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [١١].

سورة ص : أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ [١٧] إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشَى وَالْأَشْرَاقِ [١٨] وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ [١٩] وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخُطَابِ [٢٠].

سورة النمل : وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ [١٥] وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ [١٦].

## ما يتعلق بالفتنة من القرآن

سورة ص : وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ [٢١] إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ [٢٢] إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكُفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ [٢٣] قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نُعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَائِفِ لَيَمْنَعِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ [٢٤] فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآثِبٍ [٢٥] يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ [٢٦] .

## مكان العبرة من قصص داود

أولاً : أن داود عليه السلام اختاره الله تعالى ليفعل العجائب بيده ، ولم يكن من أهل تلك الأفعال لأنه كان غلاماً راعياً للغنم ، فقتل الله تعالى بيده جالوت الجبار الذي تحامته الأبطال ، ولم يقاتله بسيف ولا رمح ، ولم ينزل إليه بدرع ولا ترس ، وإنما قتله بحجر أرسله من المقلاع فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد .

ثانياً : أن الشخص الضعيف لا ينبغي له أن ييأس من النجاح وإحراز أسباب الفلاح ما دام معتصماً بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى .

ثالثاً : أن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء ، بل لم يزد هذا الأمر إلا تواضعاً ، وكان الله يرفعه درجات كلما تواضع وشكر .

رابعاً : أن طاعة الله تعالى وشكر نعمه مما يوجب المزيد منها . فإن الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه ، فألأن له الحديد وعلمه صنعة الدروع المسرودة لتحصن الناس من البأس ، وأنعم عليه بولده سليمان الذي ورثه ملكه وعلمه وحكمته .

## سليمان عليه السلام

في سورة السجدة

ذكر سليمان في القرآن ست عشرة مرة في الآية : ١٠٢ من البقرة ، وفي ١٦٧ من سورة النساء ، وفي ٨٤ من الأنعام ، وفي ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ من الأنبياء ، وفي ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ٤٤ من النمل ، وفي ١٢ من سبأ ، وفي ٣٠ ، ٣٤ من ص . وقد جاء في القرآن كثير من الآيات في نعم الله المترادفة عليه وعلى آبيه ، وهى لا تكون كلها قصة تسرد من أولها الى آخرها ، وانما هى مواقف أنعم الله عليه فيها وأظهر فضله . ونحن أولاء نثبتها هنا .

الأول : أن الله منحه الذكاء واصابة الحكم منذ صباه . تدل على ذلك قصة الحرث الذى نقشت فيه غنم غير أهله ؛ فقد وفق الى الحكم الأقوم ؛ وقد تقدمت . وقد ذكر في القرآن في قوله تعالى ( وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نقشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال ) . وهذه القصة لم تذكر في كتب أهل الكتاب .

الثانى : أن الله تعالى علمه منطق الطير « المنطق والنطق : كل لفظ يعبر عما فى الضمير » والأصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات فى منزلة العبارة « ولا سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه .

قال البيضاوى : ولعل سليمان مهما صوّت حيوان علم قوته الحدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ! ومن ذلك ما حكى أنه مر ببلبل يصوت وترقص فقال يقول « اذا أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء » وصاحت الفاخنة فقال : انها تقول « ليت الخاق لم يخلقوا » فلعل صوت البلبل كان عن شبع وفراغ بال . وصياح الفاخنة عن مقاساة شدة وتألم قلب امه . والذين لهم مراقبة للحيوان والطير يجدون أصواتها تتكيف بكيفيات مختلفة باختلاف حاجاتها ومطالبها . فمواء الهرة المخبوسة غير موائها اذا طلبت السفاد والطعام أو الماء . فلكل صوت كيفيات ونبرات ليست فى الصوت الآخر يفهمه عنها أبناء جنسها . وقد أخبرنى صديقى الشيخ أحمد عمر السكندرى : أن أطفالا ألقوا فى بيته حداة بعد أن عبثوا بها ونهكوا قوتها ورضوا بعض عظامها ، فألقاها أولاده فوق السطح ، فكان يصدر عنها صوت خاص كلما رأت الحدأ ، فكان يحمن عليها وفى كل يوم يلقين اليها بعض الطعام من عظام بها بعض اللحم وأرجل دجاج ونحوه مما يرزقهن الله . وكان أولاده يقدمون لها الماء وبعض الأكل الى أن أبلت وقويت وطارت .



وعلى كل فادراك كل صوت من الطير وما يقصد به لم يكن الالهة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده وقد وهبها سليمان (١) .

اقرأوا قوله تعالى في سورة النمل :

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ [١٥] وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ [١٦]

والمراد بقوله « من كل شيء » كثرة نعم الله تعالى عليه ، ومنها تعليمه كلاما لا يعلمه سواه . وهذه المنحة لم تذكر في كتب أهل الكتاب ، وانما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة ، ولذلك يسمونه سليمان الحكيم ، ولا يلقبونه بالنبي أصلا .

الثالث : تسخير الرياح له يصرفها بأمره كما يصرف الانسان غنانه دابته وكانت تسير وقت الغدوة مسيرة شهر ومثلها في وقت الرواح .

يقول المفسرون : ان سليمان كان له نحو البساط من الخشب له ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت يكون فيها جند سليمان من كل صنف ، وتحت كل ركن ألف جنى يحملون ذلك الشيء الخشبي حتى يرتفع في الجو ، وحينئذ تسير به الريح وكان يخرج من القدس فيقول في اصطخر ، ثم يبيت بخراسان (٢) .

(١) نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم الاحد ٤ مبرابر سنة ١٩٣٧ ما يلي :

« لفظة الطير »

كشف عالم الماني - بعد ملاحظات دقيقة وصبر طويل - أثر لم ينتبه اليه أحد قبله وهو ان الطيور لا تصدح فقط ولكنها تتكلم . ولها على مثال البشر لهجات خاصة . مثال ذلك : ان الشحورور النمساوي لا يفهم لهجة الشحورور البافاري والشحورور الفرنسي لا يفهم لهجة الشحورور الانكليزي .

(٢) نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٣٨ المقالة الآتية :

هل عشروا على أسطول سليمان

الذي يرجع عهده الى ألف سنة قبل المسيح

جاء في سفر الملوك ، أحد أسفار التوراة ما خلاصته :

« وبني الملك سليمان سفنا في « عصيون جابر » التي بجانب أيلة عند شاطئ بحر القلزم في أرض أدوم »

وقد انقضى تسعة وعشرون قرنا على ذلك الحادث .

وفي هذه الأيام جاءت برقية في ١٦ مايو ١٩٣٨ من بلدة نيوهافن بولاية كونكتيكت إحدى الولايات المتحدة ، فحواها : أن الأستاذ « ميلار بوروس » رئيس المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية اذاع أن الدكتور نلسن غلوك مدير فرع تلك المدرسة في بيت المقدس كان على رأس البعثة التي كشفت ثغر عصيون جابر ، وهو ثغر يرتقى عهده الى ثلاثة آلاف سنة .

وأقول : تحريك الريح لأى شىء عظيم ليس ببعيد .

ومسير الريح هذه المسافة شىء ضئيل فى قدرة الله تعالى . ولكن الذى أريد الحصول عليه هو وقوع ذلك بالفعل والدليل عليه . فانى لم أجد ذلك فى القرآن ، ولا أدرى لم ذهب سليمان

= وقال الدكتور غلوك أنه عثر على أدلة تبين أهمية عصيون جابر كمركز تجارى للنحاس ومصنع لإنشاء السفن قبل الميلاد بألف سنة .

### حلم سليمان

ورأى سليمان « يهوه » ربه فى الحلم ، فقال له : « اطلب ما اعطيناك » . فقال الملك الشاب : « يهوه » يا الهى أنك ملكت عبدك مكان داود أبى ، وأنا غلام صغير السن ، لا أعرف أن أخرج وأدخل ، فأجابه الرب : هأنذا قد اعطيتك قلبا حكيما فهما حتى أنه لم يكن قبلك مثلك ولا يقوم بعدك نظيرك ، وأيضا ما لم تسله قد اعطيتك آياه الفنى والمجد » . وغمر السر والاقبال الأمة ومليكيها ، وأصاب ابن داود « الطيبوما » أى الدهاء فى العمل الذى كانت الأمثال تضرب عن رغبة الناس فيها أكثر من رغبتهم فى الحكمة أو المعرفة النظرية . وبما أن الحكمة تجلب الفنى ، فإن الملك شيد القصور وقرى الكروم ، وأنشأ الحدائق فكانت كغردوس الجنان .

وكان وزراؤه يشغلون المناصب على الترتيب التالى : قيم القصر ، ورؤساء الأسباط الاثنا عشر ، ومستشار الدولة فى الأشغال العامة ، وقائد الجيش ، والمستشار الملكى الخاص ، وكانوا يتنافسون فى الاسراف وازهار العظمة ، ومع ذلك الاسراف كان الشعب راتعا فى بحبوحة الرخاء والهناء .

وكان الملك يستقبل فى قصره المشيد بالمرمر على أكمة فى ظلال اشجار النخيل - الوفود الاجانب الذين كانوا يحترمون فضائله ويتهيبون حكمته وأرسل اليه حرام ملك صور الغازا وأحاجى فعلها الا أن الأغاز والأحاجى التى أرسلها اليه الملك سليمان لم يستطع حلها ، ففكر عليه ذلك الأمر ولكنه كان داهية فأرسل اليه سمية حرام رئيس البنائين وشرع حرام هذا فى بناء الهيكل على جبل الموريا وكان العمال يحسدونه على النعمة التى أسبغها عليه الملك سليمان ، فقاموا عليه وقتلوه ، وكان قد ألقى فى قلب سليمان الحكيم حب البناء ، وجعله يعتقد أن تشييد الأبنية الثابتة رمز العظمة ، وأقنعه أيضا بأن ثمة مباني أخرى متنقلة ومصنوعة من خشب الارز تشق العباب وترتاد اقاليم شاسعة مجهولة ، لا تقل فى العظمة عن المباني الثابتة .

وبعد ما فرغ سليمان الملك من تشييد تلك المباني انصرف الى اقتناء الجياد المظهمة ، فكان يجلس كل يوم فى المركبة الحربية ويخرج الى التنزه على مرأى من الشعب ، يحف به فرسان حسان المنظر .

الا أنه ما لبث أن تبرم من ذلك ، وقد خطر له أن يبهز الأبصار بسناء لم يألفوه فتسقط التجار عما يعرفونه من البدائع فى قصور بلاد فارس وكنوز ملوك الهند ، والنباتات النادرة الجميلة التى شاهدوها فى الشرق الأقصى ليجلبها الى « أورشليم » ويزين بها قصوره .

قافلة الكنوز - وأخذ سليمان يعمل فكرته فأتتجت له أن انتصارات اليهود على عماليق وسعير حررت من النهابين البلاد الممتدة من حدود يهوذا الى بلاد أدوم الى أيلة وعصيون جابر ، على شواطئ ذلك البحر الذى سكن هائجة فى غابر الحين أمام الشعب المختار .

ففى ميناء عصيون جابر « ومعناه بالعبرية العمود الفقرى للجبار » عزم سليمان ، بمشورة حرام ، أن ينشئ مصنعا لبناء أسطول عظيم الحول والطول لم يسبق له مثيل ، وسمى ذلك الأسطول باسم « أسطول ترشيش »

الى اصطخر ثم الى خراسان ؟ وليستا من ملكه واذا ذهب زائرا للملوك تلك البلاد فأى داع الى أخذ الجند الذين لا يقل عددهم عن مليونين ؟ وكيف يسمح الملوك لملك زائر بادخال الآلاف المؤلفة من الجند الى ممالكهم ؟ واذا كان سليمان لم يعلم بمملكة سبأ وملكتها حتى هداه الهدهد الى ذلك ! فكيف يترك اليمن التى فى متناول يده ويذهب الى اصطخر ثم الى خراسان ؟ ولم لم يكن ذلك الى مصر ومصر أقرب البلاد اليه ؟ هذا وبعض المفسرين يقدر مسير الرياح بشهر ؛ أى بمسير الذهاب للتنزه بحيث يكون سيره فى اليوم فرسخا أو تسعين ميلا فى الشهر . ولما كان الفرسخ البرى ٤٤٤٤ مترا كان مدى غدوة الرياح فى الشهر ١٣٣٠ و ١٣٣٠ ك وهو مقدار ضئيل .

نعرف أن متوسط سرعة الرياح المعتدلة ما بين ٤٠ الى ٥٠ كيلو مترا فى الساعة . فاذا كانت الغدوة ست ساعات فقط ، وجب أن تكون المسافة نحو ٣٠٠ كيلو مترا فى اليوم غدوا وهو شئ قليل . ولعل الذى حداهم الى ذلك أنهم حسبوا السير المعتدل للابل فوجدوا أنها تقطع فى الشهر  $٣٠ \times ٤٢ = ١٢٦٠$  كيلو مترا . فاذا فرض سير الرياح فى الغدوة ست ساعات ؛ كان ما تقطعه الرياح فى الساعة ١٨٠ كيلو مترا . وهذا انما يكون فى وقت العواصف الشديدة . لذلك عدلوا عن القول بذلك الى كون الشهر بسير الشخص الطالب للتنزه ! وقد فاتهم أن الله تعالى قال :

= وتولى الفينيقيون تدريب العبرانيين فى الملاحة ، فان أولئك البحارة التجار البارعين فى خوض البحار حتى داخل المحيط الذى لا نهاية له علموا الكنعانيين أصول الملاحة . واختص سبطا زبولون ودان من بين الاسباط الاخرى ، باقتناء الزوارق ولذلك كان عندهم رجال تعودوا التمرس بالبحر للصيد ، فقدموا بحارتهم لخدمة الملك سليمان .

واكتمل أول اسطول لاسرائيل فى خلال سنتين ، وحينئذ أخذ يمخر البحر حتى وصل الى مصاب نهر السند ، متحديا فى السير المنهاج الذى كان أهل صور يسرون عليه ، وكان ينقل الى الهند زجاج فينيقية المنقطع النظر والأرجوان ومنسوجات مصرايم وبلسم جلعاد .

وشاهد الكنعانيون بلاد العرب ومصر ونوتيا وبلاد كوش التى تتخذ المرأة فيها ثلاثة أزواج ووصلوا الى بلاد أوفير الفتانة والى مصاب نهر السند . وكانوا يقايضون بالسلع التجارية - النافهة القيمة - التبر الذى يجدونه عند تلك الشعوب .

وعاد الاسطول بعد ما غاب ثلاث سنوات مثقلا بالكنوز التى جلبها من تلك الأصقاع الشاسعة فى عسيون جابر ، ونقل ما جاء به على ظهور الجمال الى بلاد كنعان .

وشاهدت ايبجابل ، واخواتها المنشرحات الصدور والمتحليات بكل ضروب الزينة ، على مثال عروس نشيد الانشاد ، موكبا فخما يدخل اورشليم وكانت القافلة تجلب ٤٢٠ قنطارا من الذهب ومثلها من الفضة ، فدوبها الصاغة وحولوها الى « عيارات » لوزن الحنطة وكان على ظهور تلك الجمال والهجان خلائق غريبة الشكل مغطاة بالشعر لم يكونوا قد شاهدوا أمثالها قبلا ، ولم تكن تلك الخلائق الا القردة بعينها .

ومما زاد دهش العبرانيين تلك الطيور التى تفوق بيهاتها عظمة سليمان وبلاطه ، ولم تكن تلك الطيور الا الطواويس ، وكان فى جملة الأشياء التى جلبوها من الديار السحيقة خشب الصندل فانهم صنعوا منه القياثير للترنم بمدايح الأزلى .

هذا ما تعيده الى الأذهان فى ١٩٣٨ قطع من لعشب وجدوها بين الصحراء والبحر وقد عبثت بها يد الاجيال التى مرت عليها .

( فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ) وفي آية أخرى ( ولسليمان الريح عاصفة تجرى الى الأرض التي باركنا فيها ) أى أن الريح العاصفة تجرى بأمره رخاء ؛ فهي في هذه الحالة تقطع مثل ما تقطعه وهي عاصفة . وبعد هذا ؛ فهل من لوم على من يقول : ان الريح كانت مسخرة لسليمان يصرفها تجرى بأمره رخاء فيأمرها بأن تهب في هذه الناحية لاحتياج أهلها الى الريح الرخاء للانتفاع بها في زرعهم ومعاشهم أو في تزجية السفن تصل الى المرافئ سالمة ؟ وبذلك يندفع ما قد يقال ؛ وما فائدة تسخير الريح اذا لم تحمله وجنوده الى مسافات بعيدة .

لو أن القائلين ببساط سليمان — الذى تحمله الريح — اقتصروا به على عشرة أذرع في مثلها أو عشرين ذراعا في مثلها أو مائة ذراع في مثلها ؛ لكان الأمر معقولا مقبولا . أما وهم يقولون : ان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت فانهم يجعلون له من السعة وترامى الأطراف ما لا يقبله تصور . بل لم يكن في ملك سليمان كله ما يكفى لشغله من الجند — اذ جعلوا به مليوناً من البيوت للجند — فاذا كان بالبيت الواحد جنديان فقط كان به مليونان من الجند . ولا يصح أن يكون قد خلف من الجند أقل منهم لحماية البلاد . فتلك أربعة ملايين . فاذا كانوا عشر السكان وجب أن يكون السكان أربعين مليوناً وهو عدد لا يمكن أن تسكن فلسطين ولبنان وسوريا بنصفه أو بربعه .

ويكون البساط في مساحة أكبر من مائة كيلو متر مربع ، ومحال أن تجد في فلسطين مكاناً مستويا يستقر عليه هذا البساط فضلا عن البلاد التى ينتقل اليها على غير استعداد ! وهذه مدينة بيت المقدس ليس فيها مكان مقداره عشرة أمتار في خمسين يوجد مستويا أصلاً . فأين كان سليمان يسط بساطه ؟

على أن سليمان كانت أسفاره مع جنوده على الأرض لا على متن الريح — كما يقولون — وهذا القرآن الكريم يقص علينا قول النملة حين مر بجنده على وادى النمل اذ قالت ( يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ) وما كان سليمان وجنوده ليحطموا النمل وهم على بساط الريح الذى يزعمون !

ان مملكة سليمان وداود لم تمتد الى أكثر من خليج أيلة وفلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا الى شط القرات فقط .

وهذا المقدار لا يحتاج في السفر الى الشهور بل يحتاج الى أيام ، فما كان في حاجة الى بساط تحمله الريح ولم يكن له من الجند ما يتلاءم مع مقدار البساط ؟ فهذا ابن خلدون يقول : ان مبلغ خيله لم يزد على اثني عشر ألف فرس . ومثل ذلك في كتب الأنبياء .

وعلى كل ؛ فهذا البساط بهذا المقدار انما هو أسطورة تكفل برواجها تبرع الناس بحمل  
م — ٢١ قصص الأنبياء

كل ما للأنبياء صلوات الله عليهم على الغرابة وعدم السير على السنن الطبيعي ! وجههم للتزيد على ما منحهم الله اياه من غرائب المعجزات . ونحن نقر بالمعجزات والعجائب التي منحها الله لأنبيائه مما جاء به نص قطعي الثبوت والدلالة ، ولكننا لا نبذر فيها ولا نسرف . واعلموا أن اثبات معجزة لنبي - لم تكن - كذب عليه يساوي اثمه انكار معجزة ثابتة .  
الرابع : سليمان والصفقات الجياد .

ذكر هذا الموقف في سورة ص في قوله تعالى : ( ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب . اذ عرض عليه بالعشي الصفقات الجياد : فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطقق مسحاً بالسوق والأعناق ) ويقول بعض المفسرين في تفسير هذه الآية : ان سليمان عرض عليه خيل جياد - في وقت العصر - فألهاه ذلك عن صلاة العصر ؛ فغضب لذلك وطلب من الله أن يرد عليه الشمس بعد غروبها ليصلي العصر حاضراً ، فردت ثم غضب على الخيل التي كانت سبباً في فوت الصلاة فقطع أعناقها وسوقها . وان الضمير في قوله ( حتى توارت ) وفي قوله تعالى ( ردوها ) للشمس المفهومة من قوله ( بالعشي ) ومعنى ( أحببت حب الخير عن ذكر ربي ) أنه أحب هذه الخيل معرضاً عن ذكر ربه وهو الصلاة . وهذا التأويل وما تضمنه أراه بعيداً ! بل أراه بعيداً بعد المشرقين !

وانى أترك الفخر الرازي يرد عليه في تفسيره قال : ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقيب قوله تعالى : ( وقالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب ) وأن الكفار لما بلغوا من السفاهة الى هذا الحد قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم . ( اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود . ) وذكر قصة داود ثم ذكر عقبها قصة سليمان : وهذا الكلام لا يكون لائقاً الا بقولنا : ان سليمان عليه السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله وأعرض عن الشهوات واللذات . فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذه المواضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر القصة لائقاً بهذا الموضع ! فثبت أن كتاب الله تعالى ينادى على هذه الأقوال بالرد والافساد والابطال . بل التفسير المطابق للحق ولألفاظ القرآن والصواب : أن نقول ان رباط الخيل كان مندوباً اليه في دينهم كما أنه مندوب اليه في دين محمد صلى الله عليه وسلم . فاحتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها ، وذكر أنه لا يحبها لأمر الدنيا ونصيب النفس وانما يحبها لأمر الله تعالى وطلب تقوية دينه . وهو المراد من قوله ( عن ذكر ربي ) ثم انه عليه السلام أمر باعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب . أى غابت عن بصره . ثم أمر الراضين أن يردوا تلك الخيل اليه ، فلما عادت اليه طقق يمسح سوقها وأعناقها . والغرض من ذلك المسح أمور :

( الأول ) تشريفها وابانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان لدفع العدو .

( الثانى ) أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك متضع الى حيث يباشر أكثر الأمور

بنفسه .

( الثالث ) أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ؟ فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق انطباقا مطابقا موافقا ، ولا يلزمنا نسبة شئ من تلك المنكرات الى سليمان عليه السلام .

ثم قال الرازى : وأنا شديد التعجب من الناس ! كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن النقل والعقل يردانها ؟ وليس لهم فيها شبهة فضلا عن حجة . وقد أطلال الفخر الرازى فى الرد على من يقول خلاف هذا . وهذا الموقف ليس فيه عند أهل الكتاب كلام أصلا .

( الخامس ) فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه (١) .

جاء فى القرآن الكريم فى سورة ص ( ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب .

(١) نقد اللجنة « الموضوع الحادى عشر »

فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه

بعد أن ذكر فى هذه الفتنة ما يقوله أهل الحشو وضعفه ورد عليه كما رد عليه المفسرون قبله وذكر أن الفخر الرازى فى تفسيره أبدى لتفسير الآية الواردة فى هذه الفتنة وجوها وذكر أحسن الوجوه قال ما نصه - صفحة ٣٢٥ سطر ٤ -

أقول وعندى وجه لم يذكره أحد من العلماء ، وهو أن كرسى داود انما هو كرسى سليمان ، لأن داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس على كرسيه . وقد قام « أبشالوم » ابن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسى الذى هو فى الواقع كرسى سليمان ، وهرب منه داود الى شرق الأردن ، وسرح الجيوش لمقاتلته وبأشر أبشالوم الحرب بنفسه فقتل أبشالوم ، اذ مر به بقله تحت بطمة فتعلق فى أغصانها من شعره ، فأتى رئيس الجند « يوب » وقتله ، وعاد سليمان الى كرسيه بعد أن تززع بفعل أخيه أبشالوم وتضرع الى الله وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده .

لا شك فى أن سليمان فى تلك البرهة كان يعتقد اعتقادا جازما - لا شك فيه - أن الكرسى الملكى أفلت من يده ولا راد له سوى الله تعالى فاستغفره تعالى لما قد أسلف من هواجس نفسية - لا يخلو منها من كان مثله فى سن الصبا - من زهو بذلك الكرسى الذى ينتظره ، والملك العريض الذى سيكون بيده صولجانه . فامتحنه الله تعالى بمن اغتصب ذلك الكرسى وتسرب الى نفسه ديب اليأس ، فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا - وهى غير ذنوب - وأناب اليه ضارعا أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فاتاه الله ذلك الملك بعد وفاة أبيه داود الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا . الى أن قال : وأما ما روى أنه عزم على الطواف على سبعمئة أو سبعين من نسائه فى ليلة واحدة ، فتأتى كل واحدة منهن بولد يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ( ان شاء الله ) فعاقبه الله بأنهن لم يحملن كلهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان ، فجاء اليه به وهو على كرسيه ووضع فى حجره ! فبعد اذ قدرة الانسان تعجز عن الطواف بسبعمئة امرأة أو سبعين فى ليلة واحدة واللييلة لا تسع ذلك اصلا مهما قدرت حظا صغيرا لكل امرأة من الزمن . ولم يجعل الله تعالى معجزة الأنبياء فى الفساد وغشيان النساء ومساابقة الحيوان فى هذا الضرب ، ولا يوجد متحد بمثل هذا حتى تتم المعجزة فالمعول عليه ما أوردنا - فيما سبق .

أما قولهم ان السبب فى عدم اتيان النساء بالاولاد عدم قوله ( ان شاء الله ) فعجيب لأن هذه اللفظة لا يقصد بها الا التبعيد لا انجاح المطالب ؛ فقد قال موسى للعبد الصالح ( ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا ) ولم يصبر . اه كلامه .

قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى انك أنت الوهاب ) يقول أهل الجشو ومن لا يبالون بأن يأتوا في تفسير كتاب الله تعالى بكل ما يتخيلون من الحكايات المصطنعة : ان سليمان بلغه خبر مدينة <sup>(١)</sup> اسمها صيدون بجزيرة في البحر ، فخرج اليها بجنوده تحمله

(١) يقول المفسرون عن المدينة انها صيدون . وصيدون هي مدينة سيداء وليست جزيرة ، وانما هي بين بيروت وعكا . وهو لا يحتاج في حربها الى عناء . وقضاره ان يرسل اليها بعض جنده فينال مآربه منها .

#### «راى اللجئة»

والذى نراه انه في هذه الفتنة أبدى وجهها لمذكره احد من العلماء - كما قال - وهو باطل او بعيد . وانكر حديثا صحيحا واستبعد حصول مضمونه .

اما الوجه الذى أبداه فيتوقف أولا : على صحة قصة ابن داود بالكيفية التى ساقها في كتابه ، وثانيا على ان داود اصدر مرسوما ملكيا بولاية العهد لابنه سليمان عليهما السلام ، وان سليمان زها بذلك واخذ العجب ، وان التعدى الذى حصل من أخيه أبشالوم على أبيه داود حتى نحاه عن كرسي مملكته وجلس عليه انما هو انتقام منه ؛ اى من سليمان على هذا الزهو والعجب ، ودون اثبات هذه الأمور خبط القناد . بل نستطيع القول بأن الواقع عدما . اما قصة ولد داود بهذا السياق الذى ذكره في كتابه فلم نعثر له فيها على سلف ، وقد ظننا ان مرجعه فيها التوراة لكثرة اعتماده عليها في أمثال هذه الآراء فراجعناها فوجدنا سياقها في هذه القصة مخالفا لما ذكره .

وانا نذكر عبارة ابن الأثير في تاريخه ثم خلاصة ما في التوراة :

قال ابن الأثير في الجزء الأول ما نصه : وثب عليه ابن له يقال له ايشا وأمه ابنة طالوت ، فدعا الى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزبغ من بنى اسرائيل ، فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه . ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف - لعله يأسره ولا يقتله - وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن داود حزنا شديدا وتكر لذلك القائد ا هـ .

وخلاصته ان ابنه خرج عن طاعته ودعا الى نفسه فوافقه بعض أهل الزبغ فحاربهم داود وهزمهم وقتل ابنه في تلك الحرب . وليس فيه ان داود أخلى كرسي المملكة وهرب فجلس عليه ابنه !

وخلاصة ما ذكر في التوراة في الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر من سفر صموئيل الثانى : ان شخصا اسمه اخيتوفيل أنسار على أبشالوم بن داود بالهجوم على أبيه باثنى عشر ألف رجل ، فاستشار أبشالوم شخصا آخر اسمه حوشاى فقبح له مشورة اخيتوفيل وخوفه من بأس والده وبعد ان ثبت حوشاى عزيمة أبشالوم اخبر داود بهذه المؤامرة بواسطة شخصين ، فقام داود وجمع الشعب وعبروا نهر الاردن فتبعهم أبشالوم ومن معه فتقابل الجيشان واقتتلا وهزم جيش أبشالوم وقتل الخ . ا هـ .

فليس فيها ان أبشالوم ثار على والده ، وان داود هرب وجلس أبشالوم على كرسي المملكة ! واما الأمر الثانى بجميع أنواعه فواضح البطلان ، خصوصا وان سليمان كانت سنه حين وفاة والده ثلاث عشرة سنة - على ما ذكره المفسرون والمؤرخون - ويجوز ان تكون حادثة أخيه مع أبيه قبل وفاة أبيه بمدة ، وحينئذ يكون صغيرا لم يصل الى حد التكليف ، فلا معول على زهوه وعجبه ، على فرض حصوله . على ان مثل هذه الخواطر النفسانية ليس من شأنها ان يترتب عليها مثل هذا الأمر العظيم .

وبعد ذلك ، يحتاج على هذا الراى الى التجوز في اضافة الكرسي اليه وفي التعبير عن أخيه بالجسد وليس في الكلام قرينة عن هذا التجوز ! بل التركيب ينبو عن افادة مثل هذه المعانى .

ولا يجوز مخالفة جميع أئمة التفسير لمثل هذه التكلفات بل التعسفات التى ليس لها أساس .

الرياح فدخلها وقتل ملكها ، وأخذ بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها ، فاصطفاه لنفسه وأسلمت فأحبها وكانت تبكى على أبيها أبدا ، فأمر سليمان فمثل لها صورة أبيها فكستها بمثل كسوته ، وكانت تذهب الى هذه الصورة بكرة وعشيا مع جواريتها يسجدون لها ، فأخبر آصف

== هذا : وقد أبدى المفسرون في هذه الفتنة احتمالات - بعد أن ابطلوا ما يقوله أهل الحشو - اختار منها العلامة أبو السعود وتبعه الألوسي ما ورد في الحديث الصحيح الذي أنكره ، وكذلك اختاره صاحب المواقف وعبرة أبي السعود في تفسيره ( ولقد فتنا سليمان ) أظهر ما قيل في فتنته عليه الصلاة والسلام ما روى مرفوعا أنه قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ( ان شاء الله ) فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون ا ه .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين رواه البخارى - سبع مرات - رواه مسندا ست مرات ومرة واحدة معلقا . ورواه مسلم في كتاب الايمان بطرق متعددة . ثم ان الروايات التى ورد بها هذا الحديث في البخارى ومسلم وغيرهما مختلفة في بيان عدد النساء . ومحصلها ( ستون . وسبعون . وتسعون . وتسع وتسعون . ومائة ) والجمع بين هذه الروايات على ما ذكره الحافظ بن حجر أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سرارى أو بالعكس . وأما السبعون فللمبالغة . وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين . فمن قال تسعون ألفى الكسر ومن قال مائة جبره .

وأما رواية سيعمائة التى ذكرها مؤلف هذا الكتاب فلم نقف لها على أصل . وحيث صح الحديث فلا وجه لاستبعاد ما جاء به من طواف سليمان على هذا العدد من نسائه في ليلة واحدة . على أنه في ذاته ليس ببعيد من مثل سليمان عليه السلام - الذى اعترف مؤلف هذا الكتاب بأن له ألف امرأة - ثم أن للرسل عليهم الصلاة والسلام خصائص في مختلف الاحوال وكلها عند التحقيق ترجع الى الطاعات والقرب ما يعود على رسالتهم من المصالح . فما ينبغى أن يصور طواف سليمان بمثل ما صورته المؤلف ، فانه يشبه كلام المستشرقين في حق النبى صلى الله عليه وسلم بالنظر لتعدد زوجاته وطوافه عليهن في ليلة واحدة !

وأما رده آخر الحديث الشريف بقوله ( وأما قولهم ان السبب في عدم اتيانه بأولاد عدم قوله أن شاء الله فعجيب . . . . . الخ ) فلا ندرى كيف استباح لنفسه مثل هذا الكلام ؟ فقد صح أن هذا القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظه ( وأيم الذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون ) فكان ينبغى له أن يقف موقف المدعى المتفهم لا المتعجب المستشكل !

ثم لا يلزم من اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك في حق سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك في حق كل من استثنى في أمنيته ، بل في الاستثناء رجو الوقوع وفي تركه خشية عدم الوقوع . وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر ( ستجدنى ان شاء الله صابرا ) مع قول الخضر له آخرا ( ذلك تأويل ما لم تسطع عليه ) صبرا . والله أعلم .

رد المؤلف على نقد اللجنة

« الموضوع الحادى عشر »

فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه

نصبت في كتابى جميع ما نقله أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة ولم أزل مصرا عليه . وقد أبدى حضراتهم رأيهم فقالوا « والذي نراه أنه في هذه الفتنة أبدى وجها لم يذكره أحد من العلماء - كما قال - وهو باطل أو بعيد .

أقول : قولهم « وهو باطل » باطل . وقولهم ( أو بعيد ) بعيد .



سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة . ثم خرج وحده الى خلاء وفرش الرماد وجلس عليه تائباً الى الله تعالى ، وكانت له أم ولد يقال لها « أمينة » اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها ، وكان ملك سليمان في خاتمه فوضعه عندها يوماً ، فأثاها الشيطان صاحب

= قالوا « وأنكر حديثنا صحيحاً واستبعد حصول مضمونه » اقول : انى لم أنكر الحديث - كما يقولون - ولكنى وجدته يتعلق بأمر اعتقادى ، وحديث الأحاد كما قدمنا ليس أداة صالحة لاثبات أمر اعتقادى لأن الاعتقادى انما يبنى على اليقين .

قال حضراتهم : أما الوجه الذى أبداه فيتوقف :

أولاً - على صحة قصة ابن داود بالكيفية التى ساقها فى كتابه .

ثانياً - على أن داود أصدر مرسوماً ملكياً بولاية العهد لابنه سليمان عليهما السلام .

ثالثاً - أن سليمان زهى بذلك وأخذ العجب .

رابعاً - أن التعدى الذى حصل من أخيه ابشالوم على أبيه داود - حتى نحاه عن كرسى مملكته وجلس عليه - انما هو انتقام منه أى من سليمان على هذا الزهو والعجب . ثم قالوا بعد ذلك : ودون اثبات هذه الأمور خبط قتاد ، بل نستطيع أن نقول بأن الواقع علمها .

اقول - أولاً - اننى أوردت هذا الوجه الذى ذكرته ، وهو موجود فى كتب اهل الكتاب - كما سيأتى - وهو من الأقوال التى لا يجب تصديقها كما لا يجب تكذيبها وهو وجه محتمل ، وما ذكره فى ابطاله باطل - كما سيأتى .

ثانياً - أطلب من حضراتهم - أولاً - أن يثبتوا لى اثباتاً قاطعاً أن ترشيح أحد الملوك فى ذلك الزمن أحد اولاده للملك لا يكون الا اذا أصدر الملك بذلك مرسوماً ملكياً ، وأن يأتونى فى ذلك بصورة صحيحة لأحد المراسيم خالية من شبهة التصنع والتزوير ، فاذا أبرزوا لى ذلك أبرز لهم صورة صحيحة من المرسوم الذى أصدره داود بولاية العهد لسليمان .

غير انى لا أنتظر أن يفعلوا ما طلبته بل آخذ بأيديهم الى قوله تعالى ( وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفثت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ) .

فالآية الكريمة شاهدة بأن داود عليه السلام كان يحضر ابنه سليمان مجلسه ، ويشركه فى نظر الدعاوى والفصل فى الخصومات أو الحوادث التى تعرض عليه ، وأن سليمان كان يسدى رأيه فى الحكم وانه فى هذه الحادثة كان أبرع رأياً من أبيه داود مع شدة التفاوت فى السن بينهما ، وأن الله فهمه الوجه الأصوب فرجع داود الى الحكم الذى أبداه سليمان .

فاذا لم يكن ما نصه القرآن ترشيحاً للملك فليس فى العالم شئ يعتبر ترشيحاً . وكيف لا ولم يذكر القرآن أن داود كان يحضر أحداً من اولاده - وهم أكبر من سليمان سناً - فى مجلس الحكم ويشاركونه فى الأحكام ؟

ثالثاً - أما كون سليمان تحدثه نفسه بذلك الملك العريض الذى ينتظره ، والكرسى الذى يعد له فأمر طبيعى لا يخلو منه أحد من اولياء العهود ! ولا تعوزنا الشواهد على ذلك فى بنى أمية وبنى العباس وغيرهم ! فأننا لم الجأ فى هذا الأمر الا الى الطبيعة البشرية التى لا تكذب ولا توارى ولا تمارى .

رابعاً - من نظر الى كلامى الذى قدمته - ونقله حضرات أصحاب الفضيلة - وقارنه بما قالوا فى الوجه الرابع رأى كلمتين غريبتين عزوهما الى : أحدهما لفظة ( عجب ) والثانية لفظة ( انتقام ) فأنى لم اكتبهما ولم يكونا فيما نقلوه عنى ، فقد حشروهما فى اقوالى حشراً . وانما قلت « فامتحنه الله بمن اغتصب ذلك الكرسى وتسرب الى نفسه ديب اليأس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوباً ، وهى غير ذنوب » .

البحر على صورة سليمان ، وقال : يا أمينة خاتمي ! فتختم به وجلس على كرسي سليمان فأتى عليه الطير والانس والجن وتغيرت هيئة سليمان ، فأتى أمينة يطلب الخاتم فأنكرته وطردته ، فعرف أن الخطيئة قد أدركته ؛ فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال « أنا سليمان » ؟

= وقولى : فامتحنه الله تعالى ... الى آخره ؛ مرده قوله تعالى ( ولقد فتننا سليمان ... الخ ) وهذا الوجه مرتب على ما قبله من مسامرة الطبيعة البشرية في أولياء العهد - وبذلك انهار قول حضراتهم « ودون ذلك خُرت القتاد » ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

أخذ حضرات الافاضل بعد ذلك يتكلمون من قصة ولد داود ، ويعجبني قول حضراتهم « اما قصة ولد داود بهذا السياق الذى ذكره في كتابه فلم نعر له فيها على سلف » كأنهم لم يقفوا على قولى من قبل « وعندى وجه لم يذكره احد من العلماء » ولم يعلموا أنه لو كان لى فيه سلف لم أقل هذا القول ؟

عطفوا على ما ذكره ابن الأثير ولم يروا فيه ما يقنعهم ، غير انى أقول انهم رأوا فيه عناصر الثورة التى قلت عنها . فلينظر القارئ الى قول ابن الأثير « ووثب عليه ابن له » أليس هذا يدل على الثورة ؟ وقوله « فدعا الى نفسه فكثر اتباعه من أهل الزيف من بنى اسرائيل » وقوله « فحارب ابنه حتى هزمه » فأى شيء ادل على الثورة من ذلك ؟ عمد حضراتهم الى الاصحابين السابع عشر والثامن عشر من سفر صمويل الثانى فخصوهما ثم قالوا انهم لم يروا فيهما ما قلته !

أقول : كنت اود من أصحاب الفضلة ان يكونوا حاصلين على قسط أوفى من الشجاعة الادبية ، فيلخصوا الاصحابين المذكورين تلخيصا تكتنفه الامانة فى النقل - يأتى على عناصر الموضوع ولو كان ضد ما قدروا - وهذا هو اللائق بأقدار علماء الاسلام وهذه الأنام ، ولكنهم لخصوا الاصحابين تلخيصا مخدجا وأبرزوا للنظرين مسيخا من القول لا يحلى ولا يمر . ومع ذلك لم تنزل فى ذلك التلخيص آثار تدل على صحة ما قلت . ومثال ذلك قولهم « فقام داود وجمع الشعب وعبروا نهر الأردن فتبعهم أبشالوم » وهذا عين قولى . « وقد قام أبشالوم بن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسي - الذى هو كرسي سليمان - وهرب منه داود الى شرق الأردن »

فهل مع اعتراف حضراتهم : بأن داود جمع الشعب وعبر الأردن وتبعهم أبشالوم . يقال انه لا ثورة ولا انتزاع ملك ! وان ملك داود كان مع كل ذلك فى أمان واطمئنان ؟

وها أنا ألخص القصة من أولها تلخيصا صحيحا من أول « ص ١٥ : صمويل الثانى » .

كان أبشالوم بن داود يقف بجانب طريق الباب ، وكل صاحب دعوى آت الى الملك بدعوه ويقول له « ليس من يسمع لك من قبل الملك » ويتمنى يجعله قاضيا على كل الأرض لينصف المظلومين ، وكل من أراد أن يسجد له يمسكه ويقبله . فاسترق قلوب رجال بنى اسرائيل . وفى نهاية أربعين سنة استأذن أبشالوم أباه ليذهب الى حبرون ليوفى بنذر نذره ، وأرسل جواسيس فى جميع أسباط بنى اسرائيل قائلا اذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك أبشالوم فى حبرون ، وكانت الفتنة شديدة والشعب يتزايد مع أبشالوم ، وأخبروا داود أن قلوب رجال اسرائيل سارت وراء أبشالوم . فقال داود لجميع عبيده الذين كانوا معه فى اورشليم : قوموا بنا نهرب لانه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم . فعبر الملك ورجاله وأهل بيته والذين لحقوا به وكانت جميع الأرض تبكى بصوت عظيم ، وأخرج اللاويون التابوت فقال الملك لصادوق « ارجع تابوت الله الى المدينة فان وجدت نعمة فى عيني الرب فانه يرجعنى ويرينى اياه ومسكنه » وصعد داود فى مصعد جبل الزيتون حافيا باكيا مغطى الرأس ، وكذلك الذين معه ، وفى الطريق جاءه حوشاى الأركى باكيا فأمره داود بأن يكون مع أبشالوم ويتودد اليه ويظهر له الاخلاص ، ويشير عليه بما يبطل مشورة اخيتوفل . وأمره بالاتحاد مع أناس من خلاء داود ورتب من يرسلونهم لآخباره بكل جليل ودقيق . وكان بعض إعداء داود يظهرون =

حشوا عليه التراب وسبوه . ثم أخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطوه كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحال أربعين يوما — عدد ما عبد الوثن في بيته — فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان ! وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل

== الشماتة به ويسبونه ، وأراد بعض اتباعه أن يقتل الرجل البنياميني الذي يسبه ، فصرفه عنه بلطف وقال له : ان الله أمره أن يسبني ، وإذا كان ابني يطلب نفسي فكم بالحرى بنياميني . ورجا أن ينظر الله اليه نظر رحمة ويرثي لذلك ويكافئه عوضا عن مسبته .

وأما أبشالوم وجميع الشعب فأتوا الى اورشليم ومعهم أخيتوفل مستشاره ، وجاء حوشاي الأركي وصار يرفأ أبشالوم بطيب القول ، ويعدده الاخلاص لأن الشعب قد اختاره ، والرب اختاره كذلك ، حتى وثق به .

« وهناك أترك عملا شائنا — ذكر أن أبشالوم عمله — فلا اذكره » .

ثم أشار أخيتوفل على أبشالوم أن يعطيه اثني عشر ألف جندي ليبيت بهم داود والذين معه ، ويضرب داود وحده منتهزا فرصة اعياء داود والذين معه ، فأبطل حوشاي هذه المشورة وأشار عليه بجمع الجموع الكثيرة ويحيطوا بداود حيث كان ، وأرسل سرا رسولين الى داود ألا يبيت في البرية . فذهب الرسولان بعد خطوب الى داود وأعلماه وأشارا عليه بعبور الأردن فعبره ، وكتب أبشالوم الكتاب وسار في أثر والده وعبر الأردن أيضا ، ونزل أبشالوم وإسرائيل في أرض كلعاد . وأرسل داود قواده وأوصاهم أن يحققوا دم ولده أبشالوم ، وأراد الخروج معهم فلم يرضوا . والتقوا في وعر « أفرام » وكانت مقتلة عظيمة . وهزم شعب إسرائيل أمام عبيد داود ، وكان أبشالوم راكبا بغلا فدخل به البغل تحت شجرة بطمة ملتفة ، فتعلق بأغصانها من شعره وممر البغل من تحته وبقي هو معلقا بين السماء والأرض فجاء « يواب » رئيس الجيش ورمى أبشالوم بالسهم وأمر غلماناه بقتله . وانتهت هذه الفتنة » .

فالقارئ الكريم يرى حضرات أصحاب الفضيلة قد أنكروا أنهم رأوا في « سفر صمويل الثاني » أثرا للحادثة على النمط الذي وصفت . ولخصوها تلخيصا مشوها !

فهل كانوا يظنون — أن داود عبر الأردن وتبعه أبشالوم — أن داود ذهب الى مدينته اورشليم حيث مقر الملك وكرسى الملك ؟ ان بين اورشليم وبين الأردن مسافة اذا لم تبلغ مائة كيلو مترا فهي لا تقل عن ثمانين . وقد قطعها بالسيارة في مسافة تزيد عن ساعتين في طريق ملتوية ذات اليمين وذات الشمال صاعدة هابطة ، والأردن والبحر الميت يكون منخفضا عن سطح البحر الملح بما لا يقل عن أربعمائة متر . وإنى لأسف كل الأسف لظهورهم في هذا التقرير بهذا المظهر الذي لا يمتناه أحد لنفسه .

قال حضرات أصحاب الفضيلة : وبعد ذلك يحتاج على هذا الرأي الى التجوز في اضافة الكرسي اليه .

أقول : نعم ! ومجاز الاول لم يبطل من علم البيان ، وقديما قال صاحب يوسف في السجن ( اني اراني أعصر خمرا ) أى غنبا يؤول أمره الى أن يكون خمرا . فهذه كذلك ، ولا حرج في هذا الاستعمال . اما القرينة على ذلك ؛ فان أخاه أبشالوم — الذي صار جسدا هامدا — قد ألقى على الكرسي الذي يؤول الى سليمان ، وداود حتى يرزق وسليمان لم يصير مالكا له .

قالوا « ولا يجوز مخالفة جميع أئمة التفسير » أقول قد ذهب على حضراتهم اني قررت وجهاتي به العلامة الفخر انرازي . فلم أخالف الجميع الا في هذا الوجه . ثم أقول : أى نص قطعي يلزمني بأننى لا أفكر ولا أفهم القرآن الا بفكر المفسرين ؟ اللهم ! الا الطريقة الكهنوتية التى عليها أنشئت محكمة التفتيش البابوية . فليتنق الله حضرات أعضاء اللجنة في الاسلام فما جاء لمثل هذه الأغلال ، وما أنزل الله ==

من جنابة ! وقيل بل قد نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان ، فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه ، وأخذ ذلك الشيطان وأدخله في صخرة وألقاه في البحر .

= تعالى القرآن ومعه الكبول التي تكبل بها العقول ، بل جاء محارباً للحجر على العقول وأمر باطلاقتها من كل أسر وقيد .

قال حضراتهم « ويجوز أن تكون حادثة أخيه مع أبيه قبل وفاة أبيه بمدة وحينئذ يكون صغيراً لم يصل الى حد التكليف ... الخ » أقول : ان عبارة صمويل الثاني أن ذلك كان في السنة الأربعين . أي في آخر ملك داود وبذلك سقط ما فرضوه

وأما قول حضراتهم « لمثل هذه التكاليف بل التعسفات التي ليس لها أساس » فأمر قد وجدته عم حتى هان وخشن حتى لان ، والفته النفس حتى لو غاب لطلبته ، وقد استقر في الاعتقاد أن هذا الضرب من التحيات المباركة خير بضاعة تحويها العياب ويضمها الوطاب .

نص أصحاب الفضيلة الحديث الذي ذكر فيه « أن سليمان قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ... الخ » وهذا الحديث لا أنكر أنه موجود . وهو يقرر أمراً خارقاً للعادة يريد حضرات أعضاء اللجنة أن أقول به واعتقده ، وهو أن سليمان عليه السلام طاف على سبعين أو مائة من نسائه في ليلة واحدة والخبر الذي يكون رواية أحاد لا يقبل في أمر اعتقادي ولا في إثبات معجزة لنبي . لذلك لم أتعرض له ، لأن خوارق العادات إنما تثبت عند الإنسان بالمشاهدة أو بنص قطعي الثبوت والدلالة ، ولم يوجد ولا يوجد نص يلزمني بأن اعتبر هذا الوجه . وقد أورد المفسرون كثيراً من الآراء والاحتمالات سوى هذا واختاروا غيره ، فلم نر أحداً في زمن من الأزمان في الثلاثة عشر قرناً الماضية قد جمع لجنة لتحاكم آراءهم أو تبطل ما عداه من الآراء والأقوال ! فماذا على إذا اخترت غير هذا الرأي أو أبديت فيه رأياً لي فهمته وملت إليه ؟!

أما قولهم بأنهم لم يقفوا على القول « بأنه قال لأطوفن على سبعمائة » فلمهم الحق في ذلك . لاني أردت أنه قال لأطوفن على ألف امرأة فخان القلم في ثلاثمائة امرأة وجعلها سبعمائة ، ذلك اني عنيت ما رواه الحافظ بن كثير في « البداية والنهاية ص ٢٩ ج ٢ » ونصه :

قال اسحق بن بشر : انبأنا مقاتل عن أبي الزناد وابن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن سليمان بن داود كان له أربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يوماً : لأطوفن الليلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله - ولم يستثن - فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن الا امرأة واحدة منهن جاءت بشق انسان ... الى آخر الحديث . فأنا اعترف لحضراتهم بهذا الخطأ .

جاء بعد ذلك في أقوال حضراتهم في هذا الباب عبارات هي مما حركات لفظية لا طائل تحتها ولا فائدة منها .

وقصاري القول أن الوجه الذي جاءوا به - واختاره أبو السعود وتبعه الألوسي وجعلوا مستندهم فيه الحديث - يشتمل على خارق للعادة ولم يرد به نص قطعي الثبوت والدلالة . واحاديث الأحاد لا تصلح حجة عليه . وأنا لم أزل أقول باستبعاده ، ولو أيقنت أنه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لي أن أماحل فيه ، ولكنه رواية ظنية لا يثبت بها أمر يحتاج فيه اليقين . وعلى ذلك فاعتراضهم على ما في كتابي ساقط لا يعول عليه الا في نقطة واحدة وهي لفظة « سبعمائة » فالواجب أن يحل محله لفظ « ألف » .

وقبل أن ألقى القلم من يدي أنقل لحضراتهم ما نصه الحافظ ابن كثير « في صفحة ٢٩ ج ٢ من تاريخه الموسوم بالبداية والنهاية » عند كلامه على فتنة سليمان وهو « ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثاراً كثيرة من جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلفة من الاسرائيليات ، وفي كثير منها نكارة شديدة . وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير واقتصرنا هنأ على مجرد التلاوة » .

ولهم رواية ثانية : وهى أن تلك المرأة لما أقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان . وكان الخاتم يسقط من يده ولا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك فتب الى الله . ولهم رواية ثالثة : وهى أن سليمان قال لبعض الشياطين : كيف تفتنون الناس ؟ فقال : أرنى خاتمك أخبرك ، فأعطاه إياه فنبذه فى البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه . ثم يسوقون الحكاية بتمامها كما فى الرواية الأولى . ففتنة سليمان ابتلاؤه . والقاء الجسد على كرسيه هو جلوس الشيطان عليه وفقاذ أمره فى الرعية والملك : ولهم قول رابع وهو أن سليمان احتجب ثلاثة أيام عن الناس فسلم الملك وجلس الشيطان على كرسيه عقوبة له .

هذه أقوال لم يرد بها قرآن ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنطبق على عقل ولا على حكمة فهى حرية بالرد وقد رد عليها العلماء بوجوه .

الأول : أن الشيطان لو قدر على التشبه فى الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شئ من الشرائع ، ففعل هؤلاء الذين رأهم الناس فى صورة محمد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ما كانوا أولئك . بل كانوا شياطين تشبهوا بهم فى الصورة لأجل اغواء الناس واضلالهم ؛ ولما كان ذلك باطلا لأنه يؤدى الى ابطال الدين بالكلية كان ما أدى اليه باطلا بالكلية .

الثانى : لو قدر على سليمان يعامله هذه المعاملة لتقدر على مثلها من العلماء والزهاد فيقتلهم ويمزق كتبهم ويمحوها ويثبت فيها شيئا آخر ، ولما كان المشاهد خلاف ذلك وأنه لم يقدر من أحد منهم على هذا ؛ فوجب أن يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى .

الثالث : لو قلنا ان المرأة عبدت صورة أبيها ؛ فلا يخلو الأمر اما أن يكون ذلك بأمر سليمان وحينئذ يكون كافرا وهو محال ، واما أن يكون بدون أمره وعلمه وحينئذ لا جريرة صدرت منه ولا عقاب عليه .

الرابع : يقولون ان الشيطان لما جلس على كرسى سليمان اجتمعت عليه الطير والانس والجن . وقائل هذا فى غفلة عما جاء فى الكتاب الكريم من أن تسخير الجن لسليمان انما كان بعد الفتنة لا قبلها بدليل قوله تعالى : ( ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب . قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص ) .

وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره وجوها لتفسير هذه الآية : أحسنها أن سليمان ابتلى بمرض شديد ضنى منه حتى صار لشدة المرض كأنه جسد أو جسم بلا روح ( ثم أناب ) أى رجع الى حالة الصحة .

أقول : وعندى وجه لم يذكره أحد من العلماء . وهو أن كرسى داود انما هو كرسى سليمان . لأن داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس على كرسيه : وقد قام أشالوم بن داود وثار

على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسي — الذى هو فى الواقع كرسي سليمان — وهرب منه داود الى شرق الأردن . وسرح الجيوش لمقاتلته وباشر أبشالوم الحرب بنفسه ، فقتل أبشالوم اذ مر به بغله تحت بطمة فتعلق فى أغصانها من شعره ، فأتى رئيس الجند يوآب وقتله . وعاد سليمان الى كرسيه بعد أن تززع بفعل أخيه أبشالوم . وتضرع الى الله وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده .

لا شك فى أن سليمان فى تلك البرهة كان يعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه : أن الكرسي الملكى أفلت من يده ولا راد له سوى الله تعالى ، فاستغفره تعالى لما قد أسلف من هواجس نفسية لا يخلو منها من كان مثله فى سن الصبا من زهو بذلك الكرسي الذى ينتظره ، والملك المريض الذى سيكون بيده صولجانه ، فامتحنه الله تعالى بمن اغتصب ذلك الكرسي وتسرب الى نفسه ديبب اليأس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا وهى غير ذنوب ، وأتاب اليه ضارعا أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فأثاه الله ذلك الملك بعد وفاة أبيه داود الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا ، وسخر لسليمان ما سخر من الجن والانس والطير والرياح التى تجرى بأمره . وكل ما يدعى خلاف ذلك فلا يخلو من أن يكون هاجس نفس أو جموح خيال . وقد علمتم رأيى فى الوجه الذى أتى به الفخر الرازى .

وأما ما روى أنه عزم على الطواف على سبعمائة أو سبعين من نسائه فى ليلة واحدة ، فتأتى كل واحدة منهن بولد يجاهد فى سبيل الله . ولم يقل « ان شاء الله » فعاقبه الله بأنهن لم يحملن كلهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان ؛ فجىء اليه به — وهو على كرسيه ووضع فى حجره — فبعيد ؛ اذ قدرة الانسان تعجز عن الطواف بسبعمائة امرأة أو سبعين فى ليلة واحدة ، والليلة لا تسع ذلك أصلا مهما قدرت حظا صغيرا لكل امرأة من الزمن . ولم يجعل الله تعالى معجزة الأنبياء فى السفاد وغشيان النساء ومسابقة الحيوان فى هذا الضرب . ولا يوجد متحد بمثل هذا حتى تتم المعجزة . فالمعول عليه ما أوردنا فيما سبق .

أما قولهم ان السبب فى عدم اتيان النساء بأولاد عدم قوله « ان شاء الله » فعجيب ؛ لأن هذه اللفظة لا يقصد بها الا التعبد لا انجاح المطالب فقد قال موسى للعبد الصالح ( ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ) ولم يصبر .

## السادس — رسالة عين القطر لسليمان عليه السلام

ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم أنه أسال عين القطر لسليمان ، وذلك فى معرض تعداد النعم التى أنعم الله بها عليه — والقطر : هو النحاس المذاب — ونحن نعلم أن سليمان كان رجل عمارة وبناء للمصانع العظيمة ، ويكفيه فخرا أنه بنى الهيكل وما حوله من المباني العظيمة الضخمة بالحجارة العظيمة ، التى لا يفوقها سوى حجارة قليلة ، فى البناء المعروف اليوم بقلعة بعلبك ،

وبعض المباني المصرية . فهو يحتاج الى القطر في معالجة توثيق المباني ، فأسال الله تعالى له العين نحاساً تقذفه مذاباً . وسبب ذوبانه أن الأرض التي فتحت فيها العين مصطهرة بالنار ، فالنحاس المختلط بصخور تلك الأرض يصهر ويقذف من فوهة تلك العين سائلاً . فيأتي عمال سليمان ويأخذونه للانتفاع به في الصناعات ونحوها مما يحتاج اليه سليمان .

قد يقول بعض الناس : ان سليمان كان أول من صهر النحاس وأنسأله ، وأن الله لم يسأل له عينا من الأرض .

والذي أقوله اني أسلم بذلك متى علم علما صحيحا أن القطر لم يوجد قبل سليمان ؟ وعلى كل فقد من الله تعالى عليه وهداه الى ما لم يهتد اليه أحد قبله . والتوراة خالية من هذا .

### السابع - تسخير الجن لسليمان

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بأنه سخر الجن لسليمان اذ قال . ( ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ) وقال بعد أن ذكر تسخير الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ( والشياطين كل بناء وغواص ) وقال أيضا ( وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون ) .

فهذا كله دل على أن الله تعالى سخر لسليمان الجن تطيعه وينفذ أمره فيهم ، ويعملون له ما يشاء من ضخم المباني والعمائر والتماثيل « وكانت التماثيل يجوز صنعها عندهم » والقدرور الراسيات والجفان التي كأنها الحياض لسعتها .

وقد ذكر « في سفر الملوك الأول ص ٩ » العمائر التي قام بعملها سليمان وهي (١) بيت الرب « وهذا البيت وتوابعه كان يقع على مساحة تقدر بما يقرب من ستين فداناً ، كما شاهدت رقعته بنفسى » (٢) وبيت الملك (٣) وسور أورشليم (٤) وحاصور (٥) ومجدو (٦) وجازر (٧) وبيت حورون السفلى (٨) وبعله (٩) وتدمر في البرية . كل ذلك عدا المخازن ، ومدن المركبات ومدن الفرسان وما بناه في لبنان وغيرها من سائر مملكته ، وسخر في ذلك بقايا الشعوب الذين كانوا في فلسطين ولم يبدلهم الاسرائيليون . ولم يكن من الشعب الاسرائيلي مسخر ، وكان رؤساء المسخرين خمسمائة وخمسين رئيساً .

ومن نظر الى هذه الأعمال وفخامتها وضخامة أحجارها لم يستبعد أن يكون للجن عمل عظيم في ذلك ، وبخاصة « تدمر » . وبعض آثارها الضخمة ماثل اليوم .

وقد ذكر النابغة الذبياني تسخير الجن لسليمان في شعره الذي يعتذر به الى النعمان اذ يقول :

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه      ولا أحاشى من الأقوام من أحد  
الا سليمان اذ قال الاله له      قم في البرية فاحدها عن القند  
وخيس الجن انى قد أذنت لهم      ينون تدمر بالصفاح والعمد  
هذا ؛ والكتابات التى على مباني تدمر - المائلة اليوم - تدل على أنها هياكل لعبادة  
الكواكب . والكتابة رومانية . غير أنه لا مانع من أن تكون المدينة بنيت في عهد سليمان : فلما  
جاء الرومان حولوا بعض مبانيها الى هياكل وكتبوا عليها ما كتبوا . وليس من شأنى أن أقطع  
في شيء من ذلك فان علماء الآثار أملوا بذلك .

قال البيضاوى : روى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه ، فاذا أراد أن  
يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما . ويصنعون له القدور  
الراسيات على أنافئها لا تحرك لعظمها وثقلها ، والجفان كالجوابى ؛ أى الحياض الكبيرة . وقد  
كان بناء الهيكل وما معه في سبع سنوات فقط ، وهو زمن يسير بالنسبة لعظمه .

### الثامن - سليمان وملكة سبأ

دلت الآيات في القرآن الكريم على أن سليمان كان يفهم ما تريده الطير بأصواتها اذا صوتت ،  
وفيهما ما في نفسه ويحاورها : وكانت مسخرة بأمره يأمرها فتأتمر ويستعملها في بعض مهماته :  
فمن ذلك أنه تفقد الطير يوما فلم يجد الهدهد : فعذ ذلك جريمة اقترفها وتهدهده بالذبح أو  
التعذيب الا اذا أتاه بعذر بين أوجب هذا التخلف : فلما جاء الهدهد سأل عن غيبته فأخبره أنه  
كان في سبأ من بلاد اليمن : ويخبره بملك عظيم وملكة تملك على تلك الأمة : وأنهم صابئة  
وثنيون يعبدون الشمس من دون الله وأن لملكهم عرشا عظيما فيه أنواع الزينة والجواهر .  
أراد سليمان أن يختبر الهدهد : صادق في خبره أم كاذب ؟ فأعطاه كتابا ليوصله الى الملكة .  
فذهب الهدهد بالكتاب وألقاه على سريرها ؛ فأخذته فاذا به ( انه سليمان وانه بسم الله الرحمن  
الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين ) .

لم ترد الملكة أن تستبد باجابة فجمعت رجال دولتها وأهل مشورتها من الأقيال وغيرهم ،  
وأعلمتهم على الكتاب . فأخذتهم العزة واثارت فيهم الحماسة وقالوا لها ( نحن أولو قوة وأولو  
بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين ) .

كانت الملكة عاقلة فنظرت في الأمر بعين الفطنة . ولم تغتر بما أبداه رجالها من الحماسة -  
وقالت لهم ، ان دخول الملوك الى المدن ليس من الهنات الهيئات وأثره ليس بالسهل على أهلها . فانهم  
( اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ) وعرضت عليهم رأيا آخر وجدته أقرب  
الى حل هذه الأزمة التى أتتها من حيث لا تحتسب . ذلك أن ترسل الى سليمان بهدية  
تصانعه بها وتستنزل مودته بسببها : ثم تنظر ماذا يرجع به رسلها الى سليمان .



ظاهر أنها كانت تريد من ارسال الهدية أن يقف رسلها على أحوال هذا الملك الذى أرسل يتهددها على غير جريرة ، ويطلب حضورها اليه خاضعة بلا تردد . ثم يعودون اليها بالتقرير الوافى عن حقيقته : وقوته فى ملكه ، ومبلغ ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة اذا لم تخضع لأمره لتكون على بينة مما تأتى وتدع ، وتكون على رأس أمرها . حتى اذا فعلت أمرا فعلته بعد تقدير عواقبه : فلما جاءت رسلها الى سليمان بالهدية لم يقبلها وأظهر أنه ليس فى حاجة الى أموالهم . وأنه فى حال حسنة وانفساح ثروة أكثر مما فيه الملكة وقومها ، وتوعدهم وملكتهم بأن يرسل الى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها . وأن عاقبة ذلك اخراجهم من بلادهم أذلة صغرة .

جاء الخبر من الرسل الى الملكة وعلمت عظمة سليمان وقوة ملكه وأشفت على قومها . فأجمعت الذهاب اليه فى رجال ملكة دولتها وجاءت الى اورشليم بهدية عظيمة .

لما علم سليمان باعترام ملكة سبأ على زيارته - فى عاصمة ملكه - شيد لها صرحا عظيما . ومرد أرضه بالزجاج : وهذا شيء لا عهد لأهل اليمن بمثله .

ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبرها . وأن ترى بعينها ما لم ترها الأحلام بفعل عجيبة ظاهرة ، وهى أن يأتيا بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه فى ذلك الصرح . فسأل جنوده عن قوى يأتيه بذلك العرش : فانتدب له غفريت من الجن وقال له ( أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ) هذا ( وانى عليه لقوى أمين ) على ما فيه من الجوهر والحلى و ( قال الذى ) شخص من الانس أو الجن ( عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ) وكان الأمر كما قال . فجاء به ووضع فى الصرح الذى هبىء لاستقبالها ونكر لها : ولا أدري بأية كيفية نكر ؟

فلما جاءت ورأت العرش ( قيل لها أهكذا عرشك ) ؟ فقالت ( كأنه هو ) ولما أرادت دخول الصرح والوصول الى العرش ظنت الزجاج ماء ، فكشفت عن ساقها لئلا تبتل ثيابها بالماء وأخبرت بأن ما ظنته ماء انما هو زجاج فقالت ( رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) .

أما الطريقة التى أتى بها العرش على يد الذى عنده علم من الكتاب . فشئ لم يكشف عنه العلم وهو نص صريح قاطع الثبوت والدلالة ، ومن التعسف تأويله بأنه خريطة بلادها كما يقول بعض من كتبوا فى التفسير . وما دام الأمر معجزة خارقة للعادة فلا معنى للمكابرة : اذ خالق النواميس له أن يخرقها بقدرته التى أوجدها بها . ولعل لمثل هذه الأعمال نواميس أخرى لم يكشفها العلم أطلع الله عليها بعض عباده معجزة لهم فى وقت يجهل كل الناس تلك النواميس . والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار .

وأهل القصص وأهل التفسير يذكرون أن سليمان تزوج منها وأتى منها بولد . ويزعم بعض ملوك الحبشة أنهم أبناء سليمان من الولد الذى أتى به منها .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة النمل :** وَتَقَعَّدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ [٢٠] لَأَعَذَّبَنَّ  
عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ [٢١] فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ  
نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ [٢٢] إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا  
عَرْشٌ عَظِيمٌ [٢٣] وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
فَصَدَّكُمُ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ [٢٤] أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ [٢٥] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [٢٦] قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ  
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ [٢٧] أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَلَا يَنْظُرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ [٢٨]  
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ [٢٩] إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣٠]  
أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ [٣١] قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى  
تَشْهَدُون [٣٢] قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ [٣٣] قَالَتْ  
إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ [٣٤] وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ  
إِلَيْهِمْ بِهَدْيَةٍ فَنَاطِرَةٍ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ [٣٥] فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ  
خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ [٣٦] أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لَا قِبَلَ  
لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ [٣٧] قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ كُفْرًا يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ  
يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ [٣٨] قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ  
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ [٣٩] قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ .  
فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا  
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ [٤٠] قَالَ تَكَرَّوْا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي  
أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ [٤١] فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا  
الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ [٤٢] وَوَسَّاهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ  
كَافِرِينَ [٤٣] قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا . قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ  
مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٤٤] .

وقد قدمت أن التوراة وأهلها لا يعرفون قصة ملكة سبأ بهذا الوصف ، وإنما يذكرون أنها سمعت بحكمة سليمان فأنت اليه وشاهدت بنفسها تلك الحكمة العظيمة .  
ولعل اتصال ملكة سبأ بسليمان كان سببا في وجود الديانة الموسوية في بلاد اليمن . وأن ذلك هو الأساس الذي بنى عليه « ذو نواس الحميري » دخوله في اليهودية نكاية بالدولة الرومانية الشرقية التي أرسلت الى اليمن القسوس مقدمة لاستعمار اليمن . فلم ير أنكى لهم من الدخول في اليهودية ، وتعصب لها حتى قتل أهل نجران وخذل لهم الأخدود وحرقهم بالنار — كما هو بعض الآراء في فهم الآية — فكان ذلك سبب غزو الحبشان لليمن — كما هو معروف في التاريخ — ولم يزل بضعاء عشرة آلاف يهودى الى اليوم .  
أما ما يدعيه أهل الحبشة من أن الأسرة المالكة فيهم يرجعون في نسبهم الى سليمان ، فليس عندي ما يؤيد هذه الرواية أو ينفيها ، والناس مأمونون على أنسابهم . وقد تراخى الزمن وتطاول ولا يعلم الغيب الا الله .

### النملة وسليمان

جاء في القرآن الكريم ( وحشر لسليمان جنوده من الجن والأنس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك في عبادك الصالحين ) .  
فأين مكان وادى النمل هذا ؟

قالوا هو واد تسكنه الجن ومرايهم النمل . ولكن أين هو ؟ لا جواب ! وقالوا وادى النمل فيما وراء الهند ، وأنه في بلاد التبت . ويقولون انه في بلاد اليمن . والذي في بلاد اليمن « وادى نمل » بفتحين في أوله . وقالوا في الطائف وكل ذلك لا يسغى التعويل عليه . والذي في ياقوت « قيل انه بين بيت جبرين وعسقلان » وقال ابن بطوطة الرحالة الشهير « ان بظاهر عسقلان وادى النمل ويقولون انه المذكور في الكتاب العزيز » وهذا الذى ذكره هو اللائق المعول عليه .  
وللمرحوم أحمد زكى باشا مقالتان : كتبت ثانيتهما في أهرام ٦ أغسطس سنة ١٩٣٣ ما قدمته خلاصة لها لزكى باشا رأى انفراد به . وهو أن المراد بوادى النمل : الوادى الكثير الناس ؛ كأنهم النمل في الكثرة . وليس ما قاله بشئ لأنه يناهيه قولها ( وهم لا يشعرون ) اذ كيف لا يتسمر جند سليمان بالناس وبخاصة اذا كانوا كثيرين كالنمل ؟ (١) .

(١) نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٦ أبريل سنة ١٩٣٩ الخبر التالى :

#### النمل الأبيض يدمر قرية مصرية

اعلن النمل الأبيض حربا شعواء على احدى القرى المصرية منذ عهد قريب ، فهب اهلوها للدفاع منها وذود هذا العدو عن مساكنهم وأرزاقهم ، ثم طلبوا النجدة من الحكومة فأرسلت اليهم جنود قسم الحشرات بوزارة الزراعة ، لكن النمل انتصر على هؤلاء جميعا وأتى على القرية . وأعلن قسم الحشرات عجزه عن ابادة جيوش النمل ، وانسحب الاهلون من الميدان تاركين مساكنهم !

## موت سليمان عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>

جاء في سورة سبأ بشأن موت سليمان قوله تعالى ( فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) .

= وقد سجلت الوثائق الحكومية اخبار هذه الحرب ، في مذكرة رفعها معالي وزير المالية الى مجلس الوزراء ، وعرضت على مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ في جلسته . ومما قيل في هذا الموضوع انه على اثر شكوى تقدمت من اهالي ناحية « برسيق » التابعة لمركز « أبي حمص مديرية البحيرة » باصابة قريتهم بحشرة النمل الأبيض قامت وزارة الصحة العمومية المرافق العامة بمعاينة هذه القرية فاتضح ان عدد سكانها يبلغ ٥٠٠ نفس، وعدد منازلها ٦٥ منزلا ، وانها مقامة على تل كبرى . ولما بدا الاهالي في استخراج الاسمدة من تل القرية ظهرت مقابر قديمة وبدأت حشرة النمل الأبيض في الانتشار ، واخذت تلتهم الأخشاب والملابس وتخرق جدران المنازل المشيدة بالطوب الأخضر ، بدرجة اضطرت كثيرا من الاهالي الى هجران مساكنهم ، ولما استطلعت الوزارة رأى قسم الحشرات في وزارة الزراعة عما اذا كان من الممكن اباداة تلك الحشرة ، قرر القسم تعذر معالجتها وانه لا بد من اقامة قرية جديدة . وقد وقع الاختيار على مساحة قدرها ثلاثة أفدنة على الطريق الزراعى وعلى ترعة النخلة ، وقد لوحظ في اختيار مساحة قطعة الأرض الجديدة ابتعادها عن التلال الكفرية التى يعيش النمل فى اعشاش بداخلها .

وقد وافق البرلمان على فتح اعتماد بستة آلاف جنيه لبناء القرية الجديدة .

(١) نقد اللجنة « الموضوع الثانى عشر » .

### ( موت سليمان عليه السلام )

ذكر ان المفسرين يذكرون فى موته عجائب ويستدلون بالآية الكريمة ( فلما قضينا عليه الموت الآية ) ويؤولونها على الوجه الذى يدعو الى الغرابة . وكل ما جاء فى هذا الباب احاديث منكرة . ويظن ابن كثير انها مما يقوله اهل الكتاب . واليكم نفس ما قاله فى تفسيره ، ثم ساق عبارة ابن كثير وهى طويلة . ثم قال بعد ذلك صفحة ٣٣٦ سطر ١٨ :

ونحن اذا نظرنا الى متن الحديث وجدناه مضطربا ومخالفا لسنة الانبياء وخصوصا فى عهد بنى اسرائيل ، اذ شريعتهم تقضى على كل اسرائيلى ان يأتى فى العيد ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية ، وسليمان شريعته التى يتبعها هى التوراة التى جاء بها موسى وليس له شريعة سواها . وغير معقول ان يكون سليمان - النبى الكريم - هو الذى يخالف الشريعة ويمكث فى محرابه دون أن يقوم بالمراسيم التى اوجبتها التوراة على كل اسرائيلى ، فيغيب عنها فى وقت يقوم بها الرؤساء والسوقة . واذا فعل يكون قد سن لبنى اسرائيل سنة سيئة تجرى سواء على مخالفة الشريعة التى أمر الله بنى اسرائيل بحفظها وعدم الاخلال بها . ومعلوم ان اليهود فى عيد الفصح يجب عليهم ان يأكلوا الفطير سبعة ايام وان لا يرى الخمر فى جميع تخومهم ، فاذا كان سليمان قد مكث ميتا سنة أفما كان له زوجة تسال عنه وتبعث له بالفطير الواجب فى الفصح فتعلم انه ميت وعنده الف امرأة ؟

فى اصحاح ١٦ تثنية ف (١٦) ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك امام الرب الهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطير وعيد الاسابيع وعيد المظال ولا يحضرون امام الرب فارغين (١٧) كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب الهك الذى اعطاك .

فمن الذى يقوم بتلك المراسيم عن سليمان والله لم يسن لهم البذل ؟ ثم ان سليمان بمقتضى مركز الملك الذى يشغله عليه مسئولية اقامة العدل بين الناس - كما كان يفعل داود - وقد راينا =

والمفسرون يذكرون في موته عجائب ويستدلون لذلك بالآية الكريمة ، ويؤولونها على الوجه الذى يدعو الى الغرابة . وكل ما جاء في هذا الباب أحاديث منكورة . ويظن ابن كثير أنها مما يقوله أهل الكتاب . واليكم نص ما قاله في تفسير هذه الآية بعد أن ذكرها قال :

= داود في فصل خصومة الحرث . الى أن قال : وهو أيضا بمقتضى منصبه الملكى تأتبه الوفود من الملوك ويطلبه العرفاء والرؤساء بمشكلات نواحيهم . فليس من المعقول أن يكون قد مات وبقي سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ويهمل أهلا لا يهمله أحد من السوق ! والمسألة تحمل على أحد وجهين :

الأول : أن يكون قد مات كما يموت سائر الناس ، وبقي موته معمى على الجن دون سواهم من الانس . ودفن وانتهى أمره . وقام في الملك ابنه ، والجن في أمكنة ثانية كندمر لا يفترقون عن العمل دائبين عليه خشية أن يعاقبهم سليمان ، وبعد مدة — لم يحددها القرآن — علم أحد الجن بموته إذ رأى عصاه ملقاة على الأرض فرفعها فاذا الأرض قد أكلتها ، فاستدل من أكل الأرض أياها على أن سليمان قد تركها ملقاة على الأرض مدة طويلة . وما كان ليتركها إلا لحدث من موت أو مرض ، فتقصى الأمر فاذا هو قد مات فأعلم الجن بالأمر وكانوا لا يعلمونه كما كانوا يوهمون الناس أنهم يعلمون الغيب ، وايقنوا أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .

وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى ( فلما خر ) أى مات لا ( خر ) بمعنى وقع على الأرض لعجز العصا عن حفظ توازنه : قال في القاموس : الخر : السقوط كالخروج من علو الى أسفل يخر ويخر والشق والهجوم من مكان لا يعرف والموت . وفي لسان العرب ج ٥ ص ٣١٧ وخر أيضا : مات وذلك أن الرجل اذا مات خر ، ومن ذلك قول حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاخر الا قائما . معناه ان لا أموت . لأنه اذا مات فقد خر وسقط .

الوجه الثانى : أنه عليه السلام وجد في محرابه ، فأدركه الموت وهو جالس متكئ على عصاه ، فجاءت الأرض واشتغلت بأكل طرف العصا فأكلت بعضه ، فانهار الجزء الذى أكلته فاختل توازنه فخر ، فدل ذلك أهله على موته . وأكل جزء من العصا يكون انهياره سببا في اختلال التوازن لا يحتاج الى زمن طويل . ومن رأى فعل الأرض في دنقلة العجوز لا يستبعد ذلك . فقد أخبرنى المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك : أنه أهمل وضع أرجل مكتبه في أثناء فيه ماء — وهو بدنقلة — فلم تمض أيام حتى وجد الأرض قد أثرت في جزء من تلك الأرجل . وترك جيته بجانب الحائط بضعة أيام ثم جاء إليها فاذا بها بهيئة الجبة ، فلما مد يده إليها فاذا هى هباء اه المقصود نقله . ثم رجع الوجه الأول في آخر عبارته .

#### ( رأى اللجنه )

استبعد موت سليمان عليه السلام على النحو الذى يذكره المفسرون وفسر قوله تعالى ( فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) باحتمالين ما أنزل الله بهما من سلطان فانهما — كما سيتبين — أن لم يكونا فاسدين فهما بعيدان كل البعد عما تدل عليه الآية الكريمة . وقد استند في استبعاده الى ما يتلخص في امرين :

الأول : أن شريعة سليمان التى هى شريعة موسى عليهما السلام فيها طقوس دينية وأعياد تقرب فيها القرايين . كعيد الفصح المعلوم عند اليهود اليوم ؛ والذى يأكلون فيه الفطير دون الخمير ، وعيد المظال ، وعيد الأسابيع . فغير معقول أن يمكث سليمان مدة طويلة تمر فيها الأعياد كعيد الفصح ولا يقوم بالطقوس الدينية ، ولا تقدم له امرأة الفطير ليأكله في عيد الفصح .

الثانى : أن سليمان كان ملكا فعليه مسئولية إقامة العدل بين الناس ، كما أنه — بمقتضى مركزه الملكى — تأتبه الوفود من الملوك ويطلبه العرفاء والرؤساء في مشكلاتهم ، فغير معقول أن يمكث هذه المدة الطويلة ميتا ولا يعلم به أحد . هذا ملخص كلامه في الأمرين اللذين استند اليهما في استبعاده =

يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فانه مكث متوكئا على عصاه - وهي منسأته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحووا من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض

== ما ذكره المفسرون وما كان افتنانا عن أبطال هذين الأمرين بعد أن لخصناهما وصورناهما بما سبق ، لولا أن بعض الناس يجوز أن يفتر بتسويق عبارته في بسطهما . لذلك رأينا أن نشير إلى إبطالهما فنقول : أما الوجه الأول : فانه متوقف على أن من شريعة موسى التي كان يتعبد بها سليمان الطقوس الدينية والأعياد التي نراها اليوم عند اليهود ، كعيد الفصح وتضريح الفطير دون الخمر وأن التوراة الموجودة الآن المبين فيها تلك الطقوس والأعياد هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ؛ ودون اثبات ذلك خرط القتاد .

وعلى تسليم أن الأمر كذلك فما المانع من أن تمر الأعياد والطقوس الدينية وتأتى سليمان زوجته لتقدم إليه في عيد الفصح فتراه واقفا على عصاه بهيئة المصلى فترجع ؟ ولم لا يجوز أن تكون عادة سليمان أن يتعبد وحده عبادة خاصة به وفي حال قيامه بها لا يستطيع أحد من الانس والجن أن يقرب من مكانه .

وأما الأمر الثاني : فيتوقف على أن المركز الملكي الذي نراه للملوك في هذه الأزمنة هو بعينه كان لمثل سليمان عليه السلام في زمنه ، تأتيه وفود الملوك وتجرى لهم احتفالات وزيارات رسمية ومواعيد محدودة في المقابلات وشيء من ذلك لم يقم عليه دليل .

وعلى تسليم ذلك فما المانع من أن يكون له عرفاء ورؤساء ينوبون عنه في مقابلة الوفود وفي أداء هذه المهمات ؟ وأن يكون له قضاة من قبله يفصلون في الخصومات كما هو الحال اليوم ؟ وبعد فلنشرع في تزيف الاحتمالين اللذين أبداهما في تفسير الآية :

أما الاحتمال الأول : فلأن معنى الآية عليه هكذا ( فلما خر ) أى مات ( تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) وذلك باطل في الواقع ، وعلى ما قرره في هذا الاحتمال لأنه قال أن الجن لم تعلم بموته إلا بعد مدة لم يحددها القرآن لأنها كانت تشتغل في مكان بعيد كتنمر . فان قال : يقدر في نظم الآية بأن يقال فلما مات أى علم الجن بموته ؟ قلنا : فإى دليل على هذا التقدير ؟ وهل يجوز أن يفاد هذا المعنى بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين في فن الكتابة ؟ .

ثم يقال لصاحب هذا الاحتمال : هل الأرض التي وجدت العصا ملقاة عليها هي التي يشتغل فيها الجن أو هي التي مات فيها سليمان عليه السلام ؟ فان كان الأول فمن الذى أوصل العصا إلى تلك الأرض ؟ وإن كان الثانى فمن الذى مكن أحد أفراد الجن من أن يترك عمله ويأتى بلد سليمان عليه السلام حتى رأى العصا ملقاة على أرضها ؟ فان قال : انه لم يكن ممن يشتغل في الأمكنة البعيدة بل هو من المقيمين في بلد سليمان ؟ قلنا : فهل يعقل أن يكون موجودا في البلد ولا يعلم بموت سليمان ؟ نحن اذا طبقنا هذه الحادثة على النواميس الطبيعية وعلى المعتاد في أمثاله ، نقول انه لا يعقل أن يموت موتا عاديا مثل سليمان ذلك الملك العظيم الذى كان ملكا على الانس والجن والطيور وغيرها ولا يعلم بموته معظم أفراد رعيته .

ثم يقال : هل تلك العصا كانت ممتازة معروفة حتى عرفها الجنى وتقصى بواسطتها أو لا ؟ فان كان الأول فكيف ترمى على الأرض رمى القمامة ؟ وإن كان الثانى فكيف عرفها ذلك الجنى ؟ وعلى تسليم انه عرفها على أى حال ، فمن أى وجه استدل بواسطة أكل الأرضة منها على حدوث حدث حتى تقصى الأمر فعرف أن صاحبها سليمان قد مات ؟ هل في رميها واستبدالها بما هو أحسن منها ما يدل على حدوث امر غريب عجيب يحمل الجنى على التقصى والبحث ؟

وأما الاحتمال الثانى فواضح البطلان لأن ذلك يتنافى مع عجز الآية وهو قوله تعالى ( ما لبثوا في العذاب المهين ) فان ذلك يستدعى بقاءهم مدة طويلة يشتغلون فيها وهو ميت ولا يعلمون موته . =

وهي الأرضة ضعفت وسقط الى الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وثبتت الجن والانس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب — كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر .

= وما ذكره عن فعل الأرضة في « دنقلة » وما أخبره به المرحوم الشيخ الخضرى فلا يفيد به دعواه بشيء ما . فان أحدا لم يدع أن كل أرضة في جميع الأزمان وبالنسبة لجميع أنواع الخشب تأكل مع التانى في مدة طويلة ، كما انه لا يستطيع أن يدعى أن كل أرضة في جميع الأزمان وبالنسبة لجميع أنواع الخشب وغيره تأكل بسرعة مثل الأرضة التى أكلت مكتب الشيخ الخضرى وجبته ، على أنه يجوز أن تكون دابة الأرض المذكورة في القرآن دابة أخرى غير ما هو معروف لنا والله اعلم .

### رد المؤلف على نقد اللجنة

#### « الموضوع الثانى عشر »

#### وفاة سليمان عليه السلام

كتبت في قصة وفاة سليمان ما نقله حضرات أعضاء اللجنة ، وهو كلام مضى واضح لا غبار عليه ، ولكن حضرات الأعضاء عز عليهم مخالفتى لتلك الاسرائيليات فمضوا يدافعون عنها مدافعتهم عن الحق الواضح . وانى لأرثى لهم وهم يعصرون القرائح في الرد على والتكلف باد على هذا الرد يكاد يلمس باليد .

قالوا — « اما الوجه الاول فانه متوقف على ان شريعة موسى التى كان يتعبد بها سليمان والطقوس الدينية والأعياد التى نراها اليوم عند اليهود ، كعيد الفصح وتحريم الفطير دون الخمير وان التوراة الموجودة الآن المبين فيها تلك الطقوس والأعياد هى التوراة التى أنزل الله على رسوله موسى عليه السلام ودون ذلك خرط القتاد » والجواب على ذلك :

اولا : ان العبارة التى اتوا بها مضطربة مفككة ومعاذ الله ان اقول لحضراتهم ان هذه الجمل الركيزة المتخاذلة يستحى صبيان الكتائب أن يكتبوها أو تنسب اليهم ، ولكنى أحيل الامر على خطأ الناسخ ولا اكافئهم بعملهم أو قولهم الذى يوجهون به الى ولا يتعففون عن مواجهتى به .

ثانيا : لم اقل ان التوراة تحرم الفطير دون الخمير كما قالوا . وانما قلت « ومعلوم ان اليهود في عيد الفصح يجب عليهم ان يأكلوا الفطير سبعة ايام وان لا يرى الخمير في جميع تخومهم » ولعل ذلك من غلط الناسخ ايضا .

ثالثا : لو لم تحرثوا على عجلتى لما عرفتكم احجيتى ! فان مستندكم هو ما نصصته في اول كتابى من ان التوراة لا يوجد بها سند متصل . ولكن اعلّموا علمكم الله الخير ان اليهود اذا كانوا قد منوا كتابهم بالتحريف فليس معناه أنهم قد غيروا جميع المعالم وهدموا البيت من الأساس . بل هم على اثاره منه وان حرفوه ، بدليل ان الله تعالى قال لهم ( قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ) فلو لا ان الله تعالى يعلم أن منها ما هو باق — لم يتحول — لم يستدل بها عليهم ويقيمها حجة على زيفهم عنها . وليست مسائل العبادات والأعياد مما يقصد بالتغيير والتصرف . وانما هى الامور التى تعود عليهم بالفائدة كحل الربا مع الاجنبى اذا كان اليهودى هو رب رأس المال . ومثل تائم الانبياء ليخففوا عن انفسهم ملامة الوقوع في الاثم . وتغيير وصف رسول الله . وعلى الجملة فان الاعياد والعبادات لم تكن مقصودة بالتغيير .

وايضا فالكتاب قد وجد والاصل عدم تغييره حتى يثبت فيه فقط . وقالوا « وعلى تسليم ان الامر كذلك فما المانع من أن تمر الاعياد والطقوس وتأتى سليمان زوجته لتقدم اليه الفطير في عيد الفصح فتراه واقفا على عصاه بهيئة المصلى فترجع ؟ ولم لا يجوز ان تكون عادة سليمان ان يتعبد وحده عبادة خاصة به وفي حالة قيامه بها لا يستطيع أحد من الانس والجن ان يقرب مكانه » =

قال ابن جرير : حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان نبي الله سليمان عليه السلام اذا صلى رأى شجرة بين يديه فيقول

= اقول : ان سليمان نبي كريم وملك عظيم له الخدم والحشم والعبيد يحرسون عليه ويخدمونه ولا يفترون عن ذلك ولا يقصرون ، ولا يمكن ان يهملوه ويسقطوه من حسابهم بلا اكل ولا شرب ولا تغيير ملابس ولا نظر في شيء من مصالحه ومصالح ملكه ! والفروض التي ذكرتموها لا تقوى على ان تمر من الامتحان سالمة .

ان الملك من الملوك اذا تأخر عن الظهور للناس يوما واحدا ، أو تفسر وقت خروجه الى عمله اضطربت الأفكار وملكت الناس الهواجس ورموا بالظنون كل مرمى وما كان سليمان بدعا منهم . وهل يظن حضراتهم ان زوجة سليمان أو قيم طعامه اذا جاء بالطعام في عيد أو غيره ووجده بهيئة المصلى يكون ذلك مسوغا لاهماله واطراحه سنة كاملة .

يا قوم ان احذكم تفضل دجاجته أو لا تعود الى قننا أو عنزه فلا تأتى من الحقل فلا يهدأ له نوم ولا يقر له قرار حتى يأتى بالمنادى ينادى عليها ويصرح بالجعل لمن يردها ! فكيف تنام أمة سنة كاملة عن نبيها الكريم وملكها العظيم ؟ انى أقول ان هذا مستحيل في مجرى العادة ، وكل كلام يخالف ذلك لا يقام له وزن ولا يساعد عليه منطق ولا عرف ملوك ولا سوقة . وكله مماحلة لا جدوى منها . قالوا « واما الامر الثانى فيتوقف .. الخ » فهم يقدرون ان سليمان يجوز ان يكون مهملا . في مملكته وفي بيته وفي فطر جيرانه من الملوك - فلا يأتيه رسول ! ولا يطالعه أحد بتمام عمارة قلعة ! ولا بالشروع في عمل حصن ! ولا بقدوم سفن ! ولا باقلاع أسطول ! ولا بشيء مما يجرى في هذا العالم . ويمكث مهملا سنة تامة لا يأتيه خطاب ولا يقدم عليه رسول في عيد ولا موسم ! هذا منطق يحتاج الى أمة لم تخلق وعقول ليست من هذا العالم .

الم يقرأوا قول الله تعالى حكاية عن ملكة سبأ ( وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ) وقول سليمان لرسولها ( اتمدوننى بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون ) وان ملكة سبأ جاءت الى سليمان واحتفى بها ايما احتفاء وبنى لها صرحا ومرده بالقوارير وبالع في الزينة لها واثاها بعرشها ... الخ فهذه حجة من القرآن الكريم على ان سليمان كان يقصد بالوفود من اقاصى الممالك فما بالكم بجيرانه الاذنين فهذه حجة قرآنية اظن انهم لا يردونها . قالوا « وعلى تسليم ذلك فما المانع من ان يكون له عرفاء ورؤساء ينوبون عنه في مقابلة الوفود وأداء هذه المهمات وان يكون له قضاة من قبله يفصلون في الخصومات كما هو الحال الآن » ؟ اقول ان العرفاء والرؤساء الذين ينوبون عن الملك لا يستغنون عن مطالعته في امر القادمين ، وما ينبغى ان يكافئوهم به أو ما يعدونه لهم من النزل ، والقادمون لا بد ان يؤدوا الى ملوكهم عن الملك جوابا عن رسالاتهم . وما كان النواب ليستقلوا بذلك دون الملك ودون مطالعته في تلك الشؤون ! قالوا « وبعد فلنشرع في تزييف الاحتمالين » الى ان قالوا « فان قال يقدر في نظم الآية بأن يقال فلما مات أى علم الجن بموته قلنا فأى دليل على هذا التقدير ؟ وهل يجوز أن يفاد هذا المعنى بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين في فن الكتابة » .

اقول ان قليلا من الفكر يهدى حضرات أصحاب الفضيلة الى ان هذا التقدير سائغ ليس فيه غرابة وانه لا اعتراض عليه . وان قليلا من التدبر يهدى حضراتهم الى ان هذا التقدير بنفسه لازم جدا للوجه الذى اختاروه وهو ان سليمان مكث سنة ميتا وانه خبى أى سقط حين أكلت الأرضه عصاه فان مجرد سقوطه لاتبين من الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين بل لابد من تقدير علمهم بالموت والمكث سنة واكل الأرضه لمنسأته ثم سقوطه بعد ذلك وما أطول ما يقدر على الوجه الذى اختاروه !



لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا ؛ فيقول : لأى شيء أنت ؟ — فإن كانت تغرس غرس وتوان كانت لدواء كتبت — فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، قال : لأى شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان عليه السلام : اللهم

== وبعد هذا فانى أسألك أيها القارىء الكريم — اليس مما يضحك الثكلى ويبكى العروس أن يأتى أصحاب الفضيلة ( مع حفظ الألقاب كما يقولون ) محمد البديوى وعيسى منون ومحمد على العزبى ومحمود أبو دققة وإبراهيم الجبالى ويقولون لعبد الوهاب النجار معرضين به فى فن الكتابة « وهل يجوز أن يفاد هذا المعنى بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين فى فن الكتابة » .

لقد وجدت عندى لسانا قاتلا . ولكنى لم أجد مجال القول ذا سعة ( لقد ضاق شبر عن مسير ) والسكوت فى هذا المقام أجدى وحسب القلم أحجى .

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

ورحم الله المعرى اذ يقول : ( لك يا منازل فى القلوب منازل ) والقارىء يستوفى القصيدة اذا شاء .

أتى بعد ذلك أصحاب الفضيلة على سبيل الاستفهام بأسئلة كثيرة متداركة وتشقيقات متعاقبة — وهما أنا أذكر ذلك وأعقب كل سؤال بجوابه تاركا الاجابة عما يعلم جوابه من جواب سواه .

(١) هل الأرض التى وجدت العصا ملقاة عليها هى التى يشتغل فيها الجن . أو هى التى مات

فيها سليمان عليه السلام ؟ فان كان الأول فمن الذى أوصل العصا الى تلك الأرض ؟

والجواب . ان الأول ممنوع والمفهوم ان سليمان لما مات وضعت عصاه فى مكان خصص لآحراز

أمتعته فيه من كسى وغيرها .

(٢) وان كان الثانى فمن الذى مكن أحد أفراد الجن من أن يترك عمله ويأتى الى بلد سليمان

حتى رأى العصا ملقاة على أرضها .

أقول أن الجن أرواح لا تعرف حقيقتهم وكنهم فلعلمهم يقدرون على الوصول الى الأمكنة البعيدة

لا يحجبهم حاجب ولا تمنعهم أبواب ولا جدران وأغلاق ، ولنا فى حادثة العفريت الذى من الجن

الذى قال لسليمان عن عرش بلقيس ( أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين ) أكبر عبرة .

(٣) فان قال : انه لم يكن ممن يشتغل فى الأمكنة البعيدة بل هو من المقيمين فى بلد سليمان ؟

قلنا : فهل يعقل أن يكون موجودا فى البلد ولا يعلم بموت سليمان ؟

الجواب : لا تلازم بين عدم الاشتغال فى أمكنة بعيدة والاقامة فى بلد سليمان ؛ ففسد يكون من

المقيمين فى مصر ولا يشتغل بعمل لسليمان ، فيموت سليمان وهو فى بلد بعيد غير بلد سليمان ولا هو

مكلف بعمل له ولا يعلم بموته ، ويقدم بعد مدة على بلد سليمان ثم يرى ما يرى ويستدل ويعلم .

(٤) نحن اذا طبقنا هذه الحادثة على النواميس الطبيعية وعلى المعتاد فى أمثالها نقول : انه لا يعقل

أن يموت موتا عاديا مثل سليمان — ذلك الملك العظيم الذى كان ملكا على الانس والجن والطيير

وغیرها — ولا يعلم بموته معظم أفراد رعيته ؟

الجواب : أرجو حضرات أصحاب الفضيلة أن يكفوا عن ذكر النواميس الطبيعية فانها مألوفة

منهم . لأنها تعلم أنهم هم الذين يحكمون بشلها وتعطيلها عن عمل خلقت له لغیر داع يدعو الى ذلك

وبلا برهان أناهم . ومن الخطر على حضراتهم أن يجماعوا العادة حاكما يقبل حكمه وهم الذين

يجانبونها ويجانبون كل ناموس طبيعى فى أمر سليمان وفى موته ! فهل يريدون أن يحلوا الالتجاء

الى النواميس والعادة عاما ويحرمونه عاما بلا سلطان ولا برهان بل بمجرد التشهى ؟

وقد سبق أن قلت فى كتابى — مستندا الى النواميس الطبيعية والى ما جرت به العادة : أنه

ليس مما يسوغ فى العقول أن يموت سليمان وهو الملك والنبي الكريم ويبقى سنة واقفا متكئا على ==

عَمَّ على الجن موتى حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب . فتحنتها عصا فتوكأ عليها حولاً ميتاً والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين » .

== عصاه ولا يعلم به أحد من جنوده ونسائه وأولاده وخدمه وينسى كل هؤلاء أنه يحتاج الى طعام وشراب واغتسال ودفع وملابس تصلح لأيام الصيف اذا اظل وأخرى لأيام الشتاء ويهملونه من حسابهم في مصالحه وسائر مصالح الملوك - التي لا تشبه مصالح الأفراد - ولا يطالع بشيء من شؤون ملكه ؛ فدفع حضرات السادة الأفاضل في صدر النواميس الطبيعية وفي صدر العادة للمناكير من الأحاديث واسرائيليات مما لفقته مسامة أهل الكتاب ! فمن فعل ذلك يجب عليه ان يعض طرفه حين تذكر العادة او النواميس الطبيعية وأن يغطي رأسه حياء .

(٥) ثم يقال هل تلك العصا كانت ممتازة معروفة حتى عرفها الجنى وتقصى بواسطتها أو لا فان كان الأول : فكيف ترمى على الأرض رمية القمامة ؟ وان كان الثانى فكيف عرفها الجنى ؟ الجواب: يعلم الانس والجن أن عصا الملك أى صولجان الملك تعرف وتمتاز عن عصا «المارشال» وعن عصا «البابا» وعصى سائر أرباب الرتب الكهنوتية - من مطران وأسقف وقسيس - وعن عصا الظرفاء وأهل الكياسة والترف وعن عصا « الحلوانى الجيار » رحمه الله ، وكان ثمنها يزيد على ثمانمائة جنيه وكان بها من الجواهر والحجارة الكريمة شيء كثير ، يحملها وهو يرقص على نغم الموسيقى البلدية في شوارع القاهرة ، وعن عصا الدكتور « عبد الحميد سعيد » التى لا يجهلها أحد ممن رآها وعن عصا رجال البوليس وعن عصا رجال المناصر وقطاع الطريق ، وعن عصا الضباط والعساكر . ومن الجائز أنها كانت في مكانها غير مطروحة ولكنها وقعت على الأرض بسبب اصطدام حيوان بها كفارة وبنت عرس ، فأخذت الأرضة في أكلها وابتدأت الأرض الكثيرة في أكلها وهى مستندة الى الحائط ، وهذا امر جائز واقع كثيراً .

(٦) وعلى تسليم أنه عرفها - على أى حال فمن أى جهة استدل بواسطة اكل الأرضة منها على حدوث حدث حتى تقصى الامر فعرف أن صاحبها سليمان قد مات ؟ الجواب : وجه معرفته ذلك أن سليمان كانت العصا التى هى شارة ملكه لا تفارقه ، كما أن مشايخ الطرق لا تفارقهم عصيهم ، فاذا رآها قد أكلتها الأرضة عرف أن صاحبها لم يفارقها - مدة تمكن الأرضة من أكلها - الا لحدث حدث له ، فتقصى فعلم ! (٧) هل في رميها واستبدالها بما هو أحسن منها ما يدل على حدوث امر غريب عجيب يحمل الجنى على التقصى والبحث ؟

الجواب : الصواب في نظم الكلام أن يقال « واستبدال ما هو خير منها بها » لتدخل الباء على المتروك . وبعد ذلك أقول أن سليمان ما اختار عصاه الا بعد أن استجد نوعها فكان أجود ما عرف وتركها على كل حال أمر يحمل على البحث ، كما اذا رأى انسان سيفاً لقائد قد ركب الصدا . فان ذلك يدعو الى الوقوف على سبب اهماله وتركه حتى صدئ !

يأخذ حضرات أعضاء اللجنة والمفسرون من عبارة ( ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ) أن المدة التى ندموا على مرورها عليهم في العمل لا بد أن تكون عظيمة . وبذلك يسوغون انها سنة .

أقول : ان الذى يحتقر ساعة تمضى على صاحبها وهو في العذاب المهين لو يثق عقدة الرجاء في أن يصبر على العذاب . والحق أنه لا يستهين بالعذاب الا من سفه نفسه ! وان الجن من حقهم أن بأسفوا على تهمية موت سايمان عنهم يوماً أو ساعة قضوها في الأعمال الشاقة والعذاب المهين . وعلى ذلك فليس من الضروري أن تكون المدة سنة بل اليوم الواحد كاف في تسويقهم هذا الندم . قالوا : على أنه لا يجوز أن تكون دابة الأرض المذكورة في القرآن دابة أخرى غير ما هو معروفنا

قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك . قال فشكرت الجن للأرض فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابة ونكارة . والأقرب أن

= والجواب : انى قدمت مثل هذا القول وقلت ان دابة الأرض قد تكون حيوانا من الحيوان القراض الذى يقرض الخشب ، وجينئذ لا يمكث السنة التى يقولونها .

جاء بعد ذلك حضرات الأفاضل بكلام فى شأن الأرض اذا قرأه الانسان قابله بالابتسام !  
اذ حضرات الذين صاغوا هذه الاسرائيليات فى امر سليمان والمفسرون الذين تلقوها ابانوا عن عدم علم بحياة هذا الحيوان وطبيعته . فهم يقولون ان الجن شكرت للأرض فعلها وأتتها بالطين فى الخشب وبالماء ايضا ! كان الأرض قبل ذلك لا يكون عندها طين ولا ماء بل حدث بعد ذلك .

ولو علموا ان الأرض تهضم طعامها من الخشب فيصير ما تبرزه طينا . وما تبرزه غير مهضوم تاكله مرة أخرى - ليتم هضمه حتى يصير طينا - لخطوا أن يقولوا ما قالوا بلا علم ولا بينة .  
واما الماء فان الأرض تعمل فى مآرضها بشرأ تستقى منه الماء وقد يبلغ عمقها الى تسعين قدما ، « تراجع مقالة الدكتور مأمون عبد السلام المنشورة فى أهرام ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥ » .

اما قوة الأرض على اكل الأشياء بسرعة ! فمثال ذلك ما ذكره المقرئ فى خطبه من أن الأرض قد سطت على بيوت الحسينية وأكلت كل ما فيها من خشب ومن جدران حتى اضطر أهل الحسينية - من ناحية باب الفتوح - أن يهدموا بيوتهم لينتفعوا ببيع أخشابها وانقاضها قبل أن تاكلها الأرض ومن مقالة الدكتور مأمون عبد السلام المذكورة قوله :

والأرض موجودة بكل القارة الأفريقية ، فمنها أحد عشر نوعا فى السودان فتكثرت ذريعا بالمحاصيل والأخشاب ، فقد رآها « السرموئيل بيكر » فى مناطق المستنقعات ببحر الزراف . وكانت تزحف بجيوش لا نهاية لها ، فجردت القمح والشعير - الذى زرعه الجنود المصريون تحت قيادته - فى منطقة « جوندوكرو » من جميع حوبه ، وكانت كل واحدة تحمل القمح والشعير فى فمها وتنقله الى بيتها - حبة حبة - وقد وجدت فى هذه الجحور اكوام مكدسة من الحبوب ...  
والأرض أفتك الآفات وأشدّها ضررا بالانسان ، فقد ذكروا انها هاجمت مدينة « جيمز تاون باستراليا » فهدم نصف هذه المدينة بسببها فأعادوا بناءها .

وهذه الحشرة واسعة الحيلة لا يعتورها قنوط . تارض كل شيء ، حتى الحديد على صلابته فانها تبصق عليه من لعابها فيصدا فيسهل عليها نخره . وهى تتلف أشجار البرتقال فى ولاية « فلوريدا - بأمريكا » بأن تحز ساقها تحت الأرض وتقتلها ا هـ .  
وعلى العموم فان المقالة متعة يجدر بكل ذى علم أن يقرأها .

### بلعة تلتهمها حشرة

جاء فى جريدة الجهاد اول يوليو سنة ١٩٣٦ :

أنشئت مساكن بلدة « برسيق » التابعة لمركز « أبى حمص - بحيرة » على كوم قديم به مقابر عتيقة . ومنذ زمن ليس ببعيد تفشت فى مساكنها حشرة أو دويبة صغيرة يقال لها « الأرضة » أو النمل الأبيض ، وتكاثرت بدرجة مخيفة وجعلت تلتهم كل شيء فى هذه المساكن ، ولم تبق حتى على جدرانها ونوافذها وسقوفها ، الى ما تلتهمه من المحصولات وآلات الزراعة والثياب ، ولم تبق على شيء .

ولا يمكن مكافحتها لأنها تعيش فى انفاق وسرايب تحت جدران البيوت ، ولها قرى فى اغوار الأرض تحت المساكن ، ولها ملكات تبيض الواحدة منها بيضة كل ثانية ، فهى لذلك لا يمكن محاربتها او التخفيف من ضررها . والعلاج الوحيد هو النزوح بعيدا عنها وترك القرية المصابة .

لذلك قدم سكان هذه القرية التعيسة شكوى لصاحب الدولة الرئيس الحليل بلتمسون نقل قريتهم هذه الى جهة بعيدة عن موقعها الحالى ، وبناءها على طراز القرى النموذجية .

وبعد هذه السباحة والاخذ والرد أقول لحضراتهم ان « ابن كثير » بعد أن ذكر موت سليمان وما فيه من الأقوال التى قالها حضراتهم وأوردوها قال « وهذا فيه الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب » فما الذى جنيته اذا عدلت عنها الى تقرير امر معقول ؟ وإيراد احتمالات ليس فيها ما ينقص من قدر سليمان ولا يضر بمقامه عليه السلام ؟

مما تقدم : نجد انتقاد حضرات الأفاضل ليس فيه حجة تدحض ما قلت . وان كلامى وجيه ليس من الأدلة ما يردده أو يمنعه ! بل هو المعقول والجدير بالقبول .

يكون موقوفا . وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى له غرابات وفى بعض حديثه نكارة . وقال السدى : فى حديثه نكارة .

وقال السدى فى حديث ذكره عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قال « كان سليمان عليه السلام يتحرر فى بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر ، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه . فأدخله فى المرة التى توفى فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يصيح فيه الا ينبت الله بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها فيقول : ما اسمك؟ فتقول الشجرة : اسمى كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وان كانت تنبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت الخروبة ، قال : ولأى شىء نبت ؟ قالت : نبت لخراب هذا المسجد ! قال سليمان عليه السلام : ما كان الله ليخربه وأنا حى ! أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ! فزعاها وغرسها فى حائط له . ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين . وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألسنت جلدنا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر . ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام فى المحراب الا احترق ، فمر ولم يسمع صوت سليمان وكان عليه السلام قد سقط ميتا ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عليه فأخرجوه . ووجدوا منسأته — وهى العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة . وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه . فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له . وذلك قول الله عز وجل ( ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خسرَ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم .

ثم ان الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام . ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ؟ ولكننا سننقل اليك الماء والطين . قال : فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر الى الطين الذى يكون فى جوف الخشب ؟ فهو ما تأتيها الشياطين به شكروا لها ! وهذا الأثر — والله أعلم — انما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب . وهى وقف لا يصدق منه الا ما وافق الحق ولا يكذب ما خالف الحق ، والباقي لا يصدق ولا يكذب .

وقال ابن وهب وأصبنغ بن الفرج : عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تبارك وتعالى

( ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ) قال سليمان عليه السلام لملك الموت اذا أمرت بنى فأعلمنى ، فأثاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك ، قد بقيت لك سويعة . فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قواوير وليس له باب ، فقام يصلى فاتكأ على عصاه . ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت . قال : والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حى قال : فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال : والدابة تأكل العبدان يقال لها القادح . فدخلت فيها وأكلتها ، حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا . فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا . قال فذلك قوله تعالى ( ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ) قال أصبغ : يلغنى عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر . وذكر غير واحد من السلف نحوه من هذا والله أعلم .

هذا ما أورده الحافظ بن كثير في تفسيره . ونحن اذا نظرنا الى متن الحديث وجدناه مضطربا ومخالفا لسنة الأنبياء وخصوصا في عهد بنى اسرائيل . اذ شريعتهم تقضى على كل اسرائيلى أن يأتى في العيد ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية ، وسليمان شريعته التى تتبعها هى التوراة التى جاء بها موسى — وليس له شريعة سواها — وغير معقول أن يكون سليمان النبى الكريم هو الذى يخالف الشريعة ويمكث في مجراه دون أن يقوم بالمراسم التى أوجبتها التوراة على كل اسرائيلى فيغيب عنها في وقت يقوم بها فيه الرؤساء والسوقة . واذا فعل يكون قد سن لبنى اسرائيل سنة سيئة تجرى سواه على مخالفة الشريعة التى أمر الله بنى اسرائيل بحفظها وعدم الاخلال بها ، ورفع فوقهم الطور للعمل بها .

ومعلوم أن اليهود في عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة أيام ، وأن لا يرى الخمر في جميع تخومهم . فاذا كان سليمان قد مكث سنة ميتا ! أفما كان له زوجة تسأل عنه وتبعث له بالفطير الواجب في الفصح فتعلم أنه ميت ؟ وعنده ألف امرأة !

في ص ١٦ تثنية ف ( ١٦ ) ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب الهك في المكان الذى يختاره في عيد الفطير . وعيد الأسابيع وعيد المظال ولا يحضروا أمام الرب فارغين ( ١٧ ) كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب الهك الذى أعطاك .

فمن الذى يقوم بتلك المراسم عن سليمان والله لم يسن لهم البدل ؟

ثم ان سليمان — بمقتضى مركز الملك الذى يشغله — عليه مسئولية اقامة العدل بين الناس كما كان يفعل داود ، وقد رأينا داود في فصل خصومة الحرث الذى نفشت الغنم فيه ، وفي سماعه الخصومة في نعجة . فما كان سليمان بالذى يغيب عن خصومات قومه ونوازلهم ، وبكل فض الخصومات لقوم هم أقل منه فهما وعاما !

وهو أيضا بمقتضى منصبه الملكى تأتبه الوفود من الملوك . ويطلعه العرفاء والرؤساء بمشكلات نواحيهم . فليس من المعقول أن يكون قد مات وبقي سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ويهمل اهبالا لا يهله أحد من السوق !

والمسألة تحمل على أحد وجهين :

الأول — أن يكون قدمات — كما يموت سائر الناس — وبقي موته معبى على الجن دون سواهم من الانس ودفن وانتهى أمره . وقام في الملك ابنه والجن في أمكنة نائية . كـ « تدمر » لا يفترقون عن العمل دائبين عليه خشية أن يعاقبهم سليمان . وبعد مدة لم يحددها القرآن علم أحد الجن بموته إذ رأى عصاه ملقاة على الأرض ، فرفعها فإذا الأرضة قد أكلتها . فاستدل من أكل الأرضة اياها أن سليمان قد تركها ملقاة على الأرض مدة طويلة ، وما كان ليتركها الا لحدث من موت أو مرض ! <sup>(١)</sup> فتقصى الأمر فإذا هو قد مات . فأعلم الجن بالأمر وكانوا لا يعلمونه ؛ كما كانوا يوهمون الناس ويتوهم الناس لهم أنهم يعلمون الغيب . وأيقنوا أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .

وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى ( فلما خر ) أى مات ( خر ) وقع على الأرض لعجز العصا عن حفظ توازنه .

قال في القاموس : والخر : السقوط — كالخرو — من علو الى أسفل ؛ يخِر ويخِر والشق . والهجوم من مكان لا يعرف . والموت .

وفي لسان العرب ج ٥ ص ٣١٧ : و ( خر ) أيضا مات . وذلك أن الرجل اذا مات خر . ومن ذلك قول حكيم بن حزام « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا آخر إلا قائما » معناه أن لا أموت . لأنه اذا مات فقد خر وسقط .

الوجه الثانى — أنه عليه السلام وجد في محرابه فأدركه الموت وهو جالس متكئ على عصاه ، فجاءت الأرضة واشتغلت بأكل طرف العصا ، فأكلت بعضه فانهار الجزء الذى أكلته فاختل توازنه فخر ، فدل ذلك أهله على موته . وأكل جزء من العصا يكون انهياره سببا في اختلال التوازن لا يحتاج الى زمن طويل . ومن رأى فعل الأرضة في « دقلة العجوز » لا يستبعد ذلك . فقد أخبرنى المرحوم الشيخ محمد بك الخضرى أنه أهمل وضع أرجل مكتبه في اناء فيه ماء وهو بدقلة ، فلم تمض أيام حتى وجد الأرضة قد أثرت في جزء مهم من تلك الأرجل . وترك جبهته بجانب الحائط بضعة أيام ثم جاء اليها فإذا بها بهيئة الجبة . فلما مد يده اليها فإذا هى هباء .

ثم اذ مرجع الضمير في قوله ( ما دلهم ) يعنى أنه الجن ، ويحتمل أنه آل داود الذين هم آل سليمان أيضا . وهم المذكورون في قوله آخر الآية قبلها ( اعملوا آل داود شكرا ) .

وأيضا فانهم يقولون : انهم أرادوا بعد موت سليمان أن يعرفوا وقت موته ، فوضعوا

(١) حمل العصا كان من شارات الرئاسة . والرئيس — وبخاصة من كان ملثا بسليمان — لا ترك عصاه لما دام صحيحا معافى .

الأرضة على العصا .. الى آخره . فما هذه الأرضة التي تمتد اليها الأيدي فتقر طائعة على العصا ؟ وتأخذ في أكلها حتى تعلمهم مقدار ما أكلت ! — ان هذه الدابة وأمثالها اذا أخذت باليد ووضعت في مكان لا تستقر بل تمنع في الهرب . وأى دليل عندهم على أرضة واحدة فقط هي التي تولت أكل النساء حتى يعلموا أنها أكلتها في سنة ؟ وهل هناك برهان على أنها لم تكن مئین أو آلافا وهم انما أتوا بفرد أرضة دون أرض كثيرة . وهل يوافق علماء الحيوان على أن الأرضة تبقى سنة حية ولا تلد ؟ وهل هي من الحيوان الذى يعيش منفردا عن أبناء جنسه ؟

وأیضا شكر الجن للأرضة وإتيانها بالطين والماء — وهى فى جوف الخشب — شىء حصل بين الجن وبينها ! فمن الذى أعلم الناس ذلك وهذا السر بين الأرضة والجن ؟ وأما إتيانها بالطين مكافأة لها على ذلك فلا يدريه الا من وقف على أحوال الأرضة قبل موت سليمان ! ثم رأى أن تلك الأحوال تغيرت بعده !

وعندى أن ذلك كله من التخرص الذى لا تقوم عليه بينة ولا يهدى اليه دليل . وبعد هذا كله ؛ فما المانع من أن تكون دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان هي بعض من الحيوان القراض كالغار ونحوه من الحيوان الذى يقرض الخشب ؟ أجل ان الألوسى رد هذا الوجه وانى أخالفه وأقول انه احتمال وجيه ؛ فان الغار من دواب الأرض يتخذ مسكنه فيها .

وعلى كل حال ؛ فمكث سليمان سنة أو نحوها أمر زائد عما تدل عليه الآية الكريمة ولا يوجد نص صريح فى تلك المدة . وأحد الرايين اللذين قدمتهما كاف فى الخروج من كل اشكال أو اعتراض . وأولهما أولاها .

## أيوب عليه السلام

من الأنبياء الذين قص الله علينا قصصهم في القرآن « أيوب عليه السلام » .  
وقد ذكر اسمه في القرآن الكريم أربع مرات « في الآية ١٨٦ من سورة النساء وفي الآية ٨٤ من سورة الأنعام وفي الآية ٨٣ من سورة الأنبياء وفي الآية ٤١ من سورة ص » وقد ورد ذكر أيوب في كتب أهل الكتاب ، وله سفر خاص به من الأسفار القانونية في العهد القديم .  
قال البستاني في دائرة المعارف صفحة ٨٠٤ من المجلد الرابع : انه رجل مشهور بالاستقامة والتقوى والصبر ولذلك لقب بالصديق وضرب به المثل بالصبر .  
ويقال انه « عوص » بكر « ناحور » أخى ابراهيم . وقيل هو « يوباب » خفيد « عيسو » ابن اسحق .

كان موطنه أرض عوص ، ويظن أنها جزء من جبل سعين أو بلاد أدوم . قيل انه كان قبل موسى ، وقيل قبل ابراهيم بأكثر من مائة سنة — وهو أرجح — ومن أراد الوقوف على تفاصيل قصته فليطلبها من السفر المنسوب اليه من العهد القديم .  
وسفر أيوب هو أحد أسفار العهد القديم القانونية . وهو يحتوى على ٤٢ اصحاحا جمعها خمسة فصول كبيرة :

- الأول : يذكر تقوى أيوب وأملكه وأقاربه وصفاته .
- الثاني : يتضمن ما جرى بينه وبين أصحابه الثلاثة من الجدل .
- الثالث : أقوال الحكمة التي نطق بها « الياهو » أصغر أصحاب أيوب (١) .
- الرابع : يذكر مخاطبة الله اياه من العاصفة .
- الخامس : يتضمن خضوعه وشفاءه وتعويض ما فقده من المال والأهل .

وجاء في صفحة ١٤٨ ، ١٨٥ من الجزء الأول من « اظهار الحق » معقبا على ما نقله من أقوال « بيلي » فانظر أيها اللبيب ان كلام محققهم مطابق لكلامى أم لا ؟ وما قال ان بين علماء المسيحية نزاعا في حقيقة أيوب بل في وجوده قديما ، فأشار الى الاختلاف القوى لأن « رب معانى ديز » الذى هو عالم مشهور من علماء اليهود وكذا « ميكائيلس » وكذا « وسملر » و « استان » وغيرهم قالوا ان أيوب — اسم فرضى — وما كان مسماه في وقت من الأوقات . وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة : « وكانت » و « اتل » وغيرهما قالوا : انه كان في نفس الأمر .

---

(١) اصحاب أيوب الذين ذكروا في سفرهم « اليغاز التيماني » وصوفر النعماني ، وبلدد الشوحي ، والياهو .



ثم القائلون بوجوده اختلفوا في زمانه على سبعة أقوال :

- ١ — أنه كان معاصرا لموسى عليه السلام .
  - ٢ — أنه كان معاصرا للقضاة .
  - ٣ — أنه كان معاصرا « هاسي روس » أو « أزديشير » سلطان إيران .
  - ٤ — أنه كان معاصرا ليعقوب عليه السلام .
  - ٥ — أنه كان معاصرا لسليمان عليه السلام .
  - ٦ — أنه كان معاصرا لبختنصر .
  - ٧ — أنه كان قبل الزمان الذي جاء فيه إبراهيم عليه السلام الى كنعان .
- وقال « هورن » من محققى فرقة بروتستانت: ان خفة هذه الخيالات دليل كاف على ضعفها . وكذا اختلفوا في « غوط » بلده — الذى جاء ذكره فى الآية الأولى من الباب الأول من كتابه — بأنه كان فى أى اقليم ؟ على ثلاثة أقوال :

- ١ — فقال « بوجارت » و « أسباهم » و « كامت » وغيرهم : انه فى اقليم العرب .
- ٢ — وقال « ميكائيلس » و « الجن » انه فى شعب دمشق .
- ٣ — وقال « لود » و « ماجى » و « هيلز » و « كود » وبعض المتأخرين ان « غوط » اسم أدومية .

وكذا اختلفوا فى مصنف هذا الكتاب بأنه : اليهود أو أيوب ، أو سليمان ، أو أشعيا ، أو رجل مجهول الاسم — معاصر للسلطان منسا — أو حزقيال ، أو عزرا ، أو رجل من آل اليهود ، أو موسى عليه السلام الخ اهـ .

أما نحن فنقول : انه عبد صالح من عباد الله امتحنه الله فى ماله وأهله وبدنه فصبر صبورا جميلا فوهبه الله تعالى العافية وأعطاه أكثر مما فقد من أهل ومال ، وأثنى عليه ثناء جميلا فى قرآنه الكريم وجعله نبيا .

## ملاحظات

( الملاحظة الأولى ) ان الناس يروون فى بلاء أيوب أقوالا يوردونها تدل على أنه مرض مرضا شوها ومنفرا للناس من قربانه والدنو منه .

وهذا يتنافى مع منصب النبوة وقد قرر علماء التوحيد أن الأنبياء منزهون على الأمراض المنفرة . فكيف يتفق ذلك مع منصب النبوة ؟  
والجواب على ذلك من وجهين :

الأول — أن الابتلاء — على الوجه الذى يقولون — كان قبل النبوة وأن منحة النبوة انما كانت لما بدا منه من الصبر والرضا بما أصابه من مكروه وملازمته جانب الرضا عن الله تعالى

الثانى — أن المبالغين فى ضر أيوب انما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب « فى السفر المسمى : سفر أيوب » واذا ثبت أن هذا السفر حقيقى فعبارة مؤولة .

ففى هذا السفر ما نصه : فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردىء من باطن قدمه الى هامته . فأخذ لنفسه شققة ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد « ص ٢ أيوب » . لأنه مثل خبزى يأتينى أنينى ومثل المياه تنسكب زفرتى « ص ٣ آية ٢٤ » .

١ — قد كرهت نفسى حياتى . أسبب شكواى . أتكلم فى مرارة نفسى « ص ١٠ » ( ٣٨ ) « ص ١٣ » وأنا كمسوس يبلى كثوب أكله العث .

قرءوا ذلك فحسبوا هذا على وجه الوصف الحقيقى ! ولو تدبروا لعلموا أن سفر أيوب يشبه قصائد شعرية قيلت فى وصف ضره وصبره ، والشعر فى كل لغة ميدان المبالغة . انظروا الى قول عمر بن الفارض رضى الله عنه :

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى      وايقاد نيران الخليل كلوعتى

فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى      ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

وهذا المتنبي يقول :

كفى بجسمى نحولا أننى رجل      لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

ويقول : ولو أن ما بى من جوى وصباة      على « جمل » لم يدخل النار كافر

أى أن الجمل يلج حينئذ فى سم الخياط ويحصل المعلق عليه فى قوله تعالى ( ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ) .

وآخر يقول :

ولو قلم ألقيت فى شق رأسه      من السقم ما غيرت من خط كاتب

وآخر يقول :

نحلت فلو علقت فى رجل ذرة      لطارت ولم تشعر بأنى تعلقت

ولو نمت فى جفن الذباب معرضا      من السقم لم تشعر بأنى قد نمت

( الملاحظة الثانية ) أن القرآن الكريم ذكر ان الله أمر أيوب أن يأخذ بيده ضعفا فيضرب به وبذلك لا يكون حادثا فما هذه الحادثة ؟

والجواب : عن البيضاوى روى أن زوجته ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف ان يرى ليضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك ، وهى رخصة باقية فى الحدود .

وعن الألوسى — أن امرأته « رحمة » بنت أفرايم أو منسا بن يوسف . أو « ليا » بنت يعقوب . أو « ماخير » بنت منسا بن يوسف — على اختلاف الروايات — ذهبت لحاجة فأبطأت

أو بلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محظورة فيبرأ ، وأشارت عليه بذلك . فقالت له : الى متى هذا البلاء ؟ كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك ! أو جاءته بزيادة على ما كانت تأتي به من الخبز فظن أنها ارتكبت في ذلك محرماً فحلف ليضربها ان برىء ، مائة ضربة فأمر الله بأخذ الضغث « وهو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو قضبان » ولقد شرع الله تعالى ذلك رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها .

وهي رخصة باقية في الحدود في شريعتنا وفي غيرها أيضاً . لكن غير الحدود يعلم منها بالطريق الأولى .

بقي أن أقول : إن يعقوب ليس له بنت تسمى « ليا » بل ابنته تسمى « دينا » وهذا على علاقته انما يتمشى على قول من يقول ان أيوب بكر عيسو أخى يعقوب .

وعلى كل حال ؛ فلم يرد عند أهل الكتاب أنه كان موجوداً في زمن أفرايم أو منسا وادى يوسف .

أما ما جاء في القرآن الكريم عن قصته فاقراءوه في هذه الآيات :

سورة الانبياء : وَيُؤْيُبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [٨٣] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ [٨٤] .

سورة ص : وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ [٤١] أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا غُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ [٤٢] وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ [٤٣] وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ [٤٤] .

# يونس عليه السلام

ذكر يونس عليه السلام باسمه في القرآن الكريم أربع مرات « سورة النساء آية ١٦٣ . الأنعام آية ٨٦ يونس آية ٩٨ الصافات آية ١٣٩ » وذكر بوصفه في سورة الأنبياء في قوله تعالى

(١) لقد اللجنا « الموضوع الخامس » .

## ( قصة يونس عليه السلام )

في صفحة ٣٤٥ سطر ١١ ما نصه :

وتلخص - اى قصة يونس - في أن الله امره بأن يذهب الى اهل مدينة لهاديتهم وارشادهم الى الله تعالى ؛ فحسبى انهم لا يسمعون لقوله . ولما كان امر الله محتما اراد أن يبتعد عن ذلك البلد فنزل في سفينة ... الى آخر القصة .

ثم قال - في صفحة ٣٤٦ سطر ٩ - وقال آخرون انه كان أحد الملوك غزا بنى اسرائيل واسر منهم تسعة أسباط ونصف سبط . وذلك في مدة الملك « حزقيل » فأوحى الله الى شعبياء النبی ان اذهب الى « حزقيل » الملك وقل له يوجه خمسة من الأنبياء لقتال هذا الملك . وامره أن يخرج ؛ فقال يونس هل امرك الله باخراجي ؟ فقال : لا ؛ قال : هل سماني لك ؟ قال : لا ، فقال يونس : فيها هنا انبياء غيري ! فالحوا عليه فخرج مغاضبا فاتى بحر الروم ... الى آخر القصة .

ثم قال : وقد ذكر الالوسي وجوها كثيرة في تفسيره ، واللائق بالحق ان يقتصر في فهم القصة على ما قصه الله في الكتاب الكريم . ثم ذكر الآيات الواردة في هذه القصة .

وبعد ذكر أسئلة واجوبة قال - في صفحة ٣٤٨ سطر ٢١ - ما نصه :

وفي اعتقادي أن يونس كلف بالذهاب الى أولئك القوم - عقيب نبوته - ولم يكن قد مرن على النبوة وواجباتها وآداب اهلها . لان العلم بذلك يستدعي مدة وتكرر الوحي والازدياد من معرفة الله والارتياض على تلقى الوحي وتلقيه ، فحدثته في النبوة هي التي خيلت اليه ما قلنا من أنه خيل اليه أنه بابتعاده وتغربه في البلاد ربما استتبع اعفاءه من تلك المأمورية . اضيفوا الى ذلك انه كان حديث السن . فقد أورد الالوسي في تفسيره « ان سنه كانت ثمانية وعشرين سنة . ومن كان حديث العهد بالنبوة ، وفي مثل سن يونس يغفر الله لهم بعض ما عملوه عن غير تمرد وقصد جازم الى المعصية » أه كلامه بالحرف .

## ( رأى اللجنة )

ان جاز للمؤرخ ان يعلل حادثة تاريخية حدثت من آحاد الناس بمثل هذا التعليل - كان يقول السبب في انهزام الجيش الفلاني ان قائده لم يكن قد مرن على قيادة الجيوش . او السبب في احتلال نظام الدولة الفلانية في عهد ملكها فلان ان ذلك الملك كان حديث السن لم يكن قد مرن على ادارة المملكة - فلا يجوز قطعاً مثل هذا التعليل في حق الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اذا ورد عن واحد منهم ما يوههم تقصيرا ، بل يجب أن يفهم ذلك على وجه لا يتنافى مع ما قام عليه البرهان القطعي من وجوب عصمتهم ، خصوصا في مقام تبليغ رسالة ربهم الى الامم التي ارسلوا اليها .

ومن الواضح الذي لا يختلف فيه اثنان من المسلمين - ان الأنبياء والرسل ليسوا كآحاد الناس ، بل هم افضل منهم جميعا . لانهم انبياء الله ورسله اصطفاهم لهداية خلقه واختارهم لاداء رسالته ، وهو سبحانه وتعالى اعلم حيث يجعل رسالته .

( وذا النون اذ ذهب مغاضبا الخ ) وذكر بوصفه أيضا في سورة القلم في قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ( فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ) ولم

= فكيف يصح أن يقال بل كيف يصح أن يخطر على البال أو يمر على الخيال أن يونس عليه الصلاة والسلام لحدثته في النبوة وعدم مرونة عليه وعلى واجباتها وآدابها خيل إليه أنه بابتعاده وتغربه في البلاد ربما استتبع اعفائه من تلك المأمورية ؟

ومعنى ذلك أن الله أرسله لقوم فترك تبليغهم الرسالة وفر هاربا في البلاد ، وظن لحدثته في النبوة وعدم مرونة على واجباتها أنه بهروبه « كذا » قد يعفى من الرسالة نستغفرك اللهم ونتوب اليك سبحانه هذا بهتان عظيم .

لا يصح أن يقال في حق أى شخص له شرف ، كلف بأى مأمورية من أى رئيس ، الا فى مقام الذم والاستهجان الذى يجب أن تنزه عنه ساحة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

لو جاز مثل هذا التعليل في حق يونس عليه الصلاة والسلام الذى ورد في شأنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفضلوني على يونس بن متى - أخرجه البخارى . ومثله في مسلم بمعناه - لجاز أن يقع نظيره من كل رسول - فان كل واحد منهم في مبدأ رسالته يصح - على هذا الرأى - أن يقال أنه لم يكن قد مرن على الرسالة فيجوز أن يترك تبليغ الأمة المرسل اليها بمجرد توهم لحوق « كذا » الأذى منهم أو لحوقه « كذا » منهم بالفعل ، ولا نعتقد أن أحدا من المسلمين يجوز مثل هذا على أحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام !

هذا ولا ندرى السر في العدول عما قرره أئمة التفسير ، فقد ذكروا في مغازبة يونس عليه السلام التى حكاها الله تعالى بقوله ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا - الآية قولين ( الأول ) أن مغاضبته لقومه الذين أرسل اليهم . وانما غضب عليهم لعنادهم وتمادى اصرارهم مع طول دعوته اياهم ، فهجرهم بعد أن بلغهم الرسالة ويئس من اجابتهم لدعوته ، لأنه لم يكن مأمورا بالبقاء معهم ، لكن لما كان الأولى الصبر وعدم الخروج من عندهم حتى يؤذن له بذلك . حصل له ما حصل مما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ولكون ما وقع منه ليس ذنباً في الواقع بل تركا الأولى - من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين - كان ما حصل له محفوفاً بالطفاف الهية ومقرونا بمعجزة باهرة .

( القول الثانى ) ان مغاضبته هذه كانت قبل الرسالة وكانت للملك « حزقيل » كما قصه المؤلف في كتابه . ولما كان الأولى له الأمتثال لتأدية هذا العمل الخيرى وان لم يكن مأمورا من قبل الله تعالى حصل ما حصل - كما سبق - .

واما ما نقل عن بعض أئمة التفسير كالحسن وابن جبير من أن المعنى ( مغاضبا ) لله تعالى فانه يتبين تأويله على أن تكون اللام للتعليل ، فيرجع الى المعنى الأول والله اعلم .

هذا ما حققه أئمة التفسير . ومنه أن يونس عليه السلام لم يترك تبليغ رسالة ربه قبل الشروع في تنفيذها خشية عدم السماع له .

وعبارة المؤلف في تلخيص القصة تكاد تكون نصا في هذا الرأى المخالف لما حققه أئمة التفسير ، وهو الذى يناسبه تعليله السابق الذى ابطالناه ، وهو رأى منقول عن اليهود ، وقد ابطله أئمة التفسير . فكان الواجب عليه التحرز عن متابعة اليهود خصوصا في مثل هذه الآراء التى لا تتناسب مع مقام الأنبياء .

قال العلامة الألوسى : زعم اليهود أن الله أمر يونس أن يذهب الى اهل « نينوى » وينذر أهلها فهرب الى « ترشيش » من ذلك وانحدر الى « يافا » ونزل في السفينة فعظمت الأمواج واشرفت السفينة على الفرق . فاقترع أهلها فوقعت القرعة عليه . فرمى بنفسه الى البحر فالتقمه الحوت ثم القاه وذهب الى « نينوى » فكان ما كان !

ولا يخفى أن مثل هذا الهرب مما يجبل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واليهود قوم بهتاه  
=

يعلم من نسبه في كتب التفسير والحديث الا أنه « يونس بن متى » ويقول أهل الكتاب انه « يونا بن أمتاي » .

### رد المؤلف عليها « الموضوع الخامس »

#### قصة يونس عليه الصلاة والسلام

يحتاج الرد على ما كتبه اللجنة في قصة يونس عليه السلام الى مقدمة نبين فيها عصمة الانبياء ببيان ما يجب لهم وما يستحيل عليهم من حيث أتيانهم بالمعاصي أو خلاف الاولى . فاقول :  
اختلف أهل الاسلام في عصمة الانبياء عليهم السلام . وضبط القول فيه ان يقال : الاختلاف في هذا الباب يرجع الى اقسام أربعة :

( احدها ) ما يقع في باب الاعتقاد ( ثانيها ) ما يقع في باب التبليغ ( ثالثها ) ما يقع في باب الاحكام والفتيا ( رابعها ) ما يقع في افعالهم وسيرتهم .

القسم الاول : اما اعتقادهم الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عند أكثر الأمة . وقالت الفضلية من الخوارج : انهم وقعت منهم الذنوب - والذنب عندهم كفر - فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم . واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية . ولا ارتضى قول الفضلية ولا الامامية .  
القسم الثاني : هو ما يتعلق بالتبليغ ؛ فقد اجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ ، وان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا - وهو الحق - ومن الناس من جوز ذلك سهوا محتجين بأنه غير ممكن الاحتراز عنه ، وليس بشيء .

القسم الثالث : وهو ما يتعلق بالفتيا ؛ فقد اجمعت الأمة على أنه لا يجوز خطوهم فيه . واما على سبيل السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون .

والذي اقوله ان النبي قد يجتهد في الحكم فيصيب اجتهداه الحكم الذي رضىه الله للأمة وقد لا يصيبه . وحينئذ فهو لا يقر عليه بل ينزل الله بيان الحكم الذي رضىه ؛ كما في شأن المرأة التي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها وتشتكى الى الله .

القسم الرابع : وهو الذي يقع في افعالهم ؛ قد اختلفت الأمة في هذا القسم على خمسة اقوال :  
(١) قول من جوز عليهم الكيثر على جهة العمد وهو قول الحشوية . (٢) قول من لا يجوز عليهم الكيثر ؛ لكنه يجوز عليهم الصفائر على جهة العمد الا ما ينفر كالكذب والتطيف . وهذا قول أكثر المعتزلة . (٣) أنهم لا يجوز ان يأتوا بصغيرة ولا بكبيرة على جهة العمد البتة ، بل على جهة التأويل . وهو قول الجبائي . (٤) انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ ، ولكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة ، وان كان ذلك موضوعا عن امتهم ، وذلك لان معرفتهم أقوى ودلائهم أكثر ، وأنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم . (٥) انه لا يقع منهم الذنب لا الكبيرة ولا الصغيرة لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على التأويل والخطأ . وهو مذهب الرافضة .

اما وقت العصمة فقد اختلفوا فيه على ثلاثة اقوال :

- (١) ذهب قوم الى أن الانبياء معصومون من وقت مولدهم . وهو قول الرافضة .
  - (٢) ذهب قوم الى أنهم معصومون من وقت بلوغهم ولم يجوزوا عليهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة . وهو قول كثير من المعتزلة .
  - (٣) ذهب قوم آخرون الى أنه لا يجوز منهم ارتكاب شيء من ذلك وقت النبوة ، اما قبل النبوة فجائز . قال الرازي وهو قول أكثر اصحابنا وقول ابي الهذيل وابي على من المعتزلة .
- ومن أحب زيادة البيان فليرجع الى صفحة ٣٩٧ وما بعدها من الجزء الاول من تفسير الفخر =

والظاهر من أمره أنه من اليهود . ويوجد ببلد اسمه « حلحول » قرب مدينة الخليل بفلسطين قبر يقال انه قبر « يونس » وبمكان غير بعيد عنه قبر آخر يقال انه قبر « متى » .

= الرازي . وفي صفحة ٢٦٣ وما بعدها من كتاب « الجامع لاحكام القرآن » للمقرطبي ما نصه : واختلف العلماء في هذا الباب هل وقع من الانبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - صفائر من الذنوب يؤخذون بها ويمتابون عليها أم لا ؟ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص اجماعا . عند القاضي أبي بكر وعند الأستاذ أبي بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة ، وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم .

فقال الطبري وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين : تقع الصفائر منهم . خلافا للرافضة حيث قالوا : أنهم معصومون من جميع ذلك . واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لا خفاء فيه .

وقال جمهور من الفقهاء - من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي - أنهم معصومون من الصفائر كلها كعصمتهم من الكبائر . لانا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقا من غير التزام قرينة . فلو جوزنا عليهم الصفائر لم يمكن الاقتداء بهم . اذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والاباحة أو الحظر والمعصية ؛ ولا يصح أن يؤمر المرء بامثال أمر لعله معصية لا سيما عند من يرى تقديم الفعل على القول - اذا تعارضا - من الأصوليين .

قال الأستاذ أبو اسحاق الاسفرائيني : واختلفوا في الصفائر ؛ والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم . وصار بعضهم الى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة .

وقال بعض المتأخرين - ممن ذهب الى القول الأول : الذي ينبغي أن يقال : انه تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واشفقوا منها وتابوا ، وكل ذلك وارد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملة وان قبل ذلك أحادها ، وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم ، وانما تلك الامور التي وقعت منهم على جهة الدور وعلى جهة الخطأ أو النسيان أو التأويل وما الى ذلك ، فهي بالنسبة الى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو أقدارهم ، اذ قد يؤخذ الوزير بما يثاب عليه السائس . فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع عملهم بالأمن والأمان والسلامة . قال : وهذا هو الحق . ولقد أحسن الجنيدي حيث قال « حسنات الأبرار سيئات المقربين » فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانت قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يخل ذلك بمناصبهم ، ولا قدح في رتبهم . بل قد تلافاهم واجتباهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه اهـ .

تلخص لنا مما تقدم أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام معصومون من تعدد اتيان الذنب في حال النبوة ، وأن الكبيرة لا يمكن أن يأتوا بها في هذه الحال وانما تقع منهم الذنوب الصغيرة متأولين أو ناسين ، وهذه تعتبر ذنوبا في حقهم وان كانت غير ذنوب على أمهم نظرا لما لهم من التميز من القرب من الله وزيادة معرفتهم به .

لما وصلت من الكتاب الى قصة يونس عليه الصلاة والسلام وجدت الله تعالى يقول ( وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نتجى المؤمنين ) سورة الانبياء .

ويقول ( وان يونس لمن المرسلين ، اذ أبق الى الفلق المشحون ، فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وأنبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا فممتعناهم الى حين ) سورة الصافات .

نظرت الى ما قاله المفسرون فوجدتهم يذكر أن يونس أرسله الله الى مدينة فدعا أهلها الى =

وقد ذكرت قصة يونس في سورتي الأنبياء والصافات ؛ وقد ذكر المفسرون لقصته حكايات ووجوها كلها من الاسرائيليات ، وبعضها يخالف ظاهر القرآن الكريم ، وقد أطالوا ما شاءت

== الله وطال عليه الأمد فخرج من بينهم بدون اذن من الله فكان له ما كان . ويزيد آخرون : انه أوعدهم العذاب يحل بهم بعد أربعين يوما ومضت فلم يحل بهم فضايق بذلك الأمر ثم كان ما كان مما قصه الله في القرآن . ورأيت الله تعالى يقول ( وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا ) فجعل إيمانهم عقب إرساله إليهم — كما هي قضية الفاء للترتيب والتعقيب .

وعلى ذلك فلم يكن منهم صد أو اعراض عنه ، وإنما كان ذلك الإرسال بعد التقام الحوت . ونظرت الى وجه آخر مما قاله المفسرون وهو قولهم « انه كان مغاضبا للملك حزقيل . الخ » وقد علم اهل التاريخ انه لم يكن في بنى اسرائيل ملك اسمه « حزقيل » .

وقالوا « أن ملكا سبى من بنى اسرائيل تسعة أسباط ونصف . . . الى آخره » وبنو اسرائيل لم يسبوا الا فى زمن « دختنصر » وكان السبى ليس خاصا بسبب دون سبب بل كان السبى منهم جميعا ولم يرسل يونس ليختنصر ولم يؤمن هو ولا قومه .

لذلك كله عدلت عن هذه الأقوال التى لا حجة صحيحة للمفسرين فيها وقلت : « واللائق بالحق ان يقتصر فى فهم القصة على ما نصه الكتاب الكريم فقط » .

لما كان القرآن ينبئ عن إيمانهم عقب الرسالة كان حصول ذهابه الى الفلك والتقام الحوت إياه حاصلا قبل وصوله إليهم . فهذا هو الذى أملى على أنه ذهب الى الفلك عقب أمره بالذهاب إليهم . لا شك فى أن ذهابه عنهم عقب أمره بالذهاب إليهم يكون جريمة منه ومعصية لا يمكن أن يأتيها مثل هذا النبى الكريم الا متأولا . اذ يحتمل انه فهم أن الأمر غير جازم بل هو أمر ارشاد ، ومخالفة أمر الارشاد لا تستوجب ذنبا يستحق المخالف العقاب عليه . كما تأول الفقهاء كتابة الدين المأمور بها فى قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذا تدانستم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ) ففهم الأمر على هذا الوجه .

وقد رأيت الله تعالى نسب الى يونس عليه السلام أمورا ثلاثة : (١) انه أبق الى الفلك المشحون (٢) انه ذهب مغاضبا . (٣) أنه ظن أن لن يقدر الله عليه .

وكل هذه أمور اذا لم تصرف عن ظاهرها كانت ذنوبا اذا صدرت من الأحاد فكيف بنى كريم ؟ لذلك يجب تأويل قوله تعالى ( اذ أبق الى الفلك المشحون ) انه ذهب اليها ذهاب الأبق ولم يكن أبقا يرجو أن يختفى عن عين سيده حتى يتعذر عليه رجعته الى قبضته . حاشا وكلا أن يكون هذا ( أولا ) . . . ( ثانيا ) يجب تأويل قوله تعالى ( اذ ذهب مغاضبا ) بأنه لم يكن مغاضبا لله ولكنه أشفق من القوم الذين أمر بالذهاب إليهم وهم ليسوا له بأهل ولا عشيرة ، وقد خشى أن يفرطوا عليه أو يطفوا أو ينالوه بالأذى ، فذهب على وجهه يريد الابتعاد عن الجهة التى هم فيها ؛ علما أن الله تعالى لن يعجزه أن يرسل إليهم نبيا آخر يكون أقدر على التلطف بهم واقناعهم ، وفى ذلك راحته من عنتهم وأمنه على نفسه منهم ، وهو فى ذلك يظن انه لا يغضب الله تعالى وان كان ذهابه على هيئة الغاضب . وغرضى من ذلك صرف لفظ ( مغاضبا ) عن معناه ؛ لأن مغاضبة الله لا يليق صدورها من نبى . فأولت ذلك الى أن ذهابه على هيئة الغاضب وهو غير مغاضب .

وقد فسرت قوله تعالى ( ان لن تقدر عليه ) تفسيرا يتفق مع موقف الانبياء من ربهم فصرفته عن المعنى المتبادر منه . وهو أنه ظن أن يعجز الله ويقلت من قبضة قدرته الى تفسير يتفق مع عقيدة الانبياء فى الله تعالى . وهو أنه تعالى لن يعجزه شيء من الممكنات ، وصرفت ظاهر اللفظ الى معنى التضييق كما فى قوله تعالى ( وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهاننى ) أى ضيق عليه رزقه ، وبينت أن هذا المعنى تساعد عليه رواية ( تقدر عليه ) بتشديد الدال المكسورة وقد جاء ذلك فى تفسير البضاوى الذى نقلته . ومن ذلك يجد القارىء الكريم انى لم أقل فى يونس رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كل خير ولم أنسب اليه أمرا لا يليق .



لهم الاطالة ، وتفننوا ما امتد بهم التفنن ! والذي يهمة أن يقف على أقوالهم يمكنه أن يراجعها في أمكنتها .

= وانما عدلت عن الأقوال التي قالها المفسرون ؛ لأن بعضها ليس له حقيقة وبعضها لا يتفق مع ظاهر القرآن الكريم كما قدمت .

يوجد فرق كبير في الراى بينى وبين حضرات أصحاب الفضيلة في شأن أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين - قد لاحظته في أثناء قراءتى لنقدم كتابى .

ذلك أن حضراتهم يرون أن الأنبياء يفرغ الله عليهم كل كمال بمجرد النبوة ؛ فلا يصدر عنهم اى عمل يوجه اليهم بسببه الى عتاب أو لوم ، وأنهم من حين النبوة وبمجرد جعل الله تعالى لهم من أهلها صاروا بطبيعتهم مستغنيين عن ارشاد الله وتعليمه اياهم وتبصيره لهم أمورا لا يعلمونها وتسديده اياهم الى الصواب . فهم ينزهونهم عن كل شىء مما هو من هذا بسبيل .

أما هذا الضعيف فيعتقد أن الأنبياء في حال النبوة معصومون عن كبائر الذنوب وعن تعمد اتيان الصفائر منها . وإذا صدر عنهم ذنب من الصفائر فانما يكون عن تأول لأمر الله تعالى او عن خطأ أو نسيان - مما حط الذنب فيه عن أمهم - ولكنهم يؤخذون به صلوات الله عليهم لكمال معرفتهم بالله تعالى وقربهم منه قربا معنويا . فالتحفظ من الذنب لهم ألزم فعدت عليهم تلك الأشياء ذنوبا وهى غير ذنوب كما يقول القرطبى « قد يؤخذ الوزير على ما يثاب عليه السائس » واعتقادى أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معرفته بالله ووقوفه عند محابه تعالى وعدم تخطيها في أخريات أيامه أكمل وأعلى من معرفته به تعالى في أول نبوته . فقد جاء في الأخبار أنه كان يحاول التردى من الجبال ، وكان لا يسكنه عن ذلك الا أن يرى جبريل عليه السلام بين السماء والأرض يقول له يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فهذا ضرب من تعليم الله له وصده عما كان بصدد أن يأتيه .

كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بما تقول قريش ( لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ) فكان لذلك يثقل عليه أن يبلغهم ما يوحى الله به اليه مما يكرهون . ولذلك قال الله تعالى له ( فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ) .

ويشبه ذلك أيضا مسألة أخرى - وهى أنه صلى الله عليه وسلم لما أعلمه الله وأمره أن يتزوج من « زينب بنت جحش » متى طلقها زيد وانقضت عدتها منه . وجاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه أنه يريد طلاق زينب قائلا « يا رسول الله قد اشتد على لسانها وأريد أن أطلقها » فقال له رسول الله « أمسك عليك زوجك واتق الله » .

قال ابن حجر « في فتح البارى جزء ٨ ص ٣٧١ » والحاصل أن الذى كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم هو أخبار الله آياه بأنها ستصير زوجته . والذى كان يحمله على اخفائه ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه . وأراد الله ابطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ في الإبطال منه . وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا ووقوع ذلك منه أمام المسلمين ليكون ادعى لقبولهم .

وقد أخرج الترمذى عن عائشة قالت « لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية (واذ تقول للذى أنعم الله عليه . . . الخ) .

وما كان أحد ليظن أن محمدا خالف عن أمر ربه ، وانما اجتهد صلى الله عليه وسلم وراى أن كثيرا من المرجفين حوله يتلمسون له ما يعوقون به عن دعوته وبلغ بهم اللجاج أن عابوا عليه ( أن جعل الآلهة الها واحدا ) وهو أمر لا تختلف فيه العقول السليمة . وقول بعضهم عندما قسم الفنائم « ما أراد وجه الله بهذا القسم » .

اقرأوا هذه الآيات : -

**سورة يونس :** فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ  
عَذَابَ الْغَلْظِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَمَتْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ [٩٨] .

وانظر تأويلهم حفر الخندق بأنه علامة الضعف ، وكيف شنعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عند ما قال لأصحابه « ستفتح لكم بلاد كذا وبلاد كذا » فقال بعضهم ( ما وعدنا الله ورسوله  
الا غرورا ) فرأى صلى الله عليه وسلم أن زواجه زينب سيفتح عليه بابا من ابواب شغب الكفار  
والمنافقين ، وأن زواجه من زينب سيفتح عليه بابا للتقول عليه ، وحشى أن يتزلزل اعتقاد بعض  
المؤمنين . فأخر التنفيذ راجيا من الله أن يعفيه هو من هذا الأمر ، وأن ينفذه في غيره . فعاتبه الله  
على هذا الاجتهاد وأمره بالتنفيذ في نفسه رغم تأفقه ، كما أرغم الله تعالى يونس على الذهاب الى  
القوم الذين أرسل اليهم رغم تخوفه منهم .

وقد قال ابن عباس : ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد نبذ الحوت له ، وهو يؤيد ما ذهب  
اليه في الجملة ، قلل القاضي عياض « في الشفاء ص ٩٧ ج ٢ » . وقد روى ابن عباس أن ارسال  
يونس ونبوته انما كان بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله ( فنبذناه بالبراء وهو سقيم  
وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف ) ويستدل ايضا بقوله ( ولا تكن كصاحب  
الحوت ... الخ ) .

ذكر القصة ثم قال ( فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ) فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته .  
وعلى الجملة فان شأن يونس الذي شرحته بقولى صفحة ٣٤٨ « ولكنه كان يظن أن الله تعالى  
لا يحتم عليه الرجوع اليهم . معناه أنه تأول الامر على أنه أمر ارشاد لا اثم في مخالفته ، وأن التقام  
الحوت له كان قبل ذهابه اليهم . وما زلت أقوله ؛ ولن ازال أقوله غير خاش انما ولا لوما  
ولا محتقبة معصية ولا حوبا .

وليعلم حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة أن أنبياء الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين  
ليسوا ملكا لأحد ، وما جعل الله لأحد احتكار الدفاع عنهم بل هم عباد مكرمون ، على كل مؤمن أن  
يجل مقامهم باجلال الله تعالى . وأن حضرات أعضاء اللجنة ليسوا هم الذين يجلونهم دون سائر  
الناس وانى بما أشرح من شؤونهم من أحرص الناس على ما لهؤلاء الأنبياء من مقام رفيع ، وانى لست  
دون حضرات أعضاء اللجنة اجلالا لهم واكبارا واعازا ، وانى لم اقل ولن اقول في أحد منهم الا خيرا  
يرضاه الله ويرضى به عنى أولئك الأنبياء .

ان ما ذكرته في كتابى عن يونس لم يعد أن يكون كقول موسى لربه حين أمره بالذهاب الى فرعون  
لدعوته الى الله وارسال بنى اسرائيل ( انى الخاف ان يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق  
لسانى فأرسل الى هرون ) فهذا من موسى نقص من الرسالة في أول موقف له مع الله . ولو كان  
موسى قد مضى عليه وقت في النبوة وعرف أحوالها وشؤون الأنبياء مع الله لما قال ذلك . ولعلم أن  
هذا الشرف لا ينبغي أن يقابل بما قاله . وكذلك حين ألقى العصا فراها تهتز كأنها جان ولى  
مدبرا ولم يعقب . فقال الله تعالى ( لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون ) فهذه المقالة تعليم من الله  
له ما لا يعلمه من شأن رسل الله تعالى .

ومن هذا القبيل ما أورده الطبرى بسنده في تاريخه من أن رسول الله لما هب من نومه حافظا  
لقوله تعالى ( اقرأ باسم ربك الأعلى ... الى آخره ) فكر في نفسه وقال ( الأبعد شاعر أو مجنون )  
وكان أكره شيء الى نفسه أن يرى شاعرا أو مجنونا ، وخشى أن تتحدث قريش عنه بأنه شاعر  
أو مجنون فخطر له أن يذهب فيتردى من حالق من الجبل . فلما ذهب لتنفيذ ما عزم عليه نظر في  
السماء فاذا شخص صاف قدميه يناديه « يا محمد انت رسول الله وانا جبريل » فكلما حول وجهه في =

فهذه الآية تفيد بصريح العبارة أن الأمم الغابرة كانوا يعاندون ويصرون على ما هم عليه من الكفر والاباء عن الايمان ، ولم ينج من هذا الا القوم الذين أرسل اليهم يونس فانهم أجابوه الى الايمان ، فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومنتعهم الله الى حين .

**سورة الانبياء : وَذَٰلِ الْتَوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَنْقُدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [٨٧] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ [٨٨]**

فلن كان يونس مغاضبا ؟ وكيف يظن أن لن يقدر الله عليه ؟ وهو نبي كريم لا يمكن أن يسيء الظن بالله فيجول في نفسه أن قدرة الله تعجز عن تناوله ؟

يقول بعض المفسرين : انه كان مغاضبا لربه ولذلك استوجب ادحاضه والتقام الحوت له . وهذا القول يناق العصمة . ويوجب جهله وقدرته جهلا لا يعذر فيه أحد السوقة فضلا عن نبي كريم — والذي أقوله انه لم يكن مغاضبا لله حقيقة ولكنه ذهب بهينة المغاضب والا فيونس أجل من ذلك — وقال آخرون من المفسرين : انه كان مغاضبا لقومه الذين أرسل اليهم لابطائهم عن تلبية دعوته والدخول فيما دعاهم اليه من الايمان .

لكن كيف يترتب على هذه المغاضبة أن الله تعالى يمتحنه بالالقاء في اليم والتقام الحوت . حين أن مغاضبته لقومه انما كانت لله وفي الله ؟

قد يقولون ان معاقبته انما كانت بسبب أنه لم ينتظر أمر الله بمفارقتهم . وجوابي على ذلك أن الله لم ينص على بقاءه معهم — آمنوا أو أصروا على كفرهم — حتى يكون انصرافه عنهم موجبا لا ابتلاؤه وليس في القرآن نص على ذلك ولا اشارة نص .

— ناحية من السماء وجده يناديه ويقول له ذلك ، فصرفه ذلك عن تنفيذ ما اعتزم عليه فرجع الى خديجة وقال لها « لقد خشيت على نفسي » .

فكيف حدثه نفسه بالتردى بعد ما جاءه الوحي ؟ اليس ذلك يعد هربا من الرسالة ! وهل كان يحدث منه ذلك بعد أن تتابع الوحي ومضى عليه زمن يؤدي فيه رسالة الله ؟

جمل البخارى هذه الحادثة بعد أن فتر الوحي وأن رسول الله قد هم مرارا بالتردى من الجبل وما كان يصده عن تنفيذ ذلك الا تبدي جبريل له وقوله له في كل مرة « يا محمد انت رسول الله وأنا جبريل » ولو كان رسول الله قد علم احوال النبوة وكل شيء من احوال الانبياء بالنسبة الى الله لما كان في احتياج الى ان يعرفه « ورقة بن نوفل » أن الذي رآه انما هو الناموس الاكبر الذي كان ينزل على موسى .

بما تقدم يعلم القارئ الكريم اني لم اعارف اثما في جنب نبي الله يونس بن متى ، وان كلامي له وجه صحيح لا غبار عليه . وكلام اللجنة تأثيم لي بغير سلطان اتاهم وبغير بينة ولا هدى ولا كتاب منير .

وأيضاً فإن الله تعالى يقول — بعد أن قص قصته بأنه أبق إلى الفلك المشحون وسأهم فكان من المدحضين والتقمه الحوت وهو مليم ولولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون — وأن الله نبذ به بالعراء وهو سقيم وأثبت عليه شجرة من يقطين . بعد هذا كله ذكر تعالى أنه أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون ، فآمنوا . فهذه الآيات تدل على أن الإرسال كان بعد ذهابه مغاضباً وأنه أبق إلى الفلك . ثم كان من المدحضين والتقمه الحوت . ثم دعا الله فجعل الحوت يلفظه وأثبت عليه اليقطينة . ثم أرسله إلى أهل القرية التي أمره الله بالذهاب إليها فآمنوا . ولم يكن بين دعوتهم إلى الإيمان وبين تلييتهم دعوته فرجة يذهب فيها مغاضباً ؛ بعد أن تقدمت المغاضبة ولقي جزاءه عليها ، فأصحاب هذا الفرض يناقضون الكتاب ويخالفون ما يدل عليه ظاهره بدون داع لذلك .

وأما ما يدل عليه ظاهر قوله تعالى ( فظن أن لن نقدر عليه ) فتأويله : فظن أن لن نضيق عليه أي ظن أننا نوسع عليه في الذهاب عن القوم الذين أرسل إليهم ولا نلجئه إلى تبليغ رسالة الله تعالى إليهم . بدليل قراءة التشديد ( نقدر ) وبذلك يندفع الاعتراض .

اقرأوا هذه الآيات :

**سورة الصافات :** وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ [١٣٩] إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ [١٤٠] فَسَاءَ مَا كَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ [١٤١] فَالتَّمَقَّمُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ [١٤٢] فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ [١٤٣] لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [١٤٤] فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ [١٤٥] وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقُطِينٍ [١٤٦] وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [١٤٧] فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ [١٤٨] .

ومعنى اللبث في بطنه أنه لا يخرج منه حياً ، لا أنه يبقى حياً إلى يوم البعث ثم يخرج لذلك . والذي تلخص لى من أمر يونس على ضوء ما جاء في الكتاب الكريم أن يونس عليه السلام أمره الله بالذهاب إلى قوم ليسوا من عشيرته ولا من بلده ويقول بعض المفسرين أنهم أهل نينوى ، فخشى أن ينالوه بالأذى لأنه ليس بذى عصبية بينهم تقوم بنصره ومنعه ، وتأول الأمر على أنه أمر ارشاد — كما تأول الفقهاء عندنا الأمر بكتابة الدين أنه أمر ارشاد — وظن أن الله تعالى لن يضيق عليه ولن يلزمه بالذهاب إليهم ، وأنه تعالى ليس بمسبوق على أن يرسل إليهم من هو أشد منه قوة وأنفذ قولاً بينهم ، فذهب لبيتهم عن ناحيتهم ، فأوى إلى الفلك المشحون فكان ما كان من اضطراب الفلك ، حتى اضطرب أهله إلى أن يساهموا على من يلقي في البحر من الركاب فخرج سهمه إلى أن كان من المدحضين . وقبض الله حوتاً لعله « قيطس » لالتهامه فمكث في بطنه ما شاء الله أن يمكث — مما لا أتعرض لتحديده ، فأقول لفظه كما ابتلعه أو مكث

في بطنه ثلاثا أو سبعا أو أكثر أو أقل . فنبذه بالعراء وهو سقيم . وأن الله أنبت عليه شجرة من يقطين ، فلما فرح بها وارتقق بفيئها سلط الله عليها حيوانا قارضا فأكل أصلها ولفحتها ريح السموم فذوت وشتق ذلك على نفسه . فأفهمه الله أنه قد ناله الأسف على يقطينة ليس لها شأن وقد اهتم بها . أفلا يهتم الله تعالى ويوجه عنايته الى قرية فيها أكثر من مائة ألف يريد انقاذهم من ضلالهم ويقيهم نزول الغضب بهم ، ثم أرسله اليهم فأمنوا .

وفي اعتقادي أن يونس كلف بالذهاب الى أولئك القوم عقيب نبوته ، ولم يكن قد مر من عنى النبوة وواجباتها وآداب أهلها . لأن العلم بذلك يستدعى مدة وتكرر الوحي والازدياد من معرفة الله تعالى والارتياض على الوحي وتلقيه ، فحدثته في النبوة هي التي خيلت اليه ما قلنا من أنه خيل اليه أنه بابتعاده وتغربه في البلاد ربما استتبع اغفائه من تلك المأمورية . أضف الى ذلك أنه كان حدث السن . فقد أورد الألوسي في تفسيره : أن سنه كانت ثمانيا وعشرين سنة . ومن كان حديث العهد بالنبوة وفي مثل سن يونس يغتفر الله تعالى لهم بعض ما عملوه عن غير تمرد وقصد جازم الى المعصية .

## يونس عليه السلام عند أهل الكتاب

يسمى يونس عليه السلام عند أهل الكتاب « يونان بن أمتاي » وله كتاب في ضمن الكتب القانونية التي قبلتها الكنيسة . وكتابه يقع في أربعة اصحاحات « فصول » .

ومضمونه أن الله أمر يونان أن يذهب الى « نينوى » لأن شرهم قد كثر . فقام يونان ليهرب الى « ترشيش » من وجه الرب فنزل الى « يافا » ووجد سفينة ذاهبة الى « ترشيش » فنزل بعد أن دفع الأجر . فأرسل الله ريحا شديدة فحصل نوء عظيم حتى كادت السفينة تفرق ويهلك من فيها . وكان كل واحد ينادى الهه ويونان نائم في قاع السفينة فأيقظوه . وعملوا قرعة لمعرفة من كان سببا في غضب الله فخرجت القرعة عليه ، وحدثهم بقصته وأرادوا الرجوع الى الساحل فلم يقدروا ، فأشار عليهم بأن يلقوه في اليم ليسكن عنهم غضب الله ، فألقوه فالتقمه حوت عظيم وسكن هيجان البحر عن القوم . فدعا « يونان » الهه من جوف الحوت وتضرع واستغاث وظل على ذلك ثلاثة أيام وثلاث ليالي . ثم لفظه الحوت بالساحل ثم أمره الله أن يذهب الى « نينوى » فذهب وأوحى اليه أن ينادى بأن نينوى ستهلك بأن تنقلب على أهلها بعد أربعين يوما . فأمن أهل نينوى بالله وصلوا وصاموا وتضرعوا الى الله وأنابوا . وبلغ الأمر « ملك نينوى » ففعل مثل أهل مملكته وأمر بفصل صغار البهائم عن أمهاتها والحيولة بين الدواب والعلف والماء .

ولما مضت الأربعون لم يحصل لأهل نينوى شيء مما أُنذروا به . فاغتم يونان لأن وعيده لم يتحقق فخرج من المدينة واتخذ لنفسه كئنا يكون فيه . فأنبت الله عليه يقطينة فأسرعت في النمو

وأظلت كتفه بأوراقها ففرح بها ، وفي اليوم الثاني سلب الله عليها دودة فأكلت أصلها وهبت عليها  
ريح حارة فجففتها . فاغتاظ يونان وقال « موتى خير من حياتى » فأوحى الله اليه . هل اغتظت  
من أجل اليقطينة ؟ فقال « اغتظت بالصواب حتى الموت » فقال الله له : أشفقت على اليقطينة  
التي لم تتعب فيها ولا ريبتها التي بنت ليلة نبتت وبنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى  
المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اتنى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم  
من شمالهم وبهائم كثيرة ؟

هذا مجمل لما جاء فى كتاب يونان — والحق ما جاء فى القرآن الكريم :

## آيات عامة

بما نزل — على الأمم الخالية — من العذاب لما كذبوا رسلهم

**سورة الاعراف :** وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ  
يَضُرَّعُونَ [٩٤] ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَنَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ  
وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ [٩٥] وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ  
بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [٩٦] أَفَأَمِنَ أَهْلُ  
الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ [٩٧] أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى  
وَهُمْ يَلْعَبُونَ [٩٨] أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [٩٩] أَوَلَمْ يَهْدِ  
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ  
لَا يَسْمَعُونَ [١٠٠] تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا  
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ [١٠١] فَمَا وَجَدْنَا  
لَا كَثْرَهُمْ مِن عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ [١٠٢]

**سورة التوبة :** أَلَمْ يَأْتِهِم نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ  
وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا  
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [٧٠]

**سورة هود :** وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ  
هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ [٨٩]

ومنها أيضا : ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ [١٠٠] وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ [١٠١] وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [١٠٢]

سورة ابراهيم : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيَتَّبِعُنَا لَكُمْ فَيُصِلَ اللَّهُ مِنْ بَشَاءٍ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٤]

ومنها أيضا : وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَلَبَّ اللَّهُ لَغْنِي حَمِيدٌ [٨] أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَمْلِكُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ [٩]

سورة الاسراء : . . . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [١٥] وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا [١٦] وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [١٧]

سورة الحج : وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ [٤٢] وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ [٤٣] وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [٤٤] فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُهَا مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ [٤٥]

سورة الفرقان : وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا [٣٧] وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا [٣٨] وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْمِيرًا [٣٩] وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَطْرَقَ مِطْرُ السَّوَاءِ أَقْسَمُ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَرَجَّوْنَ لَهَا [٤٠]

سورة الشعراء : وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ [٢٠٨] ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ [٢٠٩]  
سورة العنكبوت : وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاسِكِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ  
فَصَدَّقْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ [٣٨] وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ  
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ [٣٩] فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ  
حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ  
يُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [٤٠]

سورة فاطر : وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ [٤١]  
ومنها أيضاً : وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ  
وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ [٢٥] ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ [٢٦]

سورة غافر : وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ [٣٠] مِثْلَ  
دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ [٣١]

سورة فصلت : فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ [١٣] إِذْ جَاءَهُمْ  
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأَمَّا  
بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ [١٤]

سورة ق : كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودَ [١٢] وَعَادَ وَفِرْعَوْنَ وَإِخْوَانِ  
لُوطٍ [١٣] وَأَصْحَابُ الْأَنْكَبَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ [١٤]

سورة الحاقة : كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنَّاصِرَةِ [٤] فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ [٥] وَأَمَّا عَادُ  
فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [٦] سَحَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ  
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [٧] فَمِلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [٨] وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبِيلُهُ  
وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ [٩] فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً [١٠]

سورة الفجر : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ [٦] إِمْرًا ذَاتِ الْعِمَادِ [٧] الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِنْهَا



فِي الْبِلَادِ [٨] وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ [٩] وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ [١٠] الَّذِينَ طَعَنُوا  
فِي الْبِلَادِ [١١] فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ [١٢] فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ [١٣]  
إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [١٤]

## آيات عامة

ذكر فيها بعض أسماء الأنبياء والمرسلين إجمالاً

سورة البقرة : قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ  
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [١٣٦]

سورة آل عمران : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [٣٣]  
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [٣٤]

ومنها أيضاً : قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ  
مُسْلِمُونَ [٨٤]

سورة النساء : إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ  
زَبُورًا [١٦٣] وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى  
تَكْلِيمًا [١٦٤] رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ  
عَزِيزًا حَكِيمًا [١٦٥].

سورة الانعام : وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ [٨٣] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ  
وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [٨٤] وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى

وَالْيَاسَ كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ [٨٥] وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ [٨٦]  
وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [٨٧]

سورة الانبياء : وَإِسْمَاعِيلَ وَإِذْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلًّا مِنَ الصَّابِرِينَ [٨٥] وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي

رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ [٨٦]

سورة الاحزاب : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى

وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [٧]

سورة ص : وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ [٤٥]

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ [٤٦] وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ [٤٧] وَأَذْكُرْ

إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلًّا مِنَ الْأَخْيَارِ [٤٨]

---

## زكريا عليه السلام

ذكر زكريا في القرآن الكريم ثمان مرات « في الآيتين ٣٧ و ٣٨ من آل عمران . وفي آية ٨٥ من الأنعام . وفي الآيتين ٢ و ٧ من مريم وفي آية ٨٩ من الأنبياء » .

وذكر يحيى « في ٣٩ آل عمران . وفي ٨٥ الأنعام . وفي ٧ و ١٢ مريم . وفي ٩٠ الأنبياء » .  
لم يذكر نسب زكريا في القرآن ولا في كتب الأنبياء عند أهل الكتاب .

ويوجد زكريا - آخر - ليس له قصة في القرآن أصلا . وهذا له كتاب من الكتب القانونية عند النصارى . وهو « زكريا بن برخيا » وكان في زمن داريوس أى قبل زمن المسيح بما يقرب من ثلاثة قرون وهو الذى تكلم في كتابه في الفصل التاسع عن ولاية « عمر ابن الخطاب » وغلبه على « أورشليم » ودخوله اليها منصورا وادعا راكبا على حمار .

والنصارى يؤولونه بالمسيح . واليهود يؤولونه بمسيحهم المنتظر وهو المسيح الدجال أما زكريا أبو يحيى فيظهر أنه كان ممن لهم شركة في خدمة الهيكل وعلى ذلك فهو « لاوى » . وسيأتى أن امرأة عمران - والددة مريم - لما نذرتها لخدمة الهيكل جاءت بها الى خدام الهيكل فكل واحد منهم أراد أن يكفلها وألقوا قرعة على ذلك ، فكانت مريم نصيب زكريا فقام بأمرها كما قال تعالى ( وكفلها زكريا ) وقد أشار القرآن الكريم الى القرعة في شأنها في قوله تعالى : ( وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون ) .

كان زكريا زوجا لخالة « مريم » والتعبير بابنى الخالة في حديث المعراج فيه تجوز على ذلك . لما رأى زكريا آيات الله الباهرات واکرامه تعالى لمريم ورزقهما من حيث لا تحتسب كان يسألها ( يا مريم أنى لك هذا ) ؟ فنقول ( هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ) .

كان زكريا قد بلغ من الكبر عتيا واشتعل رأسه شيئا وامرأته عاقرا لا تلد ، وبلغ درجة اليأس من أن يكون له ولد . وكان يخشى على بنى اسرائيل أن يبتلوا بمواليه الذين يلون الرياسة فيهم بعده لما يعلم من حالهم وعدم استمسكهم بالشريعة . فحفزه ما يراه من اكرام الله تعالى لمريم على أن يطرق باب الدعاء لله ليرزقه ذرية ليذهب من الدنيا مطمئنا . وكان يناجى ربه بما فى نفسه . ( فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ) لا يأتى النساء ( ونبيا من الصالحين ) فراجع زكريا قائلا ( أنى يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقرة ) ؟ . فقيل له ( كذلك الله يخلق ما يشاء ) فسأل الله آية على أن ذلك سيكون . وأعلمه الله أن آية ذلك أن يعجز عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام لا يكلمهم الا رمزا ، وكان ذلك .

وحملت زوجته يحيى - ولعل والد زكريا كان اسمه « برخيا » أيضا . لأنه جاء فى انجيل برنابا أن المسيح قال لليهود : ستأتى عليكم دماء الأنبياء الذين قتلتموهم الى دم زكريا بن برخيا - الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح - ويذكر المفسرون أن زكريا والديحي قتل فى الحادث الذى قتل فيه ابنه .

## يحيى عليه السلام

كان حمل زوجة زكريا — ويقول أهل الكتاب ان اسمها « اليسابات » — في الزمن الذي كانت مريم حاملا فيه بعيسى — وولد « يحيى » وليس لدينا ولا لدى أهل الكتاب شيء عن طفولته ، غير أنهم يقولون انه كان يأوى الى البرية ويأكل جرادا وعسلا برياً .

كان « يحيى » بارعا في الشريعة الموسوية ومرجعا مهما لكل من يستفتى في أحكامها . وكان أحد حكام فلسطين يقال له « هيرودس » وكانت له بنت أخ يقال لها « هيروديا » بارعة الجمال . أراد عمها أن يتزوج منها . وكانت البنت وأمها تريدان ذلك ، غير أن يحيى لم يرض عن هذا الزواج لأنه محرم . وعرف عنه أنه معارض في ذلك . فاتهزت أم الفتاة اخراج فتاتها الى عمها — في زينتها — ورقصت أمامه فسر منها وطلب اليها أن تقول ما تتمناه ليعمله لها . وكانت أمها لقتها أنها — اذا قال لها عمها ذلك — تطلب منه رأس يحيى بن زكريا في هذا الطبق ، ففعلت ووفى لها عمها الحاكم بذلك وقتل يحيى .

واليهود يختلفون في مسألة التزوج ببنت الأخ وبنت الأخت فيجيزها « الربانيون » ويمنعها « القراءون » وحجة الأولين أن بنت الأخت وبنت الأخ لم تذكر حرمتها في التوراة .

وقد كان يحيى على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى منذ صباه ، وقد قال الله تعالى فيه ( وآتيناه الحكم صبيا ) والظاهر أن الله تعالى رزقه الاقبال على معرفة الشريعة حتى صار عالما بها في صباه — وقد نبيء قبل أن يبلغ الثلاثين — وكان يدعو الناس الى التوبة من الذنوب ، وكان يعمدهم أى يغسلهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا ، وقد اعتمد منه المسيح وهم يسمونه « يوحنا المعمدان » وقد سئل من اليهود هل هو المسيح ؟ فأجاب : أن لا . فسئل هل هو النبي ؟ فأجاب : أن لا . فقالوا له : لماذا تعمد اذا لم تكن المسيح ولا النبي ؟ فقال : أنا صوت صارخ في البرية هينوا طريق الرب وافعلوا سبله مستقيمة .

وبذلك انتهى شأن يحيى عليه السلام .

ولما بلغ المسيح أن يحيى قد قتل ، جهر بدعوته وقام في الناس واعظا .

اقرأوا الآيات الآتية :

سودة آل عمران : إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣٥] فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلَّا نُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [٣٦] فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ — ٢٤ قصص الأنبياء

حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [٣٧] هُنَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ [٣٨] فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ [٣٩] قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [٤٠] قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَتَسَبَّحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِنْكَارِ [٤١] .

**سورة مريم :** ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا [٢] إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءُ خَفِيًّا [٣] قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا [٤] وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا [٥] يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا [٦] يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا [٧] قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عَتِيًّا [٨] قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا [٩] قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا [١٠] فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا [١١] يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا [١٢] وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا [١٣] وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا [١٤] وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا [١٥] .

**سورة الانبياء :** وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِيَّاهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [٩٠] .

## عيسى عليه السلام

جدول ارقام الآيات التي ذكر فيها عيسى عليه السلام - نسب المسيح عند النصارى - نسب المسيح في الانجيل متى - نسب المسيح في انجيل لوقا - مريم بنت عمران - نبشير مريم بعيسى - حملها بالمسيح وولادتها اياه - انباء الملك « جبريل » يوسف بحبل العذراء مريم - مريم تفكر في امرها - ختان المسيح - المجوس ويسوع - ذهاب يوسف ومريم بالمسيح الى مصر - المسيح أيام صباه - يسوع يحتاج العلماء - كيف ابتدأت نبوة المسيح - يسوع وهو ابن الثلاثين يتلقى على جبل الزيتون الانجيل من الملك جبريل - نبوة المسيح على رأس ثلاثين سنة - معنى كلمة الانجيل - المهمة التي جاء لها المسيح - الاناجيل الموجودة الآن - انجيل برنابا - الحواريون - تنبيه معجزات عيسى عليه السلام - خاتمة امر المسيح - دقيقة ينبغي التنبيه لها - الشبه والاشتباه - اليهود و الصلب المسيح - خاتمة شأن المسيح عند النصارى - عقيدة الصلب والفداء وثنية - الاناجيل و الصلب المسيح - بعد القبض على يسوع - قيام المسيح من القبر - المسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله - حجة المسيحيين في الهية المسيح - الثالث - ابن - روح - موقف للمسيح لم يذكر في القرآن - موقف للمسيح في اليوم الآخر .

هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . وهو آخر أنبياء الله ورسله من بنى اسرائيل ؛ كما أن آخر الأنبياء والرسل من بنى الانسان جميعا محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ذكر اسمه في القرآن بلفظ « المسيح » تارة وهو لقب له و بلفظ « عيسى » وهو اسمه العلمى - وهو بالعبرية « يشوع » أى المخلص ، اشارة الى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم - وبكنيته « ابن مريم » تارة أخرى .

ومن الجدول الآتى تتبين أنه ذكر في ثلاث عشرة سورة في القرآن الكريم في ثلاث وثلاثين آية منه - وسيأتى ذلك - وهاكم الجدول بذلك :

جدول أرقام الآيات التي ذكر فيها سيدنا عيسى عليه السلام

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	أرقام الآيات	المسيح	عيسى	ابن مريم
البقرة ... ..	٢	٣	٨٧ ١٣٦ ٢٥٣	—	—	—
آل عمران ... ..	٣	٤	٤٥ ٥٢ ٥٥ ٥٩ ٨٤	—	—	—
النساء ... ..	٤	٤	١٥٧ ١٦٣ ١٧١ ١٧٢	—	—	—
المائدة ... ..	٥	٩	١٧ ٤٦ ٧٢ ٧٥ ٧٨ ١١٠ ١١٢ ١١٤ ١١٦	٢	—	٢
الأنعام ... ..	٦	١	٨٥	—	—	—
التوبة ... ..	٩	٢	٣٠ ٣١	—	—	—
مريم ... ..	١٩	١	٣٤	—	—	—
المؤمنون ... ..	٢٣	١	٥٠	—	—	—
الأحزاب ... ..	٣٣	١	٧	—	—	—
الشورى ... ..	٤٢	١	١٣	—	—	—
الزخرف ... ..	٤٣	٢	٥٧ ٦٣	—	—	—
الحديد ... ..	٥٧	١	٢٧	—	—	—
الصف ... ..	٦١	٢	٦ ١٤	—	—	—
١٣		٣٣		١١	٢٥	٢٣

ملاحظة : الآية المؤشر امامها بعلامة — تدل على أن الاسم ذكر في الآية مرة واحدة والمؤشر امامها بعدد ٢ تدل على أن الاسم ذكر فيها مرتين .

## نسب المسيح عند النصارى

ان النصارى اذا ذكروا نسب المسيح فانما يذكرون نسب « يوسف النجار » بناء على أن المسيح كان يدعى يسوع بن يوسف النجار .

أما يوسف النجار فهو شاب صالح من شبان اليهود — من قوم مريم — ويقول لوقا « في الاصحاح الأول في الفقرة ٢٧ من انجيله » انه من بيت داود . وكانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن تحمل بالمسيح . ولما وجدت حاملا أسر في نفسه أن يتركها ولا يشهر بها ، لأنه كان باراً . فأمر في منامه بامساكها لأنها بريئة من الدنس « متى ص ١ — ٢٠ » .

ونشأ يسوع « عيسى » وهو مشهور بأنه ابن يوسف النجار . ويقول « برنابا » ان مريم اتخذت يوسف النجار عشيراً لها من حين أحست بالحمل .

أقول : وهذه العادة — عادة اتخاذ العشير — موجودة في اليهود الى اليوم . يأتي الشاب الى أهل الفتاة ويخطبها . وحينئذ يتعاشران بدون اتصال زوجي وقيمان على ذلك مدة كافية ، حتى اذا رضيت أخلاقه ورضيها أتنا الزواج ودخل بها وعاشرها معاشرة الأزواج . واذا لم يرض أحدهما أخلاق الآخر فسخت الخطبة وذهب كل منهما لسبيله .

كل ذلك ولا يكون بينهما اتصال زوجي أصلاً الى أن يتم الزواج .

وقد اختلف المسيحيون في نسب المسيح — الذى هو نسب يوسف النجار — اختلافاً ظاهراً لا مفر للمطلع عليه من الحكم بتناقض كل من « متى » و « لوقا » في ذلك النسب . وهما المنفردان بذكره من بين سائر من كتبوا الانجيل .

## نسب المسيح في إنجيل متى

يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان بن اليعازر بن اليهود بن اخيم بن صادق بن عازور بن الياقيم بن ييهود بن زربابل بن شلتائيل بن يكتيا بن يوشيا بن أمون بن منسا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عزيان بن يورام بن يهوشافط بن آسسيا بن أيبا بن رحبعام بن سليمان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوغز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

## نسب المسيح في إنجيل لوقا

يسوع بن يوسف النجار بن هالى بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص ابن ناحوم بن حسلى بن نجاي بن ماث بن متاثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شلتائيل بن نيرى بن ملكى بن ادى بن قسم بن الموادم بن عير بن يوسى بن اليعازر بن يوريم بن متثان بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونا بن الياقيم بن مليان بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوغز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم .



إذا قارنا بين النسيين وجدنا ( ١ ) متى يقول : ان يوسف بن يعقوب . ولوقا يقول : يوسف ابن هالي ( ٢ ) متى يقول : ان المسيح من أولاد سليمان بن داود . ولوقا يقول : انه من أولاد ناثان بن داود ( ٣ ) متى يقول : ان آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون . ولوقا يضالقه ويذكر أنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان ( ٤ ) ذكر متى : أن شلتائيل بن يكتيا . ولوقا يقول : انه ابن نيري ( ٥ ) يقول متى : ان ابن زربابل أيهود . ويقول لوقا : ان اسمه ريسا مع أن أسماء بنى زربابل مكتوبة في الاصحاح الثالث عشر من السفر الأول من أخبار الأيام ، وليس في أسمائهم أيهود ولا ريسا ( ٦ ) يقول متى : ان بين داود والمسيح ستة عشر جيلا . ويقول لوقا : ان بينهما واحدا وأربعين جيلا .

وهو تخالف لا مبرر له سوى أنهم يكتبون بلا تحقيق وكل محاولة للجمع بينهما فاشلة .

أما مريم عليها السلام فقد ذكرت في القرآن الكريم احدى عشرة مرة « في سورة آل عمران في الآيات : ٣٦ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ وفي سورة مريم في آية ١٦ و ٢٧ وفي سورة المؤمنون آية خمسين وفي سورة الزخرف آية ٥٧ وفي سورة التحريم آية ١٢ وفي سورة النساء آية ١٥٦ » وقد ذكرت بدون اسمها العلمى في قوله تعالى ( والتي أحصنت فرجها ) .

وقد ذكرت قصة المسيح في القرآن متعددة منها ما حصل في هذا العالم ، ومنها ما هو مزعم أن يقع يوم الدين وسيأتى ذلك كله .

ولما كانت مريم أم عيسى متقدمة عليه في الوجود — كان وجودها وأحوالها ارهاصا بوجوده وما ينتظر أن يكون منه — أحببنا تقديم قصصها ومواقفها قبل الكلام على مواقف ابنها عيسى عليه السلام .

### مريم بنت عمران

كان عمران أبو مريم رجلا عظيما بين العلماء في بنى اسرائيل ، وقد حملت زوجه فنذرت أن تجعل ما في بطنها من الحمل محررا لخدمة الهيكل . فلما وضعت تبينت أن الجنين الذى انفصل منها أثنى . وكانت ترجو أن يكون ذكرا ليخدم في بيت الله ، فتوجهت الى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة ( رب انى وضعتها أثنى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأثنى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) ولكن الله تعالى تقبل تلك المولودة بقبول حسن وأنبثها نباتا حسنا .

والظاهر أن عمران قد توفى وابنته صغيرة تحتاج الى من يكفلها ويقوم بشأنها ، فلما قدمتها أمها الى رعاة الهيكل اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها ، وألقوا على ذلك قرعة . فكان الكافل لها « زكرياء » والد يحيى عليه السلام — كما قدمنا .

كان زكريا زوجا لخالة مريم . وفي أثناء رعايته لمريم كان يجد عندها رزقا من رزق الله لم

يأتها به ولا وجود له عند الناس في ذلك الوقت ، فيسألها قائلاً ( يا مريم أنى لك هذا ) فتجيبه قائلة : ( هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ) .

وكانت ملائكة الله تعالى تأتي الى مريم وتخبرها باصطفاء الله تعالى واجابته اياها وتطهيرها من الأرجاس والأدناس ، وتحثها على الاجتهاد في العبادة والقنوت لله .  
هكذا نشأت مريم على الطهارة والبعد عن الدنس ودامت على ذلك .

اقرأوا هذه الآيات : —

سورة آل عمران : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ [٣٣]  
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [٣٤] إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِزْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣٥] فَلَمَّا وَضَعَتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [٣٦] فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [٣٧] .

ومنها أيضاً : وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ [٤٢]  
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ [٤٣] ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [٤٤] .

### تبشير مريم بعيسى

نشأت مريم نشأة طهر وعفاف وبعد عن الاسفاف الى رذيلة ، مكلوة بعناية الله محروسة بحراسته ، فلما بلغت مبلغ النساء وجدت وقتا في خلوة وحدها ، فلم ترع الا بالملك جبريل الذي أرسله الله اليها جاءها على صورة فتى ، فأخذها الرعب وظننته يريد بها سوءا فاستعادت منه ووصفته بعدم التقوى قائلة ( انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ) والذي أميل اليه أن ( ان ) نافية . فأعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاما زكيا . فأخذها العجب من ذلك اذ كيف يكون لها ولد وهى لم يمسه أحد من الناس ؟ فهون عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى وهو الاله الذى لا يعجزه شيء ، وتنفخ في جيب درعها فاذا هى حامل .

وفى بعض الآيات عبر الله عن الروح الذى جاءها « بالملائكة » بلفظ الجمع . والجمع ليس مقصودا ولكن المقصود أن الذى كلمها كان من ذلك الصنف من خلق الله بدليل قوله بعد ذلك ( قال كذلك ) بالافراد .

وكان فيما أخبرها به : أن ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم وأنه يكون وجيهاً في الدنيا والآخرة وأنه يكون من المقربين ، وأنه يكلم الناس في المهد وكهلاً ، للاشارة الى أنه يكلمهم في المهد بكلام انما يصدر مثله ممن كان كهلاً ، وأن الله تعالى سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ، ويعطيه الانجيل أى البشارة ، وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده اذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أحوال يتركون فيها ، اذ كان اليهود قد صاروا الى المادية وتجاوزوا حدود الله ولم يراعوا كتابه ، فأحلوا حرامه وحرّموا حلاله ، فجاء لهدايتهم وردهم عن ضلالهم .

والمسيح — فى العبرية — يطلق بالاشتراك على النبى والمملك . وليس المراد أنه سيصير ملكاً على بنى اسرائيل . بل هو اسم كما تسمى ولدك : سلطاناً أو أميراً . وقد يكون المراد أنه يأتهم بمملكة الأخلاق والفضائل والرحمة وأنه يكون فى هذه الفضائل رأساً . وقد يكون المراد بكونه مسيحاً أنه يكون نبياً .

أقرأوا هذه الآيات : —

**سورة آل عمران :** إِذْ قَالَتِ التَّلَاحُكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ [٤٥] وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ [٤٦] قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [٤٧] وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ [٤٨]

**سورة مريم :** وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا [١٦] فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا [١٧] قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا [١٨] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا [١٩] قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا [٢٠] قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَآيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا [٢١]

فقد جاء فى ص ١ آية (٢٦) وفى الشهر السادس أى من حمل اليصابات زوج زكريا — أرسل جبريل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة (٢٧) الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم (٢٨) فدخل الملاك وقال سلام أيتها المنعم عليها . الرب معك مباركة أنت فى النساء (٢٩) فلما رأت أنه اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية (٣٠) فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله (٣١) وها أنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع (٣٢) هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى . ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبية (٣٣) ويملك على بيت يعقوب ولا يكون ملكه نهاية . (٣٤) فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً (٣٥) فأجاب الملاك وقال لها . الروح القدس

يجل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله (٣٦) وهو ذا « اليصابات » نسيبتك هي أيضا جلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقر (٣٧) لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله (٣٨) فقالت مريم هوذا . أنا أمة الرب ليكن لى كقولك فمضى من عندها الملاك .

وفى انجيل برنابا فى الفصل الأول ما نصه : (١) لقد بعث الله فى هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل الى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا (٢) بينما كانت هذه العذراء — العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة مع الصوم — يوما ما وحدها واذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا « ليكن الله معك يا مريم » (٣) فارتاعت العذراء من ظهور الملاك (٤) ولكن الملاك سكن روعها قائلا لا تخافى يا مريم لأنك قد نلت نعمة من لدن الله الذى اختارك لتكونى أم نبي يبعثه الى شعب اسرائيل ليسلكوا فى شرائعه باخلاص (٥) فأجابت العذراء وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلا (٦) فأجاب الملاك يا مريم ان الله الذى صنع الانسان من غير انسان لقادر أن يخلق فيك انسانا من غير انسان لأنه لا محال عنده (٧) فأجابت مريم انى لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته (٨) فقال الملاك كونى حاملا بالنبي الذى ستدعيه يسوع (٩) فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله (١٠) فانحنت مريم بضعة قائلة ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك .

أقول : أما قول لوقا « وابن العلى يدعى » وكذا قوله « المولود منك يدعى ابن الله » وقوله « ويعطيه الاله كرسى داود أبيه » فإن هذه العبارات تفرد بها لوقا ، ولم يذكرها أحد من كتاب الأناجيل سواه .

ونحن لا نقول بأن الالهام قصر معهم — وفيهم أصحاب المسيح المشاهدون لأحواله العالمون بشأته — وأفاض على لوقا الذى ليس تلميذا ولا من الاثنى عشر ، بل رجل دخل فى الدين متأخرا وصار تلميذا لبولس الذى لم ير المسيح ولم يعاشره . فهذه العبارة مما جاء به ليزين أمر المسيح ويدخل على الناس تعظيمه . والمسيح ليس فى حاجة الى ذلك .

وقد أورد صاحب « الفارق بين المخلوق والخالق » وجهين وجهين فى الطعن على هذه الجملة وهى « ويعطيه الاله كرسى داود أبيه » .

الأول : أن عيسى عليه السلام من أولاد يواقيم ، لا يصلح أن يجلس على كرسى داود لأنه لما أحرقت الصحيفة التى كتبها « بارخ » من قم النبي « أرمياء » عليه السلام نزل الوحي الى « أرمياء » فقال كما فى « ٣٠ من ص ٣٦ من كتاب أرمياء » هكذا يقول الرب ضد يواقيم ملك يهوذا لا يكون منه جالس على كرسى داود .

الثاني : أن المسيح — مع كونه لم يجلس على كرسى داود — « بيلاطس » أمر بضربه وإهاتته وسلمه لليهود كما يزعم النصارى ، ففعلوا به ما فعلوا ثم صلبوه .

على أنه يعلم من انجيل « يوحنا » في ص ٦ أنه كان هاربا من قومه عندما أرادوا أن يجعلوه ملكا . ولا يتصور أنها يهرب من أمر بعثه الله لأجله على ما بشر جبريل أمه العذراء قبل ولادته ومعوم أنه لا يملك بيت يعقوب ساعة فضلا عن الأبد !

وأما قوله « وابن العلى يدعى » فهذه الجملة منتزعة من قول زكريا عليه السلام في ابنه يوحنا ( يحيى ) « وأنت أيها الصبي نبي العلى » فحرفت في حق عيسى عليه السلام الى قوله « لوقا » على لسان الملك « وابن العلى » ليوهما الناس أن المسيح اله بن اله .

### حمل مريم بالمسيح وولادتها إياه

حملت مريم عليها السلام بالمسيح بمجرد تفخ الملك في جيها ، وطبعى أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل الى أن ولده . والقرآن الكريم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئا .

ويقول البيضاوى : وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ستة وقيل ثمانية . ولم يعيش مولود وضع ثمانية غيره . وقيل ساعة . كما حملته نبذته اه .

والذى أميل اليه أن كل هذا تكلف من أصحاب هذه الأقوال . لأن أمره في الحمل لما كان عجيبا أرادوا أن يجعلوه في مدة الحمل أيضا عجيبا . ونحن ليس في أيدينا ما يثبت العجبية في مدة الحمل ! فالأليق أن يحمل على الأمر الطبيعى الذى جرت العادة بمثله (١) .

(١) ومن الظواهر العجبية ما نشرته جريدة الأهرام بعددها الصادر يوم ٢٩ مايو سنة ١٩٣٩ تحت عنوان :

#### ام في الخامسة من عمرها



حدثت هذه الظاهرة العجبية — في ١٤ مايو الحالى — في « مستشفى الولادة بمدينة « ليما » عاصمة جمهورية « بيرو » في أمريكا الجنوبية . فقد وضعت الطفلة « ليما مدينا » — وهى من الهنود الحمر وفي الخامسة من العمر — مولودة بلغ وزنها ستة أرطال وهى في صحة جيدة . وقد اضطر الطبيب المولد لاجراء العملية القيصرية للأم أى بشق البطن لاستخراج الطفلة .

الام في فراشها بالمستشفى على اثر الوضع ، والى جانبها ممرضة تحمل المولودة

ومما يثبت أن ام الطفلة لم تتجاوز الخامسة من العمر أنها لم تستبدل بعد أسنان اللبن .

ولما حان انفصال جنين مريم أنجاها المخاض الى جذع نخلة هناك في الموضع الذى فيه مدينة « بيت لحم » وهى على بضعة من الكيلومترات من بيت المقدس . ويقول البيضاوى : ان الزمن كان زمن شتاء والنخلة يابسة ، وانما كان مجيئها اليها لتستتر أو لتعتمد عليها .

هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هى قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وما سيرمونها به من الفاحشة ! فقالت ( ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا ) بالكسر والفتح ( منسيا ) هو اللبن المشوب بالماء يترك وينسى لحقارته ( فناداها ) مناد ( من تحتها أن لا تحزننى قد جعل ربك تحتك سريا ) .

وهذا المنادى قيل هو جبريل كان في مكان أسفل من مكانها ، وقيل المنادى هو عيسى عليه السلام . والسرى هو النهر وقيل الوجه من الناس . ويؤكد كونه نهرا قوله بعد ذلك ( وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى . وقرى عينا ) وقد أراد الله تعالى بهذا أن يسكن روعها ولتعلم أن من أوجد لها الرطب من النخلة اليابسة في الشتاء ، وأوجد لها الماء الجارى في تلك الهضبة التى كانت عليها من الجبل ! قادر أن يرد عنها عيب العائين وقذف القاذفين . فكلى واشربى وقرى عينا ، ولا يحزنك ما يقولون فاذا رأيت من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما عن الكلام فلن أكلم اليوم انسيا ، وفي ذلك الحين يتولى الله تعالى البرهنة على براءتها .

بقى أن يقال :

(١) كيف يتولد عيسى عليه السلام من شجرة الملك في جيب قميص مريم ، ونحن لم نر انسانا أتى من غير مباشرة الرجل للمرأة ؟

والجواب على ذلك: أن أمر الحمل جاء عجيبا دالا على قدرة الله تعالى ، اذ جعل المرأة تأتى بانسان من دون مباشرة رجل ايها . وهذا ليس بأعجب من خلق السموات والأرض وما فيها من عجائب ! بل ليس أعجب من خلق الانسان من رجل وامرأة مع المباشرة ! ولا من خلق الحيوان وتقلبه في الأدوار الجنينية وأحواله في كل دور ؟ كل ذلك ناطق بأنه صنع حكيم عليهم قادر قدرة فائقة الوصف والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم ( وجعلنا ابن مريم وأمه آية ) فاذا كان المعارض ممن يقول بآية الله ويقر بأن الله تعالى صنع العجائب لأنبيائه وغيرهم ! فالخطب سهل . وان كان ممن لا يقرون بالآيات مع الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم ! قلنا : وما تنكر من صنع الله وهو الذى أوجد « آدم » من غير أب ولا أم ؟ فالذى صنع « آدم » سهل عليه أن يصنع « عيسى » دون أب . وهذا صنع الله في كل حين يصدر على خلاف ما مضت به السنة . فقد تضع المرأة قرنها وهو غير جنسها وقد تضع بغيرا أو شبيها آخر ! وهذا أمر يأتي في كل حين وتطالعنا به الجرائد . فمن الجاز أن يأتي مولودا كعيسى على خلاف ما مضت به عادة غير أن

من النساء ! فيكون من أم بلا أب كما جاء آدم بلا أب ولا أم . وقد قال الله تعالى ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ) وهى على كل حال أمر عجيب غريب اذ لم تجر عادة النساء بهذا ! ان قدرة الله تعالى صغير فى جنبها ايجاد هذه العجائب !

أى يكون خلق انسان بدون مباشرة رجل أعجب من خلق هذا العالم العلوى وايجاد الكواكب السيارة والثابتة ؟ وتحرك كل فى مداره حركة منتظمة خاصة به على قانون متسق ؟ ولكل منها من الفوائد والتأثير فى هذا العالم الأرضى ما ليس فى الآخر ؟ ولا يعارض أحدها الآخر ولا تبطل دورته ولا عمله عمل الآخر ولا دورته ؟ وبعض هذه النجوم لا يصل اليها ضوءه الا فى ملايين السنين الضوئية ! وما كشف العلم من عجائب هذا الكون القريب والبعيد الا قليلا ؟!

ان أقرب عجائب المخلوقات التى تطالعنا بها الصحف ما جاء الى الأهرام ونشر « بعدد يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٣٣ » وهو الشهر الذى نحن فيه من « فاقوس » أن أحد الأهالى ولدت شاة عنده مولودا على هيئة القردة أى أنه أشبه بالقرود منه بولد الضأن . وفى كتاب حضرة الفاضل الياس الغضبان « تاريخ الانسان الطبيعى » من الهول والمخلوقات الشاذة التى لم تجر على السنن الطبيعى الغالب فى جنسها شىء كثير جدا يقضى بالعجب ! فليكن حمل مريم على الوصف الذى أوردنا واحدا من هذه الحوادث التى جاءت على غير المعهود فى نوعها فتبارك الله أحسن الخالقين .

(٢) ما بلغ سن مريم حين أتت بالمسيح عيسى ؟

الجواب : يقول البيضاوى فى تفسيره : ان سنها كانت ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين . وأنها حاضت قبل الحمل حيضتين فقط .

والذى أقوله : انها كانت بلغت مبلغ النساء وكفى ، وأدع علم ما بقى من ذلك الى الله تعالى .

(٣) ما الحكمة فى أمرها بهز جذع النخلة لتساقط عليها الرطب ! ولم كان رزقها رطباً ؟

والجواب : أن مريم لم يكن لها فى ذلك الحين من يهتم بأمرها . ولا تقدر وهى نفسها أن تجهز لنفسها الطعام وما يلزم لمثلها ممن هى فى حال النفاس . وأيضا فان الرطب طعام وحلو ولا يحتاج الى علاج ومعاناة صنع فكان ذلك رفقا بها . ويقول البيضاوى عن الرطب : أنه خرسة <sup>(١)</sup> النساء الموافقة لها أى أنه أوفق طعام للوالدة .

وقال البيضاوى أيضا : انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء

(١) خرسة - بفتحيتين - طعام النساء كما فى القاموس .

فهزتها فجعل الله لها رأسا وفيها خوص وثمر . وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها .

وانى لا أستبعد ذلك من قدرة الله تعالى والمعجزات ثابتة ، ولكن لا ينبغي لنا الاسراف فيها بدون برهان ! وهذا المقدار الذى بينه زائد عما ورد فى القرآن وفى غيره من الكتب التى تعرضت لهذا الموضوع . فلا بد من التحفظ فى قبول مثل هذه الأشياء . ونقول . : انها كانت نخلة مشرة .

وأقول أيضا : ان وجود النخل بيت لحم وهى البلدة التى كانت بها مريم يوم ولادة المسيح نادر . وقد رأيت بكنيسة بيت لحم المبنية على موضع ولادة المسيح مكانا قد قور البلاط فيه ، يقولون ان فى موضع هذا التقوير كانت النخلة التى ولدت عندها مريم .

وهناك مذود الماشية التى وضعت طفلها فيه عقب ولادته ، لانه لم يكن لها بيت يأويها فى ذلك البلد ، فأوت الى مكان الرعاة الذين كانوا غائبين بماشيتهم فى الرعى وولدت فيه ، وهناك واد عميق بجانب المدينة يقال له « وادى الرعاة » .

وسبب وجودها بيت لحم أن الحاكم فى ذلك الزمان أمر بعدئ الناس واثباتهم فى الدفاتر ، فجاءت مريم ومعها خطيبها « يوسف التجار » من أبناء عمومته الى بيت لحم ليشبث نفسه ومريم فى التعداد فكانت الولادة هناك . وأما « السرى » الذى هو النهر فلا وجود له فى ذلك المكان ولعله كان عينا فاضت زمنا ثم غاضت .

اقرأوا هذه الآيات :

سورة آل عمران : إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [٥٩]

سورة مريم : فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا [٢٢] فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا [٢٣] فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا [٢٤] وَهَزَىٰ إِلَيْكِ جِذْعُ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا [٢٥] فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا [٢٦]

سورة الانبياء : وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ [٩١]

سورة التحريم : وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ

بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَّا قَانُونَ [١٢]



ولم يتكلم من أصحاب الأنجيل عن الحمل بالمسيح سوى « متى » و « لوقا » وعبرة « متى » مختصرة فقد جاء ( في الآية ١٨ ص ١ وما بعدها ) أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمع بها وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها ، أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلا : يا يوسف بن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حمل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم .

وعبرة لوقا « ص ١ — ٢٦ » وفي الشهر السادس — أى من حمل اليبابات زوج زكريا — أرسل جبريل الملاك من الله تعالى الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ( ٢٧ ) الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم ( ٢٨ ) فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك مباركة أنت في النساء ( ٢٩ ) فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ، ما عسى أن تكون هذه التحية ( ٣٠ ) فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله ( ٣١ ) وها أنت ستحبلين وتلدن ولدا اسمه يسوع ( ٣٢ ) هذا يكون عظيما . واستمر يقص قصتها بما يوافق ما جاء في القرآن ولا يخالفه وقد تقدم هذا .

وجاء في الفصل الثانى من برنابا :

### إنباء الملاك جبريل يوسف بحبل العذراء مريم

أما مريم فاذا كانت عالمة مشيئة الله وموجسة خيفة أن يغضب الشعب عليها لأنها حبلى فيرجمها كأنها ارتكبت الزنا . اتخذت لها عشيرا من عشيرتها قويم السيرة يدعى « يوسف » لأنه كان بارا متقيا الله يتقرب اليه بالصيام والصلاة ويرتزق بعمل يديه لأنه كان نجارا . هذا هو الرجل الذى كانت تعرفه العذراء واتخذته عشيرا . وكاشفته بالالهام الالهى ، ولما كان يوسف بارا عزم اذ رأى مريم حبلى على ابعادها لأنه كان يتقى الله . وبينما هو نائم اذا بملاك الله يوبخه قائلا : لماذا عزمت على ابعاد امرأتك . فاعلم أن ما كون فيها انما كون بمشيئة الله فستلد العذراء ابنا وستدعونه « يسوع » تمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم نجس . لأنه قدوس الله من رحم أمه . فانه نبي من الله أرسل الى شعب اسرائيل ليحول يهوذا الى قلبه ويسلك اسرائيل في شريعة الرب كما هو مكتوب فى ناموس موسى وسيجيء بقوة عظيمة يمنحها له الله ، وسيأتى بآيات عظيمة تفضى الى خلاص كثيرين . فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله وأقام مع مريم كل حياته خادما لله بكل اخلاص .

هذا هو ما جاء فى الأنجيل وهو لا يخالف ما فى القرآن . غاية ما فى الأمر أنها تزيد حكاية « يوسف النجار » وهى أمر مسكوت عنه . فلا نصدقها ولا نكذبها . ويصح ايرادها .

وقد ذكرت — فيما مضى — أن اليهود اليوم يختار الرجل لابنته منهم عشرينا يعاشرها في بيت أبيها مدة من الزمن ، فإذا رضيته ورضيها تم الأمر بالزواج ، ولكل منهما في أثناء المعاشرة قبل الزواج أن يتخلى عن الآخر .

## مريم تفكر في أمرها

لم يكن علم مريم ببراءة ساحتها من الدنس بالشئ الذى يطمئن نفسها ، بل أخذت الهواجس تنتابها وتحسب لما سيقول الناس عنها ألف حساب . ولقد زادت وساوسها حين أخذها المخاض ورأت ما سيحسبه الناس جريمة لها ماثلا أمام عينها ، فقالت ما قصه الله تعالى عنها في قوله جل من قائل . ( فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلى واشربى وقرى عينا ) .

ولكنها كانت تريد الجواب الذى تجيب به لوامها والزارين عليها والمعيدين لها . فقال لها معلما ومرشدا ( فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا ) وكان الصوم عن الكلام ضربا من العبادة كما يفعل « غاندى » اليوم من الصوم عن الكلام يوما في كل أسبوع .

فلما أتت قومها وعلى يدها عيسى تحمله . ارتاعوا لهذا الحدث النازل والخطب العظيم ، وزاد في ارتياحهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشأة التقوى التى نشأتها ، فأخرجهم ذلك الى الزراية عليها وتعنيفها على ما أتت به من اثم — فى زعمهم — وما قارفت من خطيئة ، وقالوا لها فيما قالوا ( يا مريم لقد جئت شيئا فريا ) أى بدعا منكرا من الاثم ( يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ) .

وهنا اختلف المفسرون فى قوله تعالى ( يا أخت هارون ) تلك الكلمة التى نطق بها قومها ، فقال بعضهم انها كانت من ذرية هارون عليه السلام فقالوا يا أخت هارون — كما يقال للتيمى يا أخت تميم وللأزدى — يا أخت الأزد — وهذا يقتضى أن مريم وابنها من ذرية « لاوى » ابن يعقوب وليس بشئ لأن شهرة أنها من بيت « داود » لا تحتاج الى بيان ، وقد كان المسيح يعبر بقوله : قال أبونا داود ، وأن أبانا داود ، كما تكرر ذلك فى انجيل برنابا . وقد جاء فى الأناجيل قول بعض المرضى للمسيح يا ابن داود ارحمنى ! وداود من سبط يهوذا .

وقال آخرون : ان معنى ( يا أخت هارون ) تشبيه لها برجل فاسق كان فى زمانها يعيرونها بأنها تشبهه ، كما تقول للرجل تريد وصفه بشدة البطش والقتل ظلما : يا أخت أبى حريشة « وهو رجل كان بالغريية زعيما للصوص » وقد عمل أعمالا فظيعة . وشنق فى طنطا سنة ١٣٠٢ هـ وأهل الغريية يشبهون به كل فتاك الى اليوم

وقال آخرون : ان هارون كان رجلا صالحا في زمانها ، قالوا لها ذلك على سبيل الاستهزاء والنهكم بها لسوء جرمها في نظرهم ، وهذا أقرب من سابقه .

سمعت مريم هذا القول وهي قد نذرت الصمت فأتارت الى ابنها وهو في المهد طالبة اليهم أن يوجهوا اليه كلامهم . فعدوا ذلك غريبا وقالوا ( كيف نكلم من كان في المهد صيبا ) ؟ فلم يمهلهم عيسى أن أجابهم الجواب الشافي الدال على براءة أمه ، والمؤذن بأنه سيكون من أهل العلم الذين آتاهم الله الكتاب ، وأنه سيجعله نبيا ويبارك فيه أينما توجه ، وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته ، وأنه سيكون برا بوالدته وسيكون عبدا متواضعا لا جبارا شقيا — اقرأ هذه الآيات :

سورة مريم : فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا [٢٧] يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا [٢٨] فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا [٢٩] قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا [٣٠] وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا [٣١] وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا [٣٢] وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [٣٣]

أما ما جاء في كتب العهد الجديد متعلقا بولادته فيها هو :  
لم يذكر متى شيئا من مولده سوى أنه ولد في « بيت لحم » اليهودية في أيام « هيرودس » الملك ١ ص ٢ متى وأما لوقا فذكر مولده باستفاضة .

ص ٢ لوقا — ( ١ ) وفي تلك الأيام صدر أمر من « أوغسطس قيصر » بأن يكتب كل المسكونة .. فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد الى مدينته ( ٤ ) فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ( ٥ ) ليكتب مع مريم المخطوبة وهي حبلى ( ٦ ) وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ( ٧ ) فولدت ابنا البكر وقمطته وأضجته في المذود اذ لم يكن لها موضع في المنزل .

وقال برنابا في الفصل الثالث :

( ١ ) كان هيرودس في ذلك الوقت ملكا على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس ( ٢ ) وكان « بيلاطس » حاكما في زمن الرياسة الكهنوتية لحنان وقيافا ( ٣ ) فعلا بأمر قيصر اكتب جميع العالم ( ٤ ) فذهب اذ ذاك كل الى وطنه وقدموا أنفسهم بحسب أسباطهم ليكتبوا ( ٥ ) فسافر يوسف من الناصرة الى احدى مدن الجليل مع امرأته وهي حبلى ذاهبا الى بيت لحم . ( لأنها كانت مدينته وهو من عشيرة داود ) ليكتب عملا بأمر قيصر ( ٦ ) ولما بلغ بيت لحم لم يجد فيها مأوى اذ كانت المدينة صغيرة وحشد جماهير الغرباء كثيرا ( ٧ ) فنزل خارج المدينة في نزل جمل مأوى

للرعاة (٨) وبينما كان يوسف هناك تمت أيام مريم لتلد (٩) فأحاط بالعدراء نور شديد التألّق (١٠) وولدت ابنها بدون ألم (١١) وأخذته على ذراعيها (١٢) وبعد أن ربطته بأقمطة وضعته في المذود (١٣) اذ لم يوجد موضع في النزل (١٤) فجاء جوق فقير من الملائكة الى النزل بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفي الله (١٥) وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته بأعظم سرور .

فالقارئ يرى أن تلك الكتب لم تذكر أمر « النخلة » ولا « السرى » بمعنى النهر كما هو أحد التأويلين ولا نذرهما الصوم ولا تأنيب قومها ولا كلامه في المهد . وانما ذكر كل ذلك القرآن المهيم على كتب أهل الكتاب . ولا غرابة في سكوت كتب أهل الكتاب عن ذلك واثبات القرآن له . فقد قال الله تعالى في أهل الكتاب ( فسوا حظا مما ذكروا به ) .

أنا لا يمكنني أن أفهم أن حادث حمل مريم يمر بين اليهود دون أخذ ورد وطلب محاكمة ولا يعقل أنهم صدقوها في دعواها أن ذلك حصل بفعل الله دون أن يكون لانسان دخل فيه بمجرد قولها . وقد سكنت الأناجيل عن ذلك ، وانما ذكره القرآن فقط كما قدمنا . والظاهر من عبارة القرآن أنهم رموها بالزنا كما في قوله تعالى ( وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ) .

### ختان المسيح

في شريعة اليهود أن الطفل يختن بعد ثمانية أيام من ولادته كما أمر الله ابراهيم بذلك ، وقد ختن المسيح لما تم له ثمانية أيام ، وختانه لم يذكر في القرآن الكريم وانما ذكر في انجيل لوقا في آية ٢١ من الاصحاح الثاني ونصها : ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي « يسوع » كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن . وفي انجيل برنابا في الفصل الخامس :

١ - فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب كما هو مكتوب في كتاب موسى أخذنا الطفل واحتملناه الى الهيكل ليختناه (٢٥) فختنا الطفل وسمياه « يسوع » كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في الرحم .

### المجوس ويسوع

حكاية المجوس ويسوع انفرد بها متى بين الأربعة وذكرها برنابا في انجيله .

وهي تلخص في أن ثلاثة من المجوس — من المشرق — كانوا يرقبون نجوم السماء فبدا لهم نجم شديد التألق فجاءوا الى اليهودية — يهدهم النجم — ولما وصلوا في طريقهم الى اورشليم سألوا أين ولد ملك اليهود ؟ وسمع هيرودس ذلك فارتاع ! فجمع الكهنة والكتبة وسألهم أين يولد المسيح ؟ فقالوا في « بيت لحم » فأحضر هيرودس المجوس وسألهم عن مجيئهم ، فقالوا انهم رأوا نجما في المشرق هداهم الى هناك فجاءوا بهدايا أحبوا أن يقدموها لل ملك اليهود الذي ولد .

فأمرهم أن يذهبوا الى بيت لحم ويبحثوا عن الطفل وأن يعلموه به . فذهبوا الى بيت لحم وسجدوا للطفل يهديهم النجم وقدموا الهدايا وخافوا على الطفل من هيرودس ، فلم يرجعوا اليه بل ذهبوا الى بلادهم . ولما لم يعودوا علم هيرودس انهم قد سخروا منه ، فأمر بقتل كل طفل ولد في بيت لحم .

ويظهر لى أنها حكاية مصنوعة — فما شأن المجوس بالمسيح ؟ وكيف يسير النجم أمامهم يهديهم ؟ ولم جاء بهم الى أورشليم ولم يذهب بهم الى بيت لحم ؟ وهذه الحكاية لها نظائر في كتب أهل الأوثان .

وهذا لوقا الذى تتبع الأمر بتدقيق لم يذكر ذلك ولم يشر اليه ولم يذكر ذهاب المسيح الى مصر بل ذكر أنهما أقاما به في الناصرة .

### ذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر

وهذه المسألة اقردها بها أيضا « متى » وذكرها « برنابا »

وتلخص في أن هيرودس لما أمر بقتل كل طفل في بيت لحم أمر يوسف النجار في منامه بأن يذهب بالطفل وأمه الى مصر لأن الملك أمر بقتل كل طفل ولد في بيت لحم . فقام من فوره وأخذ الطفل وأمه وذهب بهما الى مصر وأقاموا بها الى أن هلك هيرودس . ولما هلك أمر يوسف في نومه بأن يأخذ الطفل وأمه الى بلادهما ، لأن الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا فرجع . ومن أحب فضل بيان فليرجع الى انجيل « برنابا » من أول الفصل السادس الى آخر الفصل الثامن . وبعض مفسرى القرآن الكريم يذكرون أن مصر هى المعنية في القرآن الكريم بقوله تعالى في عيسى وأمه (وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين) ويزعم المسيحيون في مصر أنهما استقرا ببلدة « عين شمس » ويقولون أنهما استظلا بشجرة هناك قد بقى أصلها محتفظا به الى أمد غير بعيد منا وكانوا يسمونها « شجرة العذراء » ويعنى الناس بالذهاب الى زيارتها « بضاحية المطرية » .

وفى كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » تزييف لهذه الحكاية فليراجع في ص ٢٩ ج ١ .

### يسوع يحاج العلماء

بعد رجوعه الى « اليهودية » وبلوغه اثنى عشر عاماً من العمر

(١) ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرب في حلم ليوسف فأثلا (٢) عد الى اليهودية لأنه قد مات الذين كانوا يريدون موت الصبى (٣) فأخذ يوسف الطفل ومريم « وكان الطفل بالغاً سبع سنين من العمر » وجاء الى اليهودية حيث سمع أن أرخيلائوس بن هيرودس كان حاكماً في اليهودية (٤) فذهب الى الجليل لأنه خاف أن يبقى في اليهودية (٥) فذهبوا ليسكنوا في

الناصرة (٦) فمنما الصبى فى النعمة والحكمة أمام الله والناس (٧) ولما بلغ يسوع اثنتى عشرة سنة من العمر صعد مع مريم ويوسف الى اورشليم ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة فى كتاب موسى (٨) ولما تمت صلواته انصرفوا بعد أن فقدوا يسوع لأنهم ظنوا أنه عاد الى الوطن مع أقربائهم (٩) ولذلك عادت مريم مع يوسف الى اورشليم ينشدان يسوع بين الأقرباء والجيران (١٠) وفى اليوم الثالث وجدوا الصبى فى الهيكل وسط العلماء يحاجهم فى أمر الناموس (١١) وأعجب كل أحد بأسئلته وأجوبته قائلا : كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة ؟ (١٢) فعنفته مريم قائلة يا بنى ماذا فعلت بنا فقد نشدتك وأبولك ثلاثة أيام ونحن حزيران (١٣) فأجاب يسوع ألا تعلمين أن خدمة الله يجب أن تقدم على الأب والأم (١٤) ثم نزل يسوع مع أمه ويوسف الى الناصرة (١٥) وكان مطيعا لهما بتواضع واحترام .

من مجموع ذلك نفهم أن المسيح عليه السلام نشأ نشأة محموددة لا غبار عليها وأنه كان غيورا على الدين منذ صغره حريصا على تفهم حكمه وأسراره ، وأنه كان يختلس من وقته ما يقوى به معارفه ويثبت به علمه ويجالس العلماء ويناقشهم ويسألهم ويجيبهم فاليئة التى تمرس بها صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين .

سكتت الأناجيل عن المسيح من عهد أن كانت سنه اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ تسعا وعشرين . فآين كان يسوع فى هذه المدة وهى سبع عشرة سنة ؟

أما الأناجيل فساكتة عن ذلك وان كان فى بعضها ما يشير الى أن أباه وأمه سكنا فى الناصرة . ولكن كيف يبقى ساكنا ولا يحاج العلماء والكتبة فى الكتاب وتفسيره فى الأعياد كما هى عادته ؟ ولم يذكر أنه رجع الى الهيكل أو عمل عملا ما يتعلق بالدين ؟

أما الأوروبيون والباحثون منهم فيقولون انه ذهب الى الهند وتلقى تعاليم بوذا وآداب البوذية . ولما عاد الى وطنه وأخذ فى التعليم والوعظ كانت تعاليمه محاذية لتعليم بوذا فى الحث على تكميل النفس وتهذيبها . غير أنهم يقولون ان مقارنة تعليم المسيح بتعليم بوذا تبين أن تعليم بوذا كان سلبيا بالحث على تجريد النفس من الشرور ، وأما تعليم المسيح فكان ايجابيا يحث النفس على البذل وفعل الخير للأعداء والأوداء .... الى آخره .

أما الذى أعول عليه فى هذا فهو تفويض علم شأنه فى السبعة عشر عاما الى الله تعالى .

## كيف ابتدأت نبوة المسيح

لم يذكر القرآن الكريم متى كان ابتداء نبوة المسيح ولا كيف كأن ذلك ؟ وأصحاب الأناجيل الأربعة قد ذكروا فى ذلك أن « يوحنا المعمدان » وهو « يحيى بن زكريا » وجد فى البرية زمنا وكان يقتات من الجراد والعسل البرى وثيابه من أوبار الابل وعلى حقويه منطقة جلد ، ثم ظهر فى ناحية « الأردن » ينذر الناس بالتوبة ، فخرج اليه أهل اورشليم والكور القريبة من الأردن ، فكان يعمدهم فى النهر وينذرهم باقتراب ملكوت السموات .

وقد أرسل اليه الكهنة يسألون : هل هو ايليا ؟ فأجاب : لا . هل هو المسيح ؟ فأجاب : لا . هل هو النبي ؟ فأجاب : لا . فقالوا له : فلم تعمد اذا لم تكن ايليا ولا المسيح ولا النبي ؟ طلبوا أن يقول لهم من هو . قال أنا صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب واصنعوا سبله مستقيمة لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

وهذه الجملة مقتبسة من الآية « ٣ ص ٤٠ — اشعيا » .

وأن المسيح قد جاء الى يوحنا واعتمد منه في الأردن . وأن الروح القدس نزل عليه مثل حمامة . ثم ان المسيح بعد ذلك صام في البرية أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب . ثم جرب من الشيطان على أثر صومه اذ أحس بالجوع ، فأتاه الشيطان وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ؟ فقال له : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . فأوقفه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك فقال له : مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك فأخذه ابليس على جبل عال وأراه ممالك الأرض ومجدها . وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى . فقال له المسيح : اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد . فذهب عنه الشيطان وجاءته الملائكة . وعلم المسيح عقب ذلك أن يوحنا أسلم أى هلك فجاء الى « الجليل » وترك « الناصرة » وسكن « كفر ناحوم » وكان يركز ببشارة ملكوت الله . وكانت سن المسيح ٣٠ سنة « يراجع ص ٤٠٣ — متى . و ص ١ — مرقس و ص ٣ و ٤ — لوقا . و ص ١ — يوحنا » .

وهناك رواية برنابا أوردتها بنصها من الفصل العاشر دون تلخيص ، وهي :

## يسوع وهو ابن ثلاثين

### يتلقى على جبل الزيتون الإنجيل من الملاك جبريل

(١) ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه صعد الى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتونا (٢) وبينما كان يصلى في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات « يارب برحمة ... » واذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون « لیتمجده الله » (٣) فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقه (٤) فنزل الى قلب يسوع الذى عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شيء كان عريانا ومكشوفاً له (٥) ولقد قال لى : « صدق يا برنابا أنى أعرف كل نبي وكل نبوة . وكل ما أقوله انما قد جاء فى ذلك الكتاب (٦) ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبي مرسل الى بيت اسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلاً لها : انه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله وأنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها (٧) فلما

سمعت مريم هذا أجابت « يابنى انى نبئت بكل ذلك قبل أن تولد فليتمجد اسم الله القدوس »  
(٨) ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية .  
والذى أفهمه من كل ذلك الكتاب ... الخ أن العلم — الذى قذف الله به فى روعه أول  
ما بدأه الوحي على يد جبريل — مثل له كتابا ومثل له أن يأكله ، فاستضاءت به بصيرته ؛ كما  
مثل لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل جاء بنمط من ديباج فيه كتاب فقال له  
(اقرأ باسم ربك الذى خلق)

### نبوة المسيح على رأس ثلاثين سنة

دلت عبارات بعض الأنجيل على أن المسيح نبىء على رأس ثلاثين سنة من عمره . وجرى  
على ذلك المؤرخون ومفسرو القرآن الكريم . فكيف هذا مع أن علماء التوحيد يقولون أن  
النبوة انما تكون بعد الأربعين ؟

والجواب : أن كون النبوة بعد الأربعين أمر غالبى فقط ؛ فقد ينبأ الشخص قبل هذه  
السن . وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام يقول الله فيه ( وآتيناه الحكم صبيا ) .

وبيان ذلك : أن بعض الناس قد يكره فيهم النمو فتتمى أجسادهم وعقولهم بسرعة  
يفوتون بها أمثالهم . وفى العام المنصرم ذكرت الجرائد السيارة أن طفلا فى تركيا بكر عليه الكبر  
فبلغ مبلغ الرجال وهو ابن خمس سنوات ؛ وطلب التزوج فأحيل على الأطباء فقرروا أنه رجل  
تام الرجولة وان كان فى سن الأطفال ! ولكنه لم يلبث طويلا حتى جاءت الأخبار بأن هذا الشخص  
قد قضى نجه . فكما بكر بالرجولة بكر عليه الفناء . فلا مانع من تبكير الرجولة على شخص  
فيتم نضجه بدنا وعقلا فيؤتية الله النبوة قبل أن يبلغ زمن الشيخوخة كما حصل للمسيح ويحيى  
عليهما السلام .

### معنى كلمة الإنجيل

معنى الانجيل « البشارة<sup>(١)</sup> » والشواهد متضافرة على أن الله تعالى أعطى المسيح الانجيل  
وأنه كتاب تضمن الهدى والنور ، وقد أهاب ببني اسرائيل أن يرجعوا الى الله ويعبدوه ،  
وأنبأهم بأحداث مستقبلية وبشرهم باقتراب زمن النبى الذى وعد بنو اسرائيل بأن يبعثه الله ،  
وعلى يديه يكون بعث شريعة جديدة ، وأنه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة وفيه وصفه  
ووصف أتباعه :

(١) جاء فى مقدمة انجيل « تولستوى » لحضرة الفاضل « سليم افندى قبعين » أن لفظة « انجيل »  
باللغة اليونانية مركبة من كلمتين « ايف » ومعناها : جيد — حسن — صلاح — خير — صدق .  
و « انجيليون » ومعناها الاخبار بخبر من الاخبار — ويكون تعريب اللفظتين معا : الاخبار بالخبر  
او الخبر الحسن .



اقرأوا هذه الآيات :

**سورة آل عمران :** نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ [٣] مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ [٤]

ومنها أيضاً: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ [٤٨]

ومنها أيضاً: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٦٥]

**سورة المائدة :** وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ [٤٦] وَلِيُنْجِزَ لَهُمُ الْوَعْدَ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي قُرْآنٍ مُّبِينٍ [٤٧]

ومنها أيضاً: وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ [٦٦]

ومنها أيضاً: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ... [٦٨]

ومنها أيضاً: وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ [١١٠]

**سورة الاعراف :** الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ [١٥٧]

**سورة التوبة :** إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ [١١١]

**سورة الفتح :** وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ... [٢٩]

**سورة الحديد :** ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ... [٢٧]

فأين يوجد اليوم انجيل المسيح الذى ذكره القرآن الكريم ؟ ان الانجيل الذى أتى به المسيح وسلمه الى تلاميذه وأمرهم أن يشرخوا به لا يوجد الآن ، وانما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف وبالإضافة والحذف !

ودليل على أن المسيح أتاهم بانجيل وأن الأناجيل كانت أكثر من هذه الأربعة ما ترون من الشواهد التى أقتلها من رسائل « بولس » من الكتب القانونية التى تسلم بها الكنيسة فاقروا ما يأتى :

بولس رومية ص ٩٠١ « فإن الله الذى أعبدته بروحى — فى انجيل ابنه — شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم » المراد بقوله ابنه ( يسوع ) . فهذه الجملة تدل على أن المسيح له انجيل .  
كورنثيوس ص ٢ : ٣ « ولكن ان كان انجيلنا مكتوما فانما هو مكتوم فى الهالكين » .  
كورنثيوس ص ٨ : ٨ « وأرسلنا معه الأخ الذى مدحه فى الانجيل فى جميع الكنائس » .

غلاطية ص ١ : ٦ « انى أعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر (٧) ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوه » أى يغيروه .

غلاطية ص ٢ : ١٤ « ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل .. الخ »  
فلبى ص ١ : ١٢ « ثم أريد أن تعلموا أيها الاخوة أن أمورى قد آلت أكثر الى تقدم الانجيل .  
(١٧) وأولئك عن محبة عالمين أنى موضوع لحماية الانجيل » .

فهذه الجملة تدل على أنه كان هناك انجيل ، وأن « بولس » وضع لحمايته ، وبالطبع ذلك الانجيل الذى يتحدث عنه ليس واحدا من هذه الأربعة . وأيضا فان الانجيل كان مهددا وفى حاجة الى حمايته . وقد أوصاهم بعد ذلك قائلا (٢٧) فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح .

١ — تسالونيكي ص ٢ : ٨ « اذ كنا حائنين اليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا » .

ص ٣ : ٢ « فأرسلنا تيموثاوس وخادم الله والعامل معنا فى انجيل المسيح » .

٢ — تسالونيكي ص ١ « فى نار لهب معطيا نعمة للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح » .

١ — تيموثاوس ص ١ : ١١ « حسب انجيل مجد الله المبارك الذى أوتمنت عليه » .

٢ — تيموثاوس ص ٢ : ٨ « واذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود حسب انجيلي »

تبين من ذلك كله أن « المسيح عيسى ابن مريم » جاء الى أصحابه بكتاب هو الانجيل ،

ولكن الناس على مر الزمان تركوا ذلك الانجيل . وترتب على ذلك ضياعه واستمساكهم بكتب ألف بعضها تلاميذ المسيح وبعضها ألفها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم ، وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة . وفيما تقدم عن بولس تجدون ما يؤذن بأن المغيرين أخذوا يحولون الانجيل عن مجراه . ومعلوم أن الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هي عليه من انقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقي أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقي المفضى الى أن أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب !

## المهمة التي جاء لها المسيح

جاء المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لمهمة سامية :

١ - ذلك أن بنى اسرائيل قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وحرفوا شريعة الله التي جاءهم بها موسى عليه الصلاة والسلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوى وخرجوا الى الافراط والتفريط . فمن افراطهم في مراعاة التوراة واخراجها عن روحها المراد لله تعالى أنهم كانوا يتخرجون من عمل الخير في السبت باعتباره يوم عطلة لا يجوز العمل فيه ، ففوتوا طاعات كثيرة توجب الزلفى الى الله بتلك الحجة ! والله انما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية وأما فعل الخير فانه لا حرج فيه وليس من الأفعال المنهى عنها . لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التنطع المفضى الى تعطيل الخير في ذلك اليوم .

أنظروا الاصحاح الثانى عشر من « متى » فانكم تجدون :

١ - فى ذلك اليوم ذهب يسوع فى السبت بين الزرع فجاء تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون (٢) فالفريسيون لما نظروا قالوا هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت (٣) فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه (٤) كيف دخل بيت الله . وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط (٥) ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم (١٠) واذا انسان يده يابسة . فسألوه قائلين هل يحل الابرأء فى السبت لكى يشتكوا عليه (١١) فقال لهم أى انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا فى السبت فى حفرة أما يمسكه ويقيمه (١٢) فالانسان كم هو أفضل من الخروف ؟ اذن يحل فعل الخير فى السبت (١٣) ثم قال للانسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى .

ومن تفريطهم تهالكهم على المادة واستغراق حب المال تفكيرهم ، فكانوا يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهكل ليحتوا على ذلك المال . والناذرون والباذلون فى أشد الحاجة

الى بعض ما يبذلون يصرفونه على أنفسهم وعيالهم وآبائهم . وامهاتهم فأراد المسيح أن يخفف من هذه الأثانية في الكهنة ورجال الدين .

فمن ذلك ما قاله « برنابا » في الفصل الثاني والثلاثين :

(١) ودعا أحد المتضلعين من الشريعة يسوع للعشاء ليجربه (٢) فجاء يسوع الى هناك مع تلاميذه (٣) وكثيرون من الكتبة انتظروه في البيت ليجربوه (٤) فجلس التلاميذ الى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم (٥) فدعا الكتبة يسوع قائلين : لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل أن يأكلوا خبزا ؟ (٦) أجاب يسوع : وأنا أسألكم لأى سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم ؟ (٧) تقولون لأولاد الآباء الفقراء « قدموا وانذروا نذورا للهيكلكم » (٨) وهم انما يجعلون نذورا من النزر الذى يجب أن يعولوا به آباءهم (٩) واذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقودا يصرخ الأبناء « ان هذه النقود نذر لله » (١٠) فيصيب الآباء بذلك ضيق (١١) أيها الكتبة الكذابون المراءون أيستعمل الله هذه النقود (١٢) كلا ثم كلا (١٣) لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبى هل آكل لحم الثيران وأشرب دم الغنم ؟ (١٤) اعطنى ذبيحة الحمد وقدم لى نذورك (١٥) لأنى ان جعت لا أطلب منك شيئا لأن كل الأشياء فى يدي وعندى وفرة الجنة (١٦) أيها المراءون انكم انما تفعلون ذلك لتملأوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب والنعنع (١٧) ما أشقاكم لأنكم تظهرون للآخرين أشهر الطرق وضوحا ولا تسيرون فيها . (١٨) أيها الكتبة والفقهاء انكم تضعون على عواتق الآخرين أحمالا لا يطاق حملها (١٩) ولكنكم أنفسكم لا تحركونها باحدى أصابعكم .

(٢٩) وقد ندب الله هذا بواسطة اشعيا قائلا : حقا ان هذا الشعب يعبدنى باطلا (٣٠) لأنهم أبطلوا شريعتى التى أعطاها اياها عبدى موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم (٣١) الحق أقول لكم أن أكل الخبز بأيد غير نظيفة لا ينجس انسانا لأن ما يدخل الانسان لا ينجس الانسان بل الذى يخرج من الانسان ينجس الانسان . (٣٢) فقال حينئذ أحد الكتبة : ان أكلت لحم الخنزير أو لحوما أخرى نجسة أفلا تنجس هذه ضميرى ؟ (٣٣) أجاب يسوع : ان العصيان لا يدخل الانسان بل يخرج الانسان من قلبه (٣٤) ولذلك يكون نجسا متى أكل طعاما محرما (٣٥) حينئذ قال أحد الفقهاء : يا معلم لقد تكلمت كثيرا فى عباد الأصنام كان عند شعب اسرائيل أصناما (٣٦) وعليه فقد أسأت الينا (٣٧) أجاب يسوع : اعلم جيدا أنه لا يوجد اليوم تماثيل من خشب فى اسرائيل ولكن توجد تماثيل من جسد (٣٨) فأجاب حينئذ جميع الكتبة بحق . نحن اذن عبدة الأصنام ؟ (٣٩) أجاب يسوع : الحق أقول لكم لا تقول الشريعة ؛ اعبد . بل أحب الرب الهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك (٤٠) ثم قال يسوع : أصحيح هذا ؟ (٤١) فأجاب كل واحد : انه لصحيح .

وقال « برنابا » أيضا في الفصل الثالث والثلاثين :

١ — (١) ثم قال يسوع : حقا ان كل ما يحب الانسان ويترك لأجله كل شيء سواد فهو الهه (ب) وهكذا فان صنم الزاني هو الزانية وصنم النهر والسكير جسده (ج) وصنم الطماع الفضة والذهب (د) وقس عليه كل خاطيء آخر .

٢ — كان في اليهود فريق الصدوقيين الذين يقولون لا توجد قيامة ولا نشر ولا حساب ولا عقاب ، وان جزاء الأعمال الصالحة أن يبارك الله صاحبها في الدنيا وجزاء الأعمال الرديئة أن يعاقبه الله في الدنيا ، فكان من مهمة المسيح أن يرد هؤلاء الى عقيدة اليوم الآخر وهو يوم الجزاء ، وأن يثبت الايمان بها في قلوبهم ويحذر الناس من اتباعهم والزيف عن سبيل الله الى سبيلهم .

٣ — كان بين اليهود أيضا قوم يقال لهم الفريسيون<sup>(١)</sup> وحقيقة هذا الاسم أنهم قوم تجردوا لطاعة الله تعالى وملك عليهم حبه ومشاعرهم فتفردوا للعبادة وانقطعوا عن العباد ، وزهدوا في حطام الدنيا الفانية وأقبلوا بكليتهم على الآخرة . ولكنهم من قبل زمن المسيح عليه الصلاة والسلام قد انحرفوا عن سنن سلفهم وألهتهم الحياة الدنيا بزرعها وزخرفها ، وأقبلوا على الشهوات يستسرون بها وهم في عملهم يراءون الناس استدراجا لهم ليوقعوهم في مخالهم ويبتزوا أموالهم . فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخا نصبوه لصيد الدرهم والدينار .

٤ — وكان هناك الكتبة من وظائفهم الوعظ وكتابة الشريعة لمن يطلبها وكانوا في شؤونهم يشبهون الفريسيين في تصيد أموال الناس .

٥ — كان هناك الكهنة وخدمة الهيكل وكانوا قد صاروا الى حال رديئة ويحرفون كلام الله ويتهالكون على الحطام الفاني .

كل أولئك كانت أحوالهم تستدعي اصلاحا قويا ومصلحا مخلصا فجاء المسيح لتخليصهم جميعا من الأحوال التي ارتطموا في حمائها . فكان يوبخهم ويكتهم بهذه .

وانى أقصر في هذا المقام على ما جاء في « انجيل متى » في هذه الشؤون : جاء في انجيل متى ص ٢٢ .

(١٥) حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة (١٦) فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر الى وجوه الناس (١٧) فقل لنا ماذا تظن أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا (١٨) فعلم يسوع خبثهم وقال : لماذا تجربوننى يا مرءون (١٩) أرونى معاملة الجزية . فقدموا له دينارا (٢٠) فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة (٢١) قالوا لقيصر فقال لهم : اعطوا اذن ما

(١) يفسر الفاضل سليم قبعين « الفريسيين » بمستقيمي الرأي .

لقيصر لقيصر وما لله الله (٢٢) فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا (٢٣) في ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيام فسالوه (٢٤) قائلين يا معلم ، قال موسى ان مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلا لأخيه (٢٥) فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات واذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه (٢٦) وكان الثاني والثالث الى السبعة (٢٧) وآخر الكل ماتت المرأة أيضا (٢٨) ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فانها كانت للجميع (٢٩) فأجاب يسوع وقال لهم تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله (٣٠) لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء (٣١) وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل (٣٢) أنا اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب ليس الله اله أموات بل اله أحياء (٣٣) فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه (٣٤) أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا (٣٥) وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلا (٣٦) يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس (٣٧) فقال له يسوع تجب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك (٣٨) هذه هي الوصية الأولى العظمى (٣٩) والثانية مثلها تجب قريبك كنفسك (٤٠) فهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (٤١) وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع (٤٢) قائلا ماذا تظنون في المسيح<sup>(١)</sup> ابن من هو ؟ قالوا له ابن داود (٤٣) قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا (٤٤) قال الرب الربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك<sup>(٢)</sup> (٤٥) فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه (٤٦) فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله . اه . وقد أكمل بقية هذه القصة برنابا فليرجع اليه .

متى ص ٣٣ (١) حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه (٢) قائلا على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون (٣) فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون (٤) فانهم يحزمون أعمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم (٥) وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم (٦) ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المياعم (٧) والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى (٨) وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا أخوة (٩) ولا تدعوا لكم أبأ على الأرض لأن أباكم واحد الذى في السموات (١٠) ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح (١١) وأكبركم يكون خادما لكم (١٢) فمن رفع نفسه يتضع ومن يتضع نفسه يرتفع (١٣)

(١) تقدم أن المسيح يطلق بالاشتراك على النبى والمالك في العبرية وفي بعض الأناجيل لفظ «مسيا» بدل المسيح .

(٢) حقيقتها . قال الرب لسيدى . ونصها في العبرية في المزمور (١١) « نثيم يهو فلا دونى شب لمينينى » واللفظ « أدونى » معناها « سيدى » لا « ربى » .

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أتم ولا تدعون الداخلين يدخلون (١٤) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تدخلون بيوت الأرمال . ولعلة تطيلون صلاتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم (١٥) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا (١٦) ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم (١٧) أيها الجاهل والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب (١٨) ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم (١٩) أيها الجاهل والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذي يقدس القربان (٢٠) فان من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه (٢١) ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكن فيه (٢٢) ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه (٢٣) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتهم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك (٢٤) أيها القادة العميان الذين يصفون<sup>(١)</sup> عن البعوضة ويبلعون الجمل (٢٥) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصفحة وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة (٢٦) أيها الفريسي الأعشى نق أولا داخل الكأس والصفحة لكي يكون خارجهما أيضا نقيا (٢٧) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (٢٨) هكذا أتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما (٢٩) ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين (٣٠) وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء (٣١) فأتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء (٣٢) فاملأوا أتم مكيال آبائكم (٣٣) أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم (٣٤) لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبه فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة (٣٥) لكي يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هايبيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح (٣٦) الحق أقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا الجيل<sup>(٢)</sup> .

كما قدمنا كان هناك الفريسيون وهم الدراويش أو الزهاد الذين قطعوا صلتهم بالعالم الا لضرورة وكانوا قد فسدوا وهو يريد أن يردهم الى الحق ويبين فساد ما هم عليه من الطمع والتهالك على الدنيا .

(١) هكذا في ترجمة العبرية بالصاد ولو انصف المترجم لجعلها « يصفون » من العفة بالعين ولعل ذلك فيها من خطأ الكاتب .

(٢) لقد أتى عليهم ذلك في سنة ٧١ على يد طيطوس الرومانى الذى شتتهم وخرب هيكلهم .

ومن أراد أن يقف على حوار المسيح للفريسيين المرائين ، ويعرف حقيقتهم وما كانوا عليه قبل زمن المسيح وفي عهده فليقرأ « من الفصل الرابع والأربعين بعد المائة من برنابا » فانه يقرأ المطرب المعجب والعظات والنصائح الصادرة باخلاص من قلب مفعم بالتقوى .

٦ — من الأغراض السامية التي جاء المسيح لتقريرها واذاعتها بين اليهود وغيرهم البشارة باقتراب ملكوت السموات والمراد بذلك الشريعة الالهية التي يرسل الله تعالى بها النبي الأُمى المذكور في آية (١٥) أو ما بعدها من « الاصحاح ١٨ — سفر التثنية (١) » الذي وعد الله بني اسرائيل على لسان موسى أن يرسله من بين اخوتهم ويجعل كلامه في فمه ويخبرهم بكل الذي يوصيه الله به . وقد مر الكلام على هذه النبوة في موسى . وقد بشر اليهود به أيضا أنبياء كثيرون . منهم داود في المزمور الخامس والأربعين والمزمور التاسع والأربعين بعد المائة والعاشر بعد المائة . وأشعيا في الاصحاحات ٨ و ٩ و ٢٦ و ٣٥ و ٤٢ و ٤٣ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ و ٦٥ . ودانيال في ص ٢ و ٧ . وحقوق ص ٣ وحجي ص ٢ . وزكريا في ص ٣ . وملاخي في ص ٣ .

وهذا قليل من كثير مما في تلك الكتب مع ما اعتورها من التحريف القصدي وغير القصدي . جاء المسيح عليه السلام ليبشر بهذا النبي الكريم . ولا غرو فان المسيح آخر الأنبياء في بني اسرائيل ولا أدل على ذلك من أنه قد مضى على القوم ١٩٣٣ سنة « ١٩٣٩ الآن » لم يقيم فيهم نبي سواه ويحيى بن زكرياء . فلم قاطعهم الله هذه المقاطعة وهجرهم هجرا غير جميل ؟ كان المسيح يعبر عن « البشر به » بلفظ « النبي » ولفظ « مسيا » ولفظ « فارقليط » وهو تعريب لفظ « بيريكلتوس » اليونانية ومعناها « الذي له حمد كثير (٢) » كما عبر عنه

(١) يحمل المسيحيون هذه البشارة على المسيح ، والحقيقة أن بشارة موسى في التثنية لا تنطبق على عيسى لان المفروض المماثلة الحقيقية ، وهي لا تنطبق على عيسى ، لان البشر به نبي — وعيسى عندهم اله — وانه يكون صاحب شريعة تامة كاملة مستقلة وعيسى لم تكن شريعته كذلك . وموسى كان متزوجا وله اولاد بخلاف المسيح . وموسى حارب اعداءه ولا كذلك المسيح . واذا كان المسيح قد وجد ثم انتهى امره فما معنى ان يبشر تابعوه بأن ملكوت السموات قد اقترب ، مع انه جاء وانتهى كما يقولون .

ومن أراد فضل بيان فعلية الاطلاع على كتاب المرحوم « رحمة الله افندى الهندي » في الكلام على البشارات التي جاءت عن رسول الله في العهدين .

(٢) كنت في سنة ١٨٩٣ — سنة ١٨٩٤ ميلادية طالبا بدار العلوم في السنة الاولى . وكان يجلس بجانبى — في درس اللغة العربية — العلامة الكبير الدكتور « كارلولينو » المستشرق التلياني . وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية . فانعقدت اواصر الصحبة المتينة بيني وبينه . وكان المرحوم « احمد بك نجيب » يعطى محاضرات في الانفتياترو العمومي . وكنا نحضرها ونعطي ملازم من كتابه « الاثر الجليل في قدماء وادى النيل » ففي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣١١ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا في « درب الجماميز » فقال لي الدكتور « نلينو » هذه الليلة ليلة المعراج ؟ قلت : نعم . فقال : وبعد ثلاث أيام عيد السيدة زينب ؟ فقلت : نعم ثم قلت له : =



بعض الكتب بلفظ « ايلياء » واليهود يظنون أن ايلياء يأتي اليهم ولكن اذا عرفوا أن « ايلياء » جملها « ٥٣ » كجمل لفظ « أحمد » زال الاشكال وتبين المراد . وكان يعبر عن الشريعة الآتية بلفظ « ملكوت السموات » ولفظه قريب من التعبير الذي عبر به دنيال « ص ٢ — في تعبير رؤيا الملك بختنصر » اذ يقول :

وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض ابدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفتنى كل هذه الممالك ، وهي تثبت الى الأبد لأنك رأيت أنه قطع حجر من جبل لا بيدن فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب .

والمسيحيون يحملون البشارة على الدين المسيحي الذي جاء به المسيح عليه الصلاة والسلام . واذا نظرنا الى ما جاء به المسيح لم نجد سوى عظات ونصائح وحكم وأمثال ، يريد بذلك توجيه نظر الجماهير من اليهود الى اخلاص العبادة لله تعالى والتخفيف من مادياتهم التي غرقوا فيها الى آذانهم وترك الرياء والنفاق ، وأن يلتبسوا بروح الدين الذي ورثوه عن موسى كما جاءهم ، وأن يطلقهم من اسار الكهنة الذين يعوجون الشريعة ويتخذونها مستغلا لاشباع جشعهم ، ويحرفونها عن مواضعها ارضاء لشهواتهم النازية . ويشرهم باقترب « ملكوت السموات » أى الشريعة الالهية الدائمة وبمجيء « محمد » صلى الله عليه وسلم .

ولم يلم الانجيل بشيء من الأحكام الا فى القليل النادر ، كوجوب الاقتصار على زوجة واحدة ، وعدم تزوج من طلق امرأة بامرأة سواها ، وعدم تزوج المطلقة بآخر ، وعدم جواز الطلاق الا بعلّة الزنا . وأمر بالعفة وبالغ فى ذلك حتى قال : ان من نظر الى امرأة يشتهيها يكون زانيا بها فى قلبه . ونهى عن الأخلاق الرديئة كالمكر والخداع وأكل الأموال بغير حق والرياء والنفاق ، وشدد النكير على المتصنفين بالأخلاق الرديئة من اليهود والكنيسة وأفاض فى ذلك افاضة عظيمة . ولو أن انجيل المسيح وصل الى الناس كما كتبه — وهو صلى الله عليه وسلم لا يكتب الا ما نزل اليه — لكان ذلك الكتاب من أهم الكنوز وأغلاها قيمة .

= مارياك يادكتور فى المعراج؟ فقال: هو ذهاب النبى عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس ليلا وصعوده الى السماء وعوده الى مكة فى ليلة واحدة . فقلت : أنا أعلم أنك تفهم هذا ولكن الذى أريد أن أعرفه هو رأيك فى هذا القول ؟ هل هو صحيح أو كاذب ؟ والرجل مؤدب جدا فقال : هذا شيء عجيب ! فقلت : يوجد ما هو أعجب منه ؟ قال : ما هو ؟ قلت : أن المسيح يصلب ويقتل ويدفن ثم يقوم من الأموات ويصعد الى السماء ويجلس على يمين الله ! قال : وهذا أيضا شيء عجيب ثم قلت له — وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه فى آداب اليهود اليونانية القديمة — ما معنى « بيريكلتوس » ؟ فأجابنى بقوله : ان القسس يقولون ان هذه الكلمة معناها « المعزى » فقلت : انى أسأل الدكتور « كارولونينو » الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة . ولست أسأل قسيسا فقال : ان معناها « الذى له حمد كثير » فقلت : هل ذلك يوافق أفعّل التفضيل من حمد ؟ فقال : نعم ! فقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه « أحمد » فقال : يا أخى أنت تحفظ كثيرا ، ثم افترقنا . وقد ازددت بذلك تثبّتا فى معنى له تعالى حكاية عن المسيح ( ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه : أحمد ) .

## الأنجيل الموجودة الآن

يطلق اسم « انجيل » عرفا على تلك القصص التي وجدت بعد زمان المسيح تقص أحواله وأعماله وأقواله التي وعظ بها ومعجزاته وخوارق العادات التي أجراها الله على يده .

والكنيسة تعترف بأربعة منها هي :

« انجيل متى » و « انجيل مرقس » و « انجيل لوقا » و « انجيل يوحنا » .

والقدر الذي وصل الى العالم في تلك الأنجيل من الجمل والأمثال والنصائح — المقتطفة مما نطق به المسيح من العظات والحكم — يتضمن حث الناس على توحيد الله تعالى واختصاصه بالعبادة والاخلاص في طاعته والعمل بأوامره واجتناب نواهيه وحسن المعاملة بين الانسان وأخيه والتواضع والبعد عن الكبرياء والصلف والظلم والتعدي ، وتأمر بالبذل في سبيل الخير وأن الواجب أن لا يتهالك الناس على الدنيا وزخارفها ، ويمثل الناس كل واحد بالمسافر ، والمسافر لا يتخذ القصور ولا يتأثل العقار ! وأن الواجب على المرء الذي وقف نفسه على طاعة الله أن يتوكل على الله حق التوكل فلا يكون أمر طعامه وكسوته أكبر همه لأن الرازق هو الله وهو كفيل بكل ذلك للمتوكلين عليه . وهكذا من الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة .

لم يكتب شيء من هذه الأنجيل في زمانه ، ولكن بعد انتهاء أمر المسيح — بالخاتمة التي انتهى بها — قام بعض التلاميذ وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وكتبوا قصصا كثيرة . وكل واحد يسمى ما كتبه « انجيلا » حتى لقد قيل ان الأنجيل بلغت : نيفا ومائة انجيل .

بعد أن أفاق المسيحيون من الاضطهادات التي كانت تتوالى عليهم نظروا في تلك القصص ، واختارت الكنيسة من بينها القصص التي لا تتعارض مع نزعها وسلمت بها وجعلتها قانونية ، ولم تكثر لما بين مضامينها من التخالف والتناقض ما دام ذلك لا يخالف المزرع العام الذي قصده الكنيسة . والأنجيل جميعها منقطعة السند ، ولا توجد نسخة انجيل بخط تلمذ من تلاميذ ذلك المؤلف ولا ما يضمن شبهة صحة فيها .

وهاكم بعض ما كتبه الفاضل المرحوم رحمة الله الهندي وغيره عن الأنجيل الأربعة . جاء في صفحة (١٦١) جزء أول وما بعدها من كتاب « اظهر الحق » ما يأتي :

١ — الانجيل الذي ينسب الى « متى » الآن — وهو أول الأنجيل وأقدمها عندهم — ليس من تصنيفه يقينا . بل ضيعوه بعد ما حرفوه ، لأن قدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل متى كان باللسان العبراني ، وهو ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية . والانجيل الموجود الآن « ترجمته » ولا يوجد عندهم اسناد هذه الترجمة ، حتى لا يعلم اسم المترجم أيضا باليقين الى هذا الحيز كما اعترف به « جيروم » من أفاضل قدمائهم ، فضلا عن علم أحوال المترجم . وقد أفاض في البيان والشرح والاستشهاد .

وجاء في كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » في صفحة (٢٠) جزء ١ نقل أيضا العالم « جرجس زوين : الفتوحى اللبناني » في كتابه — المطبوع سنة ١٨٧٣ « في الأصل ١٣٧٨ » في بيروت المترجم من اللغة الافرنسية — الى العربية — أن « متى قد كتب بشارته أى انجيله في اورشليم سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس « ايرونيوس » والسبب في ذلك على ما ذهب اليه القديس « ابيفانوس » أنه اما اجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح أو اجابة لأمر الرسل ولم يكتب انجيله باليونانية بل بالعبرية على زعم « أوسيبيوس » في تاريخه . وقد وافق « أوسيبيوس » القديس « ايرونيوس » أن « باتتيوس » اذ كان قد ذهب ليكرز بالايمان المسيحي في الهند وجد انجيلا لمتى الرسول مكتوبا بالعبرانية فجاء الى الاسكندرية وبقي محفوظا في مكتبة قيصر الى أيامه . لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت وبعد فقدتها ظهرت ترجمتها في اليونانية فلم يعرف الذى كان ترجمها . انتهى .

## ٢ — انجيل مرقس :

قال بطرس قرماج في كتابه « مروج الأخبار في تراجم الأبرار » المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٠ ما ملخصه : ان مرقس هذا كان يهوديا لاويا . وهو تلميذ لبطرس ، ولد باقليم « الخمس مدن » وصنف انجيله بطلب أهل رومية ، وكان ينكر الهية المسيح ، ولم يذكر في انجيله مدح المسيح لبطرس ومات مقتولا في سجن الاسكندرية سنة ٦٨ ميلادية . قتله الوثنيون — انتهى .

وقد اختلفت النصرانية في تاريخ تأليف انجيله . قال صاحب كتاب « مرشد الطالبين » ولفظه في صفحة (١٧٠) أن انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الأمم الذين كان تنصرهم بخدمته انتهى . راجع صفحة (٣١٦) من الجزء الأول من كتاب الفارق .

## ٣ — انجيل لوقا :

لا يقل اختلاف النصارى في انجيل لوقا عن اختلافهم في انجيل متى . وقد كان لوقا طبيبا من أهل أنطاكية ولم ير المسيح أصلا ، وقد لقن النصرانية عن « بولس » وبولس كان يهوديا متعصبا على المسيحية ولم ير المسيح في حياته ، وكان يسئ الى النصارى اساءات متصلة . ولما رأى أن اضطهاده للنصرانية لا يجدى عمدا من طريق الحيلة الى الدخول فيها وأظهر الاعتقاد بالمسيح وادعى أنه صرع ، وفي حال صرعه لمسه المسيح وزجره عن الاساءة الى متبعيه ، ومن ذلك الوقت آمن وأرسله المسيح ليشر بانجيله وانظمت حيلته على الكنيسة ، وهو الذى جعل النصارى يمرقون من واجبات الناموس الذى ماجاء المسيح لابطال أحكامه ، ولكن جاء لتأييدها فأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر وعلم بأن الايمان وحده كاف في النجاة بدون عمل . الخ .

وكان تأليف لوقا انجيله بعد ما كتب مرقس انجيله وذلك بعد موت بطرس وبولس . وفي مبتدأ هذا الانجيل ينص على أنه يرأسل به « ثاوفيلس » ليؤكد له صحة الكلام الذى علم به .

وعبارته هي : ص ١ - (١) اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا (٢) كما سلمها إلينا الذين كانوا من البدء معانين وخداما للكلمة (٣) رأيت أنا أيضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بكل تدقيق أن أكتب إليك على التوالى أيها العزيز ثاوفليس (٤) لتعرف صحة الكلام الذى سمعت به ١٠ هـ .

قال فى كتاب الفارق « فتبين أن انجيله ليس الهاميا كما زعموا » وساق على ذلك أدلة خمسة من أقوال العلماء المسيحيين ، تلخص فى أن « مستر كدل » فى رسالة الالهام نص على أن انجيل لوقا ليس الهاميا استنادا الى المقدمة التى نقلناها . وتصريح « جيروم » بأن بعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الأولين من هذا الانجيل ، وأنهما ما كانا فى نسخة فرقة « ماريونى » وجزم « اكهارن » فى صفحة ٩٥ من كتابه أن من - ف ٤٣ الى ٤٧ من الباب ٢٢ من انجيل لوقا الحاقية - وان « اكهارن » يقول فى صفحة ٦١ من كتابه : قد اختلط الكذب الروائى ببيان المعجزات التى نقلها لوقا ، والكاتب ضمه على طريق المبالغة الشاعرية لكن تمييز الصدق عن الكذب فى هذا الزمان عسير . وقول « كلى مى شيس » ان متى ومرقس يتخالفان فى التحرير واذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا .

وليعلم القارئ أن « لوقا » أتى فى انجيله بزيادات عما ذكره « متى » تبلغ نيفا وعشرين محلا بعضها معجزات وبعضها حكايات أخرى . وأما زيادته عن مرقس فكثيرة جدا .

#### ٤ - انجيل يوحنا .

يذهب كثير من المسيحيين الى أن يوحنا الانجيلي هو يوحنا أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر وأبوه « زبدى » الصياد . ولد فى بيت صيدا من الجليل وأنه هو الذى كان يحبه عيسى جدا .

قال جرجس زوين الفتوحى اللبناني : ان « شيرينطوس » و « أيسون » وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس الا انسانا ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم ؛ فلذلك فى سنة ٩٦ ، اجتمعوا - أى عموم أساقفة آسيا وغيرهم - عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بانجيل مما لم يكتبه الانجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح فلم يسعه أن ينكر اجابة طلبهم .

وقد اضطربت كلمة المسيحيين فى السنة التى ألف فيها انجيل يوحنا ، فمن قائل سنة ٦٥ ، ومن قائل سنة ٩٦ ، ومن قائل سنة ٩٨ . وكثير من علماء النصرانية أنكروا أن يكون هذا الانجيل من تأليف يوحنا التلميذ . فمن ذلك ما كتبه « استادلن » ونقله عنه صاحب كاتوليك هيرالد فى صفحة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ ونصه « ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الاسكندرية » .

وقال « برطشيدر » ان هذا الانجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه ، بل صنفها م - ٢٦ قصص الأنبياء

أحد تلاميذه في ابتداء القرن الثاني ونسبه الى يوحنا ليغتر به الناس ، وقال « كروتيس » كان هذا الانجيل عشرين بابا فألحقت كنيسة « أفاس » الباب الحادى والعشرين بعد موت يوحنا ا هـ راجع ٣٤١ و ٣٤٢ من كتاب « الفارق » الجزء الأول .

ومن ذلك نعلم أن الكتاب المذكور كتب لغرض خاص هو اثبات إلهية المسيح والقضاء على التعاليم التى كانت تؤكد أنه انسان .

ولاختلاف مصنفى الأنجيل اختلفت مصنفاتهم ، فبعضهم يذكر فى انجيله حالات أو عجائب لا يذكرها البعض الآخر ، أو يروى الخبر الواحد فى انجيل بعبارة تناقض بالزيادة أو النقص ما ذكر فى الانجيل الآخر ! واليكم قليلا من التناقض بين الأنجيل :

(١) متى ص ٩ (٢) واذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحا على فراش .

مرقس ص ٢ (٢) وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسمع ولا ما حول الباب فكان يخاطبهم بالكلمة (٣) وجاءوا اليه مقدمين مفلوجا يحمله أربعة (٤) واذا لم يقدرُوا أن يقتربوا اليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعد ما تقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعا عليه .

فعبارة « متى » تفيد أنهم قدموه اليه تقديما عاديا . وعبارة مرقس تفيد أنهم تقبوا السقف ودلوه .

(٢) يقول « متى » ان المسيح لقيه مجنونان من القبور فى قرية الجرجسين وقد صرخا قائلين : مالنا ولك يا يسوع وأنه أمر الروحين اللذين بهما أن يذهبا الى قطع الخنازير — متى ص ٨ — ٢٨ وما بعدها — وفى مرقس أنه كان انسانا واحدا به شياطين كثيرة — ص ٥ — (٣) وفى « متى » أن رئيسا سجد له وقال له ابنتى ماتت تعال وضع يدك عليها فتحيا ، ففعل وحييت بعد موتها — ١٨ وما بعدها ص ٩ متى —

وفى مرقس أنه قال له انها مريضة على آخر نسمة ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا فمضى معه — مرقس ص ٥ : ٢٢ — وما بعدها — وفرق بين من مات ومن هى مريضة !

(٤) ذكر مرقس أن المسيح جاء الى « بيت صيدا » فقدموا اليه أعمى وطلبوا اليه أن يلمسه فأخرجه خارج القرية وتقل فى عينيه ووضع يده عليهما وسأله هل يبصر فأخبره أنه يرى الناس كأشجار يمشون فوضع يده على عينيه ثانيا وسأله فأبصر جيدا « ص ٨ آية ٢٢ » . وهذه لم يذكرها « متى » ولا غيره .

ولا أريد أن أذهب الوقت فى عد أمثال هذه الأشياء ، فمن شاء فليرجع الى كتاب « اظهار الحق » لرحمة الله الهندي . وكتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » للباحه جى زاده . « والأجوبة الفاخرة » للقرافى وكتاب « هداية الحيارى » لابن القيم .

## انجيل برنابا

كان « برنابا » من أتباع المسيح المواظبين على نشر دعوته والتبشير باقتراب ملكوت السموات .

وقد جاء عنه في كتاب الأعمال ص ٢ (٣٦) ويوسف الذي دعى من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ ، وهو لاوى قبرسى الجنس اه . وكان هذا الرجل موثوقا به في الكنيسة ثقة تامة ويندب لوعظ الناس المدعوين للدخول في الدين .

أعمال ص ١١ (٢٢) فسمع الخبر عنهم في أذان الكنيسة التي في اورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز الى انطاكية (٢٣) الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب (٢٤) لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والايمان فانضم الى الرب جمع غفير .

أعمال ص ١١ (٢٩) فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئا خدمة الى الاخوة الساكنين في اليهودية (٣٠) ففعلوا ذلك مرسلين الى المشايخ بيد برنابا وشاول .

أعمال ص ١٢ (٢٥) ورجع برنابا وشاول من اورشليم بعد ما كملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس .

أعمال ص ١٣ (٢) وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا الى برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما اليه .

أعمال ص ١٥ (١١) لكن بنعمة الرب يسوع المسيح تؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا (١٢) فسكت الجمهور كله وكانوا يسمعون برنابا وبولس يتحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم .

أعمال ص ١٣ (٣٤) أنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضا الى فساد فهكذا قال اني سأعطيكم مراحم داود الصادقة (٣٥) ولذلك قال أيضا في مزموه آخر لن تدع قدوسك يرى فسادا (٣٦) لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله وقد انضم الى آبائه ورأى فسادا (٣٧) وأما الذي أقامه الله فلم ير فسادا .

أعمال ص ١٥ (١) وانحدر قوم من اليهود وجعلوا يعلمون الاخوة أنه ان لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لبولس وبرنابا مناورة ومباحثة ليست بقليلة المعنى رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم الى الرسل والمشايخ الى اورشليم من أجل هذه المسألة .

أعمال ص ١٥ (٢٩) أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي ان حفظتم أنفسكم منها فنجما تفعلون . وكونوا معافين .

أعمال ص ١٥ (٣٥) أما بولس وبرنابا فأقاما في أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضا بكلمة الرب .

هذا الرجل الذى قصصت عليكم شأنه قد وجد له انجيل مدون وهو عبارة عن قصة للمسيح، كانجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا منقطع السند كما هى منقطعة السند . وهذا الانجيل يقول فيه مترجمه الدكتور « خليل سعادة » تضاربت فيه آراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين وخطبوا فيه ضلالة وهدى وتلمسوا حقيقته بين رشاد وهوى واستنطقوا الآثار والأسفار واستفسروا الأعصار والأمصار فما ظفروا بعد كل ذلك بما يشفى منهم غليلا أو يبرد لهم غليلا .

وهذا الانجيل كانت نسخته بمكتبة البابا « سكسس » بروما واختلسها أسقف يقال له « فرامينو » حين عثر عليها مصادفة فقرأها واعتنق الاسلام . وذلك فى أواخر القرن السادس عشر .

ويقول حضرة المترجم فى مقدمته انه يرى أن كاتب انجيل برنابا يهودى أندلسى متمكن من الديانة اليهودية والاطلاع عليها قد تنصر واطلع اطلاعا عظيما على النصرانية ، ثم أسلم واطلع على الديانة الاسلامية ، ويرى أن هذا الحل أقرب الى الصواب . ثم قال : وبعد كل ما تقدم فإن هذا الانجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة وطراز راق من الفلسفة الأدبية وأساليب تسحر الأبواب ببلاغتها السامية على ما فيها من البساطة فى التعبير ، وهو يرمى الى ترقية العواطف البشرية الى أفق سام وتنزيهاها عن الشهوات البهيمية ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حاثا على الفضائل مقبحا للردائل داعيا الانسان الى تضحية نفسه فى سبيل الاحسان الى الناس حتى يزول منه كل أثر للأناية ويحيا لنفع اخوانه .

وقال ناشره « السيد محمد رشيد رضا » فى مقدمته :

لم تقف على ذكر لانجيل برنابا فى أسفار التاريخ أقدم من المنشور الذى أصدره البابا « جلاسيوس الأول » فى بيان الكتب التى تحرم قراءتها . فقد جاء فى ضمنها « انجيل برنابا » وقد تولى « جلاسيوس » البابوية فى أواخر القرن الخامس للميلاد أى قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . على أن بعض علماء أوربا يرتابون اليوم فى ذلك المنشور كما ذكر الدكتور « سعادة » فى مقدمته والمثبت مقدم على النافى .

ومهما كان من الأمر . فانجيل برنابا واحد من الأنجيل التى ألفت فى قصة المسيح وان كان يمتاز عن سائرهما بالبلاغة . ودقة التعبير ، ويصرح بأمور لعلها هى التى زهدت الكنيسة فيه حتى حرمه « البابا جلاسيوس » ومن ذلك التصريح باسم « محمد » فى كثير من المواضع وانى أنقل عن انجيل برنابا لا لأنه لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! بل لأن روايته للحوادث أبين واستقصاءه للأخبار أتم . وان كان فى نظرى لا تخلو بعض الموضوعات فيه من المبالغات الشعرية .

على أن الدكتور « سعادة » مترجم انجيل برنابا قال في مقدمته — بعد أن أفاض في الاحتمالات والآراء في انجيل برنابا — بيد أن هناك انجيلا يسمى بالانجيل « الأغنطسى » طمست رسومه وعفت آثاره يتبدى بمقدمة تندد بالقدّيس « بولس » وينتهى بخاتمة فيها مثل ذلك من انجيل برنابا . فمن المحتمل أيضا أن كاتب الانجيل « الأغنطسى » أبا لانجيل برنابا .

وأقول : ومن المحتمل أيضا أن كاتب الانجيل « الأغنطسى » ألم بما كتبه برنابا في انجيله واقتبس منه ما أثبتته في انجيله ، وأن انجيل برنابا يصح أن يكون أبا للانجيل « الأغنطسى » . ولو أن اخواننا المسيحيين أبقوا جميع الأنجيل ولم تحرم الكنيسة قراءتها لوصلت إلينا — ولو على نوع من التحريف — وكانت معرضا جميلا . ولكن ذلك التحريم أعدم تلك الأنجيل وربما كان فيها الكثير الطيب ! والا فإين الانجيل الأغنطسى والأنجيل المذكورة في الأنجيل وأنها وجدت ، والأنجيل التي كان الداعون الى المسيحية كبولس يحذرون الناس من اتباعها ، والتي كانوا يقولون ان أصحابها يحولون انجيل المسيح ؟

## الحواريون

هم أصحاب المسيح عيسى بن مريم — صلوات الله وسلامه عليه — وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وبأدروا الى الايمان به وتعلموا له وتعلموا منه وكانوا اثني عشر رجلا . وهذا اللفظ لم أعرفه عبرانيا . وأما عربيا فقد قال صاحب القاموس : وقد جاء اطلاق حوارى رسول الله على « الزبير بن العوام » ويظهر أن لفظ « الأنصار » في جانب رسول الله بمنزلة « الحواريين » في جانب المسيح عليه السلام . والأنجيل تعبر عنهم بلفظ « التلاميذ » .

واذا جاز لى هذا اللفظ فإنى أقول ان معناه « الاخوان في طلب العلم » من لفظ « جبور » العبرى وهو التلميذ ، وجمعه « جبوريم » نطق به في العربية « حوارى وحواريين » .

ذكرت أسماء الحواريين في « متى » في الاصحاح العاشر من انجيله .

وقد ذكر برنابا أسماء التلاميذ في الفصل الرابع عشر من انجيله .

وهذه أسماء التلاميذ الاثني عشر عند متى

- |                                 |                             |
|---------------------------------|-----------------------------|
| ١ — ( سمعان ) الذى يقال له بطرس | ٧ — ( توما )                |
| ٢ — ( أندراوس ) أخو سمعان بطرس  | ٨ — ( متى العشار )          |
| ٣ — ( يعقوب ) بن زبدي           | ٩ — ( يعقوب ) بن حلفى       |
| ٤ — ( يوحنا ) أخو يعقوب         | ١٠ — ( لباوس ) الملقب تداوس |
| ٥ — ( فيلبس )                   | ١١ — ( سمعان القانونى )     |
| ٦ — ( برثو لماوس )              | ١٢ — ( يهوذا الأسخريوطى )   |



وهذه أسماء التلاميذ الاثني عشر عند برنابا

- |                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| ١ — ( اندراوس )             | ٧ — ( تداوس )             |
| ٢ — ( بطرس الصياد = سمعان ) | ٨ — ( يهوذا )             |
| ٣ — ( برنابا )              | ٩ — ( برثو لماوس )        |
| ٤ — ( متى العشار )          | ١٠ — ( فيلبس )            |
| ٥ — ( يوحنا ) بن زبدي       | ١١ — ( يعقوب ) بن حلفى    |
| ٦ — ( يعقوب ) بن زبدي       | ١٢ — ( يهوذا الأسخريوطى ) |

ومن ذلك نرى أن برنابا تقص من الحواريين عند متى اثنين وهما « توما » و « سمعان الغيور » المعروف بالقانونى ووضع مكانهما اسمه واسم « تداوس » فهل الصواب معه ؟ ولكن الكنيسة لما رأت انجيله يخالف ما تهوى حذفت اسمه واسم « سمعان » من بين التلاميذ لأنهما كانا متطابقين فى رأى ؟ قد يكون ذلك وأنهم اكتفوا فى عقابه بهذا مع بقاء اسمه بين الرسل الذين حملوا قسطا عظيما فى نشر الدعوة والتبشير باقتراب ملكوت السموات .

وما كان من الأمر فقد عرفنا أسماء الحواريين على اختلاف رأى متى وبرنابا .

هؤلاء الحواريون الذين استجابوا للمسيح عليه السلام ، وهم الذين بشهم فى القرى اليهودية ليدعوا الكفار بدعوة المسيح ومن غلا فى شأنه أو كذبه ورد دعوته .

لم تكن استجابة هؤلاء للمسيح دفعة واحدة ولا فى يوم واحد . بل جاءوا متفرقين . وقد بين ذلك مرقس فى انجيله ص ١ : ١٦ الى ٢٠ وفى ض ٢ : ١٢ .

وقد قص الله تعالى شأن الحواريين فى سورة آل عمران والمائدة والصف .

اقرأوا هذه الآيات :

سورة آل عمران : فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [٥٢] رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [٥٣]

سورة المائدة : وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِثِينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ [١١١]

سورة الصف : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْخَوَارِثِينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاْمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [١٤]

## تفصيله

قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن أدریس المالکی المعروف بالقرافي في كتابه المشهور بالأجوبة الفاخرة : ان الأناجيل « خمسة » يعرف النصارى منها « أربعة » مشهورة والخامس لا يعرفه الا القليل منهم . والأربعة هي : ( انجيل متى ) وهو من الحواريين الاثنى عشر وبشر بانجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين — بعد صعود المسيح عليه السلام بثمانى سنين — وعدة اصحاحاته ثمانية وستون اصحاحا .

( وانجيل مرقس ) وهو من السبعين وبشر بانجيله باللغة الفرنجية بمدينة رومية — بعد صعود المسيح عليه السلام باثنتى عشرة سنة — وعدة اصحاحاته ثمانية وأربعون اصحاحا .

( وانجيل لوقا ) وهو من السبعين وبشر بانجيله بالاسكندرية باللغة اليونانية . وعدة اصحاحاته ثلاثة وثمانون اصحاحا .

( وانجيل يوحنا ) وهو من الاثنى عشر وبشر بانجيله بمدينة أفسس . من بلاد رومية — بعد صعود المسيح بثلاثين سنة — وعدة اصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون اصحاحا .

الخامس يسمى ( انجيل الصبوة ) ذكر فيه الأشياء التي صدرت من المسيح في حال طفولته، ينسب لبطرس عن مريم عليها السلام . وفيه زيادة وتقصان وقد ترك فيه كثير من معجزاته . ويذكر فيه قدوم المسيح عليه السلام وأمه رضى الله عنها ويوسف النجار الى صعيد مصر أثناء عودته الى « ناصرة » قرية عند المقدس واليها ينسب النصارى .

أقول : قد غلط القرافي رحمه الله في قوله عن متى أنه بشر بانجيله باللغة السريانية في أرض فلسطين . فان النصارى يجهلون بأية لغة كتب متى انجيله ؟ وانما يغلب على ظنهم انه كتبه باللغة العبرانية . كما أنه غلط أيضا في قوله عن لوقا انه من السبعين . فانه لم يكن منهم ولم ير المسيح . وانما سمع عن المسيح من القوم الذين شاهدوه . وأول انجيله شاهد بذلك اذ يقول فيه : « اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز ثاوفيلس » .

وأما انجيل يوحنا — الذى ذكره — فليس مقطوعا بأنه يوحنا أحد الاثنى عشر . لأن الغرض من عمل هذا الانجيل ، انما هو اثبات لاهوتية المسيح . وذلك آخر القرن الأول كما تقدم . فلا بد أن يكون يوحنا آخر سوى الحوارى .

وقوله عن يوحنا انه بشر بانجيله في « افسس » من بلاد رومية . فانه يريد « من بلاد الروم » وهى بلاد الأناضول لأن « أفسس » ليست من بلاد « ايطاليا » كما توهم العبارة بل هى قبالة زاوية خليج « الاسكندرونة » وتوجد « أفسس » أخرى قرب « أزمير » .

أما ( انجيل الصبوة ) ويقال له ( انجيل طفولية المسيح ) فلم يتح لى الاطلاع عليه .  
أما عدد اصحاحات كل انجيل الآن فهي « متى ٢٧ - مرقس ١٦ - لوقا ٢٤ - يوحنا ٢١ » .

## معجزات عيسى عليه السلام

المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى يجريه الله تعالى على يد أحد الأنبياء مع انتفاء المعارض - كأنه بخرق العادة يقول لعباده المرسل اليهم « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » ولقد

(١) نقد اللجنة

### ( معجزات عيسى عليه السلام )

قال فى صفحة ٤١٤ ما نصه :

المعجزة أمر خارق للعادة يجريه تعالى على يد الأنبياء من عباده تصديقا لهم كأنه بخرق العادة يقول لعباده المرسل اليهم « صدق عبدى فيما يبلغ عنى » ولقد شاهد كثير من الناس خوارق صدرت عن بعض الناس ممن لم يكونوا أنبياء - كما يصدر نحو ذلك عن براهمة الهند وفقرائها الذين ربوا ارادتهم وتغلبت أرواحهم على أجسادهم - فما بالك برسول اختارهم الله لتبليغ عباده أوامره ونواهيه ليخرجوهم من الظلمات الى النور ويرشدوهم الى طريق الرشاد ويجنبوهم سبل الغواية ؟ انتهى كلامه بالحرف .

### ( رأى اللجنة )

انما قصد بقوله « ولقد شاهد كثير من الناس خوارق ٠٠٠ الخ » تقريب حصول المعجزة من العقول والدلالة على عدم استبعاد وقوعها على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وانا نلاحظ عليه أن تقريب المعجزة بما يصدر من الخارق عن براهمة الهند - على فرض صحة ذلك - من غير توضيح الفرق بينهما يوجب اشتباها للقارىء وتشككا فى رسالة الرسل، ثم أن سلوكة فى تعليل ظهور الخارق بتربية الارادة وتغلب الأرواح على الأجساد يشعر بأن المعجزة مكتسبة - وهو قريب من مسلك الفلاسفة وغير ما عليه المتكلمون - كما يعلم من علم الكلام .

فكان الواجب فى مثل هذا المقام أن يوضح معنى المعجزة توضيحا تاما ويميزها عن باقى الخوارق بأن يقول أن المعجزة مقرونة بالتحدى وسالبة من المعارض ، ثم يبين باقى الخوارق لدرامات الأولياء ، ثم اذا أراد التعرض الى أن الخارق قد يظهر على يد الكافر كبراهمة الهند - ان كانت الخوارق تظهر منهم - يجب أن يوضح أن مثل هذا يسمى استدراجا والله أعلم .

### « رد المؤلف على نقد اللجنة »

#### الموضوع الخامس عشر

### ( معجزات عيسى عليه السلام )

لما شرعت فى الكتابة فى هذا الموضوع لم يكن من همى أن آتى على تحديد المعجزة تحديدا جامعا مانعا ولكن عنابتنى كانت موجهة الى رسمها واعطاء المطالع فكرة عامة عنها اذ الحد الجامع المانع انما يكون فى الكتب الخاصة بالعلم ، فأما الكتاب الذى يكون معرضا لأن يقرأه المتعلم ونصف المتعلم فالتدقيق فيه يرفعه عن مستوى أذهان كثير من القراء . على أن من الأساليب الذى جرى عليها التعبير فى القرآن أن ما كان معلوما قد يسكت عنه . كما فى قوله تعالى ( ولو أن قرآنا سبرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ) أى أتيتهم به ما آمنوا . فالأمر الذى يكون معلوما من المقام يصح حذفه وهكذا فعلت ولا لوم على .

وقد لا حظت - حين كتبت - أنه يوجد أقوام يجحدون خرق العادة للأنبياء فأردت أن أدفع فى صدور أبوالههم بأننا رأينا ورأى غيرنا من بعض الناس أمورا خاقة للعادة جرت على أيدي =

شاهد كثير من الناس خوارق صدرت عن بعض الناس ممن لم يكونوا أنبياء — كما يصدر نحو ذلك عن براهمة الهند وفقرائها الذين ربوا ارادتهم وتغلبت أرواحهم على أجسادهم — فما بالك برسل اختارهم الله لتبليغ عباده أوامره ونواهيه ليخرجوهم من الظلمات الى النور ويرشدوهم الى طريق الرشاد ويجنبوهم سبل الغواية ؟ . وليعلم القراء أن البراهمة ليس عندهم نبوات ولا يدعى أحد منهم النبوة أصلاً ، ولو فرض وادعاها أحد منهم لم يجر الله على يده ذلك الخارق لأن اجراءه تصديق له والله لا يصدق الكاذب . واذا صدر الخارق على يد صالح فهو كرامة واذا صدر عن غير صالح فاستدراج .

من ذلك أن عيسى عليه السلام لما ابتدأ بارشاد الناس ووعظهم ووردهم الى طاعة الله والاخلاص في عبادته كان يذكر لهم أنه مؤيد من الله بالمعجزات التي لا يقدر عليها غيره . من ذلك أنه يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله . ومن ذلك أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله ، وأنه ينسبهم بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم ، ويبين لهم ان هذه الآيات كافية في صدقه وحملهم على الايمان له .

وبين لهم أنه مصدق للتوراة مؤمن بما فيها حاث على اتباعها . وانه يحل لهم بعض ما حرم عليهم . فانقسم الناس في أمره بين مصدق ومكذب ومقبل عليه ونافر منه .

اقرأوا هذه الآيات :

سورة آل عمران : وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ . وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ . وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ

= البراهمة والفقراء من الهند — وهم منحطون عن الأنبياء — فكيف بالرسل الذين اختارهم الله تعالى لهداية عباده ؟ أى أنهم أولى باعانة من أرسلهم واصطفاهم لهداية عباده وليس من حق من رأى خرق العادة للمفضول أن ينكر على الفاضل ، وليس ذلك من باب تصغير شأن المعجزة .

وقول حضرات أعضاء اللجنة « أن ذلك يوجب اشتباها للقارىء وتشككا فى رسالة الرسل » مردود بأن الكتاب قد قرأه آلاف من الناس فلم يشك أحد منهم فى رسالة الرسل ولم يقفوا فى معناه بحال فأين هو مقتضى الوجوب ؟

وأما قول حضراتهم « ثم أن سلوكه فى تحليل ظهور الخارق بتربية الارادة وتغلب الأرواح على الأجساد يشعر بأن المعجزة مكتسبة » مردود بأنى لم أضف ذلك الى المعجزة وانما أتيت بتلك العلة فى جانب الأقوام الآخرين الذين لا يصلون الى ذلك الا بالمعالجة الطويلة المستمرة . وأما الأنبياء فلم أقل فى جانبهم شيئا من ذلك لأنهم انما يتوجهون الى الله تعالى الذى يجيبهم الى ما طلبوه اذا شاء وكانت الحكمة فى اجراء ما طلبوه على أيديهم .

وأما قول حضراتهم « فكان الواجب فى مثل هذا المقام . . . الخ » فانى أجيبهم بأن واضح الكتاب أدرى بمن يقرءون كتابه وبما يصلح أن يشرح له شرحا وافيا وبما يصلح فيه الاجمال أو التفصيل . وهذه مسألة تختلف فيها الأنظار وذوق أى انسان لا ينقض بذوق آخر ولكل وجهة هو موليا ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٤٩] وَمَصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [٥٠] إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [٥١]

سورة المائدة : إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ [١١٠]

سورة الزخرف : وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا [٦٣] إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [٦٤]

بقي أن يقال : ان ادعاء المسيح عليه السلام أنه يرى الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا .. الخ . لا يستلزم أن تلك الخوارق حصلت منه بالفعل وليس في آيات القرآن ما يدل على أنه فعل تلك العجائب . وغاية ما تدل عليه الآيات أنه كان عنده استعداد وفيه قوة على عمل ذلك . هكذا قال أبو مسلم الذي ينقل عنه الفخر الرازي كثيرا . ومع تسليمنا بما يقول فإن النفس مطمئنة الى أنه عمل هذه العجائب أمام أعين بنى اسرائيل وذلك ظاهر من قوله تعالى ( واذ كفت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين ) .

وأما الأناجيل فقد ذكرت من العجائب والخوارق شيئا كثيرا نذكر لكم منه :

(١) متى ص ٨ (٢) واذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا يا سيد ان أردت تقدر أن تطهرني فمد يسوع يده ولمسه قائلا أريد فاطهر وللوقت طهر برصه .

وقد روى هذه الحادثة لوقا أيضا في ص ٥ - ١٢ .

(٢) شفاه عبد قائد المائة - متى ص ٨ (٥) ولما دخل يسوع « كهر ناحوم » جاء اليه قائد مائة يطلب اليه (٦) ويقول يا سيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجا متعذبا جدا (٧) فقال يسوع أنا آتى وأشفيه (٨) فأجاب قائد المائة وقال يا سيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفى لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى .

(١٣) ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وكما آمنت ليكن لك فبراً غلامه في تلك الساعة .  
وهذه الحادثة قد ذكرها لوقا مع اختلاف اذ جعل شيوخ بنى اسرائيل هم الذين سألوا  
يسوع أن يشفى الغلام . وذكر هذه الحادثة يوحنا على أن المريض ابن خادم للملك .

(٣) متى ص ٨ (٢٣) ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه (٢٤) واذا اضطراب عظيم قد حدث  
في البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائماً ( ٢٥ ) فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين  
يا سيد نجنا فانا نهلك (٢٦) فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلي الايمان ثم قام وانتهر الرياح  
والبحر فصار هدوء عظيم .

(٤) جاء في متى ص ٨ (٢٨) ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسين استقبله مجنونان  
خارجان من القبور هائجان جدا ، حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق واذا هما  
قد صرخا قائلين : ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجئت الى هنا قبل الوقت تتعذبنا ؟ وكان بعيدا  
منهم قطع خنازير كثيرة ترعى فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب  
الى قطع الخنازير كله فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطع الخنازير واذا قطع الخنازير  
كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات في المياه . أما الرعاة فهربوا ومضوا الى المدينة  
وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين ، فاذا كل المدينة قد خرجت لملاقة يسوع ولما أبصروه  
طلبوا أن ينصرف عن تخومهم .

وقد ذكر هذه الحادثة كل من مرقس ولوقا بجعل لفظ « الجرجسين » بدله « الجدرين »  
وجعل مجنون بدل مجنونين .

(٥) في متى ص ٩ (١) فدخل السفينة واجتاز وجاء الى مدينة واذا مفلوج يقدمونه اليه  
مطروحا على فراش فلما رأى يسوع ايمانهم قال ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك . واذا قوم من  
الكتبة قد قالوا في أنفسهم هذا يجدف فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم ؟  
أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم وامش ؟ ولكن لكي تعلموا ان لابن الانسان  
سلطانا على الأرض . أن يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك  
فقام ومضى الى بيته . فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا

وقد ذكر هذه الحادثة كل من مرقس ولوقا بتغيير . فقد نص مرقس على أن المدينة كفر  
ناحوم وأغفل ذكرها كل من متى ولوقا . ومتى ذكر أنه قدم له مطروحا على فراش وقال لوقا  
دلى اليه على سرير وقال مرقس انهم تقبوا السقف ودلوه اليه .

(٦) متى في الاصحاح التاسع — ١٨ الى ٢٦ حادثة مضمونها أن أحد الرؤساء جاء الى  
المسيح وسجد له طالبا منه احياء ابنته التي قد ماتت وفيما هو ذاهب لمست امرأة ثوبه وكان بها  
نزيف مزمن فشفيت ولما وصلت الى بيت الرئيس نحى المجتمعين على البنت قائلاً ان الصبية لم  
تمت ولكنها نائمة فضحكوا عليه فأخرجهم وأمسك بيدها فقامت .

وقد حكى مرقس هذه القصة بتغيير فلم يذكر أن الصبية قد ماتت ولكن قال انها على آخر نسمة والخبر جاء بموتها والمسيح في المجمع ولوقا هذا حذو مرقس .

(٧) أورد متى في الاصحاح المذكور ف ٢٨ أن المسيح فيما هو مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك يصرخان ويقولان : ارحمنا يا ابن داود !

وبعد لأي قال لهما أتؤمنان اني أقدر أن أفعل هذا فقالا نعم فلمس أعينهما فأبصرا وأكد عليهما أن يكتما الخبر فأذاعاه في كل الأرض .

وقص هذه القصة مرقس وقال ان ذلك كان عند خروجه من « اريجا » وان الأعمى كان واحدا لا اثنين وأن اسمه « باتيماس » ووافق لوقا مرقس في هذه القصة بعض الموافقة - ١٠ ص ف ٤٦ -

وأوردها لوقا ص ١٨ - ف ٣٥ موافقا مرقس في أنه أعمى أبصر وذكر أن المسيح تفل على الأرض وصنع من التثلة طينا وطلّى به عين الأعمى وقال له : اغتسل في بركة « ساوان » فمضى واغتسل وأتى بصيرا .

(٨) في الاصحاح ١٤ من متى ف ١٥ : ولما صار المساء تقدم اليه التلاميذ قائلين الموضع خلاء ، والوقت قد مضى . اصرف الجموع لكي يمضوا الى القرى ويبتاعوا لهم طعاما . فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أتمم ليأكلوا . فقالوا له ليس عندنا ههنا الا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتوني بها الى هنا فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ ، والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة والأكلون نحو خمسة آلاف ما عدا النساء والأولاد ا ه . وقد ذكر باقى أصحاب الأناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف .

وهنا أقول : ان هذه المسألة هي مسألة المائدة السماوية <sup>(١)</sup> ومعنى كونها سماوية أن الله

(١) نقد اللجنة

#### « الموضوع الرابع »

#### ( مسألة المائدة التي أنزلت على عيسى عليه السلام )

قال في صفحة ٤١٩ ما نصه : -

في الاصحاح ١٤ من متى ف ١٥ : ولما صار المساء تقدم اليه التلاميذ قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى ، اصرف الجموع لكي يمضوا الى القرى ويبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أتمم ليأكلوا فقالوا له ليس عندنا ههنا الا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتوني بها الى هنا فأمر الجموع أن يتكثروا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة ، والأكلون كانوا نحو خمسة آلاف ما عدا النساء والأولاد ا ه . وقد ذكر باقى أصحاب الأناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف .

وهنا أقول : ان هذه المسئلة هي مسئلة المائدة السماوية ، ومعنى كونها سماوية أن الله تعالى =

تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة . وقد حكيت في القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة المائدة ( اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من

يبارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة . وبعد أن ذكر الآيات القرآنية الواردة فيها وحكى عن المفسرين الخلاف في نزولها وعدم نزولها قال:

وأنا أكرر القول أن مسألة المائدة هي مسألة الأرغفة الخمسة والسمكتين ، والمراد بانزالها عليهم أن يرزقهم الله تعالى الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون ، ومن أراد المطرب المعجب - من روايات القائلين بنزولها وعن مدة نزولها وكيفية نزولها وما كان عليها من طعام وبقول وغير ذلك - فليرجع الى « روح المعاني » للألوسي ص ٤١٠ ج ١٠٣ هـ كلامه .

### ( رأى اللجنة )

نحن والحق يقال في حيرة شديدة من تصرف الأستاذ - مؤلف هذا الكتاب - ولم نهتد الى جواب عن تصرفه هذا تطيب اليه النفس .

ذلك أنه اعتبر « انجيل متى » كتابا ثابتا صحيحا معتمدا يجوز صرف القرآن الكريم عن ظاهره وتأويله على مقتضى ما ورد في هذا الانجيل ، مع الاعراض عن المأثور في تفسير القرآن وعما أجمع عليه أئمة التفسير .

يقول فضيلته ويكرر القول أن مسألة المائدة السماوية التي جاء بها القرآن الكريم هي مسألة الأرغفة الخمسة والسمكتين - الحكية في الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى -

ونحن نقول له على فرض صحة القصة التي حكيت في انجيل متى ، كيف يحمل عليها قوله تعالى ( اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ) صدق الله العظيم .

ان ما قص في الانجيل يتضمن أن التلاميذ طلبوا من عيسى أن يصرف الجموع الى القرى ليبتاعوا طعاما لعدم وجود ما يكفي هذه الجموع عندهم ، فمنعهم عيسى وطلب ما عندهم من الطعام وهو خمسة أرغفة وسمكتان ، فدعا الله فبارك فيه وأكل الجميع منه ، الى آخر ما ذكر في الانجيل . فأين سؤال الحواريين لعيسى بأن ينزل عليهم مائدة من السماء فيما قص في الانجيل ؟ وأين مجادلة عيسى لهم ونهيهم عن مثل هذه المطالب في المعنى ثم اعتذارهم بما قالوه وحكاة الله تعالى عنهم ؟ وأين طلب عيسى من الله تعالى بأن ينزل مائدة من السماء تكون عيدا لأولهم وآخرهم ؟ وأين اجابة الله له بقوله ( انى منزلها عليكم ) مع الوعيد الشديد لمن يكفر بعد انزالها .

ثم يقال له : هل يطلق على الطعام - الذى بورك فيه - أنه مائدة أنزلت من السماء وكانت عيدا لأولهم وآخرهم ووقع التوعد بأن من يكفر منهم بعد انزالها يعذبه الله عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين ! اللهم أنا نبرأ اليك من مثل هذه الآراء ، نعم تكثير الطعام والماء يعتبر من المعجزات ، ووقع نظيره لسيد الخلق - كما ثبت في الصحيحين - ولكنه غير ما يفهم من آيات المائدة ، ثم أى داع الى مخالفة المأثور والجمهور من المفسرين الى ما ذكر في انجيل متى ؟

لقد ذكر المفسرون أن ابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وروا بأسانيدهم عن عمار بن ياسر موقوفا ومرفوعا - والوقف أصح - قال « أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا ٠٠٠ الخ » الحديث .

هذا وأنا نعتب على الأستاذ في قوله « ومن أراد المطرب المعجب ٠٠٠ الخ » فإنه لا يقصد بها بعد بيان رأيه في المائدة الا التهكم بأئمة التفسير انتصارا لانجيل متى - سامحه الله - والله أعلم .



السماء ؟ قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء

### رد المؤلف عليها

#### « الموضوع الرابع »

##### ( مسألة المائدة )

أود أن أقدم بين يدي القارئ الكريم مقدمة يستبين بها معنى نزول المائدة وهل يتعين أن يكون الانزال من السماء ؟ أو له معان أخرى يمكن حمل ما ورد في القرآن عليها ؟ قال الراغب : النزول في الأصل هو انحطاط من علو ، وأنزل الله نعمه أو نعمة على الخلق أعطاهم إياها . وذلك اما بانزال الشيء نفسه كاتزال القرآن . واما بانزال أسبابه والهداية اليه كالحديد واللباس اه .

#### استعمالات الانزال وتنزيل الشيء في القرآن

- ١ - ( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ) الزمر ٦ - الانزال مجاز عن القضاء والقسم .
- ٢ - ( وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ) الحديد ٢٢ . قال الحسن : أى خلقناه . وقال قطرب : هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم ؛ من نزل الضيف .
- ٣ - ( هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ) الفتح ٤ - المراد خلقها وإيجادها . وفى التعبير عن ذلك بالانزال إيماء الى علو شأنها . وقيل المعنى حط السكينة فى قلوبهم فكان قلوبهم منزل لها وماوى .
- ٤ - ( ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة ) آل عمران ١٥٤ - والمعنى ثم وهب لكم أيها المؤمنون .
- ٥ - ( أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ) هود ١٢ . وعبروا بالانزال دون الاعطاء لأن مرادهم التعجيز ، يكون ذلك على خلاف العادة لأن الكنوز اما تكون فى الأرض ولا تنزل من السماء ! ويحتمل أنهم أرادوا بالانزال الاعطاء من دون سبب عادى كما يشير اليه سبب النزول ؛ أى لولا أعطى ذلك ليتحقق عندنا صدقه .
- ٦ - ( ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ) الرعد ٧ - كالايات التى أنزلت على موسى وعيسى عليهما السلام .
- ٧ - ( فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير ) القصص ٢٤ - أى لى شىء تنزله من خزائن كرمك الى .
- ٨ - ( أم أنزلنا عليهم سلطانا ) الروم ٣٥ - الانزال مجاز عن التعليم أو الاعلام .
- ٩ - ( يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ) الأعراف ٢٦ - أى خلقنا لكم ذلك بأسباب نازلة من السماء كالطر الذي ينبت به القطن الذي يجعل لباسا ؛ قاله الحسن . وعن أبى مسلم : ان المعنى أعطيناكم ذلك ووهبناه لكم وكل ما أعطاه الله تعالى لعبده قد أنزل عليه من غير أن يكون علو أو سفلى ، بل هو جار مجرى التعظيم كما تقول : رفعت حاجتى الى فلان وقصتى الى الأمير ، وليس هناك نقل من سفلى الى علو .
- وقيل المراد قضينا لكم ذلك وقسمنا وقضايانا الله تعالى وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح المحفوظ وعلى كل فالكل لا يخلو من مجاز .
- ١٠ - ( وأنزلنا عليكم المن والسلوى ) البقرة ٥٧ - قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى ، « بضاوى » .
- ١١ - ( فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء ) البقرة ٥٩ - الرجز الطاعون ، « بضاوى » .
- ١٢ - ( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ) الأعراف ٩٦ - وقيل المراد بالبركات السماوية المطر وبالبركات الأرضية النبات .
- والذى تلخص لنا أن الانزال فى القرآن ورد بمعنى :
- (١) القضاء وان قضايانا الله تعالى وقسمه توصف بالنزول من السماء . (٢) القسمة .
- (٣) الخلق . (٤) التهيئة . (٥) الأنعام . (٦) الإيجاد . (٧) الهبة . (٨) الاعطاء بدون سبب عادى . =

تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ) .

= (٦) اجراء الآيات على يد النبي (١٠) الاصابة (١١) تيسير الشئ . اذا علمنا هذا علمنا انه يمكن جعل انزال المائدة من السماء على تيسير الطعام لهم بدون الاسباب العادية التي يعرفونها . وقد جرى العرف على تسمية الاشياء التي يعجز الناس عن تحليلها بأنها سماوية - وذكر ذلك في كتب العقلاء كثيرا .

وتكثير الطعام القليل الى أن يعم الآلاف من الناس أمر يعجز البشر بمقتضى بشريتهم عن أن يأتوا بمثله .

إذا تقرر هذا عندك أيها القارئ الكريم فأرجو أن تحتفظ بهذه المعاني للنزول وانى أشرع في الكلام على ما جاء بنتقد أصحاب الفضيلة لكتابي في هذا الموضوع فأقول :

ابتداء حضرات أصحاب الفضيلة قولهم في شأن هذا الموضوع بإبداء الحيرة والاندھاش الشديدين وربما رأوا في هذا القول تسهيلا لمهتهم التي كلفوا بإدائها ليكون برهانا على أنهم بازاء رجل فاتته كل مميزات أهل الاخلاص، وليكون ذلك تزكية لأنفسهم ودليلا على غيرتهم على الدين مقابلة رجل لا غيرة لديه على ذلك الدين .

ومن جهة أخرى ليحملواي منة يطوقون بهاعنقى ! وهي أنهم بحثوا عن طريق يرون فيها لى الخلاص وبذلوا في ذلك غاية ما يستطيعون فلم يظفروا ! لأن عملى كان فيه من مجافاة الدين ما قام حائلا دون ما يتمنون فلهم منى الشكر الأوفى الأوفر .

قالوا : نحن والحق يقال فى حيرة شديدة من تصرف الأستاذ - مؤلف هذا الكتاب - ولم نهتد الى جواب عن تصرفه هذا تطمئن اليه النفس ذلك أنه اعتبر الانجيل متى كتابا ثابتا صحيحا معتمدا يجوز صرف القرآن الكريم عن ظاهره وتأويله على مقتضى ما ورد فى هذا الانجيل مع الأعراض عن الآثار فى تفسير القرآن وعما أجمع عليه أئمة التفسير .

وأنا أتحدى حضراتهم جميعا وأسمح لهم أن يستعينوا بمن شاءوا على ايجاد جملة فى قولى قلت فيها «ان انجيل متى صحيح ثابت معتمد يجوز صرف القرآن الكريم عن ظاهره وتأويله على مقتضى ما ورد فى هذا الانجيل»

فان لم يفعلوا ولم يفعلوا فعليهم أن يتقوا الله فى عباده وعقائدهم فى الدين ويجب عليهم وهم يكتبون فى مثل هذا الموضوع الدقيق الحساس أن يمسكوا بأيديهم أقلاما يخطون بها ، لا مباحص يبرحون بها عباد الله بغير جرم ولا ترة ولا بينة من الله ولا هدى ولا كتاب منير .

رأيت فى انجيل متى وسائر الاناجيل واضح معلوم مبسوط بصفحة ٤٠١ من كتابى وما بعدها . والواجب على حضراتهم أنهم لا يجعلون كتبى عشرين . اذ ليس من الميسور لى ولا لغيرى كلما ذكر اسم انجيل من الاناجيل اعادة كل ما كتب عنه فى هذا الكتاب .

وقد قلت عن انجيل متى فى صفحة ٤٠١ نقلا عن كتاب « اظهر الحق » ما نصه :

الانجيل الذى ينسب الى متى الآن - وهو أول الاناجيل وأقدمها عندهم - ليس من تصنيفه يقينا ، بل مصنعه بعد مساهمته ، لأن قدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل متى كان باللسان العبرى ، وهو ضاع وفقد لمسيب تحريف بعض الفرق المسيحية .

والانجيل الموجود الآن « ترجمته » ولا يوجد عندهم اسناد لهذه الترجمة ، حتى لم يعلم اسم المترجم باليقين الى هذا الحين ، كما اعترف به « جيروم » من أفاضل قدمائهم فضلا عن علم احوال المترجم .

ولما تكلمت عن معجزات المسيح فى ص ١٤٤ تكلمت عن المعجزات التى جاء بها القرآن وأثبت بالآيات الدالة عليها . وقد ذكرت تلك المعجزات فى القرآن جملة ومعجزة المائدة ليس بها نص قطعى الثبوت والدلالة ، والمفسرون مختلفون فى شأنها ، هل رجعت أولا ؟ ولكل من الرايين مكانة .

وهنا اختلف المفسرون . فقال بعضهم انها نزلت ، وان الذين كفروا بعيسى بعد الأكل من المائدة مسخوها خنازير تحقيقا لقوله تعالى ( أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ) .

وفي صفحة ٤١٦ شرعت أكتب في معجزات المسيح حسب ما بين بالانجيل ؛ ولما كان انجيل متى أولها وأقدمها عندهم اعتبرته أصيلا أقيس عليه ما كتب غيره من الانجيل ، فكتبت في معجزات المسيح تفصيلا طبقا لما نصته كتب المسيحيين ومناقشا لها بسبب اختلافهم فيها ، ومبيننا تضارب اناجيلهم فيها وتكذيب بعضها بالبعض الآخر الى أن وصلت الى مسألة اطعام نحو خمسة آلاف ما عدا النساء والأولاد من خمسة أرغفة وسمكتين ؛ التي ذكرها متى كما ذكرها سائر أصحاب الانجيل بتخالف قليل .

وقد نظرت في هذه المسألة الى ناحية القرآن الكريم . فوجدتها قد ذكرت على ضرب آخر وهو طلب الحواريين الى المسيح أن يدعو الله أن ينزل عليهم مائدة من السماء وأن الله وعده انزالها متوعدا من كفر بعد انزالها أن يعذبه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين . ولم ينص الله تعالى في الكتاب الكريم أنه أنزلها عليهم ، وأنهم أكلوا منها ثم آمنوا أو كفروا . ونظرت من كتب التفسير الى ما قاله ابن جرير الطبري والنيسابوري والحافظ ابن كثير والبغوي والألوسي فوجدتهم يحكون اختلاف العلماء في نزول المائدة من السماء ، ووجدت أن مجاهدا يقول ان ذلك مثل ضربه الله تعالى لخلقهم نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات . والحسن يقول لما قيل لهم ( فمن يكفر بعد منكم ) الى آخر الآية قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل «ص ٨١ ج ٧ الطبري» . قال النيسابوري وأكدوا هذا القول بأنه وصف المائدة بكونها عيد لأولهم وآخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيامة « هامش ٦٤ ج ٧ طبري » . وهامش ٢٧٤ ج ٣ ، وفي ابن كثير ، ٢٧٩ ج ٣ بشأن نزول المائدة « لا يعرفه النصارى وليس هو في كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعي على نقله ، وكان يكون موجودا في كتابهم متواترا ولا أقل من الأحاد والله أعلم » .

أما أنا فقد وجدت الإشارة اليها في كتبهم وهي أن عيسى قد أطعم من طعام قليل آلافا فترجع عندي أنها المائدة التي ذكرت في الكتاب الكريم فقلت ما نصه :

ان هذه المسألة هي مسألة المائدة السماوية ، ومعنى كونها سماوية أن الله تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة وقد حكيت في القرآن الكريم في سورة المائدة ١٠٠ الخ .

وبما قسمت يعلم أن نزول المائدة أمر غير مقطوع به عندنا ، وحينئذ فللرأى مجال فيها ، ولذلك اختلف العلماء في أمرها على النحو الذي بينا ، ولا حرج على في أن أفهمها على النحو الذي فهمته . ويذهب عقلي مفضيا أن تركته سدى وأتعبت فيه الشافعي ومالكا

وقد غضب على حضرات الأفاضل غضبه الجلاد على من لم يجن عليه ذنبا . على أن حضراتهم في غضبتهم على انما يريدون نقل عن مسألة اسرائيلية مفهومة الى مسألة اسرائيلية لم أفهمها ، فبأى كتاب أم بآية سنة يقولون لي لا تفهم ما قاله «متى» وهو لا يعدو أنه من الاسرائيليات وأفهم بدون تعقل ما ذهب اليه المفسرون من الاسرائيليات ؟ ولقد شرق القائلون بنزولها وغربوا ، وأتهموا وأنجدوا ثم لم يكن كلام أكثرهم الا أنها من سمك وخبز ، وحلاها بعضهم بأن الخبز كان من الرز وزاد بعضهم بقولا على الإرغفة . وزاد آخرون زيتونا وتمرا وملحا وسمنا ورمانا وقديدا . ولكنهم جعلوا قاعدة الطعام الاصلية الخبز والسمك كما قلت :

وأما اشتدادهم في مسألة المحاوراة التي تقدمت دعاء عيسى بنزول المائدة ، وأنها في القرآن تخالف ما جاء في الانجيل ، فقد علم حضراتهم أنني قلت في صفحة (٤) من كتابي أن ما في القرآن هو الحق الذي لا مرية فيه وأن ما خالفه من كتب أهل الكتاب لا يعول عليه . فلا بد أن المحاوراة كانت طبق ما جاء في القرآن لا طبق ما جاء في الانجيل .

وكان يجدر بحضرات الأفاضل - وقد فحصوا كتابي كله - أن يتذكروا بما كتبت في صفحة (٤٠٣)

وقال آخرون ان المائدة لم تنزل اذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل . وان الطالبين للمائدة لم يطلبوها بعد أن اشترط الله تعذيب من كفر بعد نزولها تعذيبا شديدا فخشوا أن يحق بهم العذاب .

= بشأن انجيل متى اذ جاء فيها: لكن هذه النسخة العبرانية « نسخة انجيل متى » قد فقدت . وبعد فقدتها ظهرت ترجمتها في اليونانية فلم يعرف الذي ترجمها .  
وأما صلب القصة فانه لا يخالف ما في القرآن بعد الاعتبارات التي أبديتها فهو على الأقل أمر غير مقطوع بكذبه .

أما عتاب حضراتهم لى على التهكم بمن سموهم أئمة التفسير فلحضراتهم العتبي حتى يرضوا . ولكنى أوجه نظرهم الى أن الأقوال التي قلت فيها « ومن أراد المطرب المعجب ٠٠٠ الخ » ليست الا اسرائيليات ذكرها المفسرون في كتبهم . ويكفى حضراتهم ليعلموا أنى لم أقل الا حقا أن يقرءوا ما يأتى :

الألوسى ص ٤١٠ ج ٢٠ فى تفسير آية المائدة :

وأخرج ابن جرير وغيره عن الحسن ومجاهد: أن القوم لما قيل لهم ( فمن يكفر ٠٠ ) الخ ، قالوا لا حاجة لنا بها ، فلم تنزل . والجمهور على الأول وعليه المعول . فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر موقوفا ومرفوعا — والوقف أصح — قال : أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا الغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير . وكان الخبز من أرز على ما روى عن عكرمة . وروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله قومه ذلك فدعا أنزل الله تعالى عليهم سفرة حمراء بين غماتين — غمامة فوقها وغمامة تحتها — وهم ينظرون اليها فى الهواء منقضة من السماء تهوى اليهم ، وعيسى عليه السلام يبكى خوفا من الشرط الذى اتخذ عليهم فيها ، فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يديه والحواريون حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا رائحة مثلها قط . وخر عيسى عليه الصلاة والسلام والحواريون سجدا شكرا لله تعالى . وأقبل اليهود ينظرون اليهم فرأوا ما يعمهم . ثم انصرفوا فأقبل عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه ينظرونها فاذا هى مغطاة بمنديل ، فقال عليه الصلاة والسلام من أجرؤنا على كشفه وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه حتى نراها ونحمد ربنا سبحانه وتعالى ونأكل من رزقه الذى رزقنا ؟ فقالوا يا روح الله وكلمته أنت أولى بذلك . فقام واستأنف وضوءا جديدا ثم دخل مصلاه فصلى ركعات ثم بكى طويلا ودعا الله تعالى أن يأذن له فى الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقا .

ثم انصرف وجلس حول السفرة وتناول المنديل وقال « باسم الله خير الرازقين » وكشف عنها فاذا عليها سمكة ، ضخمة مشوية ليس عليها بوا سير وليس فى جوفها شوك يسيل السمن منها قد نضد حولها بقولها من كل صنف غير الكراث . وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات .

وفى رواية : على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد ، فسأله شمعون عنها وأجابته بما تقدمت روايته ثم قالوا له عليه الصلاة والسلام انما نحب أن نرى آية فى هذه الآية فقال عليه الصلاة والسلام سبحانه الله اما اكتفيتم ؟ ثم قال يا سمكة عودى باذن الله تعالى حية كما كنت فأحيها الله تعالى بقدرته فاضطربت ، وعادت حية طرية تلمظ كما تلمظ الأسد تدور عيناها لها بصيص وعادت عليها بوا سير . ففرغ القوم منها وانحاشوا فقال عليه الصلاة والسلام ما لكم تسألون الآية فاذا أراكموها ربكم كرهتموها؟ ما أخوفنى عليكم بما تصفون باسمكة عودى باذن الله تعالى كما كنت مشوية ثم دعاهم الى الأكل . فقالوا ياروح =

وأنا أكرر القول أن مسألة المائدة هي مسألة الأرغفة الخمسة والسبعين ، والمراد بانزالها عليهم أن يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون . ومن أراد المطرب المعجب — من

= الله أنت الذي تبدأ بذلك فقالوا معاذ الله تعالى . يبدأ من طلبها فلما رأوا امتناع نبيهم عليه الصلاة والسلام خافوا أن يكون نزولها سحرة وفي أكلها مثلة فتحاموها فدعا عليه الصلاة والسلام لها الفقراء والزمنى وقال كلوا من رزق ربكم ودعوا نبيكم واحمدوا الله تعالى الذي أنزلها لكم ليكون مهنتها لكم وغيوبتها على غيركم ، واقتنعوا بكم باسم الله واختتموا بحمد الله ففعلوا فأكل منها ألف وثلاثمائة انسان بين رجل وامرأة وصدروا منها وكل واحد منهم سبعان يتجشئ .

ونظر عيسى عليه السلام والحواريون ما عليها كهيئته إذ نزلت من السماء لم ينتقص منه شيء ثم انها رفعت الى السماء وهم ينظرون فاستغنى كل فقير أكل منها وبريء كل زمن منهم أكل منها فلم يزوالا أغنياء صحاحا حتى خرجوا من الدنيا . وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها ندما سالت منها أشفارهم وبقيت حسرتها في قلوبهم . وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبلت بنو اسرائيل اليها من كل مكان يسعون . فزاحم بعضهم بعضا الأغنياء والفقراء والنساء والصفار والكبار والأصحاء والمرضى يركب بعضهم بعضا . فلما رأى عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك جعلها قوبا بينهم . فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما فلبثوا في ذلك أربعين يوما تنزل عليهم غيا عند ارتفاع الضحى فلا تزال موضوعة يؤكل منها ؛ حتى إذا قالوا ارتفعت عنهم ، فأذن الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام أن اجعل رزقي للميتامي والمساكين والزمنى دون الأغنياء من الناس . فلما فعل الله تعالى ذلك ارتاب بها الأغنياء وغموا ذلك حتى شكوا فيها في أنفسهم وشككوا فيها الناس ، وأذاعوا في أمرها القبيح والمنكر ، وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه في قلوب المرتابين . فلما علم عيسى عليه السلام ذلك منهم قال : هل كنتم وآله المسيح سألتم نبيكم أن يطلب المائدة لكم الى ربكم فلما فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقا وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها وشككنتم فيها . فأبشروا بالعذاب فانه نازل بكم الا أن يرحمكم الله تعالى ، وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام أني آخذ المكذبين بشرطي وأنا معذبهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . فلما أمسى المرتابون وأخذوا مضاجعهم في أحسن صورة مع نسائهم آمنين . وكان آخر الليل سخطهم الى خازير وأصبحوا يتبعون الأقدار في الكناسات .

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لبنى اسرائيل هل لكم أن تصوموا ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيك ما سألتم فان أجر العامل على من عمل له ففعلوا . ثم قالوا يا معلم الخير ، قلت لنا أن أجر العامل على من عمل له وأمرنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما الا أطعنا فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء الى قوله تعالى ( أحدا من العالمين ) فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم .

وجاء عنه : أن المائدة كانت تنزل عليهم حيث نزلوا . وعن وهب بن منبه : أن المائدة كان يتعد عليها أربعة آلاف فاذا أكلوا شيئا أبدل الله تعالى مكانه فلبثوا بذلك ما شاء الله .

فاذا كان حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة لا يرون فيما نقلته عن الالوسي شيئا من المعجب فان رأيهم هذا من العجب في نظري ، ونكون قد أصبحنا في زمن كله عجب في عجب ، ورحم الله أبا الطيب إذ يقول :

ولكن هي الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وبعد هذه السباحة الطويلة أقول لحضراتهم : هل يزيد ما قلته على أني أنكر نزول المائدة ؟ وهل يعينني عند ربى أن أنخلع من الصف الذي يقف فيه حضراتكم وانتظم في صف مجاهد والحسن ! أن شرفا عظيما لي أن أوقف في صف هذين الامامين العظيمين الجليلين !

ومما تقسم قد استبان ما قلته في كتابي ، وأنى لم أخالف به نصا قطعي الثبوت والدلالة وأن التأويل الذي ذهبت اليه تشهد له استعمالات القرآن الكريم للنزول وأنه سائغ لا غبار عليه .

وأخر كلمة أقولها في هذا الموضوع : أن المائدة لا يشهد بنزولها نص قطعي وإن الأقوال فيها ثلاثة (١) انها نزلت (٢) انها لم تنزل (٣) انها مسألة الأرغفة والسبعين .

وللقارىء أن يختار ولا أنكر أن القول الأخير لي وعلى تبعته أمام الله أن كانت عليه تبعة .

روايات القائلين بزولها وعن مدة نزولها وكيفية نزولها وما كان عليها من طعام وبثقول وغير ذلك  
— فليرجع الى روح المعاني للألوسي ص ٤١٠ ج ٢ .

(٩) وفي الاصحاح ١٤ متى ف ٢٢ : ولوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه  
الى العبر حتى يصرف الجموع ، وبعد ما صرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلى ولما صار  
المساء كان هناك وحده وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج لأن  
الرياح مضادة . وفي الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشيا على البحر ، فلما أبصره  
التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين انه خيال ومن الخوف صرخوا فللوقت كلمهم يسوع  
قائلًا تشجعوا أنا هو لا تخافوا . فأجابه بطرس وقال يا سيد ان كنت أنت فمرني أن آتي اليك  
على الماء وذهب ليأتي الى يسوع ، ولكن لما رأى الرياح شديدة خاف واذ ابتدأ يفرق صرخ  
قائلًا يا رب نجني فقوى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له : يا قليل الايمان لماذا شككت  
ولما دخلا في السفينة سكنت الرياح والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت  
ابن الله . انتهى .

وقد ذكر هذه الحكاية كل من مرقس ويوحنا مع اختلاف مع متى في بعض تفاصيلها وأهمها لوقا .  
وقد أشار الى هذه الحكاية المعرى في بعض قصائده اذ يقول لخيال المحبوبة :

سريت الينا والركاب سفائن      كعادك فينا والركائب أجمال  
أسمت الينا أم فعال ابن مريم      فعلت وهل يعطى النبوة مكسال

فقوله — أم فعال ابن مريم ؛ أى مشيت على الماء كما مشى عيسى بن مريم .

(١٠) جاء في متى ص ١١ ف ٢٣ : حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى ان  
الأعمى الأخرس تكلم وأبصر . وقد أهمل مرقس ويوحنا هذه الواقعة . وقد ذكرها لوقا بقوله  
ص ١١ ف ١٤ وكان يخرج شيطانًا وكان ذلك أخرس ولم يذكر أنه أعمى وجعل الأخرس الشيطان  
لا المجنون .

جاء في ص ١٢ ف ٩ — متى : ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم (١٠) واذا انسان يده  
يابسة فسألوه قائلين هل يحل الابرء في السبت لكي يشتكوا عليه (١١) فقال لهم : أى انسان  
منكم يكون له خروف واحد فان سقط في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه ؟ (١٢) فالانسان  
كم هو أفضل من الخروف . اذا يحل فعل الخير في السبت (١٣) ثم قال للانسان مد يدك فمدها  
فعادت صحيحة كالأخرى .

(١١) في متى اصحاح ١٥ ف (٢١) ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور  
وصيدا (٢٢) واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمني يا سيد  
يا ابن داود بنتى مجنونة جدا (٢٣) فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه قائلين اصرفها فانها تصيح

وراءنا (٢٤) فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (٢٥) فأنت وسجدت له قائلة يا سيد أعني (٢٦) فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب (٢٧) فقالت نعم يا سيد والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها (٢٨) حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك ليكن لك كما تريدن فشفيت ابنتها من تلك الساعة .

(١٢) في متى ص ١٧ ف (١٤) ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليه رجل جاثيا له (١٥) يا سيد ارحم ابني فانه يصرع ويتألم شديدا ويقع كثيرا في النار وكثيرا في الماء (١٦) وأحضرتة الى تلاميذك فلم يقدرُوا أن يشفوه (١٧) فأجاب يسوع وقال أيها الجيل الملتوى غير المؤمن الى متى أكون معكم . الى متى أحتملكم قدموه الى ههنا (١٨) فاتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفي من تلك الساعة .

(١٣) في متى ص ١٩ ف (١) ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل الى تخوم اليهودية من عبر الأردن (٢) وتبعه جموع كثيرة فشفاهم هناك .

(١٤) متى ص ٣٠ ف (٢٩) وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير (٣٠) واذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود (٣١) فانتهرهما الجمع ليسكتا . فكانا يصرخان أكثر قائلين ارحمنا يا سيد يا ابن داود (٣٢) فوقف يسوع وناداهما وقال ماذا تريدان أن أفعل بكما (٣٣) فقالا يا سيد أن تفتح أعيننا (٣٤) فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه .

وخالف بطرس في كونهما أعميين وقال كان أعشى واحد .

(١٥) متى ص ٢١ ف (١٨) وفي الصبح اذ كان راجعا الى المدينة جاع (١٩) فنظر شجرة تين على الطريق وجاء اليها فلم يجد فيها شيئا الا ورقا فقط . فقال لها لا يكن منك ثمر الى الأبد . فبيست التينة في الحال .

ذكر الأربعة هذه الحادثة مع الاختلاف في التفصيل ، فليرجع اليه في صفحة ١٦٠ في كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » .

(١٦) يوحنا ص ١١ ف (١) وكان انسان مريضا وهو « لعازر » بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها (٢) وكانت مريم التي كان لعازر أخوها مريضا هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجله بشعرها (٣) فأرسلت الأختان اليه قائلتين ياسيد هو ذا الذي تحبه مريض (٤) فلما سمع يسوع هذا الكلام قال هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به (٥) وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر (٦) فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين (٧) ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية أيضا ( ٨ ) قال له التلاميذ يا معلم كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضا الى هناك (٩) أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتى عشرة ان كان أحد يمشى في النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم ( ١٠ ) ولكن ان كان

أحد يمشى في الليل يعثر لأن النور ليس فيه ( ١١ ) قال هذا وبعد ذلك قال لهم : لعازر حبينا قد نام لكنى أذهب لأوقظه ( ١٢ ) فقال له تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى ( ١٣ ) وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم ( ١٤ ) فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات ( ١٥ ) وأنا أفرح لأجلكم أنى أكن هناك لتؤمنوا ولكن لنذهب اليه ( ١٦ ) فقال توما الذى يقال له التوأم للتلاميذ رفقاءه لنذهب نحن أيضا لكى نموت معه . ( ١٧ ) فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر ( ١٨ ) وكانت بيت عنا قرية من اورشليم نحو ١٥ غلوة ( ١٩ ) وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا الى مرثا ومريم ليعزوهم عن أخيهما ( ٢٠ ) فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته وأما مريم فاستمرت جالسة في البيت ( ٢١ ) فقالت مرثا ليسوع لو كنت ههنا لم يمت أخى ( ٢٢ ) ولكنى الآن أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك ( ٢٣ ) فقال لها يسوع سيقوم أخوك ( ٢٤ ) فقالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير ( ٢٥ ) فقال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا ( ٢٦ ) وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت الى الأبد أتؤمنين بهذا ؟ ( ٢٧ ) قالت نعم يا سيد أنا قد آمنت انت المسيح ابن الله الآتى الى العالم . ( ٢٨ ) ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سرا قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك ( ٢٩ ) أما تلك فلما سمعت قامت سريعا وأتت اليه ( ٣٠ ) ولم يكن يسوع قد جاء الى القرية بل كان في المكان الذى لاقته فيه مرثا ( ٣١ ) ثم ان اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلا وخرجت تبعوها قائلين انها تذهب الى القبر لتبكي هناك ( ٣٢ ) فمريم لما أتت الى حيث كان يسوع خرت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت هنا لم يمت أخى ( ٣٣ ) فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ( ٣٤ ) وقال اين وضعتموه ؟ قالوا ياسيد تعال وانظر ( ٣٥ ) بكى يسوع ( ٣٦ ) فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه ( ٣٧ ) وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت ( ٣٨ ) فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء الى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر ( ٣٩ ) قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أتنن لأن له أربعة أيام ( ٤٠ ) قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله ( ٤١ ) فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لى ( ٤٢ ) وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى ( ٤٣ ) ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر : هلم خارجا فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب .

هذه الخوارق زويت عن المسيح عليه السلام في الأنجيل ولم يرو عنه فيها : أنه صور من الطين كهية الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا . ولا غرابة في ذلك فقد ذكر القرآن عن أهل الكتاب انهم نسوا حظا مما ذكروا به . ولقد كانت هذه الخوارق سببا لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بأنه ابن الله على معنى النبوة الحقيقية وآخرون قالوا انه الله حتى عبد . وتكلف قومه لعبادته ضروبا من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم .



## خاتمة أمر المسيح

أما خاتمة أمر المسيح بحسب قصص القرآن فهي عجيبة وبسيطة لا تعقيد فيها . ذلك أن المسيح قد أخرج الكهنة والفريسيين بتعليمه وتجربته إياهم في طريقتهم وفضح رياءهم وخبثهم فأخرجهم ذلك إلى الكيد له والتدبير لقتله . فلما اختبر هذا الأمر في أنفسهم شكوا أمره إلى الوالي طبعاً ! وزيّنوا شكواهم بما يستدعي اهتمام الوالي بأن ادعوا عليه أنه يقول انه ملك اليهود وأنهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية . فأرسل الوالي جنداً للقبض على المسيح عيسى بن مريم فلما أتوا ولم يبق الا القبض عليه . والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى — أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم وألقى شبهه على شخص آخر علم فيما بعد أنه تلميذه الخائن وعرفته الأناجيل بأنه يهوذا الاسخريوطى — كما هو مشهور — وصار بحيث أن كل من رآه لا يشك في أنه يسوع . فأخذ وصلب وقتل ونجا المسيح من شرهم . وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم . وشاع في الناس أن يسوع الناصري قتل بعد أن صلب ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) .

وقد أورد الحافظ ابن كثير وابن جرير وغيرهما من المفسرين : أن المسيح لما قرب وقت القبض عليه . ندب أصحابه ثلاث مرات طالباً أن يتقدم واحد منهم ليفديه ويقدم نفسه إلى اليهود عوضاً عنه ويكون جزاؤه الجنة ، فلم ينتد له في كل مرة الا واحد بعينه . فلما جاء أعداؤه ألقى الله على صاحبه الذي انتدب له شبه المسيح . وصار بحيث لا يشك أحد من أصحابه في أنه يسوع . فألقى القبض عليه وصلب وقتل . ويقول صديقنا « موسى جار الله » انه « يهوذا الاسخريوطى » .

هذا الأمر محتمل ! ولكن الشائع سواء وهو أن الذي ألقى عليه شبهه انما هو « يهوذا الاسخريوطى » الذي واطأ الكهنة على الدلالة عليه بأجر .

أما ما جاء عن ذلك في القرآن الكريم فافرقوه فيما يأتي :

سورة آل عمران : إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَىٰ وَمَطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [٥٥]

سورة النساء : وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا [١٥٧] بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [١٥٨]

وقد اختلف مفسرو القرآن في معنى قوله تعالى (يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الدين كفروا) على ثمانية أوجه وهي :

- ١ — المعنى رافعك الى ومتوفيك وأن الكلام فيه تقديم وتأخير .
  - ٢ — المراد أني مستوف أجلك ومميتك حتف أثفك لا أسلط عليك من يمتلك فالكلام كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصددده من الفتك به عليه السلام ، لأنه يلزم من استيفاء الله أجله موته حتف أثمه .
  - ٣ — المراد قابضك ومستوف شخصك من الأرض ، من توفي المال بمعنى استفاه وقبضه .
  - ٤ — المراد بالوفاة هنا النوم ؛ لأن النوم والوفاة يطلق كل منهما على الآخر . وقد روى عن الربيع أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام الى السماء وهو نائم رقفا به .
  - ٥ — أجعلك كالمتوفى لأنه بالرفع أشبه .
  - ٦ — المراد آخذك وافيا بروحك وبدنك فيكون ( ورافعك الى ) كالمفسر لما قبله .
  - ٧ — المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن اتصاله بالملكوت .
  - ٨ — أن المراد مستقبل عملك . قال الألوسي — ولا يخلو أكثر هذه الأوجه من بعد ولا سيما الأخير وهناك وجه تاسع :
- أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال : توفي الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه اليه . وفي رواية للحاكم عنه : أنه توفاه سبع ساعات ثم أحياه .
- والذي أختاره أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد أنجاه الله من اليهود فلم يقبضوا عليه ولم يقتل ولم يصلب . وأن الوجه الثاني وهو : أن المراد من الآية أني مستوف أجلك ومميتك حتف أثفك لا أسلط عليك من يمتلك . وأن الآية كناية عن عصمته من الأعداء هو الوجه لوجه الذي يجب أن يصار اليه ، لأنه المتبادر من المقام والذي يحقق احباط الله لتدبير أعدائه كما قال تعالى ( ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ) وما عجت من شيء فإن تعرض مثل وهب وغيره من مسلمة اليهود لشأن عيسى أعجب ! وقد كانوا ألد أعدائه الى أن أسلموا .
- وهنا يأتي سؤال هو . اذا كان عيسى قد نجا سالما ووقع من ألقى عليه شبه المسيح في هذه الورطة فأين ذهب ؟ .
- والجواب : ان جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيا الى السماء ودليلهم على ذلك قوله تعالى ( ورافعك الى ) .

بقى أن يقال ان الأخبار المأثورة وردت ناطقة بأن المسيح رفع الى السماء بجسده وروحه وأنه حي فيها ، وأنه ينزل في آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال .

والجواب على ذلك : أن هذه الأخبار وردت وبعضها مرفوع الى رسول الله وبعضها آراء للمفسرين وبعضها عن مسلمة اليهود ككعب ووهب . ومهما كان من شأنها وصراحة عبارتها فهي أحاديث أو آراء آحاد ، ولا تبلغ أن تكون لها قوة صريح القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ولا يمكن أن تكون في النفس اعتقادا يقينيا جازما تطوع به النفس لصاحبها أن يشهد على الله أنه نقل المسيح حيا الى السموات ، ويشهد على الله مطمئنا بتلك الشهادة أنه سوف ينزل عيسى من السماء الى الأرض ، وأنه سوف يتولى قتل رجل ينزى بالمسيح الدجال سيخلقه الله تعالى ولا يدري متى يكون زمانه ، اذ كل تلك الأخبار لا يمكن أن تنهض بعقيدة اذا خالفها انسان وحاد عن الاعتقاد بها برىء من الاسلام وبرىء الاسلام منه !

ولولا ما في تلك الأخبار من الطول لنقلتها ولكنى أتركها لأنها معلومة مشهورة فلتراجع في كتب الحديث وفي كتب التفسير والطبرى وابن كثير .

وقد جاء في تفسير المنار عن الأستاذ الامام — بعد أن قرر الآية على ظاهرها وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر وهو الامامة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح — ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان .

أحدهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب . والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعى لأن المطلوب فيها اليقين، وليس في الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس ، وما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها ، وهو حكمتها وما شرعت لأجله . فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ! ولكنه جاءهم بما يرحزهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهما ، والمراد منها . ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم الى عالم الأرواح بتحرى كمال الآداب .

تراجع ص ٢١٧ ج ٣ من « تفسير المنار » .

ونقل في تفسير المنار أيضا : أن الأستاذ الامام سئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال : ان الدجال رمز للخرافات والدجل والقبايح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ

بأسرارها وحكمها ، وأن القرآن أعظم هاد الى هذه الحكم والأسرار وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك ، فلا حاجة للبشر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك .

أقول : انى كنت ممن يطمنون الى هذا التأويل ولكنى الآن أميل كل الميل الى أن المسيح الدجال انما هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه « المسيح » أى الملك الذى وعدوا به ، وهم ينتظرونه الى اليوم . ذلك انى نظرت الى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحا يعيد اليهم الملك والسلطان فى الأرض ويعتزون به . فلما جاءهم المسيح عيسى بن مريم يشيد بينهم مملكة الأخلاق والتقوى والسجيا الكريمة لم يكن هو المسيح الذى صوروه لأنفسهم فمكروا به وأرادوا قتله . ولو كان جاءهم بملك الثروة لآمنوا به اذ هم قوم يؤلهون الثروة والمال .

انظروا اليهم وقد قال لهم صمويل ( ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ) ماذا أجابوه به ! ألم يجيبوا بقولهم ( أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ) ؟ ولا غرو ان كان المسيح عيسى مرفوضا منهم وظلوا على حالهم ينتظرون مسيحا ماليا الى اليوم . وهامهم من عشرات السنين جادون فى ايجاد وطن قومى لهم فى فلسطين وظهرتهم الحكومة الانكليزية وجاملتهم لأنهم نفعوها بالأموال أيام الحرب العظمى ، فهم ساعون فى استعمار بلاد فلسطين عاملون على توطيد أقدامهم فيها . وليس بعيدا ذلك اليوم الذى يقوم فيه رجل منهم يدعى أنه مسيحهم « أى ملكهم » الذى وعدوا به على لسان بعض أنبيائهم وقيمونه ملكا فى بلاد فلسطين وحينئذ تقع الفتن .

ذلك أن اليهود لهم ماض أسود فى القتال بينهم وبين مخالفيهم فهم لا يخرجون من الاستئصال والتمثيل بأعدائهم تمثيلا تقشعر منه الأبدان — وهذا رأى وما أميل اليه فى مسألة المسيح الدجال — وقد حذر المسيح أصحابه منه فقال : سيقوم بعدى أنبياء كذبة ومسحاء كذبة .

### دقيقة ينبغى التنبه لها

مما يسهل القاء شبه المسيح عليه السلام على غيره . هذه الحادثة التى ذكرها متى فى الاصحاح

١٧ من انجيله ونصها : —

(١) وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عال منفردين (٢) وتغيرت هيأته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور (٣) واذا موسى وإيلياء قد ظهرا لهم يتكلمان معه (٤) فجعل بطرس يقول ليسوع يارب جيد أن نكون هنا . فان شئت أن نصنع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيلياء واحدة (٥) فيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظلمتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به

سررت له اسمعوا (٦) ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا (٧) فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا لا تخافوا (٨) فرفعوا أعينهم ولم يروا أحدا الا يسوع وحده .

وقد ذكر هذه الحادثة أو المعجزة كل من مرقس ولوقا وأغفلها يوحنا . ومن العجب أنه كان أحد شهودها . ومع ما بينهم من التناقض في عدد الأيام فقد اتفقوا على حصولها في الجملة — راجع مرقس ص : ٩ وما بعدها ولوقا ص ٩ : ٣ وما بعدها .

وما كان من الأمر ؛ فقد عهد تغير هيئة المسيح تغيرا كليا في وجهه وثيابه وهذا التغير الذي يقررون به يفسر لنا بأجلى بيان القاء شبهه على غيره وتغير هيئته حتى أن الذين أتوا للقبض عليه أخذوا من ألقى عليه شبه المسيح فوقع في الورطة ونجا عيسى صلوات الله عليه .

### الشبه والاشتباه

ولا يفوتني في هذا المقام ان أذكر لكم أن بعض الناس قد يشبه بعضا آخر . فاني رأيت بالخرطوم أخوين روميين كانا توأمين يشبه أحدهما الآخر كما يشبه الغراب الغراب . وكان الماحلون لهما يخاطب الواحد منهم أحدهما يحسبه الآخر .

وكان صديقنا المرحوم الشيخ محمد أحمد دين خريج دار العلوم يشبهه شخص آخر مشابهة تامة هو أخ لنصر أفندي نعمة الضابط بمدرسة الناصرية ، وكان الناس يغلطون يحسبون أحدهما الآخر .

وقد قال « سيل » الانجليزى مترجم القرآن . ان المسيح ويهوذا الاسخريوطى كان كل منهما يشبه الآخر . أى ان يهوذا يشبه المسيح .

كان لى صديق من أقاربى — رحمه الله — وكان له ابن ببعثة في انجلترا وعاد سنة ١٩٢٥ وعين مدرسا للكيمياء والطبيعة بمدرسة الزقازيق الثانوية ، فذهب الى المدرسة وقدم نفسه الى ناظرها وتعرف الى بعض المدرسين وتعرفوا اليه ، وعاد الى القاهرة من يومه .

وقد صادف أن وجد شخصا يشبهه على أهبة السفر بمحطة الزقازيق قد سقط ميتا . وفي ذلك الحين مر أحد مدرسى المدرسة الثانوية فقال انه المدرس الجديد الذى جاءنا اليوم ! وعرف أن بلده القرشية ، فأبلغ البوليس الخبر الى أهله فخف أخوه وأبناء عمومته وأصدقاءهم الى الزقازيق وأقيم المأتم بالقرشية ، ودخل عليه بمستشفى الزقازيق أخوه وأبناء عمه والأصدقاء ولم يشكوا في أنه هو بعينه . وأراد أخوه أبناء أبيه فلم ير أن يفاجئه بهذا الخبر المزعج فأرسل لوالده بمصر تلغرافا يسأله عنه ، فجاء اليه الرد سريعا بأنه موجود عنده بمصر ، فاطمأنوا وفرحوا وانقلب مأتم الحزن سرورا وبطل الاستعداد لاستقبال المعزين . واذا أراد

القارىء معرفة اسم ذلك الميت الحي أقول له انه « عبد العزيز غباشى أفندى » مدرس الكيمياء والطبيعة بالمدارس الملكية الآن . هذا أولا .

( وثانيا ) يوجد رأى فى مسألة المسيح جاء به « غلام أحمد القاديانى » وهو رجل من بلد قاديان فى الهند ، قال : ان المسيح أنجاه الله من كيد اليهود فذهب الى بلاد الهند واستقر فى بلاد قشمير فى شمال الهند بسفح جبال هماليا . وأقام هناك الى أن وافاه أجله ودفن فى تلك البلاد قرب بلدة سرنجار وله قبر معروف .

هذا الرجل ادعى أنه المسيح الموعود بمجيئه ! ولكن كيف يكون هو المسيح وهو معروف بأنه « غلام أحمد القاديانى » معروف النسب معروف الأسرة ؟ فذهب الى تأويل الأمر على أن المسيح مات ولا يمكن أن يأتى . ولما كانت الأحاديث دالة على أنه سيأتى فى آخر الزمان ، قال : أنا المسيح بمعنى أننى آت بهديه وتعاليمه من بث السلام والرحمة والتعاطف والمحبة . ثم زاد فى الطنبور نعمة وقال انى رسول ودعواى لا تعارض قوله تعالى ( محمد رسول الله وخاتم النبيين ) فان معنى ( خاتم النبيين ) أن كمال النبوة انتهى به . وهذا لا يتنافى بقاء النبوة ولا نجاة لأحد الا بالاقرار برسالتى وبأنى أنا المسيح . وله كلام طويل فى كتبه ومجلته التى كان يصدرها فى حياته . وجماعته ناشطون فى التبشير بمسيحيته الآن فى كل مكان .

والدولة الانكليزية تؤيدهم لأنهم يقولون ان مسيحيهم أبطل الجهاد فى الجملة بوحي جاءه ، وقد كان مغرما بالانكليز يمدح حكمهم ويراه نعمة على بلاد الهند وغيرها .

وفى رأى أن دعواه مجيء المسيح الى الهند أمر يحتاج الى بحث واف<sup>(١)</sup> وتحقيق دقيق ، ولا يمكن تصديقه الا بظهور الأمر ظهورا بينا وثبوته ثبوتا قاطعا لكل شبهة ، ولو ثبت ذلك ما أفاده شيئا ، لأننا اذا تمشنا مع الأحاديث — وهى لا تقيد القطع بمجيء المسيح — وجدنا فيها علامات ؛ منها : أنه يقتل الدجال ويعاون المهدي المنتظر الذى يذكر فيها ويكسر الصليب .. الخ . وهذا لم يحصل من ذلك الرجل . وقد يكون الرجل حسن النية فى دعواه بريئا من الخبث ولكنه تخيل ثم خال وكبر معه الوهم الذى كثيرا ما يلزم أرباب الخلوة والرياضات ويقطعهم عن الوصول الى مرادهم الأعظم ، فيستولى عليهم الاشتغال بالخيالات والأوهام عن مقصودهم وهم معذورون لأنهم لم يقولوا ما قالوا عن خبث وسوء طوية . نسأل الله أن لا يجعلنا فتنه للذين آمنوا انه سميع الدثناء .

(١) كنت مسافرا فى رحلة الى اسطنبول فى سنة ١٩٢٤ وكان فى السفينة الاستاذ الوقور الشيخ « أبو الوفاء الشرقاوى » فسألته ؟ هل سمع حين كان فى سرنجار بقشمير عن قبر بقربها يقال له قبر النبي الأمير ؟ اى قبر المسيح فقال : نعم سمعت بذلك وانه فى الصحراء .

(ثالثا) يوجد فريق آخر من المسلمين - عددهم قليل جدا - قد كونوا لهم اعتقادا خاصا انتزعوه من تنف اقتطفوها من الأناجيل تدل على نجاة المسيح من القتل . وأن في نجاته سرا خاصا . وذلك أن « بيلاطس » الوالى لم ير فيه سرا ولا أمرا موجبا للقتل - كما في متى ص ٢٧ - ٢٤ - فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغباً أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا البار أبصروا أتمم .

لوقا - ص ٢٣ (١٣) فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب (١٤) وقال لهم قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشكون عليه (١٥) ولا هيرودس أيضا لأنى أرسلتكم اليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه .

لوقا - ص ٢٣ (٢٢) فقال « بيلاطس » لهم ثلاثة بأى شر عمل هذا انى لم أجد فيه علة الموت . يوحنا - ص ١٨ (٣٨) قال له « ليسوع » بيلاطس ما هو الحق . ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة . من هذا كله :

١ - نجد أن « بيلاطس » كان يعتقد براءة المسيح من كل ما يرميه به اليهود من الافساد .  
٢ - أن زوجة بيلاطس كانت عاطفة على يسوع مهتمة بأمره حريصة على أنه لا يمس بسوء وقد أوصت زوجها بذلك .

فى ص ٢٧ متى (١٩) واذا كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة : اياك وذلك البار لأننى تأملت كثيرا فى حلم من أجله .

واذا فقد علمنا أن المسيح عليه السلام له شفيع عريان شفاعته غير مردودة عند بيلاطس .  
٣ - أن يسوع لم يمكث على خشبة الصلب زمنا طويلا ، بل جاء « يوسف » وهو رجل غنى من الرامة وكان من تلاميذ المسيح سرا ولم يكن راضيا عن فعل اليهود ، وكذلك جاء « نيقوديموس » وطلب يوسف من بيلاطس أن يسلمه جسد يسوع فتعجب بيلاطس من موته سريعا وسأل رئيس الشرط ولما علم منه بوفاته أمر بتسليمه ليوسف فأخذه وكفنه ولفه فى كتان ووضع فى قبر له كان هناك .

٤ - ينظر أصحاب هذا رأى الى أمر آخر . هو أن المسيح لم تكسر ساقاه وهو على خشبة الصلب ولا بعدها ، كما كسرت ساقا كل من اللصين الذين صلبا معه ، ولا سبب لذلك سوى العناية الخاصة التى كانت تحوطه من ناحية الوالى بيلاطس وزوجه ويوسف ونيقوديموس ، فاجتماع هذه الاعتبارات جعلهم يقولون ان المسيح تظاهر بالموت أى أنه أظهر للناس أنه مات

ولم يكن قد مات ، والذي تولى انزاله رجل من تلاميذه في الحقيقة ، وكان ذلك التظاهر بإيحاء منه ، وساعده الوالى على ذلك بأن سلم له في انزاله عن الخشبة — واليهود في غفلة عما بينه وبين المسيح من العلاقة — ولفه ووضع في القبر الذى يملكه يوسف وأجاف على الباب حجرا .

ولما هدأ الناس ودخلوا في السبت جاء يوسف وأعوانه وأزالوا الحجر وأخذوا يسوع وواروه في بيته أو بيت نيقوديموس الى أن برى من أثر المسامير ثم ذهب الى بلاد غير البلاد الى أن تولاه الله بالوفاة .

وهؤلاء يؤولون قوله تعالى ( وما قتلوه وما صلبوه ) بمعنى أن صلبه لم يؤد الى قتله ، ولكن شبه لهم أنه قتل على خشبة الصلب ، ولم يكونوا على يقين من أنه مات حقيقة ، وذلك معنى ( وما قتلوه يقينا ) .

ولا يخفى ما في هذا التأويل من الضعف والتهافت وهذا الوجه ليس من الوجهة في شيء في نظرى . ولعل بعض الباحثين الغربيين قاله فقتلوه عنه . وهناك فريق آخر من المسلمين يقولون ان الآيات القرآنية ناطقة بنجاة المسيح عليه السلام من أيدي أعدائه وأن الله تعالى وعده العصمة من كيدهم وتدميرهم ، وأنه يموت بالوفاة حتف أنفه ، وبأن شبهه ألقى على غيره ، فأخذوا ذلك الشبيه وفعلوا به ما بدا لهم — يحسبون أنه المسيح وهم في الحقيقة يجاهدون في غير عدو — ويحملون قوله تعالى ( وما قتلوه يقينا ) على أن عدم قتله أمر يقينى أو وما قتلوا منهم يقينا . فهذا كل ما تدل عليه الآيات .

وأما صعوده الى السماء فلا يوجد فيه نص قاطع الثبوت والدلالة . ولا حجة للجمهور في القول بأنه رفع الى السماء ، لأنه لا يوجد ذكر للسماء بازاء قوله ( ورافعك الى ) وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم الى مكان لا سلطة لهم فيه وانما السلطان ظاهرا وباطنا فيه لله تعالى فقولهم ( الى ) لا يدل على السماء نصا . بل هو كقول الله في لوط ( وقال انى مهاجر الى ربى ) اذ ليس معناه أنى مهاجر الى السماء . بل هو على حد قوله تعالى ( ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ) .

وأياضا فان من معانى الارتفاع الاصعاد في البلاد .

قال الفيروزابادى : رفعه كمنعه ضد وضعه ، كرفعه وارتفعه فارتفع . والبعير في سيره بالغ ورفعته أنا لازم متعد ، والقوم أصدعوا في البلاد . ويرد عليهم القائلون بوجوده في السماء ، بأن حديث المعراج فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى بن مريم في السماء . وهؤلاء يردون عليهم بأنه عليه السلام أخبر أيضا فيه بأنه رأى يحيى بن زكريا معه — ويحيى مات مقتولا ولا فرق بين الرؤيتين — ورأى آدم وموسى وهارون وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء !



فلو كانت رؤيته لعيسى دليلا على رفعه حيا الى السماء لكانت دليلا أيضا على رفع هؤلاء أحياء .  
ولما كان الثاني باطلا كان الأول مثله .

يقال لهم : اذا فأين ذهب عيسى وما الذى آل اليه أمره ؟ والجواب على ذلك : أن الله تعالى أبهم أمره علينا ولم يقصه ، فنحن نقوض العلم بذلك الى الله تعالى ، فليكن أنه أماته في الأرض أو أنامه كما أنام أهل الكهف أو أضعده الى السماء — لا تقطع بشيء من هذه الأشياء بعينه — بل نبهمه كما أبهمه الله . ومن أراد أن يقطع بشيء فعليه دليل ما قطع به . وتقويض العلم الى الله أسلم في العاقبة وأكثر احتياطا للدين . فليس بهين أن يشهد المرء على الله بأمر لم يشهد الله به على نفسه وليس عنده به سلطان مبین .

### اليهود وصلب المسيح

لم يوجد عند اليهود أثارة من علم تدل على أن رجلا جاء باسم «المسيح» في زمن كذا وصلب وقتل . ولا يوجد في تاريخهم الدينى شيء من ذلك أصلا ، وهذا هو الذى حدا ملاحدة أوربا على انكار وجود المسيح واعتباره انسانا فرضيا ؛ كالأشخاص الذين يفرض وجودهم في الروايات ولا وجود لهم في الحقيقة كالحرث بن همام وأبى زيد السروجى عند الحريرى وأبى الفتح الاسكندرى عند بديع الزمان الهمداني .

هذا «يوسف» القائد اليهودى — الذى يدعى «يوسيفوس» عند الأوربيين — كان هذا الرجل قائدا لفرقة من الجند اليهودى في جهة رفح في سنة ٧١ بعد الميلاد ، ولما علم بانكسار اليهود أمام «طيطوس» ويثس من النجاح سلم ما بيده وجاء الى الاسكندرية وألف تاريخه المشهور عن اليهود وأحوالهم وما صار اليه أمرهم .

ومع قرب زمن هذا الرجل من زمن المسيح — ونهاية أمر المسيح لا بد أن تكون قد تمت وهو حى يرزق صغيرا أو كبيرا — ومع هذا فلم يشر اليه بكلمة ولم يجبر له ذكر في كتابه أصلا . ولكن المتأخرين من النصارى ألحقوا به كلمة ضئيلة عن مسألة المسيح ترى في بعض نسخ ذلك الكتاب كأنها الرقعة الجديدة في الثوب الخلق .

فاذا تكلم اليهود عن المسيح وقتله فليس ذلك لأنه مثبت في تواريخهم المأثورة عن الآباء والمشايع ! ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون من أن المسيح جاء وقتله اليهود . والا فكتبهم خالية من ذلك .

ولقد أخبرنى الدكتور «اسرائيل ولقنسون» أن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في «التلمود» ولكن اليهود أخرجوها منه حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التى يقيم بينها اليهود ،

فيكون ذلك مصدر قلق . وأخبرني أيضا أن المسيح كان من حزب مضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين ، فأغرى الحكام الرومانيون اليهود ليشتكوا عليه ففعلوا وأمر الحاكم الروماني يقتله . هكذا يقول اليهود !

## خاتمة شأن المسيح عند النصارى

أما النصارى فانهم جعلوا خاتمة أمر المسيح عليه الصلاة والسلام خاتمة شنيعة ومأساة مروعة . وجعلوا الاعتقاد بحصولها — على الوجه الذى صوروه — أصلا من أصول دينهم ودعامة من دعائم عقيدتهم ! لا يقبل من مؤمن ايمانه الا بها ولا ينفعه عمل صالح ولا عبادة ولا بر ولا تقوى ولا اخلاص دون الاعتقاد بصلب المسيح .

وقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلا في العهد القديم جعلوا حمله جملا وحبته قبة ، وأسسوا عليه صلب المسيح . فقالوا : ان « آدم » وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التى نهاه عن الأكل منها . فصار خاطئا وصار جميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب فى الآخرة بالهلاك الأبدى . وقد جاء جميع أبناء آدم خطاة مذنبين ! فهم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم الذى هو الأصل لذنوبهم .

ولما كان الله تعالى من صفته العدل والرحمة ، فمن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب والا لم يكن عادلا ، والعقاب مناف للرحمة فلا يكون رحيمًا اذا عاقب — ولا بد من تحقق العدل والرحمة معا للخروج من هذا الاشكال — شاء الله أن يحل ابنه ( تعالى ) الذى هو بنفسه الله فى رحم امرأة من ذرية آدم ، ويتجسد جنينا فى رحمها ويولد منها — فيكون ولدها انسانا كاملا من حيث انه ابن لتلك المرأة ، والهيا كاملا من حيث انه ابن الله — ويكون معصوما من جميع المعاصى . ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس ويأكل ويشرب مما يشربون ويتلذذ ويتألم كما يتلذذون ويتألمون ؛ يأتى أعداء الله وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتلة وأفظعها . وهى أن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه فى الخشب ، ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ويضفروا له اكليلا من الشوك ويصقوا فى وجهه ! كل ذلك ليفدى البشر من جريمة لم يقررها هو ولا هم « راجع تفسير المنار صفحة ٢٥ ج ٦ » .

أقول : ان هذه العملية لم يتحقق بها عدل ولا رحمة . لأنه ليس من العدل فى شيء أن يؤتى ببرىء غير مذنب ويطوق اثم جريمة جناها سواه ، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة . وبخاصة اذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة ولو مع الذنب ، فالابن البار غير الآثم أولى .

والعقاب على هذا الوجه يخالف الكتاب المقدس عندهم . تشنية ص ٢٤ (١٩) لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل انسان بخطيته يقتل .

ولأن الذى يعلق على خشبة ملعون من الله وكيف يلعن الله من لم يخطئ .

تشنية ص ٢١ (٢٢) واذا كان على انسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة (٢٣) فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله . فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب الهك نصيبا .

وعلى قول المسيحيين ، قد بقى الله تعالى مجردا عن صفتى العدل والرحمة من زمن عصيان آدم الى أن اهتدى الى تلك الحيلة التى ظهرت له قبيل خلق المسيح فى مريم !

وهناك محذور آخر وهو أن عقيدة الصلب لما كانت هى كل الايمان كانت حادية لمعتقها على نبذ كل الفضائل ، بل مخدلة عن فعل كل بر وتقوى ، فيكون صاحبها أبا حيا فاتكا ليس للفضيلة فى نفسه نصيب .

### عقيدة الصلب والفداء : وثنية

بين يدى الآن كتاب « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية » تأليف « محمد طاهر التنير البيروتى أفندى » وقد جمع فيه الشئ الكثير مما يشترك فيه النصرانى مع الوثنيين المختلفى النحل والأمكنة من العقائد .

ولو أردت أن أتبع ما فيه لطلال بنا القول وامتد . ولكنى أقصر على ما نقله السيد رشيد رضا « فى تفسير المنار ج ٦ ص ٣٢ » ويكفى من القلادة ما أحاط بالعتق .

قال « دوان » فى كتابه « خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى : ص ١٨١ و ١٨٢ » ما ترجمته بالتلخيص .

ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة ؛ قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم . وذكر الشواهد على ذلك .

منها قوله : يعتقد الهنود أن « كرشنا » المولود البكر الذى هو نفس الاله « فشنوا » الذى لا ابتداء له ولا انتهاء — على رأيهم — تحرك حنوا كى يخلص الأرض من ثقل حملها ، فأثاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

وذكر أن « مستر موى » قد صور « كرشنا » مصلوبا ، كما هو مصور فى كتاب الهنود مشقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقا . ووجدت له صورة مصلوبا

وعلى رأسه اكليل من الذهب . والنصارى تقول : ان يسوع صلب وعلى رأسه اكليل من الشوك وقال « هوك » فى ص ٣٢٦ م من المجلد الأول من رحلته « ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة » .

وقال « هورينوليمس » فى ص ٣٦ من كتابه « الهنود » : ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية . ومما يدل على ذلك ما جاء فى مناجاتهم وتوسلاتهم التى يتوسلون بها بعد « الكياترى » وهو « انى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالاثم فخلصنى ياذا العين الحندوقية يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب » .

وقال القس « جورج كوكس » فى كتابه « الديانات القديمة » فى سياق الكلام عن الهنود « ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم شخصه ذبيحة » .

ونقل « هيجين » عن « اندرادا الكروريوس » وهو أول أوربى دخل بلاد النيبال والتبت أنه قال فى الاله « اندرا » الذى يعبده — أنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم . وأن صورة الصلب موجودة فى كتبهم .

وفى كتاب « جورجوس الراهب » صورة الاله « اندرا » هذا مصلوبا وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفاوتة فى الطول فالرأسى أقصرها « وفيه صورة وجهه » والسفلى أطولها ، ولولا صورة الوجه لما خطر لمن يرى الصورة أنها تمثل شخصا .

هذا ؛ وأما ما يروى عن البوذيين فى « بوذه » فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه ، حتى أنهم يسمونه « المسيح ، والمولود الوحيد ، ومخلص العالم » ويقولون أنه انسان كامل ، واله كامل تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ، ويجعلهم وارثين للملكوت السموات .

بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم « بيلى » فى كتابه — تاريخ بوذه — و « هوك » فى رحلته و « مولر » فى كتابه — تاريخ الآداب السنسكريتية وغيرهم .

ومن أراد المقابلة بين اله النصارى وآلهة الوثنيين الأولين — فى الشرق والغرب — فعليه أن يقرأ كتاب « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية » لمحمد طاهر أفندى التنير البيروتى ، فقيه بلاغ ومقنع .

## الأناجيل و صلب المسيح

لم تختلف الأناجيل الأربعة فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله ! فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى انجيل آخر . ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لهم الالهام ويعتقدون خلوها من الخطأ ! كان ينبغى أن تكون كتابتهم فى هذه الحادثة المهمة — التى هى مناط النجاة ودعامة الايمان — ٢ - ٢٨ قصص الأنبياء.

في نظرهم - متطابقة متوافقة ، بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا : اذ النفس لا تطمئن الى الأخذ بروايات اذا اتفقت في موضع واحد من قصة - جاءت في جميعها - فانها تتخالف في مواضع كثيرة . واذا لم يكن الراوى أمينا كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائق .

واني أريد أن أحاكم روايات هذه الأناجيل ليتبين المطلع بنفسه ما فيها من الخلل بمجرد المقارنة :

متى ص ٢٦ : (٣٦) حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها «جشيمانى» فقال للتلاميذ اجلسوا ها هنا حتى أمضى وأصلى هناك ( ٣٨ ) ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتب فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معى (٣٩) ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا أبتاه أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت (٤٠) ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما . فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا ساعة واحدة (٤١) اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة . أما الروح فشيط وأما الجسد فضعيف (٤٢) فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك (٤٣) ثم جاء فوجدهم أيضا نياما اذ كانت أعينهم ثقيلة (٤٤) فتركهم ومضى أيضا وصلى ثلاثة قائلا ذلك الكلام بعينه (٤٥) ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هو ذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدي الخطاة (٤٦) قوموا ننطلق وهو ذا الذى يسلمنى قد اقترب (٤٧) وفيما هو يتكلم اذ يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب (٤٨) والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو أمسكوه (٤٩) فللوقت تقدم الى يسوع وقال : السلام يا سيدى وقبله (٥٠) فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه (٥١) واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه (٥٢) فقال له يسوع رد سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون (٥٣) أظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة (٥٤) فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون (٥٥) فى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى . كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى (٥٦) وأما هذا فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا .

ص ٢٧ (١١) فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع

أنت تقول (١٢) وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء (١٣) فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك (١٤) فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا . وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجميع أسيرا واحدا من أرادوه (١٦) وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس (٧) ففيا هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم وذلك البار . لأنى تأملت اليوم كثيرا فى حلم من علم أنهم أسلموه حسدا (١٩) واذ كان جالسا أجله (٢٠) ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع (٢١) فأجاب الوالى وقال من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم فقالوا باراباس (٢٢) قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب (٢٣) فقال الوالى وأى شر عمل فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب (٢٤) فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا البار . ابصروا أنتم (٢٥) فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا (٢٦) حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب (٢٧) فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة (٢٨) فعروه وألبسوه رداء قرمزيا (٢٩) وضفروا أكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهنئون به قائلين . السلام . يا ملك اليهود . (٣٠) وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه (٣١) وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب (٣٢) وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا <sup>(١)</sup> اسمه « سمعان » فسخروه ليحمل صليبه (٣٣) ولما أتوا الى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة (٣٤) أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرّب . ولما ذاق لم يرد أن يشرب .

مرقس — ص ١٤ (٣٢) وجاءوا الى ضيعة اسمها جشيمانى فقال لتلاميذه اجلسوا هنا حتى أصلى (٣٣) ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب (٣٤) فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا (٣٥) ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن (٣٦) وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك . فأجزعنى هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت (٣٧) ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة (٣٨) اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فتشيط وأما الجسد فضعيف (٣٩) ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام

(١) صحة هذا اللفظ ( قورينى ) كما صححه العلامة المرحوم « أحمد زكى باشا » ولان القيروانى نسبة الى القيروان اى العسكر وهذه المدينة لم تكن موجودة فى ذلك العهد ، بل أسسها « عقبة بن نافع » والى افريقيا من قبل « مغاوية بن أبى سفيان » سنة خمسين هجرية كما فى ابن الأثير .

بعينه (٤٠) ثم رجع ووجدهم أيضا نياما اذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه ثم جاء ثلاثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا . يكفى قد أتت الساعة هو ذا ابن الانسان يسلم الى أيدي الخطاة (٤١) قوموا لنذهب هوذا الذى يسلمنى قد اقترب . (٤٢) وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر (٤٣) ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ (٤٤) وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلا . الذى أقبله هو هو هو . أمسكوه وامضوا به بحرص (٤٥) فجاء للوقت وتقدم اليه قائلا يا سيدى يا سيدى . وقبله (٤٦) فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه (٤٧) فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . (٤٨) فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى (٤٩) كل يوم كنت معكم فى الهيكل ولم تمسكونى . ولكن لى تكمل الكتب (٥٠) فتركه الجميع وهربوا (٥١) وتبعه شاب لا بسا ازارا على عريه فأمسكه الشاب . فترك الازار وهرب منهم عريانا .

لوقا — ص ٢٢ (٣٩) وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه (٤٠) ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لى لا تدخلوا فى تجربة (٤١) وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى (٤٢) قائلا يا أبتاه ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك (٤٣) وظهر له ملاك من السماء يقويه (٤٤) واذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه قطرات دم نازلة على الأرض (٤٥) ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم لماذا أتمت نيام (٤٦) قوموا لئلا تدخلوا فى تجربة (٤٧) وبينما هو يتكلم اذا جمع ، والذى يدعى يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله (٤٨) فقال يسوع يا يهوذا أقبلة تسلم ابن الانسان (٤٩) فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يارب أنضرب بالسيف (٥٠) وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى (٥١) فأجاب يسوع وقال دعوا لى هذا ولمس أذنه وأبرأها .

يوحنا — ص ١٨ (١) قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه وعبر « وادى قدرون » حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه (٢) وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع . لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه (٣) فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح (٤) فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون (٥) أجابوه يسوع الناصرى . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم (٦) فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض (٧) فسألهم أيضا من تطلبون . فقالوا يسوع الناصرى (٨) أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون (٩) ليتم القول الذى قاله ان الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا (١٠) ثم أن

سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس (١١) فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك فى الغمد الكأس التى اعطانى الآب ألا أشربها ؟ (١٢) ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه (١٣) ومضوا به الى « حنان » أولا لأنه كان حما « قيافا » الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة (١٤) وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب .

ان أدنى نظر يهدى الى أن عبارات هذه الأنجيل الأربعة متخالفة ، وشهادتها لا تصلح أن تكون مستندا يثبت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح ، التى يدعيها المسيحيون ويجعلونها أساس ايمانهم :

(١) ان متى يقول أن يسوع جاء مع تلاميذه الى قرية جثسيمانى ، ووافقه مرقس . وخالفهما لوقا وقال : الى جبل الزيتون . وقال يوحنا : عبر وادى قدرون حيث كان بستان . وعبارة يوحنا قريية من عبارة لوقا فى المعنى .

(٢) قال متى ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ووافقه مرقس . وخالف لوقا فى ذلك وذكر انه انفصل عنهم رمية حجر وصار يصلى . وكذلك أسقط يوحنا هذه العبارة . (٣) ذكر متى انه قال لمن معه « تقسى حزينه حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معى وأنه كان يصلى قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما فعاتب بطرس وأمرهم بالسهر ، ثم صلى وعاد اليهم نياما فعاد وصلى ثالثة ، ثم جاء الى التلاميذ فقال لهم ناموا واستريحوا وأنبأهم أن ابن الانسان يسلم الى أيدي خطاة . ثم قال : قوموا ننطلق هو ذا الذى يسلمنى قد اقترب . وعبارة مرقس توافق عبارة متى فى المعنى .

واما لوقا فزاد أمرين ( أحدهما ) أن ملكا من السماء نزل الى المسيح يقويه وهو يصلى . ( ثانيهما ) أنه كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . وأسقط مجيئه الى التلاميذ المرة الثالثة . وأما يوحنا وهو أحد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر التلاميذ فقد أسقط ذلك كله ولم يذكر شيئا منه ، وهو دليل على عدم حصول شئ من ذلك . ولعمري اذا كان الملك جاء وهم نيام فما الذى أدراهم به ؟ واذا كان عرقه كأنه قطرات دم وهم نيام فى جوف الليل لم يروا شيئا فكيف يشبتون هذا ؟

(٤) قال متى وفيما هو يتكلم اذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى سلمه أعطاهم علامة



قائلا : الذى أقبله هو هو أمسكوه . فلولقت تقدم الى يسوع وقال السلام يا سيدى وقبله . فقال يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه .

وافق مرقس متى فى المعنى . وقال لوقا ان المسيح قال له : يا يهوذا أبقبله تسلم ابن الانسان؟ بدل قوله : يا صاحب لماذا جئت وزاد لفظ « والكتبه » قبل شيوخ الشعب وأسقط يوحنا « الكتبة وشيوخ الشعب » وزاد « الفريسيين » ولم يذكر أن يهوذا قبله أو دل عليه . بل قال انه كان واقفا معهم وزاد أن المسيح خرج اليهم وقال لهم من تطلبون . قالوا يسوع الناصرى فقال لهم أنا هو وأنه لما قال لهم ذلك رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض . ثم أعاد سؤاله وأعادوا الجواب ثم قال فان كنتم تطلبوننى قدعوا هؤلاء يذهبون .

(٥) ذكر متى أنهم قبضوا على يسوع ثم أن بطرس استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح برد سيفه الى مكانه . وقال : أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة فكيف تكمل الكتب ؟ انه هكذا ينبغى أن يكون ثم قال : وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا . أما مرقس فقد وافقه فى المعنى الا هرب التلاميذ كلهم . وزاد قوله : وتبعه شاب لابسا أزارا على عريه ، فأمسكه الشبان فترك الأزار وهرب عريانا — وهو يريد بذلك الشاب يوحنا ذلك الغلام الذى كان المسيح يحبه — وأما لوقا فلم يذكر من ذلك كله سوى أن بطرس ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح بأن يعمد سيفه . وانفرد عن الجميع بأن المسيح لمس أذنه وأبرأها . وأما يوحنا فلم يزد شيئا بل نقص جملا وانفرد بذكر اسم العبد الذى قطعت أذنه أن اسمه « ملخس » .

(٦) ان المحاوره التى قصها يوحنا بين المسيح وطالبيه وقوله لهم : من تطلبون ؟ وقولهم : يسوع الناصرى ، ورجوعهم وسقوطهم — بعد قوله لهم أنا هو — تدل دلالة واضحة على أنهم رجعوا بالمطلوب ! ومن جهة أخرى تفيد أن ، أنا هو ، فأمسكوا به فانهم لا يشكون فى يوحنا لم يذكر تقييله اياه ولا تسليمه لهم . بل المسيح هو الذى دلهم على نفسه ان كان هو الذى قبض عليه !

(٧) يقول يوحنا : انهم ذهبوا للقبض عليه ، وجاء « يهوذا » الى هناك بمشاغل ومصاييح

وسلاح .

وقد انفرد يوحنا بذلك عن الثلاثة وذلك معقول لأن الوقت كان ليلا وهم لا يعرفون المسيح ، ولذلك استأجروا « يهوذا الاسخريوطى » للدلالة عليه ، وهو لم يدلهم عليه ولم

يُشر إليه حسب رواية يوحنا . وكل من تعرض — صادقا أو كاذبا — وقال أنا يسوع فهم مصدقوه وآخذوه ! ولا سبيل الى التحقق من شخصيته ما دام يهوذا ساكنا والليل يساعد على ذلك !

(٨) انفرد لوقا بأن رؤساء الكهنة كانوا قد ذهبوا للقبض عليه .

### بعد القبض على يسوع

يقول متى — ص ٢٦ (٥٧) والذين أمسكو يسوع مضوا به الى « قيافا » رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ (٥٨) وأما بطرس فتبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة فدخل الى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية (٥٩) وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه (٦٠) فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور (٦١) وقالوا : هذا قال اني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أبنيه (٦٢) فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء ؟ ماذا يشهد به هذان عليك (٦٣) وأما يسوع فكان ساكنا . فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله (٦٤) قال له يسوع أنت قلت . وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء (٦٥) فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف . ما حاجتنا بعد الى شهود . ها قد سمعتم تجديفه (٦٦) ما ترون فأجابوا وقالوا انه مستوجب الموت (٦٧) حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه . وآخرون لطموه (٦٨) قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك . (٦٩) أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار . فجاءت اليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي (٧٠) فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدري ما تقولين (٧١) ثم اذ خرج الى الدهليز رآته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري (٧٢) فأنكر أيضا بقسم أني لست أعرف الرجل (٧٣) وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فان لغتك تظهرك (٧٤) فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل . وللوقت صاح الديك (٧٥) فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له أنك قبل أن يصيح تنكرني ثلاث مرات . فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا .

(٩) يقول متى : ان الذين أمسكوا يسوع مضوا به الى « قيافا » رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ووافق على ذلك مرقس ولوقا . وأما يوحنا فقال انهم أوثقوه وذهبوا الى « حنان » حما « قيافا » فخالف الثلاثة في ذلك .

(١٠) ذكر متى : أن بطرس تبع يسوع من بعيد الى دار رئيس الكهنة ووافقه مرقس ولوقا . وأما يوحنا فخالفهم وذكر ان بطرس تبع يسوع هو والتلميذ الآخر « يعني يوحنا » .

(١١) ذكر متى أن بطرس كان خارج الدار ، فجاءت اليه جارية وقالت وأنت كنت مع يسوع الجليلي ؟ فأنكر قدام الجميع . ثم اذ خرج الى الدهليز رآته أخرى فقالت وهذا كان مع يسوع الناصري فأنكر بقسم اني لست أعرف الرجل ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف اني لا أعرف الرجل ، وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له انك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج الى خارج وبكى بكاء مرا .

وأما مرقس فقد ذكر هذه الحادثة ولكنه جعل بطرس داخل الدار يستدفيء فقالت له الجارية ذلك وأنكر ، وأنها هي بنفسها التي رآته في الدهليز وقالت للحاضرين انه منهم وليست جارية أخرى — كما زعم متى — وان الديك صاح عقب المرة الأولى لا بعد المرات الثلاث ، وأنه في المرة الثالثة صاح الديك مرة واحدة عند متى بعد انكار بطرس ثلاث مرات ! وصياحه عند مرقس مرتين !

وجعل عبارة المسيح له « أنت تنكرني ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين » . وأما لوقا فجعل سؤال الجارية له مرة واحدة هي الأولى فأنكر ، وأن سؤاله في المرتين الأخيرتين كان من رجاء لا من جارية ورجال ، وزاد قوله : فالتفت الرب ونظر الى بطرس فتذكر كلام الرب .  
وأما يوحنا فقال ان دخول بطرس كان برجاء الغلام « يوحنا » للبوابة التي قالت لبطرس : ألسنت أنت أيضا من تلاميذ هذا الانسان ؟ قال ذاك لست أنا . وان الغلام كان معروفا عند رئيس الكهنة ودخل مع يسوع أول الأمر ثم رجا البوابة في ادخال بطرس ، وأن المصطلين قالوا له أيضا : ألسنت أنت من تلاميذه ؟ فأنكر وقال له واحد من عبيد رئيس الكهنة — وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه — أما رأيته أنا معه في البستان ؟ فأنكر أيضا وللوقت صاح الديك .  
فانظروا هداكم الله الى هذه المسألة الصغيرة القصيرة كم فيها من التناقض ؟

(١٢) ذكر متى أن رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا ، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا !  
انظروا الى هذا الكلام القلق المتناقض كل التناقض ! اذا كانوا طلبوا شهود زور فلم يجدوا . فكيف يقول بعد ذلك « ومع انه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ؟ » أكتب الكاتب هذا الكلام ومع عقله ؟ ان المرء ليستحي أن يكتب مثل هذا !

أما مرقس فكان أكثر حذقا وأوفر لباقة اذ قال : وكان رؤساء الكهنة والجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا ! لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهادتهم .

والعجب العاجب من أمر انجيل متى اذ يقول « وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه » ! كأنهم اذا وجدوا شهادة حق بادانته لا يقبلونها لأنها شهادة حق ! وهم لا يطلبون الا شهادة الزور !

(١٣) المفهوم صراحة - من عبارة كل من متى ومرقس - أن المحاكمة والمناقشة بين الكهنة ورئيسهم من جهة وبين يسوع من الناحية الأخرى كانت ليلا عقب القبض عليه ووصوله الى دار رئيس الكهنة ، ولكن لوقا ويوحنا جعلوا المحاكمة صباحا .

(١٤) ذكر متى أن يسوع مضوا به الى دار رئيس الكهنة « قيافا » ومرقس وافقه على ذلك الا أنه خالفه بعدم ذكره اسم « قيافا » ولوقا لم يوافقهما على ذلك بل ذكر أن الرؤساء سلموه الى الخدام ومكث الليل كله معذبا بأيديهم الى الصباح ، وبعد اجتماع مشيخة الشعب أصدوده الى مجيعهم . وقال يوحنا : انهم أخذوه أولا الى دار « حنان » ثم الى دار « قيافا » رئيس الكهنة موثقا .

(١٥) يقول متى : ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور وقالوا هذا قال : انى أقدر أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه ! فقام رئيس الكهنة وقال له أما تعجب بشىء ؟ ماذا يشهد هذان عليك ؟ وأما يسوع فكان ساكنا ، فأجاب رئيس الكهنة وقال استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح بن الله ؟ فقال له يسوع : انك قلت وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحب السماء ! فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه ! ماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا : انه مستوجب الموت . حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين : تنبا ايها المسيح من ضربك ؟

وقد خالف مرقس متى فزاد فى شهادة الشهود عليه قول الشاهدين : انى أنقض هذا الهيكل المبنى بالأيدى وفى ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأياد . وقول رئيس الكهنة : أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال يسوع : أنا هو ... الخ . فخالف متى فى هذه المواضع الثلاثة وقوله « المبارك » يريد « داود » .

وأما لوقا فقد ضرب صفحا عن طلب شهود زور على المسيح ولم يذكر سوى قول مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة « ان كنت المسيح فقل لنا . فقال : ان قلت لكم لا تصدقون وان سألت لا تجيبونى ولا تطلقوننى ! منذ الآن تجدون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله فقال لهم انتم تقولون ذلك » فخالف بذلك كلا من سابقيه ! ومن المفارقات قول لوقا أنهم قالوا له « أفأنت ابن الله » مع أنه لم يدع أنه ابن الله بل عبر بلفظ « ابن الانسان » .

وأما يوحنا فقد ألغى شهادة الزور وشهوده ، وألغى محاكمة الكهنة والشيوخ والكتبة له . ولم يذكر من ذلك شيئاً أصلاً ، وهو من أصحاب المسيح — وقد شهد ما لم يشهده متى — لأنه كان معروفاً من رئيس الكهنة ودخل داره مع يسوع — كما نص على ذلك يوحنا في انجيله مكذبا مرقس الذى يقول انه فر عريانا — وبعد هذا فشهادة من شهدوا بمسألة تقض الهيكل ليست شهادة زور فقد جاء في يوحنا ص ٢٠ (١٩) انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه فكيف يصح أن يقال انهم شهدوا زورا ؟

وبعد هذا كله فان الكهنة ورئيسهم لم يقولوا ان سبب الموت هو ما ذكر من هدم الهيكل وبنائه ! بل حين قال لهم انه المسيح — على رأى مرقس — وأنه سيكون على يمين قوة الله ! ومع هذا فلم يرفعوه الى الوالى بشئ من هذا بل قالوا أنه يفسد الشعب ويقول أنه ملك اليهود . (١٦) قال متى ص ٢٧ : ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه . فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى « بيلاطس » النبطى الوالى ، ووافقه مرقس غير أنه لم يذكر صفة « بيلاطس » ولا جنسيته . واختصر لوقا وقال في ص ٢٣ (١٠) فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى « بيلاطس » وقال يوحنا في ص ١٨ (٢٨) ثم جاءوا بيسوع من عند « قيافا » الى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا دار الولاية لكيلا يتنجسوا فيأكلون الفصح . وهذه العبارة انفرد بها يوحنا دون الثلاثة !

(١٧) قال متى : حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ، ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد أخطأت اذ سلمت دما بريئاً . فقالوا ماذا علينا أنت أبصر ! فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم ! فتشاوروا واشتروا بها « حقل الفخارى » مقبرة للغرباء ، لهذا سمي ذلك الحقل « حقل الدم » الى هذا اليوم . حينئذ تم ما قيل بأرمياء النبى القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة من ثمن المثلث الذى ثمنوه من بنى اسرائيل وأعطوها عن « حقل الفخارى » كما أمرنى الرب .

هذا التقرير قد أسقطه أصحاب الأناجيل الثلاثة وخالفه مؤلف « الأبركسيس » أعمال الرسل ص ١ (١٨) فان هذا — أى يهوذا — اقتنى حقلاً من أجره الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . وصار ذلك معلوماً عند سكان « اورشليم » حتى دعى ذلك الحقل في لغتهم « حقل دما » أى حقل دم . فالفرق بين تقرير متى وتقرير سفر الأعمال ظاهر . واذا أخذنا بأحدهما وجب أن يكون الآخر كاذباً .

وعبارة سفر الأعمال تفيد أن مؤلفه ليس عبرانياً بدليل قوله « في لغتهم » وبعد هذا ؛ فقد نسب متى الى رؤساء الكهنة شراء « حقل الفخارى » بالفضة . وحينئذ تم ما قيل بأرمياء .. الخ . ونسب القول الى أرمياء غلط ، فان هذا القول لا يوجد في كتب أرمياء ، فذكر متى لاسم أرمياء غلط يقينا ، وانما هذا القول في سفر زكريا عليه السلام ونصه « فقلت لهم ان حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي والا فامتنعوا وزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة ، فقال لى الرب ألقها الى « الفخارى » الثمن الذى ثمنوني به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها الى « الفخارى » فى بيت الرب ثم قصفت عصاى الأخرى » وبعد هذا فهذا الكلام الذى فى زكريا لا تعلق له بالمسيح أصلا وليس فى شأنه . ولكن القوم يتصيدون كل الكلام ويلحقونه بكتبهم المقدسة ليقيموه دليلا على أن الحادثة قد تنبأ بها الأنبياء من قبل ، وهى بعيدة من غرضهم بعد السماء من الأرض .

وقد علق صاحب « الفارق » على هذه العبارة بكلام طويل فى صفحة ٢٤٨ من الجزء الأول وما بعدها فليرجع اليه من أراد المزيد .

(١٨) اختلفت الأناجيل الأربعة فى بسط السبب الذى بنى عليه الوالى صلب المسيح وكل واحد يخالف الآخر . واذا قلنا الوالى فلا نغنى بذلك أنه دان المصلوب أو وجده مذنبا ، فان كل أناجيل القوم مصرحة بأنه لم يجد فيه علة تستوجب الموت . قال متى : فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشكون عليه لم يجب بشيء فقال له « بيلاطس » أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة فتعجب الوالى جدا ! وقد وافقه مرقس .

وأما لوقا فأثبت ما لم يشته متى ومرقس . فقال ص ٢٣ (٢) وابتدأوا يشكون عليه قائلين : اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك ! فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول . وبديهي أن هذا ضد ما قاله متى من أنه لم يجب بشيء حتى تعجب الوالى .

والمطلع على الأناجيل يعلم فساد تلك الدعاوى بما أثبتته أصحابه من قوله : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . ومن هربه ممن أرادوا المناداة به ملكا . فلو أنه المسيح نفسه لتبرأ من مقاتلتهم واستشهد على نقض دعواهم . ولكنه المسكين « يهوذا الاسخريوطى » الذى دهش للقبض عليه واربتك عقله واستغرق فى التأمل فيما هو قادم عليه من أهوال الموت فأنساه ذلك الجواب .

وقد انفرد لوقا بأحياء « هيرودس » الذى أثبت موته من قبل وذكر أن « بيلاطس

أرسل اليه يسوع وكان هيرودس الميت من زمن مديد يتمنى رؤية المسيح وأرادوا أن يصنع أمامه آية فلم يجبه بشيء . وكيف يجيبه أو يصنع آية وليس هو المسيح صاحب الآيات وانما هو يهوذا؟ وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة في ص ١٨ ( ٢٨ - وما بعدها ) اذ قال انهم لم يدخلوا دار الولاية لئلا يتنجسوا فخرج اليهم بيلاطس وقال آية شكاية تقدمون على هذا الانسان ؟ فأجابوا وقالوا لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك ، فقال بيلاطس : خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحدا . ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا الى آية ميتة كان مزمعا أن يموت .

فعلم أنهم لم يذكروا الأسباب التى بنوا عليها طلب قتله ، وهو بذلك يخالف لوقا الذى جعل تلك الأسباب (١) الافساد فى الأرض (٢) ادعاء الملك (٣) التحريض على عدم أداء الجزية لقيصر . وزاد عن الثلاثة قوله : ليتم قول يسوع . الخ .

(١٩) يعلم من متى ص ٢٧ ( ١٨ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ) أن بيلاطس كان يعتقد براءة المسيح وأنهم أسلموه حسدا وأنه لا شرف فيه ، وأنه غسل يديه قدام الجميع قائلا : انى برىء من دم هذا البار . فكيف يصح مع هذا أن يقال أنه جلده وأسلمه ليصلب كما يقول متى ؟

وقد وافقه مرقس فى المعنى مع هذا التناقض . وأما لوقا فخالفهما فى الجلد فلم يذكر أن بيلاطس جلده ولم يذكر أنه غسل يده براءة من دمه .

وأما يوحنا فوافق ثلاثتهم على اعتقاد الوالى براءة يسوع وجلده ، ولم يذكر غسل يده .

(٢٠) ثابت من الأناجيل الأربعة أن اليهود طلبوا صلب المسيح واطلاق مجرم لهم اسمه « باراباس » وقد اختلفت صفتهم لباراباس . قال متى : انه كان أسيرا عند بيلاطس . وقال مرقس ولوقا : انه كان فى فتنة حصل فيها قتل . وقال يوحنا وكان باراباس لصا .

(٢١) قال متى ص ٢٧ أخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتبية ، وعروه وألبسوه رداء قرمزيا وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه . وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود ! وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه . وبعد ما استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب .

وقد وافقه مرقس على ما ذكره الا فى شيئين : التعرية ولون اللباس ؛ فقد جعله أرجوانيا لا قرمزيا .

وأما لوقا فلم يجعل الاستهزاء بالمسيح فى دار الولاية كما فعل متى ومرقس ، ولم يقل ان

العسكر المستهزون . بل ذكر أن الشعب هو الذى كان يهزأ به عند موضع الصلب ، ولم يذكر تعرية ولا رداء قرمزيا ولا أرجوانيا . نعم انه جعل « المرحوم هيرودس » هو الذى ألبسه رداء لامعا .

ويوحنا جعل أن العسكر — أى الفتوات — هم الذين ضفروا له اكليل الشوك وألبسوه أرجوانا ، ولم يذكر تعرية كما قال متى . وزاد يوحنا : أن بيلاطس أعاد عليه السؤال فلم يعطه يسوع جوابا ، وقال له أما تكلمنى ؟ وكان بيلاطس يطلب أن يطلقه لولا تحكم اليهود .

(٢٢) يقول متى ص ٢٧ (٣٢) وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا (١) اسمه « سمعان » فسخروه ليحمل صليبه . وزاد مرقس كنيته فقال « أبو الكسندرس وروفس » ووافق لوقا متى . وقد ناقض يوحنا الثلاثة وكذب مسألة « سمعان القيروانى » ص ١٩ : ١٧ وذكر أنهم مضوا به وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له « جمجمة » .

(٢٣) ذكر متى أنهم لما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، ولم يبين من هم الذين اقتسموا ثيابه بطريق القرعة . ومثل ذلك فى مرقس ، ونسى لوقا مسألة اللباس والقرعة فلم يكتبها بتدقيق . وأما يوحنا فقد ذكر أن العسكر هم الذين اقتسموا ثيابه بلا قرعة ، وأما قيصره فاقترعوا عليه .

(٢٤) قال متى ص ٢٧ (٢٣) ولما أتوا الى موضع يقال له « جلجثة » وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولما ذاقه لم يرد أن يشرب . وقد خالفه مرقس فقال : أعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل . وأما لوقا فقال — عن العسكر الذين استهزءوا به — أنهم كانوا يقدمون له خلا ، ولم يقل انه ممزوج بمرارة كما قال متى . وأما يوحنا فقد أسقط العبارة من أصلها .

(٢٥) انفرد لوقا بقوله وتبعه جمهور كبير والنساء اللواتى كن يلطن أيضا وينحن عليه فالتفت اليهن يسوع وقال يا بنات « أورشليم » لا تبكين على . بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن . لأنه هو ذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى التى لم ترضع . حينئذ يتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللأكام غطينا لأنهم كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس ؟ ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا !

(٢٦) اتفق الأربعة أصحاب الأناجيل على أن المسيح صلب وصلب معه اثنان آخران . قال متى ومرقس : انهما لسان . وقال لوقا : وجاء باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه . وقال يوحنا : وصلبوا اثنين آخرين معه . ولم يذكر وصفهما .

(١) الصواب « قورينيا » نسبة الى « قورين » كما تقدم فى صفحة ٤٣٥ .



(٢٧) ذكر متى : ان المجتازين والكتبة والكهنة والشيوخ كانوا يجدفون عليه ويستهزئون به ، وأن اللصين اللذين سمرا وصلبا معه كانا يعيرانه ، ووافقته على ذلك مرقس . وذكر لوقا : أن المعير أحدهما فقط ، وأن الثاني كان ينهاهم واتهمه قائلا : أو لا تخاف أنت الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ! ثم قال ليسوع اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك . فقال يسوع الحق أقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس . وأما مرقس فأسقط استهزاء اللص واللصين به . (٢٨) لم يحدد كل من متى ولوقا ويوحنا وقت الصلب في أية ساعة ابتداء ؟ ولكن حددته مرقس الساعة الثالثة .

(٢٩) اجتمع الثلاثة من أصحاب الأنجيل على أنه عند الساعة السادسة كانت على الأرض ظلمة الى الساعة التاسعة . وخالفهم يوحنا فلم يذكر ظلمة على الأرض أصلا .

(٣٠) اختلف أيضا أصحاب الأنجيل في الكلمات الأخيرة للمسيح . فقال متى ص ٢٧ (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرح يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلي ايلي لما شبعتنى ! أى الهى الهى لماذا تركتنى (١) فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى ايلياء . وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملاها خلا وجعلها على قصبه وسقاه ، وأما الباقيون فقالوا اترك لرى هل يأتى ايليا يخلصه ؟ فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح . وقد خالف مرقس فقال : انه قال الوى الوى لما شبعتنى ، ولم يقل ايلي ايلي - كما يقول متى - .

وخالفهما لوقا فقال : انه نادى بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يدك استودع روحى . ولما قال هذا أسلم الروح . وخالفهما فى مسألة سقياه الخل . وخالف الثلاثة يوحنا فلم يذكر للمسيح كلاما سوى انه كانت أمه والغلام الذى يحبه واقفين مع بعض النساء بقبريه ، فقال لأمه : يا امرأة هوذا ابنك ، ثم قال للتلميذ هو ذا أمك .

وخالف يوحنا الثلاثة فذكر أن سقياه الخل بعد أن طلب الشرب وقال أنا عطشان . والثلاثة جعلوا ذلك من الساقى ابتداء . ولم يذكر شيئا من قوله : ايلي أو الوى .

(٣١) قال متى ص ٢٧ (٥٠) فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح . ووافقته مرقس . وقال لوقا : انه قال ونادى بصوت عظيم يا أبتاه فى يدك استودع روحى . ولما قال هذا أسلم الروح . وقال يوحنا : فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح .

(١) فى الأنجيل اليونانية « ايلي ايلي لما شبعتنى » فاذا وضعنا « شينا » موضع السين المهملة ووضعنا « كافا » موضع الخاء - كما تقتضيه طريقة تعريب العبرى - كان اللفظ هكذا « الهى الهى لم شبعتنى » أى أوقعتنى فى شبكة ومحال على المسيح ان يقول ذلك لربه ! وهذا قرينة على ان المصلوب غيره .

(٣٢) قال يوحنا ص ١٦ (٢٥) وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه « مريم زوجة كلوبا » و « مريم المجدلية » فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا قال لأمه : يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ : هوذا أمك . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته . وقد انفرد يوحنا بذكر هذه العبارة فلم يذكرها سواه ، وقد قال بطرس عن التلاميذ : انهم حين القبض على يسوع هربوا وكان منهم غلام يريد يوحنا يلبس رداء على عريه فأمسكه جندي فترك له الرداء وهرب عريا ! فكيف طوعت له نفسه أن يغتوّد ليرى يسوع مصلوبا وقد هرب لمجرد القبض عليه ؛ وعبارة يوحنا تفيد أن هؤلاء الواقفات كن قريبات منه وهو مصلوب . وأما لوقا فلم يذكر قرب أحد من معارفه اليه ولم يشر اليهم بكلمة بل قال : وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك .

ولم يذكر مرقس أحدا من معارفه نظر حادثة الصاب من قريب . بل قال : وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن « مريم المجدلية » و « مريم أم يعقوب الصغير » و « يوسى » و « سالومة » اللواتي أيضا تبعنه من الجليل . وآخر كثيرات اللواتي صعدن معه الى اورشليم . وعبارة متى توافق عبارة مرقس .

فهذه الأناجيل لم تتفق حتى في هذا الموقف الجلى ! وعلى كل فلم يكن أحد من معارف يسوع على قرب من موضع الصلب .

(٢٣) ذكر متى ص ٢٧ (٥١) أن حجاب الهيكل قد انشق الى نصفين اثنين من فوق الى أسفل حين أسلم المسيح الروح . والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين .

وأما مرقس فقد أهمل هذا القول كله ولم يذكر منه شيئا . وتواضع لوقا قليلا فقال ص ٢٣ (٤٥) وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه . ولم يذكر زلزلة ولا تشقق الصخور ولا تفتح القبور ولا قيام الأموات ! وقد ذكر : قبل اسلام الروح ، خلافا لمتى !

وأما يوحنا وهو الذى يزعمون انه كان حاضرا صلب المسيح فلم يذكر شيئا من ذلك كله ! (٣٤) اتفق متى ومرقس ولوقا على أن الذى تسلم جسد المسيح ولفه في ثياب كتان ودفنه هو « يوسف » وصفه متى بأنه كان غنيا ومشيرا صالحا . وانفرد متى بأنه كان تلميذا ليسوع ومنتظرا ملكوت الله . وخالفهم يوحنا فأشرك معه « نيقوديموس » .

أرأنى قد مللت جدا من ايراد الأقوال المتخالفة في هذا الشأن من شئون المسيح -

بين بعض هذه الأناجيل وبعضها الآخر — وأظن أن القارىء قد مل كما مللت وسئم كما سئمت . ولو ذهبت في هذا الشوط أعدد هذا التضاد بين الأناجيل لأضعت وقتا ثميناً .

أقول : انى اعتمد على فطنة القارىء وأحيله على خاتمة هذه الأناجيل ليرى تخالفها أيضاً واضحاً في مسألة قيام المسيح من الأموات وصعوده الى السماء ، فانه — ان شاء الله — لا يجد رجلاً واحداً يذكر له أنه رآه قد قام من القبر وخرج منه وصعد الى السماء وهو ناظر ! وإنما سيجد « مريم المجدلية » و « مريم » الأخرى قد أتتا بحنوط وطيب لتحنطاً وتطيباً جسد يسوع فلم تجدها . ولا تسئل عن تخالف الأناجيل في هذه النقطة ! وهكذا .

وبعد كل ما قدمنا فهل يظن ظان أن « محمداً » صلى الله عليه وسلم هو الذى ابتدع مسألة نفى صلب المسيح وقتله من تلقاء نفسه ؟ ان « محمداً » صلى الله عليه وسلم لم يكن له غاية يريد ادراكها من نفى صلب المسيح وقتله ! بل اثباته لذلك أدخل في الباب الذى طرقة كثيراً — من أن اليهود كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق — فحادثة المسيح أدل على ما يدعيه اذا كان قد قتل حقيقة ، ولكنه ما كان ينفى أو يثبت الشئ من تلقاء نفسه وكما يشتهى ( ان هو الا وحى يوحى )

واذا نظرنا الى مسألة صلب المسيح وقتله لم نجد عند المسيحيين مسألة اجماعية . بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفى الصلب والقتل فمن القائلين بذلك « الساطرينوسيون » و « الكاربوكراتيون » و « الماركيون » و « البارديسيانيون » و « التاتيانيسيون » و « البارسكاليونيون » و « البوليسيون » وهؤلاء مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه : أن المسيح سمر فعلاً ومات على الصليب . وما ذكر هنا مقرر في تاريخهم « موسيهيم » الذى يدرس في مدارس اللاهوت الانجيلية .

ومن القائلين بأن الشخص المصلوب غير عيسى قطعاً وأنه لم تسلط عليه أيدي مضطهديه بل رفع الى السماء : طوائف « الدوسيتية » — والمرسيونية — والفلمنطانية .

وهنا شهادات من علماء النصرانية تفيد المطلع بصيرة :

الأولى — قال المسيو « ارادوارسيوس » الشهير أحد أعضاء « الانستيتودى فرانسى » فى باريس المشهور بمعارضة المسلمين فى كتابه « عقيدة المسلمين فى بعض مسائل النصرانية » صفحة (٤٩) ان القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه . وما قاله القرآن موجود عند طوائف منهم « الباسيليديون » كانوا يعتقدون بغاية السخافة أن عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى الشبه على «سيمون» السيرناى

تماما وألقى شبه « سيمون » عليه . ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه « اليهود »  
الغالطين . ومنهم « السرتيون » فانهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى . وقد عثر  
على فصل من كلام الحواريين واذا كلامه كلام « الباسيلدين » قد صرح انجيل « القديس »  
برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى انه « يهوذا » انتهى .

الثانية — قال « الهرارنست دى بونس » الألمانى فى كتابه « الاسلام أى النصرانية الحقّة »  
فى صفحة ١٤٢ ما معناه : ان جميع ما يختص بمسائل الصلب والقضاء هو من مبتكرات  
ومخترعات « بولس » ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لا من أصول النصرانية الأصلية .  
الثالثة — قال « ملن » فى الجزء الأول من كتابه المسمى « تاريخ الديانة النصرانية » ان  
تنفيذ الحكم كان فى وقت الفلس واسدال ثوب الظلام ، فيستنتج من ذلك امكان استبدال  
المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا فى سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم ، كما  
اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن انتهى .

تراجع ص ٢٨١ و ٢٨٢ من كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » .

### قيام المسيح من القبر

قال متى فى ص ٢٨ : (١) وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم  
الأخرى لتنظر القبر (٢) واذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج  
الحجر عن الباب وجلس عليه (٣) وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج (٤) فمن خوفه  
ارتعد الحراس وصاروا كالأموات (٥) فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أتما . فانى أعلم  
أنكما تطلبان يسوع المصلوب (٦) ليس هو ها هنا . لأنه قام كما قال . هلما انظرا الموضع  
الذى كان الرب مضطجعا فيه (٧) واذها سريعا وقولا لتلاميذه انه قام من الأموات . ها هو  
يسبقكم الى الجليل . هناك ترونه . ها أنا قد قلت لكما (٨) فخرجتا سريعا من القبر بخوف  
وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه (٩) وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه . اذا يسوع  
قال لهما سلام لكما . فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له (١٠) فقال لهما يسوع لا تخافا . اذهبا  
قولا لاختوتى أن يذهبا الى الجليل وهناك يروننى (١١) وفيما هما ذاهبتان اذا قوم من الحراس  
جاءوا الى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان (١٢) فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا  
وأعطوا العسكر فضة كثيرة (١٣) قائلين قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام (١٤) واذا  
سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين (١٥) فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم  
فشاع هذا القول عند اليهود الى هذا اليوم (١٦) وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا الى الجليل  
م - ٢٩ قصص الأنبياء

حيث أمرهم يسوع (١٧) ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا (١٨) فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دفع الى كل سلطان في السماء وعلى الأرض (١٩) فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (٢٠) وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر آمين .

١ — علم من أقوال متى أن امرأتين ذهبتا الى القبر عند فجر أول الأسبوع فقط لتنظرا القبر .

وأما مرقس فخلط في الوقت فقال ان الذهاب كان باكراً جداً ثم قال اذ طلعت الشمس وجعل من ذهب الى القبر ثلاث نسوة . (١) مريم المجدلية (٢) ومريم أم يعقوب (٣) وسالومة . وقال انهن ذهبن ليدهنه بالحنوط الذي اشتريته .

ولعمري من أين اشتريته واليهود لا يبيعون ولا يشترون في السبت ؟

وأما لوقا . فجعل شراء الحنوط قبل الدخول في السبت وأن الذهابات هن نساء كن حضرن مع يسوع من الجليل ومعهن أناس لم يبين عددهم وهل كانوا رجالاً أو نساء ؟ لم يبين ذلك وجعل منهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويونا . فزاد على المسين « يونا » وأنقص سالومة التي أثبتتها مرقس .

وخالف يوحنا فجعل الذهابة الى القبر مريم المجدلية وحدها . وأن الظلام كان باقياً ولم يذكر أن الشمس كانت أشرقت كما قال مرقس .

٢ — علم من متى أن المرأتين أتتا الى القبر والحجر مطبق على بابه وأن الملك نزل من السماء أمامها على الهيئة التي وصف .

وخالفه مرقس فقال ان اللائي ذهبن الى القبر تطلعن الى القبر فوجدن الحجر قد دحرج . وأما لوقا فوافق مرقس في أن النساء وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر قيل أن يأتين اليه .

وأما يوحنا — وهو الذي قال ان الذي ذهب انما هو مريم المجدلية وحدها — فقال انها نظرت الحجر مرفوعاً عن القبر .

٣ — يستفاد من متى أن الملك أخبر المرأتين بأن يسوع قام من الأموات وأنه يطلب لقاء تلاميذه بالجليل ، وأنهما نظرتا الى المكان الذي كان مضطجعا به . وخالفه مرقس فلم يذكر ملكاً وقال انهن رأين في القبر شاباً جالساً في القبر عن اليمين .

وخالفهما لوقا فقال انهن دخلن القبر ولم يجدن جسد يسوع ، وفيما هن متحيرات اذ وقف بهن رجل بشياب براقه وانهما قالاً لهن لماذا تطلبن الحي بين الأموات ؟ وأنه في الجليل .

وخالف يوحنا جميع هذه الأناجيل وقال ان مريم المجدلية رأت الحجر مرفوعا فعادت بسرعة الى سمعان بطرس والى التلميذ الذى كان يسوع يحبه وأخبرتهما قائلة أخذوا السيد من القبر !

٤ — يعلم من متى أن المرأتين لما انطلقتا لآخبار التلاميذ لقيهما يسوع وقال سلام لكما ... الخ :

وخالف مرقس . فذكر أنهم خرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاها ولم يقفن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات . وأنه ظهر أولا لمريم المجدلية وحدها فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ، فلما سمعوا أنه حى وقد نظرته فلم يصدقوا . وخالف لوقا فقال انهن ذهبن وأخبرن الرسل فلم يصدقوهن ، وانفرد لوقا بأن بطرس ركض الى القبر وانحنى ونظر الى الأكفان وحدها فتعجب بما كان . وأما يوحنا فجعل وصول الخبر الى التلاميذ على لسان مريم المجدلية وحدها ، وأن من ركض الى القبر اثنان : بطرس والتلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه . وقد سبق هذا صاحبه فنظر الى الأكفان فى القبر ولم يدخل ودخل بطرس بعد أن جاء الى القبر ، ثم بعد ذلك دخل التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فأمن .

ثم أتى يوحنا بمريم المجدلية الى القبر مرة ثانية وأنها كانت واقفة تبكى ثم انحنت ونظرت فى القبر فنظرت ملاكين بياض جالسين واحدا عند رأسه والآخر عند رجليه ، وسألاها عن بكائها فقالت أنهم أخذوا سيدي ولا أعلم أين وضعوه ، ولما قالت ذلك التفتت فرأت يسوع ولم تعلم أنه هو وظنته البستاني وقالت له : يا سيد ان كنت حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه ؟ وأن يسوع قال لها : يا مريم ! فالتفتت وقالت له « ربونى » الذى تفسيره « يا معلم » .

٥ — ذكر مرقس أنه ظهر لاثنتين بهيئة أخرى فأخبر التلاميذ فلم يصدقوا ، وذكر لوقا أن اثنتين كانا منطلقين الى بلدة « عمواس » فاقتربا اليهما يسوع ومما يتحاوران فيما كان من حادثة صلب المسيح وقتله وقيامه من الأموات وقد أمسكت أعينهما عن معرفته ، فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما الذى اسمه « كليوباس » وقال له : هل أنت متغرب وحدك فى اورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام ؟ فقال لهما : وما هى ؟ فقال : المختصة بيسوع الناصرى — الذى كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب — كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ونحن نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل ، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدوث ذلك ، بل بعض النساء منا حيرتنا اذ كن باكرا عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين

قائلات انهن رأين منظر ملائكة قالوا انه حى ! ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا كما قالت النساء ! وأما هو فلم يروه فوبخهما قائلاً أيها الغبيان والبطينا القلوب بجميع ما تكلم به الأنبياء . وفسر لهما الأمور الغامضة من موسى وجميع الأنبياء وأنهما شددوا عليه في أن يميل معهما ففعل ولما اتكأ أخذ خبزا وكسره وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما .

وقد انفرد لوقا بهذه الحكاية وهي تؤيد ما قاله أهل الاسلام ونطق به القرآن .  
وجاء في انجيل برنابا أن المسيح شبه لليهود وتغيرت هيئته حتى خفى عن « كليونباس » ورفيقه ولم يعرفاه حتى كسر الخبز وناولهما فأكلاه فانفتحت عيونهما .

من ذلك كله لا نجد شاهدا واحدا من الرجال ولا من النساء — سواء أكان موافقا للمسيح أو منافيا له — قد شاهد المسيح وهو في القبر وشاهده يخرج منه . وانما يقول الذين يزعمون أنهم شاهدوه انهم رأوه خارج القبر ، وهو يشهد لأهل الاسلام أن الذى قتل سواء ، وأما هو فقد ظل سليما معافى مبرا من الوقوع في أيدي أعدائه . وأقتصر على هذا القدر تاركا ما بقى من التضارب والتضاد بين الأناجيل في المحسات وحسبى الله وكفى .

## المسيح عيسى ابن مريم

### عبد الله ورسوله

جاء في القرآن الكريم أن عيسى عبد الله ورسوله ، وليس هو الله ولا ابنا الله .

اقرأوا هذه الآيات :

سورة البقرة : وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ [١١٦]

سورة آل عمران : إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [٥٩]

سورة النساء : وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ..... [١٥٧]

ومنها أيضاً : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا [١٧١] لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا [١٧٢]

**سورة المائدة :** لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا [١٧]

ومنها أيضاً : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [٧٢] لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ مَلَائِكَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٧٣] أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٧٤] مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [٧٥]

**سورة الانعام :** بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١٠١]

**سورة مريم :** قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا [٣٠] وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا [٣١] وَبِرَّاءٍ بَوَالِدَيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا [٣٢] وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [٣٣]

**سورة الفرقان :** الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا [٢]

**سورة الزخرف :** إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ [٥٩] وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ [٦٠] وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [٦١]

**سورة الصف :** وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [٦]



**سورة الاخلاص:** قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [١] اللَّهُ الصَّمَدُ [٢] لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ [٣] وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [٤]

هذا بعض ما جاء في القرآن الكريم وكله ناطق بما قلت في صراحة لا تحتمل التأويل .  
وقد جاء مثل ذلك في الأناجيل وكتب العهد الجديد كما سيأتى .

أما جماعة النصارى فقد خلقوا لهم عقيدة هى أن الله مركب من ثلاثة أقانيم : الآب والابن والروح القدس . وهذه كلها واحد . فانهدر الله الذى هو الأب أو الابن — على اختلاف أقوالهم — وحل في مريم وتجسد انسانا وولد منها وهو « يسوع » الى آخر ما يقولون .

وهذا الكلام لم يقله المسيح ولم يعلم به ، ولكن المسيحيين لما أذاعوا المسيحية بين الوثنيين — الذين كانوا يدينون بالأقانيم وتجسد الآلهة والصلب والفداء ودخلوا في المسيحية حاملين لتلك العقيدة — أحبوا أن يوفقوا بين ما ألفوه من عقيدة وبين هذا الدين الجديد ، وأخذوا يؤلهون المسيح ويقولون ان الله انهدر منه « أقنوم الابن » المتحد مع « الأب » و « الروح القدس » وتجسد في رحم « مريم » ثم خرج انسانا لها . ولهم في هذا الباب أقوال لا يقولها سواهم . فهذه هى العوامل التى آلت بهم الى عبادة المسيح — رغم أنه — وقد جاء في القرآن كثير من الآيات في الرد عليهم .

اقرأوا الآيات الآتية :

**سورة النساء:** لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَهِهُ جَمِيعًا [١٧٢]

**سورة المائدة:** لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١٧]

ومنها أيضاً : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [٧٢]

ومنها أيضاً : مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَتَا كِلَانِ الطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [٧٥]

سورة التوبة : وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ  
يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَلَّا يُؤْفَكُونَ [٣٠]

ومنها أيضاً : اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٣١]

ومنها أيضاً : يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ [٣٢]

سورة مريم : ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ [٣٤] مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ  
مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [٣٥] وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا  
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [٣٦]

سورة الزخرف : وَمَا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ [٥٧]

سورة الصف : وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا  
هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ [٦]

يقولون هذا في حين أن المسيح يرفض ذلك ويعترف أنه عبد يعبد الله تعالى ، ويفعل مشيئته  
وهذه الأناجيل التي صنعوها والرسائل التي كتبها قديسوهم تنطق عليهم بالحق وتثبت أنه  
عبد رسول . واليكم الشواهد على ذلك :

(١) في يوحنا ص ١ (٥١) من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء يصعدون وينزلون  
على ابن الانسان — فاعترف بأنه ابن انسان وليس ابنا لله ولا هو الله .

(٢) يوحنا ص ٤ (٦) يسوع قد تعب من السفر . ومحال أن يتعب الله الذي بقوته قامت  
السموات والأرض وما فيها !

(٣) يوحنا ص ٣ (٢٦) فجاءوا الى يوحنا المعمدان وقالوا له : يا معلم هو الذي كان معك  
في عبر الأردن ، الذي أنت قد شهدت له هو يعمد الجميع يأتون اليه ، أجب يوحنا وقال  
لا يقدر انسان أن يأخذ شيئاً ان لم يكن قد أعطى من السماء أأنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت  
لست أنا المسيح بل أنى مرسل قدامه .

فأنتم ترونه قد شهد على المسيح بأنه انسان وأنه لا يقدر أن يأخذ شيئاً ان لم يكن قد أعطى من السماء ، وبأنه المسيح . وقال عنه في ٣٠ : ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص . ومعلوم أن الاله لا يزيد ولا ينقص .

(٤) يوحنا ص ٣ (٣٤) لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح . فأنتم ترون أن يحيى جعل المسيح رسولا لله يتكلم بكلام الله .

(٥) يوحنا ص ٤ (٣٤) قال لهم يسوع طعمى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله — وهنا شهد بأنه رسول يعمل مشيئة الذى أرسله .

(٦) يوحنا ص ٤ (٤٤) لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه — وهذا صريح في نبوته وأنه كسائر الأنبياء لا يلقون الكرامة في أوطانهم وانما يقوم بنصرهم البعداء .

(٧) يوحنا ص ٤ (١٩) قالت له الامراة يا سيد أرى أنك نبي (٥٢) أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى . فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء قال لها يسوع أنا الذى يكلمك هو — وذلك يثبت أنه نبي وأنه المسيح الذى وعدوا به .

(٨) يوحنا ص ٥ (١٩) لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً الا ما ينظر الأب يعمل — وهذا مثل ضربه لعلمه الذى يأتى به وأثبت به أنه لا يقدر أن يعمل عملاً الا ما علمه الله أن يعمل .

(٩) يوحنا ص ٥ (٢٤) الذى يرانى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية فاعترف بأنه يرى . ومعلوم أن الله لا يرى واعترف بأنه رسول .

(١٠) يوحنا ص ٥ (٣٠) أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً . لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذى أرسلنى .

(١١) يوحنا ص ٥ (٤٤) كيف تقدر أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض والمجد الذى من الاله الواحد لستم تقبلونه .

(١٢) يوحنا ص ٦ (١٤) ان هذا هو بالحقيقة النبي الآتى الى العالم .

(١٣) يوحنا ص ٦ (٢٩) أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله .

(١٤) يوحنا ص ٦ (٢٨) لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذى أرسلنى وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلّف منه شيئاً ، بل أقيمه في اليوم الأخير لأن هذه هي مشيئة الله الذى أرسلنى .

(١٥) يوحنا ص ٦ (٤٤) لا يقدر أحد أن يقبل الى ان لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى —

فتبين من هذه العبارة انه يقول ان الهداية انما تكون من الله وانى عبد رسول ليس لى من الأمر شيء .

(١٦) يوحنا ص ٧ ( ١٦ — ١٨ ) أجابهم يسوع وقال تعلّمى ليس لى بل للذى أرسلنى ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسى . من يتكلّم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم .

(١٧) يوحنا ص ٧ (٢٨) فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلاً تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق .

(١٨) يوحنا ص ٧ (٣٣) فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى .

(١٩) يوحنا ص ٧ (٤٠) وكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبى . آخرون قالوا — اهو المسيح — والمسيح لم يهدم الى الصواب بأنه الله أو ابن الله .

(٢٠) يوحنا ص ٧ ( ٥١ ) فتش وانظر انه لم يقيم نبى من الجليل . فرؤساء الكهنة والفريسيون ينكرون عليه ما يدعيه من أنه نبى .

(٢١) يوحنا ص ٨ (٢٦) الذى أرسلنى هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم .

(٢٢) يوحنا ص ٢٨ (٨) ولست أفعل شيئاً من نفسى بل أتكلّم بهذا كما علمنى أبى والذى أرسلنى هو معى .

(٢٣) يوحنا ص ١١ (٤٢) ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى .

(٢٤) يوحنا ص ١٢ (٢٨) أيها الآب نجنى من هذه الساعة — والاله لا بد أن يكون تام القدرة ومن العجز أن يطلب النجاة من سواه بل طالب النجاة مقر بالعبودية والافتقار الى من ينجيه .

(٢٥) يوحنا ص ١٣ (٤٩) لم أتكلّم من نفسى بل الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلّم .

(٢٦) يوحنا ص ١٣ (١٦) ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله .

(٢٧) يوحنا ص ١٤ (١٦) وأنا أطلب من الآب فيعطىكم « معزيا » آخر وفى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤٤ وأطلب من الآب فيعطىكم « فار قليطا » آخر .

## حجة المسيحيين في إلهية المسيح

يتمسك المسيحيون بأن المسيح اله وابن اله . بألفاظ وردت في بعض الأناجيل التي صنعوها مثل اطلاق لفظ « ابن الله » عليه . وهو دليل واه واهن لأن هذا الاطلاق معارض باطلاقة « ابن الانسان » على نفسه وباطلاق « ابن داود » على نفسه أيضا ، فلا بد من حمل هذا الاطلاق على معنى لا يتنافى مع ما ثبت من جلال الله وتنزهه عما لا يليق به .

معلوم أن لفظ « الابن » بمعناه الحقيقي باتفاق لغات أهل العالم أنه المتولد من نقطة « الأب » الملقحة لبيضة « الأم » وذلك محال على الله أن تكون له صاحبة أو يوجد له ولد يتولد من نطفته — تعالى عما يقولون — فلا بد من الحمل على معنى مجازى يناسب شأن المسيح عيسى بن مريم بحيث لا يحط من قدر الله ولا يرفع المسيح فوق قدر نفسه .

(١) ومن قارن بين ص ١٥ (٩) مرقس — ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صريح هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الانسان بارا — علم أنهم كانوا يطلقون على « البار : ابن الله » بلا فارق بين المسيح وغيره .

وقد كانوا يستعملون لفظ « ابن الله » في حق الصالح كما يطلقون ابن « ابليس » على الطالح .

(٢) متى ص ٥ (٩) طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون (٤٥) باركوا لأعينكم احسنوا الى مبغضيكم صلوا للأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم (٤٦) لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات .

(٣) وفي يوحنا ص ٨ (٤١) أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا اتنا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله (٤٢) فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني (٤٤) أنتم من أب هو « ابليس » وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب فانما يتكلم بماله لأنه كذاب وأبو الكذب — وهو انما يريد أنتم عاينون الله مطيعون للشيطان .

(٤) الرسالة الأولى ليوحنا ص ٣ (٩) كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله (١٠) بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس . (٥) ص ٤ (٧) كل من يجب فقد ولد من الله .

(٦) ص ٥ (١) كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يجب الوالد يجب المولود منه (٢) بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله اذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه .

(٧) يوحنا ص ٢٠ (١٧) لا تلمسيني لأنني لم أصدق بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى اخوتي وقولي لهم اني أصدق إلى أبي وأبيكم والهي والهكم .

(٨) يوحنا ص ١٤ (٢٨) ان أبي أعظم مني .

(٩) متى ص ٨ (٢٠) فقال يسوع : للشعاب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه .

(١٠) متى ص ٩ (٦) ولكن لكي تعلموا أن لابن الانسان سلطانا على الأرض لكي يرفع الخطايا .

ولو كان كل من يسميه الله ابنا يحمل على البنوة الحقيقية ويكون لها مستوجبا للعبادة .  
لكان كل بني اسرائيل آلهة لأن الله أطلق على شعب اسرائيل قول ابني .

ص ٤ خروج (٢٢) وتقول له هذا ما يقول الرب ابني بكرى اسرائيل (٣٣) فقلت لك اطلق ابني ليعبدني .

مزمور ٨٨ (٢٠) وجدت داود عبدي فمسحته بدهن قدسي (٢٦) وهو يدعوني أنت أبي والهي وناصر خلاصي (٢٧) وأنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الأرض .

أرمياص ٣١ (٩) اني صرت أبا لاسرائيل وأفرايم هو بكرى .

صمويل ثان ص ٧ قول الله في حق سليمان « وأنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا » .  
وانى أقتصر على ذلك وأورد هنا ما ورد في دائرة المعارف للبستاني في ثلاث كلمات هن أساس العقيدة المسيحية وهن لفظ « ثالث » ولفظ « روح » ولفظ « ابن » ليتبين القارىء أن العقيدة التي كان يعتقدوها المسيح كانت توحيداً صرفاً مبرءاً عن عقيدة التثليث وعن ادعاء الالهية .

## الثالث

كلمة تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم معا في اللاهوت تعرف « بالآب والابن والروح القدس » وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت — الاماندر — والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون إلى أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس . وقد أضاف « اللاهوتيون » إليه شروحا وإيضاحات اتخذوها من تعاليم المجاميع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العظام . وهي تبحث عن طريقة « ولادة الأقبوم الثاني وانبثاق الأقبوم الثالث » وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة وألقابهم .

ومع ان لفظة « ثالث » لا توجد في الكتاب المقدس — ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالث — قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير الى وجود صورة جمعية في اللاهوت . ولكن اذ كانت تلك الآيات قابلة لتفسير مختلفة كانت لا يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالث . بل كرموز <sup>(١)</sup> الى الوحي الواضح الصريح الذى يعتقدون أنه مذكور في العهد الجديد . وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لاثبات هذا التعليم : ( أحدهما ) الآيات التى ذكر فيها « الآب والابن والروح القدس » معا . (والآخر) التى ذكر فيها كل منهم على حدة . والتى تحتوى على نوع أخص صفاتهم ونسبة أحدهم الى الآخر .

والجدال عن الإقائيم في اللاهوت ابتدأ في العصر الرسولى . وقد نشأ على الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسيين . فان « ثيوفيلوس — أسقف أنطاكية » في القرن الثانى استعمل كلمة « ثرياس » اليونانية . ثم كان « ترتليانوس » أول من استعمل كلمة « ترينيتاس » المرادفة لها ومعناها « الثالث » وفي الأيام السابقة للمجمع النيقاوى حصل جدال مستمر في هذا التعليم وعلى الخصوص في الشرق ، وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بأنها « أراتيكية » <sup>(٢)</sup> ومن جملتها « الأبيونيين » الذين كانوا يعتقدون أن المسيح انسان محض « والسابليين » الذين كانوا يعتقدون أن « الآب والابن والروح القدس » انما هى صور مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس « والآريوسيين » الذين كانوا يعتقدون أن « الابن » ليس أزليا كالآب ، بل هو مخلوق منه قبل العالم . ولذلك هو دون الآب وخاضع له « والمكدونيين » الذين أنكروا كون الروح القدس اقنوما .

وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد . ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بأن « الابن والروح القدس » مساويان للآب في وحدة اللاهوت ، وأن « الابن » قد ولد منذ الأزل من الآب . وأن « الروح القدس » منبثق من الآب . ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بأن « الروح القدس » منبثق من الابن أيضا !

وقد قبلت الكنيسة اللاتينية بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها . وأما الكنيسة اليونانية — فمع أنها كانت في أول الأمر ساكتة لا تقاوم — قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة . وعبارة « ومن الابن أيضا » لا تزال من جملة الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية .

(١) تناقض واضح اذ كيف يكون « رمزا » ثم صريحا ؟

(٢) متطرفة أو الحادية .

وكتب اللوثرين والكنايس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير . ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة — كالسوسيلانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم — حاسبين ذلك مضادا للكتاب المقدس والعقل . وقد أطلق « سويد نبرغ » الثالوث على أقنوم المسيح معلما بـ « الثالوث » ، ولكن لا ثالوث الأقانيم بل ثالوث الأقنوم . وكان يفهم بذلك ان ما هو الهى فى طبيعة المسيح هو « الآب » وان الالهى الذى اتحد بناسوت المسيح هو « الابن » وأن الالهى الذى انبثق منه هو « الروح القدس » .

واتشار مذهب العقلين — فى الكنايس اللوثرية والمصلحة — أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين الجرمانيين .

وقد ذهب « كنت » الى أن « الآب والابن والروح القدس » انما تدل على ثلاث صفات أساسية فى اللاهوت وهى « القدرة والحكمة والمحبة » أو على ثلاثة فواعل « وهى الخلق والحفظ والضبط » وقد حاول كل من « هيجين ، وشلنغ » أن يجعلوا لتعليم الثالوث أساسا تخيليا ! وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية ! وبعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحي لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأى الكنائسية بالتدقيق — كما هى مقررة فى مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين — وقد قام محامون كثيرون فى الأيام المتأخرة لمعضد آراء « السابيليين » على الخصوص .

## ابن

هى بالانكليزية « سن » وبالفرنسوية « فى » وهى لفظة اضافية تطلق على الولد الذكر لأب أو أم يقال : ابن فلان كما يقال ابن فلانة ، قيل معناه : أنه يبنى على ما بنى أبوه ، شبه الأب بالأس . الابن بما يبنى عليه ، ويستعار الابن فى كل شئ صغير فيقول الشيخ للشاب الأجنبى يا ابنى ، ويسمى الملك رعيته الأبناء ، وكان الأنبياء فى بنى اسرائيل يسمون أممهم أبناء ، والحكماء والعلماء يسمون المتعلمين منهم أبناءهم ، وكذا خدمة الدين عند أكثر الأمم يسمون قومهم بالأبناء ، وقد يكنى بالابن فى بعض الأشياء لمعنى الصاحب كابن عرس وابن مائن على الاستعارة والتشبيه ، ويقال أيضا لكل ما يحصل من جهة شئ أو تربيته أو كثرة خدمته أو قيامه بأمره أو توجهه اليه أو اقامته عليه هو ابنه ، كما يقال أبناء العلم وأبناء السبيل وأبناء الدنيا وهلم جرا .



## روح

وقال « بوسوى : الكاثوليكي الرومانى » عن الروح القدس : ان الروح القدس المنبثق من « الآب والابن » هو من نفس جوهرهما ؛ فهو معهما اله واحد ( راجع ثالث ) واعترض كثيرون من الأريوسيين والمكدونيين وغيرهم على لاهوت روح القدس . واختلفت الآراء وتباينت من « جرى » التعليم بلاهوته — وقال « الأريوسيون والمكدونيون » والذين ذهبوا مذهبهم : ان الروح القدس انما هو مخلوق كالملائكة ولكنه أرفع درجة منهم . وقال « مارأتونيوس » ان روح القدس مستعمل مجازا يكتنى به عن أفعال الله — وسمى أصحاب هذا القول فى الكتب الدينية بالمجازين . ولم يسموا الروح القدس « الله » وجعلوا له صفات الالهية — وقال « كلارك » وهو من العلماء الحديثين : ان الروح القدس لم يدع « الله » فى الكتب المنزلة !! وقال « أثناسيوس » ان كلمة الروح القدس استعملت اسما لله . وبالعكس نسب الى الروح ما لا ينسب الا الى الله كتقديس الأنفس ومعرفة جميع الحقائق . وغير ذلك . وبين أن القول بالمجاز فى غير محله .

وأما السوسينيون أو « البوسينيانيون » فقالوا ان الكنيسة لم تعتقد ألوهية الروح القدس قبل المجمع القسطنطينى الذى شجب المكدونيين سنة ٣٨١ . ورد عليهم بقول « ماريوستينا فوس » فى القرن الثانى : اتنا نعبد الاله الحقيقى الآب والابن والروح « النبوى » وبما كتبه « اكليمنضس الاسكندرى » فى القرن الثالث خاتما به كتابه لتهديب الأولاد وتعليمهم — وهو التضرع الى الأقانيم الثلاثة — وقالوا : ان جميع معلمى الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى اعتقدوا ألوهية الروح القدس . وجمع « مارياسيليوس » شهادتهم بذلك فى كلامه على الروح القدس . وذكر اعتقاد ألوهيته فى « الدسولجيا » — وهى ترنمة قديمة المهد تاريخ نظمها مجهول — ويستدل عليها بالتغطيس ثلاث مرات فى المعمودية . وباستنزاء الأمم الوثنية القديمة بالمسيحيين لاعتقادهم الثالث .

وقال « مولت » لفيلوباترس على سبيل الانتقاد ان الاله الحقيقى عند النصارى هو فى ثلاثة والثلاثة فى واحد — الاله السائد ، وابن الأب ، والروح الذى ينبثق منه — وهكذا كان الوثنيون يتهمون النصارى بعبادة ثلاثة آلهة .

واعترض بعض العلماء على ألوهية الروح القدس ؛ بالقول « ان اعتقادها لا يقبله العقل » ( فقال المكدونيون ) لا ندرك ما هو الروح القدس فى الجوهر الالهى ؛ فلا بد أن يكون مولودا أو غير مولود . فاذا لم يكن مولودا فما الفرق بينه وبين الأب ؟ واذا كان مولودا فبماذا يمتاز

عن الابن فقالوا بأنه مولود من الابن فقط ؟ ( فرد عليهم مارثاناسيوس ) بأنه لم يدع الروح القدس في الكتب المنزلة « ابنا » ولكنه دعى « روح الآب وروح الابن فقط » والادراك البشرى يعجز عن كشف أكثر من ذلك . وقال : من المحال أن نعتبر الروح القدس مخلوقا ، لأننا نجعله باعتباره كذلك شيئا غير مساو للآب والابن متحدا معهما . ولا نسلم أن التوليد هو الوسيلة الفريدة للانبثاق من الآب والابن ، ونسلم بجهل الفرق بين التوليد والانبثاق من الآب والابن ، ونسلم بجهل الفرق بين التوليد والانبثاق . ولكن التوليد والانبثاق أبديان لازمان . ولا يأتيان بشيء من غير الجوهر المولد والباقي فلا ينبغي أن نخلطهما بالاعتقاد كالفلاسفة القدماء من جهة صدور الأرواح !

وفي دستور الايمان على رأى المجمع القسطنطينى ان الروح منبثق من الآب . وبعد سنة ٤٤٧ قالت كنيسة « اسبانيا » ثم « الغلية » أى فرنسا ثم جميع الكنائس اللاتينية أنه منبثق من الآب والابن . وهذه الاضافة من الأسباب التى جعلت البطريرك « فوتيوس ٨٦٦ » والبطريرك « ميخائيل كرولاوريوس — سنة ١٠٤٣ » يروجان انفصال الكنيسة اليونانية الشرقية عن اللاتينية أى الغربية .

وقال الروم الأرثوذكس وغيرهم : ان رؤساء الكنائس اللاتينية غيروا تعاليم المجمع القسطنطينى واتهموها بالتزوير وأوسعوها طعنا وقذفا ( فأجابت ) أنها غيرتها جهارا للتوضيح . والخصام الناشئ عن ذلك قديم العهد فترى آثاره فى المجمع الذى عقد سنة ٧٦٧ وبحث عنه فى مجمع « اكس لاشابل : سنة ٨٠٩ » وتجدد فى المجمع « اللاترانى الرابع سنة ١٢١٥ » وفى مجمع « لون الثانى سنة ١٢٧٤ » وفى مجمع « فلورنسا سنة ١٤٧٩ » :

وأما الروم الأرثوذكس فقالوا : انهم حافظوا على القديم ورفضوا الحديث .

ويسمى « الروح القدس » غالبا فى العهد القديم أى التوراة : روح الله وروح الله القدس كما فى « مز ٥١ : ١١ وأشعيا ٥٨ : ١٠ و ١١ » أو روح الرب الصالح « مز ١٤٣ : ١٠ ونحميا ٩ : ٢٠ » وفى الانجيل الروح أو روح القدس أو روح الله أو روح الرب أو روح يسوع المسيح كما فى « مت ٣ : ١٦ وأعمال ٥ : ٩ وفيلبى ١ : ١٩ » وغيرها .. الخ الخ .

### موقف للمسيح لم يذكر فى القرآن

ومما يتعلق بقصص المسيح موقف لم يذكر فى القرآن الكريم وانما ذكر فى الاناجيل .

قال متى ص ٢١ (١) ولما قربوا من اورشليم وجاء الى بيت « فاجى » عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما اذهبا الى القرية التى أمامكما فتلوقتا جحشاً أنانا مربوطة

وجحشا معها ، فحلاهما وأتياني بهما وان قال لكما أحد شيئا فقولوا الرب محتاج اليهما فلولوتم يرسلهما . فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبي القائل « قولوا لابنة صهيون . هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان » فذهب التلميذان وفعلا كما أمر يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعوا عليهما ثيابهما فجلس عليهما ، والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق ، وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق ، والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب أوصنا في الأعالي . والمتأمل فيما جاء بانجيل متى هذا وما جاء في الأنجيل الأخرى يرى تناقضا ظاهرا .

(١) يقول متى انه أرسل تلميذين فأتياه بجحش وأتان وألقى التلميذان عليهما ثيابهما فجلس عليهما — وأنا لا أدري ولا مؤلف الانجيل المذكور يدري ولا المنجم يدري — كيف يركب المسيح الأتان والجحش معا ؟ وينتظمهما في جلسة واحدة !

(٢) أما مرقس . فكان ذا لباقة وكياسة . فقد كذبه وقال انه أرسلهما ليأتياه بجحش فقط فأتيا به ووضعوا ثيابهما عليه وجلس عليه ودخل أورشليم .

(٣) كان لوقا كمرقس فذكر أنه انما ركب جحشا فقط بعد أن أرسل تلميذين فأحضراه .

(٤) وأما يوحنا ؛ فانه كذب الأنجيل الثلاثة في أنه أرسل واحدا الى القرية ليأتيه بالأتان والجحش — كما زعم متى ، أو بالجحش كما ذكر كل من مرقس ولوقا — بل قال انه وجد جحشا فركبه ودخل به أورشليم .

(٥) عبارة لكى يتم ما قيل بالنبي القائل « قولوا لابنة صهيون » الخ التى جاءت في متى لم يذكرها من بقية الأنجيل سوى يوحنا بعبارة تغاير عبارة متى ونصها « لا تخافى يا ابنة صهيون هو ذا ملكك يأتى جالسا على جحش أتان » .

فاختلاف الأنجيل في هذه الحادثة القصيرة هذا الاختلاف الفاحش وتناقضها فيه يدعو التارىء الى اعتقاد أحد أمرين ؛ اما أن تكون هذه المسألة لم تحصل — فلا المسيح أرسل الى أتان وجحش ولا الى جحش ولا ركب على شيء من ذلك — ولكن المسيحين رأوا هذه العبارة في كتاب نبي من الأنبياء فأتوا بها ليدلوا على أن المسيح تكلم عنه الأنبياء بشيء ، وتم ما أخبروا به على الوجه الذى نصوه . واما ان يكون المسيح قد صنع الأمر على وجه من تلك الوجوه التى ذكروها ويكون أحد الانجيليين المتناقضين كاذبا والآخر صادقا .

وبعد هذا فمن هو النبي الذى جاء في كتابه هذه العبارة « قولوا لبنت صهيون الخ » ؟ والجواب : أن النبي — الذى ذكر هذه العبارة في كتابه — هو زكريا عليه الصلاة

والسلام فى ص ٩ : ٩ « ابتهى جدا يا ابنة صهيون اهتفى يابنت اورشليم هو ذا ملكك يأتى اليك ، هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » وبعد ذلك كله فمن هو الملك الذى جاء الى اورشليم ؟ ودخلها منصورا وكان عادلا ومتواضعا وراكبا على جحش ابن أتان ؟

وهل بدخول المسيح اورشليم على الوجه الذى ذكرته الأناجيل تكون النبوة قد تحققت ؟ والجواب : أن النبوة لا تحقق الا بوجود رجل له صفة الامرة قد قهر أعداءه ودانوا له بالطاعة . وعلى أثر ذلك أتى الى اورشليم بهيئة المتواضع راكبا حمارا لا كالمملوك الجيارين . والمسيح لم يدخل اورشليم على هذا الوجه فليس له صفة الامرة على أهلها وليس له كلمة نافذة فيهم . فهو فرد من أفراد الرعية الرومانية لا أكثر ولا أقل .

وقد علم الخاص والعام ما صنعه معه أهل اورشليم بعد ذلك بأيام قليلة فليس هو الذى تنبأ عنه زكريا ، ولا تتحقق نبوة زكريا بدخول اورشليم على جحش ! ولا على أتان وجحش ! وأما الشخص الذى تحققت به هذه النبوة بالفعل فهو « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه اذ خرج من المدينة راكبا على حمار حتى وصل الى معسكر الاسلام بالجابية ، فخرج اليه أهل اورشليم واعتقدوا منه صلحا ، وبعد تمام الصلح دخل الى اورشليم راكبا حماره الذى أتى عليه من المدينة وهو صاحب الأمر والنهى فى « صهيون وأورشليم » والكلمة العليا بعد الله له والطاعة طاعته . وأما وداعة عمر وعدله وتواضعه فهى مضرب المثل الى اليوم ، وبدخوله تحققت نبوة زكريا عليه السلام .

جاء فى « الطبرى » فى أنباء سنة ١٥ هجرية بصفحة ١٥٨ من الجزء السابع ما نصه :  
وجميع ما خرج عمر الى الشام أربع مرات ؛ فأما الأولى : فعلى فرس . وأما الثانية : فعلى بعير . وأما الثالثة : فقصر عنها ان الطاعون مستمر . وأما الرابعة : فدخلها على حمار . فاستخلف عليها وخرج .

ومعلوم أن عمر لم يكن يدرى ما قاله زكريا ولا علم له به ، وانما جاء لغرض معاونة « عمرو بن العاص » على فتح تلك البلاد التى تعذر عليه فتحها ، فخرج من المدينة على حماره الى فلسطين غير متعمد لذلك . ولم يقصد تفسير نبوة زكرياء .

والذين حضروا أيام الحرب العظمى يعلمون أن « اللورد ألبانى » أمر بجمع الحمر الجيدة فى مصر وذلك حين أشرف على فتح بيت المقدس ليمثل هو وضباطه دخول المسيح الى بيت المقدس على حمار .

وأما اليهود فانهم ينتظرون مسيحا - أى ملكا - يأتى الى اورشليم على حمار ويعيد لهم ملك داود وسليمان تبتهج به اورشليم وصهيون .

وأما المسلمون فينتظرون مسيحا دجالا خرافيا يكون أعور وله حمار عجيب ما بين أذنيه أربعون ذراعا أو سبعون ذراعا وفى يده جنة ونار ويدعى الالهية ويدعو الناس الى عبادته ويفتنهم عن دينهم ، ويدخل كل بلد وكل مدينة الا مكة والمدينة وبيت المقدس ، ويفعل خوارق العادات وتم له . ويحارب المهدي المنتظر وينزل عيسى فى تلك الأيام من السماء ويقتل الدجال بعد ذلك بمعاونة عيسى للمهدي الخ .

## مسائل

( الاولى ) جاء فى التقرير الثانى وهو الذى كتبته اللجنة الثانية . مسألة صاحب موسى وهل هو شعيب أو غيره ؟ وقد أخذت اللجنة على انى جعلت شعيبا بعد زمن موسى .

أقول : ان الواجب اسقاط هذه المسألة لانى قد أصلحت ذلك القول اذ نهىنى عليه الاستاذ « الشيخ عبد الفتاح خليفة » فعمدت الى المزمرة التى فيها هذا الكلام فأعدت طبعها بعد ان أصلحت الكلام على صاحب موسى الذى صاهره ، وقلت ان الفضل فى ذلك للشيخ عبد الفتاح خليفة - فقد دخلت هذه المسألة فى خبر كان ولم يبق لها اثر من قبل ان يظهر نقدهم .

( الثانية ) جاء فى ذلك التقرير ما نصه « رابعا : تجويزه ان تكون ولادة عيسى من مريم بصورة تؤدى الى ان له ابا » الخ ثم نقلوا كلامى من صفحة ٢٧١ أقول : ما كنت اظن ان يدور فى خلدى اننى سأحتاج الى ان أشرح لحضرات اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة « من هو الاب » فالآب عند كل الناس : هو الذكر البالغ من بنى آدم الذى غشى امرأة قد بلغت الحيض ، وعمل معها العمل الجنسى : واستقر منيه فى رحمها ، وتخلق من ذلك المنى - بواسطة التلقيح لبويضات تلك المرأة - انسان . فاذا تمت أيامها وجاءت بذلك الولد كانت هى أما له ، والذى فعل معها الفعل الجنسى يكون ابا له . فاذا كان متزوجا منها من قبل ذلك او لم يكن متزوجا منها وادعاه - وهى فارغة - فهو الاب عرفا وشرعا واذا كان غير متزوج منها ولم يدعه كان ابا له فى الواقع وان لم يكن ابا شرعيا ! فهل ادعيت ان مريم قد غشيتها رجل وهى بالغ واقرب منيه فى رحمها وتخلق من ذلك عيسى ؟ كلا ! ومع ذلك فقد أقررت اعينهم وحذفت تلك العبارة .

( الثالثة ) ما نقلته فى صفحة ٣٨٢ من كتابى عن « انجيل برنابا » من ان يوسف النجار كان عشيرا لمريم من غير سوء ، وقلت ان ذلك غير مخالف للقرآن .

أقول : ان هذا القول جاء فى كتاب كله دفاع عن مريم عليها السلام وعن المسيح وعن الاسلام من قبل ان يوجد الاسلام ، فصاحبه حريص كل الحرص على كرامة مريم ، واتخاذ العشير قبل الزواج امر موجود بين اليهود الى اليوم ، وهو الخطيب الذى يعاشر المرأة بدون اتصال جنسى . حتى اذا رضيتها وعقد بينهما الزواج ، وهذا شيء لا ضرر منه ولا يوجب هجنة على الرجل ولا على المرأة ولا على أهلها وعشيرتها ، لأن ذلك لا يكون فى الخفاء بل يكون ظاهرا أمام الناس .

وقد عابت اللجنة انى أقررت هذه القصة التى اعتبرت مثارا لاتهام اليهود . أقول : عجا ! ان اليهود اذا رأوا ذلك لا يتهمونها ، بل هذه المسألة من دواعى التخفيف عنها اذ لا أسهل عليها من أن تدعى انها تزوجته .

وانى اتحدى حضراتهم ان يأتونى من القرآن بما يثبت ان مريم لم تخطب لاحد اصلا قبل ان تاتى بعيسى ! فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فلا حق لهم فى الاعتراض على .

أما أنا فأرى أن الدجال رجل يقيمه اليهود « مسيحا » أى ملكا يرجون أن يعيد لهم مملكة داود وسليمان ، يركب حمارا ليدخل عليه أور شليم ليكون ذلك محققا لنبوة زكريا ، وأن الحال الحاصلة فى فلسطين اليوم انما هى جزء أولى من فتنة الدجال الذى ينتظره اليهود .  
وأن الله لا يمكن أن يخرق العادة لرجل يدعى الألوهية لأن ذلك تصديق له والله لا يصدق الكذاب .

## موقف المسيح فى اليوم الآخر

ذكر القرآن موقفا للمسيح عليه السلام فى اليوم الآخر يوم القيامة ، ولما كان ذلك متحقق الوقوع متى حضر وقته ؛ فقد عبر فيه بلفظ الماضى .

بما قدمته من الرد على مسألة من المسائل التى تعلقت بها اللجنة يعلم أن الكتاب صحيح لا مؤاخذه على فيما نصصته فيه . وأنهم لم يكونوا على صواب فى حكمهم بإعدام كتابى ماديا وأعدامهم لى ادبيا بقولهم .

« نرى أن هذا الكتاب بحالته هذه لا يصح تداوله بين طلاب المعاهد الدينية وغيرهم » والسلام على فضيلتكم ورحمة الله ٢١ - ١ - ١٩٣٤ .

رئيس اللجنة

أعضاء

عيسى منون محمد العزبى رزق محمود أبو دقيقه ابراهيم الجبالى

فقد استبان أن الكتاب لم يتضمن خطأ بل كله صواب ، يشهد له اهل العقول الراجحة والافكار القويمة ممن قرأه انه أبدع كتاب وجد فى باب قصص الانبياء الى اليوم ، وانه لا شبهه له فى باب الخاتمة

الآن وقد انتهت مما أردته من دفع كل انتقادات اللجنة على كتابى وتبين للقارىء الكريم أن اللجنة لم توفق الى ايراد مطعن صحيح على ذلك الكتاب يستحق أن يؤبه له ، واستبان أن كتابى صحيح لا غبار عليه ، وأنى كنت أسير فى كتابتى له على النهج الواضح والسبيل السوى ، ولم احد فيه عن الصراط المستقيم ، فلا أريد أن ألقى القلم من يدى حتى أعلن شكرى لأعضاء اللجنة الموقرة فقد قاموا بما أمروا به خير قيام ، ولم يدخروا وسعا فى تسوئة كتابى والتشهير بى .

وقد كانت مهمتهم شاقة كلفتهم الانفاق من كل شىء يملكونه ، ليصلوا الى الغاية التى رسمت لهم واذا كانوا لم يصلوا الى شىء يعتبره العقلاء شيئا يوجب المؤاخذه على . فلم يكن ذلك عن هوادة أو تقصير فى أداء هذه المأمورية ؛ اذ ليس الوصول الى شىء بملكهم .

وانى لا أنكر أن لهم فضلا على فى توجيه انظار العالم الى الوقوف على كتابى ، وقد كنت اساعف الناس أيام كان موجودا منه نسخ ، أما الآن فانى آسف كل الأسف لأنى لا أجد ما اساعفهم به - هذا أولا .

ثانيا - كان لهم الفضل على لانهم بتقريرهم وبعبارة أخرى بنقدهم هذا قد حفزوني على المطالعة والدرس فازددت رسوخا فى كل المعانى التى أوردتها فى كتابى ووثوقا بما ضمنته ذلك الكتاب .

ثالثا - انهم بنقد كتابى قد أتاحوا لى أن أرد على نقدهم بما قدمت . فانا الآن بكتابى أوثق وسأحلى جيد طبعته الثانية بانتقاداتهم واعتراضاتهم وأزيتها بردى على حضراتهم وإبطال مدعياتهم . وحينئذ أتقدم الى العالم الاسلامى مرفوع الرأس ، وأمد يدى اليهم بنسخته الثانية قائلا ( هاؤم اقرأوا كتابيه ) .

تحريرا فى يوم الخميس الموافق ١٢ محرم سنة ١٣٥٣ - ٢٦ ابريل ١٩٣٤ .

عبد الوهاب النجار

ذلك أن الله تعالى يسأله وهو أعلم بالواقع عن ضلال أمته فيه وفي أمه ؛ إذ بعضهم قد عبده وحده ، وبعضهم عبده وأمه ، واتخذوها الهين من دون الله ، ليقيم الحجة على ضلال ما عمل أتباعه من بعده ، فيجيبه منكرا ذلك جاحدا له مقررأ أنه في حياته انما دعا الى الله وحده وعبادته دون سواه ، وأنه كان يراقبهم ويسددهم بالنصائح الى وفاته . وبعد ذلك كان الله الرقيب عليهم وهو الشهيد على كل شيء وأن أمر عباده اليه ان شاء عذب وان شاء رحم .

اقرأوا هذه الآيات :

سورة المائدة : وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [١١٦] مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [١١٧] إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [١١٨] قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صَدَقْتُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [١١٩]

يلاحظ القراء أنى لم أعقد بابا لقصص رسول الله ( محمد ) صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين — ألا فليعلموا أنى كتبت سيرة رسول الله ( محمد ) صلى الله عليه وسلم فى كتاب على حدة — فاذا كان فى عمرى مهلة فانهم سيرون هذا الكتاب ويقرأونه ان شاء الله . وكل آت قريب .

والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اخوانه

من النبيين والمرسلين وعلى

آله وصحبه أجمعين